

كتاب الشعب

تفسير القرآن العظيم

للحافظ ابن كثير

٧٠٠-٧٧٤ هـ

ر. محمد إبراهيم البنا
تحقيق
عبد العزيز بن باز
م. أمراء تور

المجلد الثامن

دار الشعب

٢١٨١٠



وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (١٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (١٨) وَطَلْحٍ مَبْشُورٍ (١٩) وَظِلِّ مَمْدُودٍ (٢٠)
 وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٢١) وَفُكْهَةٍ كَثِيرَةٍ (٢٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٢٣) وَقُرْشٍ مَرْفُوعَةٍ (٢٤) إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ
 إِنْسَاءً (٢٥) جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا (٢٦) عُرُبًا أَزْجَا (٢٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٢٨) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى (٢٩) وَثَلَاثَةٌ
 مِنَ الْآخِرِينَ (٣٠)

لما ذكر تعالى مآل السابقين - وهم القربون - عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين - وهم الأبرار - كما قال ميمون
 ابن مهران : أصحاب اليمين منزلة دون المقربين - فقال : (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) ، أى : أى شيء
 أصحاب اليمين ؟ وما حاتم ؟ وكيف مآثم ؟ ثم فسر ذلك فقال : (فى سدر مخضود) - قال ابن عباس ، وعكرمة ،
 ومجاهد ، وأبو الأحوص ، وقسامة بن زهير ، والسقري بن نسيب ، والحسن ، وقنادة ، وعبد الله بن كثير ، والسدي ،
 وأبو حمزة ، وغيرهم : هو الذى لا شوك فيه (١) . وعن ابن عباس : هو الموقر بالثمر . وهو رواية عن عكرمة ،
 ومجاهد . وكذا قال قتادة أيضا : كنا نحدث أنه الموقر الذى لا شوك فيه .
 والظاهر أن المراد هذا وهذا ، فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر ، وفى الآخرة على عكس من هذا ، لا شوك
 فيه وفيه الثمر الكثير الذى قد أثقل أصله ، كما قال الخافظ أبو بكر أحمد بن سليمان النجاشي (٢) :

حدثنا محمد بن محمد هو البغوي ، حدثني حمزة بن عباس ، حدثنا عبد الله بن عثمان ، حدثنا عبد الله بن المبارك
 أخبرنا صفوان بن عمرو ، عن سليم بن عامر قال : كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقولون : إن الله ليمنعنا
 بالأعراب ومساثلهم ، قال : أقلل أعرابي يوماً فقال : يا رسول الله ، ذكر الله فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها ؟ فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما هى ؟ » قال السدر ، فإن له شوكاً مؤذياً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « أليس الله يقول : (فى سدر مخضود) ، نخضد الله شوكه ، فجعل مكان كل شوكة ثمرة ، فأما لتنبت ثمراً تتفتق
 الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ، ما فيها لون يشبه الآخر » .

طريق أخرى ، قال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا محمد بن المصنف ، حدثنا محمد بن المبارك ، حدثنا يحيى بن حمزة
 حدثني ثور بن يزيد ، حدثني حبيب بن عبيد ، عن عتبة بن عبد السلامي قال : كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم - فجاء أعرابي فقال : يا رسول الله ، أسمعك تذكر فى الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكاً منها ؟ يعنى الطلح
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس (٣) الملبود ، فيها سبعون
 لونا من الطعام ، لا يشبه لون آخر .

(١) السدر : شجر التيق .

(٢) كان شيخ الخابطة بالعراق ، سمع أبا داود السجستاني وطبقته ، وكانت له حلقتان : حاقة للفتوى ، وحلقة للإسلام ،
 وكان رأساً فى الفقه والحديث . توفى فى ذى الحجة من سنة : ٣٤٨ . انظر الدرر للذهبي : ٢٧٨/٢ - ٢٧٩ .

(٣) فى المخطوطة : « خصرة » . والمثبت عن الطبقات السابقة ، والنهاية لابن الأثير ، مادة : ليد . قال ابن الأثير : « مثل
 خصوة التيس الملبود : أى : المكتنز اللحم ، الذى لزم بوضعه بعضاً فتلبده » . هذا وفى اللسان عن شمر : « لم تسع فى واحد أصح
 إلا خصوة البياض ، لأن أصله من البياض » .

وقوله : (وطلح منضود) ، الطلح : شجر عظام يكون بأرض الحجاز ، من شجر العنقاء ، واحده طلحة ، وهو شجر كثير الشوك ، وأنشد ابن جرير لبعض الخداة (١) :

بَشَّرَهَا دَلِيلُهَا وَقَالَ : * عِنْدَا تَرِينِ الطَّلِحِ وَالْجَبَالَا

قال مجاهد : (منضود) ، أى متراكم التمر ، يذكر بذلك قريشاً ، لأنهم كانوا يجيئون من وج (٢) ، وظلاله من طلح وسدر (٣) :

وقال السدي : (منضود) مصدوف . قال ابن عباس : يشبه طلح الدنيا ، ولكن له تمر أحلى من العسل :

قال الجوهري : والطلح لغة في الطلح

قلت : وقد روى ابن أبي حاتم من حديث الحسن بن سعد ، عن شيخ من همدان قال : سمعت علياً يقول : هذا الخرف في (طلح منضود) ، قال : طلح منضود ، فعلى هذا يكون هذا من صفة السدر ، فكأنه وصفه بأنه مخضود وهو الذى لا شوك له ، وأن طلعه منضود ، وهو كثرة ثمره ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو معاوية ، عن إدريس ، عن جعفر بن إيمان ، عن أبي نضرة عن أبي سعيد (وطلح منضود) ، قال : الموز . قال وروى عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، والحسن وعكرمة وقسامة ابن زهير ، وقتادة ، وأبي حنزة ، مثل ذلك . وبه قال مجاهد ، وابن زيد - وزاد فقال : أهل اليمن يسمون الموز الطلح . ولم يحك ابن جرير غير هذا القول (٤) .

وقوله : (وظل ممدود) ، قال البخارى : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة - يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم - قال : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، أقرءوا إن شئتم : (وظل ممدود) (٥) » .

ورواه مسلم من حديث الأعرج ، به (٦) :

وقال الإمام أحمد : حدثنا سريج ، حدثنا قيس ، عن هلال بن علي ، عن عبد الرحمن بن أبي عميرة ، عن أبي هريرة : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة ، أقرءوا إن شئتم : (وظل ممدود) (٧) » .

(١) تفسير الطبرى : ١٠٤/٢٧ . ومجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢٥٠/٢ ، وقد نسب في الترمذى ٢٠٨/١٧ تجدي .

(٢) وج : موضع بناحية الطائف .

(٣) لفظ مجاهد كما في الطبرى ١٠٤/٢٧ : « كانوا يجيئون بوج ، وظلاله من طلحه وسدر » .

(٤) انظر تفسير الطبرى : ١٠٤/٢٧ .

(٥) البخارى ، تفسير سورة الواقعة : ١٨٣/٦ .

(٦) مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ، لا يقطعها » :

١٤٤/٨ .

(٧) مستند الإمام أحمد : ٤٨٢/٢ .

تفسير سورة الواقعة

وكذا رواه البخاري ، عن محمد بن سنان (١) ، عن فليح ، به (٢) : وكذا رواه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة . وكذا رواه حماد بن سلمة ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة . والليث بن سعد ، عن سعيد المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة (٣) . وعوف ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا : حدثنا شعبة ، سمعت أبا الضمحاك يحدث عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين ، أو مائة سنة ، هي شجرة الخلد (٤) . »

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا يزيد بن هارون ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله قال : « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها ، واقرءوا إن شئتم : (وظل ممدود) . »

إسناد جيد ، ولم يخرجوه . وهكذا رواه ابن جرير ، عن أبي كريب ، عن عبدة وعبد الرحيم (٥) ، عن محمد ابن عمرو ، به . وقد رواه الترمذي ، من حديث عبد الرحيم بن سليمان ، به (٦) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن زياد - مولى نبي مخزوم عن أبي هريرة قال : إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة ، اقرءوا إن شئتم : (وظل ممدود) . فبلغ ذلك كعبا فقال : صدق ، والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد ، لو أن رجلا ركب حقة أو بجدعة ، ثم دار حول (٧) تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط آهرا ما ، إن الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه ، وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة ، وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة (٨) .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا محمد بن منهال الضرير ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل : (وظل ممدود) ، قال : « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها . »

وكذا رواه البخاري ، عن روح بن عبد المؤمن ، عن يزيد بن زريع (٩) ، وهكذا رواه أبو داود الطيالسي ، عن عمران بن داود القنطاري ، عن قتادة ، به . وكذا رواه معمر ، وأبو هلال ، عن قتادة ، به . وقد أخرج البخاري

(١) في المخطوطة : « محمد بن شيبان » . والمثبت عن صحيح البخاري ، وهو الصواب ، وانظر الخلاصة .

(٢) البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب « ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة » : ١٤٤/٤ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤٥٢/٣ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٤٤٥/٢ .

(٥) في تفسير الطبري : « وعبد الرحمن » . والصواب ما هنا ، وانظر مسند الترمذي الآتي .

(٦) تحفة الأحوذى ، تفسير سورة الواقعة ، الحديث ٣٣٤٦ : ١٧٩/٩ - ١٨٠ .

(٧) كذا في المخطوطة . وفي تفسير الطبري : « ثم دار بأصل تلك . . . » .

(٨) تفسير الطبري : ١٠٥/٢٧ .

(٩) البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب « ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة » : ١٤٤/٤ .

ومسلم عن حديث أبي سعيد وسهل بن سعد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجراد المضمر (١) السريع مائة عام ما يقطعها (٢) » .

فهذا حديث ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد ، لتعدد طرقه ، وقوة أسانيدوه ، وثقة رجاله .

وقد قال الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا أبو حصين قال : كتابنا علي باب في موضع ، ومعنا أبو صالح وشقيق - يعنى الضبي - فحدثنا أبو صالح قال : حدثني أبو هريرة قال : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما . قال أبو صالح : أنكذب أبا هريرة ؟ قال : ما أكذب أبا هريرة ، ولكني أكذبك أنت . فشق ذلك على القراء [يومئذ] (٣) .

قلت : فقد أبطال من يكذب بهذا الحديث ، مع ثبوته وصحته ورفعته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الترمذي : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا زياد بن الحسن بن الفرات التمرآز ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما في الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب » . ثم قال : « أحسن غريب (٤) » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن أبي الربيع ، حدثنا أبو عامر العقدي ، عن زينة بن صالح ، عن سلمة ابن وهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق ظلها ، قدر ما يسير الراكب في نواحيها مائة عام . قال : فيخرج إليها أهل الجنة ، أهل الغرف وغيرهم ، فيتحدثون في ظلها . قال : هي شهي بعضهم ويدكر هو الدنيا ، فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل هو في الدنيا . هذا أثر غريب ، وإسناده جيد قوى حسن .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن يمان ، حدثنا سفيان ، حدثنا أبو إسحاق ، عن عمرو بن ميمون في قوله : (وظل ممدود) ، قال : سبعون ألف سنة . وكذا رواه ابن جرير عن بنادر ، عن ابن مهدي ، عن سفيان ، مثله (٥) . ثم قال ابن جرير :

حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهرا ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون (وظل ممدود) ، قال : خمسمائة ألف سنة (٥) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الوليد الطيالسي ، حدثنا حصين بن نافع ، عن الحسن في قول الله تعالى : (وظل ممدود) قال : في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها . وقال عوف ، عن الحسن : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ، لا يقطعها » . رواه ابن جرير (٥) .

(١) الجواد المضمر : الذي يعلف حتى يسمن ، ثم يرد إلى القوت ليخفف . . وقيل : هو الذي يشد عليه السرج حتى يعرق تحته فيذهب رمله ويشد لحمه .

(٢) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار : ١٤٢/٨ - ١٤٣/٨ ومسلم ، كتاب صفة الجنة ، باب « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » : ١٤٤/٨ .

(٣) تفسير الطبري : ١٠٦/٢٧ .

(٤) تحفة الأحوذى ، أبواب صفة الجنة ، باب « ما جاء في صفة شجر الجنة » ، الحديث ٢٦٤٥ : ٢٢٦/٧ - ٢٢٧/٧ .

(٥) تفسير الطبري : ١٠٤/٢٧ .

وقال شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : في الجنة شجر لا يحمل ، يُستظل به : رواه ابن أبي حاتم .
وقال الضحاك ، والسدي ، وأبو حزرة في قوله : (وظل محدود) : لا ينقطع ، ليس فيها شمس ولا حر ، مثل
قبل طلوع الفجر .

وقال ابن مسعود : الجنة سَجَسَج (١) ، كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .
وقد تقدمت الآيات كقوله : (وندخلهم ظلا ظليلا) (٢) ، وقوله : (أكلها دائم وظلها) (٣) ، وقوله :
(في ظلال وعيون) (٤) ، إلى غير ذلك من الآيات .

وقوله : (وماء مسكوب) ، قال الثوري : يجري في غير محدود .

وقد تقدم الكلام عند تفسير قوله تعالى : (فيها أنهار من ماء غير آسن) (٥) . . . الآية ، بما أغنى عن إعادته هاهنا ،

وقوله : (وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة) ، أي : وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان ما لا عين
رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر : (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا : هذا الذي رزقنا من قبل ،
وأتوا به متشابها) (٦) ، أي : يشبه الشكل الشكل ، ولكن الطعم غير الطعم . وفي الصحيحين في ذكر سكرة المنتهى
قال : « فإذا ورقها كأذان القبلة ونبقها مثل قلال هجر » (٧) .

وفيها أيضا ، من حديث مالك ، عن زيد ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس قال : « خُسِفَت الشمس ،
فصلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والناس معه ، فذكر الصلاة » . وفيه : « قالوا : يا رسول الله ، رأيناك تناولت
شيئا في مقامك هذا ثم رأيناك تكلمت . قال : إني رأيت الجنة ، فتناولت منها عنقودا ، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت
الدنيا » .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا عبيد الله ، حدثنا ابن عمير ، عن جابر
قال : بينما نحن في صلاة الظهر ، إذ تقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتقدمنا معه ، ثم تناول شيئا ليأخذه ثم تأخر ،
فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب : يا رسول الله ، صنعت اليوم في الصلاة شيئا ما كنت تصنعه ؟ قال : « إنه عرضت
على الجنة ، وما فيها من الزهرة والنضرة ، فتناولت منها قِطْمًا من عنب لآتيكم به ، فحبل بيني وبينه ، ولو أتيتكم به
لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه » (٨) .

(١) أي : ظلها معتدل ، لآخر ولا يبرد .

(٢) سورة النساء ، آية : ٥٧ .

(٣) سورة الرعد ، آية : ٣٥ .

(٤) سورة المرسلات ، آية : ٤١ .

(٥) سورة محمد ، آية : ١٥ .

(٦) سورة البقرة ، آية : ٢٥ .

(٧) البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب « ذكر الملائكة » : ١٣٤/٤ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب « الإسراء برسول الله

الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السموات وفرض الصلوات » : ١٠١/١ .

(٨) تقدم الحديث عند تفسير الآية الخامسة والثلاثين من سورة الرعد ، وخرجناه هناك ، انظر : ٣٨٦/٤ .

وروى مسلم ، من حديث أبي الزبير ، عن جابر ، نحوه (١) :

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن بحر ، حدثنا هشام بن يوسف ، أخبرنا معمر ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن عامر بن زيد البكالي : أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول : جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله عن الخوض وذكر الجنة ، ثم قال الأعرابي : فيها فاكهة ؟ قال : نعم ، وفيها شجرة تدعى طوبى - فذكر شيئاً لا أدرى ما هو ؟ قال : أى شجر أرضنا تشبه ؟ قال : ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أتيت الشام ؟ قال : لا . قال : تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة ، تنبت على ساق واحد ، وينفرش أعلاها . قال : ما عظم أصلها ؟ قال : لو ارتحلت جندعة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هراً . قال : فيها عنب ؟ قال : نعم . قال : فما عظم العنقود ؟ قال : مسيرة شهر للغراب الأبقع ، ولا يفتر . قال : فما عظم الحبة ؟ قال : هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قط عظيماً ؟ قال : نعم . قال : فسليخ إهابه فأعطاه أمك ، فقال : اتخذى لنا منه دلوفاً ؟ قال : نعم . قال الأعرابي : فان تلك الحبة لشعبي وأهل بيتي ؟ قال : نعم وعامة عشيرتك (٢) .

وقوله : (لا مقطوعة ولا ممنوعة) ، أى : لا تتقطع شتاء ولا صيفاً ، بل أكلها دائم مستمر أبداً ، مهما طلبوا وجدوا ، لا يمتنع عليهم بقدره الله شيء .

قال قتادة : لا يمتنعهم من تناولها عودٌ ولا شوكٌ ولا بُعدٌ . وقد تقدم في الحديث : إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى .

وقوله : (وفرش مرفوعة) ، أى : عالية وطيبة ناعمة ؛

قال النسائي وأبو عيسى الترمذي : حدثنا أبو كريب ، حدثنا رشدين بن سعد ، عن عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : (وفرش مرفوعة) ، قال : ارتفاعها كما بين السماء والأرض ، ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام .

ثم قال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه ، إلا من حديث رشدين بن سعد . قال : وقال بعض أهل العلم : معنى هذا الحديث : ارتفاع القرش في الدرجات ، وبعد ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض (٣) » . هكذا قال : إنه لا يعرف هذا إلا من رواية رشدين بن سعد ، وهو المصرى ، وهو ضعيف . وهكذا رواه أبو جعفر ابن جرير ، عن أبي كريب ، عن رشدين ، به (٤) . ثم رواه هو وابن أبي حاتم ، كلاهما عن يونس بن عبد الأعلى ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، فذكره . وكذا رواه ابن أبي حاتم أيضاً عن نعيم بن حماد ، عن ابن وهب ، وأخرجه الضياء في صفة الجنة من حديث حرمة . عن ابن وهب ، به مثله . ورواه الإمام أحمد عن حسن بن موسى ، عن ابن خزيمة ، حدثنا دراج ، فذكره (٥) .

(١) تقدم الحديث أيضاً في ٣٨٦/٤ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٨٤/٤ ، وتقدم بعضه في ٣٨٦/٤ ، وشرحنا غريبه هناك .

(٣) تحفة الأحوذى ، أبواب صفة الجنة ، باب « ما جاء في صفة « ثياب أهل الجنة » ، الحديث ٢٦٦٣ : ٢٤٧/٧ .

(٤) تفسير الطبري : ١٠٦/٢٧ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٧٥/٣ .

تفسير سورة الواقعة

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو معاوية ، عن جويبر ، عن أبي مهمل - يعني كثير بن زياد - عن الحسن : (وفروش مرفوعة) ، قال : ارتفاع فواش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة .

وقوله : (إنا أنشأناهن إنشاء . فجعلناهن أبكارا . عربا أترابا . لأصحاب اليمين) ، جرى الضمير على غير مذكور . لكن لما دل السياق ، وهو ذكر العرش على النساء اللاتي يضاجنن فيها ، اكتفى بذلك عن ذكرهن ، وعاد للضمير عليهن ، كما في قوله : (إذ عرض عليه بالعشي الضافات الجياد . فقال : إني أحببت حببة الخير عن ذكر وني حتى توارت بالحجاب (١)) ، يعني الشمس ، على المشهور من قول المفسرين .

قال الأخفش في قوله (إنا أنشأناهن إنشاء) : أضمرن ولم يذكرهن قبل ذلك (٢) . وقال أبو عبيدة : ذكرن في قوله : (وحوور عين . كأمثال اللؤلؤ المكنون (٣)) .

فقوله : (إنا أنشأناهن) ، أي : أعدناهن في النشأة الآخرة بعد ما كنن عجائزاً ومصاصاً (٤) ، صرن أبكاراً عرباً . أي : بعد الشبوبة عدن أبكاراً عرباً ، أي : منحيات إلى أزواجهن بالخلاوة والظرافة والملاحة . وقال بعضهم (عربياً) ، أي : غنيمات .

قال موسى بن عبيدة الرباعي ، عن يزيد القاشي ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنا أنشأناهن إنشاء) ، قاله : نساء عجائز كنن في الدنيا عمنشاً ومصاصاً . رواه الترمذي ، وابن جرير (٥) ، وابن أبي حاتم . ثم قال الترمذي : « غريب ، وموسى ويزيد ضعيفان (٦) » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عوف الحمصي ، حدثنا آدم - يعني ابن أبي إياس - حدثنا شبان ، عن جابر ، عن يزيد بن مرة ، عن سلمة بن يزيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله : (إنا أنشأناهن إنشاء) يعني : النيب والأبكار اللاتي كنن في الدنيا (٧) .

وقال عبد بن حميد : حدثنا مصعب بن المقدم ، حدثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : أنت عجوز فقالت : يا رسول الله ، ادع الله أن يدخلني الجنة . فقال : « يا أم فلان ، إن الجنة لا تدخلها عجوز » . قال : فقلت تبكي قال : أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز ، إن الله تعالى يقول : (إنا أنشأناهن إنشاء . فجعلناهن أبكارا) . وهكذا رواه الترمذي في الشمائل ، عن عبد بن حميد .

(١) سورة ص ، آية : ٣١ - ٣٢ .

(٢) تفسير الطبري : ١٠٦/٢٧ .

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢٥١/٢ .

(٤) رمص بضم فسكون - جمع : رمصاص ، والرمص - بفتحين - : وسخ أبيض يجتمع في العين .

(٥) تفسير الطبري : ١٠٧/٢٧ .

(٦) تحفة الأخوذى ، تفسير سورة الواقعة ، الحديث ٣٣٥٠ : ١٨٣/٩ .

(٧) أخرجه أبو داود الطيالسي ، انظر أسد الغاية ، ترجمة سلمة بن يزيد : ٤٣٦/٤ - ٤٣٧ ، بتحقيقنا .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا بكر بن سهل (١) الدماطي ، حدثنا عمرو بن هشام البيروني ، حدثنا سليمان ابن أبي كريمة ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة قالت : قلت : يا رسول الله ، أخبرني عن قول الله : (حور عِين) ، قال : (حور : بيض ، عين : ضمخام العيون ، شَسْبَرُ (٢) الحوراء بمنزلة جناح المنسر) . قلت : أخبرني عن قوله : (كأَمْثَالِ الْوَلْوَلِ الْمُكْتُونِ) ، قال : « صفاؤه من صفاء الدر الذي في الأصداف ، الذي لم تَمَسَّه الأيدي » . قلت : أخبرني عن قوله : (فيهن خيرات حسان) . قال : « خَيْرَاتُ الأخلاق ، حسان الوجوه » . قلت : أخبرني عن قوله : (كأنهن بيض مكنون) ، قال : « رقتهن كرقعة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر ، وهو : التبرقيء » . قلت : يا رسول الله ، أخبرني عن قوله : (عربا أترابا) . قال : « هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز ومنصبا شمعطا ، خلقتهن الله بعد الكبر ، فجعلهن عذارى عربيا متعشقات متحبيات ، أترابا على ميلاد واحد » . قلت : يا رسول الله ، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين . قال : « بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين » كفضل الظهارة على البطانة (٣) . قلت : يا رسول الله ، وبم ذلك ؟ قال : « بصلاتهن وصيامهن وحيادتهن الله عز وجل ، أليس الله وجوههن النور ، وأجسادهن الحرير ، وبيض الألوان ، خضر الثياب ، صفر الحلبي ، مجامرهن الدر ، وأمشاطهن الذهب ، يقطن : نحن الخالدات فلا نموت أبدا ، ونحن لناعمات فلا نبأس أبدا ، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا ، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا ، طوبى لمن كُتِبَ له وكان لنا » . قلت : يا رسول الله ، المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة ، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها ، من يكون زوجها ؟ قال : « يا أم سلمة ، إنها تُخَيَّرُ فمختار أحسنهم خلقا ، فتقول : يا رب ، إن هذا كان أحسن خلقا معي فزوجنيه ، يا أم سلمة ذهب حسن المخلق خير الدنيا والآخرة » .

وفي حديث الصور الطويل المشهور : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع للمؤمنين كلهم في دخول الجنة ، فيقول الله : قد شفعتك وأذنت لم في دخولها . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم ، فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة ، ل سبعين ما (٤) » . مما ينشئه الله ، وثنتين من ولد آدم ، هما فضل على من أنشأ الله ، بعبادتهما الله في الدنيا ، يدخل على الأولى منهما في غرفة من يهتوت ، على سرير من ذهب مكمل بالؤلؤ ، عليه سبعون زوجا من سندس وإستبرق ، وإنه ليضع يده بين كتفها ، ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها ، وإنه لينظر إلى منخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبه الياقوت ، كبدها لها امرأة ، يعنى وكبدها له امرأة ، فبينما هو عندها لا تملها ولا تمله ، ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ، ما يقتر ذكره ولا تشتكى قبلها إلا أنه لا منى ولا منية ، فبينما هو كذلك إذ نودي : إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل ، إلا أن لك أزواجا غيرها . فيخرج ، فيأتيهن واحدة واحدة ، كلما جاء واحدة قالت : والله ما في الجنة شيء أحسن منك ، وما في الجنة شيء أحب إلى منك .

(١) في المعجم للصغير للطبراني ١/١١٠ : « سبيل » . وما في العبر للذهبي ٢/٨٢ ، يوافق ما هنا .

(٢) الشفر - بضم فسكون - : جفن العين الذي ينبت عليه الشعر .

(٣) بطانة الشوب : ما ولي منه الجسد وكان داخلا والظهارة : ما حلا وظهر ولم يل الجسد .

(٤) ما بين القوسين عن سياقة حديث الصور ، التي تقدمت في سورة الأنعام : ٢٨٢/٣ .

وقال عبد الله بن وهب : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن درّاج ، عن ابن تخبّيرة ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال له : أنطأ في الجنة ؟ قال : نعم والذي نفسي بيده دَحْمًا (١) ، دَحْمًا ، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرة .

وقال الطبراني : حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه البغدادي ، حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطي ، حدثنا معلى ابن عبد الرحمن الواسطي ، حدثنا شريك ، عن عاصم الأحول ، عن أبي المتوكل ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة إذا جامعوا نسأهم عدن أبكارا (٢) » . وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا عمران ، عن قتادة ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يعطي المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في النساء ، قلت : يا رسول الله ، ويضيق ذلك ؟ قال : يعطي قوة مائة » .

ورواه الترمذي من حديث أبي داود وقال : « صحيح غريب (٣) » .

وروى أبو القاسم الطبراني من حديث حسين بن علي الجعفي ، عن زائدة ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قيل : يا رسول الله ، هل نصل إلى نساتنا في الجنة ؟ قال : « إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة هناء » .

قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي : هذا الحديث عندي على شرط الصحيح ، والله أعلم .

وقوله : (عربا) ، قال سعيد بن جببر ، عن ابن عباس ، يعني متحبات إلى أزواجهن ، ألم تر إلى الناقة الضبيعة (٤) ، هي كذلك .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : العرب : العواشق لأزواجهن ، وأزواجهن لمن عاشقون . وكذا قال عبد الله ابن سرجس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبو العالية ، ويحيى بن أبي كثير ، وعطية ، والحسن ، وقاتدة ، والضحاك ، وغيرهم .

وقال ثور بن زيد ، عن عكرمة قال : سئل ابن عباس عن قوله : (عربا) ، قال : هي الملية لزوجها (٥) .

وقال شعبة ، عن سهاك ، عن عكرمة : هي الغشيعة (٦) .

وقال الأجلح بن عبد الله ، عن عكرمة : هي الشكلة (٧) .

- (١) اللحم - بفتح فسكون - : النكاح والوطء يدفع وإزعاج .
- (٢) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ٩١/١ ، وقال : « لم يروه عن عاصم الا شريك ، تفرد به معلى بن عبد الرحمن » .
- (٣) تحفة الأحوذى ، أبواب صفة الجنة ، باب « ماجاه في صفة جماع أهل الجنة » ، الحديث ٢٦٥٩ : ٢٤١/٧ - ٢٤٢ .
- (٤) في اللسان : « ضبعت الناقة - بالكسر - تضح ضبعا وضبعت - بالتحريك - ، وضبعت وأضبعت بالألف ، واستضبعت ، وهي مضبعة : اشبهت الفحل » .
- (٥) تفسير الطبري : ١٠٧/٢٧ .
- (٦) الفنج - بفتح حين - : التكسر والتبدل .
- (٧) المرأة الشكلة : ذات الدل .

وقال صالح بن حيّان ، عن عبد الله بن بريدة في قوله : (عربيا) ، قال : الشكلة بلغة أهل مكة ، والغنجة بلغة أهل المدينة (١) .

وقال تميم بن حذلم : هي حسن التبعيل .

وقال زيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن : العرب : حسنات الكلام .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن سهل بن عثمان العسكري : حدثنا أبو علي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « (عربيا) قال : كلامهن عربي » .

وقوله : (أترابا) ، قال الضحاك ، عن ابن عباس : يعني في سن واحدة ، ثلاث وثلاثين سنة ، وقال مجاهد : الأتراب المستويات . وفي رواية عنه : الأمثال . وقال عطية : الأقران . وقال السدي : (أترابا) ،

أي : في الأخلاق المتواضعات بينهم ، ليس بينهم تفاخر ولا تحاسد ، يعني لا كما كن ضرائر متعاديات .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن عبد الله بن الكهف (٢) ، عن الحسن ومحمد : (عربيا أترابا) ، قالوا : المستويات الأسنان ، يأتفن جميعا ، ويلعبن جميعا .

وقد روى أبو عيسى الترمذي ، عن أحمد بن منيع ، عن أبي معاوية ، عن عبد الرحمن بن إسماعيل ، عن الثعالبي ، عن سعد ، عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن في الجنة لمجتمعاً للحوار العين ، يرفعن أصواتهن لم تسمع الخلائق بمثلهما ، يقطن : نحن الخالديات فلا نبيد ، ونحن النائمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبى لمن كان لنا وكُنّا له » . ثم قال : « هذا حديث غريب (٣) » .

وقال الحافظ بن يعلى : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا إسماعيل بن عمر ، حدثنا ابن أبي ذئب ، عن فلان بن عبد الله ابن رافع ، عن بعض ولد أنس بن مالك ، عن أنس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن الحوار العين يلعبن في الجنة ، يقطن : نحن حبيبات حسان ، شبيها لأزواج كرام » .

قلت : إسماعيل بن عمار هذا هو أبو المنذر الواسطي أحد الثقات الأثبات . وقد روى هذا الحديث الإمام عبد الرحيم ابن إبراهيم الملقب بدحيم ، عن ابن أبي فديك ، عن ابن أبي ذئب ، عن عون بن الخطاب بن عبد الله بن رافع (٤) ، عن ابن أنس ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الحوار العين يغيب في الجنة : نحن الجوار الحسان ، نطقنا لأزواج كرام » .

وقوله : (لأصحاب اليمين) ، أي : نطقنا لأصحاب اليمين لـ أو : ادخرون لأصحاب اليمين لـ أو : زوجن لأصحاب اليمين . والأظهر أنه متعلق بقوله : (إنا أنشأناهن إنشاء . فجعلناهن ابتكارا . عربيا أترابا . لأصحاب اليمين) ، فتقديره : أنشأناهن لأصحاب اليمين . وهذا توجيه ابن جرير (٥) .

(١) تفسير الطبري : ١٠٨/٢٧ .

(٢) عبد الله بن الكهف هذا مترجم في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ١٤٥/٢/٢ ، ومحمد الذي يروى عنه هو ابن سيرين .

(٣) تحفة الأحرفي ، أبواب صفة الجنة ، باب « ما جاء في كلام الحوار العين » ، الحديث ٢٦٨٩ : ٢٨٦/٧ - ٢٨٧ .

يو أنظر مستند الإمام أحمد : ١٥٦/١ .

(٤) انظر ترجمة عون بن الخطاب في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٢٨٦/١/٢ .

(٥) تفسير الطبري : ١٠٩/٢٧ .

روى عن أبي سليمان الداراني - رحمه الله - قال : صليت ليلة ، ثم جلست أدعو ، وكان البرد شديداً ، فجعلت أدعو بيد واحدة ، فأخذتني عيني فتمت ، فرأيت جواراً لم ير مثلاً وهي تقول : يا أبا سليمان ، أتدعو بيد واحدة وأنا أغدّي لك في النعم من خمسمائة سنة !

قلت : ويحتمل أن يكون قوله : (لأصحاب اليمين) متعلقاً بما قبله ، وهو قوله : (أتربا : لأصحاب اليمين) ، أي : في أسنانهم . كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم ، من حديث جرير ، عن عمارة بن القعقاع ، عن أبي زُرعة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على ضوء أشدّ كركب دري في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ، ولا يتفلون ولا يتمخضون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، وبجامرهم الأكرة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً في السماء (١) » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون وعفان قالا : حدثنا حماد بن سلمة - وروى الطبراني ، واللفظ له ، من حديث حماد بن سلمة - عن علي بن زيد بن جلعان ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل أهل الجنة الجنة جرّداً مردداً بيضا جعّاداً مكحّلين ، أبناء ثلاث وثلاثين ، وهم على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع (٢) » .

وروى الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي ، عن عمران القطان ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن عبدالرحمن ابن غنم ، عن معاذ بن جبل : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل أهل الجنة الجنة جرّداً مردداً مكحّلين أبناء ثلاثين ، أو (٣) ثلاث وثلاثين سنة » . ثم قال : « حسن غريب (٤) » .

وقال ابن وهب : أخبرنا عمرو بن الحارث أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الميثم ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير ، يُردّون بيني ثلاث وثلاثين في الجنة ، لا يزيدون عليها أبداً ، وكذلك أهل النار » .

ورواه الترمذي عن سويد بن نصر ، عن ابن المبارك ، عن رشدين بن سعد ، عن عمرو بن الحارث ، به (٥) ، وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا القاسم بن هاشم ، حدثنا صفوان بن صالح ، حدثني رواد بن الجراح العسقلاني ، حدثنا الأوزاعي ، عن هارون بن رثاب ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ، ستين ذراعاً بأذراع الملك ! على حسن يوسف ، وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة ، وعلى لسان محمد ، جرّداً مردداً مكحّلون » .

(١) تقدم الحديث عند تفسير الآية ٧٣ من سورة الزمر ، وخرجناه هناك ، وشرحناه غريبه : ١١٠/٧ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢٩٥/٢ ، ٣٤٣ .

(٣) ما بين القوسين عن الترمذي .

(٤) لفظ الترمذي - كما في تحفة الأحوذى - « هذا حديث غريب » . انظر أبواب صفة الجنة ، باب « ما جاء في من أهل الجنة » : ٢٥٤/٧ .

(٥) تحفة الأحوذى ، أبواب صفة الجنة ، باب « ما جاء لأدنى أهل الجنة من الكرامة » ، الحديث ٢٦٨٧ : ٢٨٤/٧ .

وقال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد قالا : حدثنا عمر ، عن الأوزاعي ، عن هارون ابن رباب ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد أعمى ثلاث وثلاثين ، جرداً مرداً مكحلياً . ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها ، لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم » .
وقوله : (ثلة من الأولين . وثلة من الآخرين) ، أي : جماعة من الأولين ، وجماعة من الآخرين ؛

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا محمد بن بكار ، حدثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين ، عن عبد الله بن مسعود - قال : وكان بعضهم يأخذ عن بعض - قال : أكرينا (١) فاقه ليلة عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم غدونا عليه ، فقال : « عرضت على الأنبياء وأتباعها بأجمعها ، فيمر على النبي والنبي في العصابة ، والنبي في الثلاثة ، والنبي ليس معه أحد - وتلا قتادة هذه الآية : (أليس منكم رجل رشيد) - قال : حتى مرّ على موسى بن عمران في كسكبة (٢) من بني إسرائيل ، قال : قلتُ ربّي ، من هذا ؟ قال : هذا أخوك موسى بن عمران ومن معه من بني إسرائيل . قال : قلتُ : رب ، فأين أمّي ؟ قال : انظر عن يمينك في الظراب (٣) . قال : فإذا وجوه الرجال . قال : قلتُ : أروضيت ؟ قال : قلتُ : قد روضيت ، رب . قال : انظر إلى الأفق عن يسارك . فإذا وجوه الرجال . قال : أروضيت ؟ قلتُ : روضيت ، رب . قال : فإن مع هؤلاء سبعين ألفاً ، يدخلون الجنة بغير حساب » . قال : وأنشأ عكاشة بن محصن من بني أسد - قال سعيد : وكان بديرياً - قال : يا نبي الله ، ادع الله أن يجعلني منهم . قال : فقال : « اللهم اجعله منهم » . قال : أنشأ رجل آخر ، قال : يا نبي الله ، ادع الله أن يجعلني منهم . فقال : « سبقك بها عكاشة » . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فإن استطعتم - فداكم أبي وأمي - أن تكونوا من أصحاب السبعين فافعلوا ، وإلا فكونوا من أصحاب الظراب ، وإلا فكونوا من أصحاب الأفق ، فإنني قد رأيت ناساً كثيراً قد تأشّبوا حوله (٤) . ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة » . فكبرنا ، ثم قال : « إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة » . قال : فكبرنا ، قال : « إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » . قال : فكبرنا . ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : (ثلة من الأولين و ثلة من الآخرين) . قال : فقلنا بيننا : من هؤلاء السبعون ألفاً ؟ قلنا : هم الذين ولدوا في الإسلام . ولم يشر كواه قال : « فبلغه ذلك ، فقال : « بل هم الذين لا يكتون ولا يسترقون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » . وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين ، عن قتادة ، به نحوه (٥) . وهذا الحديث له طرق كثيرة من غير هذا الوجه في الصحاح وغيرها .

(١) أي : أطلنا وأخرنا . ولفظ الطبري : « حدثنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات ليلة ، حتى أكرينا في الحديث » .

(٢) الكسكبة - بضم الكافين وفتحهما - : الجماعة المتضامنة من الناس .

(٣) الظراب - بكسر الظاء - : الجبال الصغار .

(٤) في المخطوطة : « قد ناسوا أحواء » . ولعل الصواب ما أثبتناه . وتأشّبوا حوله : اجتمعوا إليه وأطاقوا ؟ . ولفظ الطبري :

« فإنني رأيت ثم ناساً يهرشون كثيراً ، أو قال : يهرشون » . والهرش : الإختلاط ، أي يدخل بعضهم في بعض » .

(٥) تفسير الطبري : ١٠٩/٢٧ - ١١٠ .

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا مهران، حدثنا سفيان، عن أبان بن أبي عياش، عن سعيد بن جبتر، عن ابن عباس: (ثمة من الأولين وثمة من الآخرين)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «همما جميعاً من أمي» (١).

وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ① فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ② وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ③ لِأَبَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ④
 ⑤ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ⑥ وَكَانُوا يُصْرُونَ عَلَى الْخِنِثِ الْعَظِيمِ ⑦ وَكَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا
 تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْنَا لَمَّعُوتُونَ ⑧ أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوْلُونَ ⑨ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ⑩ لَمَجْمُوعُونَ
 إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ⑪ ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا الْضَالِّينَ الْمَكْذِبِينَ ⑫ لَأَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ⑬
 فَاقْنُونَ مِنْهَا الْبَطُونَ ⑭ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ⑮ فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَمِيمِ ⑯ هَذَا زُرُّهُم يَوْمَ
 الَّذِينَ ⑰

لما ذكر تعالى حال أصحاب اليمين، عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال، فقال: (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال). أي: أي شيء هم أصحاب الشمال؟ ثم فسّر ذلك فقال: (في سموم)، وهو: الهواء الحار، (وحميم)، وهو: الماء الحار، (وظل من يحموم)، قال ابن عباس: ظل الدخان. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، وأبو صالح، وفتادة، والسدي، وغيرهم. وهذه كقولته تعالى: (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون) انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب. لا ظليل ولا يغى من الذهب * إنها ترمي بشرر كالفقر. كأنه جملة صنف من ويل يومئذ للمكذبين (٢)، وهذا قال هاهنا: (وظل من يحموم)، وهو: الدخان الأسود، (لابارد ولا كريم)، أي: ليس طيب أهيب ولا حسن المنظر، كما قال الحسن وفتادة: (ولا كريم)، أي: ولا كريم المنظر. وقال الضحاك: كل شراب ليس بعذب فليس بكريم (٣).

وقال ابن جرير: العرب تتبع هذه النقلة في النقي (٤)، فيقولون: «هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم، هذا اللحم ليس بسمين ولا كريم، وهذه الدار ليست بنضيفة ولا كريمة».

ثم ذكر تعالى استحقاقهم لذلك فقال تعالى: (إنهم كانوا قبل ذلك مترفين)، أي: كانوا في الدار الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم، لا يلوون على ما جاءهم به الرسل.

(وكانوا يصرون) أي: يصممون ولا يتوبون، (على الخنث العظيم)، وهو الكفر بالله، وجعل الأوثان والأنداد أرباباً من دون الله.

قال ابن عباس: (الخنث العظيم): الشرك. وكذا قال مجاهد، وعكرمة، والضحاك، وفتادة، والسدي، وغيرهم. وقال الشعبي: هو اليمين الغموس.

(١) تفسير الطبري: ١١٠/٢٧.

(٢) سورة المرسلات، الآيات: ٢٩ - ٣٤.

(٣) تفسير الطبري: ١١١/٢٧.

(٤) لفظ الطبري ١١١/٢٧: «والعرب تتبع كل منى منه صفة حميد نقي الكرم عنه».

وكانوا يقولون : أئذا متنا وكنا ترابا وعظاماً أئنا لمبعوثون . أو أباؤنا الأولون ؟) يعنى أنهم يقولون ذلك مكذبين به مستبعدين لوقوعه ، قال الله تعالى : (قل : إن الأولين والآخرين لمجعوعون إلى ميقات يوم معلوم) ، أى : أخبرهم يا محمد أن الأولين والآخرين من نبي آدم سيجمعون إلى عرصات القيامة ، لا تغادر منهم أحداً ، كما قال : (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود . وما تؤخروه إلا لأجل معدود . يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد) (١) . ولهذا قال هاهنا : (لمجعوعون إلى ميقات يوم معلوم) ، أى : هو موقت بوقت محدد ، لا يتقدم ولا يتأخر ، ولا يزيد ولا ينقص . ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لا تكونون من شجر من زقوم . فالثون منها البطون) ، وذلك أنهم يقبضون ويسجرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم ، حتى يملأوا منها بطونهم ، (فشاربون عليه من الحميم . فشاربون شرب الهيم) ، وهى الإبل العطاش ، واجدها أهييم والأنتى هياء ، ويقال هائم وهائمة .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة : الهيم : الإبل العطاش الظماء .

وعن عكرمة أنه قال : الهيم : الإبل المراض ، تمص الماء مصاً ولا تروى .

وقال السدى : الهيم : داء يأخذ الإبل فلا تروى أبداً حتى تموت ، فكذلك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبداً .

وعن خالد بن معدان : أنه كان يكره أن يشرب شرب الهيم عينة واحدة من غير أن يتنفس ثلاثاً .

ثم قال تعالى : (هذا نزلهم يوم الدين) ، أى : هذا الذى وصفنا هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم ، كما قال فى حق المؤمنين : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً) (٢) ، أى : ضيافة وكرامة .

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ وَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَيَّ أَنْ تَبْدَلَ أَمْلَاكُمْ وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

يقول تعالى مقرراً للمعاد ، ورداً على المكذبين به من أهل الزيف والإلحاد ، من الذين قالوا : (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاماً أئنا لمبعوثون) (٣) ، وقولهم ذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد ، فقال (نحن خلقناكم) ، أى نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكورا ، أفليس الذى قدر على البداءة بقادر على الإعادة بطريق الأولى والأخرى ؟ فلماذا قال : (فلولا تصدقون !) ، أى : فهلا تصدقون بالبعث ! ثم قال مستدلا عليهم بقوله : (أفأرأيتم ما تمنون ؟) أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ؟) ، أى : أنتم تقرونه فى الأرحام وتخلقونه فيها ، أم الله الخالق لذلك ؟ ثم قال : (نحن قدرنا بينكم الموت) ، أى : صرفناه بينكم .

وقال الضحاك : ساوى فيه بين أهل السماء والأرض ؛

(١) سورة هود ، الآيات : ١٠٣ - ١٠٥ .

(٢) سورة الكهف ، آية : ١٠٧ .

(٣) سورة الصافات ، آية : ١٦ .

وما نحن محسبون (آى : وما نحن بمعجزين (على أن نبدل أمثالكم) ، آى : نغير خلقكم يوم القيامة ، (: ننشئكم فيها لا تعلمون) ، آى : من الصفات والأحوال .

ثم قال : (ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون) ، آى : قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً ، فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، فهلا تذكرون وتعرفون أن الذى قدر على هذه النشأة - وهى البتة آفة - قادر على النشأة الأخرى ، وهى الإعادة بطريق الأولى والأخرى ، كما قال (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) (١) وقال (أولاً يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً) (٢) ، وقال (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال : من يحيى العظام وهى رميم . قل : يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلقى علم) (٣) . وقال تعالى : (يحسب الإنسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من مئى مئى ؟ ثم كان علقة فخلقى سوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟) (٤) .

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٦﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٧﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٨﴾ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴿٦٩﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٧٢﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ ﴿٧٤﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٥﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقِيمِينَ ﴿٧٦﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٧﴾

يقول : (أفرايتم ما تحرثون ؟) ، وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها ، (أنتم تزرعونها ؟) ، آى : ننبته في الأرض (أم نحن الزارعون) ، آى : بل نحن الذين نقره قراره وننبته في الأرض .

قال ابن جرير : وقد حدثنى أحمد بن الوليد القرشى ، حدثنا مسلم بن أبى مسلم الجرمى ، حدثنا مخلد بن الحسين ، عن هشام ، عن محمد بن هاشم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقولن « زرعنا » ، ولكن قل : « حرثنا » ، قال أبو هريرة : ألم يسمع إلى قوله : (أفرايتم ما تحرثون . أنتم تزرعونها أم نحن الزارعون (٦٦) ؟) .

ورواه البزار عن محمد بن عبد الرحيم ، عن مسلم الجرمى ، به .

لوقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، عن عطاء ، عن أبى عبد الرحمن ، لا تقولوا زرعنا ، ولكن قولوا حرثنا .

وروى عن حنبل بن السدى أنه كان إذا قرأ : (أنتم تزرعونها أم نحن الزارعون) وأمثالها ، يقول : بل أنت ياربنا

(١) سورة الروم ، آية : ٢٧ .

(٢) سورة مريم ، آية : ٦٧ .

(٣) سورة يس ، الآيات : ٧٧ - ٧٩ .

(٤) سورة القيامة ، الآيات : ٣٦ - ٤٠ .

(٥) فى تفسير الطبرى : « عن هاشم » . وهو هشام بن حسان . انظر الجرح والتعديل لابن أبى حاتم : ٢٤٧/١/٤ .

(٦) تفسير الطبرى : ١١٤/٢٧ .

وقوله : (لو نشاء لجعلناه حطاما) ، أى : نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا ، وأبقيناكم لكم رحمة بكم ، ولو نشاء لجعلناه حطاما ، أى : لأيسناه قبل استوائه واستحصاده ، (فظلمتم تفكّهون) . ثم فسر ذلك بقوله : (إنا لمغرمون) = بل نحن محرومون) ، أى : لو جعلناه حطاما لظلمتم تفكّهون فى المقالة ، تنوعون كلامكم ، فتقولون تارة : (إنا لمغرمون) ، أى : لمسئقون (١) .

وقال مجاهد ، وعكرمة : إنا لمولع بنا . وقال قتادة : معذبون . وتارة تقولون : بل نحن محرومون . وقال مجاهد أيضاً : إنا لمغرمون : ملقون للشر ، أى : بل نحن مُحَارَفُونَ ، قاله قتادة ، أى : لا يثبت لنا مال ، ولا ينتج لنا ربح .

وقال مجاهد : (بل نحن محرومون) ، أى : محدودون (٢) ، يعنى : لا حظ لنا .

قال ابن عباس ، ومجاهد : (فظلمتم تفكّهون) . تعجبون . وقال مجاهد أيضاً : (فظلمتم تفكّهون) : تفجعون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم .

وهذا يرجع إلى الأول ، وهو التعجب من السبب الذى من أجله أصيبوا فى ما لهم . وهذا اختيار ابن جرير (٣) .

وقال عكرمة : (فظلمتم تفكّهون) : تلاومون . وقال الحسن ، وقتادة ، والسدى : (فظلمتم تفكّهون) ، تندمون ومعناه إنا على ما أنفقتم أو على ما أسلفتم من الذنوب .

. قال [الكسائي] : تفكّه من الأضداد ، تقول العرب : [تفكّهت] بمعنى تنعمت ، وتفكّهت بمعنى حزنت .

ثم قال تعالى : (أفرايتم الماء الذى تشرّبون « أنتم أنزلتموه من المزن) ، يعنى : السحاب . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد . (أم نحن المنزلون) ، يقول : بل نحن المنزلون . (لو نشاء جعلناه أجاجا) ، أى : زعاقاً مرّاً لا يصلح لشرب ولا زرع ، (فلو لا نشكرونا) ، أى : فهلا تشكرون نعمة الله عليكم فى إنزاله المطر عليكم حلواً زلالاً ! (لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمىون « يثبت لكم به الزرع والزيتون والتخيل والأعناب ومن كل الثمرات ، إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) (٤) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا عثمان بن سعيد بن مرة ، حدثنا فضيل بن مرزوق ، عن جابر ، عن أبى جعفر ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : أنه إذا شرب الماء قال : « الحمد لله الذى سقانا هذا فإنا برحمته ، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا » .

ثم قال : (أفرايتم النار التى توراون) ، أى : تقدحون من الزناد ، وتسخرونها من أصلها ، (أنتم أنشأتم شجرها أم نحن المنشئون) ، أى : بل نحن الذين جعلناها مودعة فى موضعها ، وللعرب شجرتان ، إحداهما : اللخ ، والأخرى : العفّار ، إذا أخذت منهما غصنان أخضران ، فحكك أحدهما بالآخر ، تثار من بينهما شرر النار .

(١) فى تفسير الطبرى ١١٥/٢٧ : « وإنا ملقون فى الشر » .

(٢) فى اللسان ، مادة حدد : « قال الأزهري : الحدود : الحروم » .

(٣) تفسير الطبرى : ١١٥/٢٧ .

(٤) سورة النحل ، آية : ١٠ - ١١ .

وقوله : (نحن جعلناها تذكرة) ، قال مجاهد ، وقتادة : أي تذكرو النار الكبرى .

قال قتادة : ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يا قوم ، إن ناركم أ هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم) . قالوا يارسول الله ، إن كانت لكافية ! قال قد ضربت بالماء ضربتين أو : مرتين - حتى يستنقع بها بنو آدم ويدنوا منها (١) .

وهذا الذي أرسله قتادة قد رواه الإمام أحمد ، في مسنده فقال :

حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : (إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، وضربت بالبحر مرتين ، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد) (٢) .

وقال الإمام مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم) . فقالوا : يارسول الله ، إن كانت لكافية ، فقال : (إنها فُضِّلَتْ عليها بتسعة وستين جزءاً) (٣) .

رواه البخاري من حديث مالك ، ومسلم من حديث أبي الزناد (٤) ، ورواه مسلم ، من حديث عبد الرزاق ، عن معمر بن همام ، عن أبي هريرة ، به (٥) : وفي لفظ : (والذي نفسي بيده ، لقد فُضِّلَتْ لها بتسعة وستين جزءاً ، كلهن مثل خرها) (٥) .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن عمرو الخلال ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ، حدثنا معمر بن همام ، عن مالك ، عن عمه أبي السهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أندرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ! هي أشد سواداً من ناركم هذه بسبعين (٦) ضعفاً) .

قال الضياء المقدسي : وقد رواه ابن مصعب ، عن مالك ولم يرفعه ، وهو عندي على شرط الصحيح :

وقوله : (ومتاعا للمقوين) ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والنضر بن عربي : معنى (المقوين) المسافرين ، واختاره ابن جرير ، وقال : ومنه قولهم : وأقوت الدار إذا رجل أهلها (٧) .

وقال غيره : القسي (٨) والقواء القفر الخالي البعيد من العمران .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : المقوى هنا الجائع .

وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : (ومتاعا للمقوين) : للحاضر والمسافر ، لكل طعام لا يصلحه إلا النار ، وكذا روى سفيان ، عن جابر الجعفي ، عن مجاهد .

وقال ابن أبي نجيب ، عن مجاهد قوله : (للمقوين) : المستمتعين ، الناس أجمعين (٨) . وكذا ذكر عن عكرمة .

(١) تفسير الطبري : ١١٦/٢٧ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢٤٤/٢ .

(٣) الموطأ ، كتاب جهنم ، باب : « ما جاء في صفة جهنم » .

(٤) البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب : « صفة النار وأنها مخلوقة » : ١٤٧/٤ .

(٥) مسلم ، كتاب صفة الجنة ، باب : « في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعدنين » : ١٥٠/٨ .

(٦) في المخطوطة : « بميتين » . والمثبت من الطبعات السابقة .

(٧) تفسير الطبري : ١١٦/٢٧ .

(٨) في اللسان : « والتي لا يكبر المقاف ، وتشديد الياء : القفر » .

وهذا التفسير أعم من غيره، فإن الحاضر والبادي من غنى وقبيل الكل محتاجون للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع، ثم من لطف الله تعالى أن أودعها في الأحجار، وخالص الحديد، بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه، فإذا احتاج إلى ذلك في منزله أخرج زنده وأورى، وأوقد ناره فأطبخ بها واصطلى، واشتوى واستأنس بها، وانفع بها سائر الانتفاعات. فهذا أفرد المسافرون وإن كان ذلك عاما في حق الناس كلهم. وقد يستدل له بما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي خدّاش حبان بن زيد الشّامي، عن رجل من المهاجرين من قرآن: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المسلمون شركاء في ثلاثة: النار والكأ والماء» (١).

وروى ابن ماجه باسناد جيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث لا يضمن: الماء والكأ والنار» (٢).

وله من حديث ابن عباس مرفوعاً مثل هذا وزيادة: «ولمسه حرام»، ولكن في إسناده «عبد الله بن خرواش بن حوشب» (٣) وهو ضعيف، والله أعلم.

وقوله: (فتسبح باسم ربك العظيم)، أي: الذي بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة: الماء العذب الزلال البارد، ولو شاء لجعله ملحاً أجاجاً كالبحار المغرقة. وخلق النار الخارقة، وجعل ذلك مصلحة للعباد، وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم، وزاجر لهم في المعاد.

﴿ فَلَا أَسْمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ (٧٥) ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ (٧٦) ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ (٧٧) ﴿ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾ (٧٨) ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ (٧٩) ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٨٠) ﴿ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ ﴾ (٨١) ﴿ وَتَجْمَلُونَ ﴾ (٨٢) ﴿ بِرِزْقِكُمْ أَنْتُمْ بَكَّابُونَ ﴾ (٨٣)

قال جويبر، عن الضحاك: إن الله لا يقسم بشيء من خلقه، ولكنه استفتح يستفتح به كلامه:

وهذا القول ضعيف، والذي عليه الجمهور أنه قسم من الله - عز وجل - يتقسم بما شاء من خلقه، وهو دليل على عظمته. ثم قال بعض المفسرين: «لا» هاهنا زائدة، وتقديره: أقسم بمواقع النجوم. ورواه ابن جرير، عن سعيد بن جبير (٤). ويكون جوابه: (إنه لقرآن كريم).

وقال آخرون: ليست «لا» زائدة لا معنى لها، بل يوتى بها في أول القسم إذا كان مقسماً به على معنى، كقول عائشة رضي الله عنها: «لا». والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط، وهكذا هاهنا تقدير الكلام: «لا. أقسم بمواقع النجوم ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة، بل هو قرآن كريم».

(١) مسند الإمام أحمد: ٣٦٤/٥، وسنن أبي داود: كتاب، البيوع، باب «في منع الماء».

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الرهون، باب «المسلمون شركاء في ثلاث»، الحديث ٢٤٧٣: ٨٢٦/٢.

(٣) سنن ابن ماجه، في الكتاب والباب المتقدمين، الحديث: ٢٤٧٢.

(٤) تفسير الطبري: ١١٧/٢٧.

وقال ابن جرير : وقال بعض أهل العربية : معنى قوله : (فلا أقسم) ، فليس الأمر كما تقولون ، ثم استأنث القسم بعد فتيل : أقسم .

واختلفوا في معنى قوله : (بمواقع النجوم) فقال حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : يعني نجوم القرآن ، فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا ، ثم نزل مفرقا في السنين بعد . ثم قرأ ابن عباس هذه الآية .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : نزل القرآن جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفيرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا ، فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة ، ونجمه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم عشرين سنة ، فهو قوله : (فلا أقسم بمواقع النجوم) ، : نجوم القرآن .

وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والسدي ، وأبو حنزة .

وقال مجاهد أيضا : (مواقع النجوم) في السماء ، ويقال : مطالعها ومشارقها . وكذا قال الحسن ، وقتادة : وهو اختيار ابن جرير . وعن قتادة : مواقعها : منازلها . وعن الحسن أيضا : أن المراد بذلك انتشارها يوم القيامة . وقال الضحاك : (فلا أقسم بمواقع النجوم) ، يعني بذلك الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا مطّروا قالوا : مطّروا بنوء (١) وكذا وكذا .

وقوله : (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) ، أي : وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم ، لو تعلمون عظمتهم لعظيم المقسم به عليه ، (إنه لقرآن كريم) ، أي : إن هذا القرآن الذي نزل على محمد لكتاب عظيم . (في كتاب مكنون) أي : معظم في كتاب معظم محفوظ موقر .

قال ابن جرير : حدثني إسماعيل بن موسى (٢) أخبرنا شريك ، عن حكيم ، وهو ابن جبير - عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (لا يمسه إلا المطهرون) قال : الكتاب الذي في السماء (٣) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : (إلا المطهرون) ، يعني الملائكة . وكذا قال أنس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد ابن جبير ، والضحاك ، وأبو الشعثاء جابر بن زيد ، وأبو نعيم ، والسدي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهم . وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، حدثنا معمر ، عن قتادة : (لا يمسه إلا المطهرون) ، قال : لا يمسه عند الله إلا المطهرون ، فأما في الدنيا فإنه يمسه الخوسى النجس ، والمنافع الرجس . وقال : وهي في فراغة ابن مسعود : (ما يمسه إلا المطهرون) (٤) .

وقال أبو العالية : (لا يمسه إلا المطهرون) ، ليس أنتم أصحاب الذنوب .

وقال ابن زيد : زعمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين ، فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون كما قال : (وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع المعزولون) .

(١) انظر تفسير النوء في : ٥٢٠/٦ .

(٢) في المخطوطة : « موسى بن إسماعيل » . والمثبت عن تفسير الطبري ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ١٩٦/١١ ، وهو إسماعيل بن موسى الفزاري أبو محمد نسيب السدي .

(٣) تفسير الطبري : ١١٨/٢٧ .

(٤) تفسير الطبري : ١١٩/٢٧ .

وهذا القول قول جيد ، وهو لا يخرج عن الأقوال التي قبله ،

وقال الفراء : لا يجرد طعمه ونفعه إلا من آمن به ،

وقال آخرون : (لا يمسه إلا المطهرون) ، أى : من الجنابة والحدث . قالوا : ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب ، قالوا : والمراد بالقرآن هاهنا المصحف ، كما روى مسلم عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ، مخافة أن يناله العدو . واحتجوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في موطنه ، عن عبد الله بن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم : أن في الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمرو بن حزم : أن لا يمسه القرآن إلا طاهر (١) . وروى أبو داود - فى المراسيل ، من حديث الزهري قال : قرأت فى صحيفة عند أبي بكر بن محمد بن عمرو بن ابن حزم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ولا يمسه القرآن إلا طاهر » .

وهذه وجادة (٢) جيدة . قد قرأها الزهري وغيره ، ومثل هذا ينبغى الأخذ به . وقد أستداه الدارقطني عن عمرو ابن حزم ، وعبد الله بن عمر ، وعثمان بن أبي العاصي ، وفى إسناد كل منها نظر ، والله أعلم .

وقوله (تنزيل من رب العالمين) ، أى : هذا القرآن منزل من رب العالمين ، وليس هو كما يقولون : إنه سحر ، أو كهانة ، أو شعر ، بل هو الحق الذى لا مبرية فيه ، وليس وراءه حق نافع .

وقوله : (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون) ، قال العوفي ، عن ابن عباس : أى : مكذبون غير مصدقين . وكذا قاله الضحاك ، وأبو حنزة ، والسدي .

وقال مجاهد : (مدهنون) ، أى : تريدون أن تمالئوهم فيه وتركوا إليهم .

(وتجمعون رزقكم أنكم تكذبون) ، قال بعضهم : يعنى وتجمعون رزقكم بمعنى شكركم أنكم تكذبون أى : تكذبون بدل الشكر .

وقد روى عن علي وابن عباس أنهما قرآها : (وتجمعون شكركم أنكم تكذبون) كما سيأتى .

وقال ابن جرير : وقد ذكر عن الهيثم بن عدى : أن من لغة أزد شنوعة ما رزق فلان بمعنى : ما شكر فلان (٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا إسرائيل : عن عبد الأعلى ، عن أبي عبد الرحمن ، عن علي - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وتجمعون رزقكم) ، يقول : شكركم (أنكم تكذبون) ، يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا ، بنجم كذا وكذا (٤) .

(١) الموطأ ، باب « الأمر بالوضوء لمن مس القرآن » . انظر تنوير الحوالك : ١٥٧/١ .

(٢) انظر تفسير هذا المصطلح فى : ٦٤/١ .

(٣) تفسير الطبرى : ١١٩/٢٧ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٠٨/١ .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه ، عن مُخَوَّل بن إبراهيم النهدي - وابن جرير ، عن محمد بن المثني ، عن عبيد الله بن موسى ، وعن يعقوب بن إبراهيم ، عن يحيى بن أبي بكير ، ثلاثتهم عن إسرائيل ، به مرفوعاً (١) . وكذا رواه الترمذي عن أحمد بن مسنن ، عن حسين بن محمد - وهو المروزي - به ، وقال : « حسن غريب » . وقد رواه سفيان عن عبد الأعلى ، ولم يرفعه (٢) .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس قال : ما مطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافراً ، يقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا . وقرأ ابن عباس : (وتجعلون شكريم أنكم تكذبون) (٣) .

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس :

وقال مالك في الموطأ ، عن صالح بن كيسان ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن زيد بن خالد الجهني أنه قال : صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاة الصبح بالحديبية في أثر ساء (٤) كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب . وأما قال : « مطرنا بنوء كذا وكذا » فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب (٥) .

أخرجاه في الصحيحين ، وأبو داود والنسائي ، كلهم من حديث مالك ، به (٦) .

وقال مسلم : حدثنا محمد بن سلمة المرادي وعمرو بن سواد ، حدثنا عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث : أن أبا يونس حدثه عن أبي هريرة ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ، يتزل الغيث فيقولون : يكوكب كذا وكذا » .

تصرد به مسلم من هذا الوجه (٧) .

وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا سفيان ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن الله ليصبح القوم بالنعمة أو يمسيهم بها » .

(١) تفسير الطبري : ١١٩/٢٧ .

(٢) تحفة الأحوذى ، تفسير سورة الواقعة ، الحديث ٣٣٤٩ : ١٨١/٩ - ١٨٢ .

(٣) تفسير الطبري : ١١٩/٢٧ - ١٢٠ .

(٤) أي : مطر .

(٥) تنوير الحوائك ، شرح موطأ الإمام مالك ، باب « الاستمطار بالنجوم » : ١٥٣/١ - ١٥٤ .

(٦) البخاري ، كتاب الاستسقاء ، باب « قول الله تعالى : (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) » : ٤١/٢ . ومسلم ، كتاب

الإيمان ، باب « بيان كفر من قال : مطرنا بالنوء » : ٥٩/١ . ومسنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب « في النجوم » وسنن

النسائي ، كتاب الاستسقاء ، باب « كراهية الاستمطار بالنجوم » : ١٦٤/٣ - ١٦٥ .

(٧) مسلم ، في الكتاب والباب المتقدمين : ٥٩/١ - ٦٥ .

فيصبح بها قوم كافرين ، يقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا . قال محمد - هو ابن إبراهيم - : فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب ، فقال : ونحن قد سمعنا من أبي هريرة ، وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو يستسقى ، فلما استسقى التفت إلى العباس فقال : يا عباس ، يا عم رسول الله ، كم بقي من نوء الثريا ؟ فقال : العلماء يزعمون أنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعا . قال : فما مضت سابعة حتى مطرنا (١) .

وهذا مَحْمُولٌ عَلَى السُّؤالِ عَنِ الوَقْتِ الَّذِي أَجْرَى اللهُ فِيهِ العَادَةُ بِإِنزَالِ المَطَرِ ، لِأَنَّ ذَلكَ النُّوءَ يُؤَثِّرُ بِنَفْسِهِ فِي نَزولِ المَطَرِ ، فَإن هَذَا هو المُنْهَى عَنِ اعتقاده . وَقَدْ تَقَدَّمَ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الأحَادِيثِ عِنْدَ قولِهِ : (مَا يَفْتِخُ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا) (٢) .

وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا سفیان ، عن إسماعيل بن أمية - أحسبه أو غيره - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمع رجلاً - ومطروا - يقول : مطرنا ببعض عشانين (٣) الأسد . فقال : « كذبت ! بل هو رزق الله (٤) » ثم قال ابن جرير : حدثني أبو صالح الصراري ، حدثنا أبو جابر (٥) محمد بن عبد الملك الأزدي (٦) ، حدثنا جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « ما مطر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها كافرين . ثم قال (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) ، يقول قائل : مطرنا بنجم كذا وكذا (٥) .

وفي حديث عن أبي سعيد مرفوعاً : « لو قُحِطَ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ مَطَرُوا لَقَالُوا : مطرنا بنوء المسجد (٧) » . وقال مجاهد : (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) قال : قولهم في الأنواء : مطرنا بنوء كذا ، وبنوء كذا ، يقول : قولوا : هو من عند الله ، وهو رزقه . وهكذا قال الضحاك وغير واحد .

وقال قتادة : أما الحسن فكان يقول : بشئ ما أخذ قوم لأنفسهم ، لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب (٨) . فمعنى قول الحسن هذا : وتجعلون حظكم من كتاب الله أنكم تكذبون به . ولهذا قال فيه : (أهبدا الحديث أتم مدهنون » وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) .

(١) تفسير الطبري : ٢٧ / ١٢٠ .

(٢) سورة فاطر ، آية : ٢ .

(٣) العناني : المطر بين السحاب والأرض مثل السبل . والسبل - بفتحين - : المطر بين السحاب والأرض ، حين يخرج من السحاب ولم يصل إلى أرض .

(٤) تفسير الطبري : ٢٧ / ١٢٠ .

(٥) في المخطوطة : « أبو جابر بن محمد » . والمثبت عن تفسير الطبري ، والطبعات السابقة من تفسير ابن كثير ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٥ / ١ / ٤ .

(٦) في المخطوطة وتفسير الطبري : « الأودي » . والمثبت عن الجرح والتعديل .

(٧) المجلد - بكسر الميم - : نجم من النجوم . قيل : هو الدبران . وهذا الحديث أخرجه الإمام أحمد ٧ / ٣ ، ولفظه : « لو

أمسك الله القطر عن الناس سبع سنين ثم أرسله ، لأصبحت طائفه به كافرين ، يقولون : مطرنا بنوء المجد » .

(٨) تفسير الطبري : ٢٧ / ١٢٠ .

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٥﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٦﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٧﴾
فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٨﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٩﴾

يقول تعالى (فلولا إذا بلغت) ، أى : الروح (الحلقوم) أى : الخلق وذلك حين الاحتضار ، كما قال : (كلا إذا بلغت التراقي . وقيل : من راق ؟ وظن أنه الفراق . والنفت الساق بالساق . إلى ربك يومئذ المساق) (١) ، ولهذا قال ها هنا : (وأنت حينئذ تنظرون) ، أى : إلى المختصر وما يكابده من سكرات الموت ، (ونحن أقرب إليه منكم) ، أى : ملائكتنا ، (ولكن لا تبصرون) ، أى : ولكن لا ترونهم . كما قال فى الآية الأخرى : (وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكهم حفظه ، حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون = ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ، ألا له الحكم ، وهو أسرع الحاسبين) (٢) .

وقوله : (فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها) ، معناه : فهلا ترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول ، ومقرها فى الجسد إن كنتم غير مدينين .
قال ابن عباس : يعنى محاسبين (٣) . وروى عن مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقناة ، والضحاك ، والسدى ، وأن حَزْرَةَ ، مثله .

وقال سعيد بن جبیر ، والحسن البصرى : (فلولا إن كنتم غير مدينين) : غير مصدقين أنكم تُدْأَنُونَ وتبعثون وتجزون ، فردوا هذه النفس .

وعن مجاهد : (غير مدينين) : غير موقنين .

وقال ميمون بن مهران : غير معذبين مقهورين .

فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٢﴾
فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٤﴾ فَنَزَلَ مِنْ جَهَنَّمَ نَجَسٌ وَهَبِيلٌ ﴿٩٥﴾
بِحَيْمٍ ﴿٩٦﴾ إِنَّ هَذَا لَهَوٌّ حَقٌّ الْبَقِيَّةِ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٨﴾

هذه الأحوال الثلاثة هى أحوال الناس عند احتضارهم : إما أن يكون من المقربين أو يكون من دولهم من أصحاب اليمين . وإما يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى ، والجاهلين بأمر الله . ولهذا قال تعالى : (فأما إن كان) ، أى :

(١) سورة القيامة ، الآيات : ٢٦ - ٣٠ .

(٢) سورة الأنعام ، آية : ٦١ - ٦٢ .

(٣) تفسير الطبرى : ١٢١/٢٢ .

اخْتَصَرَ (من المقربين) ، وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات والمنكر وهات وبعض المباحات ، (فروح وريحان وجنة نعيم) ، أى : فلهم روح وريحان ، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت ، كما تقدم في حديث البراء أن ملائكة الرحمة تقول : أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمريه ، اخرجي إلى روح وريحان ، وزب غير غير غضبان (١) .

قال علي بن طلحة : عن ابن عباس : (فروح) ، يقول : راحة وريحان ، يقول : مسراحة . وكذا قال مجاهد : إن الروح : الاستراحة ،

وقال أبو حنزة : الراحة من الدنيا : وقال سعيد بن جبير ، والسلى : الروح الفرح . وعن مجاهد : (فروح وريحان) : الجنة وريحان . وقال قتادة فروح ورحمة . وقال ابن عباس ، ومجاهد : وسعيد بن جبير : (وريحان) ورزق . وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة ، فإن من مات مقرباً حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة ، والفرح والسرور والرزق الحسن ، (وجنة نعيم) .

وقال أبو العالية : لا يفارق أحد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ریحان الجنة ، فيقبض (٢) روحه فيه . وقال محمد بن كعب : لا يموت أحد من الناس حتى يعلم : أمن أهل الجنة هو أم أهل النار ؟

وقد قدمنا أحاديث الاحتضار عند قوله تعالى في سورة إبراهيم : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) ، ولو كتبت هاهنا لكان حسناً ! ومن جملتها حديث تميم الدارى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول : «يقول الله ملك الموت : انطلق إلى فلان فأتني به ، فإنه قد جربته بالسراء والضراء» (٣) فوجدته حيث أحب ، اتنى به فلأريحته . قال : فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ، معهم أكفان وحسبوط من الجنة ، ومعهم صباير الريحان ، أصل الريحانة لا واحد وفى رءسها عشرون لونا ، لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ، ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك .

وذكر تمام الحديث بقوله كما تقدم (٤) ، وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية : قال الإمام أحمد :

حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا هارون ، عن بندل بن ميسرة ، عن عبد الله بن شقيق ، عن عائشة أمها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ : (فبروح وريحان) برفع الراء وكذا رواه أبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، من حديث هارون - وهو ابن موسى الأعمور - به ، وقال الترمذى : لا تعرفه إلا من حديثه (٥) .

(١) تقدمت سبأة الحديث عن أبي هريرة ، عند تفسير الآية السابعة والعشرين من سورة إبراهيم : ٤١٧/٤ ، وخارجنا هناك . وكذلك عند تفسير الآية الأربعين من سورة الأعراف : ٤١٠/٣ . أما رواية البراء ، فانظرها فى : ٤١٣/٤ - ٤١٥ .

(٢) ما بين القوسين عن الطبعات السابقة : ومكانه فى المخطوطة : «ولكنه ينفس» . وفى تفسير الطبرى ١٢٢/٢٧ : «من ریحان الجنة ، فيشمه ثم يقبض» .

(٣) ما بين القوسين من الطبعات السابقة ، وقد تقدم الحديث فى سورة إبراهيم ٤٢٢/٤ ، ولعل هذه العبارة : «انطلق إذا وليى فأتني» ، فإنه قد ضربته بالسراء والضراء .

(٤) تقدم الحديث فى : ٤٢٢/٤ - ٤٢٣ . وشرحنا قريبه هناك .

(٥) نسخة الأحمدي ، أبواب القراءات ، والحديث ٤٥٨ : ٤٥٩/٨ .

تفسير سورة الواقعة

٢٧

وهذه القراءة هي قراءة يعقوب وحده ، وخالفه الباقرن فقرأوا . (فرّوح) ، بفتح الراء :

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل : أنه سمع دوة بنت معاذ تحدث ، عن أم هانئ : أنها سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنتزاور إذا متنا ، ويرى بعضنا بعضاً ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « تكون النَّسَمُ (١) طيراً يعلق بالشجر ، حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها (٢) » .

هذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن ، ومعنى « يعلق » يأكل ، ويشهد له بالصحة أيضاً ما رواه الإمام أحمد عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، عن الإمام مالك بن أنس ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إنما نَسَمَةُ المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة ، حتى يرجمه الله إلى جسده يوم يعثه (٣) » . وهذا إسناد عظيم ، ومن قولهم :

وفي الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر ، تسرح في الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى إلى فناديل معلقة بالعرش (٤) » والحديث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا همام ، حدثنا عطاء بن السائب قال : كان أول يوم عرفت فيه عبد الرحمن بن أبي ليلى : رأيت شيخاً أبيض الرأس واللحية على حمار ، وهو يتبع جنازة ، فسمعتة يقول : حدثني فلان بن فلان ، سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « من أحب لقاء الله أحب لقاء الله ، ومن كره لقاء الله كره لقاء الله » : قال : فأكذب القوم بيبكون ، فقال : ما يبكيكم ؟ فقالوا : إنا نكره الموت . قال : ليس ذلك ، ولكنه إذا حُضِرَ (فأما إن كان من المقربين « فروح وريحان وجنة نعيم) ، فإذا بُشِرَ بذلك أحب لقاء الله عز وجل ، والله - عز وجل - لقاءه أحب ، (وأما إن كان من المكذبين الضالين ، فتزل من حميم) ، فإذا بشر بذلك كره لقاء الله ، والله لقاءه أكره .

هكذا رواه الإمام أحمد (٥) ، وفي الصحيح عن عائشة - رضي الله عنها - شاهد لعنايه (٦) :

وقوله : (وأما إن كان من أصحاب اليمين) ، أي : وأما إن كان المختصر من أصحاب اليمين ، (فسلام لك من أصحاب اليمين) أي : تبشرهم الملائكة بذلك ، تقول لأحدهم : سلام لك ، أي : لا بأس عليك ، أنت إلى سلامة ، أنت من أصحاب اليمين .

(١) النسَم - بفتحين - واحدها نسمة ، وهي : الروح .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٤٢٤/٦ - ٤٢٥ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤٥٥/٣ .

(٤) تقدم الحديث عند تفسير الآية ١٦٩ من سورة آل عمران ، وخرجناه هناك ، انظر : ١٤٥/٢ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢٥٩/٤ - ٢٦٠ .

(٦) مسلم ، كتاب الذكر ، باب : « من أحب لقاء الله ، أحب لقاءه » : ٦٥/٨ .

وقال قتادة ، وابن زيد : سلم من عذاب (١) الله ، وسلمت عليه ملائكة الله . كما قال عكرمة : تسلم عليه الملائكة ،
وتخبره أنه من أصحاب اليمين .

وهذا معنى حسن ، ويكون ذلك كقولته تعالى : (إن الذين قالوا : ربنا الله ، ثم استقاموا ، تنزل عليهم الملائكة ألا
تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهي
أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم (٢) .

وقال البخاري : (فسلام لك) ، أي : مسلم لك ، إنك من أصحاب اليمين . وألقيت « إن » وهو (٣) معناها ، كما
تقول : أنت مصدق مسافر عن قليل . إذا كان قد قال إلى مسافر عن قليل . وقد يكون كالدعاء له ، كقولك سقياً لك من
الرجال ، إن رفعت « السلام » فهو من الدعاء (٤) .

وقد حكاه ابن جرير هكذا عن بعض أهل العربية ، وما ل إليه ، والله أعلم (٥) .

وقوله : (وأما إن كان من المكذبين الضالين . فتزل من حميم . وتصلية جحيم) ، أي : وأما إن كان المختصر من المكذبين
بالحق ، الضالين عن الهدى ، (فتزل) ، أي : فضيافة (من حميم) ، وهو ل المذاب ل الذي يصر به ما في بطونهم
والجلود ، (وتصلية جحيم) ، أي : وتقديره في النار التي تضمه من جميع جهاته .

ثم قال تعالى : (إن هذا هو حق اليقين) ، أي : إن هذا الخبر هو الحق اليقين الذي لا مرية فيه ، ولا حيد لأحد عنه ،
(فسبح باسم ربك العظيم) ، قال أحمد :

حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى بن أبيوب الغافقي ، حدثني عيسى بن عباس بن عامر ، عن عتبة بن عامر الجهني
قال : لما نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (فسبح باسم ربك العظيم) ، قال : « اجعلوها في ركوعكم » ،
ولما نزلت : (سبح اسم ربك الأعلى) ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « اجعلوها في سجودكم » (٦) .

(١) أثر قتادة في تفسير الطبري ١٢٢/٢٧ : « سلام من عند الله ، وسلمت . . . » .

(٢) سورة فصلت ، الآيات : ٣٠ - ٣٢ .

(٣) في المخطوطة : « وألقيت من وهي معناها » . والمثبت عن البخاري .

(٤) البخاري ، تفسير سورة الواقعة : ١٨٢/٦ - ١٨٣ .

(٥) نسوق هنا كلام ابن جرير ، حتى يتضح به ما قاله البخاري ، قال ١٢٣/٢٧ : « وقال بعض نحوي الكوفة : قوله

(فسلام لك من أصحاب اليمين) ، أي : فذلك مسلم لك أنك من أصحاب اليمين ، وألقيت أن ل أي حدثت أو نوى معناها ، كما

تقول : أنت مصدق مسافر عن قليل : إذا كان قد قال : إلى مسافر عن قليل . وكذلك يجب معناه : أنك مسافر عن قليل ، ومصدق

عن قليل ، قال : قوله (فسلام لك) : فسلم لك أنت من أصحاب اليمين . قال : وقد يكون كالدعاء له ، كقوله : « فسقياً لك من

الرجال » ، قال : وإن رفعت السلام فهو دعاء ، والله أعلم بصوابه .

(٦) مسند الإمام أحمد : ١٤٥/٤ .

وكذا رواه أبو داود وابن ماجه، من حديث عبد الله بن المبارك، عن موسى بن أبيوب، به (١) :

وقال روح بن عبادة : حدثنا حجاج الصواف ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من قال : سبحان الله العظيم وبحمده ، حُرست له نخلة في الجنة » .

هكذا رواه الترمذي من حديث روح ، ورواه هو والنسائي أيضاً من حديث حماد بن سلمة ، من حديث أبي الزبير عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، به وقال الترمذي : « حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث أبي الزبير (٢) » .

وقال البخاري في آخر كتابه : حدثنا أحمد بن إسماعيل ، حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا عمارة بن القعقاع ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « كلمتان (٣) خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان (٤) ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم (٥) » .

ورواه بقية الجماعة إلا أبا داود ، من حديث محمد بن فضيل ، بأسناده ، مثله (٥) .

[آخر تفسير سورة الواقعة والله الحمد والمئة]

(١) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب « ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده » . وصح ابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة ، باب « التسميع في الركوع والسجود » ، الحديث ٨٨٧ : ٢٨٧/١ .

(٢) تحفة الأحوذى ، أبواب الدعوات ، الحديث ٣٥٣١ : ٤٣٣/٩ - ٤٣٤ .

(٣) في البخاري : « كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ، خفيفتان . . . » . وما في كتب الجهد أمة مثل ما هنا .

(٤) البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (ونضع الموازين القسط . . . » : ١٩٨/٩ - ١٩٩ .

(٥) مسلم ، كتاب الذكر ، باب « فضل التهليل والتسميع والدعاء » : ٧٥/٨ . وتحفة الأحوذى ، أبواب الدعوات ، الحديث .

٣٥٣٤ : ٤٣٤/٩ - ٤٣٥ . وصح ابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب « فضل التسميع » . الحديث ٢٨٥٦ : ١٢٥١/٢ .

تفسير سورة الحديد

وهي مدنية

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا بقة بن الوليد ، حدثني بَحْر بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن ابن أبي بلال ، عن عرياض بن سارية : أنه حدثهم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد ، وقال : « إن فيهن آية أفضل من ألف آية (١) » .

وهكذا رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، من طرق عن بقة ، به . وقال الترمذي : « حسن غريب » (٢) .

ورواه النسائي عن ابن أبي السرح ، عن ابن وهب ، عن معاوية بن صالح عن بَحْر بن سعد ، عن خالد بن معدان قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . . . فذكره مُرسلاً ، لم يذكر عبد الله بن أبي بلال ، ولا العرياض بن سارية ، والآية المشار إليها في الحديث هي والله أعلم قوله : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم) ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله وبه الثقة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

يخبر تعالى أنه سبحانه له ما في السموات والأرض ، أي : من الحيوانات والنباتات ، كما قال في الآية الأخرى : (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، إنه كان حليماً خفورا (٣)) .

وقوله : (وهو العزيز) ، أي : الذي قد خضع له كل شيء (الحكيم) ، في خلقه وأمره وشرعه : (له ملك) السموات والأرض يحيي ويميت) ، أي : هو المالك المنصرف في خلقه ، فيحيي ويميت ، ويعطي من يشاء ما يشاء ، (وهو على كل شيء قدير) ، أي : ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

وقوله : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ، وهذه الآية هي المشار إليها في حديث عرياض بن سارية : أنها أفضل من ألف آية .

(١) مسند الإمام أحمد : ١٢٨/٤ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب « ما يقال عند النوم » . وتحفة الأحوذى لبواب فضائل القرآن ، الحديث : ٣٠٨٩ .

٢٣٩ - ٢٤٨/٨ .

(٣) سورة الإسراء آية : ٤٤ .

وقال أبو داود : حدثنا عباس بن عبد العظيم ، حدثنا الضر بن محمد ، حدثنا عكرمة - يعنى ابن عمار - حدثنا أبو زميل قال : سألت ابن عباس فقلت : ما شئ أعجبه في صدري ؟ قال : ما هو ؟ قلت : والله لا أتكلم به . قال : فقال لي : أشئ من شك ؟ قال - وضحك - قال : ما نجا من ذلك أحد . قال ، حتى أنزل الله : (فان كنت في شك مما أنزلنا إليك ، فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) ... الآية قال : وقال لي : إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شئ عليم) (١) .

وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية وأقوالهم على نحو من بضعة عشر قولاً :

وقال البخارى : قال يحيى : الظاهر على كل شئ عِلْمًا ، والباطن على كل شئ عِلْمًا (٢) :

قال شيخنا الحافظ المنزى : يحيى هذا هو ابن زياد القراء ، له كتاب سماه « معاني القرآن » :

وقد ورد في ذلك أحاديث ، فمن ذلك ما قال الإمام أحمد : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا ابن عباس ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند النوم : « اللهم ، رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شئ ، منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فائق الحب والنوى ، لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر كل شئ ، أنت آخذ بناصيته ، أنت الأول ليس قبلك شئ ، وأنت الآخر ليس بعدك شئ ، وأنت الظاهر ليس فوقك شئ ، وأنت الباطن ليس دونك شئ . أفض عنا الدين ، وأغننا من الفقر (٣) » . ورواه مسلم في صحيحه : حدثني زهير بن حرب ، حدثنا جرير عن سهيل قال : كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أخذنا أن ينم : أن يضطجع على شقه الأيمن ، ثم يقول : اللهم ، رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شئ ، فائق الحب والنوى ، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان ، أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته ، اللهم ، أنت الأول فليس قبلك شئ ، وأنت الآخر فليس بعدك شئ ، وأنت الظاهر فليس فوقك شئ ، وأنت الباطن فليس دونك شئ ، أفض عنا الدين ، وأغننا من الفقر .

وكان يروى ذلك ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم (٤) :

وقد روى الحافظ أبو يعلى الموصلى في مسنده عن عائشة أم المؤمنين نحو هذا ، فقال : حدثنا عقبه ، حدثنا يونس ، حدثنا السرى بن إسماعيل ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة أنها قالت : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمر بغراشه فيفرش له مستقبل القبلة ، فإذا أوى إليه توسد كفه اليمنى ، ثم حمس - ما يدري ما يقول - فإذا كان في آخر الليل رفع صوته فقال : « اللهم ، رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، إله كل شئ ، ورب كل شئ ، وهتلك التوراة والإنجيل والفرقان ، فائق الحب والنوى . أعوذ بك من شر كل شئ ، أنت آخذ بناصيته . اللهم ، أنت الأول الذى

(١) صن أبو داود ، كتاب الأدب ، باب « رد الوسوسة » .

(٢) لم ينسب هذا القول إلى يحيى في البخارى عند هذه السورة ، بل هو في سياق تفسير مشهور إلى يونس .

انظر : ١٨٣/٦ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤٠٤/٢ .

(٤) مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب « ما يقول عند النوم وأخذ المنصع » : ٧٨/٨ - ٧٩ .

ليس قبلك شيء ، وأنت الآخر الذي ليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين ، واغننا من الفقر » .

السري بن إسماعيل هذا ابن عم الشعبي ، وهو ضعيف جداً ، والله أعلم :

وقال أبو عيسى الترمذى عند تفسير هذه الآية : حدثنا عبد بن حميد وغير واحد - المعنى واحد - قالوا : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا شيبان بن عبد الرحمن ، عن قتادة قال : حدث الحسن ، عن أبي هريرة قال : بيأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالساً وأصحابه ، إذ أتى عليهم سحاب ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : هل تدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : هذا العنان (١) ، هذه روابيا (٢) الأرض تسوقه إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعون له (٣) . ثم قال : هل تدرون ما فوقكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فأنها الرقيع (٤) ، سقف محفوظ ، وموج مكفوف (٥) . ثم قال : هل تدرون كم بينكم وبينها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : بينكم وبينها خمسمائة سنة . ثم قال : هل تدرون ما فوق ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فان فوق ذلك سماء (٦) بعد ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة - حتى عد سبع سموات - ما بين كل سماء بين كبا بين السماء والأرض . ثم قال : هل تدرون ما فوق ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فان فوق ذلك العرش ، وبينه وبين السماء بعد (٧) ما بين السماءين ، ثم قال : هل تدرون ما الذي تحتكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فأنها الأرض . ثم قال : هل تدرون ما الذي تحت ذلك . قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فان تحتها أرضاً أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة - حتى عد سبع أرضين - بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ، ثم قال : والذي نفس محمد بيده ، لو أنكم ذكيتم بحبل إلى الأرض السفلى هبط على الله ، ثم قرأ : (هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم) :

ثم قال الترمذى : « هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ويروى عن أيوب ويونس - يعنى ابن عبيد - وعلى بن زيد قالوا : لم يسمع الحسن من أبي هريرة . وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا : إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه ، وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان ، وهو على العرش ، كما وصف في كتابه » . (٨) انتهى كلامه ،

(١) العنان : السحاب .

(٢) الروايا : جمع راوية ، والروايا من الإبل : الحوامل للماء ، فشبه السحاب بها .

(٣) أى لا يعبدونه .

(٤) الرقيع : اسم لسماء الدنيا .

(٥) أى : ممنوع من الاسترسال ، أى : حفظها الله أن تقع على الأرض وهي معلقة بلا عمد كالموج المكفوف .

(٦) لفظ الترمذى - كما في تحفة الأحوذى - : « فان فوق ذلك سماءين ، ما بينهما مسيرة . . . » .

(٧) في المخطوطة : « من بعد » . والمثبت عن تحفة الأحوذى .

(٨) تحفة الأحوذى ، تفسير سورة الحديد ، الحديث ٢٣٥٢ : ١٨٥/٩ - ١٨٧ .

وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث عن سُرَيْج ، عن الحكم بن عبد الملك ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكره ، وعنده بعد ما بين الأرضين مسيرة سبع مائة عام (١) ، وقال : لو دلّيتم أحدكم بحبل إلى الأرض السفلى السابعة لحبط على الله (٢) ، ثم قرأ : (هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم) (٣)

ورواه ابن أبي حاتم واليزار من حديث أبي جعفر الرازي ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة . . . فذكر الحديث ، ولم يذكر ابن أبي حاتم [آخره] وهو قوله : « لو دلّيتم بحبل » ، وإنما قال : « حتى عدت سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام » ، ثم تلا : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) .

وقال اليزار : لم يروه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا أبو هريرة .

ورواه ابن جرير ، عن بشر ، عن يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ، ذكر لنا أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - بينما هو جالس في أصحابه إذ ثار عليهم سحاب ، فقال : هل تدرّون ما هذا (٤) . وذكر الحديث مثل سياق الترمذي سواء ، إلا أنه مرسل من هذا توجه ، ولعل هذا هو المحفوظ ، والله أعلم . وقد روى من حديث أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه وأرضاه - رواه اليزار في مسنده ، والبيهقي في كتاب الأسماء والصفات ، ولكن في إسنادة نظر ، وفي مثله غرابة ونكارة ، والله - سبحانه وتعالى - أعلم .

وقال ابن جرير عند قوله تعالى : (ومن الأرض مثلهن (٥)) : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : التقي أربعة من الملائكة بين السماء والأرض ، فقال بعضهم لبعض : من أين جئت ؟ قال أحدهم : أرسلني ربي - عز وجل - من السماء السابعة وتركته ثم . قال الآخر : أرسلني ربي - عز وجل - من الأرض السابعة وتركته ثم . قال الآخر : أرسلني ربي من المشرق وتركته ثم . قال الآخر : أرسلني ربي من المغرب وتركته ثم (٦) وهذا غريب جدا ، وقد يكون الحديث الأول موقوفا على قتادة كما روى هاهنا من قوله ، والله أعلم .

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٦﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٧﴾ يُورِثُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُورِثُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٨﴾

يخبر تعالى عن خلقه السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ثم أخبر باستوائه على العرش بعد خلقهن : وقد تقدم الكلام على هذه الآية وأشباهاها في « سورة الأعراف (٧) » ، بما أغنى عن إعادته هاهنا .

(١) كذا ، والذي في المسند : « مسيرة خمسمائة عام » .

(٢) الذي في المسند : « لطيط » ، ثم قرأ . « وليس فيه » على الله .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٣٧٠/٢ .

(٤) تفسير الطبري : ١٢٤/٢٧ .

(٥) سورة العلق ، آية : ١٢ .

(٦) تفسير الطبري : ٩٩/٢٨ - ١٠٠ .

(٧) سورة الأعراف ، آية : ٥٤ .

(يعلم ما يلج في الأرض) ، أي : يعلم عدد ما يدخل فيها من حب وقطر ، (وما يخرج منها) ، من زرع ونبات وثمار ، كما قال : (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) (١) .

وقوله : (وما ينزل من السماء) ، أي : من الأمطار ، والثلوج والبرد ، والأقمار والأحكام مع الملائكة الكرام ، وقد تقدم في «سورة البقرة» أنه ما ينزل إلا من أقطرة من السماء إلا ومعها ملك يقررها في المكان الذي يأمر الله به حيث يشاء تعالى .

وقوله : (وما يعرج فيها) ، أي : من الملائكة والأعمال ، كما جاء في الصحيح : « يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل » (٢) .

وقوله : (وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) ، أي : رقيب عليكم ، شهيد على أعمالكم حيث أنتم ، وأين كنتم ، من بر أو بحر ، في ليل أو نهار ، في البيوت أو القفار ، الجميع في علمه على السواء ، ونحت بصره وسمعه ، فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ، ويعلم سركم ويجواكم ، كما قال : (ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه) ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون ، إنه علم بذات الصدور (٣) . وقال : (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ، ومن مستخف بالليل وسارب بالنهار) (٤) ، فلا إله غيره ولا رب سواه . وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل ، لما سأله عن الإحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (٥) .

وروى الخافظ أبو بكر الإسماعيلي من حديث نصر بن خزاعة بن جنادة بن محفوظ بن علقمة ، حدثني أبي ، عن نصر بن علقمة ، عن أخيه ، عن عبد الرحمن بن عائذ قال : قال عمر : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : زودني كلمة أعيش بها ، فقال : « استرح الله كما تستحي رجلا من صالح عشرينك لا يفارقك » .

هذا حديث غريب ، وروى أبو نعيم من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري (٦) مرفوعا : « ثلاث من فعلهن فقد طعم الإيمان : من عبد الله وحده ، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام ، ولم يعط الهزلة ولا الدرنة » (٧) .

(١) سورة الأنعام ، آية : ٥٩ .

(٢) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب في قوله عليه السلام : « إن الله لا ينام » : ١١١/١ .

(٣) سورة هود ، آية : ٥٠ .

(٤) سورة الرعد ، آية : ١٠ .

(٥) أخرجه في كتاب الإيمان ، انظر البخاري ، باب « سؤال جبريل الذي - صلى الله عليه وسلم - عن الإيمان » .

١٩-٢٠ . ومسلم : ٢٨/١ - ٢٩ .

(٦) في المخطوطة : « عبد الله بن علوية العامري » . والمثبت عن أسد الغابة ، الترجمة ٣١٨٨ : ٣/٢٩٥ - ٣٩٦ ، بتحقيقنا

وسنن أبي داود ، كتاب الزكاة ، الحديث رقم ١٥٨٨ : ١٠٤/٢ - ١٠٥ .

(٧) الدرنة : الجرباه .

ولا الشرط (١) اللثمة ولا المريضة ، ولكن من أوسط أموالكم (٢) . وزكّيت نفسك . وقال رجل : يا رسول الله ، ما تزكية المرء نفسه ؟ فقال : « يعلم أن الله معه حيث كان » .
 وقال نعيم بن حماد رحمه الله : حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي ، عن محمد بن مهاجر ، عن عمرو بن رؤيم ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت » ، غريب .

وكان الإمام أحمد يشهد هذين البيتين (٣) :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل : خلوت ، ولكن قل : عليّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعةً ولا أن ما يخفى عليه يغيب

وقوله : (له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور) ، أي : هو المالك للعالمين والآخرة ، كما قال : (وإن لنا للآخرة والأولى) (٤) ، وهو الممجد على ذلك ، كما قال : (وهو الله لا إله إلا هو ، له الحمد في الأولى والآخرة) (٥) ، وقال : (الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض ، وله الحمد في الآخرة ، وهو الحكيم الخبير) (٦) . فجميع ما في السموات والأرض ملك له ، وأهلها عبيد أرقاء بين يديه كما قال : (إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً . لقد أحصاهم وعدهم عدداً . وكلهم آتية يوم القيامة فرداً) (٧) . ولهذا قال : (وإلى الله ترجع الأمور) . أي : إليه المرجع يوم القيامة ، فيحكم بما يشاء ، وهو العادل الذي لا يجر ولا يظلم مثقال ذرة ، بل إن يكن أحدهم عمل حسنة واحدة يضاعفها إلى عشر أمثالها ، (ويؤت من لده أجرًا عظيمًا) (٨) ، وكما قال تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين) (٩) .

(١) الشرط - بفتح حين - : رذال المال . وقيل : صفاره وشراره .

(٢) يمهده في أسد الغابة : « فإن الله - عز وجل - لم يسألكم خيره ، ولم يأمركم بشره ، وزكاة نفسه » . ولعل صواب ما في أسد الغابة : « وزكيت نفسك » .

(٣) تقدم البيتان في آخر سورة النمل : ٢٢٩/٦ .

(٤) سورة الليل ، آية : ١٣ .

(٥) سورة القصص ، آية : ٧٠ .

(٦) سورة سبأ ، آية : ١ .

(٧) سورة مريم ، الآيات : ٩٣ - ٩٥ .

(٨) سورة النساء ، آية : ٤٠ .

(٩) سورة الأنبياء ، آية : ٤٣ .

وقوله : (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) ، أى : هو المتصرف في الخلق ، قلب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء ، فتارة يطول الليل ويقصر النهار ، وتارة بالعكس ، وتارة يتركهما معتدلين . وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعاً ثم قيظاً ثم خريفاً ، وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريد به بخلقه ، (وهو عليم بذات الصدور) ، أى : يعلم السرائر وإن دقت ، وإن خفيت .

﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ . فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ ﴿١﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتَّلَ أَوْلَادَكَ الْأَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ يَمُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ولو له راجحاً كريماً ﴿٥﴾

أمر تعالى بالإيمان به وبرسوله على الوجه الأكمل ، والدوام والثبات على ذلك والاستمرار ، وحث على الإنفاق مما جعلكم مستخلفين فيه ، أى : مما هو معكم على سبيل العارية ، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم ، فأرشد تعالى إلى استعمال ما استخلفهم فيه من المال في طاعته ، فإن يفعلوا وإلا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه .

وقوله : (مما جعلكم مستخلفين فيه) : فيه إشارة إلى أنه سيكون مخلفاً عنك ، ففعل وارثك أن يطيع الله فيه ، فيكون أسعد مما أنعم الله به عليك منك ، أو يعصى الله فيه فتكون قد سعت في معاونته على الإثم والعدوان .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت قتادة يحدث ، عن مطرف - يعنى ابن عبد الله ابن الشخير - عن أبيه قال : انتهيت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول : (أهلكم الكفار) ، يقول ابن آدم : مالى مالى ! وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت (١) ؟ .
ورواه مسلم من حديث شعبة ، به ، وزاد : « وما سوى ذلك فذهاب وتاركة للناس (٢) » .

وقوله : (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير) ، ترغيب في الإيمان والإنفاق في الطاعة . ثم قال : (وما لكم لا تؤمنون بالله ، والرسول يدعوكم لتؤمنوا برَبِّكُمْ ؟) ، أى : وأى شيء يمنعكم من الإيمان والرسول بين أظهركم ، يدعوكم إلى ذلك ، ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به ؟ . وقد روينا في الحديث من طرق في أوائل شرح « كتاب الإيمان » من صحيح البخارى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً لأصحابه : أى المؤمنين أعجب

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٤/٤ .

(٢) انظر صحيح مسلم ، كتاب الزهد : ٢١١/٨ .

إليكم إيماناً؟ قالوا: الملائكة. قال: وما لم لا يؤمنون وهم عند ربهم؟ قالوا: فالأنبياء. قال: وما لم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم. قالوا: فنحن؟ قال: وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟ ولكن أعجب المؤمنين إيماناً قوم يجيئون بعدكم، يجلدون صُحُفاً يؤمنون بما فيها.

وقد ذكرنا طرفاً من هذا في أول «سورة البقرة» عند قوله: (الذين يؤمنون بالغيب) (١).

وقوله: (وقد أخذ ميثاقكم) ، كما قال: «وإذ كروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واتقاكم به، إذ قلتم سمعنا وأطعنا» (٢). ويعني بذلك بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وزعم ابن جرير: أن المراد بذلك الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم. وهو مذهب مجاهد (٣)، فإنه أعلم؛ وقوله: (هو الذي ينزل على عبده آيات بينات)، أي: حججاً واضحات، ودلائل باهرات، وبراهين قاطعات، (ليخرجكم من الظلمات إلى النور)، أي: من ظلمات الجهل والكفر، والآراء المتضادة إلى نور الهدى واليقين والإيمان، (وإن الله بكم لرؤوف رحيم)، أي: في إنزاله الكتب وإرساله الرسل هداية الناس، وإزاحة العليل وإزالة الشبه.

ولما أمرهم أولاً بالإيمان والإنفاق، ثم حثهم على الإيمان، وبين أنه قد أزال عنهم موانعه - حثهم أيضاً على الإنفاق فقال: (وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله والله ميراث السموات والأرض؟)، أي: أنفقوا ولا تحسبوا فقراً وإقلالاً، فإن الذي أنفقتم في سبيله هو مالك السموات والأرض، وبينه مقاليدهما، وعندة خزائنها، وهو مالك العرش بما حوى، وهو القائل: (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه، وهو خير الوازقين) (٤). وقال: (ما عندكم ينفد، وما عند الله باق) (٥) فمن توكل على الله أنفق، ولم يحش من ذى العرش إقلالاً، وعلم أن الله سيخلفه عليه.

وقوله: (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل)، أي: لا يستوى هذا ومن لم يفعل كفعله، وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديداً، فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون، وأما بعد الفتح فلنه ظهر الإسلام ظهوراً عظيماً، ودخل الناس في دين الله أفواجا. ولهذا قال: (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وكلاً وعد الله الحسنى).

والجمهور على أن المراد بالفتح هاهنا فتح مكة. وعن الشعبي وغيره أن المراد بالفتح هاهنا: صلح الحديبية؛

وقد يستدل لهذا القول بما قاله الإمام أحمد:

(١) سورة البقرة، آية: ٣. وانظر: ٦٢/١ - ٦٤. (٢) سورة المائدة، آية: ٧. (٣) تفسير الطبري: ١٢٦/٢٧. (٤) سورة سبأ، آية: ٣٩. (٥) سورة النحل، آية: ٩٦.

حدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا زهير ، حدثنا حميد الطويل ، عن أنس قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام ، فقال خالد لعبد الرحمن : تستطيلون علينا بأيام سيقتمونا بها ؟ فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : « دعوا لي أصحابي ، فولدني نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد - أو : مثل الجبال - ذهباً ، ما بلغتم أعمالهم (١) » .

ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة ، وكانت هذه المشاجرة بينهما في بيئتهما الذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بعد الفتح ، فجعلوا يقولون : « صباناً ، صباناً » ، فلم يحسنوا أن يقولوا « أسلمنا » ، فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم ، فخالفه عبد الرحمن ابن عوف ، وعبد الله بن عمر ، وغيرهما . فاخصم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك (٢) .

والذي في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « لا تسبوا أصحابي ، فولدني نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ، ما بلغ مدّ أحدكم ولا تصيفه (٣) » .

وزوى ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، من حديث ابن وهب : أخبرنا هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري أنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية ، حتى إذا كنا بمغسفان قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم » . فقلنا : من هم يا رسول الله ؟ أقريش ؟ قال : « لا ، ولكن أهل اليمن ، هم أرق أفئدة وألين قلوباً » . فقلنا : هم خير منا يا رسول الله ؟ قال : « لو كان لأحدكم جبل من ذهب فأنفقه ، ما أدرك مدّ أحدكم ولا تصيفه ، ألا إن هذا فضل ما بيننا وبين الناس ، (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وحده الله الخسنى ، والله بما تعملون خبير) (٤) » .

وهذا (٥) الحديث غريب بهذا السياق ، والذي في الصحيحين من رواية جماعة ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد - ذكر الخوارج - : تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية (٦) . الحديث . ولكن روى ابن جرير هذا الحديث من وجه آخر ، فقال :

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٦٦/٣ .

(٢) انظر صحيح البخاري ، كتاب الأحكام ، باب « إذا قضى الحاكم بغير أو خلاف أهل العلم ، فهو رد » : ٩١/٩ - ٩٢ .

(٣) البخاري ، كتاب الفضائل : ١٠/٥ . ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب « تحريم سب الصحابة » : ١٨٨/٧ .

هذا ومعنى الحديث أن إنفاق مثل أحد ذهباً لا يمدل صدقة أحدكم بتصف مد ، والمراد بالمد المذكور في الصدقة - وهو رطل وثلاث وهذا لأن ثقتهم كانت في وقت الحاجة وإقامة الدين ، ونصرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحمايته ، وهذا معدوم بعده .

(٤) تفسير الطبري : ١٢٧/٢٧ .

(٥) من هنا ساقط من مخطوطة الأزهر .

(٦) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب « ذكر الخوارج » : ١١٢/٣ .

حدثني ابن البرقي ، حدثنا ابن أبي مرزوق ، أخبرنا محمد بن جعفر ، أخبرني زيد بن أسلم ، عن أبي سعيد الخدري (١) ، عن أبي سعيد الخدري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يوشك أن يأتي قوم يحقرون أعمالكم مع أعمالهم » قلنا : من هم يا رسول الله ؟ قريش ؟ قال : « لا ، ولكن أهل اليمن ، لأنهم أرق أفئدة ، وألين قلوبا » وأشار بيده إلى اليمن ، فقال : « هم أهل اليمن ، ألا إن الإيمان يمان ، والحكمة يمانية » . قلنا : يا رسول الله ، هم خير منا ؟ قال : « والذي نفسي بيده ، لو كان لأحدكم جبل من ذهب ينفقه ما أدى مدّا أحدكم ولا نصيفه » . ثم جمع أصابعه ومد خنصره ، وقال : « ألا ، إن هذا فضل ما بيننا وبين الناس ، (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى ، والله بما تعملون خبير) (٢) » .

فهذا السياق ليس فيه ذكر الحديدية ، فإن كان ذلك محفوظا كما تقدم ، فيحتمل أنه أنزل قبل الفتح إخبارا عما بعده . كما في قوله تعالى في « سورة المزمل » - وهي مكية ، من أوائل ما نزل - : (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) (٣) . الآية ، فهي بشارة بما يستقبل ، وهكذا هذه . والله أعلم ،

وقوله : (وكلا وعد الله الحسنى) ، يعنى المنفقين قبل الفتح وبعده ، كلهم لهم ثواب على ما عملوا ، وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء ، كما قال : (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضيل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله للمجاهدين على القاعدین أجرا عظيما (٤)) . وهكذا الحديث الذي في الصحيح : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير (٥) » وإيماننا بهذا لثلاثا يهدر جانب الآخر بمدح الأول دون الآخر ، فبتوهم متوهم ذمه ، فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه ، مع تفضيل الأول عليه ، ولهذا قال : (والله بما تعملون خير) ، أى : فلخيرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، ومن فعل ذلك بعد ذلك ، وما ذلك إلا لعلمه بقصد الأول وإخلاصه التام ، وإتفاهه في حال الجهد والقلة والفقير . وفي الحديث : « سبق درهم مائة ألف (٦) » . ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبا بكر رضى الله عنه له الحظ الأوفر من هذه الآية ، فإنه سيّد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء ، فإنه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله عز وجل ، ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها .

(١) في تفسير الطبري ١٢٧/٢٧ : « عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله . . . وفي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣٧٦/٢ : أن أبا سعيد الخدري يروي عن أبي سعيد الخدري ، ويروي عنه زيد بن أسلم .

(٢) إلى هنا ينتهي السقط الذي في مخطوطة الأزهر ، وما أثبت عن الطبعات السابقة .

(٣) سورة المزمل ، آية ٢٠ .

(٤) سورة النساء ، آية ٩٥ .

(٥) مسلم ، كتاب القدر ، باب « في الأمر بالقوة وترك العجز . . . » ٥٦/٨ . وابن ماجه ، المقدمة ، الحديث ٧٩ : ٣١/١ .

وكتاب الزهد ، باب « التوكل واليقين » الحديث ٤١٦٨ : ٢/١٣٩٥ . ومسنند الامام أحمد عن أبي هريرة : ٣٧٠٤٣٩٦/٢ .

(٦) سنن النسائي ، كتاب الزكاة ، باب « جهد المقل » : ٥٩/٥ .

وقد قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي عند تفسير هذه الآية : أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشربجي ، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد ، أخبرنا أحمد بن إسحاق بن أيوب ، أخبرنا محمد بن يونس ، حدثنا العلاء بن عمرو الشيباني ، حدثنا أبو إسحاق القراري ، حدثنا سفيان بن سعيد ، عن آدم بن علي ، عن ابن عمر قال : كنت عند النبي - صلى الله عليه وسلم - وعنده أبو بكر الصديق ، وعليه عباءة قد خلتها في صدره بخلال (١) ، لا فتزل جبريل فقال : مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلتها في صدره بخلال ؟ فقال : «أنفق ماله على قبل الفتح» . قال : فان الله يقول : اقرأ عليه السلام ، وقل له : أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط ؟ فقال رسول الله : «يا أبا بكر ، إن الله بقرأ عليك السلام ، ويقول لك : أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط ؟» فقال أبو بكر رضي الله عنه : أخط على ربي عز وجل ؟ ! . إني عن ربي راض .

هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه .

وفوه : (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) ، قال عمر بن الخطاب : هو الإنفاق في سبيل الله . وقيل : هو النفقة على العيال . والصحيح أنه أعم من ذلك ، فكل من أنفق في سبيل الله بنية خالصة وعزيمة صادقة ، دخل في عموم هذه الآية ، ولهذا قال : (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) ، كما قال في الآية الأخرى : (أضعافا كثيرة ، وله أجر كريم) (٢) ، أي : جزاء جميل ، ورزق باهر - وهو الجنة - يوم القيامة .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا خلف بن خليفة ، عن حميد الأعرج ، عن عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية : (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) ، قال أبو الدحداح الأنصاري : يا رسول الله ، وإن الله ليريد منا القرض ؟ قال : «نعم ، يا أبا الدحداح» . قال : أرني يدك يا رسول الله . قال : فناوله يده ، قال : فإني قد أقرضت ربي حائطي - وله حائط فيه سنانة نخلة ، وأم الدحداح فيه وعيالها - قال : فجاء أبو الدحداح فتأداها : يا أم الدحداح . قالت : لبيك . فقال : اخرجي ، فقد أقرضته ربي عز وجل - وفي رواية أنها قالت له : ربح بيعك يا أبا الدحداح . ونقلت منه متاعها وصبياتها ، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : «كم من عذيق رذاح (٣) في الجنة لأبي الدحداح» . وفي لفظ : «رب نخلة مدلاة ، عروقها در وياقوت ، لأبي الدحداح في الجنة» .

(١) أي : جمعها على صدره بخلال ، والخلال = بكسر الخاء = حود تجل به الثوب ، أي : يتصب

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٤٥ .

(٣) المدق - يفتح فسكون - الخلة = ويكسر فسكون = العرجون بما فيه من الشاربغ . والرواح = يفتح الرواح =

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرًا لَكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٦﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٧﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّبْتُمْ الْآمَانِي حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٨﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٩﴾

يقول تعالى مخبرا عن المؤمنين المتصدقين : أنهم يوم القيامة يسعون نورهم بين أيديهم في عَرَصات القيامة ، بحسب أعمالهم ، كما قال عبد الله بن مسعود في قوله : (يسعون نورهم بين أيديهم) ، قال : على قدر أعمالهم يمشون على الصراط ، منهم من نوره مثل الجبل ، ومنهم من نوره مثل النخلة ، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم ، وأدناهم نوراً من نوره في إلهامه يتعد مرة وبطفاً مرة . ورواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير (١) .

وقال قتادة : ذكر لنا أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول : « من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء فدون ذلك ، حتى إن من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه (٢) » .

وقال سفيان الثوري ، عن حصين ، عن مجاهد عن جنادة بن أبي أمية قال : إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم ، وسياكم وحلائكم ، ونجواتكم ومجالسكم ، فإذا كان يوم القيامة قيل : يا فلان ، هذا نورك . يا فلان ، لا نور لك ، وقرأ : (يسعون نورهم بين أيديهم) .

وقال الضحاك : ليس أحد إلا يعطى نوراً يوم القيامة ، فإذا انتهوا إلى الصراط طغى نور المنافقين ، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طغى نور المنافقين ، فقالوا : ربنا ، أتم لنا نورنا .

وقال الحسن : (يسعون نورهم بين أيديهم) ، يعني على الصراط .

وقد قال ابن أبي حاتم رحمه الله : حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب ، أخبرنا عن أبي حبيب ،

عن مسعود (٢) بن مسعود : أنه سمع عبد الرحمن بن جبتر يحدث : أنه سمع أبا الدرداء وأبا ذر يخبران عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود ، وأول من يؤذن له برفع رأسه ، فأنظر من

(١) تفسير الطبري : ١٢٨/٢٧ .

(٢) في المخطوطة : « سعيد بن مسعود » . والمثبت من الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٢/١٤٤ : ٢/٢٢١ .

بين يدي ومن خلقي ، وعن عيسى وعن شمالي ، فأعرف أمي من بين الأمم . فقال له رجل : يا نبي الله ، كيف تعرف أمك من بين الأمم ، ما بين نوح إلى أمك ؟ قال : أعرفهم ، مُحَجَّلُونَ من أثر الوضوء ، ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم ، وأعرفهم يُوتون كتبهم بأيمانهم ، وأعرفهم بسياهم في وجوههم ، وأعرفهم بنورهم يسمى بين أيديهم وديهم .

وقوله : (وبأيمانهم) ، قال الضحاك : أي وبأيمانهم كتبهم . كما قال : (فن أوتي كتابه بيمينه) .

وقوله : (بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار) ، أي : يقال لهم : بشراكم اليوم جنات أ ، أي : لكم الإشارة بجنات تجري من تحتها الأنهار ، (خالدن فيها) ، أي : ما كتبن فيها أبدا ، (ذلك هو الفوز العظيم) .

وقوله : (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا : انظرونا نقتبس من نوركم) ، وهذا إخبار منه تعالى عما يقع يوم القيامة في العرصات من الأحوال المزعجة ، والزلازل العظيمة ، والأمور الفظيعة ، وإنه لا ينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله ، وعمل بما أمر الله ، وترك ما عنه زجر .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة بن سليمان ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا صفوان بن عمرو ، حدثني مسلم بن عامر قال : خرجنا على جنازة في باب دمشق ، ومعنا أبو أمامة الباهلي ، فلما صلى على الجنازة وأخذوا في دفنها ، قال أبو أمامة : أيها الناس ، إنكم قد أصبحتم وأسيتم في منزل تفتشون فيه الحسنة والسيئات ، وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر ، وهو هذا - يشير إلى القبر - بيت الوحدة ، وبيت الظلمة وبيت الدود ، وبيت الضيق ، إلا ما وسع الله ، ثم تنتقلون منه إلى موطن يوم القيامة ، فانكم في بعض تلك المواطن حتى (١) يقضى الناس أمر من الله ، فتبيض وجوه وتسود وجوه ، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر فتعشى الناس ظلمة شديدة ، ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نورا ، ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئا ، وهو المثل الذي ضربه الله في كتابه ، قال : (أو كظلمات في بحر لجي) ، إلى قوله : (فالله من نور) ، فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الأعمى بنور البصير ، ويقول المنافقون للذين آمنوا : (انظرونا نقتبس من نوركم) ، قيل : ارجعوا وراءكم فاحسوا نورا) ، وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال : (يحادعون الله وهو خادعهم) . فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور ، فلا يجدون شيئا فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب ، (باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب) ... الآية ، يقول مسلم بن عامر : فما يزال المنافق مغترا حتى يقسم النور ، ويميز الله بين المؤمن والمنافق .

ثم قال : حدثنا أبي ، حدثنا عيسى بن عثمان ، حدثنا ابن حيوة ، حدثنا أرطاة بن المنذر ، حدثنا يوسف بن الحجاج عن أبي أمامة قال : تبعث ظلمة يوم القيامة ، فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه ، حتى يبعث الله بالنور إلى المؤمنين بقدر أعمالهم ، فيتبعهم المنافقون فيقولون : (انظرونا نقتبس من نوركم) .

(١) في المخطوطة : « يوم يقضى » والمثبت عن الطبعات السابقة .

وقال العوفي ، والضحاك ، وغيرهما ، عن ابن عباس : بينا الناس في ظلمة إذ بعث الله نورا ، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه ، وكان النور دليلا من الله إلى الجنة ، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم ، فأظلم الله على المنافقين ، فقالوا حينئذ : (انظرونا نقتبس من نوركم) ، فانا كنا معكم في الدنيا . قال المؤمنون : (ارجعوا) من حيث جئتم من الظلمة ، فالتمسوا هنالك النور (١) .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا الحسن (٢) بن علوية القطان ، حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار ، حدثنا إصحاق ابن بشر بن حذيفة ، حدثنا ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأسماهم سرا منه على عباده . وأما عند الصراط فان الله يعطى كل مؤمن نورا ، وكل منافق نورا ، فإذا استوا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات ، فقال المنافقون : (انظرونا نقتبس من نوركم) ، وقال المؤمنون : (ربنا أتم لنا نورنا) . فلا يذكر عند ذلك أحد أحدا » .

وقوله : (فضرِبَ بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب) — قال الحسن ، وقناة : هو حائط بين الجنة والنار .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هو الذي قال الله تعالى : (وبينهما حجاب) . وهكذا روى عن مجاهد — رحمه الله — وغير واحد ، وهو الصحيح .

(باطنه فيه الرحمة) ، أي : الجنة وما فيها ، (وظاهره من قبله العذاب) ، أي : النار . قاله قناة ، وابن زيد ، وغيرهما .

قال ابن جرير : وقد قيل : إن ذلك السور سور بيت المقدس عند وادي جهنم (٣) . ثم قال :

حدثنا ابن البرقي ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن سعيد بن عطية بن قيس ، عن أبي العوام — مؤذن بيت المقدس — قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : إن السور الذي ذكر الله في القرآن : (فضرِبَ بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) ، هو السور الشرقي باطنه المسجد وما يليه ، وظاهره وادي جهنم (٤) .

ثم روى عن عبادة بن الصامت ، وكعب الأحمار ، وعلي بن الحسين زين العابدين (٥) ، نحو ذلك . وهذا محموله منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى رمثالا لذلك ، لا أن هذا هو الذي أريد من القرآن هذا الجدار المعين ونفس

(١) تفسير الطبري : ١٢٩/٢٧ .

(٢) في المخطوطة : « الحسين » . والمثبت عن المعجم الصغير : ١٢٧/١ .

(٣) تفسير الطبري : ١٢٩/٢٧ .

(٤) تفسير الطبري : ١٣٠/٢٧ .

(٥) كذا ، والذي في تفسير الطبري ١٢٩/٢٧ : « على بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه » .

المسجد وما وراءه من الوادى المعروف بوادى جهنم ، فان الجنة في السموات في أعلى عليين ، والنار في الدركات أسفل سافلين . وقول كعب الأحبار : إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذى هو أحد أبواب المسجد ، فهذا من إسرَائِيلِيَّاتِهِ وتُرَّهَاتِهِ : وإنما المراد بذلك سورٌ يُضْرَبُ يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين ، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه ، فإذا استكملوا دخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب ، كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة ، (يتأدونهم : ألم نكن معكم) ، أى : يتأدون المنافقون المؤمنين : أما كنا معكم في الدار الدنيا ، نشهد معكم الجمعات ، ونصلى معكم الجماعات ، ونقف معكم بعرفات ، ونحضر معكم الغزوات ، ونؤدى معكم سائر الواجبات ؟ (قالوا : بلى) ، أى : فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين : بلى ، قد كنتم معنا ، ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني) ، قال بعض السلف : أى فتنتم أنفسكم باللدات والمعاصى والشهوات ، (وتربصتم) ، أى : أخرتم التوبة من وقت إلى وقت .

وقال قتادة : (تربصتم) بالحق وأهله : (وارتبتم) ، أى : يالبعث بعد الموت ، (وغرتكم الأماني) ، أى : قلم : سيغفر لنا : وقيل : غرتكم الدنيا . (حتى جاء أمر الله) ، أى : ما زلتم في هذا حتى جاء الموت ، (وغرتكم بالله الغرور) ، أى : الشيطان .

قال قتادة : كانوا على خدعة من الشيطان ، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار .

ومعنى هذا الكلام من المؤمنين المنافقين : أنكم كنتم معنا بأبدان لانية لها ولا قلوب معها ، وإنما كنتم في حيرة وشك ، فكنتم تُرَاعُونَ الناس ولا تذكرون الله إلا قليلا :

قال مجاهد : كان المنافقون مع المؤمنين أحياء يتأكفونهم ويعشونهم ويعاشرهم ، وكانوا معهم أمواتا ، ويعطون النور جميعا يوم القيامة ، ويظفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور ، ويمسأز بينهم حينئذ .

وهذا القول من المؤمنين لا ينافى قولهم الذى أخبر الله به عنهم ، حيث يقول وهو أصدق القائلين : (كل نفس بما كسبت رهينة . إلا أصحاب اليمين . في جنات يتساءلون . عن المجرمين . ما سلككم في سقر . قالوا : لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين . وكنا نحوض مع الخائضين . وكنا نكذب بيوم الدين . حتى أتانا اليقين) (١) ، فهذا إنما خرج منهم على وجه التقرُّب لهم والتوبيخ : ثم قال تعالى : (فما تفعمهم شفاعة الشافعين) ، كما قال تعالى ها هنا : (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا) ، أى : لو جاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهباً ومثله معه ليفتدى به من عذاب الله ، ما قبل منه :

(١) سورة الم نشر : الآيات : ٢٨ - ٤٧ .

وقوله : (ماواكم النار) ، أى : هى مصيركم وإليها منقلبكم .

وقوله : (هى مولاكم) ، أى : هى أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتياحكم ، وبش المصير .

* أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٧﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْحَى الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ قَدْ بَيْنَا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى : أما آنَ للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله ، أى : تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن ، ففهمه وتقاد له وتسمع له وتطيعه .

قال عبد الله بن المبارك : حدثنا صالح المرسي ، عن قتادة ، عن ابن عباس أنه قال : إن الله استبطأ قلوب المهاجرين ثمانهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن ، فقال : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) ... الآية ، رواه ابن أبي حاتم ، عن الحسن بن محمد بن الصباح ، عن حسين المروزي ، عن ابن المبارك ، به .

ثم قال هو ومسلم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، [أخبرنا ابن وهب] ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد ابن أبي هلال - بنى الليثي - عن عون بن عبد الله ، عن أبيه ، عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) إلا أربع سنين (١) :

كذا رواه مسلم في آخر الكتاب . وأخرجه النسائي عند تفسير هذه الآية عن هارون بن سعيد الأيلي ، عن ابن وهب ، به . وقد رواه ابن ماجه من حديث موسى بن يعقوب الزمعي ، عن أبي حازم ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، مثله . فجعله من مستند ابن الزبير (٢) . لكن رواه البزار في مسنده من طريق موسى بن يعقوب ، عن أبي حازم ، عن عامر ، عن ابن الزبير ، عن ابن مسعود ، فذكره .

وقال سفيان الثوري ، عن المسعودي ، عن القاسم قال : بطل أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ملة ، فقالوا : حدثنا يا رسول الله :

فأنزل الله تعالى : (نحن نقص عليك أحسن القصص) . قال : ثم ملأوا ملة فقالوا : حدثنا يا رسول الله . فأنزل الله : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) (٣) .

(١) مسلم ، كتاب التفسير ، باب في قوله تعالى : (ألم يأن . . .) : ٢٤٣/٨ .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب الحزن والبكاء ، الحديث ٤١٩٢ : ٤٤٠٢/٢ .

(٣) تقدم الأثر ينحصر عند تفسير الآية الثالثة من سورة يوسف عن المسعودي ، عن عون بن عبد الله . انظر : ٢٩٥/٤ .

وقال قتادة : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) : ذكراً لنا أن شدّ آد بن أوس كان يروى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن أول ما يرفع من الناس الخشوع (١) » .

وقوله : (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ، فظال عليهم الأمد ، فقست قلوبهم) : نبى الله المؤمنين أن يشبهوا بالذين حسموا الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى ، لما تطاول عليهم الأمد بتدأوا كتاب الله الذى بأيديهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً ، ونبذوه وراء ظهورهم ، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال الموثقة ، وقلدوا الرجال في دين الله ، واتخذوا آخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، فعند ذلك قست قلوبهم ، فلا يقبلون موعظة ، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد .

(وكثير منهم فاسقون) ، أى : في الأعمال ، فقلوبهم فاسدة ، وأعمالهم باطلة . كما قال : (فما نقصهم مثاقمهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظاً مما ذكروا (٢) به) ، أى : فسدت قلوبهم فقست وصار من سجيبتهم تحريف الكلم عن مواضعه ، وتركوا الأعمال التي أمروا بها ، وارتكبوا ما نهوا عنه ، ولهذا نبى الله المؤمنين أن يشبهوا بهم في شئ من الأمور الأصلية والفرعية .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا شهاب بن خراش ، حدثنا حجاج بن دينار عن منصور بن المعتمر ، عن الزبيد بن عمير الفزاري قال : حدثنا عبد الله بن مسعود حديثاً ما سمعت أجدب إلى منه ، إلا شيئاً من كتاب الله - أو : شيئاً قاله النبي صلى الله عليه وسلم - قال : « إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم اخترعوا كتاباً من عند أنفسهم ، استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم واستلذته ، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهوراتهم فقالوا : تعالوا ندع بني إسرائيل إلى كتابنا هذا ، فن تابعتنا عليه تركناه ، ومن كرهه أن يتابعنا فقتلناه ، ففعلوا ذلك ، وكان فيهم رجل فقيه ، فلما رأى ما يصنعون عمداً إلى ما يعرف من كتاب الله فكتبه في شئ لطيف ، ثم أدرجه ، فبيع له في قرن ثم خلق ذلك القرن في عنته ، فلما أكثروا القتل قال بعضهم لبعض : يا هؤلاء ، إنكم قد أفسدتم القتل في بني إسرائيل ، فادعوا فلاناً فاعرضوا عليه كتابكم ، فإنه إن تابعكم فستتابعكم بقية الناس ، وإن أبي فاقتلوه . فدعوا فلاناً ذلك الفقيه فقالوا : تؤمن بما في كتابنا ؟ قال : وما فيه ؟ اعرضوه علي . فعرضوه عليه إلى آخره ، ثم قالوا : أتؤمن بهذا ؟ قال : نعم ، آمنت بما في هذا - وأشار بيده إلى القرن - فتركوه ، فلما مات نشوه فوجدوه مستعلماً خلك القرن ، فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب الله ، فقال بعضهم لبعض : يا هؤلاء ، ما كنا نسمع هذا أصابه فنته . فافترقت بنو إسرائيل على ثنتين وسبعين ملة ، وخير مملتهم ملة أصحاب ذي القرن » .

قال ابن مسعود : أو شك يكتم إن يقتم - أو : بقي من بقي منكم - أن تروا أموراً تتكرونها ، لا تستطيعون لها غيراً (٣) فبحسب المرء منكم أن يعلم الله من قلبه أنه لما كاره .

(١) تفسير الطبري : ١٣١/٢٧ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ١٣ .

(٣) أى : تغييراً .

وقال أبو جعفر الطبري : حدثنا ابن حنبل ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم قال : جاء عتريس بن عرقوب إلى ابن مسعود فقال : يا عبد الله ، هلك من لم يأمر بالمعروف وبينه عن المنكر . فقال عبد الله : هلك من لم يعرف قلبه معروفاً ولم ينكر قلبه منكراً ، إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد وقست قلوبهم ، اخترعوا كتاباً من بين أيديهم وأرجلهم ، استهوتهم قلوبهم واستحلته ألسنتهم ، وقالوا : نعرض بني إسرائيل على هذا الكتاب فمن آمن به تركناه ، ومن كفر به قتلناه . قال : فجعل رجل منهم كتاب الله في قرن ، ثم جعل القرن بين شئدوتيه (١) فلما قيل له : أتؤمن بهذا ؟ قال : آمنت به - ويومئذ إلى القرن بين ثنودتيه - ومالي لا أؤمن بهذا الكتاب ؟ فمن خير ما سألهم اليوم ملئة صاحب القرن (٢) .

وقوله : (اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها ، قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) : فيه إشارة إلى أنه - تعالى - يأن القلوب بعد قسوتها ، ويهدى الحياترى بعد ضللتها ، ويفرج الكروب بعد شدتها ، فكما يحيي الأرض للبيئة الجديدة الهامدة بالغيث الغتآن ، كذلك يهدى القلوب القاسية براهين القرآن والدلائل ، ويولج إليها النور بعد ما كانت مغلقة لا يصل إليها الواصل ، فسبحان الهادى لمن يشاء بعد الإضلال ، والمضل لمن أراد بعد الكمال ، الذى هو لما يشاء فعال ، وهو الحكم العدل فى جميع الأعمال ، اللطيف الخبير الكبير المتعال .

إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ **وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ** (١٥) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٦)

يخبر تعالى عما ينشئ به المصدقين والمصدقات بأموالهم على أهل الحاجة والفقير والمسكنة ، (وأقرضوا الله قرضاً حسناً) ، أى : دفعوه بنية خالصة ابتغاء وجه الله ، لا يريدون جزاء من أعطوه ولا شكوراً . ولهذا قال : (يضاعف لهم) أى : يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها ، ويزاد على ذلك إلى سبعمائة ضعف وفوق ذلك ، (ولهم أجر كريم) ، أى : ثواب جزيل حسن ، ومرجع صالح ومآب (كريم) .

وقوله : (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) : هذا تمام الجملة ، وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صادقون .

قال العوفي ، عن ابن عباس قوله : (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) : هذه مقصولة ، (والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم) (٣) .

(١) الشئدوتان لرجل كالشديين للمرأة .

(٢) تفسير الطبري : ٢٧ / ١٣٢ .

(٣) تفسير الطبري : ٢٢ / ١٣٣ .

وقال أبو الضحى : (أولئك هم الصديقون) ، ثم استأنف الكلام فقال : (والشهداء عند ربهم) - وهكذا قال مسروق ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان ، وغيرهم .

وقال الأعمش عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله في قوله : (أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) ، قال : هم ثلاثة أصناف : يعنى المصدقين ، والصديقين ، والشهداء . كما قال تعالى : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) (١) ، ففرق بين الصديقين والشهداء ، فدل على أنهما صنفان . ولا شك أن الصديق أعلى مقاماً من الشهيد ، كما رواه الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - في كتابه الموطأ ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : « إن أهل الجنة ليراعون أهل الغرف من فوقهم ، كما تراهم الكوكب الدرى الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب ، لغضاض ما بينهم » . قالوا : يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : « بلى ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » .

اتفق البخارى ومسلم على إخرجه من حديث مالك ، به (٢) .

وقال آخرون : بل المراد من قوله : (أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) فأخبر عن المؤمنين بالله ورسوله بأنهم صديقون وشهداء . حكاه ابن جرير عن مجاهد ، ثم قال ابن جرير :

حدثني صالح بن حرب أبو معمر ، حدثنا إسماعيل بن يحيى ، حدثنا ابن حجلان ، عن زيد بن أسلم ، عن البراء ابن عازب قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « مومنتو أمتى شهداء » . قال : ثم تلا النبي - صلى الله عليه وسلم - هذه الآية : (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) (٣) . هذا حديث حريص .

وقال أبو إسحاق ، عن عمرو بن ميمون في قوله : (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم) ، قال : يجيئون يوم القيامة مع كالأصبعين .

وقوله : (والشهداء عند ربهم) ، أى : في جنات النعيم ، كما جاء في الصحيحين (٤) : « إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تروح في الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى إلى تلك القناديل » . فاطلع عليهم ربك اطلاعاً فقال : ماذا تريدون ؟ فقالوا : نحب أن نردنا إلى الدار الدنيا فنقاتل فيك فنقتل كما قُتِلنا أول مرة . فقال : إني قضيت أنهم إليها لا يرجعون .

(١) سورة النساء ، آية : ٦٩ .

(٢) تقدم الحديث عند تفسير الآية العشرين من سورة الزمر ، وخرجناه هناك ، انظر : ٨٢/٧ .

(٣) تفسير الطبرى : ٢٧ / ١٣٣ .

(٤) كذا ، ولم يقع لنا إلا في صحيح مسلم . وقد تقدمت سياقة الحديث عند تفسير الآية ١٦٩ من سورة آل عمران ، وأخرجه

هناك ابن كثير عن أبيه الحسين مسلم بن الحجاج ، انظر : ١٤٠/٢ .

وقوله : (لهم أجرهم ونورهم) ، أى : لهم عند ربهم أجر جزيل ونور عظيم يسمى بين أيديهم ، وهم فى ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا فى الدار الدنيا من الأعمال ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عطاء بن دينار ، عن أنى يزيد الخولاني قال : سمعت فضالة ابن عبيد يقول : سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : « الشهداء أربعة ، رجل مؤمن جيد الإيمان ، لى العدو فصدق الله فقتل ، فذلك الذى ينظر الناس إليه هكذا - ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قلنسوة عمر - » والثانى مؤمن لى العدو فكأنما يضرب ظهره بشوك الطلح (١) ، جاءه سهم غرب (٢) فقتله ، فذلك فى الدرجة الثانية . والثالث رجل مؤمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً لى العدو فصدق الله حتى قتل ، فذلك فى الدرجة الثالثة . والرابع رجل مؤمن أسرف على نفسه إسرافاً كثيراً ، لى العدو فصدق الله حتى قتل ، فذلك فى الدرجة الرابعة (٣) .

وهكذا رواه على بن المدينى ، عن أنى داود الطيالسى ، عن ابن المبارك ، عن ابن لهيعة ، وقال : هذا إسناد مصرى صالح . ورواه الترمذى من حديث ابن لهيعة وقال : حسن غريب (٤) .

وقوله : (والذين كسروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) : لما ذكر السعداء وآمهم ، عطف بذكر الأشقياء

وبين حالهم .

أَعْلَمُوا إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حِطْلًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾

يقول تعالى مؤهتاً أمر الحياة الدنيا ومحقرها لها : (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة ، وتفاخر بينكم ، وتكاثر فى الأموال والأولاد) ، أى : إنما حصل أمرها عند أهلها هذا ، كما قال : (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن الآب (٥)) .

(١) الطلح : شجر عظيم من شجر العضاء . وهذا كناية عن ارتعاد فرائضه من الفزع والخوف .

(٢) أى لا يعرف راميه .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢٣/١ .

(٤) تحفة الأوحى ، أبواب فضائل الجهاد ، باب « ما جاء فى فضل الشهداء عند الله » ، الحديث ١٦٩٥ : ٢٧٤/٥ - ٢٧٦ .

(٥) سورة آل عمران ، آية : ١٤ .

ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال : (كمثل غيث) ، وهو : المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس ، كما قال : (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا) (١) ،

وقوله : (أعجب الكفار نباته) ، أي : يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي ثبت بالغيث ، وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار ، فانهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها ، (ثم يبيح فتراه مصفرا ، ثم يكون حطاما) ، أي : يبيح ذلك الزرع فتراه مصفرا بعد ما كان خضرا نضرا ، ثم يكون بعد ذلك كله حطاما ، أي : يصير يابساً متحطماً ، هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة ، ثم تكتهل ، ثم تكون عجوزاً شوهاء ، والإنسان كذلك يكون في أول عمره وعنفوان شبابه غضاً طرياً لين الأعطاف ، بهي المنظر ، ثم إنه يشع في الكهولة فتتغير طباعه ويتفكك بعض قواه ، ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى قليل الحركة ، يعجزه الشيخ واليسير ، كما قال تعالى : (الله الذي خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة ، يخلق ما يشاء ، وهو العليم القديم) (٢) . ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة ، وأن الآخرة كائنة لا محالة ، حذر من أمرها ورغب فيها من الخير ، فقال : (وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) ، أي : وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا : إما عذاب شديد ، وإما مغفرة من الله ورضوان .

وقوله : (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) ، أي : هي متاع فان غار لمن ركن إليه ، فانه يغير بها وتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها ، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة .

قال ابن جرير : حدثنا علي بن حرب الموصلي ، حدثنا الحارثي ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها (٣) . اقرعوا : (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) »

وهذا الحديث ثابت في الصحيح (٤) بدون هذه الزيادة ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير ووكيع ، كلاهما عن الأعمش ، عن شقيق ، عن عبد الله قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « للجنة أقرب إلى أحدكم من شرك نعله ، والنار مثل ذلك (٥) » . انفراد باخراجه البخاري في « الرقاق » ، من حديث الثوري ، عن الأعمش ، به (٦) .

(١) سورة الشورى ، آية : ٢٨ .

(٢) سورة الروم ، آية : ٥٤ .

(٣) تفسير الطبري : ١٣٤ / ٢٧ .

(٤) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب « مثل الدنيا والآخرة » : ١١٠ / ٨ . وهذه الزيادة ، وهي من قوله : « اقرعوا ... » غير ثابتة في تفسير الطبري .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٣٨٧ / ١ ، ٤٤٢ .

(٦) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب « الجنة أقرب إلى أحدكم من شرك نعله » : ١٢٧ / ٨ .

ففي هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الإنسان ، وإذا كان الأمر كذلك ، قل هذا حبه الله على المبادرة إلى الخيرات ، فمن فعل الطاعات ، وترك المحرمات ، التي تكفر عنه الذنوب والزلات ، وتحصل له الثواب والدرجات ، فقال تعالى : (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) : والمراد جنس السماء والأرض ، كما قال في الآية الأخرى : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) (١) : وقال هاهنا : (أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم) ، أي : هذا الذي أهلهم الله له هو من فضله ومنه عليهم وإحسانه إليهم ، كما قدّمنا في الصحيح أن فقراء المهاجرين قالوا : يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم . قال : « وما ذلك ؟ » قالوا : يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، ويعتقون ولا نعتق . قال : « أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه سبقتكم من بعدهم ، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم : يسيحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين » : قال : فرجعوا فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال ما فعلنا ، ففعلوا مثله ! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » (٢) .

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٦﴾
لِكَلَّا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَتَخَلَّفُونَ
وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٨﴾

يجز تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية ، فقال : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم) : أي : في الآفاق وفي نفوسكم ، (إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) ، أي : من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمة ، وقال بعضهم : (من قبل أن نبرأها) ، عائد على النفوس . وقيل : عائد على المصيبة . والأحسن عوده على الخليقة والبرية ، للدلالة الكلام عليها كما قال ابن جرير :

حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن منصور بن عبد الرحمن قال : كنت جالسا مع الحسن فقال رجل : سألته عن قوله : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) فسألته عنها ، فقال : سبحان الله ! ومن يشك في هذا ؟ كل مصيبة بين السماء والأرض في كتاب الله من قبل أن يبرأ النسمة (٣) .

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٢٣ .

(٢) البخاري ، كتاب الأذان ، باب « الذكر بعد الصلاة » : ٢١٣/١ - ٢١٤ ، وكتاب الدعوات ، باب الدعاء بعد الصلاة .

٨٩/٨ . مسلم ، كتاب المساجد ، باب « استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته » : ٩٧/٢ .

(٣) تفسير الطبري : ١٣٥/٢٧ .

وقال قتادة : ما أصاب من مصيبة في الأرض . قال : هي السنون . يعنى : الجدب ، (ولا في أنفسكم) ، يقول : الأوجاع والأمراض . قال : وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم ، ولا خلجان عرق إلا بذنب ، وما يعقوا الله عنه أكثر .

وهذه الآية الكريمة من أدل دليل على القدرية نفثة العلم السابق - قبهم الله - وقال الإمام أحمد :

حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حيوة وابن هبة قالا : حدثنا أبو هانيء الخولاني : أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم يقول - : « قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة (١) » .

وزواه مسلم في صحيحه ، من حديث عبد الله بن وهب وحيوة بن شريح ونافع بن يزيد ، ثلاثهم عن أبي هانيء ، به . وزاد ابن وهب : « وكان عرشه على الماء (٢) » . وزواه الترمذي وقال : « حسن صحيح (٣) » .

وقوله : (إن ذلك على الله يسير) ، أى : إن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد في حيثها ، سهل على الله - عز وجل - لأنه يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون .

وقوله : (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) ، أى : أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها ، وتقديرنا للكائنات قبل وجودها ، لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم ، وما أخطاكم لم يكن ليصيبكم ، فلا تأسوا على ما فاتكم ، فانه لو قدر شيء لكان ، (ولا تفرحوا بما آتاكم) ، أى : جاءكم (٤) ، وقرأ (آتاكم) أى أعطاكم . وكلاهما متلازم ، أى : لا تفرحوا على الناس بما أنعم الله به عليكم ، فان ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم ، وإنما هو عن قدر الله وورقه لكم ، فلا تتخذوا نعم الله أشرا وبظرا ، تفرحون بها على الناس ، ولهذا قال : (والله لا يحب كل مختال فخور) ، أى : مختال في نفسه متكبر فخور ، أى : على غيره .

وقال عكرمة : ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ، ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبورا .

ثم قال : (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) ، أى : يفعلون المنكر ويحضون الناس عليه ، (ومن يتول) ، أى : عن أمر الله وطاعته ، (فان الله هو الغني الحميد) ، كما قال موسى عليه السلام : (إن تكفروا أتم ومن في الأرض جميعا فان الله لغني حميد (٥)) .

(١) فسنه الإمام أحمد : ١٦٩/٢ .

(٢) مسلم ، كتاب القدر ، باب « حجج آدم وموسى عليه السلام » : ٥١/٨ .

(٣) تحفة الأحمدي ، أبواب القدر ، الحديث ٢٢٤٥ : ٢٧٠/٦ .

(٤) قال الطبري في تفسيره ١٣٥/٢٧ : « ومعنى قوله : (بما آتاكم) إذا مددت الألف منها : بالذئ أعطاكم منها ربكم ومملككم وعولكم . وإذا قصرت الألف فمعناها : بالذئ جاءكم منها » .

(٥) سورة إبراهيم ، آية : ٨ .

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى : (لقد أرسلنا رُسُلنا بالبينات) ، أى : بالمعجزات ، والحجج الباهرات ، والدلائل القاطعات ، (وأنزلنا معهم الكتاب) ، وهو : النقل المصدق (والميزان) ، وهو : العدل . قاله مجاهد ، وقتادة ، وغيرهما . وهو الحق الذى تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للأراء السقيمة ، كما قال : (أفن كان على بيته من ربه ويثوره شاهد منه (١)) ، وقال : (فطرة الله التى فطر الناس عليها (٢)) ، وقال : (والسواء رفعها ووضع الميزان (٣)) ، ولهذا قال فى هذه الآية : (ليقوم الناس بالقسط) ، أى : بالحق والعدل وهو : اتباع الرسل فيما أخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا به ، فإن الذى جاءوا به هو الحق الذى ليس وراءه حق ، كما قال : (وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا (٤)) أى : صدقا فى الإخبار ، وعدلا فى الأوامر والنواهي . ولهذا يقول المؤمنون إذا تَبَوَّأوا غرف النجفات ، والمنازل العاليات ، والسمر المصفوفات : (الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق (٥)) ، وقوله : (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) ، أى : وجعلنا الحديد رادعاً لمن أتى الحق وعانده بعد قيام الحججة عليه ، وهذا أقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحكمة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية ، وكلها جدال مع المشركين ، وبيان وإيضاح للتوحيد ، وتبيان ودلائل ، فلما قامت الحججة على من خالف (٦) ، شرع الله الهجرة ، وأمرهم بالقتال بالسيوف ، وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده ،

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود ، من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، عن حسان بن عطية ، عن أبى المنيب الجرشى الشامى ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « بعثت بالسيوف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقى تحت ظل رحمتى ، وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمرى ، ومن تشبه بقوم فهو منهم (٧) » .

وهذا قال تعالى : (فيه بأس شديد) ، يعنى : السلاح كالسيوف ، والخراب (٨) ، والسنان ، والنصال ، والدروع ، ونحوها . (ومنافع للناس) ، أى : فى معاشهم كالسكة والناس والقدوم ، والمنتجار ، والإزميل ، والحرفة ، والآلات التى يستعان بها فى الخراطة والحياكة والطبخ والحزب وما لا قوام للناس بدونه ، وغير ذلك .

(١) سورة هود ، آية : ١٧ .

(٢) سورة الروم ، آية : ٣٠ .

(٣) سورة الرحمن ، آية : ٧ .

(٤) سورة الأنعام ، آية : ١١٥ . وفى المخطوطة : « كلمات » . وهى قراءة ثابتة ، انظر البحر المحيط : ٢٠٩/٤ .

(٥) سورة الأعراف ، آية : ٤٣ .

(٦) فى المخطوطة : « على من تخلف منهم » . والمنثب عن الطبقات السابقة .

(٧) مستند الإمام أحمد : ٥٠/٢ ، ٩٢ . وانظر سنن أبى داود ، كتاب الباس ، باب « ما جاء فى الأقبية » . والبخارى ،

كتاب الجهاد ، باب ما قيل فى الرماح : ٤٩/٤ .

(٨) فى المخطوطة : « والخراب » ، مكان « والخراب » . والمنثب عن الطبقات السابقة .

قال علباء بن أحمد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : ثلاثة أشياء نزلت مع آدم : السمندل والكأبتان والميصة .
يعني المطرقة . رواه ابن جرير (١) ، وابن أبي حاتم .

وقوله : (وليعلم الله من ينصره ورسوله بالغيب) ، أي : من نيته في حمل السلاح نصره الله ورسوله ، (إن الله قوي عزيز) ، أي : هو قوي عزيز ، ينصر من نصره من غير احتياج منه إلى الناس ، وإنما شرع الجهاد ليلو بعضهم بعضاً ،

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾
ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً
وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٧﴾

خبر تعالى أنه منذ بعث نوحاً - عليه السلام - لم يرسل بعده رسولا ولا نبياً إلا من ذريته ، وكذلك إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن ، لم ينزل من السماء كتاباً ولا أرسل رسولا ولا أوحى إلى بشر من بعده ، إلا وهو من سلالة ، كما قال في الآية الأخرى : (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) ، حتى كان آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى ابن مريم الذي بشر بعده بمحمد - صلوات الله وسلامه عليهما - ولهذا قال تعالى : (ثم قفينا على آثارهم برسلنا ، وقفينا بعيسى ابن مريم ، وآتيناه الإنجيل) ، وهو الكتاب الذي أوحاه الله إليه ، (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) ، وهم الخواريون (رافة ورحمة) ، أي : رافة وهي الخشية (ورحمة) بالخلق .

وقوله : (ورهبانية ابتدعوها) ، أي ابتدعها أمة النصارى ، (ما كتبناها عليهم) ، أي : ما شرعناها لهم ، وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم .

وقوله : (إلا ابتغاء رضوان الله) ، فيه قولان ، أحدهما : أنهم قصدوا بذلك رضوان الله ، قاله سعياد بن جبير ، وقنادة (٢) . والآخر : ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله .

وقوله : (فما رعوها حق رعايتها) ، أي : فما قاموا بما التزموه حتى القيام . وهذا ذم لهم من وجهين ، أحدهما : في الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله . والثاني : في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قرينة يقرهم إلى الله عز وجل .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا إسحاق بن أبي حمزة أبو يعقوب الرازي (٣) ، حدثنا السندي بن عبدويه (٤) ، حدثنا بكير بن معروف ، عن مقاتل بن حيان ، عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه ، عن جده

(١) تفسير الطبري : ١٣٧/٢٧ .

(٢) تفسير الطبري : ١٣٨/٢٧ .

(٣) لم تقع لنا ترجمة إسحاق هذا في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم .

(٤) في المخطوطة : « السري بن عبد ربه » ، والمثبت عن الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٣١٨/١/٢ .

ابن مسعود قال : قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يا ابن مسعود » : قلت : لبيك يا رسول الله . قال : هل علمت أن بني إسرائيل افرقوا على ثنتين وسبعين فرقة ؟ لم ينج منها إلا ثلاث فرق ، قامت بين الملوك والجبابرة بعد عيسى ابن مريم عليه السلام ، فدعت إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم ، فقاتلت الجبابرة فقتلت فصبرت ونجت . ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ، فقامت بين الملوك والجبابرة ، فدعوا إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم ، فقتلت وقطعت بالناشير وحرقت بالنيران ، فصبرت ونجت . ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ولم تطلق القيام بالقسط ، فلحقت بالجبال فتعبدت وترهبت ، وهم الذين ذكر الله عز وجل : (ورهبنية ابتدعوها ، ما كتبناها عليهم) . وقد رواه ابن جرير بلفظ آخر من طريق أخرى فقال : حدثنا يحيى بن أبي طالب ، حدثنا داود بن المخبر ، حدثنا الصعق بن حزن ، حدثنا عقيل الجمدي ، عن أبي إسحاق الحمداني ، عن سويد بن غفلة ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « اختلف من كان قبلنا على ثلاث وسبعين فرقة ، نجا منهم ثلاث وهلك سائرهم » . وذكر نحو ما تقدم ، وفيه : (قاتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) : هم الذين آمنوا في صدقوني ، (وكثير منهم فاسقون) ، وهم الذين كذبوني وخالفوني (١) .

ولا يقدح في هذه المتابعة لحال داود بن المخبر ، فإنه أحد الموضوعين للحديث ، لكن قد أسنده أبو يعلى ، وصنده عن شيبان بن فروخ ، عن الصعق بن حزن ، به مثل ذلك . فقوى الحديث من هذا الوجه .

وقال ابن جرير ، وأبو عبد الرحمن النسائي - لا واللفظ له - : أخبرنا الحسين بن حريث ، حدثنا الفضل بن موسى عن سفيان بن سعيد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : كان ملوك بعد عيسى - عليه السلام - بدللت التوراة والإنجيل ، فكان منهم مؤمنون يقرأون التوراة والإنجيل ، فقيل لملوكهم : ما نجد شيئاً أشد من شتم يشتمونا (٢) هؤلاء ، إنهم يقرأون : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ، هذه (٣) الآيات ، مع ما يعيروننا به من أعمالنا في قراءتهم ، فادعهم فليقرأوا كما نقرأ ، وليؤمنوا كما آمننا . فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل ، إلا ما بدلوا منها ، فقالوا : ما تريدون إلى ذلك ؟ دعونا : فقالت طائفة منهم : ابنوا لنا أسطوانة (٤) ، ثم ارفعونا إليها ، ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم . وقالت طائفة : دعونا نسيح في الأرض ونشرب ونهيم ونشرب الوحش ، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا . وقالت طائفة : ابنوا لنا دوراً في القياض ، ونحضر الآبار ونحترث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم . وليس أحد من القبائل إلا له حميم فيهم (٥) ، ففعلوا

(١) تفسير الطبري : ١٣٨/٢٧ - ١٣٩ .

(٢) كذا في المخطوطة والنسائي . ويقول السندي : « جملة (يشتمونا) صفة (شتم) ، بتقدير العائد ، ويكون الضمير العائد مفعولاً مطلقاً . ثم الكلام من قبيل : أكلوني البراغيث . »

(٣) في تفسير الطبري والنسائي : « هؤلاء الآيات » . ويقول السندي : « هؤلاء الآيات : مبتدأ خبره محذوف ، أي : من أشد الشتم » .

(٤) أي : منارة مرتفعة .

(٥) أي : فإذلك قبلوا منهم هذا الكلام وتركوه من القتل .

ذلك ، فأنزل الله عز وجل : (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله ، فادعوا حتى رعيتها) .
والآخرون (١) قالوا : تعبدوا كما تعبد فلان ، ونسبح كما ساج فلان ، وننخذ دورا كما اتخذ فلان ، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان
الذين اقتادوا بهم ، فلما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يبق منهم إلا القليل ، انحط منهم رجل من صومعته ، وجاء
سائح من سياحته ، وصاحب الدير من ديره ، فأمنوا به وصدقوه ، فقال الله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا ، اتقوا الله
وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته) ، أجريين بإيمانهم بعيسى ابن مريم ولو تصديقهم (٢) بالتوراة والإنجيل ، وإيمانهم بمحمد
صلى الله عليه وسلم وتصديقهم ، قال : (ويجعل لكم نورا تمشون به) : القرآن ، واتباعهم النبي - صلى الله عليه وسلم -
قال (لئلا يعلم أهل الكتاب) الذين يشبهون بكم (أن لا يقدرون على شيء من فضل الله ، وأن الفضل بيد الله يؤتية من
يشاء والله ذو الفضل العظيم) (٣) .

هذا السياق فيه غرابة وسأني تفسير هاتين [الآيتين] الأخيرتين على غير هذا ، والله أعلم .
وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا أحمد بن عيسى ، حدثنا عبد الله بن وهب ، حدثني سعيد بن عبد الرحمن
ابن أبي العمياء : أن سهل بن أبي أمامة حدثه أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك بالمدينة زمان عمر بن عبد العزيز وهو
أمير ، وهو يصلي صلاة خفيفة (٤) ، كأنها صلاة مسافر أو قريبا منها ، فلما سلم قال : يرحمك الله ، رأيت هذه الصلاة
المكتوبة ، أم شيء تنفاته ؟ قال : إنها المكتوبة ، وإنها صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخطأت إلا شيئا سهوت
هذه ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم ، فإن قوما شددوا على أنفسهم
فشدد عليهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات ، رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم (٥) » . ثم غدوا من الغد فقالوا
فركب فتنظر ونعتبر . قال : نعم ، فركبو جميعاً ، فإذا هم بديار قفر قد باد أهلها وانقضوا وقتوا ، خاوية على عروشها ،
فقالوا : تعرف هذه الديار ؟ قال : ما عرفني بها وبأهلها . هؤلاء أهل (٦) الديار ، أهلكم النبي والحسد ، إن الحسد يطفى نور
الحسنات ، والنبي يصدق ذلك أو يكذبه ، والعين تزني والكف والقدم والجسد واللسان ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه .
وقال الإمام أحمد حدثنا يعمر ، حدثنا عبد الله ، أخبرنا سفيان ، عن زيد العمى ، عن أبي إياس ، عن أنس بن مالك
أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال « لكل نبي رهبانية ، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله عز وجل (٧) » .

ورواه الحافظ أبو يعلى عن عبد الله بن محمد بن أسماء ، عن عبد الله بن المبارك به ولفظه : « لكل أمة رهبانية ،
ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله » .

- (١) أي : الذين بقوا عند الملك .
(٢) ما بين القوسين عن تفسير الطبري ، وهو غير ثابت في النسائي . وفي المخطوطة : « ونصب أنفسهم » .
(٣) النسائي ، كتاب آداب القضاة ، باب تأويل قول الله عز وجل : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) :
٢٣١/٨ - ٢٣٣ . وتفسير الطبري : ١٣٨/٢٧ .
(٤) في المخطوطة والطبقات السابقة : « خفيفة وقمة » ، ولا ندرى ما المراد بهذه الكلمة « وقمة » .
(٥) هذا القدر من قوله : « لا تشددوا » إلى هنا ، أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب « في الحسد » . من حديث
أحمد بن صالح ، عن عبد الله بن وهب .
(٦) في المخطوطة : « هؤلاء على الديار » . والمثبت عن الطبقات السابقة .
(٧) مستند الإمام أحمد : ٢٦٦/٣ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين - هو ابن محمد - حدثنا ابن عياش (١) - يعني إسماعيل - عن الحجاج [ابن مروان الكلابي ، وعقيل بن مدرك السلمي] (٢) عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رجلا جاءه فقال : أوصني . فقال : سألت عما سألت عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قبلك : أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض (٣) .
تفرد به أحمد :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٨﴾ لَقَدْ يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٩﴾

قد تقدم في رواية النسائي عن ابن عباس : أنه حمل هذه الآية على مؤمني أهل الكتاب ، وأنهم يؤتون أجرهم مرتين كما في الآية التي في القصص (٤) ، وكما في حديث الشعبي عن أبي بردة ، عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله أجران ، وعهد مملوك أدى حق الله وحق مواليه فله أجران ، ورجل أدب أمته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران » . أخرجاه في الصحيحين (٥) .

ووافق ابن عباس على هذا التفسير الضحاك ، وعتبة بن أبي حكيم ، وغيرهما ، وهو اختيار ابن جرير :

وقال سعيد بن جبیر : لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله هذه الآية في حق هذه الأمة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ ، يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ) ، أي : ضعفين ، وزادهم : (وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) ، يعني هدى يُتَبَصَّرُ به من العمى والجهالة ، ويغفر لكم . فضللهم بالنور والمغفرة . ورواه ابن جرير عنه (٦) .

(١) في المخطوطة : « حدثنا عياض » . والمثبت في المسند .

(٢) ما بين القوسين عن المسند .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٨٢/٣ .

(٤) سورة القصص ، آية : ٥٤ .

(٥) تقدم الحديث عند تفسير آية القصص ، وخبرنا هناك ، انظر : ٢٥٤/٦ .

(٦) تفسير الطبري : ١٤٠/٢٧ - ١٤١ .

وَعَدَمِ الْآيَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ، وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١)) .

وقال سعيد بن عبد العزيز : سألت حمزة بن الخطاب جبراً من أخبار يهود : [لكم] أفضل ما ضعفت لكم حسنة ؟ قال : كفل ثلاثمائة وخمسون حسنة . قال : محمد بن عبد الله بن عمر على أنه أعطانا كفلين : ذكر سعيد قول الله عز وجل : (يوتئكم كفلين من رحمته) - قال سعيد : والكفلان في الجمعة مثل ذلك . رواه ابن جرير (٢) .

ومما يؤكد هذا القول ما رواه الإمام أحمد : حدثنا إسحاق ، حدثنا أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - « مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً ، فقال : من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ ألا فعلت اليهود . ثم قال : من يعمل لي من نصف النهار إلى الصلاة العصر على قيراط قيراط ؟ ألا فعلت النصارى . ثم قال : من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين ؟ ألا فأنتم الذين عملتم . ففضبت النصارى واليهود ، وقالوا : نحن أكثر عمالاً وأقل عطاء . قال : هل ظلمتكم من أجركم (٣) شيئاً ؟ قالوا : لا . قال : فانما هو فضلي أوتيته من أشاء (٤) » .

قال أحمد : وحدثناه مؤمل ، عن سفيان عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، نحو حديث نافع ، عنه (٥) .

انفرد بإخراجه البخاري فرواه عن سليمان بن حرب ، عن حماد ، عن أيوب (٦) عن نافع ، به . وعن قتيبة ، عن الليث ، عن نافع ، بمثله (٧) .

وقال البخاري : حدثني محمد بن العلاء ، حدثنا أبو أسامة ، عن برید ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال : « مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له عمالاً يوماً إلى الليل على أجر معلوم ، فعملوا إلى نصف النهار فقالوا : لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا ، وما عملنا باطل . فقال لهم : لا تفعلوا ، أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملاً ، فأبوا وتركوا ، واستأجر آخرين بعدهم فقال : أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الأجر . فعملوا حتى إذا كان حين صلوا العصر قالوا : ما عملنا باطل ، ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه . فقال : أكملوا بقية عملكم ، فإن ما بقي من النهار شيء يسير . فأبوا ، فأستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم » .

(١) سورة الأنفال ، آية : ٢٩ .

(٢) تفسير الطبري : ١٤١/٢٧ . وما بين القوسين عنه .

(٣) في المسند : « من حثكم » . وفي المسند ١١١ / ٢ مثل ما هنا .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٦/٢ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ١١١/٢ .

(٦) ما بين القوسين عن البخاري : ١١٧/٣ .

(٧) البخاري ، كتاب الإجارة ، باب الإجارة إلى نصف النهار : ١١٧/٣ . وكتاب الأضياء ، باب وما فكر من في إسرائيل : ٢٠٧/٢ .

فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس ، فاستكملوا أجر التقربين لكليهما فأفلك مثلهم ومثل ما قيلوا من هذا انور ، انفرد به البخارى (١) .

ولهذا قال تعالى : (لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله) ، أى ليحفظوا أنهم لا يقدرون على ردة ما أعطاه الله ، ولا إعطاء ما منح الله ، (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم) .

قال ابن جرير : (لئلا يعلم) ، أى : ليعلم (١) . وقد ذكر عن ابن مسعود أنه قرأها (لكني يعلم) : وكذا خطان (٢) ابن عبد الله ، وسعيد بن جبير ، قال ابن جرير : لأن العرب تجعل « لا » صلة في كل كلام دخل في أوله أو آخره جنظ غير مصحح ، فالسابق كقوله : (ما منعك ألا تسجد) ، (وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) ، (وحرام على قرية أهلكتها أنهم لا يرجعون) .

[آخر تفسير سورة الحديد]

(١) البخارى ، كتاب الإجارة ، باب « الإجارة من المصير إلى الليل » : ١١٨/٤ - ١١٩ .

(٢) تفسير الطبرى : ١٤٣/٢٧ .

(٣) في المخطوطة : « خطا ابن عبد الله » . وفي تفسير الطبرى : « خطاب بن عبد الله » . ولم نجد هذا ، والصواب « خطان » ، بالخاء والتون . وهو خطان بن عبد الله الرقاشى ، يروى عن جلى وأبي موسى ، ويروى عنه أبو هارون التميمى . والأثر الذى فى الطبرى ١٤٣/٢٧ يرويه عنه أبو هارون هذا . انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٢٠٢/٢٦١ .

تفسير سورة المجادلة

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَقْدُ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَ كُفْرًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ①

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن تميم بن سلمة ، عن عروة ، عن عائشة قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، ، لقد جاءت المجادلة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - تكلمه وأنا في ناحية البيت ، ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله عز وجل : (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) . . . إلى آخر الآية (١) .

وهكذا رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقا فقال ؟ وقال الأعمش ، عن تميم بن سلمة ، عن عروة ، عن عائشة ، ، فذكره (٢) . وأخرجه النسائي ، وابن ماجه ، وابن أبي حاتم ، وابن جرير ، من غير وجه ، عن الأعمش به (٣) .

وفي رواية لابن أبي حاتم عن الأعمش ، عن تميم بن سلمة ، عن عروة ، عن عائشة أنها قالت : تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء ، ، إني لأسمع كلام خوله بنت ثعلبة ، ويخفى على بعضه ، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهي تقول : يا رسول الله أكل شباي ، وترث له بطني ، حتى إذا كبرت سني ، وانقطع ولدي ، ظهر مني اللهم ، إني أشكو إليك . قالت : فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية : (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) ، وقال : زوجها أوس بن الصامت (٤) .

وقال ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، : له هو (٥) أوس بن الصامت - وكان أوس امرأا به لم ، فكان إذا أخذه لمه واشتد به يظاهر من امرأته ، وإذا ذهب لم يقل شيئا . فأتت رسول الله تستفتيه في ذلك وتشتكي إلى الله . . . ، فأنزل الله : (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله) . . . الآية .

وهكذا روى هشام بن عروة ، عن أبيه : أن رجلا كان به لم ، فذكر إمامه

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة حدثنا جرير - يعني ابن حازم - قال سمعت أبا يزيد يحدث قال : لقيت امرأة عُمَرَ - يقال لها : خولة : بنت ثعلبة - وهو يسير مع الناس ، فاستوقفته فوقف لها

(١) مستد الإمام أحمد : ٤٦/٦ .

(٢) البخاري ، كتاب التوحيد : ١٤٤/٩ .

(٣) سنن ابن ماجه ، المقدمة ، باب « فيما أنكرت الجهمية » ، الحديث ٤٨٨ : ٦٧/١ . وتفسير الطبري ، ٥/٢٨ - ٦ .

(٤) وكذا رواه الطبري من هذه الطريق : ٥/٢٨ - ٦ .

(٥) في المخطوطة : « عن أوس » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

ودنا منها وأصغى إليها رأسه ، ووضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت . فقال له رجل : يا أمير المؤمنين حيث رجالات فريش على هذه العجوز ؟ ! قال : ويحك ! وتدرى من هذه ؟ قال : لا . قال : هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات ، هذه خولة بنت ثعلبة ، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى تقضى حاجتها إلا أن تخضر صلاة فأصليها ، ثم أرجع إليها حتى تقضى حاجتها .

هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب . وقد روى من غير هذا الوجه ،

وقال ابن أبي حاتم أيضاً : حدثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا يعلى ، حدثنا زكريا عن عامر قال : المرأة التي جادلت في زوجها خولة بنت الصامت ، وأمها معاذة التي أنزل الله فيها : (ولا تكررهما فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً) .

صوابه : خولة امرأة أوس بن الصامت .

الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّحْيُ وَلَهُنَّ مِنْكُمْ لِيَقُولُوا مَنكَرًا
مِنَ الْقَوْلِ زُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعِينَ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿١٢﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا سعد بن إبراهيم ويعقوب قالوا : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثني معمر بن عبد الله بن حنظلة . عن ابن عبد الله بن سلام ، عن خويلة بنت ثعلبة قالت : في - والله - وفي أوس بن الصامت أنزل الله صمد سورة « المجادلة » ، قالت : كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه ، قالت : فدخل على يوماً فراجعت بشيء فغضب فقال : أنت على كظهر أبي . قالت ، ثم خرج فجلس في نادى قومه ساعة ، ثم دخل على فإذا هو يريدني عن نفسي ، قالت : قلت : كلا ، والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إلى وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه . قالت : فوائبي وامتنعت منه ، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف ، فألقيته عني ، قالت : ثم خرجت إلى بعض جاراتي ، فاستعرت منها ثياباً ، ثم خرجت حتى جثت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجلست بين يديه ، فذكرت له ما لقيت منه ، وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه . قالت : فاجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « يا خويلة ، ابن عمك شيخ كبير ، فاتق الله فيه » . قالت : فوالله ما برحت حتى نزل في القرآن ، ففتشني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما كان يتغشاه ، ثم سرى عنه ، فقال لي : « يا خويلة ، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك . ثم قرأ علي : (قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها ، وتشتكي إلى الله ، والله يسمع تحاوركما ، إن الله سميع بصير) إلى قوله (وللكافرين عذاب أليم) . قالت : فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مر به فيلحق رقبة » . قالت : فقلت يا رسول الله ما هتداه ما يعتق . قال : « فليصم شهرين متتابعين » . قالت : فقلت : والله إنه شيخ كبير ، ما به من صيام . قال : « فليطعم ستين مسكيناً » .

وَسَمِعْتُ (١) مِنْ تَمْرٍ : قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا ذَلِكَ عِنْدَهُ . قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
 « فَإِنَّا سَمِعِينَهُ بِعَمْرٍو (٢) مِنْ تَمْرٍ » . قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَنَا سَاعِيْنُهُ بِعَمْرٍو آخِرٌ ، قَالَ : « فَقَدْ أَصَبْتَ وَأَحْسَنْتِ ،
 فَادْهَبِي فَتَصَدَّقِي بِهِ عِنْدَهُ ، ثُمَّ اسْتَوْصِي بِابْنِ عَمِكَ خَيْرًا » . قَالَتْ : فَفَعَلْتُ (٣) .

ورواه أبو داود في كتاب الطلاق (٤) من سننه من طريقين ، عن محمد بن إسحاق بن يسار ، به . وعنده : خولة
 بنت ثعلبة ، ويقال فيها خوله بنت مالك بن ثعلبة . وقد تصغر فيقال : خويّلة ولا منافاة بين هذه الأقوال ، فالأمر فيها
 قريب ، والله أعلم .

هذا هو الصحيح في سبب نزول صدر هذه السورة ، فأما حديث سلمة بن صخر فليس فيه أنه كان سبب النزول .
 ولكن أمر بما أنزل الله في هذه السورة ، من العتق أو الصيام أو الإطعام ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا محمد بن أسحاق ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سليمان بن يسار ، عن سلمة
 ابن صخر الأنصاري قال : كنت امرأة قد أوتيت من جماع النساء ما لم يوت غيري ، فلما دخل رمضان ثقلت من
 امرأتي حتى ينسلخ رمضان ، فقرأت من أن أصيب في ليلتي شيئاً فأتابع في ذلك إلى أن يدركني النهار ، وأنا لا أقدر أن
 أنزع فيتنا هي تخدمني من الليل إذ تكشف لي منها شيء ، فوثبت عليها ، فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبري
 وقلت : انطلقوا معي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بأمرى . فقالوا : لا ، والله لا تفعل ، نتخوف أن ينزل فينا
 - أو يقول فينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقاتلة بيني علينا عارها ، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدالك . قال : فخرجت حتى
 أتيت النبي صلى الله عليه وسلم - فأخبرته خبري . فقال لي : « أنت بدالك » . قلت : أنا بدالك .
 فقال : « أنت بدالك » . قلت : أنا بدالك . قال : « أنت بدالك » قلت : نعم ، ها أنا إذا فامض في حكم الله تعالى فاني صابر
 له . قال : « أعتق رقبة » . قال : ففرضت صفقة رقبتي بيني وقلت : لا ، والذي بعثك بالحق ما أصبحت أمك غيرها .
 قال : « فصم شهرين » قلت : يا رسول الله ، وهل أصابي ما أصابي إلا في الصيام ؟ قال : « فتصدق » . قلت : والذي
 بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشيتي (٥) ما لنا عشاء . قال : « اذهب إلى صاحب صدقة بني زريق فقل له فليندفعها إليك ،
 فأطعم عنك منها وسقاً من تمر ستين مسكناً ، ثم استعن بسائرهم عليك وعلى عيالك » . قال : فرجعت إلى قومي فقلت :
 وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ، ووجدت عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - السعة والبركة ، قد أمر لي
 بصدقتكم ، فادفعوها إلي . فدفعوها إلي (٦) .

(١) الرسق : ستون صاعاً .

(٢) العرق : زبيب منسوج من فصائح الخوص ، وكل شيء مضمور فهو عرق وعرقه ، بفتح الراء فيما .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤١٠/٦ - ٤١١ . وانظره في أسد الغابة : ٩١/٧ - ٩٢ ، بتحقيقنا .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الطلاق ، باب « في الظهار » .

(٥) في المسند : « وحشاه » ، بالحاء . ووقع في رواية الترمذي مثل ما هنا . ويقول ابن الأثير في النهاية : « لقد بتنا وحشين »

وما لنا من طعام) ، يقال : رجل وحش ، بالسكون من قوم أو حاش ، إذا كان جائعاً لا طعام له . ووقد أوحش إذا جاع .
 وجاء في رواية الترمذي : « لقد بتنا ليلتنا هذه وحشيتي » ، كأنه أراد جماعة وحشيتي .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٣٧/٤ .

وهكذا رواه أبو داود ، وابن ماجه ، واختصره الترمذى وحسنه (١) :

وظاهر السياق أن هذه القصة كانت بعد قصة أوس بن الصامت وزوجته خويّلة بنت ثعلبة ، كما دلّ عليه سياق تلك وهذه بعد التأمل

قال خصيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : أول من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت ، أخر عبادة بن الصامت ، وأمر أنه خولة بنت ثعلبة بن مالك ، فلما ظاهر منها حشيت (٢) أن يكون ذلك طلاقاً ، فأنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم فقالت : « يا رسول الله ، إن أوساً ظاهر مني ، وإننا إن افرقنا هلكتنا ، وقد نثرت بطنى منه وقدمت صمغته . وهي تشكو ذلك وتبكي ، ولم يكن جاء في ذلك شيء . فأنزل الله : (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله) إلى قوله (وللكافرين عذاب أليم) فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « أتقدر على رقبة نعتقها ؟ قال : لا والله يا رسول الله ما أقدر عليها ؟ قال : فجمع له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أعتق عنه ، ثم راجع أهله رواه ابن جرير (٣) .

ولهذا ذهب ابن عباس والأكثر إلى ما قلناه ، والله أعلم .

فتوبه تعالى : (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) : أصل الظهار مشتق من الظهر ، وذلك أن الجاهلية كانوا إذا تظاهر أحد من أمرأته قال لها : أنت على كظهر أمي . ثم في الشرع كان الظهار في سائر الأعضاء قياساً على الظهر ، وكان الظهار عند الجاهلية طلاقاً ، فأرخص الله لهذه الأمة وجعل فيه كفارة ، ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم . هكذا قال غير واحد من السلف .

قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن أبي حمزة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية : أنت على كظهر أمي ، حرمت عليه ، فكان أول من ظاهر في الإسلام أوس ، وكانت ثمنه ابنة عم له يقال لها « خويّلة » بنت ثعلبة « فظاهر منها ، فأسقط في يديه ، وقال : ما أراك إلا قد حرّمت على . وقالت له مثل ذلك ، قال : فانطلقى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأنت رسول الله فوجدت عنده ماشطة تمشط رأسه ، فقال : « يا خويّلة ، ما أمرنا في أمرك بشيء . فأنزل الله على رسوله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « يا خويّلة أبشري » قالت : خيراً . فقرأ عليها : (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله ، والله يسمع تحاوركما) . . . إلى قوله : (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يياسوا) . قالت : وأى رقبة

(١) سنن أبي داود ، كتاب الطلاق ، باب « في الظهار » ، وابن ماجه ، كتاب الطلاق ، باب الظهار ، الحديث ٢٠٦٢ .
 ٦٦٦ - ٦٦٥ / ١ . ونخبة الأحويّ ، تفسير سورة المجادلة ، الحديث ٣٢٥٣ : ١٨٨ / ٩ - ١٩١ .
 (٢) في تفسير الطبري : « حشيت » .
 (٣) تفسير الطبري : ٦ / ٢٨ .
 (٤) في تفسير الطبري : « خولة » . وفي مخطوطة الأزهر : « خويّلة بنت حويّلة » .

لنا؟ والله ما يجد رقبة غيري : قال : (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) ، قالت : والله لولا أنه يشرب في اليوم ثلاث مرات لذهب بصره ! قال : (فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا) . قالت : من أين ؟ ما هي إلا أكلة إلى مثلها ! قال : فدعا بشطر وسق - ثلاثين صاعا ، والوسق : ستون صاعا - فقال : لطعم ستين مسكينا وليراجعك (١) وهذا إسناد جيد قوي ، وسياق غريب ، وقد روى عن أبي العالية نحو هذا ، فقال ابن أبي حاتم :

حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن الهروي حدثنا علي بن عاصم عن داود بن أبي هند ، عن أبي العالية قال : كانت بحولة بنت دليج تحت رجل من الأنصار ، وكان ضرير البصر فقيرا سبيء الخلق ، وكان طلاق أهل الجاهلية إذا أراد الرجل أن يطلق امرأته ، قال : « أنت على كظهر أمي » . وكان لها منه عيئل أو عيئلان ، فنازعه يوماً في شيء فقال : أنت على كظهر أمي . فاحتلمت عليها ثيابها حتى دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو في بيت عائشة ، وعائشة تغسل شق رأسه ، فتدمت عليه ومعها عيئها ، فقالت يا رسول الله ، إن زوجي ضرير البصر ، فقير لا شيء له مني من الخلق ، وإني نازعته في شيء فغضب ، فقال : « أنت على كظهر أمي » ، ولم يرد به الطلاق ، ولى منه عيئل أو عيئلان ، فقال : « ما أعلمك إلا قد حرمت عليه » . فقالت : أشكو إلى الله ما نزل في وأباصيبي . قال : ودارت عائشة فضلت شق رأسه الآخر ، فدارت معها ، فقالت : يا رسول الله ، زوجي ضرير البصر ، فقير سبيء الخلق ، وإن لي منه عيئلا أو عيئلين ، وإني نازعته في شيء فغضب وقال : « أنت على كظهر أمي » ، ولم يرد به الطلاق ! قالت : فرجع إلى رأسه وقال : « ما أعلمك إلا قد حرمت عليه » . فقالت : أشكو إلى الله ما نزل في وأباصيبي ؟ قال : ورأت عائشة وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - تغير ، فقالت لها : وراءك وراءك ؟ فتحت ، فكث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غشيانه ذلك ما شاء الله ، فلما انقطع الوحي قال : يا عائشة ، أين المرأة ؟ فدعتها ، فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « اذهبي فاقبلي بزوجه » . فانطلقت تسمى فجاءت به ، فاذا هو - ضرير البصر ، فقير سبيء الخلق . فقال النبي صلى الله عليه وسلم - : « استعبد بالله السميع العليم ، (بسم الله الرحمن الرحيم) قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) إلى قوله : (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أتجد رقبة تعتقها من قبل أن تمسها ؟ » . قال : لا . قال : « أتستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ » قال : والذي بعثك بالحق ، إنني إذا لم آكل مرتين والثلاث يكاد أن يعشو بصري . وقال : « أتستطيع أن تطعم ستين مسكينا ؟ » . قال : لا ، إلا تعبتني . قال : فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أطعم ستين مسكينا » . قال : وحوّل الله الطلاق ، فجعله ظهارا .

ورواه ابن جرير ، عن ابن المنني ، عن عبد الأعلى ، عن داود ، سمعت أبا العالية ، فذكره نحوه ، بأخصر من هذا السياق (٢) .

وقال سعيد بن جبير : كان الإيلاء والظهار من طلاق الجاهلية ، فوقت الله الإيلاء أربعة أشهر ، وجعل في الظهار الكفارة ، رواه ابن أبي حاتم ، بنحوه .

(١) تفسير الطبري : ٢٨ / ٣ - ٤

(٢) تفسير الطبري : ٢٨ / ٣ - ٤

وقد استدلل الإمام مالك على أن الكافر لا يدخل في هذه الآية بقوله : (مِنْكُمْ) ، فالخطاب للمؤمنين ، وأجاب الجمهور بأن هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له ، واستدل الجمهور عليه بقوله : (مَنْ نَسَاهُمْ) ، على أن الأمة لا تظهر منها ، ولا تدخل في هذا الخطاب .

وقوله : (مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ) أى : لا تصير المرأة بقول الرجل « أنت على كائى » أو « مثل اى » أو « كظهر اى » ، وما أشبه ذلك ، لا تصير أمه بذلك ، إنما أمه التى ولدتها ، ولهذا قال : (وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا) ، أى : كلاماً فاحشاً باطلاً ، (وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ) ، أى : عما كان منكم فى حال الجاهلية ، وهكذا أيضاً عما خرج من سبق اللسان ، ولم يقصد إليه المتكلم ، كما رواه أبو داود : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول لامرأته : يَا أُخْتِي . فقال : « أختك هى ؟ » ، فهذا إنكار ، ولكن لم يجرمها عليه بمجرد ذلك ، لأنه لم يقصده ، ولو قصده لحرمت عليه ، لأنه لا فرق على الصحيح بين الأم وبين غيرها من سائر المخازم من أخت وعمة ونخالة وما أشبه ذلك :

وقوله : (وَالَّذِينَ يظَاهِرُونَ مِنْ نِسَابِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا) ، اختلف السلف والأئمة فى المراد بقوله : (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا) فقال بعض الناس : العود هو أن يعود إلى لفظ الظهار فيكرره ، وهذا القول باطل وهو اختيار ابن حزم (١) . وقول داود ، وحكاه أبو عمر بن عبد البر عن بكير بن الأشج والفراء ، وفرقة من أهل الكلام .

وقال الشافعى : هو أن يسكها بعد الظهار زماناً يمكنه أن يطلق فيه فلا يطلق ؛

وقال أحمد بن حنبل : هو أن يعود إلى الجعاع ، أو يعزم عليه ، فلا يحل له حتى يكفر بهذه الكفارة ؛

وقد حكى عن مالك : أنه العزم على الجعاع والإمساك ، وعنه أنه الجعاع .

وقال أبو حنيفة : هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريمه ، ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية ، ففى تظاهر الرجل من امرأته فقد حرّمها تحريماً لا يرفعه إلا الكفارة . وإليه ذهب أصحابه ، واليث بن سعد .

وقال ابن طيبة : حدثني عطاء ، عن سعيد بن جبير : (ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا) ، يعنى : يريدون أن يعودوا فى الجعاع الذى حرّموا على أنفسهم .

وقال الحسن البصرى : يعنى الغشيان فى الفرج . وكان لا يرى بأساً أن يغشى فيها دون الفرج قبل أن يكفر .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : (مَنْ قَبْلَ أَنْ يَبَاسَا) ، والمس : النكاح . وكذا قال عطاء ، والزهري ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان .

(١) فى المخطوطة : « ابن جرير » . والأخرى ما فى الطبقات السابقة ، انظر تفسير الطبرى : ٧/٢٨ .

وقال الزهري : ليس له أن يقبلها ولا يمسه حتى يكفر .

وقد روى أهل السنن من حديث عكرمة ، عن ابن عباس أن رجلا قال : يا رسول الله ، إنني ظاهرت من أمرأتي فوعدت عليها قبل أن أكفر ، فقال : « ما حملك على هذا يرحمك الله ؟ » . قال : رأيت خلعا في ضوء القمر ، قال : « فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله عز وجل » .

وقال الترمذي : « حسن غريب صحيح » ورواه أبو داود والنسائي من حديث عكرمة مرسلًا ، قال النسائي : وهو أولى بالصواب (١) .

وقوله : « فتحرير رقبة » ، أي فإعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتأسأ ، فهذه الرقبة مطلقة خير مقيدة بالإيمان ، وفي كفارة القتل مقيدة بالإيمان ، فحمل الشافعي رحمه الله ما أطلق هاهنا على ما قيد هناك لايجاد الموجب ، وهو اعتق الرقبة ، واحتضد في ذلك ما رواه عن مالك بسنده ، عن معاوية بن الحكم السلمي ، في قصة الجارية السوداء ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أعتقها فإنها مؤمنة » . وقد رواه أحمد في مسنده ، ومسلم في صحيحه (٢) .

وقال الخافظ أبو بكر البزار : حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا عبد الله بن نخير ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن عمرو ابن دينار ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجل فقال : إنني ظاهرت من امرأتي ثم وقعت عليها قبل أن أكفر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألم يقل الله من قبل أن يتأسأ » . قال : أعجبتني ؟ قال : « أمسك حتى تكفر » .

ثم قال البزار : لا يروى عن ابن عباس [بأحسن من] (٣) هذا وإسماعيل بن مسلم تكلم فيه ، وروى عنه جماعة كثيرة من أهل العلم . وفيه من الفقه أنه لم يأمره إلا بكفارة واحدة .

وقوله : « ذلكم توعظون به » أي : تزجرون به ، (والله بما تعملون خبير) ، أي : أخبر بما يصلحكم ، علم بأحوالكم .

وقوله : « فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتأسأ » ، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ، وقد تقدمت الأحاديث الواردة بهذا على الترتيب ، كما ثبت في الصحيحين في قصة النبي جامع امرأته في رمضان .

« ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله » ، أي : شرعنا هذا هنا .

وقوله : « وتلك حدود الله » ، أي : محارمه فلا تنتهكوها .

(١) تحفة الأحمدي ، أبواب الطلاق ، باب « ما جاء في المظالم يواقع قبل أن يكفر » ، الحديث ١٤١٣ : ٤/٢٨٠ .
وسنن أبي داود ، كتاب الطلاق ، باب « في الظهار » ، وسنن النسائي ، كتاب الطلاق ، باب الظهار : ١٦٧/٦ - ١٦٨/٦ .
(٢) تقدم الحديث عند تفسير الآية الثانية والتمتعين من سورة النساء ، وخرجناه هناك ، انظر : ٣٣٠/٢ .
(٣) ما بين القوسين عن العليمات السابقة ، ومكانه في المخطوطة : « فأخبرني » .

وقوله (وللكافرين عذاب أليم) ، أى : الذين لم يؤمنوا ولا التزموا بأحكام هذه الشريعة ، لا يعتقدوا أنهم ناجون من البلاء ، كلا ، ليس الأمر كما زعموا ، بل لهم عذاب أليم ، أى فى الدنيا والآخرة .

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَذَّبُوا كَمَا كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٦﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ إِلَّا هُوَ سَادِمُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥٨﴾

يخبر تعالى عن شاقوا الله ورسوله وعاندوا شرعه ، (كذبوا كما كذب الذين من قبلهم) ، أى : أهينوا ولعنوا وأخزوا ، كما فعل من أشبههم من قبلهم ، (وقد أنزلنا آيات بينات) ، أى : واضحات لا يخالفها ويعاندها إلا كافر فاجر مكابر ، وللكافرين عذاب مهين) أى : فى مقابلة ما استكبروا عن اتباع شرع الله ، والانقياد له ، والخضوع لديه .

ثم قال : (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا) ، وذلك يوم القيامة ، يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد ، (فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا) ، أى : يخبرهم بالذى صنعوا من خير وشر ، (أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ) ، أى : ضبطه الله وحفظه عليهم ، وهم [قد] نسوا ما كانوا يعملوا ، (والله على كل شيء شهيد) ، أى : لا يغيب عنه شيء ، ولا يخفى ولا ينسى شيئاً .

ثم قال تعالى مخبراً عن إحاطة علمه بخلقه وإطلاعه عليهم ، وسماحه كلامهم ، ورويته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا ، فقال : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ) ، أى : من سر ثلاثة (إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) ، أى : يطلع عليهم ويسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ، ورسله أيضاً مع ذلك تكتب ما يتناجون به ، مع علم الله به وسمعه لهم ، كما قال : (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سُرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١)) . وقال : (أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سُرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ؟ بَلَىٰ وَرُسُلَنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٢)) . ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علم الله تعالى ، ولا شك فى إرادة ذلك ولكن سمعه أيضاً مع علمه المحيط بهم ، وبصره نافذ فيهم ، فهو سبحانه مطلع على خلقه ، لا يغيب عنه من أمورهم شيء .

ثم قال (ثم ينبيهم بما عملوا يوم القيامة ، إن الله بكل شيء عليم) ، قال الإمام أحمد : افتتح الآية بالعالم ، واختتمها بالعالم .

(١) سورة التوبة ، آية : ٧٨ .

(٢) سورة الزخرف ، آية : ٨٥ .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْنَا عَنْهُ وَيَتَنَجَّجُونَ بِالْآثِمِ وَالْعَادُونَ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يَحْيِكْ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبِهِمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَ
فِي سَائِرِ الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّجْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّجُوا بِالْآثِمِ وَالْعَادُونَ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَتَنَجَّجُوا
بِالْبِئْرِ وَالْمَقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٤٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

قال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) قال : اليهود (١) : وكذا قال مقاتل بن حيان ، وزاد : وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود موادة ، وكانوا إذا مر بهم رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - جلسوا يتناجون بينهم ، حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله - أو : بما يكره المؤمن - فإذا رأى المؤمن ذلك - حشيمهم ، فترك طريقه عليهم . فنهاهم النبي - صلى الله عليه وسلم - عن النجوى ، فلم يتهوا وعادوا إلى النجوى ، فأنزله الله : (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ، حدثني مقيان بن حمزة ، عن كثير بن زيد ، عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه ، عن جده قال : كنا نغتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نبيت عنده ، يطرقه من الليل أمر ، وتبدو له حاجة . فلما كانت ذات ليلة كثر أهل الثوب والخشب ، حتى كنا أندبة نتحدث ، فخرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : وما هذا النجوى ؟ ألم تُنهوا عن النجوى ؟ قالنا : قلنا : بلنا إلى الله يا رسول الله ، إنا كنا في ذكر المسيح ، فترقا منه . فقال : وألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه ؟ قالنا : بلنا يا رسول الله ؟ قال : والشرك الخفي ، أن يقوم الرجل يعمل للكان رجل ، هذا إسناد غريب ، وفيه بعض الضعفاء .

وقوله : (ويتناجون بالآثم والعدوان) ومعصية الرسول) ، أي : يتحدثون فيما بينهم بالآثم ، وهو ما يختص بهم (والعدوان) ، وهو ما يتعلق بغيرهم ، ومنه معصية الرسول ومخالفته ، يصرون عليها ويتواصون بها .

وقوله : (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن عمير ، عن الأعمش ، [عن مسلم (٢)] عن مسروق ، عن عائشة قالت : دخل علي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يهود فقالوا : السلام عليك يا أبا القاسم . فقالت عائشة : وعليكم السلام . قالت : فقال

(١) تفسير الطبري : ٤/٢٨ .

(٢) ما بين القوسين عن مسند الإمام أحمد : ٢٢٩/٦ . ومسلم ، كتاب السلام ، باب : النبي من ابتداء أهل الكتاب والسلام ، وكيف يرد عليهم : ٤/٧ .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يا عائشة ، إن الله لا يحب الفحش ولا الفحش » قلت : ألا تسمعونهم يقولون : السام عليك ؟ فقال رسول الله : « أو ما سمعت أقول : وعليكم ؟ » . فأنزل الله : (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) .
وفي رواية في الصحيح أنها قالت لهم : عليكم السام والذام واللعنة . وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : إنه يستجاب لنا فيهم ، ولا يستجاب لهم فينا » (١) .

وقال ابن جرير : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بينما هو جالس مع أصحابه ، إذ أتى عليهم يهودى فسلم عليهم ، فردوا عليه ، فقال نبي الله - صلى الله عليه وسلم - : « هل تدرون ما قال ؟ » . قالوا : « سلم يارسول الله » . قال : « بل قال : سام عليكم » . أي : تسامون دينكم . قال رسول الله : « ردوه » . فردوه عليه ، فقال نبي الله : « أقلت : سام عليكم ؟ » . قال : نعم . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا : عليك » أي عليك ما قلت (٢) .
وأصل حديث أنس مخرج في الصحيح ، وهذا الحديث في الصحيح عن عائشة ، بنحوه .

وقوله : (ويقولون في أنفسهم : لولا يعذبنا الله بما نقول) ، أي : يفعلون هذا ، ويقولون ما يحرفون من الكلام ، وإيمان السلام ، وإنما هو شتم في الباطن ، ومع هذا يقولون في أنفسهم لو كان هذا نبياً لعذبنا الله بما نقول له في الباطن ، لأن الله يعلم ما نسرره ، فلو كان هذا نبياً حقاً لأوشك أن يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا ، فقال الله تعالى : (حسبهم جهنم) ، أي : جهنم كفائتهم في الدار الآخرة (٣) ، (يصلونها فيش المصير) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو : أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : سام عليك ، ثم يقولون في أنفسهم : (لولا يعذبنا الله بما نقول ؟) ، فنزلت هذه الآية : (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ، ويقولون في أنفسهم : لولا يعذبنا الله بما نقول ، حسبهم جهنم يصلونها فيش المصير) . إسناد حسن ولم يخرجوه (٤) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) ، قال : كان المنافقون يقولون لرسول الله إذا حييوه : « سام عليك » ، قال الله : (حسبهم جهنم يصلونها فيش المصير) (٢) .

ثم قال الله مؤذناً بعباده المؤمنين أن لا يكونوا مثل الكفرة والمنافقين : (يا أيها الذين آمنوا ، إذا تناجيتهم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول) ، أي : كما يتناجى به الجهلة من كفرة أهل الكتاب ومن ملأهم على صلواتهم من

(١) البخارى ، كتاب الأدب ، باب « لم يكن النبي - صلى الله عليه وسلم - فاجساً ولا متفحشاً » : ١٥/٨ . وسلم ، في الكتاب والباب المتقدمين : ٥/٧ .
(٢) تفسير الطبري : ١١/٢٧ .
(٣) في مخطوطة الأزهر : « كفائتهم في الدنيا والآخرة » . والثبت من الطبقات السابقة .
(٤) مسند الإمام أحمد : ١٧٠/٢ .

المناقين ، (وتناجوا بالبر والتقوى ، واتقوا الله الذى إليه تحشرون) ، أى : فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التى قد أحصاها عليكم ، وسيجزىكم بها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا بهزُ وعفان قالا : أخبرنا همام ، حدثنا قتادة ، عن صفوان بن محرز قال : كنت آخذاً بيد ابن عمر ، إذ عرض له رجل فقال : كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى يوم القيامة ؟ قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إن الله يلقى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستتره من الناس ، ويفرره بذنوبه ، ويقول له : أتعرف ذنبك كذا ؟ أتعرف ذنبك كذا ؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه قد هلك ، قال : فإني قد سترتها عليك فى الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم . ثم يعطى كتاب حسنته ، وأما الكفار والمناقون فيقول الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين (١) .

أخرجاه فى الصحيحين ، من حديث قتادة (١) .

ثم قال تعالى : (إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا ، وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ، أى : إنما النجوى - وهى المسارة - حيث يتوهم مؤمن بها سوءاً (من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) ، يعنى : إنما يصدر هذا من المتناجين (٢) عن تسويل الشيطان وتزيينه ، (ليحزن الذين آمنوا) ، أى : ليسوهم ، وليس ذلك بضارهم شيئاً إلا بإذن الله ، ومن أحسن من ذلك شيئاً فليستعد بالله وليتوكل على الله ، فإنه لا يضره شيء بإذن الله .

وقد وردت السنة بالنهى عن التناجى حيث يكون فى ذلك تأذ على مؤمن ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا وكيع وأبو معاوية قالا : حدثنا الأعمش ، عن أنى وائل ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجس اثنان دون صاحبهما ، فإن ذلك يحزنه (٣) . » أخرجاه من حديث الأعمش (٤) .

وقال عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، [عن نافع] ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه ، فإن ذلك يحزنه . » انفرد بأخراجه مسلم عن أبي الربيع وأبي كامل ، كلاهما عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، به (٥) .

(١) تقدم الحديث عند تفسير الآية الثامنة عشرة من سورة هود ، وخرجناه هناك ، وشرحنا غريبه ، انظر : ٢٤٧/٤ .

(٢) فى مخطوطة الأزهر : « من المناقين » . والمثبت عن الطبعات السابقة

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤٣١/١ - ٤٣٢ .

(٤) انظر البيهقي ، كتاب الاستئذان ، باب « إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة » : ٥٠/٧ . ومسلم ،

كتاب السلام ، باب « تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه » : ١٣/٧ .

(٥) مسلم ، فى الكتاب والباب المتقدمين : ١٢/٧ .

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا
يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

يقول تعالى مؤدياً عبادة المؤمنين ، وأمرهم أن يحسن بعضهم إلى بعض في المجالس : (يا أيها الذين آمنوا ، إذا قيل لكم : تفسحوا في المجلس (١) ، وقرئ : (في المجالس) ، (فافسحوا يفسح الله لكم) ، وذلك أن الجزاء من جنس العمل ، كما جاء في الحديث الصحيح : « من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة (٢) » ، وفي الحديث الآخر : « ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، [ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة (٣)] » والله في هون العبد ما كان العبد في عون أخيه (٤) . ولهذا أشباه كثيرة ، ولهذا قال : (فافسحوا يفسح الله لكم) .

قال قتادة : نزلت هذه الآية في مجالس الذكر ، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلاً ضنبوا بمجالسهم هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض (٥) .

وقال مقاتل بن حيان : أنزلت هذه الآية يوم الجمعة وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومئذ في الصفقة وفي المكان ضيق ، وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار ، فجاء أناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجالس ، فقاموا حينئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته : فرد النبي - صلى الله عليه وسلم - عليهم ، ثم سلموا على القوم بعد ذلك ، فردوا عليهم ، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوضع لهم ، فعرف النبي - صلى الله عليه وسلم - ما يحملهم على القيام ، فلم يفسح لهم ، فشق ذلك على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار ، من غير أهل بدر : « قم يا فلان ، وأنت يا فلان » : فلم يزل يقيهم بعدة الظهر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين والأنصار أهل بدر ، فشق ذلك على من أقام من مجلسه ، وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجوههم ، فقال المتأفقون : ألسنم تزعمون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس ؟ والله ما رأيناه قبل هذا على هؤلاء ، إن قوما أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب لنيهم ، فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه . فبلغنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « رحم الله رجلاً فسح لأخيه » . فجعلوا يقومون بعد ذلك سراخاً ، ففسح القوم لأخوانهم . ونزلت هذه الآية يوم الجمعة . رواه ابن أبي حاتم .

(١) كذا في مخطوطة الأزهر ، ويقول الطبري ١٣/٢٨ : « اختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته هامة قراء الأماص » (تفسحوا في المجلس) ، على التوحيد ، غير الحسن البصري وعاصم فهنما قرأ ذلك (في المجالس) ، على الجمع ، وبالتوحيد قراءة ذلك هنا ، لإيجاع الخجة من القراء عليه .

(٢) لابن عسري ، كتاب الصلاة ، باب « من بنى مسجداً » : ١٢٢/١ . ومسلم ، كتاب المساجد ، باب « فضل بناء المساجد » والحديث هنا : ٦٨/٣ .

(٣) ما بين القوسين عن مسلم ونحسبه سقط نظر .

(٤) مسلم ، كتاب الذكر ، باب « فضل الإجماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر » : ٧١/٨ .

(٥) تفسير الطبري : ١٣/٢٨ .

وقد قال الإمام أحمد ، والشافعي : حدثنا سفيان (١) ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن همر : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا » .
وأخرجاه في الصحيحين من حديث نافع ، (٢) به .

وقال الشافعي : أخبرنا عبد المجيد ، عن ابن جريج قال : قال سليمان بن موسى ، عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ، ولكن ليقل افسحوا (٣) » . على شرط السنن ولم يخرجوه ،

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الملك بن عمرو ، حدثنا فليح ، عن أيوب بن عبد الرحمن بن [أبي (٤)] صعصعة ، عن يعقوب بن أبي يعقوب ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن افسحوا بفتح الله لكم (٥) » ،

ورواه أيضا عن سريج بن يونس ، [ويونس] بن محمد المؤدب ، عن فليح ، به . ولفظه : « لا يقوم الرجل للرجل من مجلسه ، ولكن افسحوا بفتح الله لكم » . تفرد به أحمد (٦) .

وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء على أقوال : فمنهم من رخص في ذلك محتجا بحديث : « قوموا إلى سيدكم » : ومنهم من منع من ذلك محتجا بحديث : « من أحب أن يتمثل له الرجال قياما ، فليتبوأ مقعده من النار (٧) » . ومنهم من فصل فقال : يجوز عند القدوم من سفر ، وللحاكم في محل ولايته ، كما دل عليه قصة سعد بن معاذ ، فإنه لما استقدمه النبي - صلى الله عليه وسلم - حاكما في بني قريظة فرآه مقبلا قال للمسلمين : « قوموا إلى سيدكم » . وما ذلك إلا ليكون أنفذ لحكمه ، والله أعلم . فأما اتخاذ ديوانه من شعار العجم . وقد جاء في السنن أنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان إذا جاء لا يقومون له ، لما يعلمون من كراهته لذلك .

وفي الحديث المروي في السنن : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يجلس حيث انتهى به المجلس ، ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس ، وكان الصحابة - رضی الله عنهم - يجلسون منه على مراتبهم ، فالصديق يجلس عن يمينه ، وعمر عن يساره ، وبين يديه غالبا عثمان وعلي ، لأنهما كانا ممن يكتب الوحي ، وكان يأمرهم بذلك ،

(١) لم يقع لنا حديث المسند بهذا السند ، وأما رواية الشافعي فهي عن سفيان بن عيينة ، عن عبيد الله بن همر ، عن نافع . انظر الأم ، كتاب إيجاب الجمعة : ١٨١/١ ، ومسند الشافعي على الأم : ١٠٣/٦ .

(٢) البخاري ، كتاب الجمعة ، باب « لا يقيم الرجل أخاه يوم الجمعة ويقعد في مكانه » : ١٠/٢ . ومسلم ، كتاب السلام ، باب « تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه » : ٩/٧ .

(٣) انظر الأم ومسند الشافعي في الموضوعين المتقدمين : ١٨١/١ ، ١٠٣/٦ .

(٤) ما بين القوسين عن المسند ، وانظر الخلاصة .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٥٢٣/٢ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٣٣٨/٢ ، ٤٣٨ .

(٧) حفة الأحوذى ، أوروبا الاستئذان ، باب « ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل » : الحديث ٢٩٠٣ ، ٣٠/٨ .

كما رواه مسلم من حديث الأعمش ، عن عمارة بن حمير ، عن أبي معمر ، عن أبي مسعود : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « ليليتي منكم أولو الأحلام والنهي ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » (١) . وما ذلك إلا ليعقلوا عنه ما يقوله - صلوات الله وسلامه عليه - ولهذا أمر أولئك انصرفوا بالقيام ليجلس الذين وردوا من أهل بدر ، إما لتخصير أولئك في حق البدرين ، أو ليأخذ البدريون من العلم بنصيبهم ، كما أخذ أولئك قبلهم ، أو لتعليا بتقديم الأفاضل إلى الأمام .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن عمارة بن حمير التيمي ، عن أبي معمر ، عن أبي مسعود قال كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول : « استروا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليليتي منكم أولو الأحلام والنهي ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » . قال أبو مسعود : فأنتم اليوم أشد اختلافا (٢) .

وكذا رواه مسلم وأهل السنن ، إلا الترمذي ، من طرق عن الأعمش ، به (٣) .

وإذا كان هذا أمره ثم في الصلاة أن يليه العقلاء ثم العلماء ، فبطريق الأولى أن يكون ذلك في غير الصلاة ،

وروى أبو داود من حديث معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية ، عن كثير بن مرة عن عبد الله بن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « أقيموا الصفوف ، وحاذوا بين المناكب ، وسدوا الخلل ، ولينوا بأيدي إخوانكم ، ولا تذروا فرجات الشيطان ، ومن وصل صفا وصله الله ، ومن قطع صفا قطعه الله » (٤) .

وهذا كان أبي بن كعب سيد القراء إذا انتهى إلى الصف الأول انتزع منه رجلا يكون من أفناء (٥) الناس ، ويدخل هو في الصف المقدم ، ويحتج بهذا الحديث : « ليليتي منكم أولو الأحلام والنهي » . وأما عبد الله بن عمر فكان لا يجلس في المكان الذي يقوم له صاحبه عنه ، عملا بمتنصفي ما تقدم من روايته الحديث الذي أوردناه . ولنتخصر على هذا المقدار من الأمودج المتعلقة بهذه الآية ، وإلا فبسطه يحتاج إلى غير هذا الموضع . وفي الحديث الصحيح : « بيننا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس ، إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأما أحدهم فوجد فرجة في الخلق فدخل فيها ، وأما الآخر فجلس وراء الناس ، وأدبر الثالث ذاهبا . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ألا أنبئكم بخصر الثلاثة ، أما الأول فأوى إلى الله فأواه الله ، وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه . وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه » (٦) .

(١) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب « تسوية الصفوف وإقامتها ... » : ٣٠/٢ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٢٢/٤ .

(٣) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب « تسوية الصفوف ... » : ٣٠/٢ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب « تنزيح الصفوف » .

(٥) يقال : « رجل من أفناء الناس » : لا يدرى من أي قبيلة هو ؟ ، وفي الخطوطة : « أفناء » .

(٦) البخاري ، كتاب العلم ، باب « من قام حيث ينتهي به المجلس » : ٢٦/١ . ومسلم ، كتاب السلام ، باب « من أتى

جلساً فوجد فرجة فجلس فيها ... » : ٩/٧ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عتّاب بن زياد ، أخبرنا عبد الله ، أخبرنا أسامة بن زيد ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بأذنهما » (١) ورواه أبو داود والترمذي ، من حديث أسامة بن زيد الليثي ، به . وحسنه الترمذي (٢) .

وقد روى عن ابن عباس ، والحسن البصري وغيرهما أنهم قالوا في قوله تعالى : (إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا) ، يعني : في مجالس الحرب (٣) ، قالوا : ومعنى قوله : (وإذا قيل : انشروا فانشروا) ، أي : اذهبوا للقتال .

وقال قتادة : (وإذا قيل انشروا فانشروا) ، أي : إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا .

وقال مقاتل : إذا دعيتم إلى الصلاة فارتفعوا إليها .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كانوا إذا كانوا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - في بيته فأرادوا الانصراف ، أحب كل منهم أن يكون هو آخرهم خروجاً من عنده ، فربما يشق ذلك عليه - عليه السلام - وقد تكون له الحاجة ، فأمروا أنهم إذا أمروا بالانصراف أن ينصرفوا ، كقوله : (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا) (٤) .

وقوله : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ، والله بما تعملون خبير) ، أي : لا تعتقدوا أنه إذا فسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل ، أو إذا أمر بالخروج فخرج ، أن يكون ذلك نقصاً في حقه ، بل هو رفعة ومزية عند الله ، والله تعالى لا يضيع ذلك له ، بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة ، فإن من تواضع لأمر الله رفح الله قدره ، ونسّر ذكره . ولهذا قال : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ، والله بما تعملون خبير) ، أي : خبير بمن يستحق ذلك ومن لا يستحقه .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا إبراهيم ، حدثنا ابن شهاب ، عن أن الطفييل حامر بن وائلة . أن نافع ابن عبد الخازن لقي عمر بن الخطاب بعسفان ، وكان عمر استعمله على مكة ، فقال له عمر : من استخلفت على أهل الوادي ؟ قال : استخلفت عليهم ابن أبيزى قال : [وما ابن أبيزى ؟ فقال (٥)] : رجل من مواليها . فقال عمر : استخلفت عليهم موالي ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه قاريء لكتاب الله ، عالم بالفرائض ، قاض . فقال عمر رضي الله عنه : أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال : « إن الله يرفع بهذا الكتاب قوماً ويضع به آخرين » (٦) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٢١٣/٢ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب « في الرجل يجلس بين الرجلين يغير إثنين » . وتحفة الأحوذى ، أبواب

الاستئذان ، باب « ما جاء في كراهية الجلوس بين الرجلين يغير إثنين » ، الحديث ٢٩٠٠ : ٢٨/٨ .

(٣) تفسير الطبري : ١٣/٢٨ .

(٤) سورة النور ، آية : ٢٨ .

(٥) ما بين القوسين عن المسند .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٣٥/١ .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهرا ، عن سفيان ، عن عثمان بن المغيرة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن علي بن علقمة الأحمري ، عن علي - رضي الله عنه - قال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « ماترى ؟ » (١) دينار ؟ . قال : لا يطيقون . قال : « نصف دينار ؟ » . قال : لا يطيقون . قال : « ماترى ؟ » . قال : شعيرة . فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : « إنك زهيد » . قال : قال علي : في خصف الله عن هذه الأمة ، وقوله : (إذا ناجيم الرسول قدموا بين يدي نجواكم صدقة) ، فتزالت : (أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) (٢) .

ورواه الرمذي عن سفيان بن وكيع ، عن يحيى بن آدم ، عن عبيد الله الأشجعي ، عن سفيان الثوري ، عن عثمان ابن المغيرة الثقفي ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن علي بن علقمة الأحمري ، عن علي بن أبي طالب قال : لما نزلت : (يا أيها الذين آمنوا ، إذا ناجيم الرسول قدموا بين يدي نجواكم صدقة) ، قال لي النبي - صلى الله عليه وسلم - : « ما ترى ، دينار ؟ » قلت : لا يطيقونه . وذكره بتمامه ، مثله ، ثم قال : « هذا حديث حسن غريب ، إنما نعرفه من هذا الوجه . ثم قال : ومعنى قوله « شعيرة » : يعني وزن شعيرة من ذهب (٣) . »

ورواه أبو يعلى ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يحيى بن آدم ، به ،

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : (يا أيها الذين آمنوا ، إذا ناجيم الرسول قدموا بين يدي نجواكم صدقة) إلى (فإن الله غفور رحيم) : كان المسلمون يقدمون بين يدي النجوى صدقة ، فلما نزلت الزكاة نسخ هذا

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : (قدموا بين يدي نجواكم صدقة) ، وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى شقوا عليه ، فأراد الله أن يخفف عن نبيه - عليه السلام - فلما قال ذلك صبر كثير (٤) من الناس وكفوا عن المسألة ، فأنزل الله بعد هذا : (أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقة ، فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم ، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) ، فوسع الله عليهم ولم يضيق (٥) .

وقال عكرمة والحسن البصري في قوله : (قدموا بين يدي نجواكم صدقة) : نسخها الآية التي بعدها : (أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقة) إلى آخرها .

وقال سعيد ، عن قتادة ومقاتل بن حيان : سألت الناس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أحفوه بالمسألة فقطعهم (٦) الله بهذه الآية ، فكان الرجل منهم إذا كانت له الحاجة إلى نبي الله - صلى الله عليه وسلم - فلا يستطيع أن يقضيها حتى يقدم بين يديه صدقة ، فاشتد ذلك عليهم ، فأنزل الله الرخصة بعد ذلك : (فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم) .

(١) أي : ما ترى في مقدار الصدقة التي تقدم بين يدي النجوى ؟ هل يقدم قبل النجوى دينار ؟

(٢) تفسير الطبري : ١٥/٢٨ .

(٣) تحفة الأحوذى ، تفسير سورة المجادلة ، الحديث ٣٣٥٥ : ١٩٢/٩ - ١٩٤ .

(٤) في المخطوطة : « حين كثر » . والمثبت عن الطبري .

(٥) تفسير الطبري : ١٥/٢٨ .

(٦) في تفسير الطبري : ١٥/٢٨ : « فوعظهم بهذه الآية » .

وقال معمر ، عن قتادة : (إذ ناجيت الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) : إنها منسوخة ، ما كانت إلا ساعة من نهار . وهكذا روى عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن مجاهد قال علي : ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت ، وأحسبه قال : وما كانت إلا ساعة .

الرَّزَّاءِ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ
 ١٦ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٧ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ١٨ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ اصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ١٩ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ٢٠ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ٢١

يقول تعالى منكرًا على المنافقين في موالاتهم الكفار في الباطن ، وهم في نفس الأمر لا معهم ولا مع المؤمنين ، كما قال تعالى : (متذبذبين بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن يجد له سبيلاً) (١) . وقال هاهنا : (ألم تروا إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) ، يعنى اليهود ، الذين كانت المنافقون بماثلتهم ويوالونهم في الباطن . ثم قال : (ما هم منكم ولا منهم) ، أى : هؤلاء المنافقون ، ليسوا في الحقيقة لا منكم/أهل المؤمنين ، ولا من الذين تولوهم وهم اليهود . ثم قال : (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) يعنى : المنافقين يحلفون على الكذب وهم عالمون بأنهم كاذبون فيما حلفوا ، وهى اليمين الغموس ، ولا سيما فى مثل حاطم اللعين ، عيادا بالله منه ، فإنهم كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا ، وإذا جاءهم الرسول حلفوا بالله أنهم مؤمنون ، وهم فى ذلك يعلمون أنهم يكذبون فيما حلفوا به ، لأنهم لا يعتقدون صدق ما قالوه ، وإن كان فى نفس الأمر مطابقاً . ولهذا شهد الله بكلهم فى إيمانهم وشهادتهم لذلك .

ثم قال : (أعد الله لهم عذاباً شديداً ، إنهم ساء ما كانوا يعملون) ، أى : أُرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الأليم على أعمالهم السيئة ، وهى موالات الكافرين ونصحهم ، ومعاداة المؤمنين وغشهم ، . ولهذا قال تعالى : (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله) ، أى : أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر ، واتقوا بالأيمان الكاذبة ، فظن كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاغتر بهم ، فحصل بهننا صد عن سبيل الله لبعض الناس ، (فلهم عذاب مهين) ، أى : فى مقابلة ما امنهوا من الحلف باسم الله العظيم فى الأيمان الكاذبة الخائفة .

ثم قال : (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً) ، أى : هل ين يدفع ذلك عنهم بأساً إذا جاءهم ، (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) .

ثم قال : (يوم يبعثهم الله جميعاً) ، أى : يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحداً ، (فيحلفون له كما يحلفون لكم ، ويحسبون أنهم على شىء) ، أى : يحلفون بالله - عز وجل - أنهم كانوا على الهدى والاستقامة ، كما كانوا

يظنون لخاص في الدنيا ، لأن من هاش على شيء مات عليه وبعث عليه ، ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس ، فيجرون عليهم الأحكام الظاهرة ، ولهذا قال : (ويحسبون أنهم على شيء) ، أي : حلفهم ذلك لربهم عز وجل .

ثم قال منكراً عليهم حسابهم : (ألا إنهم هم الكاذبون) ، فأكد الخبر عنهم بالكذب :

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا ابن ، حدثنا ابن نفي ، حدثنا زهير ، عن سماك بن حرب ، حدثني سعيد بن جبيرة : أن ابن عباس حدثه : أن النبي صلى الله عليه وسلم - كان في ظل حجرة من حجراته ، وعنده نفر من المسلمين قد كاد يقلص عليهم الظل ، قال : « إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعين شيطان ، فإذا أتاكم فلا تكلموه » . فجاء رجل أزرق ، فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكلمه ، فقال : « علام تشتمني أنت وفلان وفلان ؟ » - نفر دعاهم بأسمائهم - قال : فانطلق للرجل فدعاهم ، فحلفوا له واحفظوا إليه ، قال : فأنزل الله عز وجل : (فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون) .

وهكذا رواه الإمام أحمد من طريقين ، عن سماك (١) به : ورواه ابن جرير ، عن محمد بن المثنى ، عن عذرة ، عن شعبة ، عن سماك : به نحوه (٢) ، وأخرجه أيضاً من حديث سفیان الثوري ، عن سماك ، نحوه إسناد جيد ولم يخرجوه .

ومجال هؤلاء كما أخبر تعالى عن المشركين حيث يقول : (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا : والله ربنا ما كنا مشركين ، انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) (٣) . ثم قال : (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله) ، أي : استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى أنساهم أن يذكروا الله - عز وجل - وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه . وهذا قال أبو داود :

حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا زائدة ، حدثنا السائب بن جبيرة ، عن معدان بن أبي طلحة اليمعمرى ، عن أبي الدرداء : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « مامن ثلاثة في قرية ولا بدو ، لا تقم فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان ، فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية » - قال زائدة : قال السائب : يعني الصلاة في الجماعة (٤) .

ثم قال تعالى : (أولئك حزب الشيطان) ، يعني الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله . ثم قال : (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) .

(١) مستند الإمام أحمد : ١/٢٤٥ ، ٢٦٧ ، ٣٥٥ .

(٢) تفسير الطبري : ١٧/٢٨ .

(٣) سورة الأنعام ، آية : ٢٣ - ٢٤ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب : التشديد في ترك الجماعة .

إِنَّ الَّذِينَ جَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَلِينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرَسُولِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾
لَا يَتَّخِذُ قَوْمًا يُمُونُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ
إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُوَ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى مخبراً عن الكفار المعاندين المخادين لله ورسوله ، يعنى : الذين هم في حدّ والشرع في حدّ أى : مجانبون
للحق مشاقون له ، هم في ناحية والهدى في ناحية ، (أولئك في الأذلين) ، أى : في الأشقياء المبعدين المطرودين عن
الصواب ، الأذلين في الدنيا والآخرة

(كتب الله لأعْلين أنا ورسلي) ، أى : قد حكم وكتب في كتابه الأول وقدره الذى لا يخالف ولا يمنع ولا يبدل ،
بأن النصرة له وكتابته ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة ، وأن العاقبة للمتقين ، كما قال تعالى : (إِنَّا لَنُنصِرُ
رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ . يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْلَمَتُهُمْ وَلَمْ لِلْعَنَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِمَنْ سِوَهُ الدَّارُ . (١))
وقال هاهنا (كتب الله لأعْلين أنا ورسلي ، إن الله قوى عزيز) ، أى : كتب القوى العزيز أنه الغالب لأعدائه . وهذا قلب
محكم وأمر مبرم ، أن العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة .

ثم قال تعالى : (لا يتخذ قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم
أو عشيرتهم) ، أى لا يوادون المخادين ولو كانوا من الأقربين ، كما قال تعالى : (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون
المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه) (٢) . وقال تعالى :
(قل : إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها ،
أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فترى بصوا حتى يأتي الله بأمره) والله لا يهدي القوم الفاسقين (٣) .
وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره : أنزلت هذه الآية : (لا يتخذ قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر) إلى آخرها في أبي
عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح ، حين قتل أباه يوم بدر . ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جعل الأمر
شورى بعده في أولئك الستة رضي الله عنهم : « ولو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته (٤) » .

وقيل في قوله : (ولو كانوا آباءهم) : نزلت في أبي عبيدة ، قتل أباه يوم بدر . (أو أبناءهم) : في الصديق ، هم
يومئذ بقتل ابنته عبد الرحمن ، (أو إخوانهم) : في مصعب بن عمير ، قتل أخاه عبيد (٥) . بن عمير يومئذ . (أو عشيرتهم) :
في عمر ، قتل قريباً له يومئذ أيضاً ، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث ، قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ ، والله أعلم .

(١) سورة غافر ، آية : ٥١ - ٥٢ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ٢٨ .

(٣) سورة التوبة ، آية : ٢٤ .

(٤) انظر طبقات ابن سعد : ٣/١٠٣ ، وأسد الغابة : ٣/١٢٨ .

(٥) كذا ، ولم نجد فيها أنها أتت لنا من كتب الصيرة والأنساب .

قلت : ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للمسلمين في أسارى بدر ، فأشار الصديق بأن يقادوا ، فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين ، وهم بنو النعم والعشيرة ، ولعل الله أن يهديهم . وقال عمر : لا أرى ما رأى يارسوك الله ، هل تمكنني من فلان - قريب لعمر - فأقبله ، وتمكن علياً من عقيل ، وتمكن فلانا من فلان ، ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوأدة للمشركين : : : : : القصة بكاملها .

وقوله : (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) ، أي : من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه ، فهذا من كتب الله في قلبه الإيمان ، أي كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الإيمان في بصيرته .

قال السدي : (كتب في قلوبهم الإيمان) : جعل في قلوبهم الإيمان .

وقال ابن عباس : (وأيدهم بروح منه) ، أي : قواهم .

وقوله : (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها ، رضي الله عنهم ورضوا عنه) : كل هذا تقدم تفسيره غير مرة .

وفي قوله (رضي الله عنهم ورضوا عنه) : سر بديع ، وهو أنه لما سخطوا على القراب والغشائر في الله عوضهم الله بالرضا عنهم ، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم ، والتغز العظيم ، والفضل العجم .

وقوله : (أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون) ، أي : هؤلاء حزب الله ، أي : عباد الله وأهل كرامته .
وقوله : (ألا إن حزب الله هم المفلحون) : تنويه بصلاحهم وسعادتهم ونصرهم في الدنيا والآخرة ، في مقابلة ما أخبر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان . ثم قال : (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا هارون بن حميد الواسطي ، حدثنا الفضل بن عنبسة ، عن رجل قد سماه - يقال : هو عبد الحميد بن سليمان ، انقطع من كتاب - عن الديال (١) بن عباد قال : كتب أبو حازم الأخرج إلى الزهري : أعلم أن الجاه جاهان ، جاء تجر به الله على أيدي أوليائه لأوليائه . وإنهم الخامل ذكرهم ، الخفية شخصهم ، ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله يحب الأخفياء (٢) الأتقياء الأبرياء ، الذين إذا غابوا لم ينتقدوا (٣)) ، وإذا حضروا لم يك عوا (٤) ، قلوبهم مصابيح الهدى ، يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة (٥) . هؤلاء أولياء الله الذين قال الله : (أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون) .

وقال نعيم بن حماد : حدثنا محمد بن ثور ، عن يونس ، عن الحسن قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اللهم ، لا تجعل لنا جبر ولا فاسق عندي بدأ ولا نعمة ، فاني وجدت في أوحيتي إلى : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) - قال سفيان : يرون أنها نزلت فيمن لحاظ السلطان . ورواه أبو أحمد العسكري .

[آخر تفسير «سورة المجادلة» والله الحمد]

(١) كنا ، ولم تقع لنا ترجمة «الديال بن عباد» هذا .

(٢) الأخفياء : جمع خفي ، وهو المعتزل عن الناس ، الذي يخفي عليهم مكانه .

(٣) أي : لم يلتفت أحد إلى معرفة ساهم ومكانهم ، ولا ينظر أحد إلى أنهم أحياء أو أموات .

(٤) أي : إلى المجالس والأموال المهمة .

(٥) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن ، باب «من قرخى له السلامة من الفتن» ، الحديث ٣٩٨٩ ، ٢ / ١٣٢٥ - ١٣٢١ .

عن عمر بن الخطاب .

تفسير سورة الحشر

وهي مدنية

قال سعيد بن منصور : حدثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : سورة الحشر؟ قال : أنزلت في بني النضير .

ورواه البخاري ومسلم من وجه آخر ، عن هشيم ، به . ورواه البخاري من حديث أبي هوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : سورة الحشر؟ قال [قل] : سورة النضير (١) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنَانِ مِنْ دِينِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاخْتَرُوا بِنَازِلِ الْأَنْبِيَاءِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْخِلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقَرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْبَةٍ أَوْ نَرْتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْمُفْسِقِينَ ﴿٥﴾

يُخْرِجُ تَعَالَى أَنْ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ يَسْبِحُ لَهُ بِمَجْدِهِ وَيُقَدِّسُهُ ، وَيُصَلِّي لَهُ وَيُوحِدُهُ ، كَقَوْلِهِ (تَسْبِحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِحُ بِحَمْدِهِ) (٢) وَقَوْلُهُ : (وَهُوَ الْعَزِيزُ) ، أَيْ : مُنِجُ الْجَنَابِ ، (الْحَكِيمُ) فِي قَدَرِهِ وَشَرَعِهِ .

وقوله : (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنَانِ) ، يَعْنِي : يَهُودَ بَنِي النَّضِيرِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَجَاهِدُ وَالزُّهْرِيُّ ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ . كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ هَادِنَهُمْ وَأَعْطَاهُمْ عَهْدًا وَذَمَّةً عَلَى أَنْ لَا يَمُوتُوا وَلَا يَقَاتِلُوهُ ، فَتَقَضَّوْا الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، فَأَحْلَى اللَّهُ بِهِمْ بِأَسَةِ الَّذِي لَا مَرَدَّ لَهُ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ قَضَاءَهُ الَّذِي لَا يُصَدَّقُ ، فَأَجْلَاهُمْ - النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ حُصُونِهِمْ الْخَصِينَةِ الَّتِي مَا طَمَعَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ ، وَظَنُّوا هُمْ أَنَّهَا مَانِعَتُهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ ، فَمَا أَخْفَى عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَجَاءَهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ بِإِلَهُمْ ، وَسَيَّرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ وَأَجْلَاهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَكَانَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ذَهَبُوا إِلَى أَدْرَعَاتٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَهِيَ أَرْضُ الْحَشْرِ وَالْمَشْرِ ، وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ ذَهَبُوا إِلَى خَيْبَرَ .

(١) البخاري ، تفسير سورة الحشر : ١٨٣٪٦ . ومسلم ، كتاب التفسير ، باب ٥ في سورة براءة والأَنْفَالِ وَالْحَشْرِ ، ٥

وكان قد أترهم منها على أن لم ما حملت إبليس ، فكانوا يخربون ما في بيوتهم من المتنولات التي يمكن أن تحمل معهم ولهذا قال (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا يا أولي الأبصار) ، أي : تفكروا في عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله ، وكذب كتابه ، كيف يحل به من بأسه الخزي له في الدنيا ، مع ما يدخره له في الآخرة من العذاب الأليم .

قال أبو داود : حدثنا محمد بن داود بن سفيان ، حدثنا عبد الزاق ، أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك ، عن رجل من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أبي (١) [ومن] كان معه بعد [معه] (٢) الأوثان من الأوس والخزرج ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومئذ بالمدينة قبل وقعة بدر : إنكم آوئتم صاحبنا ، وإنا نقسم بالله لنقاتلنه ، أو لنخرجنه (٣) : أو لنسيرن إليكم بأجمعنا ، حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم ، فلما بلغ ذلك عبد (٤) الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الأوثان ، اجتمعوا (٥) لقتال النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - لقيهم فقال : « لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريد أن تكيدوا به أنفسكم ، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم ؟ » فلما سمعوا ذلك من النبي - صلى الله عليه وسلم - فرقوا ، فبلغ ذلك كفار قريش ، فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود : إنكم أهل الحلقة والحصون ، وإنكم لتقاتلن مع صاحبنا أو لتفعلن كذا وكذا ، ولا تحول بيننا وبين خدم (٦) نسائكم شيء - وهي الخلائيل - فلما بلغ كتابهم النبي - صلى الله عليه وسلم - اجتمعت (٧) بنو النضير بالقدير ، فأرسلوا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - اخرج إلينا [في] ثلاثين رجلا من أصحابك وليخرج منا ثلاثون احجرا ، حتى نلتقي بمكان المنتصف (٨) فيسمعوا منك ، فان صدقوك وآمنوا بك آمننا بك ، فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم [بالكتائب (٩)] فحصرهم ، فقال لهم : (إنكم - والله لا تأمنوا عندي إلا بعهد تبعاهموني عليه . فأبوا أن يعطوه عهدا ، فقاتلهم يومهم ذلك ، ثم غدا الغد على بني قريظة بالكتائب ، وترك بني النضير ، ودعاهم إلى أن يعاهدوه ، فعاهدوه ، فانصرف عنهم . وغدا إلى بني النضير بالكتائب فقاتلهم ، حتى نزلوا على الجلاء . فجلت بنو النضير ، واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها ، وكان نخل بني النضير لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - خاصة ، أعطاه الله إياها وحصه بها ، فقال : (وما أفاء الله على رسوله منهم فإا أو جفتم عليه من خيل ولا ركاب) - يقول بغير قتال - فأعطى النبي - صلى الله عليه وسلم - أكثرها للمهاجرين ، قسمها بينهم ، وقسم منها لرجلين من الأنصار وكانا ذوى حاجة ، ولم يقسم من الأنصار غيرهما ، وبيع منها صدقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التي في أيدي بني فاطمة (١٠) .

(١) في المخطوطة : « إلى ابن أم رب » . والمثبت عن سنن أبي داود .

(٢) ما بين القوسين عن سنن أبي داود .

(٣) في المخطوطة : « لنخرجنكم » . والمثبت عن سنن أبي داود .

(٤) في المخطوطة : « بلغ ذلك ولد عبد .. » . والمثبت عن سنن أبي داود .

(٥) في المخطوطة : « احتملوا قتال » . والمثبت عن سنن أبي داود .

(٦) الخدم - بفتح الحاء والذال - واحدة : خدمة ، وهي الخلائيل .

(٧) في المخطوطة : « أيقنت بنو النضير » . والمثبت عن سنن أبي داود .

(٨) المنتصف : الموضع الوسط بين الموضعين .

(٩) ما بين القوسين عن سنن أبي داود .

(١٠) سنن أبي داود ، كتاب الخراج والإمارة ، باب : في خبر بني النضير .

ولنذكر ملخص غزوة بني النضير على وجه الاختصار ، وبالله المستعان :

وكان سبب ذلك فيما ذكره أصحاب المغازي والسير : أنه لما قُتِل أصحابُ بدر معونة ، من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكانوا سبعين ، وأُقتل منهم عمرو بن أمية الضمري ، فلما كان في أثناء الطريق راجعاً إلى المدينة - قتل رجلين من بني عامر ، وكان معهما عهد من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمان لم يعلم به عمرو ، فلما رجع أخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لقد قتل رجلين ، لأدينتهما » . وكان بنو بني النضير وبني عامر حلف وعهد ، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بني النضير يستعينهم في دية ذبكت الرجلين ، وكانت منازل بني النضير ظاهر المدينة على أميال منها شرقها .

قال محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه السيرة : ثم خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بني النضير يستعينهم في دية ذبكت القتيلين من بني عامر ، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري ، للجوار الذي كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عقد لهما ، فيما حدثني يزيد بن رمان ، وكان بين بني النضير وبني عامر عهد وحلف . فلما أتاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يستعينهم في دية ذبكت القتيلين قالوا : نعم ، يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببت ، مما استعنت بنا عليه : ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم - فمَن رجل يعلو على هذا البيت ، فيلقى عليه صخرة ، فيرى منا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم ، فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلى عليه صخرة كما قال ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم . فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة ، فلما استلبث النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه قاموا في طلبه ، فلحقوا رجلاً مقبلاً من المدينة ، فسألوه عنه ، فقال : رأيته داخل المدينة . فأقبل أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى انتهوا إليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالتهيب خوهم والمسير إليهم . ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقطع النخل والتحريق فيها ، فنادوه : أن يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعته ، فما بالك قطع النخل وتحريقها ؟

وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج ، منهم عبد الله بن أبي سؤل ، ووديعه ، ومالك بن أبي قوقل ، وسويد وداعس ، قد بعثوا إلى بني النضير : أن اثبتوا وتمسكوا فإننا لن نسلمكم ، إن قوتكم قائلنا معكم ، وإن أخرجتم حاربنا معكم فربصوا ذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وتذف الله في قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يجلبهم ويكف عن دماهم ، على أن لم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الخلقة ، ففعل ، فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف (١) بابه ، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به . فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ، وخذلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لرسول الله خاصة يضعها حيث يشاء ، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار . إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة سماك بن خريشة ذكرا فقرا ، فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) في المخطوطة « نجاف » والنجاف - بوزن كتابت - المتهمة التي بأعلى الجاهات . انظر سير قاتن هشام ، وتفسير الطبري : ٢٨٠/٢١٠ .

قال : ولم يسلم من بني النضير إلا رجلا : يامين بن عَمِير (١) بن كعب بن عمرو بن جحاش ، وأبو سعد بن وهب أسلما على أموالهما فأحرزاهما .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض آل يامين : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال ليامين : « ألم تر ما لقيتُ من ابن عمك ، وما هم به من شأني » . فجعل يامين بن عَمِير لرجل جَعِيل على أن يقتل عمرو بن جحاش ، فقتله فيما يزعمون .

قال ابن إسحاق : ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها (٢) .

وهكذا روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، بنحو ما تقدم .

فقوله : (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) ، يعني بني النضير ، (من ديارهم لأول الحشر) .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن أبي سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : من شك في أن أرض الحشر هاهنا - يعني الشام فليستل هذه الآية : (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر) ، قال لم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اخرجوا » . قالوا : إلى أين ؟ قال : « إلى أرض الحشر » .

وحدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن الحسن قال : لما أجلي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بني النضير ، قال : « هذا أول الحشر ، وأنا على الأثر » .

ورواه ابن جرير ، عن بنادر ، عن ابن أبي عدي ، عن عوف ، عن الحسن ، به (٣) .

وقوله : (ما ظننتم أن يخرجوا) أي : في مدة حصاركم لهم وقصرها ، وكانت ستة أيام ، مع شدة حصونهم ومنعتها ؛ ولهذا قال : (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأنهم الله من حيث لم يحتسبوا) ، أي : جاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في باك ، كما قال في الآية الأخرى : (قد مكر الذين من قبلهم ، فأتى الله بنيانهم من القواعد ، فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) (٤) .

وقوله : (وقذف في قلوبهم الرعب) ، أي : الخوف والهلع والجزع ، وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصرهم الذي نُصِرَ بالرب مسيرة شهر ، صلوات الله وسلامه عليه .

وقوله : (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) ، قد تقدم تفسير ابن إسحاق لذلك ، وهو نقض ما استحسنته من سفوفهم وأبوابهم ، وتحملها على الإبل . وكذا قال عروة بن الزبير ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغير واحد .

(١) في المخطوطة : « بن عمرو » . والمثبت من سيرة ابن هشام ، وأسد الغابة لابن الأثير ، ترجمة يامين بن يامين : ٤٦٨/٥ ، والاصطيح لأبي عمر : ١٥٨٩/٤ .
(٢) سيرة ابن هشام : ١٩٠/٢ - ١٩٢ .
(٣) تفسير الطبري : ٢٨/٢٠ .
(٤) سورة للنحل : آية ٢٦ .

وقال مقاتل بن حيان : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقاتلهم ، فاذا ظهر على دروب أو دار ، هدم حيطانها ليتسع المكان للقتال . وكان اليهود إذا عكروا مكاناً أو غلبوا على دروب أو دار ، نقبوا من أديارها ثم حصنوها ودربوها (١) ، يقول الله تعالى : (فاعتبروا يا أولي الأبصار) .

وقوله : (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا) ، أي : لولا أن كتب الله عليهم هذا الجلاء ، وهو النقي من حيارهم وأموالهم ، لكان لهم عند الله عذاب آخر من القتل والسبي . ونحو ذلك ، قاله الزهري ، عن عروة ، والسدي وابن زيد ، لأن الله قد كتب عليهم أنه سيعذبهم في الدار الدنيا مع ما أهد لهم في الآخرة من العذاب في نار جهنم .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن صالح - كاتب الليث - حدثني الليث ، عن عقيل عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير قال : ثم كانت وقعة بني النضير ، وهم طائفة من اليهود ، على رأس ستة أشهر من وقعة بدر ، وكان مترطماً بناحية من المدينة ، فحاصروهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى نزلوا على الجلاء ، وأن لهم ما أقلت (٢) الإبل من الأموال والأمتعة إلا الحلقة ، وهي السلاح ، فأجلاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبيل الشام . قال : والجلاء أنه كتب عليهم في آي من التوراة ، وكانوا من سبطهم يصعبهم الجلاء قبل ما سلط عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنزل الله فيهم : (سبح لله ما في السموات وما في الأرض) ، إلى قوله : (وليخزي الفاسقين) .

وقال عكرمة : الجلاء : القتل . وفي رواية عنه : القضاء .

وقال قتادة : الجلاء : خروج الناس من البلد إلى البلد .

وقال الضحاك : أجلاهم إلى الشام ، وأعطى كل ثلاثة بعيراً وسقاء ، فهذا الجلاء .

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أحمد بن كامل القاضي ، حدثنا محمد بن سعيد العوفي ، حدثني أبي ، عن عبي ، حدثني أبي عن جدي ، عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حاصروهم حتى بلغ منهم كل مبلغ ، فأعطوه ما أراد منهم ، فصاحوهم على أن يحقن لهم دماءهم ، وأن يخرجهم من أرضهم ومن ديارهم وأوطانهم ، وأن يسيرهم إلى أذرعات الشام ، وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاء ، والجلاء إخراجهم من أرضهم إلى أرض أخرى (٣) .

وروي أيضاً من حديث يعقوب بن محمد الزهري ، عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن مسلمة ، عن أبيه ، عن جده ، عن محمد بن مسلمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى بني النضير ، وأمره أن يوجدهم في الجلاء ثلاث ليال .

وقوله : (ولهم في الآخرة عذاب النار) ، أي : حتم لازم لا بد لهم منه .

وقوله : (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) ، أي : إنما فعل الله بهم ذلك وسلط عليهم رسوله وعباده المؤمنين ، لأنهم خالفوا الله ورسوله ، وكذبوا بما أنزل الله على رسله المتقدمين في البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم . ثم قال : (ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب) .

(١) في المخطوطة : « ودربوها » . والمثبت عن اندر المنثور ، والطبقات السابقة ، ولعل معنى « ودربوها » : جعلوا ها

دربوها ، وهي الطرق .

(٢) أي : حملت .

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل ، النظر اندر المنثور ، ١٩١/٦ .

وقوله تعالى : (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ، وليخزي الفاسقين) ، اللين : نوع من التمر ، وهو جيد .

قال أبو حبيدة : وهو ما خالف العجوة والبرقي من التمر (١) .

وقال كثيرون من المفسرين : اللينة : ألوان التمر سوى العجوة .

قال ابن جرير : هو جميع النخل (٢) . ونقله عن مجاهد : وهو البويرة (٣) أيضاً ؛ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم ، وإرهاقاً وإرعاباً لقلوبهم . فروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان أنهم قالوا : [فبعث بنو النضير] (٤) يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك تنهى عن الفساد ، فما بالك تأمر بقطع الأشجار ؟ فأنزله الله هذه الآية الكريمة ، أي : ما قطعتم وما تركتم من الأشجار فالجميع بإذن الله ومشيتته وقلوبه ورضاه ، وفيه نكاية العدو ، وخزي لهم ، وإرغام لأنوفهم .

وقال مجاهد : نهي بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل ، وقالوا : إنما هي مغنم المسلمين . فنزل القرآن بتصديق من نهي عن قطعه ، وتحليل من قطعه من الإثم ، وإنما قطعه وتركه بإذنه .

وقد روى نحو هذا مرفوعاً ، فقال النسائي : أخبرنا الحسن بن محمد ، عن حفان ، حدثنا حفص بن غياث ، حدثنا حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله : (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين) ، قال : يستنزلونهم من حصونهم وأمرؤا بقطع النخل ، فحاك في صدورهم ، يقال اسلمون قطعنا بعضاً وتركنا بعضاً ، فلنسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل لنا فيما قطعنا من أجر ؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر ؟ فأنزله الله : (ما قطعتم من لينة) .

وقال الخافظ أبو يعلى في مسنده : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا حفص ، عن ابن جريج ، عن سليمان بن موسى ، عن جابر - وعن أبي الزبير ، عن جابر - قال : رخص لهم في قطع النخل ، ثم شدد عليهم ، فأثوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ، علينا إثم فيما قطعنا ؟ أو علينا وزر فيما تركنا ؟ فأنزله الله عز وجل : (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قطع نخل بني النضير وحرق (٥) .

(١) لفظ أبي حبيدة كما في مجاز القرآن ٢/٢٥٦ : (ما قطعتم من لينة) ، أي : من نخلة ، وهي ألوان النخل ما لم تكن العجوة أو البرقي ، إلا أن الواو ذهبت كسرة اللام .

(٢) تفسير الطبري : ٢٨/٢٢ . ولكن الطبري قال بعد ذلك : ٢٨/٢٣ : « والصواب من القول في ذلك قول من قال : اللينة : النخلة ، وهي من ألوان النخل ما لم تكن عجوة » .

(٣) البويرة : موضع كان به نخلهم .

(٤) ما بين القوسين مكانه بياض في الأصل . وفي الطبقات السابقة : « فبعث بنو قريظة » ، ولا شك أنه تصحيف . انظر

تفسير الطبري : ٢٨/٢٣ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٧/٢ - ٨ .

وأخرجه صاحبها الصحيح من رواية موسى بن عقبة ، بنحوه ، ولنظ البخاري من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : حاربت النضير وقريظة ، فأجلى بني النضير وأقر قريظة ومنّ عليهم حتى حاربت قريظة فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأمواهم بين المسلمين ، إلا بعضهم لحقوا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - فأمنهم وأسلموا ، وأجلى يهود المدينة كلهم بني قينقاع ، وهم رهط عبد الله بن سلام ، ويهود بني حارثة ، وكل يهود بالمدينة (١) .

ولهما أيضاً عن قتبية ، عن الليث بن سعد ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرّق نخل بني النضير وقطع - وهي البؤيرة - فأنزل الله عز وجل فيه : (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها ، فإذن الله ، وليخزي الفاسقين) (٢) .

وللبخاري - رحمه الله - من رواية جويرية بن أسماء عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حرّق نخل بني النضير (٣) ولما يقول حسان [بن ثابت] رضي الله عنه :

وَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ حَرِيقٌ بِالْبُؤَيْرَةِ مُحْتَطِرٌ (٤)

فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول :

أَدَامَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ صَبْعٍ وَحَرَّقَ فِي تَوَاحِيهَا السَّعِيرِ
صَتَلَمَ ابْنًا مِنْهَا بِنَزْوِهِ (٥) وَتَعَلَّمُ أَيُّ أَرْضَيْنَا نَضِيرِ (٦)

كذا رواه البخاري ، ولم يذكره ابن إسحاق (٧) .

وقال محمد بن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر إجلاله بني النضير وقتل ابن الأشرف :

لَقَدْ خَرَبْتَ بَعْدَ رَتَبَتِهَا الْحُبُورَ (٨) كَذَلِكَ الدَّهْرُ ذُو صِرْفٍ يَتَدَوَّرُ

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِرَبِّ عَظِيمِ أَمْرُهُ أَمْرٌ كَثِيرٌ

وَقَدْ أَوْتُوا مَعًا فَهَمَا وَعِلْمَا وَجَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ النَّذِيرُ

فَنَذِيرٌ صَادِقٌ أَدَّى كِتَابَا وَآيَاتٍ مُبِينَةً تَنْبِيرُ

فَقَالَ : مَا أَتَيْتُ بِأَمْرٍ صَادِقٍ وَأَنْتَ بِمَكْرٍ مِنْهَا جَدِيرٌ

(١) البخاري ، كتاب المغازي ، باب « حديث بني النضير » : ١١٢/٥ . ومسلم ، كتاب الجهاد ، باب « جواز قطع

أشجار الكفار وتحريقها » : ١٤٥/٥ .

(٢) البخاري ومسلم في الكتاب والباب المتضمنين ، انظر مسلم : ١٤٥/٥ ، والبخاري : ١١٢/٥ .

(٣) في المخطوطة : « نخل بني النضير ، وقطع البؤيرة » . وقوله : « وقطع البؤيرة » غير ثابت في البخاري ، ويبدو أنه

صحر من الناسخ ، وأنه أخذه من الرواية السابقة قبل هذه .

(٤) البيت في ديوان حسان ، طبع بيروت : ١١٥ . وسيرة ابن هشام .

(٥) النزاهة - يضم فسكون - : البعد .

(٦) البخاري ، كتاب المغازي ، باب « حديث بني النضير » ومخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم : ١١٢/٥ .

(٧) الأبيات في سيرة ابن هشام : ٢٧٢/٢ .

(٨) الحُبُور : جمع حبر ، وهو العالم ، أو أجدم علماء اليهود .

فَقَالَ : بَلَى ، لَقَدْ أُدِيتُ حَقًّا بَصَدَقْتَنِي بِهِ النَّهْمُ الْخَبِيرُ
 فَمَنْ يَتَّبِعُهُ يَهْدَى لِكُلِّ رُشْدٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ يُجْزَى الْكُفُورُ
 فَلَمَّا أَشْرَبُوا غَدْرًا وَكُفْرًا وَجَدَتْ بِهِمُ عَنَ الْحَقِّ النَّفُورُ
 أَرَى اللَّهَ النَّبِيَّ بِرَأْيِ صَدَقٍ وَكَانَ اللَّهُ بِحَكْمِهِ لَا يَجُورُ
 فَأَيَّدَهُ وَسَلَّطَهُ عَلَيْهِمُ وَكَانَ نَصِيرُهُ نَعْمُ النَّصِيرُ
 فَعُودَرُ مِنْهُمْ كَعَبٍ صَرِيحًا فَدَلَّتْ بَعْدَ مَضْرَعِهِ النَّصِيرُ
 عَلَى الْكُفَّيْنِ ثُمَّ وَقَدُ عَلَنَتُهُ بِأَيْدِينَا مُشَهَّرَةٌ ذِكُورُ (١)
 بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلًا إِلَى كَعَبٍ أَخَا كَعَبٍ يَسِيرُ
 فَمَا كَرِهَ فَأَنْزَلَهُ بِمَكْرٍ وَبِحَمْدِ أَخِي ثِقَةَ جَسُورُ
 فَتَنَّاكَ بِتَوِ النَّصِيرِ بِنَارِ سَوْءِ أَبَارَهُمْ بِمَا اجْتَرَمُوا (٢) الْمُبِيرُ
 غَدَاةَ أَنَاهُمْ فِي الرَّحْفِ رَهْوًا (٣) رَسُولُ اللَّهِ، وَهُوَ بِهِمْ (٤) بِصِيرُ
 وَخَسَّانُ الْحِمَاةُ مُوَلِّزُوهُ عَلَيَّ الْأَعْدَاءُ، وَهُوَ لَهُمْ وَزِيرُ
 فَتَنَّاكَ : السَّلْمُ ، وَيَحْكُمُ فَصَدَّوْا . وَحَالَفَ أَمْرَهُمْ كَذِبٌ وَزُورُ
 فَدَاؤُوا غَيْبَ أَمْرِهِمْ دَبَالًا (٥) لِكُلِّ ثَلَاثَةِ مِنْهُمْ يَعْجِرُ
 وَأَجْلَوْا عَامِدِينَ لِقَيْنُقَاعٍ وَغُودَرِ مِنْهُمْ نَخْلٌ وَدُورُ (٦)

قال : وكان مما قيل من الأشعار في بني النضير قول ابن لُقَيْمِ العَبْسِيِّ - ويقال : قالها قيس بن بحر بن طريف :

قال ابن هشام : الأشجعي - :

أهلي فدأه لا مريه غير هالك أحل اليهود بالحسي (٧) الموترم

(١) مشهورة ذكور : سيوف مسلولة من أغمادها ، وذكور : جمع ذكر - بفتحين - : وهو القوى الصلب .

(٢) أي : اكتسبوا .

(٣) يقال : « جهات الخيل والإبل رهوا » : أي ساكنة ، وقيل : متتابعة .

(٤) في المخطوطة : « وهو لم نصير » . والمثبت عن سيرة ابن هشام .

(٥) كذا في مخطوطة الأزهري : « دبالا » . وفي سيرة ابن هشام : « وبالا » ، بالواو . والدبال - بفتح الدال - كما يقول

ابن الأعرابي - : التفاريات : وعليه في « دبال » مناسبة سياق .

(٦) سيرة ابن هشام : ١٩٩/٢ - ٢٠٠ .

(٧) قال السهيلي في الروض الأنف ١٧٧/٢ : « يريد أهلهم بأرض غربة وفي غير عشائرهم . والزرهم والمزهم : الرجل

يكون في القوم وليس منهم ، أي : أنزهم بمنزلة الحسي ، أي : المبعذ الطريد . وإنما جعل الطريد الدليل حسيًا ؛ لأنه مرضعة الأكل .

والحسي والحسو : ما يحسى من الطعام حسوا ؛ أي : أنه لا يمتنع على أكل . ويجوز أن يريد بالحسي معنى للفني من الغنم ، وهو

الصغير الضعيف الذي لا يستطيع الرعي ... وقد أكثر التثنية عن (الحسي) في مكانه من اللغة ، فلم أجد نصاً شافياً أكثر من قول

أبي هلبي : الحسية والحسي : ما يحسى من الطعام ، وإذا قد وجدنا الفنى واحد فغذاء الغنم ، فالحسي في معناه غير متنع أن يقال :

والله أعلم .

والمزهم أيضاً : « صفار الإبل » .

يَتَمِيلُونَ فِي جَمْرٍ أَلْفَضَاةٍ (١) وَيُدْأَلُوا
 فَإِنْ يَكَ زُظَى صَادِقًا بِمُحَمَّدٍ
 يَوْمَ بِهَا عَمْرُوبِينَ بُؤْثَةً ، إِنَّهُمْ
 هَلِيهِنَّ أَبْطَالٌ مُسَاعِرٌ (٥) فِي الْوَعَى
 وَكُلَّ وَتَقِيْقِ الشَّقَرَتَيْنِ مُهَنْدٍ
 فَمَنْ مَبْلَغُ عَنَى قُرَيْشًا رَسَالَةً
 بِأَنْ أَخَاكُمْ فَاعْلَمَنَّ مُحَمَّدًا
 قَدِ ابْنُوا لَهُ بِالْحَقِّ تَجَسُّمٌ أُمُورُكُمْ
 نَبِي تَلَا فْتَهُ (٧) مِنْ اللَّهِ رَحْمَةً
 فَقَدَّ كَانَ فِي يَدِ رُفَعَةَ بِنْتِ حَيْبَةَ
 خَدَاةً أَتَى فِي الْخَزْرَجِيَّةِ عَامِدًا
 مُعَانًا بِرُوحِ الْقُدْسِ مِنْ يَشْكِي (٨) عَدُوهُ
 وَسُؤْلًا مِنْ الرَّحْمَنِ يَتَلَوُ كِتَابَهُ
 أَرَى أَمْرَهُ يُزْدَادُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ

أَهْيَضِبَ (٢) عَوْدًا بِالْوَدِيِّ الْمَكْمَمِ (٣)
 يَمُرُّوا خَيْلَهُ بَيْنَ الصَّلَا وَيَرْمَرُمَ (٤)
 عَدُوًّا ، وَوَأَحَى صَدِيقٍ كَمُجْرَمٍ
 يَهْزُونَ أَطْرَافَ الْوَشِيحِ (٦) الْمَقْتُومِ
 تُوَوِّرُنَّ مِنْ أَرْزَامَانِ عَادٍ وَجَرُّهُمْ
 فَهَلْ بَعْدَهُمْ فِي التَّجْدِ مِنْ مُتَكْرَمٍ
 تَكْلِيدُ النَّدَى بَيْنَ الْحَجَّوْنَ وَزَمْرَمِ
 وَتَسْمُرًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ مَعْظَمِ
 وَلَا تَسْأَلُوهُ أَمْرًا غَيْبٍ مَرْجَمِ
 لَكُمْ بِاقْرَيْشِ وَالْقَلْبِ الْمَلْتَمِ
 إِلَيْكُمْ مُطِيعًا لِلْعَظِيمِ الْمَكْرَمِ
 وَسُؤْلًا مِنَ الرَّحْمَنِ حَقًّا بِمَعْلَمِ (٩)
 فَلَمَّا أَنَارَ الْحَقُّ لَمْ يَتَلَعَّمِ
 عَلُوًّا لِأَمْرٍ رَحْمَةً (١٠) اللَّهُ مُحْكَمٌ (١١)

وقد أورد ابن إسحاق - رحمه الله - هاهنا أشعاراً كثيرة ، فيها آداب ومواعظ وحكم ، وتفصيل للقصة ، تركنا
 بأقربها اختصاراً واكتفاء بما ذكرناه ، والله الحمد والمنة .

قال ابن إسحاق : كانت وقعة بني النضير [بعد وقعة أحد وبعد بئر معونة . وحكى البخاري ، عن الزهري ، عن
 حروة أنه قال : كانت وقعة بني النضير [بعد بدر بستة أشهر (١٢) .

- (١) الفضاة : واحدة الفضي ، وهو شجر .
 (٢) كذا في المخطوطة : « عوداً » ، وفي سيرة ابن هشام : « عودى » . وقال أبو ذر في شرح السيرة « فودى » .
 اسم موضع .
 (٣) الودي : صغار النخل . والمكّم : الذي خرج طلعه .
 (٤) الصلا ويرمّم : موضعان .
 (٥) المساعير : الذين يسعون الحرب ويثرونها .
 (٦) الوشيح : الرماح .
 (٧) أي : تداركته .
 (٨) نكح عدوه : أصاب منته .
 (٩) المعلم : الموضع المرتفع المشرف .
 (١٠) أي : قدره .
 (١١) سيرة ابن هشام : ١٩٥/٢ - ١٩٦ .
 (١٢) البخاري ، كتاب المغازي ، باب « حديث بني النضير » ، وشرح رسول الله - صل الله عليه وسلم - إليهم في دية
 للرحماني : ١١٢/٥٥ .

وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا هِيَ إِلَّا ذُرِّيَّتُكُمْ وَمَا فِيهَا لَكُمْ مِنْ حَقٍّ
فَأَنْتُمْ بِهَا مُتَّبَعُونَ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خِزْيَانًا مَخْفِيًّا ﴿٥٢﴾

يقول تعالى مبينا مال النبي ، وما صفته ؟ وما حكمه ؟ قالوا : كل مال أخذ من الكفار بغير قتال ولا إيجاب خيل
ولا ركاب ، كأموال بني النضير هذه ، فإنها لما لم يوجب المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، أي : لم يقاتلوا الأعداء فيها
بالمبارزة والمصاولة ، بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأفاهه
الله على رسوله ، ولهذا تصرف فيه كما شاء ، فرده على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله - عز وجل -
في هذه الآيات ، فقال : (وما آفاه الله على رسوله منهم) ، أي : من بني النضير ، (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) ،
يعني : الإبل ، (ولكن الله يسلبه رسوله على من يشاء ، والله على كل شيء قدير) ، أي : هو قدير لا يغالب ولا يمانع ،
بل هو القاهر لكل شيء .

ثم قال : (ما آفاه الله على رسوله من أهل القرى) ، أي : جميع البلدان التي تفتح هكذا ، فحكمها حكم أموال بني
النضير . ولهذا قال : (فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين) ، إلى آخرها والتي بعدها . فهذه مصارف أموال
النبي ووجوهه .

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن عمرو ومعمر ، عن الزهري ، عن مالك بن أوس بن الحذافان ، عن عمرو
- رضي الله عنه - قال : كانت أموال بني النضير مما آفاه الله على رسوله مما لم يوجب المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ،
فكانت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - خالصة ، فكان ينفق على أهله منها نفقة ستة - وقال مرة : قوت ستة -
وما بقي جعله في الكراع والسلاح في سبيل الله عز وجل (١) :

هكذا أخرجه أحمد هاهنا مختصرا ، وقد أخرجه الجماعة في كتبهم - إلا ابن ماجه - من حديث سفيان ، عن عمرو
ابن دينار ، عن الزهري ، به (٢) . وقد رويناه مطولا فقال أبو داود رحمه الله :

(١) مستند الإمام أحمد : ٢٥/١ ، ٤٨ .

(٢) البخاري ، كتاب الجهاد ، الجزء من يتبرع بترس صاحبه : ٤٦/٤ . ومسلم ، كتاب الجهاد ، باب « حكم النهي » :
١٥١/٥ . والنسائي ، كتاب قسم النهي : ١٣٢/٧ . ومختصر الأخرشي . أبواب الجهاد ، باب « ما جاء في النهي » ، الحديث
١٧٧٣ : ٣٨١/٥ - ٣٨٢ . وسنن أبي داود ، كتاب الخراج والإمارة ، باب « في صفات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من
الأموال » .

حدثنا الحسن بن علي وعمد بن يحيى بن فارس - المعنى واحد - قالوا : حدثنا بشر بن عمير الزهراني ، حدثني مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن مالك بن أوس قال : أرسل إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين تعالى النهار ، فجيئته فوجدته جالسا على سرير مفضيا إلى رماله (١) ، فقال حين دخلت عليه : يا مال ، إنه قد دفن (٢) أهل أبيات من قومك ، وقد أمرت فيهم بشيء ، فاقسم فيهم . قلت : لو أمرت غيري بذلك ؟ فقال : خذ . فجاءه يرفا (٣) فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك في عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ؟ فقال : نعم . فأذن لهم فدخلوا ، ثم جاءه يرفا فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك في العباس وعلى ؟ قال : نعم . فأذن لهم فدخلوا ، فقال العباس : يا أمير المؤمنين ، اقض بيني وبين هذا - يعني عليا - فقال بعضهم : أجل يا أمير المؤمنين ، اقض بينهما وأرحهما . قال مالك بن أوس : خيّل إلى أنهما قد ما أولئك النفر لذلك . فقال عمر - رضي الله عنه - : اتلوا . ثم أقبل على أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » . قالوا : نعم . ثم أقبل على علي والعباس فقال : أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض ، [هل] تعلمان أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » . فقالا : نعم . فقال : فإن الله خصّ رسوله بخاصة لم يخص بها أحدا من الناس ، فقال : (وما أفاء الله على رسوله منهم ، فما أوجنتم عليه من خيل ولا ركاب ، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء ، والله على كل شيء قدير) . فكان الله أفاء على رسوله أموال بني النضير ، فوالله ما استأثر بها عليكم ولا أحرزها دونكم (٤) ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منها نفقة سنة - أو : نفقته ونفقة أهله سنة - ويجعل ما بقي أسوة (٥) المال . ثم أقبل على أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض : هل تعلمون ذلك ؟ قالوا : نعم . ثم أقبل على علي والعباس فقال : أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض : هل تعلمان ذلك ؟ قالوا : نعم . فلما توفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال أبو بكر : « أنا ولي رسول الله » ، فجيئت أنت وهذا إلى أبي بكر ، تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك ، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها ، فقال أبو بكر - رضي الله عنه - : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا نورث ، ما تركنا صدقة » . والله يعلم إنه لصادق بار راشد تابع للحق . فوليتها أبو بكر ، فلما توفى قلت : أنا ولي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وولي أبي بكر ، فوليتها ما شاء الله أن أليها ، فجيئت أنت وهذا ، وأنتما جميع وأمركما واحد ، فسألتهما ، فقلت : إن شئنا فأنا أذفعا إليكما على أن عليكما عهد الله أن تليها بالذي كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يابها ، فأخذتماها مني على ذلك ، ثم جيئتا لأقضي بينكما بغير ذلك . والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة ، فإن حجرتما عنها فرددّاها إلى .

(١) أي : موصلا جسده إلى رماله . ورمال السرير : ما ينسج في وجهه بالسعف .

(٢) أي : جاءوا مسرعين .

(٣) يرفا : غلام لعمر رضي الله عنه .

(٤) كذا في المخطوطة ، وفي سنن أبي داود ومسلم : « ولا أخذها » .

(٥) أي : بحيث لا يتفرد به أحد .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب الحراج والإمارة ، باب « في صفايا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الأموال » .

أخرجه من حديث الزهري (١) به : وقال الإمام أحمد :

حدثنا عارم وعفان قالا : حدثنا معتمر : سمعت أبي يقول : حدثنا أنس بن مالك ، عن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - أن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات ، أو كما شاء الله ، حتى فتمت عليه قريظة والنضير . قال : فجعل يردّ بعد ذلك ، قال : وإن أهلي أمروني أن آتي النبي - صلى الله عليه وسلم - فأسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه ، وكان نبي الله - صلى الله عليه وسلم - قد أعطاه أمّ أيمن ، أو كما شاء الله ، قال : فسألت النبي - صلى الله عليه وسلم - فأعطانيهن ، فجاءت أمّ أيمن فجعلت الثوب في عنق وجعلت تقول : كلا ، والله الذي لا إله إلا هو لا يعطيكمهنّ وقد أعطانيهن ، أو كما قالت ، فقال نبي الله : « لك كذا وكذا » . قال : وتقول : كلا ، والله . قال : ويقول : « لك كذا وكذا » . قال : وتقول : كلا والله . قال : « يقول : لك كذا وكذا » . قال : حتى أعطاه ، حسب أنه قال : عشرة أمثاله أو قال قريبا من عشرة أمثاله ، أو كما قال (٢) .

رواه البخاري ومسلم من طريق عن معتمر ، به (٣) .

وهذه المصارف المذكورة في هذه الآية هي المصارف المذكورة في خمس الغنيمية . وقد قدمنا الكلام عليها في «سورة الأنفال» بما أغنى عن إعادته هاهنا ، والله الحمد .

وقوله : (كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) ، أي : جعلنا هذه المصارف لمال النبي لتلايق مأكلة يتغلب عليها الأغنياء ويصرفون فيها ، بمحض الشهوات والآراء ، ولا يصرفون منه شيئا إلى الفقراء .

وقوله : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ، أي : مهما أمركم به فافعلوه ، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه ، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا يحيى بن أبي طالب ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن العوفي ، عن يحيى بن الجزار ، عن مسروق قال : جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت : بلغني أنك تنهى عن الواشمة والواصلة (٤) ، أشيء وجدته في كتاب الله أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : بلى ، شيء وجدته في كتاب الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : والله لقد تصفحت ما بين ذقني المصحف فما وجدت الذي تقول ! . قال : فما وجدت فيه : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ؟ قالت : بلى . قال : فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم -

(١) البخاري ، كتاب الخمس : ٩٦/٤ - ٩٨ . ومسلم ، كتاب الجهاد ، باب « حكم النبي » : ١٥١/٥ - ١٥٣ . والنسائي ، كتاب قسم النبي : ١٣٦/٧ - ١٣٧ . وتحفة الأحوذى ، أبواب السير ، باب « ما جاء في تركة النبي - صلى الله عليه وسلم - » ، الحديث ١٦٥٩ : ٢٣٣/٥ - ٢٣٥ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢١٩/٢ .

(٣) البخاري ، كتاب الخمس ، باب « كيف قسم النبي - صلى الله عليه وسلم - قريظة والنضير » : ١٠٦/٢ . وكتاب المغازي ، باب « حديث بني النضير ومخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم في دية الرجلين ... » : ١١٣/٥ . ومسلم ، كتاب الجهاد ، باب « رد المهاجرين إلى الأنصار متأخمين من الشجر والتمر ، حين استغنوا عنها بالفتوح » : ١٦٣/٥ .

(٤) في الأصل توصل شعرها بشعر غيرها زورا وكذبا .

ينهى عن الواصلة والواشمة والنامصة (١) . قالت : فلعله في بعض أهلك : قال : فادخل فانظري : فدخلك [فنتظرت] ثم خرجت ، قالت : ما رأيتُ بأساً . فقال لها : أما حفظت وصية العبد الصالح : (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن منصور ، [عن إبراهيم] (٣) ، عن علقمة ، عن عبد الله -- هو ابن مسعود -- قال : لعن الله الواشمت والمستوشمت ، والمتنمصات ، والمتفكجات (٤) للحسن ، المغيرات خلق الله عز وجل . قال : فبلغ امرأة في البيت يقال لها « أم يعقوب » ، فجاءت إليه فقالت : بلغني أنك قلت كيت وكيت قال : مالي لا ألين من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي كتاب الله : فقالت : إني لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته . فقال : إن كنت قرأته فقد وجدته . أما قرأت : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ؟ قالت : بلى . قال : فإن النبي -- صلى الله عليه وسلم -- نهي عنه . قالت : لأظن أهلك يفعلونه . قال : اذهبي فانظري . فذهبت فلم تر من حاجتها شيئاً ، فجاءت فقالت : ما رأيتُ شيئاً . قال : كانت كذلك لم تُجَامِعْنَا (٥) .

أخرجاه في الصحيحين ، من حديث سفيان الثوري (٦) .

وقد ثبت في الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله -- صلى الله عليه وسلم -- قال : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه » . (٧)

وقال النسائي : أخبرنا أحمد بن سعيد ، حدثنا يزيد ، حدثنا منصور بن حبان ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عمر ، وابن عباس : أنهما شهدا على رسول الله -- صلى الله عليه وسلم -- : أنه نهى عن الدُّبَاءِ والحَسْتَمِ والنَّمِيرِ والمزَّقَتِ ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) .

وقوله : (واتقوا الله ، إن الله شديد العقاب) ، أي : اتقوه في امتثال أوامره وترك زواجره ، فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأياه ، وارتكب ما عنه زجره ونهاه .

(١) هي التي تنتف الشعر من وجهها .

(٢) سورة هود : ٨٨ .

(٣) ما بين القوسين عن المسند ، والبخاري ، ومسلم .

(٤) هن اللاتي يباعدن ما بين الثنايا والرابعيات ، بترقيق الأسنان بالبرد .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٤٣٣/١ - ٤٣٤ .

(٦) البخاري ، تفسير سورة الحشر : ١٨٤/٦ . ومسلم ، كتاب اللباس ، باب « تحريم فعل الواصلة ... » :

١٦٦/٦ - ١٦٧ .

(٧) البخاري ، كتاب الاعتصام ، باب « الاقتداء بسنن رسول الله -- صلى الله عليه وسلم -- » : ١١٦/٩ - ١١٧ .

ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب « توقيره -- صلى الله عليه وسلم -- » وتترك لكثرة سؤاله عما لا ضرورة إليه ... : ٩١/٧ .

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٨٥﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ
 وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَعْنَهُ
 فَإِنِّي سَأَلَ اللَّهُ عَنِ الْمُفْلِحِينَ ﴿١٨٦﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ
 وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٧﴾

يقول تعالى مبينًا حال الفقراء المستحقين لما ألقى الله عنهم (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله
 ورضوانا) ، أي : أخرجوا من ديارهم وخالقوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه ، (وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم
 الصادقون) ، أي : هؤلاء الذين صدقوا قولهم بعلهم ، وهؤلاء هم سادات المهاجرين .

ثم قال تعالى مادحا للأَنْصَار ، ومبينًا فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدكم ، وإينارهم مع الحاجة ، فقال :
 (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم) ، أي : سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم .

قال عمر : وأوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ، ويحفظ لهم كرامتهم . وأوصيه بالأَنْصَار
 خيراً الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل ، أن يقبل من محسنهم ، وأن يعفو عن مسيئتهم . رواه البخاري (١) هاهنا
 أيضا .

وقوله : (يحبون من هاجر إليهم) ، أي : من بكرهم وشرف أنفسهم ، يحبون المهاجرين ويواسونهم
 بأموالهم .

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا حميد ، عن أنس قال : قال المهاجرون : يا رسول الله ، ما رأينا مثل قوم
 قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بانلا في كثير ، لقد كرمونا المؤنثة (٢) ، وأشركونا في المنأ (٣) ، حتى
 لقد حسبنا أن يذهبوا بالأجر كله ! قال : ولا ما أتيتكم (٤) عليهم ودعوتهم الله لهم (٥) ، (٦) .

لم أره في الكتب من هذا الوجه (٦) .

(١) البخاري ، تفسير سورة الحشر : ١٨٥/٦ .

(٢) أي : تحمدوا هنا مؤنثة الخدمة في حمارة الدور والتخييل وغيرها .

(٣) المنأ : ما يأتيك بلا تعب . والمعنى : أشركونا في ثمار تخيلهم .

(٤) أي : ما دمتم تدعون لهم بخير ، فإن دعاءكم يقوم بحسناتهم إليكم .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢٥٥/٣ - ٢٥١ - ٢٥٤ .

(٦) أخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة ، من طريق حميد ، عن أنس ، بنحوه . انظر تحفة الأحوذى ، الحديث

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان ، عن يحيى بن سعيد ، سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال : دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - الأنصار أن يقطع لهم البحرين ، قالوا : لا ، إلا أن تقطع لإخواننا [من المهاجرين مثلها . قال : « إما لا (١) ، فاصبروا حتى تلقوني ، فانه سيصيبكم] بعدى (٢) [أثره (٣)] :
تفرد به البخاري من هذا الوجه (٤) :

وقال البخاري : حدثنا الحكم بن نافع ، أخبرنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أنس هروية قال : قالت الأنصار : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل . قال : لا . فقالوا : تكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة ؟ قالوا : سمعنا وأطعنا (٥) . تفرد به دون مسلم .

(ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا) ، أى : ولا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف ، والتقديم في الذكر والرتبة .

قال الحسن البصري : (ولا يجدون في صدورهم حاجة) ، يعنى الحسد (٦) :

(مما أوتوا) قال قتادة : يعنى فيما أعطى إخوانهم . وكذا قال ابن زيد . ومما يستدل به على هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد حيث قال :

حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن أنس قال : كنا جلوساً مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » . فطلع رجل من الأنصار تنطف (٧) لحيته من وضوئه ، قد تعلقت نعليه بيده الشمال فلما كان الغد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان في اليوم الثالث قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثل مقالته أيضاً ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى ، فلما قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال : إني لآحيت (٨) أن فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً ، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي [فعلت] . قال : « نعم » . قال أنس : فكان عبد الله

(١) هذه الكلمة ، وهى : « ما لا » ترد في المحاورات كثيراً ، وقد جاءت في غير موضع من الحديث ، وأصلها « إن » و « ما » و « لا » . فأدغمت النون في الميم ، و « ما » : زائدة في اللفظ لا حكم لها . وقد أمالت العرب « لا » إمالة خفيفة . والمعنى : « إن لم تفعل هذا فليكن هذا » . والمعنى هنا : إن لم تقبلوا أن أقطعكم فاصبروا

(٢) ما بين القوسين عن البخاري .
(٣) الأثره : الإيثار . والمعنى : أنه يستأثر عليكم ، فيفضل غيركم في نصيبه من الثروة .
(٤) البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - للأنصار : « اصبروا حتى تلقوني على الخوي » : ٤٢/٥ .

(٥) البخاري ، كتاب المزارعة ، باب « إذا قال : : أكفى مؤونة النخل أو غيره وتشركني في الثمر » : ١٣٦/٣ .
(٦) تفسير الطبري : ٤٨/٦٨ .
(٧) أى : تقطر .
(٨) لآحيت : فازهت .

يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي ، فلم يره يقوم من الليل شيئاً ، غير أنه إذا تعار^(١) وتقلب على فراشه ، ذكر الله وكبر ، حتى يقوم لصلاة الصبح . قال عبد الله : غير أني لم أسمعهم يقول إلا خيراً ، فلما مضت الثلاث ليل وكادت أن أحترق عمله ، قلت : يا عبد الله ، لم يكن بيني وبين أبي عتب^(٢) ولا هجر^(٣) ، ولكن سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لك ثلاث مرار^(٣) : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » . فطلعت أنت الثلاث المرار^(٣) ، فأردت أن آوى إليك لأنظر ما عملك فأقنتني به ، فلم أرك تعمل كثير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ما هو إلا ما رأيت . فلما وليت دعاني فقال : ما هو إلا ما رأيت ، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه . قال عبد الله : هذه التي بلغت بك وهي^(٤) التي لا تطاق^(٥) .

ورواه النسائي في اليوم واللييلة عن سويد بن نصر ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، به ، وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين ، لكن رواه عقيل وغيره عن الزهري ، عن رجل ، عن أنس ، فإنه أعلم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا) ، يعني مما أوتوا : المهاجرون : قال : وتكلم في أموال بني النضير بعض من تكلم في الأنصار ، فعاتبهم الله في ذلك ، فقال : (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء ، والله على كل شيء قدير) ، قال : وقال رسول الله : « إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم » . فقالوا : أموالنا بيننا قطائع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أو غير ذلك ؟ » . قالوا : وما ذلك يا رسول الله ؟ قال : « هم قوم لا يعرفون العمل ، فتكفونهم وتمسسونهم الثمر » . فقالوا : نعم يا رسول الله^(٦) .

وقوله : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) ، يعني : حاجة ، أي : يقدمون الخاويج على حاجة أنفسهم ، ويبدون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك .

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الصدقة جهده المقل^(٧) » : وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله بقوله : (ويطعمون الطعام على حبه)^(٨) . وقوله : (وآتى المال على حبه)^(٩) ،

(١) في المخطوطة : « تعار تقلب » ، دون واو العطف . والمثبت عن المسند ، وتعار : استيقظ .

(٢) في المخطوطة : « ولا هجرة » . والمثبت عن المسند .

(٣) في المخطوطة : « مرات » . والمثبت عن المسند ، ويبدو أنها في المخطوطة كذلك ثم أحال الناسخ الراد تام والمرار : يجمع مرة .

(٤) في المسند : « وهي التي لا تطيق » .

(٥) مسند الإمام أحمد : ١٦٦/٣ .

(٦) تفسير الطبري : ٢٨/٢٨ .

(٧) سنن أبي داود ، كتاب الوتر ، باب « في فضل التطوع في البيت » . والنسائي ، كتاب الزكاة ، باب « جهده المقل » :

٥٨/٥ . ومسند الإمام أحمد عن أبي هريرة : ٣٥٨/٢ . وعن عبد الله بن حنبل : ٤١١/٣ - ٤١٢ . وعن أبي ذر :

١٧٨/٥ ، ١٧٩ ، ٢٦٥ .

(٨) سورة الإنسان ، آية : ٨ .

(٩) سورة البقرة ، آية : ١٧٧ .

فإن هؤلاء يصدقون وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه. ومن هذا المقام تصدق الصديق - رضى الله عنه - بجميع ماله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما أبقيت لأهلك؟ ». فقال: أبقيت لم الله ورسوله (١): وهذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك، فكل منهم يأمر باندفعه إلى صاحبه، وهو جريح مثل أحوج ما يكون إلى الماء، فرده الآخر إلى الثالث، فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم، رضى الله عنهم وأرضاهم.

وقال البخارى: حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير، حدثنا أبو أسامة، حدثنا فضيل بن غزوان، حدثنا أبو حازم الأشجعي، عن أبي هريرة قال: أتى رجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « ألا رجل يضيّف هذا الليلة، رحمه الله؟ »، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله. فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيّف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا تمدّ تحريمه شيئا. فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العشاء فتوميهم وتعالى فأطقتي السراج وتطوى بطوننا الليلة. ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: « لقد عجب الله - عز وجل، أو: ضحك - من فلان وفلانة ». وأنزل الله - عز وجل - (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) (٢).

وكذا رواه البخارى في موضع آخر، ومسلم والترمذى والنسائى من طرق، عن فضيل بن غزوان، به نحوه، وفي رواية لمسلم تسمية هذا الأنصارى بأبي طلحة، رضى الله عنه (٣).

وقوله: (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)، أى: من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح.

قال: أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا داود بن قيس الفراء، عن عبيد (٤) الله بن مقسم، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: « إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم (٥) ». الفرد باخراجه مسلم، فرواه عن القعنى، عن داود بن قيس، به (٦).

(١) تحفة الأحوذى، أبواب المناقب، باب «مناقب أبي بكر الصديق رضى الله عنه»، الحديث ٣٧٥٧: ١٦١/١٥.

(٢) البخارى، تفسير سورة الحشر: ١٨٥/٦.

(٣) البخارى، كتاب مناقب الأنصار، باب: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة): ٤٢/٥ - ٤٣. ومسلم، كتاب الأشربة، باب «إكرام الضيف»: ١٢٧/٦ - ١٢٨. وتحفة الأحوذى، تفسير سورة الحشر، الحديث ٣٣٥٩: ١٩٧/٩.

(٤) فى المسند: «عبد الله». والصواب ما هنا، انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ٢٢٣/٢.

(٥) مسند الإمام أحمد: ٣٢٣/٣.

(٦) مسلم، كتاب البر، باب «تحريم الظلم»: ١٨٧/٨.

وقال الأعمش وشعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن الحارث ، عن زهير بن الأقرم ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الظلم ؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الفحش ، فإن الله لا يحب الفحش ولا الفحش ، وإياكم والشح ؛ فإنه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالفجور ففجروا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا » .

ورواه أحمد وأبو داود من طريق شعبة ، والنسائي من طريق الأعمش ، كلاهما عن عمرو بن مرة ، به (١) .

وقال الليث ، عن يزيد ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن صفوان بن أبي يزيد ، عن القعقاع بن الجلاح (٢) عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا ، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا (٣) » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة بن سليمان ، أخبرنا ابن المبارك ، حدثنا المسعودي ، عن جامع بن شداد ، عن الأسود بن هلال قال : جاء رجل إلى عبد الله فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إنني أخاف أن أكون قد هلكت ! فقال له عبد الله : وما ذلك ؟ قال : سمعت الله يقول : (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) ، وأنا رجل شحيح ، لا أكاد أن أخرج من يدي شيئاً ! فقال عبد الله : ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن ، إنما الشح الذي ذكر الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلماً ، ولكن ذلك البخل ، وبس الشيء البخل (٤) .

وقال سفيان الثوري ، عن طارق بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي الهياج الأسدي . قال : كنت أطوف بالبيت ، فرأيت رجلاً يقول : « اللهم قني شح نفسي » . لا يزيد على ذلك ، فقلت له ، فقال : إنني إذا وقيت شح نفسي لم أصرق ولم أزن ولم أفعل « وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه . ورواه ابن جرير (٥) .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن إسحاق ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ، حدثنا إسماعيل بن عباس ، حدثنا مجتمعت بن جارية الأنصاري ، عن عمه يزيد بن جارية ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يرى من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف ، وأعطى في النائة (٥) .

وقوله : (والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا ، اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم) : هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء ، وهم المهاجرون ثم الأنصار ، ثم التابعون بإحسان ، كما قال في آية براءة : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم

(١) سنن أبي داود ، كتاب الزكاة ، باب « في صلة الرحم » . ومسنن الإمام أحمد : ١٥٩/٢ - ١٦٠ .

(٢) في المخطوطة : « القعقاع بن الجلاح » . والمثبت عن المسند . والجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ١٣٦/٢/٣ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد من طريق صفوان بن سليم ، عن القعقاع ، انظر المسند : ٣٤٢/٢ . وانظر المسند أيضاً :

٢٥٦/٢ ، ٣٤٠ ، ٤٤١ ، ٥٠٥ . وتحفة الأحوذى ، أبواب فضائل الجهاد ، باب « ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله » ، الحديث ١٦٨٣ : ٢٦٠/٥ . وقد أخرجه النسائي من طريق الليث بإسناده مثله . انظر كتاب الجهاد ، باب « قتل من صل في سبيل الله على قدمه » : ١٣/٧ - ١٤ .

(٤) أخرجه الطبري من طريق جامع ، انظر : ٢٩/٢٨ .

(٥) تفسير الطبري : ٢٩/٢٨ .

ياحسان رضى الله عنهم) (١) فالتابعون لم ياحسان هم : المتبعون لأنارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة ، الداعون لهم في التمسك والعلانية . ولهذا قال في هذه الآية الكريمة : (والذين جاءوا من بعدهم يقولون) ، أى : قائلين : (ربنا ، اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا) ، أى : بغضاً وحسداً (للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم) . وما أحسن ما استنبط الإمام مالك من هذه الآية الكريمة : أن الراقضى الذى يسبب الصحابة ليس له فى مال الله نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء فى قولهم : (ربنا ، اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ابن مهاجر عن أبيه ، عن عائشة أنها قالت : أمروا أن يستغفروا لهم ، فسبواهم ثم قرأت هذه الآية : (والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) . . . الآية .

وقال إسماعيل ابن عثابة ، عن عبد الملك بن عمر ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فسبتموهم . سمعت نبيكم - صلى الله عليه وسلم - يقول : « لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أوطافاً » ، ورواه البغوي .

وقال أبو داود : حدثنا مسدد ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا أيوب ، عن الزهري قال : قال عمر رضى الله عنه : (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) قال الزهري : قال عمر : هذه لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - خاصة ، قرئ [عربية] (٢) : فمذك وكذا [٣] . (وكذا فما أفاء) (٤) الله على رسوله من أهل القرى قبله والرسول ولدى القرى واليتامى والمساكين وابن السبيل والفقراء (٥) الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم) (والذين جاءوا من بعدهم) ، فاستوعبت (٦) هذه الآية الناس ، فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق - قال أيوب : أو قال : « حظ - إلا بعض من تملكون من أرقائكم . كذا رواه أبو داود ، وفيه انقطاع (٧) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن أيوب ، عن عكرمة بن خالد ، عن مالك ابن أوس بن الحنظل قال : قرأ عمر بن الخطاب : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) حتى بلغ (عليهم حكيم) ، ثم قال : هذه طولاء ، ثم قرأ : (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولدى القربى) الآية ، ثم قال : هذه طولاء ، ثم

(١) سورة التوبة ، آية : ١٠٠ .

(٢) وردت فى المخطوطة كلمة «عربية» دون نقط . وفى سنن أبي داود : «عربية» . وفى سنن النسائي مثل ما أثبتنا .

(٣) ما بين التوسين عن سنن أبي داود .

(٤) فى المخطوطة : «ما أفاء» . وفى سنن أبي داود : «ما أفاء» . والمثبت عن النسائي .

(٥) كذا فى المخطوطة وسنن أبي داود . وفى النسائي : «الفقراء المهاجرين الذين . . .» .

(٦) أى : فالذى لهم عموماً لا يخمس ، ولكن يكون جملة لصالح المسلمين . وهذا مذهب عامة أهل الفقه ، خلافاً للشافعي

فمذهبه يخمس .

(٧) سنن أبي داود ، كتاب الخراج والإمارة والنوم ، باب «فى صفات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الأموال» .

وقد أخرجه النسائي فى كتاب قسم النوى : ١٣٦/٧ - ١٣٧ .

قرأ : (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) حتى بلغ : الفقراء (والذين تبوءوا الدار والإيمان) ، (والذين جاءوا من بعدهم) ثم قال : استوعبت هذه [الآية] المسلمين عامة ، وليس أحد إلا له فيها حق ، ثم قال : لئن عشت ليأتين الراعي - وهو يسر وحسير (١) - نصيبه فيها ، لم يعرق فيها جبينه (٢) .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَصَرُوهُمْ لَيُولَنَ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُوا وَيَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَا كُفْرَ قَالَ إِنِّي بِرَبِّي مُنْكَرٌ وَإِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾

يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبي وأضرابه ، حين بعثوا إلى يهود بني النضير يبعادوهم النصر من أنفسهم ، فقال تعالى : (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب : لئن أخرجتم لنخرجن معكم ، ولانطبع فيكم أحدا أبدا ، وإن قوتلتم لنصرنكم) ، قال الله تعالى : (والله يشهد إنهم لكاذبون) ، أي : لكاذبون فيا وعدوهم به إما أنهم قالوا لهم قولا ومن نبتهم أن لا يفوا لهم به ، وإما أنهم لا يقع منهم الذي قالوه . ولهذا قال : (ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) ، أي : لا يقاتلون معهم ، (ولئن نصرورهم) أي : قاتلوا معهم (ليولن الأدبار ثم لا ينصرون) ، وهذه بشارة مستقلة بنفسها . ثم قال تعالى : (لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله) ، أي : يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله ، كقوله : (إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) ، ولهذا قال : (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) .

ثم قال : (لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر) ، يعني أنهم من جبينهم وهلعتهم لا يقدر على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقابلة ، بل إما في حصون أو من وراء جدر محاصرين ، فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة . ثم قال : (بأسهم بينهم شديد) ، أي : عداوتهم بينهم شديدة ، كما قال : (ويذيق بعضهم بأس بعض) (٣) . ولهذا قال : (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) ، أي : تراهم مجتمعين فتحسبهم موافقين ، وهم مختلفون غاية الاختلاف .

(١) في تفسير الطبري : « وهو يسير حمرة » . والصواب ما هنا ، فقد ساق أبو عبيد الحديث في كتاب الأموال ٢٣ - ٢٤ ، وقال : « السرو : الخيف والنفق ، كل موضع بين الخدار وارتفاع » .

(٢) تفسير الطبري : ٢٨ / ٢٥ .

(٣) سورة الأنعام آية ٦٥ .

قال إبراهيم النخعي : يعني : أهل الكتاب والمنافقين : (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) :

ثم قال : (كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم . ولم حذاب أليم) ، قال مجاهد ، والسدي ومقاتل بن حيان : كمثل ما أصاب كفار قريش يوم بدر (١) .

وقال ابن عباس : (كمثل الذين من قبلهم) ، يعني : يهود بني قينقاع : وكذا قال قتادة ، ومحمد بن إسحاق :

وهذا القول أشبه بالصواب فإن يهود بني قينقاع كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أجلاهم قبل هذا :

وقوله : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان : اكفر ، فلما كفر قال : إني بريء منك) ، يعني : مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين ، وقول المنافقين لهم : (لئن قوتلتم لننصرنكم) ، ثم لما حقت الحقائق وجدّ بهم الحصار والقتال ، تخلّوا عنهم وأسلموهم للهلكة ، مثالم في هذا كمثل الشيطان إذ سول للإنسان - والعباد بالله - الكفر ، فاذا دخل فيما سوله تبرأ منه وتنصل ، وقال : (إني أخاف الله رب العالمين) .

وقد ذكر بعضهم هاهنا قصة لبعض عباد بني إسرائيل هي كالمثال لهذا المثل ، لا أنها المرادة وحدها بالمثل ، بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها ، فقال ابن جرير :

حدثنا خلاد بن أسلم ، أخبرنا النضر بن شميل ، أخبرنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت عبد الله بن تهيبة قال : سمعت علياً - رضي الله عنه - يقول : إن راهباً تعبد ستين سنة ، وإن الشيطان أراده فأعياه ، فعمد إلى امرأة فأجنتها ولها إخوة ، فقال لإخوتها : عليكم بهذا القس فيداويها . قال : فجاؤا بها إليه فداواها ، وكانت عنده ، فبينما هو يوماً عندها إذ أعجبت ، فأتاها فحملت ، فعمد إليها فقتلها ، فجاؤا إخوتها ، فقال الشيطان للراهب : أنا صاحبك ، [إنك] أعيتني ، أنا صنعت هذا بك فأطعني أنجك مما صنعت بك ، اسجد لي سجدة فسجد له ، فلما سجد له قال : إني بريء منك ، إني أخاف الله رب العالمين ، فذلك قوله : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان : اكفر ، فلما كفر قال : إني بريء منك ، إني أخاف الله رب العالمين (٢)) .

وقال ابن جرير : حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، حدثنا أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن عمارة ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية : (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان : اكفر ، فلما كفر قال : إني بريء منك ، إني أخاف الله رب العالمين - قال : كانت امرأة ترعى الغنم ، وكان لها أربعة إخوة ، وكانت تأوى بالليل إلى صومعة راهب - قال : فزول الراهب ففجّر بها ، فحملت ، فأتاه الشيطان فقال له : اقتلها ثم ادفنها ، فإني رجل مصدق يسمع قولك . فقتلها ثم دفنها - قال : فأنى الشيطان إخوتها في المنام فقال لهم : إن الراهب صاحب الصومعة ففجّر بأخوتكم ، فلما أحياها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا . فلما أصبحوا قال رجل منهم : والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أفصها عليكم أم أترك ؟ قالوا : لا بل قصها علينا قال : فقصها ، فقال الآخر : وأنا والله لقد رأيت ذلك ، فقال

(١) تفسير الطبري : ٢٨/٣٢ .

(٢) تفسير الطبري : ٢٨/٣٣ .

الآخر : وأنا والله لقد رأيت ذلك . فقالوا فوالله ما هذا إلا لشيء - قال : فانطلقوا فاستعدوا واملكهم على ذلك الراعي ، فأتوه فأنزلوه ، ثم انطلقوا به فلقبه الشيطان فقال : إني أنا الذي أوقعتك في هذا ، ولن ينجيك منه غيري ، فأسجد لي سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه . قال : فسجد له ، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه ، وأخذ فقتل .

وكذا روى عن ابن عباس ، وطاوس ، ومقاتل بن حيان ، نحو ذلك . واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصاً ، والله أعلم . وهذه القصة مخالفة لفصة جريخ العابد ، فإن جريخاً أمهته امرأة بغي بنفسها ، وادعت أن حملها منه ، ورفعت أمره إلى ولي الأمر ، فأمر به فأنزل من صومعته وخربت صومعته وهو يقول : مالكم ؟ مالكم ؟ فقالوا : يا عدو الله فعلت بهذه المرأة كذا وكذا . فقال جريخ : اصبروا . ثم أخذ ابنها وهو صغير جداً ثم قال : يا غلام ، من أبوك ؟ قال : أبي الراعي - وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيماً بليغاً وقالوا : نعيد صومعتك من ذهب . قال : لا ، بل أعيدوها من طين ، كما كانت .

وقوله : (فكان عاقبتهما أمهما في النار خالدین فیها) ، أي : فكان عاقبة الأمر بالكفر والفاعل له ، وتصبرهما إلى نار جهنم خالدین فیها ، (وذلك جزاء الظالمین) ، أي : جزاء كل ظالم .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي الْأَخْبَثُ الْأَنْرِيُّ وَالْأَخْبَثُ
الْجَنَّةِ الْأَخْبَثُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَازِرُونَ ﴿٢٠﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عون بن أبي جحيفة ، عن المنذر بن جرير ، عن أبيه قال : كنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في صدر النهار ، قال : فجاء قوم خفاة عذرة محتاجي النار - أو : العبياء - مثلدى السيف ، عامتهم من مضر ، بل كلهم من مضر ، فتغير وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما رأى بهم من الفاقة ، قال : فدخل ثم خرج ، فأمر بلالا فأذن وأقام الصلاة ، فصلى ثم خطب ، فقال : « يا أيها الناس ، اتقوا وبكم الذي خلقكم من نفس واحدة » إلى آخر الآية : (إن الله كان عليكم رقيباً) . وقرأ الآية التي في الخشر : (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) ، تصدق رجل من ديناره ، من درهما ، من ثوبه ، من صاع بره ، من صاع تمره - حتى قال : ولو يشق تمره . قال : فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها ، بل قد عجزت ، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب ، حتى رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتهلل وجهه كأنه مندهية (١) فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من سن في الإسلام سنة حسنة ، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجزائها من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » .

(١) المذهب - بضم الميم وسكون الهمزة ، وفتح الهاء - : الممونه بالذهب ، يعنون بذلك الإشراف والوضاعة . وفي بعض روايات الحديث : « مدهنة » - بضم الميم والهاء ، بينهما دال ساكنة مهملة ، ثم نون . وهي تأنيث المدهن ، وهو ما يجعل فيه الدهن ، فيكون قد شبه الوجه بالدهن في الصفاء .

انفراد باخراجه مسلم (١) من حديث شعبة ، بإسناده مثله .

فقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) : أمر بتقواه ، وهي تشمل فعل ما به أمر ، وترك ما عنه زجر .

وقوله : (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) ، أي : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وانظروا ماذا اتخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم ، (واتقوا الله) : تأكيد ثان ، (إن الله خير بما تعملون) ، أي : اعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم ، لا تخفى عليه منكم خافية ، ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير .

وقال (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) ، أي : لا تنسوا ذكر الله فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم (٢) التي تنفعكم في معادكم ، فإن الجزاء من جنس العمل ، ولهذا قال : (أولئك هم الفاسقون) ، أي : الخارجون عن طاعة الله المالكون يوم القيامة ، الخاسرون يوم معادهم ، كما قال : (يا أيها الذين آمنوا ، لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون (٣) .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الخولطي حدثنا المغيرة ، حدثنا حرير ابن عثمان ، عن نعيم بن سمحة قال : كان في خطبة أبي بكر الصديق - رضى الله عنه - : أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم . فمن استطاع أن يقضى الأجل وهو في عمل الله - عز وجل - فليفعل ، ولن تنالوا ذلك إلا بالله عز وجل ، إن قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم ، فنهاكم الله أن تكونوا أمثالهم : (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) ، أين من تعرفون من إخوانكم ؟ قدموا على ما قدموا في أيام سلفهم ، وخالوا بالشقوة والسعادة ، أين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوادث ، قد صاروا تحت الصخر والآبار ، هذا كتاب الله لا تفتى عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة ، [واستنصحوها كتابه وتبينه] (٤) إن الله أنى على زكريا وأهل بيته فقال : (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ، ويدعوننا رغباً ورهباً ، وكانوا لنا خاشعين) ، لا خير في قول لا يراد به وجه الله ولا خير في مال لا يتفق في سبيل الله . ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه ، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم .

هذا إسناد جيد ، ورجاله كلهم ثقات ، وشيخ حرير بن عثمان ، وهو نعيم بن سمحة (٥) ، لا أعرفه بنى ولا إثبات ، غير أن أبا داود السجستاني قد حكم بأن شيوخ حرير كلهم ثقات . وقد روى لهذه الخطبة شواهد من وجوه آخر ، والله أعلم .

وقوله : (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة) ، أي : لا يستوى هؤلاء وهؤلاء في حكم الله يوم القيامة ، كما قال : (أم حسب الذين أجزوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وحمّلوا الصالحات ، سواء محياهم ومماتهم ، ساء ما

(١) تقدم الحديث عند تفسير الآية الأولى من سورة النساء ، والآية الثانية عشرة من سورة يس ، وخرجه هناك ، وشرحنه فريبه ، انظر : ١٧٩/٢ - ١٨٠ - ٥٥١/٦ .

(٢) في المخطوطة : « العمل الصالح أنفسكم الذي ... » . والمثبت عن الطبقات السابقة

(٣) سورة « المنافقون » ، آية : ٩ .

(٤) ما بين القوسين عن الدر المنثور ٢٠١/٦ ، ومكانه في المخطوطة غير واضح .

(٥) لم تقع لنا ترجمته .

يُحْكَمُونَ (١) : وقال : (وما يسعوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المجرم) (٢) ، الآية . وقال :
(أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار) (٣) ؟ في آيات أخر دلالات على
أن الله - سبحانه - يكرم الأبرار ، ويهين الفجار . ولهذا قال ما هنا : (أصحاب الجنة هم الفائزون) ، أي : الناجون
المسلمون من عذاب الله عز وجل .

لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ
الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى معظمًا لأمر القرآن ، ومبينًا علو قدره ، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب ، وتتصدع عند سماعه لما فيه من
الوحد الحق والوعيد الأكيد : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت خاشعًا متصدعًا من خشية الله) ، أي : فإذا كان
الجبل في خلطه وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه ، نخشع وتتصدع من خوف الله عز وجل ، فكيف يليق بكم أيها
البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع ، وتتصدع من خشية الله ، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه ؟ ولهذا قال تعالى :
(وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) .

قال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل) إلى آخرها ، يقول : لو أني أنزلت هذا القرآن
على جبل حملته إياه ، لتصدع وخشع من قله ، ومن خشية الله . فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه
بالخشية الشديدة والتخشع . ثم قال : كذلك يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون (٤) . وكذا قال قتادة ، وابن جرير ،

وقد ثبت في الحديث المتواتر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما عمل له المنبر ، وقد كان يوم الخطبة يقف إلى
جانب جذع من جذوع المسجد ، فلما وضع المنبر أول ما وضع ، وجاء النبي - صلى الله عليه وسلم - ليخطب فجاوز
الجذع إلى نحو المنبر ، فعند ذلك حنّ الجذع وجعل (٥) يئن كما يئن الصبي الذي يُسكّن ، لما كان يُسمع من الذكر والوحي
عنده . ففي بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصري بعد إيراده : « فأنتم أحق أن تشناقوا إلى رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - من الجذع » . وهكذا هذه الآية الكريمة ، إذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته ، لحشعت وتتصدعت
من خشيتها ، فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم ؟ وقد قال تعالى : (ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال ، أو قطعت به الأرض ،

(١) سورة الحاثية ، آية : ٢١ .

(٢) سورة غافر ، آية : ٥٨ .

(٣) سورة ص ، آية : ٢٨ .

(٤) تفسير الطبري : ٣٥/٢٨ .

(٥) انظر البهاري ، كتاب المناقب : ٢٢٧/٤ .

أو كلمه الموتى (١) الآية : وقد تقدم أن معنى ذلك : «أى لكان هذا القرآن» : وقال تعالى : (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله) (٢) .

ثم قال تعالى : (هو الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم) : أخبر تعالى أنه الذى لا إله إلا هو فلا رب غيره ، ولا إله للوجود سواه ، وكل ما يعبد من دونه فباطل ، وأنه عالم الغيب والشهادة ، أى : يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا فلا تخفى عليه شئ فى الأرض ، ولا فى السماء من جليل وحقيق وصغير وكبير ، حتى الذر (٣) فى الظلمات ،

وقوله : (هو الرحمن الرحيم) : قد تقدم الكلام على ذلك فى أول التفسير ، بما أغنى عن إعادته ها هنا ، والمراد أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات ، فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، وقد قال تعالى : (ورحمى وسعت كل شئ) (٤) ، وقال : (كتب ربكم على نفسه الرحمة) (٥) ، وقال : (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ، هو خير مما يجمعون) .

وقال : (هو الله الذى لا إله إلا هو الملك) ، أى : المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا مانعة ولا مدافعة .

وقوله : (القدوس) - قال وهب بن منبه : أى الطاهر . وقال مجاهد ، وقتادة : أى المبارك ، وقال ابن جريج : قدسه الملائكة الكرام .

(السلام) ، أى من جميع العيوب والنقائص ، بكماله فى ذاته وصفاته وأفعاله .

وقوله : (المؤمن) ، قال الضحاك ، عن ابن عباس : «أمن» خلقه من [أن يظلمهم] ، وقال قتادة : «أمن» بقوله : إنه حتى . وقال ابن زيد : صدق عبادة المؤمنين فى إيمانهم به .

وقوله : (المهيمن) ، قال ابن عباس وغير واحد : أى : الشاهد على خلقه بأعمالهم ، بمعنى هو رقيب عليهم ، كقوله : (والله على كل شئ شهيد) (٦) ، وقوله : (ثم الله شهيد على ما يفعلون) (٧) .

وقوله : (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) (٨) الآية .

(١) سورة الرعد ، آية : ٣١ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٧٤ .

(٣) الذر : النمل الصغير ، واحداً ذرة .

(٤) سورة الأعراف ، آية : ١٥٦ .

(٥) سورة الأنعام ، آية : ٥٤ .

(٦) سورة البروج ، آية : ٩ .

(٧) سورة يونس ، آية : ٤٦ .

(٨) سورة الرعد ، آية : ٢٣ .

وقوله : (العزيز) ، أي : الذي قد عزَّ كل شيء فقهره ، وغلب الأشياء فلا ينال جنابه ، لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه . ولهذا قال : (الجبار المتكبر) ، أي : الذي لا تليق الجبروتية إلا له ، ولا التكبر إلا لعظمته ، كما تقدم في الصحيح : « العظمة إزارى ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعني واحدا منهما عذبه » (١) .

وقال قتادة : الجبار : الذي جبر خلقه على ما يشاء .

وقال ابن جرير : الجبار : المصلحُ أمور خلقه ، المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم (٢) .

وقال قتادة : المتكبر ، يعني عن كل سوء .

ثم قال : (سبحان الله عما يشركون) .

وقوله : (هو الله الخالق البارئ المصور) الخلق : التقدير ، والبراء : هو القرى ، وهو : التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود ، وليس كل من قدر شيئاً ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجل . قال الشاعر يمدح آخر (٣) :

ولأنت تقدرى ما خلقت به هـ هي القوم بتخلق ثم لا يقدرى

أي : أنت تنفذ ما خلقت ، أي : قدرت ، بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع ما يريد . فالخلق : التقدير ، والقرى : التنفيذ . ومنه يقال : قدر الجلال ثم قرى ، أي : قطع حل ما قدره بحسب ما يريد .

وقوله تعالى : (الخالق البارئ المصور) ، أي : الذي إذا أراد شيئاً قال له : كن ، فيكون على الصفة التي يريد ، والصورة التي يختار . كقوله : (في أي صورة ما شاء ركبك) ولهذا قال : (المصور) ، أي : الذي ينفذ ما يريد لإيجاده على الصفة التي يريد .

وقوله : (له الأسماء الحسنى) ، قد تقدم الكلام على ذلك في « صورة الأعراف » ، وذكر الحديث المروي في الصحيحين عن أبي هريرة ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن لله تسعة وتسعين اسماً ، مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر (٤) » . وتقدم سياق الترمذي وابن ماجه له ، عن أبي هريرة أيضاً ، وزاد بعد قوله : « وهو وتر يحب الوتر » - واللفظ الترمذي - : « هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكيم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكرم »

(١) سنن أبي داود ، كتاب لباس ، باب « ما جاء في الكبر » . وسنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب « البراءة من الكبر » والتواضع ، الحديث : ٤١٧٤ : ١٣٩٧/٢ . ومسنن الإمام أحمد عن أبي هريرة : ٣٧٦/٢ ، ٤١٤ ، ٤٢٧ ، ٤٤٣ .
(٢) تفسير الطبري : ٣٦/٢٨ .

(٣) هو زهير بن أبي سلمى ، يملح هرم بن سنان . والبيت في ديوانه : ٩٤ .

(٤) تقدم الحديث عند تفسير الآية الثمانين بعد المائة من سورة الأعراف ، وخرجناه هناك . انظر : ٥١٥/٣ .

الرقيب ، الحبيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، الخبير ، الباحث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصي ، المبدي ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحى ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقنن ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالى ، المتعالى ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغنى ، المعنى ، [المانع] ، الضار ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع . الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور .

وسياق ابن ماجه بزيادة ونقصان ، وتقديم وتأخير ، وقد قدمنا ذلك مبسوطاً مطولاً بطرقه وألفاظه ، بما أغنى عن إعادته هنا (١) .

وقوله : (يسبح له ما فى السموات والأرض) كقوله : (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن) ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، إنه كان حليماً خفياً (٢) .

وقوله : (وهو العزيز) ، أى : فلا يراد جنتابه (الحكيم) فى شرعه وقدره . وقد قال الإمام أحمد :

حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، حدثنا خالد - يعنى ابن طهمان ، أبو العلاء الخفاف - حدثنا نافع بن أبى نافع ، عن معقل بن يسار ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « من قال حين يصبح ثلاث مرات : أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ، وكَلَّمَ اللهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يَمْسَى ، وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيداً . ومن قالها حين يمسي كان بتلك المتولة (٣) » .

ورواه الترمذى عن محمود بن غيلان ، عن أبى أحمد الزبيرى ، به ، وقال : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه (٤) .

(آخر تفسير سورة الحشر)

(١) انظر : ٥١٦/٣ .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ٤٤ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢٦/٥ .

(٤) تحفة الأحوفى ، أبواب فضائل القرآن ، الحديث : ٣٠٩٠ : ٢٢٩/٨ - ٢٤٠ .

تفسير سورة الممتحنة

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَأُولِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَخْرُجْتُمْ حَيْدًا فِي سَبِيلِي وَأَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ إِن يَشْفَقُوكُمْ يُكَفِّرُوا لَكُمْ أَعْدَاءَهُ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوْءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝ لَنْ تَنْفَعَكَ أَرْحَامُكَ وَلَا ءَأَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝

كان سبب نزول صدر هذه [المورة] (١) الكريمة قصة حاطب بن أبي بلتعة ، وذلك أن حاطباً هذا كان رجلاً من المهاجرين ، وكان من أهل بدر أيضاً ، وكان له عكة أولاد ومال ، ولم يكن من قريش أنفسهم ، بل كان حليفاً لعثمان ، فلما عزم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على فتح مكة لما نقض أهلها العهد ، فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - المسلمين بالتجهيز لغزومهم ، وقال : « اللهم ، حمم عليهم خبرنا » . فعند حاطب هذا فكتب كتاباً ، وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة ، يعلمهم بما عزم عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليتخذ بذلك عندهم بدأ ، فأطلع الله رسوله على ذلك ، استجابة لدعائه ، فبعث في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها ، وهذا بين في الحديث المتفق على صحته ، قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، أخبرني حسن (٢) بن محمد بن علي ، أخبرني عبيد الله بن أبي رافع - وقال مرة : إن عبيد الله بن أبي رافع أخبره : أنه سمع علياً - رضي الله عنه - يقول : بعثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنا والزيبر والمقداد ، فقال : « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ (٣) فإن بها ظعينة (٤) معها كتاب ، فخذوه منها . فانطلقنا تعادى (٥) بنا خيلنا حتى أتينا الروضة ، فإذا نحن بالظعينة ، قلنا : أخرجي الكتاب . قالت : ما معي كتاب . قلنا : أخرجي الكتاب أو نلقين الثياب . قال : فأخرجت الكتاب من حقاصها (٦) ، فأخذنا الكتاب فأثينا به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة ، يخبرهم ببعض أمر رسول الله

(١) في المخطوطة : « هذه الآية » . والمثبت عن الطبعات السابقة .

(٢) في مستد الإمام أحمد : « حسين » . وهو خطأ ، والصواب حسن ، وهو حسن بن محمد بن الحنفية .

(٣) روضة خاخ : موضع على إثنى عشر ميلاً من المدينة .

(٤) أي : امرأة .

(٥) أي : تسابق .

(٦) أي : من ذوائبها المضمورة .

— صلى الله عليه وسلم — فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « يا حاطب ، ما هذا ؟ » . قال : لا تجعل علي ، إني كنت امرأة ملصقة في فريش ، ولم أكن من أنفسهم ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهلهم بمكة ، فأجبت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ فيهم بدا يحمون بها قرابتي ، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الإسلام . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « إنه صدقكم » . فقال عمر : دعني أضرب عنق هذا المنافق . فقال : « إنه قد شهد بدرًا ، وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم (١) » .

وهكذا أخرج الجماعة إلا ابن ماجه ، من غير وجه ، عن سفيان بن عيينة ، به (٢) . وزاد البخاري في كتاب « المغازي » فأنزل الله السورة : (يا أيها الذين آمنوا ، لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء (٣)) . وقال في كتاب التفسير : قال عمرو : ونزلت فيه : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) ، قال : « لا أدري الآية في الحديث أو قال عمرو » . قال البخاري : قال علي — يعني ابن المديني — : قيل لسفيان في هذا : نزلت (لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) ؟ فقال سفيان : هذا في حديث الناس ، حفظته من عمرو ، ما تركت منه حرفاً ، وما أرى أحداً حفظه غيري (٤) . وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث حصين بن عبد الرحمن ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن علي قال : بعثني رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأبا هريرة ، والزبير بن العوام ، وكلنا فارس ، وقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب إلى المشركين : فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقلنا : الكتاب ؟ فقالت : ما معي كتاب . فأخذناها فالتسنا فلم نر كتاباً ، فقلنا : ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ! لتخرجن الكتاب أو لتسجدنك . فلما رأيت الجدة أهوت إلى حجرتي (٥) وهي محتجزة بكساء فأخرجته . فانطلقنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم — فقال عمر : يا رسول الله ، قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، فدعني فأتضرب عنقه . فقال : « ما حملك على ما صنعت ؟ » . قال : والله ما بي إلا أن أكون مؤمناً بالله ورسوله ، أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي ، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشرته من يدفع الله به عن أهله وماله . فقال : « صدقتي ، لا تقولوا له إلا خيراً » . فقال عمر : إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، فدعني فأتضرب عنقه . فقال : « أليس من أهل بدر ؟ فقال : لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة ، أو : قد غفرت لكم » . فدبعت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم (٦) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٧٩/١ - ٨٠ .

(٢) البخاري تفسير سورة المتحنة : ١٨٥/٦ - ١٨٦ . ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب « من فضائل أهل بدر — رضى الله عنهم — وقصة حاطب بن أبي بلتعة » : ١٦٧/٧ - ١٦٨ . وسنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب « في حكم الجاسوس إذا كان مسلماً » . وتحفة الأحوذى ، تفسير سورة المتحنة ، الحديث ٣٣٦٠ : ١٩٨/٩ - ٢٠٢ .

(٣) البخاري ، كتاب المغازي ، باب « غزوة الخندق » ، وما بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي صلى الله عليه وسلم » : ١٨٥/٥ .

(٤) البخاري ، تفسير سورة المتحنة : ١٨٦/٦ .

(٥) الحجرة - يضم فسكون - موضع شد الإزار ، واحتجرت المرأة فهي محتجزة : إذا شدت مئزرها على العورة وما لا يحل مباشرة .

(٦) البخاري ، كتاب المغازي ، باب « فضل من شهد بدرًا » : ٩٩/٥ . ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب « من فضائل أهل بدر ... » : ١٦٨/٧ - ١٦٩ .

هذا لفظ البخاري في « المغازي » في غزوة بدر ، وقد روى من وجه آخر عن علي قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسن المستجاني ، حدثنا عبيد بن يعيش ، حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي ، عن أبي سنان - هو سعيد ابن سنان - عن عمرو بن مرة الجملي ، عن أبي البخري الطائي (١) ، عن الحارث ، عن علي قال : لماذا أراد النبي صلى الله عليه وسلم - أن يأتي مكة ، أسر إلى أناس من أصحابه أنه يريد مكة ، فيهم حاطب بن أبي بلتعة وأفشى ، في الناس أنه يريد خيبر : قال : فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريدكم ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبا مرثد ، وليس منا رجل إلا وعند قريش ، فقال : « اتوا روضة نخاع ، فإنكم ستلقون بها امرأة معها كتاب ، فخذوه منها » . فانطلقنا حتى رأيناها بالمكان الذي ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلنا لها : هات الكتاب ، فقالت : ما معي كتاب . فوضعنا متاعها وفتشناها فلم نجد في متاعها ، فقال أبو مرثد : لعلة أن لا يكون معها . قلت : ما كذب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا كذبنا . فقلنا لها : لتخرجنه أو لتعربنك . فقالت : أما تتقون الله ؟ أأستم مسلمين ؟ فقلنا : لتخرجنه أو لتعربنك - قال عمرو بن مرة : فأخرجته من حُجرتيها . وقال حبيب بن أبي ثابت : أخرجته من قبلها - فأتيها به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة . فقام عمر فقال : يا رسول الله ، خان الله ورسوله ، فأتدب لي فأضرب عنقه . فقال رسول الله : « أليس قد شهد بدرًا ؟ » قالوا : بلى . قال عمر : بلى ، ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « فليل الله اطلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم ، إنني بما تعملون بصير » . ففاضت عينها عمر وقال : الله ورسوله أعلم . فأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى حاطب فقال : « يا حاطب ، ما حملك على ما صنعت ؟ » فقال : يا رسول الله ، إن كنت امرأة مُسْلِماً في قريش ، وكان لي بها مال وأهل ، ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يبيع أهله وماله ، فكنت إليهم بذلك ووالله - يا رسول الله - إنني لمؤمن بالله ورسوله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صدق حاطب ، فلا تقولوا لحاطب إلا خيراً » - قال حبيب بن أبي ثابت فأنزل الله : (يا أيها الذين آمنوا ، لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) . . . الآية .

وهكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد ، عن مهرا ، عن أبي سنان سعيد بن سنان ، بإسناده مثله (٢) . وقد ذكر ذلك أصحاب المغازي والسير ، فقال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة :

حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قال : لما أجمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسير إلى مكة ، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الأمر في السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة - زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة ، وزعم غيره أنها : سارة ، مولاة لبي عبد المطلب - وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً فجعلته في رأسها ، ثم قتلت عليه قروتها ، ثم خرجت به ، وأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال : « أدركا امرأة قد كتبت معها حاطب بكتاب إلى قريش يحذرون ما قد أجمعنا له من أمرهم » .

(١) في المخطوطة : « عن أبي إسحاق البخري » . والمثبت عن تفسير الطبري ، وانظر الخلاصة في الكافي .

(٢) تفسير الطبري : ٢٨ / ٢٨ - ٢٩ .

فخرج حتى أدركها بالخليفة خليفة بن أبي أحمد (١) فاستتر لها بالخليفة، فالتصا في رحلتها فلم يجد شيئا، فقال لها على ابن أبي طالب: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله وما كذبنا، ولتخرجين لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك. فلما رأته الجدي منه قالت: أعرض، فأعرض، فحلت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه. فأتى به رسول الله - صلى الله وسلم - فدعا رسول الله حاطباً فقال: «يا حاطب ما حملك على هذا؟». فقال: يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله، ما غيرت ولا بدلت، ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم من أهل ولا عشيرة، وكان لي بن أظهرهم وتك وأهل فصانعتهم عليهم. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، دعني فلا ضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما يدريك يا عمر! لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد خفرت لكم». فأنزله عز وجل في حاطب: (يا أيها الذين آمنوا، لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) إلى قوله: (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه، إذ قالوا لقومهم: إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم، وبإدنا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً، حتى تؤمنوا بالله وحده) . . . إلى آخر القصة (٢).

وروى معمر، عن الزهري، عن عروة نحو ذلك. وهكذا ذكر مقاتل بن حيان: أن هذه الآيات نزلت في حاطب ابن أبي بلتعة: أنه بحث سارة مولاة نبي هاشم، وأنه أعطاها عشرة دراهم، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحث في أثرها عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما، فأدركاها بالصحفة . . . وذكر تمام القصة كنجح ما تقدم. وعن السدي قريب منه. وهكذا قال العوفي، عن ابن عباس - ومجاهد، وقتادة، وغير واحد: أن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة.

فقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء، تلقون إليهم بالمودة، وقد كفرنا بما جاءكم من الحق)، يعني: المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ورسوله وللذين آمنوا بالله ورسوله، وهم الذين يتخذون أولياء وأصدقاء وأخلاء، كما قال: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولم منكم فإنه منهم) (٣). وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا، لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعباً، من الذين أتوا الكتاب والكفار أولياء، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) (٤). وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا، لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، أتريدون أن تجعلوا الله سلطاناً مبيناً؟) (٥). وقال تعالى: [لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء]

(١) في المخطوطة وتفسير الطبري: «بالخليفة» ، بالخاء والغاء. ويقول أبو ذر الحنثلي في شرح السيرة ٣٦٨: «وقوله: (حتى أدركناها بالخليفة خليفة بن أبي أحمد). كذا وقع هنا بضم الخاء المعجمة فيهما. ورواه الحنثي بالخليفة، ويفتح الخاء المعجمة فيهما. وفي كتاب ابن إسحاق: (بلى الخليفة خليفة بن أبي أحمد). بضم الخاء المعجمة فيهما وبالفاء، وهو اسم موضع» .

(٢) سيرة ابن هشام: ٣٩٨/٢ - ٣٩٩. وتفسير الطبري: ٣٩٩/٢٨.

(٣) سورة المائدة، آية: ٥١.

(٤) سورة المائدة، آية: ٥٧.

(٥) سورة النساء، آية: ١٤٤.

لأن تثقوا منهم ثقة ، ويحذركم الله نفسه (١) . ولهذا قبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عذرت حاطب لما ذكر أنه إنما فعل ذلك مصانعة لقرين ، لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد .

ويذكر هاهنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد :

حدثنا مصعب بن سلام ، حدثنا الأجلح ، عن قيس بن أبي مسلم ، عن ربيع بن حيراش ، سمعت حذيفة يقول : ضرب لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمثالا : واحداً وثلاثة وخمسة وسبعة ، وتسعة ، وأحد عشر - قال : فضرب لنا منها مثلاً وترك سائرهما ، قال : « إن قوماً كانوا أهل صحف ومسكنة ، قاتلهم أهل تجر وعداء (٢) ، فأظهر الله أهل الضعف عليهم ، فعمدوا إلى عداؤهم فاستعملوهم وسلطوهم ، فأسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه (٣) . »

وقوله : (يخرجون الرسول وإياكم) : هذا مع ما قبله من التهييج على عداوتهم وعدم موالاتهم ، لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم ، كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده ، ولهذا قال : (أن تؤمنوا بالله وبكم) أي : لم يكن لكم عندهم ذنب إلا إيمانكم بالله رب العالمين ، كتوله : (وما نعموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) (٤) وكفوله : (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربنا الله (٥)) .

وقوله : (إن كنتم خرجهم جهادا في سبيل وابتغاء مرضاتي) ، أي : إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء ، إن كنتم خرجهم مجاهدين في سبيل باغين لمرضاتي عنكم فلا توالوا أعدائي وأعداءكم ، وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حتماً عليكم وسخطاً لدينكم ،

وقوله : (تسرون إليهم بالموعدة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) ، أي : تفعلون ذلك وأنا أعلم بالسرائر والضمائر والظواهر (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) إن يتفقوا بكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) أي : لو قدروا عليكم لما اتفقوا فيكم من أذى يتألونكم به بالمقال والفعال ، (وودوا لو تكفروا) ، أي : ويحرصون على أن لا تتألوا خيراً ، فهم عداوتهم لكم كامنة وظاهرة ، فكيف توالون مثل هؤلاء ؟ وهذا يبيح على عداوتهم أيضاً .

وقوله : (إن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم ، يوم القيامة يفصل بينكم ، والله بما تعملون بصير) ، أي : قراباتكم لا تنفعكم عند الله إذا أراد الله بكم سوءاً ، ونفعهم لا يصل إليكم إذا أرضيتهم بما يسخط الله ، ومن وافق أهله على الكفر ليرضهم فقد خاب وخسر وضل عمله ، ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد ، ولو كان قريباً إلى نبي من الأنبياء . قال الإمام أحمد .

(١) سورة آل عمران ، آية : ٢٨ .

(٢) في المسند : « تجر وعداء » .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤٠٧/٥ .

(٤) سورة البروج ، آية : ٨ .

(٥) سورة الحج آية : ٤٠ .

حدثنا عفان (١) ، حدثنا حماد ، عن ثابت ، عن أنس : أن رجلاً قال : يا رسول الله ، هين أتي ؟ قال ؟ في النار ، فلما قسّى دعاه (٢) فقال : « إن أبا وأباك في النار »

ورواه مسلم وأبو داود ، من حديث حماد بن سلمة ، به (٣) .

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُاُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُوَ الْإِقْوَالُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ وَإِنَّا عَلَىٰ قَوْلِكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَتْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاجْعَلْنَا رِبًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّكَ أَلَمُّ الْحَكِيمِ ﴿١١﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ

وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٢﴾

يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتمس منهم : (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه) ، أي : وأتباعه الذين آمنوا معه ، (إذ قالوا لقومهم : إنا برآء منكم) ، أي : تبرأنا منكم (ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم) ، أي : بدينكم وطريقكم ، (وبدنا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً) ، يعني : وقد شرحت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم ، ما دمت على كفركم فنحن أبداً نبرأ منكم ونبغضكم ، (حتى تؤمنوا بالله وحده) ، أي : إلى أن توحّدوا الله فتعبده وحده لا شريك له ، وتخلّوا ما تعبدون معه من الأوثان والأوثان .

وقوله : (إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك) ، أي : لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها ، إلا في استغفار إبراهيم لأبيه ، فإنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه . وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لأبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم ، ويقولون : إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه ، فأبطل الله عز وجل : (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي) ، من بعدما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، إن إبراهيم لأواه حلیم (٤) . وقال تعالى في هذه الآية الكريمة : (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه) ، إلى قوله (إلا قول إبراهيم لأبيه : لأستغفرن لك وما أملك لك من الله ، من شيء) ، أي : ليس لكم في ذلك أسوة ، أي في الاستغفار للمشركين . هكذا قال ابن عباس ، ومجاهد وقتادة ، ومقاتل والضحاك وغير واحد (٥) .

(١) وقع لنا الحديث في المسند من رواية وكيع عن حماد : ١١٩/٣ .

(٢) في هذه الرواية : « فلما رأى ما في وجهه قال ... » .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب « في ذراري المشركين » . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب « بيان أن من مات على الكفر فهو في النار » ، ولا تناله شقاعة ، ولا تنفعه قرابة المقربين » : ١٣٢/١ - ١٣٣ .

(٤) سورة التوبة : آية : ١١٣ - ١١٤ .

(٥) انظر تفسير الطبري : ٤١/٢٨ .

ثم قال تعالى محمداً عن قول إبراهيم والذين معه ، حين فارقوا قومهم وتبرعوا منهم ، فلجأوا إلى الله وتضرعوا إليه (فقالوا : ربنا ، عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وإليك المصير [أى : توكلنا عليك فى جميع الأمور ، وسكنا أمورنا إليك ، وفوضناها إليك ، وإليك المصير [أى : المعاد فى الدار الآخرة (ربنا ، لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) - قال مجاهد : معناه : لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا : لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا . وكذا قال الضحاك . وقال قتادة لا تظنهم علينا فيفتنوا بذلك ، يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقهم عليه . واختاره ابن جرير (١) .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : لا تسلطهم علينا فيفتنونا

وقوله : (واغفر لنا ، ربنا ، إنك أنت العزيز الحكيم) ، أى : واشتر ذنوبنا عن غيرك ، واغفر عنها فيما بيننا وبينك ، (إنك أنت العزيز) ، أى : الذى لا يضام من لاذ بجناحك ، (الحكيم) فى أقوالك وأفعالك وشرحك وقدرتك ، ثم قال تعالى : (لقد كان لكم فىهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) : وهذا تأكيد لما تقدم وحسنه منه ما تقدم أيضاً لأن هذه الأسوة المثبتة ما هنا هى الأولى بعينها .

وقوله : (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) : ينبىح إلى ذلك كل مقر بالله والمعاد .

وقوله : (ومن يتول) : أى : عما أمر الله به ، (فإن الله هو الغنى الحميد) ، كقوله : (إن تكفروا أنهم ومن فى الأرض جميعاً ، فإن الله لغنى حميد) (٢) .

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : (الغنى) : الذى كمل فى غناه ، وهو الله ، هذه صفة لا تنبغى إلا له ، ليس له كفاء ، وليس كمثل شىء ، سبحانه الله الواحد القهار . (الحميد) : المستعمل إلى خلقه ، أى هو الحمود فى جميع أفعاله وأقواله ، لا إله غيره ، ولا رب سواه .

* عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودةً والله قديرٌ والله غفورٌ رحيمٌ ﴿٧﴾ لا يهنأ الله عن الذين لم يقتلوا فى الدين ولم يحرجوكم من دينكم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴿٨﴾ إنما يهنأ الله عن الذين قتلوا فى الدين وأخرجوكم من دينكم وظننهم أخرجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴿٩﴾

يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين : (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) ، أى : حبة بعد البغضة ، ومودة بعد البقرة ، وألفة بعد الفرقة . (والله قدير) ، أى : على ما يشاء من الجمع بين الأشياء المتنافرة والمتباينة والختلفة ، فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة ، فتصبح مجموعة متفقة ، كما قال تعالى

(١) تفسير الطبرى : ٤٢/٢٨ .

(٢) سورة إبراهيم ، آية : ٨ .

ممتنا على الأنصار : (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها (١)) ... الآية . وكذا قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « ألم أجدكم ضاللا فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي (٢) ؟ » . وقال الله تعالى : (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله آلف بينهم ، إنه عزيز حكيم (٣)) . وفي الحديث : « أحبب حببيك هوناً ما ، فمسي أن يكون بغيضك يوماً ما . وأبغض بغيضك هوناً ما ، فمسي أن يكون حبيبك يوماً ما (٤) » . وقال الشاعر (٥) :

وقد يجمع الله الشقيين (٦) بعدما يتظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وقوله تعالى : (والله غفور رحيم) ، أى : يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا منه وأتابوا إلى ربهم وأسلموا له ، وهو الغفور الرحيم بكل من تاب إليه ، من أى ذنب كان .

وقد قال مقاتل بن حيان : إن هذه الآية نزلت في أبي سفيان صخر بن حرب ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ابنته ، فكانت هذه مودة ما بينه وبينه .

وفي هذا الذى قاله مقاتل نظر ، فان رسول الله تزوج بأب حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح ، وأبو سفيان إنما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف . وأحسن من هذا ما رواه ابن أبى حاتم حيث قال :

قضى على حماد بن حريز : حدثني سلامة ، حدثني عقيل ، حدثني ابن شهاب : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل أبا سفيان بن حرب على بعض اليمن ، فلما قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقبل فلقي ذا النضر مرتدا ، فقاتله ، فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين - قال ابن شهاب : وهو من أنزل الله فيه : (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير ، والله غفور رحيم) .

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٠٣ .

(٢) البخاري ، كتاب المغازي ، باب « فزوة الطائف » : ٢٠٠/٥ . ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب « إعطاء المؤلفات لوجه على الإسلام ، وتصبر من قوى إيمانه » : ١٠٨/٣ - ١٠٩ . ومسنده الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري : ٥٧/٣ ، ٧٦ - ٧٧ . وعن أنس بن مالك : ١٠٤/٣ - ١٠٥ ، ٢٥٣ . وعن عبد الله بن زيد بن عاصم : ٤٢/٤ .

(٣) سورة الأنفال ، آية : ٦٣ .

(٤) تحفة الأحوفى ، أبواب البر ، باب « ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض » ، الحديث ٣٠٦٥ : ١٣٣/٦ - ١٣٤ . وقال الترمذي : « هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه ، وقد روى هذا الحديث عن أيوب بإسناد غير هذا . رواه الحسن بن أبي جعفر ، وهو حديث ضعيف أيضاً ، بإسناد له عن حل ، عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحيح هذا عن علي ، موقوف » .

(٥) هوفيس بن الملوح - مجنون ليل . انظر ديوانه : ٣١٥ . والمعنى على خزنة الأدب : ٤٢/٣ . والبيت أيضاً في اللسان ، مادة : شئت ،

(٦) أى : الهجين المتباينين .

وفي صحيح مسلم ، عن ابن عباس : أن أبا سفيان قال : يا رسول الله ، ثلاث أعطينهن . قال : « نعم » . قال :
 وتومرتني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال : « نعم » . قال : ومعاوية تجعله كتاباً بين يديك . قال :
 « نعم » . قال : وعندى أحسن العرب وأجمه ، أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها ... الحديث (١) - وقد تقدم
 الكلام عليه .

وقوله تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم) ، أي : لا ينهاكم عن
 الإحصان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين ، كالنساء والضعفة منهم ، (أن تبروهم) ، أي : تحسنوا إليهم
 (وتقسطوا إليهم) ، أي : تعدلوا (إن الله يحب المقسطين) .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا هشام بن عروة ، عن قاطمة بنت المنذر ، عن أسماء - هي بنت أبي
 بكر ، رضي الله عنهما - قالت : قدمت أبي وهي مشرقة في عهد قريش إذ عاهدوا ، فأتيت النبي - صلى الله عليه
 وسلم - فقلت : يا رسول الله ، إن أبي قدمت وهي راغبة ، أفأصلها ؟ قال : « نعم ، صلى أمك » . أخرجه (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حارم ، حدثنا عبد الله بن المبارك ، حدثنا مصعب بن ثابت ، حدثنا عامر بن عبد الله
 ابن الزبير ، عن أبيه قال : قدمت قتيبة على ابنتها أسماء ابنة أبي بكر بهدايا : صيناب وأقط (٣) وسمن ، وهي مشرقة ،
 فأبت أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها . فسألت عائشة النبي - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله عز وجل : (لا ينهاكم الله
 عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) ... إلى آخر الآية ، فأمرها أن تقبل هديتها ، وأن تدخلها بيتها (٤) .

وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، من حديث مصعب بن ثابت ، به . وفي رواية لأحمد وابن جرير :
 « قتيبة بنت عبد المزي بن [عبد (٥)] أسعد ، من بني مالك بن حسل » . وزاد ابن أبي حاتم : « في المدة التي كانت
 بين قريش ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقال أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق الزيار : حدثنا عبد الله بن شبيب ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا
 أبو قتادة العدوي ، عن ابن أخي الزهري ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة وأسماء أنهما قالتا : قدمت علينا

(١) مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب « من فضائل أبي سفيان بن حرب » : ١٧١/٧ .
 (٢) وقع لنا الحديث في المسند من غير هذه الطريق ، انظر : ٣٤٤/٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٥ ، . هذا وانظر البخاري ،
 كتاب الحبة ، باب « الهدية للمشركين » : ٢١٥/٣ ، وكتاب الجزية : ١٢٦/٤ ، وكتاب الأدب ، باب « صلة الوالد المشترك » :
 ٥/٧ . ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب « فضل النفقة والصدقة على الأقربين ... » : ٨١/٣ .
 (٣) في المخطوطة ومسنده الإمام أحمد : « صيناب » ، بالضاد المعجمة ، والباء . والمثبت عن تفسير الطبري : ٤٣/٢٨ .
 والصناب - بالصاد المهملة ، والنون - : الخردل الممول بالزيت ، وهو صباغ يؤتم به .
 هذا وفي المخطوطة أيضاً مكان « وأقط » : وقرط . والمثبت عن المسند وتفسير الطبري . والأقط - بفتح فكسر - : لبن
 جفف يابس ، يطبخ به .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٤/٤ .

(٥) ما بين القوسين عن المسند ، وكتاب نسب قريش لمصعب الزبيرى : ٢٧٦ . حل أنه قد ورد نسبا في أصله الغاية

٥٣٢/٥ ط الوهبة : « قتيبة بنت سعد ... » .

أمتنا المدينة ، وهى مشركة ، فى المدينة التى كانت بين قريش وبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقلنا :
يا رسول الله ، إن أمتنا قدمت علينا المدينة راغبة ، أفنصلها ؟ قال : « نعم ، فوصلها » .

ثم قال : وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة إلا من هذا الوجه ،

قلت : وهو منكر بهذا السياق ، لأن أم عائشة هى أم رومان ، وكانت مسلمة مهاجرة ، وأم أسماه غيرها ،
كما هو مصرح باسمها فى هذه الأحاديث المتقدمة ، والله أعلم .

وقوله : (إن الله يحب المقسطين) : تقدم تفسير ذلك فى « سورة الحجرات » ، وأورد الحديث الصحيح :
« المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش : الذين يعدلون فى حكمهم ، وأهاليهم ، وما ولّوا » (١) .

وقوله : (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم) ،
أى : إنما ينهاكم عن موالاته هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة ، فقاتلوكم وأخرجوكم ، وعاونوا على إخراجكم ، ينهاكم الله
عن موالاتهم وبأمركم بمعاداتهم . ثم أكد الوعيد على موالاتهم فقال : (ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) ، كقوله :
(يا أيها الذين آمنوا ، لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله
لا يهتدى القوم الظالمين (٢)) .

بِأَيِّ آلِ دِينٍ ءَأَمِنُوا إِذَا جَاءَ كُرَّ الْمُؤْمِنَاتِ مَهْجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِبِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهِنَّ حُلْمٌ وَلَا هُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَأْتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ
إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ ۚ وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسَلُّوا مَا أَنْفَقُوا ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ
يُحْكَمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاتِبْتُمُ فَعَاتَبَتْهُنَّ فَتَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ۗ وَأَنفَقُوا ۗ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا الْمُؤْمِنِينَ

تقدم فى « سورة الفتح » ذكر صلح الحديبية الذى وقع بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبين كفار قريش ،
فكان فيه : « على أن لا يأتىك منا رجل - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا (٣) » . وفى رواية : « على أنه لا يأتىك
منا أحد - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا » . وهذا قول عروة ، والضحاك ، وعبد الرحمن بن زيد ، والزهرى ،
ومقاتل ، والسدى . فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة للسنة ، وهذا من أحسن أمثلة ذلك ، وعلى طريقة بعض
السلف ناسية ، فإن الله - عز وجل - أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن ، فإن علموهن
مؤمنات فلا يرجعوهن إلى الكفار ، لآهن حل لهن ولا هم يحلون لهن :

(١) تقدم الحديث عند تفسير الآية التاسعة من سورة الحجرات ، وخبرناه هناك . انظر : ٣٥٩/٧ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ٥١ .

(٣) انظر : ٣٣٤/٧ .

وقد ذكرنا في ترجمة عبد الله بن [أبي] أحمد بن جحش ، من المحدث الكبير ، من طريق أبي بكر بن أبي عاصم ، عن محمد بن يحيى الذهلي ، عن يعقوب بن محمد ، عن عبد العزيز بن عمران ، عن مشجع بن يعقوب ، عن حسين بن أبي شيبة (٢) ، عن عبد الله بن أبي أحمد قال : هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في الهجرة ، فخرج أخوها حمارة والوليد حتى قدما على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكلما فيها أن يردا إليها ، فنقص الله العهد بينه وبين المشركين في النساء خاصة ، ومنعهن أن يردن إلى المشركين ، وأنزل [الله] آية الامتحان (٣) .

قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا يونس بن بكير ، عن قيس بن الربيع ، عن الأغر بن الصباح ، عن حليفة بن حصين ، عن أبي نصر الأسدي قال : سئل ابن عباس : كيف كان امتحان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - النساء ؟ قال : كان يتحنهن : بالله ما خرجت من بطن زوج ؟ وبالله ما خرجت رغبة عن أرضي إلى أرض ؟ وبالله ما خرجت الناس دنيا ؟ وبالله ما خرجت إلا حباً لله ورسوله (٤) ؟

ثم رواه من وجه آخر ، عن الأغر بن الصباح ، به . وكذا رواه البزار من طريقه ، وذكر فيه أن النبي كان يتحنهن عن أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - له عمر بن الخطاب .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : (يا أيها الذين آمنوا ، إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) : كان امتحانهم أن يشهدن أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبد الله ورسوله (٤) .

وقال مجاهد : (فامتحنوهن) : فاسألوهن : ما جاء بهن ؟ فإن كان جاءهن غضب على أزواجهن أو سخطة أو غيره ، ولم يؤمن فأرجعهن إلى أزواجهن .

وقال عكرمة : يقال لها : ما جاء بك إلا حب الله ورسوله ؟ وما جاء بك عشق رجل منا ، ولا فراغ من زوجك ؟ فذلك قوله : (فامتحنوهن) .

وقال قتادة : كانت محبتهم أن يستحلن بالله : ما أخرجكن الشوز ؟ وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله وخيرص عابه ؟ فإذا قلن ذلك قيل ذلك منهن .

وقوله : (فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار) : فيه دلالة على أن الإيمان يمكن الاطلاع عليه يقيناً .

وقوله : (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) : هذه الآية هي التي حرمت المصاحبات على المشركين ، وقد كان جائزاً في ابتداء الإسلام أن يتزوج المشرك الميمنة ، ولهذا كان أبو العاص بن الربيع زوج ابنة النبي - صلى الله عليه وسلم -

(١) ما بين التوسين زيادة لابد من إثباتها ، وانظر المحدث الثالث ، و ترجمة عبد الله بن أبي أحمد في أسد الغابة : ١٧١/٣ .

(٢) في المخطوطة : « حسين بن أبي شيبة » . والمثبت عن أسد الغابة ، والإصابة : ٥٨/٣ . ولم تقع لنا ترجمته .

(٣) سابق ابن الأثير هذا الحديث من هذه الرواية في ترجمة عبد الله بن أبي أحمد بن جحش .

(٤) تفسير الطبري : ٤٤/٢٨ .

زينب رضي الله عنها ، وقد كانت مسلمة وهو على دين قومه ، فلما وقع في الأسارى يوم بدر بعثت امرأته زينب في فداءه بقلادة لها كانت لأمها خديجة ، فلما رآها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رقى لها رقعة شديدة ، وقال للمسلمين : « إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها فافعلوا » . ففعلوا ، فأطلقه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أن يبعث ابنته إليه ، فوفى له بذلك وصدقه فيما وعده ، وبعثها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع زيد بن حارثة رضي الله عنه ، فأقامت بالمدينة من بعد وقعة بدر ، وكانت سنة اثنتين إلى أن أسلم زوجها أبو العاص بن الربيع سنة ثمان [فردها عليه] بالنكاح الأول ، ولم يحدث لها صداق ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، حدثنا ابن إسحاق ، حدثني داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رد ابنته زينب على أبي العاص [بن الربيع (١)] ، وكانت هجرتها (٢) بل إسلامه بست سنين على النكاح الأول ، ولم يحدث شهادة ولا صداقا (٣) .

ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه (٤) . ومنهم من يقول : « يعد ستين » . وهو صحيح ، لأن إسلامه كان بعد تحريم المسلمين على المشركين بستين . وقال الترمذي : « ليس بإسناده بأس ، ولا تعرف وجه هذا الحديث ، وإياه جاء من حفظ داود بن الحصين ... وسمعت عبد بن - يد يقول : سمعت يزيد بن هارون يذكر عن ابن إسحاق هذا الحديث ، وحديث ابن الحجاج - يعني ابن أرقاة - عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رد ابنته على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد . فقال يزيد : حديث ابن عباس أجود إسنادا ، والعمل على حديث عمرو بن شعيب (٤) » .

قلت : وقد روى حديث الحجاج بن أرقاة ، عن عمرو بن شعيب الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه (٥) ، ووضفه الإمام أحمد وغير واحد ، والله أعلم .

وأجاب الجمهور عن حديث ابن عباس بأن ذلك كان قضية عين يحتمل أنه لم تنقض عداتها منه ، لأن الذي عليه الأكرهون أنها متى انقضت العدة ولم يسلم ، انفسخ نكاحها منه .

وقال آخرون : بل إذا انقضت العدة هي بالخيار ، إن شاءت أقامت على النكاح واستمرت ، وإن شاءت فسخته وذهبت فتزوجت ، وحملوا عليه حديث ابن عباس ، والله أعلم .

(١) ما بين القوسين عن المسند .

(٢) في المسند : « وكان إسلامها ... » .

(٣) مسند الإمام أحمد : ١/٣٦١ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الطلاق ، باب « إلى متى ترد عليه امرأته إذا أسلم بعدها » . وتحفة الأحوذى ، أبواب النكاح ،

باب « ما جاء في الزوجين المشركين يسلم أحدهما » ، الحديث ١١٥٢ : ٤/٢٩٦ - ٢٩٨ . وسنن ابن ماجه ، كتاب الطلاق ،

باب « الزوجين يسلم أحدهما قبل الآخر » ، الحديث ٢٠٠٩ : ١/٦٤٧ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢/٢٠٧ - ٢٠٨ . والترمذي في الكتاب والباب المتقدمين ، انظر تحفة الأحوذى : ٤/٢٩٨ .

وابن ماجه ، الحديث ٢٠١٠ : ١/٦٤٧ .

من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية : (يا أيها النبي ، إذا جاءك المؤمنات يبائعتك) إلى قوله : (غفور رحيم) - قال عروة : قالت عائشة : فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات ، قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد بايعتك ، كلاما ، ولا والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعه ، ما يبائعهن إلا بقوله : « قد بايعتك على ذلك » . هذا لفظ البخاري (١) :

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن أميمة بنت رقيقة قالت : أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في نساء لتبائعه ، فأخذ علينا ما في القرآن : أن لا نشرك بالله شيئا ... الآية ، وقال : « فيما استطعتن وأطقن » ، قلنا : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، قلنا : يا رسول الله ، ألا تصافحنا ؟ قال : « إني لا أصافح النساء ، إنما قولي لامرأة واحدة كقولي لمائة امرأة (٢) » .

هذا إسناد صحيح ، وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه ، من حديث سفيان بن عيينة - والنسائي أيضا من حديث الثوري - ومالك بن أنس كلهم ، عن محمد بن المنكدر ، به . وقال الترمذي : « حسن صحيح ، لا يعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر (٣) » .

وقد رواه أحمد أيضا من حديث محمد بن إسحاق ، عن محمد بن المنكدر ، عن أميمة ، به . وزاد : « ولم يصافح منا امرأة (٢) » . وكذا رواه ابن جرير من طريق موسى بن عقبة ، عن محمد بن المنكدر (٤) به ، ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي جعفر الرازي ، عن محمد بن المنكدر : حدثني أميمة بنت رقيقة - وكانت أخت خديجة خالة فاطمة ، من فيها إلى في - فذكره .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني سليمان بن أبي حاتم ، عن أمه سلمى بنت قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد صلت معه القبلتين ، وكانت إحدى نساء بني عدي بن النجار قالت : جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تبائعه (٥) في نسوة من الأنصار ، فلما شرط علينا : ألا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي بيهتان نقتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف - قال : « ولا تغششن أزواجكن » . قالت : فبائعناه ، ثم انصرفنا ، فقلت لامرأة

(١) البخاري ، تفسير سورة المتحنة : ١٨٦/٦ - ١٨٧ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣٥٧/٦ .

(٣) تحفة الأحوذى ، أبواب السير ، باب « ما جاء في بيعة النساء » ، الحديث ١٦٤٥ : ٢٢٠/٥ . والنسائي ، كتاب البيعة ، باب « بيعة النساء » : ١٤٩/٧ ، وباب « البيعة فيما يستطيع الإنسان » : ١٥٢/٧ . وابن ماجه ، كتاب الجهاد ، باب « بيعة النساء » ، الحديث ٢٨٧٤ : ٩٥٩/٢ .

(٤) تفسير الطبري : ٥٣/٢٨ .

(٥) في المسند : « فبائعته » .

منهن : ارجعني فسل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما غش أزواجنا ؟ قال : فسألته فقال : « تأخذ ماله ، فتحاي به غيره » (١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن أبي العباس ، حدثنا عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم بن محمد بن حاطب ، حدثني أبي ، عن أمه عائشة بنت قدامة - يعنى ابن مضمون - قالت : أنا مع أبي رائلة [بنت سفيان] الخزاعية ، واليبي - صلى الله عليه وسلم - يبايع النسوة ويقول : « أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً ، ولا تشركن ولا تزوين ولا تظنن أولادكن ، ولا تأتين بهتان تغزبه بين أيديكن وأرجلكن ، ولا تعصينى فى معروف » قالت : فأطرقن . فقال من النبي - صلى الله عليه وسلم - [(٢)] : « قلن : نعم فيما استطعن » . فكُنَّ يقان وأقول معهن ، وأى [تلتفتنى] قولى [(٣)] أى بنية : نعم [فيما استطعت] (٢) [فكنت أقول كما يقان] (٤) .

وقال البخارى : حدثنا [أبو (٥)] معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا أيوب ، عن حفصة بنت سيرين ، عن أم عطية قالت : بايعتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأ علينا : « أن لا يشركن بالله شيئاً » ، ومنها عن النياحة ، فقبضت امرأة يدها [فقالت] : أسعدتني (٦) فلانة أريد أن أجزيها . فما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، فانطلقت ورجعت فبايعها (٧) .

ورواه مسلم (٨) . وفى رواية : « فبايعت منهن امرأة غيرها ، وغير أم سليم ابنة ملحان » .

وللبخارى عن أم عطية قالت : أخذ علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند البيعة أن لا نوح ، فما وقتت هنا امرأة غير خمس نسوة : أم سليم ، وأم العلاء ، وابنة أبي سبرة امرأة معاذ ، وامرأتان - أو : ابنة أبي سبرة ، وامرأة معاذ ، وامرأة أخرى (٩) .

وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتعاهد النساء بهذه البيعة يوم العيد ، كما قال البخارى . حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا عبد الله بن وهب ، أخبرني ابن جريج : أن الحسن ابن مسلم أخبره ، عن طاووس ، عن ابن عباس قال : شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبي بكر وهن وحشمان ، فكلهم يهنيها قبل الخطبة ثم يخضب بعد ، فنزل نبي الله - صلى الله عليه وسلم - فكأنى أنظر

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٧٩/٦ - ٣٨٠ . وانظر أيضاً المسند : ٤٢٢/٦ - ٤٢٣ . وأسد الغابة ، ترجمة سلمى بنت قيس : ١٤٩/٧ . بتحقيقنا .

(٢) ما بين القوسين من المسند .

(٣) ما بين القوسين من المسند ، ومكانه فى المخطوطة : « تقول » .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٣٦٥/٦ . وانظر ترجمة عائشة بنت قدامة فى أسد الغابة ، الترجمة ٧٠٩٢ : ١٩٤/٧ . بتحقيقنا .

(٥) ما بين القوسين عن الصحيح . وأبو يعمر هذا هو : عبد الله بن عمرو بن أبي الحجاج . انظر الخلاصة .

(٦) أى : هانئياً فى النياحة .

(٧) البخارى ، تفسير سورة الممتحنة : ١٨٧/٦ .

(٨) انظر مسلم ، كتاب الجنائز ، باب « التشديد فى النياحة » : ٤٦/٣ .

(٩) البخارى ، كتاب الجنائز ، باب « ما يهين عن النوح واليكاء » ، والرجوع عن ذلك : ١٠٦/٢ .

إليه حين يجلس الرجال بيده ، ثم أقبل يشقّ لهم حتى أتى النساء مع بلال فقال : (يا أيها النبي ، إذا جاءك المؤمنات يبيلعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ، ولا يسرقن ولا يزني ، ولا يقتلن أولادهن ، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) ، حتى فرغ من الآية كلها . ثم قال حين فرغ : «أتين على ذلك ؟» . فقالت امرأة واحدة ، لم يحبه غيرها : نعم يا رسول الله - لا يدري الحسن من هي - قال : فتصدقن ، قال : وبسط بلال ثوبه فجعلن يلقين الفتيحة (١) والخواتيم في ثوب بلال (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا خاتم بن الوليد ، حدثنا [ابن] عياش (٣) عن سليمان بن سليم ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتابعه على الإسلام ، فقال : «أباعدك على أن لا تشركي بالله شيئاً ، ولا تسرقى ولا تزني ولا تقتلي ولدك ، ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ، ولا تنوحى ، ولا تبرجي تبرج الجاهلية الأولى (٤)» .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن عباد بن الصامت قال : كنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مجلس فقال : (تابعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم) - قرأ الآية التي أخذت على النساء : (إذا جاءك المؤمنات) - فن وفي منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به ، فهو كفارة له . ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه ، فهو إلى الله ، إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه (٥) . أخرجاه في الصحيحين (٦) .

وقال محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن مرثد بن عبد الله اليزني ، عن أبي عبد الله الرحمن بن فضالة الصنابحي ، عن عباد بن الصامت قال : كنت فيمن حضر العقبة الأولى ، وكنا اثني عشر رجلاً ، فبايعنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بيعة النساء ، وذلك قبل أن يفرض الحرب ، على أن لا تشرك بالله شيئاً ، ولا تسرق ولا تزني ولا تقتل أولادنا ، ولا تأتي ببهتان تفترينه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف ، [وقال] : « فإن وقّيتم فلکم الجنة » . رواه ابن أبي حاتم .

وقد روى ابن جرير من طريق العوفي ، عن ابن عباس : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر عمر بن الخطاب فقال : « قل لمن : إن رسول الله يبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً » - وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التي شقت

(١) الفتيحة - بفتحين - واحدها : فتحة ، وهي خواتيم كبار تلبس في الأيدي ، وربما وضعت في أصابع الأرجل .

(٢) البخاري ، تفسير سورة الممتحنة : ١٨٧/٦ - ١٨٨ .

(٣) في المخطوطة : «عباس» ، بالعين والباء الموحدة ، وما بين القوسين عن المسند . وهو إسماعيل بن عياش ، انظر اختلاصة

ترجمة سليمان بن سليم . هذا وقد أخرجه ابن جرير من طريق ابن عياش ، على أن فيه «سليمان بن سليمان» وهو خطأ . انظر تفسير الطبري : ٥٢/٢٨ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٩٦/٢ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٣١٤/٥ .

(٦) البخاري ، تفسير سورة الممتحنة : ١٨٧/٦ . ومسلم ، كتاب الحدود ، باب «الحدود كفارات لأهلها» .

بطن حمزة منكراً في النساء - فقالت: «إني إن أتكلم يعرفني ، وإن عرفني قتلتني» ، وإنما تكلمت قرأاً من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسكت النسوة اللاتي مع هند ، وأبين أن يتكلمن . فقالت هند وهي منكورة : كيف تقبل من النساء شيئاً لم تقبله من الرجال ؟ ففطن (١) إليها رسول الله وقامخ عمر : « قل لمن : ولا تشرقن » - قالت هند : والله إني لأصيب من أبي سفيان المستنات ، ما أدرى أجهن لي أم لا ؟ قال أبو سفيان : ما أصبت من شيء مضي أو قد بقي ، فهو لك حلال . فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعرفها ، فدعاها فأخذت بيده ، فعادت به ، فقال : « أنت هند ؟ » . قالت : عفا الله عما سلف . فصرف عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « ولا تزئنين » . فقالت : يا رسول الله ، وهل تزني الحرة ؟ قال : « لا ، والله ما تزني الحرة . فقال : ولا يقتلن أولادهن » . قالت هند : أنت قتلتهن يوم بدر ، فأنت وهم أبصر . قال : (ولا يأتين بيهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) قال : (ولا يعصينك) في معروف . قال : منعهن أن ينحن ، وكان أهل الجاهلية يزقن الثياب ويخدشن الوجوه ، ويقطعن الشعور ، ويدعون بالثبور . والشبور : الويل (٢) .

وهذا أثر خريب ، وفي بعضه نكارة (٣) ، والله أعلم ؛ فإن أبا سفيان وامرأته لما أسلما لم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخيفهما ، بل أظهر الصفاء والود له ، وكذلك كان الأمر من جانبه - عليه السلام - هما :

وقال مقاتل بن حيان : أنزلت هذه الآية يوم الفتح ، فبايع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [الرجال] على الصفا ، وعمر يبايع [النساء] تحتها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٤) - فذكر بقيته كما تقدم وزاد : فلما قال : (ولا تقتلن أولادكن) ، قالت هند : ربيئاهم صغاراً فقتلتموهن كباراً . فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى . رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا نصر بن علي ، حدثني غبطة (٥) بنت سليمان ، حدثتني عمي : عن جدتها ، عن (٦) عائشة قالت : جاءت هند بنت عتبة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لتبايعه ، فنظر إلى يدها فقال : « ذهبي فغيري يدك » . فذهبت فغيرتها [بفضاء] ، ثم جاءت فقال : « أبابك علي أن لا تشركي بالله شيئاً » ، فبايعها وفي يدها سواران من ذهب ، فقالت : ما تقول في هذين السوارين ؟ فقال : « جمرتان من جمر جهنم » ، فقوله : (يا أيها النبي ، إذا جاءك المؤمنات يبائعنك) ، أي : من جاءك منهن يبايع على هذه الشروط ، فبايعها ، (علي أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يشرقن) ، أي : أموال الناس الأجانب ، فأما إذا كان الزوج متصرفاً في نفقتها ، فإنها أن

(١) كذا في مخطوطة الأزهر . وفي تفسير الطبري : « فنظر إليها ... » .

(٢) تفسير الطبري : ٥١٢/٨ .

(٣) انظر ترجمة هند بنت عتبة في طبقات ابن سعد : ١٧٨/٨ .

(٤) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ، عن ابن أبي حاتم : ٢٠٩/٦ .

(٥) كذا في المخطوطة : « غبطة بن سليمان » . وفي سنن أبي داود ، كتاب الترجيل : باب « في الخضاب للنساء » : « غبطة

بنت عمرو الجاشعية » .

(٦) في المخطوطة : « حدثني عمي ، عن جدتي » . ولثبت عن سنن أبي داود ، ونظفه : « حدثني مسلم بن إبراهيم ، حدثني

غبطة بنت عمرو الجاشعية » قالت : حدثتني عمي أم الحسن ، عن جدتها ، عن عائشة .

تفسير سورة الصِّفِّ

وهي مبنية

قال الإمام أحمد - رحمه الله - : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا ابن المبارك ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة - وعن عطاء بن يسار ، عن أبي سلمة ، عن عبد الله بن سلام قال : تذاكرنا : أيكم يأتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيسأله أي الأعمال أحب إلى الله ؟ فلم يبق أحد منا ، فأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلينا رجلاً ، فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة ، يعني سورة الصِّفِّ كلها . هكذا رواه الإمام أحمد (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا العباس بن الوليد بن مزياد البيروني قراءة قال : أخبرني أبي ، سمعت الأوزاعي ، حدثني يحيى بن أبي كثير ، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، حدثني عبد الله بن سلام . أن أناساً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا : لو أرسلنا إلى رسول الله نسأله عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ؟ فلم يذهب إليه أحد منا ، وهبنا أن نسأله عن ذلك ، قال : فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أولئك نفر رجلاً رجلاً حتى جمعهم ، ونزلت فيهم هذه السورة : (سبح) النصف - قال عبد الله بن سلام : فقرأها علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلها . [قال أبو سلمة : وقرأها علينا عبد الله بن سلام كلها] . قال يحيى بن أبي كثير : وقرأها علينا أبو سلمة كلها . قال الأوزاعي : وقرأها علينا يحيى بن أبي كثير [كلها] قال أبي : وقرأها علينا الأوزاعي كلها .

وقد رواه الرمزي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي : حدثنا محمد بن كثير ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن عبد الله بن سلام قال : قعدنا نفرًا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتذاكرنا ، فقلنا : لو نعلم : أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه . فأنزل الله : (سبح لله ما في السموات وما في الأرض ، وهو العزيز الحكيم . يا أيها الذين آمنوا ، لم تقولون مالا تفعلون) - قال عبد الله بن سلام : فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو سلمة : فقرأها علينا ابن سلام . قال يحيى : فقرأها علينا أبو سلمة . قال ابن كثير : فقرأها علينا الأوزاعي . قال عبد الله : فقرأها علينا ابن كثير .

ثم قال الرمزي : وقد خولف محمد بن كثير في إسناد هذا الحديث عن الأوزاعي ، فروى ابن المبارك ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن هلال بن أبي ميمونة ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بن سلام - أو : عن أبي سلمة ، عن عبد الله بن سلام (٢) .

قلت : وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن يعمر ، عن ابن المبارك ، به (٣) :

قال الرمزي : « وروى الوليد بن مسلم هذا الحديث عن الأوزاعي ، نحو رواية محمد بن كثير (٢) » .

(١) مسند الإمام أحمد : ٤٥٢/٥ .

(٢) محفة الأحوف ، تفسير سورة الصِّفِّ ، الحديث ٣٣٦٣ : ٢٠٦/٩ - ٢٠٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤٥٢/٥ .

قلت : وكذا رواه الوليد بن يزيد ، عن الأوزاعي ، كما رواه ابن كثير :

قلت : وقد أخبرني بهذا الحديث الشيخ المسند أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحجار قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو المتجاء عبد الله (١) بن عُمَرَ بن النَّسِّي ، أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي (٢) قال : أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن المظفر (٣) بن محمد بن داود الداودي ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن حَمَوَيْه السرخسي (٤) ، أخبرنا عيسى بن عُمَرَ بن عمران السمرقندي ، أخبرنا الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله ابن عبد الرحمن الدارمي بجميع مسنده ، أخبرنا محمد بن كثير ، عن الأوزاعي ... فذكر بإسناده مثله ، وتسلسل لنا قراءتها إلى شيخنا أبي العباس الحجار ، ولم يقرأها ، لأنه كان أمياً ، وضاق الوقت عن ثلثينها إياه . ولكن أخبرني الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي رحمه الله : أخبرنا القاضي تقي الدين سليمان بن الشيخ أبي عمر ، أخبرنا أبو المنجا بن النَّسِّي ... فذكره بإسناده ، وتسلسل لي من طريقه ، وقرأها علي بكماها ، والله الحمد والمئة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْنُونَ فِي سَبِيلِهِ مِمَّا رَزَقَهُمْ وَكَانَ هُمْ بِذُنُوبِهِمْ مَرْضُوعِينَ ﴿٤﴾

تقدم الكلام على قوله : (سبح لله ما في السموات وما في الأرض ، وهو العزيز الحكيم) غير مرة ، بما أغنى عن إعادته .

وقوله : (يا أيها الذين آمنوا ، لم تقولوا ما لا تفعلون) ؟ إنكار على من يعد عداً ، أو يقول قولاً لا يفي به . ولهذا استدلل بهذه الآية الكريمة من [ذهب] من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً ، سواء ترتب عليه حرْمٌ للعوود أم لا . واحتجوا أيضاً من السنة بما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أوتى من شيء خان » (٥) . وفي الحديث الآخر في الصحيح : « أُرِيعَ مِنْ كُنْ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدْعَهَا (٦) » . فذكر منهن اختلاف الوعد . وقد استقصينا الكلام على هذين الحديثين في أول شرح البخاري ، والله الحمد والمئة . ولهذا أكد تعالى هذا الإنكار عليهم بقوله : (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) .

(١) مترجم في العبر للذهبي : ١٤٣/٥ .

(٢) أنظر العبر للذهبي : ١٥١/٤ - ١٥٢ .

(٣) في العبر للذهبي ٢٦٤/٣ - ٢٦٥ : « عبد الرحمن بن محمد بن المظفر ... » .

(٤) مترجم في العبر للذهبي : ١٧/٣ .

(٥) تقدم الحديث عند تفسير الآية الرابعة والخمسين من سورة مريم ٢٣٤/٣ وخرجنا هناك .

(٦) البخاري ، كتاب الإيمان ، باب « علامة المنافق » : ١٥/١ . وسلم ، كتاب الإيمان أيضاً : باب

بيان خصال المنافق : ٥٦/١ .

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود ، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : أتانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [في بيتنا (١)] وأنا صبي - قال : فذهبت لأخرج لألعب ، فقالت أمي : يا عبد الله : تعال أعطك . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما أردت أن تعطيه ؟ » . قالت : تمر . فقال : « أما إنك لو لم تفعل كشيء عليك كذبة (٢) » . وذهب الإمام مالك رحمه الله إلى أنه إذا تعلق بالوعد غُرم على الموعود وجب الوفاء به ، كما لو قال لغيره : « تزوج ولك على كل يوم كذا » . فتزوج ، وجب عليه أن يعطيه ما دام كذلك ، لأنه تعلق به حق آدمي ، وهو مبني على المضايقة . وذهب الجمهور إلى أنه لا يجب مطلقا ، وحملوا الآية على أنها نزلت حين تمنوا فرضية الجهاد عليهم ، فلما فرض نكل عنه بعضهم ، كتوله تعالى : (ألم تر إلى الذين قيل لهم : كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ، وقالوا : ربنا ، لم كتب علينا القتال ؟ لولا أخرتنا إلى أجل قريب ، قل : متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن أتى ، ولا تظلمون فتيلا . أينا تكونوا يدرركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة (٣)) . وقال تعالى : (ويقول الذين آمنوا : لولا نزلت سورة ؟ فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال ، رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت (٤)) ... الآية ، وهكذا هذه الآية معناها ، كما قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) : قال : كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون : لو دنا أن الله - عز وجل - دلنا على أحب الأعمال إليه ، فنعمل به . فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إيمان به لا شك فيه ، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرؤا به . فلما نزل الجهاد كره ذلك أناس من المؤمنين ، وشق عليهم أمره ، فقال الله سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا ، لم تقولون مالا تفعلون (٥)) ؟ . وهذا اختيار ابن جرير (٦) .

وقال مقاتل بن حيان : قال المؤمنون : لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملنا به . فدلهم الله على أحب الأعمال إليه ، فقال : (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) ، فبين لهم ، فأبوا يوم أحد بذلك ، فولوا عن النبي صلى الله عليه وسلم مندبرين ، فأنزل الله في ذلك : (يا أيها الذين آمنوا ، لم تقولون مالا تفعلون) ؟ وقال : أحبكم إلى من قاتل في سبيلي . ومنهم من يقول : أنزلت في شأن القتال ، يقول الرجل : « قاتلت » . ولم يقاتل . « وطعنت » . ولم يطعن . « وضربت » . ولم يضرب . « وصبرت » . ولم يصبر .

وقال قتادة ، والضحالك : نزلت توبيخا لغرم كانوا يقولون : « قتلنا ، ضربنا ، طعنا ، وفعلنا » . ولم يكونوا دعاء ذلك .

وقال ابن زيد : نزلت في قوم من المنافقين ، كانوا يعدون المسلمين النصر ، ولا يفون لهم بذلك :

(١) ما بين القوسين عن المسند .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٤٤٧/٣ . وسنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب « في الكذب » .

(٣) سورة النساء ، آية : ٧٦ ، ٧٧ .

(٤) سورة محمد ، آية : ٢٠ .

(٥) تفسير الطبري : ٥٥/٢٨ .

(٦) تفسير الطبري : ٥٦/٢٨ .

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : (لم تقولون مالا تفعلون ؟) ، قال : في الجهاد .

وقال ابن أبي نجیح ، عن مجاهد : (لم تقولون مالا تفعلون) إلى قوله : (كأنهم بنيان مرصوص) [فإبن ذلك] : في نفر من الأنصار ، فيهم عبد الله بن رواحة ، قالوا في مجلس : لو تعلم أي الأعمال أحب إلى الله ، لعملنا بها حتى نموت . فأقول الله هذا فيهم . فقال عبد الله بن رواحة : لا أبرح حبيسا في سبيل الله حتى أموت . فقتل شهيداً (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا فروة بن أبي المغراء ، حدثنا علي بن مسهر ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلي ، عن أبيه قال : بعث أبو موسى إلى قراء أهل البصرة ، فدخل عليه منهم ثلاثمائة رجل ، كلهم قد قرأ القرآن ، فقال : أنتم قراء أهل البصرة وخيارهم . وقال : كنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات ، فأنسيناها ، غير أبي قد حفظت منها : (يا أيها الذين آمنوا ، لم تقولون مالا تفعلون) . فتكتب شهادة في أعناقكم ، فتسألون عنها يوم القيامة .

ولذا قال تعالى : (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) ، فهذا إخبار منه تعالى بحبة عباده المؤمنين إذا اصطفوا لمواجهة أعداء الله في حومة الوغى ، يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله ، لتكون كلمة الله هي العليا ، ودينه هو الظاهر العالی على سائر الأديان .

قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا هشيم ، قال مجالد : أخبرنا عن أبي الوداءك ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ثلاثة يضحك الله إليهم : الرجل يقوم من الليل ، والقوم إذا صفوا للصلاة ، والقوم إذا صفوا للقتال (٢) » .

ورواه ابن ماجه من حديث مجالد ، عن أبي الوداءك جبر بن نوف ، به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، حدثنا الأسود - يعني ابن شيبان - حدثني يزيد بن عبد الله بن الشخير قال : قال مطرف : كان يبلغني عن أبي ذر حديث كنت أشتبهى لقاءه ، فلقيته فقلت : يا أبا ذر ، كان يبلغني عنك حديث ، فكنت أشتبهى لقاءه . فقال : لله أبوك ! فقد لقيت ، فهات . فقلت : كان يبلغني منك أنك تزعم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حدثكم أن الله يحب ثلاثة ويغض ثلاثة ؟ قال : أجل ، فلا إخواني أكذب على خليلي صلى الله عليه وسلم . قلت : فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله ؟ قال : رجل غزا في سبيل الله ، خرج محتسبا مجاهدا فلقى العدو فقتل ، وأنتم تجدونه في كتاب الله المنزل ، ثم قرأ : (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) ... وذكر الحديث .

هكذا أورد هذا الحديث من هذا الوجه بهذا السياق ، وبهذا اللفظ ، واختصره . وقد أخرجه الترمذي والنسائي من حديث شعبة ، عن منصور بن المعتمر ، عن ربيعي بن حيراش ، عن زيد بن ظبيسان ، عن أبي ذر بأبسط من هذا السياق وأتم . وقد أوردناه في مواضع آخر ، والله الحمد (٣) .

(١) تفسير الطبري : ٥٥/٢٨ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٨٠/٣ ، وقد وقع في المسند مقط نظري .

(٣) وقع لنا الحديث في مسند الإمام أحمد : ١٧٦/٨ .

وعن كعب الأحبار أنه قال : يقول الله تعالى محمد - صلى الله عليه وسلم - : « عبدى المتوكل المختار ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسبيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، مولده بمكة ، وهجرته بطابة ، وملكه بالشام ، وأمه الحماذون محمدون الله على كل حال ، وفى كل منزلة ، لهم دوى كدوى النحل فى جو السماء بالسحر ، يوصون أطرافهم ، ويأتزون على أنصافهم ، صفهم فى القتال مثل صفهم فى الصلاة » : ثم قرأ : (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) ، رعاة الشمس ، يصلون الصلاة حيث أدركتهم ، ولو على ظهر دابة . رواه ابن أبى حاتم (١) .

وقال سعيد بن جبير فى قوله : (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) ، قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يقاتل العدو إلا أن يضافهم ، وهذا تعليم من الله للمؤمنين . قال : وقوله (كأنهم بنيان مرصوص) : ملتصق بعضها فى بعض ، من الصف فى القتال .

وقال مقاتل بن حيان : ملتصق بعضها إلى بعض :
وقال ابن عباس : (كأنهم بنيان مرصوص) : مثبّت ، لا يزول ، ملتصق بعضها ببعض ؛
وقال قتادة : (كأنهم بنيان مرصوص) : ألم تر إلى صاحب البنيان ، كيف لا يحب أن يختلف بنيانه ؟ فكذلك الله عز وجل لا يختلف أمره ، وإن الله صنف المؤمنين فى قتالهم وصفحهم فى صلواتهم ، فعليكم بأمر الله ، فإنه عصمة لمن أخذ به . أورد ذلك كله ابن أبى حاتم (٢) .

وقال ابن جرير : حدثني سعيد بن عمرو السكوتى ، حدثنا بقية بن الوليد ، عن أبى بكر بن أبى مرزم ، عن يحيى ابن جابر الطائى ، عن أبى حنيفة قال : كانوا يكرهون القتال على الخيل ، ويستحبون القتال على الأرض ، لقول الله عز وجل : (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) - قال : وكان أبو حنيفة يقول : إذا رأيتهم التفت فى الصف فوجدتوا فى لحي (٣) .

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي بِرَسُولٍ أَنْتُمْ يَعْلَمُونَ أَفَأَنْتُمْ كَارِهِونَ أَنْ تَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَأَطِيعُوا أَمْرًا إِذْ أَنْتُمْ عَلَىٰ أَرْضٍ وَعِشْرَةً وَمَنْ أَحْسَنُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ إِذْ أَنْتُمْ تَخْتَلِفُونَ ۗ فَلَمَّا أَسْرَأْ إِلَىٰ رَبِّهِ يَأْتِيهِ مِنَ الْمَوْجِ مَا أَحْسَنُ مَوْجًا ۖ فَلَمَّا أَصْبَحَ نَظَرَ إِلَىٰ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۗ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ رَبِّهِمْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ نُورًا ۖ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَىٰ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۗ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ رَبِّهِمْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ نُورًا ۖ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَىٰ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۗ

يقول تعالى محضاً عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران - عليه السلام - أنه قال لقومه : (لم تؤذونى وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم) ، أى : لم تصلون الأذى إلى وأنتم تعلمون صدق فيما جئتكم به من الرسالة ؟ . وفى هذا

(١) انظر الشفاء للقاضى عياض ، الفصل الثانى فى وصفه تعالى له بالشهادة ، وما يمتاز بها من الشفاء والكرامة : ١٦٠-١٥٠ . وانظر أيضاً فيما سبق : ٨٣/٦ .

(٢) انظر أثر قتادة فى تفسير الطبرى : ٥٦/٢٨ .

(٣) الحى - يفتح فسكون - : منبت النجى من الإنسان ، وجنوا : اضربوا ، والأثر فى تفسير الطبرى : ٥٧/٢٨ .

تسلياً لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما أصاب من الكفار من قومه وغيرهم ، وأمر له بالصبر ، ولهذا قال : «رحمة الله على موسى : لقد أودى بأكثر من هذا فصبر» (١) . وفيه نهي للمؤمنين أن ينالوا من النبي - صلى الله عليه وسلم - أو يوصلوا إليه أذى ، كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ، لا تكونوا كالذين آذوا موسى ، فبرأه الله بما قالوا ، وكان عند الله وجيهاً) (٢) .

وقوله : (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) ، أي : فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به ، أزاغ الله قلوبهم عن الهدى ، وأسكنها الشك والخيرة والخذلان ، كما قال تعالى : (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ، ونذرهم في طغيانهم يعمهون) (٣) . وقال (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين ، نوله ما تولى ، ونضله جهنم وساءت مصيراً) (٤) . ولهذا قال تعالى في هذه الآية : (والله لا يهدي القوم الفاسقين) .

وقوله : (وإذا قال عيسى بن مريم : يا بني إسرائيل ، إني رسول الله إليكم ، مصداقاً لما بين يدي من التوراة ، ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) ، يعني : التوراة قد بشرت بي ، وأنا مصداق ما أخبرت عنه ، وأنا مبشّر عن بعدي ، وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد . فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل ، وقد أقام في ملائكة بني إسرائيل مبشراً بمحمد ، وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، الذي لا رسالة بعده ولا نبوة . وما أحسن ما أورد البخاري الحديث الذي قال فيه :

حدثنا أبو البيان ، حدثنا شعيب ، عن الزهري قال : أخبرني محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (إن لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب) (٥) .

ورواه مسلم ، من حديث الزهري ، به نحوه (٦) .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا المسعودي ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن أبي موسى قال : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء ، منها ما حفظنا فقال : « أنا محمد ، وأحمد ، والحاشر ، والمحي ، وبي الرحمة ، والتوبة ، والملحة » (٧) .

ورواه مسلم من حديث الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، به (٨) .

(١) تقدم الحديث عند تفسير الآية ٦٩ من سورة الأحزاب ، وعرضناه هناك . انظر : ٤٧٥/٦ .

(٢) سورة الأحزاب ، آية : ٦٩ .

(٣) سورة الأنعام ، آية : ١١٠ .

(٤) سورة النساء ، آية : ١١٥ .

(٥) البخاري ، تفسير سورة الف : ١٨١/٦ .

(٦) مسلم ، كتاب القصاص ، باب وفي أممائه صلى الله عليه وسلم ، ٨٩ / ٧ .

(٧) انظر منحة المعبود : ٨٥ / ٢ .

(٨) مسلم ، في الكتاب والباب المتعلقين : ٩٥ / ٧ .

وقد قال الله تعالى : (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل (١)) :: الآية .
وقال تعالى : (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم ، لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال : أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا : أقررنا ، قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين (٢)) .

قال ابن عباس : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد : لئن بعث محمد وهو حي ليتبعه ، وأخذ عليه أن يأخذ على أمته
لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعه وينصرنه ،

وقال محمد بن إسحاق : حدثني ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنهم قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك . قال : « دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أي حين حملت بي
كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصري من أرض الشام (٣) » .

وهذا إسناد جيد ، وروى له شواهد من وجوه أخر ، فقال الإمام أحمد :

حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن سعيد بن سويد الكلبي ، عن عبد الأعلى بن هلال
السلمي ، عن العرياض بن سارية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني عند الله لخاتم النبيين ، وإن آدم
لمنجدل (٤) في طيبته ، وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورويا أي التي رأت ، وكذلك
أمهات النبيين يبرزين (٥) » .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا أبو النضر ، حدثنا الفرج بن فضالة ، حدثنا لقمان بن عامر قال : سمعت أبا أمامة قال :
قلت يا نبي الله ، ما كان بدء أمرك ؟ قال : « دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أي أنه يخرج منها نور أضاءت
له قصور الشام (٦) » .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا حسن بن موسى : سمعت حديثاً أحخاه زهير بن معاوية ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الله
ابن عتبة ، عن عبد الله بن مسعود قال : بعثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً ،
منهم : عبد الله بن مسعود ، وجعفر ، وعبد الله بن [عَرْفُطَةَ (٧)] ، وعثمان بن مظعون ، وأبو موسى . فأتوا
النجاشي ، وبعثت قريش عمرو بن العاص ، وعمارة بن الوليد مهدياً ، فلما دخلوا على النجاشي سجدوا له ، ثم ابتدأه
عن يمينه وعن شماله ، ثم قال له : إن نقرأ من بني عمنا نزلوا أرضك ، ورجبوا عنا وعن ملتنا . قال : « فأين هم ؟ قالوا :
هم في أرضك ، فابعث إليهم : فبعث إليهم - فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم . فاتبعوه فسلم ولم يسجد ، فقالوا له :

(١) سورة الأعراف ، آية : ١٥٧ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ٨١ .

(٣) سيرة ابن هشام : ١٦٦/١ .

(٤) أي : ملق على الجذالة - بكسر الجيم - وهي الأرض .

(٥) مسند الإمام أحمد : ١٢٧/٤ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٢٦٢/٥ .

(٧) ما بين القوسين عن المسند ، ومكانه يبايض في المخطوطة .

مالك لا تسجد للملك؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله عز وجل. قال: وما ذلك؟ قال: إن الله بعث إلينا رسوله، فأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل، وأمرنا بالصلاة والزكاة. قال عمرو بن العاص: فأنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم. قال: ما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟ قالوا: نقول كما قال الله عز وجل: هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول (١)، التي لم يمسهما بشر ولم يمشرضها (٢). ولد، قال: فرفع عوداً من الأرض ثم قال: يا معشر الخبيثة والقيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي تقول فيه، ما يساوى هذا. مرحباً بكم وبن جثم من عنده، أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي نجد في الإنجيل، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم. انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأنتبه حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضعه. وأمر مبيدة الآخرين فردت إليهما، ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدرأ، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم استغفر له حين بلغه موته (٣).

وقد رويت هذه القصة عن جعفر وأم سلمة رضي الله عنهما، وموضع ذلك كتاب السيرة. والمقصد أن الأنبياء عليهم السلام - لم تزل تنعته وتحكيه في كتبها على أمها، وتأمرهم باتباعه ونصره وموازرتة إذا بعث. وكان ما اشتهر الأمر في أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل والله الأنبياء بعده، حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم، وكذا على لسان عيسى ابن مريم، ولهذا قالوا: «أخبرنا عن بدء أمرك». يعنى في الأرض، قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى ابن مريم، وورثا أبي التي رأيت»، أي: ظهر في أهل مكة أثر ذلك، [والإرهاص (٤)] بذكره صلوات الله وسلامه عليه.

وقوله: (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) - قال ابن جرير، وابن جرير (٥): (فلما جاءهم) أحمد، أي: المبشر به في الأعصار المتقدمة، المنزه بذكره في القرون السالفة، لما ظهر أمره وجاء بالبينات قال الكفرة المخالفون: (هذا سحر مبين).

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧٧﴾ يُرِيدُونَ
لِيُظْفِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَاهِمَ وَاللَّهُ مِمَّنْ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٧٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٧٩﴾

يقول تعالى: (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب، وهو يدعى إلى الإسلام)، أي: لا أحد أظلم ممن يفترى الكذب على الله، ويجعل له أندادا وشركاء، وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص، ولهذا قال: (والله لا يهدي القوم الظالمين)،

(١) البتول: المنقطعة عن الرجال، لا شهوة لها فيهم.

(٢) أي: لم يوتر فيها، ولم يجزها.

(٣) مسند الإمام أحمد: ٤٦١/١.

(٤) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة، ومكانه بياض في المخطوطة.

(٥) انظر تفسير الطبري: ٥٧/٢٨.

ثم قال : (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) ، أى : يحاولون أن يردّوا الحقّ بالباطل ، ومثلهم فى ذلك كمثل من [يريد] أن يطفىء شعاع الشمس بفيه ، وكما أن هذا مستحيل كذلك ذلك مستحيل ، ولهذا قال : (والله ممّن نوره ولو كره الكافرون ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) ، وقد تقدم الكلام على هاتين الآيتين فى (سورة براءة (١)) ، بما فيه كفاية ، والله الحمد والمنة .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ بَيْعَةٍ تَنْجِيكُمْ مِنْ

عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَنَصْرٌ قَرِيبٌ ﴿١٣﴾ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾

تقدم فى حديث عبد الله بن سلام أن الصحابة - رضى الله عنهم - أرادوا أن يسألوا عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ليفعلوه فأنزل الله هذه السورة ، ومن جملتها هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا ، هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) ثم فسر هذه التجارة العظيمة التى لا تبور ، التى هى محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور فقال : (تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) ، أى : من تجارة الدنيا ، والكد لها والتصدى لها وحدها .

ثم قال : (يغفر لكم ذنوبكم) ، أى إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتم عليه ، غفرت لكم الزلات ، وأدخلتكم الجنات ، والمسكن الطيبات ، والدرجات العاليات . ولهذا قال : (ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ، مسكن طيبة فى جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم) .

ثم قال : (وأخرى تحبونها) (أى : وأزيدكم على ذلك زيادة تحبونها) ، وهى : (نصر من الله وفتح قريب) ، أى : إذا قاتلتم فى سبيله ونصرتكم دينه ، تكفل الله بنصركم . قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم (٢)) . وقال تعالى : (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز (٣)) . وقوله : (وفتح قريب) ، أى : عاجل . فهذه الزيادة هى خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة ، لمن أطاع الله ورسوله ، ونصر الله ودينه . ولهذا قال : (وبشر المؤمنين)

(١) أنظر تفسير آيتى براءة : ٣٢ ، ٣٣ فى : ٧٨-٧٩ .

(٢) سورة محمد ، آية : ٧ .

(٣) سورة الحج ، آية : ٤٠ .

يَتَّيِبُهُمُ اللَّهُ لِيَأْتِيَهِمُ الرَّحْمَةُ وَأَلِيهِمُ صِرَاطُ الْمُبْتَلِينَ ﴿١٤﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّتِهِ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
 أَنْصَارُ اللَّهِ فَقَامَتِ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى أمرا عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم ، بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم ، وأن يستجيبوا لله ولرسوله ، كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال : (من أنصاري إلى الله) ؟ أي : من معني في الدعوة إلى الله عز وجل ؟ (قال الحواريون) - وهم أتباع عيسى عليه السلام - : (نحن أنصار الله) ، أي : نحن أنصارك على ما أرسلت به وموازرك على ذلك . ولهذا بعثهم دعاة إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين واليونانيين . وهكذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول في أيام الحج : « من رجل يؤويي حتى أبلغ رسالة ربي ، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي (١) [حتى قبض الله - عز وجل - له الأوس والخزرج من أهل المدينة ، فباعوه ووازروه ، وشارطوه أن يمتحوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم ، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه وقبوا له بما عاهدوا الله عليه ، ولهذا ساءم الله ورسوله الأنصار ، وصار ذلك علما عليهم ، رضي الله عنهم وأرضاهم .

وقوله : (فأمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة) ، أي : لما بلغ عيسى ابن مريم - عليه السلام - رسالة ربه إلى قومه ، ووازره من وازره من الحواريين ، اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به ، وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به ، وجحدوا نبوته ، ورموه وأمه بالعظام ، وهم اليهود - عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة - وغلت فيه طائفة ممن اتبعه ، حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة ، وافترقوا فرقا وشيعا ، فمن قاتل منهم : إنه ابن الله . وقاتل : إنه ثالث ثلاثة : الأب ، والابن ، وروح القدس . ومن قاتل : إنه الله . وكل هذه الأقوال مفصلة في سورة النساء (٢) .

وقوله : (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) ، أي : نصرناهم على من عاداهم من فترق النصاري ، (فأصبحوا ظاهرين) أي : عليهم ، وذلك ببيعة محمد صلى الله عليه وسلم ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله : حدثني أبو السائب ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال - يعني ابن عمرو - عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما - قال : لما أراد الله - عز وجل - أن يرفع عيسى إلى السماء ، خرج إلى أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلا ، من عين في البيت ، ورأسه يقطر ماء ، فقال : إن منكم من يكفر بي اثني عشر مرة بعد أن آمن بي . قال : ثم قال : أيكم يلني عليه شبيه فيقتل مكاني ، ويكون معي في درجتي ؟ قال : فقام شاب من أحدثهم سنا فقال :

(١) مسند الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله : ٣/٢٢٢ ، ٣٢٩ .

(٢) انظر : ٥٠١/٢ .

أنا . قال : فقال له : اجلس . ثم أعاد عليهم ، فقام الشاب فقال : أنا . فقال له : اجلس . ثم عاد عليهم فقام الشاب ، فقال : أنا . فقال : نعم ، أنت ذاك . قال : فألقى عليه شبه عيسى ، ورفع عيسى - عليه السلام - من روزنة (١) في البيت إلى السماء ، قال : وجاء الطائفة من اليهود ، فأخذوا شبهته فقتلوه وصلبوه ، وكفر به بعضهم اثني عشرة مرة بعد أن آمن به ، فنفروا ثلاث فرق . قالت فرقة : كان الله فينا ما شاء ، ثم صعد إلى السماء . وهؤلاء البعقوبية ، وقالت فرقة : كان فينا ابن الله ما شاء ، ثم رفعه إليه وهؤلاء النسطورية ، وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه إليه . وهؤلاء المسلمون . ، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة ، فقتلوا ، فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، (فأمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة) ، يعنى : الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسى ، والطائفة التي آمنت في زمن عيسى ، (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) ، باظهار محمد - صلى الله عليه وسلم - دينهم على دين الكفار ، (فأصبحوا ظاهرين)

هذا لفظه في كتابه عند تفسير هذه الآية الكريمة (٢) . وهكذا رواه النسائي عند تفسير هذه الآية من سننه ، عن أبي كريب محمد بن العلاء ، عن أبي معاوية ، بمثله سواء (٣) .

فأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - لا يزالون ظاهرين على الحق ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ، وحتى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، كما وردت الأحاديث الصحاح ، والله أعلم ،

آخر تفسير سورة الصف والله الحمد والمنة

(١) تقدم تفسيرها في : ٣٧/٢ ، ٤٠٠ .

(٢) تفسير الطبري : ٦٠/٢٨ .

(٣) انظر أيضاً رواية ابن أبي حاتم في : ٤٠١/٢ .

تفسير سورة الجمعة

وهي مدنية

عن ابن عباس ، وأبي هريرة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمتفقين . رواه مسلم في صحيحه (١) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَآتَيْنَاهُمْ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾

يُخبر تعالى أنه يُسَبِّحُ له ما في السموات وما في الأرض ، أي : من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها ، كما قال : (وإن من شيء إلا يسبح بحمده (٢)) .

ثم قال : (الملك القدوس) ، أي : هو مالك السموات والأرض المتصرف فيهما بحكمه ، وهو (القدوس) ، أي : المنزه عن النقائص ، الموصوف بصفات الكمال . (العزيز الحكيم) : تقدم تفسيره غير مرة .

وقوله تعالى : (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم) ، الأميون هم : العرب كما قال تعالى : (وقل للذين أتوا الكتاب والاميين : أسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنا على البلاغ ، والله بصير بالعباد (٣)) .
وتخصيص الأميين بالذكر لا يبنى من عداهم ، ولكن المنة عليهم أبلغ وأكد ، كما في قوله : (وإنه لذكر لك ولقومك) (٤) ، وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به . وكذا قوله : (وأنذر عشيرتک الأقربين (٥)) . وهذا وأمثاله لا يبنى قوله تعالى : (قل : يا أيها الناس ، إني رسول الله إليكم جميعا (٦)) ، وقوله : (لأنذرکم به ومن بلغ (٧)) ، وقوله إخبارا عن

(١) مسلم ، كتاب الجمعة ، باب « ما يقرأ في صلاة الجمعة » : ١٦-١٥/٣ .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ٤٤ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ٢٥ .

(٤) سورة الزخرف ، آية : ٤٤ .

(٥) سورة الشعراء ، آية : ٢١٤ .

(٦) سورة الأعراف ، آية : ١٥٨ .

(٧) سورة الأنعام ، آية : ١٩ .

القرآن : (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده (١)) ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته - صلوات الله وسلامه عليه - إلى جميع الخلق ، أحمرهم وأسودهم ، وقد قدمنا تفسير ذلك في سورة الأنعام ، بالآيات والأحاديث الصحيحة ، والله الحمد والمنة .

وهذه الآية هي مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم ، حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة . فبعثه الله - سبحانه وتعالى - وله الحمد والمنة - على حين فترة من الرسل ، وطمّوس من السبل ، وقد اشتدت الحاجة إليه ، وقد مضت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب - أي : نورايسرا - [ممن تمسك (٢)] بما بعث الله به عيسى ابن مريم عليه السلام ، ولهذا قال تعالى : (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) . وذلك أن العرب كانوا متمسكين بدين إبراهيم - عليه السلام - فبدلوه وغيروه ، [وقلوبه] وخالفوه ، واستبدلوا بالتوحيد شركا ، وباليقين شككا ، وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله ، وكذلك أهل الكتابين قد بدلوا كتبهم وحرفوها [وغيروها] وأولوها ، فبعث الله محمدا - صلوات الله وسلامه عليه - بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق ، فيه هدايتهم ، والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم ، والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ، ورضا الله عنهم . والنهي عما يقربهم إلى النار وعصط الله . حاكم ، فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب في الأصول والفروع . وجمع له تعالى - وله الحمد والمنة - جميع المحاسن من كان قبله ، وأعطاه ما لم يعط أحد من الأولين ، ولا يعطيه أحد من الآخرين ، فصلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين .

وقوله : (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم) - قال الإمام أبو عبد الله البخاري رحمه الله ؟

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثنا سليمان بن بلال ، عن ثور ، عن أبي الغيث ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : كنا جلوسا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فأزلت عليه سورة الجمعة : (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) ، قالوا : من هم يا رسول الله ؟ فلم يراجعهم (٣) حتى سئل ثلاثا ، وفيها سلمان الفارسي ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال : « لو كان الإيمان عند الثريالنا له رجال - أو : رجل - من هؤلاء (٤) » .

ورواه مسلم ، والترمذي ، والنسائي وابن أبي حاتم ، وابن جرير ، من طرق عن ثور بن زيد الدبلي ، عن سالم أبي الغيث ، عن أبي هريرة ، به (٥) .

في هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية ، وعلى عموم بعثته صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ، لأنه فسر قوله : (وآخرين منهم) بفارس ، ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم ، يدعوهم إلى الله عز وجل ،

(١) سورة هود ، آية : ١٧ .

(٢) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة . ومكانه بياض في المخطوطة .

(٣) في البخاري : « يراجعهم حتى سأل » .

(٤) البخاري ، تفسير سورة الجمعة : ١٨٨/٦ - ١٨٩ .

(٥) مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب « فضل فارس » : ١٩١/٧ - ١٩٢ . وتحفة الأحرفي ، تفسير سورة

الجمعة ، الحديث ٣٣٦٤ : ٢٠٩/٩ - ٢١١ ، وتفسير الطبري : ٦٢/٢٨ - ٦٣ .

وإلى اتباع ما جاء به : ولهذا قال مجاهد وغير واحد في قوله : (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) ، قال : هم الأعاجم ، وكل من صدق النبي صلى الله عليه وسلم من غير العرب (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا أبو محمد عيسى ابن موسى ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن في أصلاب أصلاب أصلاب رجال [من أصحابي ، رجالاً (٢)] ونساء من أمي يدخلون الجنة بغير حساب » ، ثم قرأ : (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) يعني بقية من بقي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله : (وهو العزيز الحكيم) ، أي : ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره .

وقوله : (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم) ، يعني ما أعطاه الله محمداً صلى الله عليه وسلم من النبوة العظيمة ، وما خص به أمته من بعثته - صلى الله عليه وسلم - إليهم .

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَجْعَلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٦٠﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦١﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَعْرِفُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٣﴾

يقول تعالى ذمماً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ، فلم يعملوا بها ، مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارا ، أي : كمثل الحمار إذا حمل كتاباً لا يدرى ما فيها ، فهو يحملها حملاً حسياً ولا يدرى ما عليه . وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه ، حفظوه لفظاً ولم يفهموه ، ولا عملوا بمقتضاه ، بل أولوه وحرفوه وبدلوه ، فهم أسوأ حالا من الحمير ، لأن الحمار لا يفهم له ، وهؤلاء لهم فهم لم يستعملوها ، ولهذا قال في الآية الأخرى : (أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون (٣)) . وقال هاهنا : (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين) .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا ابن نُمَيْر ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب ، فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا ، والذي يقول له « أنصت » ، ليس له جمعة (٤) » .

(١) انظر تفسير الطبري : ٦٢/٢٨ .

(٢) ما بين القوسين من الدر المنثور ، وقد أخرجه السيوطي عن الطبراني وابن مردويه ، انظر : ٢١٥/٦ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ١٧٩ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢٣٥/١ .

ثم قال تعالى : (قل : يا أيها الذين هادوا ، إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس ، فتمنوا الموت إن كنتم صادقين)
 أي : إن كنتم [تزعمون أنكم على هدى ، وأن محمدا وأصحابه على ضلالة ، فادعوا بالموت على الضال من الفتنين
 (إن كنتم صادقين) فيما تزعمونه . قال الله تعالى : (ولا يمشونهم أبدا بما قدمت أيديهم) ، أي : بما يعملون لهم من الكفر
 والظلم والفجور ، (والله عليم بالظالمين) . وقد قدمنا في « سورة البقرة (١) » الكلام على هذه المباهلة لليهود ، حيث
 قال تعالى : (قل : إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس ، فتمنوا الموت إن كنتم صادقين :
 ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين . ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ، ومن الذين أشركوا يود أن يحدهم
 لو يمحطون ألف سنة ، وما هو بمزحزع من العذاب أن يعمر ، والله بصير بما يعملون (٢)) . وقد أسلفنا الكلام هناك ،
 وبيننا أن المراد أن يدعوا على الضال من أنفسهم أو خصومهم ، كما تقدمت مباهلة النصارى في آل عمران : (فمن حاجك
 فيه من بعد ما جاءك من العلم ، فقل : تعالوا ، نلح أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل
 فنجعل لعنة الله على الكاذبين (٣)) . ومباهلة المشركين في سورة مريم : (قل : من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا (٤)) :
 وقد قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن يزيد الرقي (٥) أبو يزيد ، حدثنا فرات ، عن عبد الكريم بن مالك
 الجزري ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال أبو جهل لعنة الله : إن رأيت محمدا عند الكعبة لآتينته حتى أطأ على
 حنطته . قال : فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لو فعل لأخذته الملائكة عيانا ، ولو أن اليهود تمسوا الموت
 لما أتوا ورأوا مقاعدهم من النار . ولو خرج الذين يبغضون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لرجعوا لا يجدون مالا
 ولا أهلا (٦) » :

رواه البخاري والترمذي والنسائي ، من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عبد الكريم - قال البخاري : « وبعه
 عمرو (٧) » [بن خالد ، عن عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم (٨)] . ورواه النسائي أيضا عن عبد الرحمن بن عبيد
 الله الحلبي ، عن عبيد الله بن عمرو الرقي ، به آتم .

وقوله تعالى : (قل : إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملائكم ، ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم
 تعملون) ، كقوله تعالى في سورة النساء : (أينما تكونوا يدر ككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة (٩)) .

(١) انظر : ١٨٢/١ - ١٨٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآيات : ٩٤ - ٩٦ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ٦١ . انظر : ٤٠ - ٤٥ .

(٤) سورة مريم ، آية : ٧٥ . وانظر : ٢٥٣/٥ .

(٥) في المخطوطة : « الذي » ، بالدال . وفيها أيضا : « الذي » ، حدثنا أبو يزيد ، والفتي عن المسند ، والسياسة التي تقدمت

في سورة آل عمران : ٤٣/٢ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٢٤٨/١ .

(٧) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة . ولفظ البخاري : « تابعه عمرو ... » .

(٨) البخاري ، تفسير سورة العلق : ٢١٦/٦ . وانظر تحفة الأحوذى ، تفسير سورة « اقرأ باسم ربك » ، الهديث

٣٤٥٦ : ٢٧٧/٩ - ٢٧٨ .

(٩) سورة النساء ، آية :

وفي معجم الطبراني من حديث معاذ بن محمد الملقب ، عن يونس ، عن الحسن ، عن سمرة مرفوعاً : « مثل الذي يفر من الموت كمثل الثعلب تطلبه الأرض يدين ، فجاء يسعى حتى إذا أعيا وانبهر دخل جحره ، فقالت له الأرض : يا ثعلب ديني . فخرج له حصاص (١) ، فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه ، فات » .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٥﴾

إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع ، فإن أهل الإسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار . وفيه كمثل جميع الخلائق ، فانه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض . وفيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها . وفيه تقوم الساعة . وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه ، كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا عبيدة بن حميد (٣) ، عن منصور ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن قزح الضبي ، حدثنا سلمان قال : قال أبو القاسم - صلى الله عليه وسلم - : « يا سلمان ، ما يوم الجمعة ؟ » . قلت : الله ورسوله أعلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوم جمع فيه أبواك - أو : أبوك » .

وقد روى عن أبي هريرة ، من كلامه ، نحو هذا ، قاله أعلم :

وقد كان يقال له في اللغة القديمة يوم العروبة . وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به ففضلوا عنه ، واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خلق ، واختار النصارى يوم الأحد الذي ابتدئ فيه الخلق ، واختار الله هذه الأمة الجمعة الذي أكمل الله فيه الخليفة ، كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام بن منبته قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة (٤) ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا . ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم ، فاختلفوا فيه ، فهدانا الله له ، فالناس لنا فيه تبع ، اليهود خذلوا ، والنصارى بعد غد » . لفظ البخاري .

(١) الحصاص : شدة العدو وحدته .

(٢) البخاري ، كتاب الجمعة ، باب « الساعة التي في يوم الجمعة » : ١٦/٢ . ومسلم ، كتاب الجمعة أيضاً ، باب « في الساعة التي في يوم الجمعة » : ١٦/٣ .

(٣) في المخطوطة : « عبيدة بن حماد » . والصواب ما أثبتناه ؛ انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٩٢/١/٣ .

(٤) وقع لنا هذا القدر في البخاري من رواية عبد الرزاق ، في كتاب الأيمان والنذور : ١٥٩/٨ - ١٦٥ . وكتابه

لتغيير : ٥٣/٩ . وأما بقية الحديث فوقع لنا أيضاً في البخاري في كتاب الجمعة ، باب « فرض الجمعة » ، من حديث عبد الرحمن

ابن هرمز الأصبغ ، عن أبي هريرة : ٢/٢ . وأما حديث مسلم في كتاب الجمعة ، باب « هداية هذه الأمة ليوم الجمعة » : ٧/٣ .

وفي لفظ مسلم : « أصل الله عن الجمعة من كان قبلنا ، فكان لليهود يوم السبت ، وكان للنصارى يوم الأحد ، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والأحد ، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ، نحن الآخرون من أهل الدنيا ، والأولون يوم القيامة ، المقضي بينهم قبل الخلق (١) » .

وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة ، فقال : (يا أيها الذين آمنوا ، إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) ، أي : اقصدوا واعبدوا واهتموا في مسيركم إليها ، وليس المراد بالسعي هاهنا المشى السريع ، وإنما هو الاهتمام بها ، كتوله تعالى : (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن (٢)) . وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود - رضي الله عنهما - يقرأها : (فامضوا إلى ذكر الله (٣)) . فأما المشى السريع إلى الصلاة فقد نبه عليه ، لما أخرجه في الصحيحين ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « إذا سمع الإقامة فامشوا إلى الصلاة ، وعليكم السكينة والوقار ، ولا تسرعوا ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا (٤) » . لفظ البخاري ،

وعن أبي قتادة قال : بينما نحن نصلّي مع النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ سمع بكليّة رجال ، فلما صلى قال : « ما شأنكم ؟ » . قالوا : استعجلنا إلى الصلاة . قال : « فلا تفعلوا : إذا أتيت الصلاة فامشوا وعليكم بالسكينة ، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا (٥) » .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ، ولكن اتوها تمشون ، وعليكم بالسكينة والوقار ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا » .

رواه الترمذي من حديث عبد الرزاق كذلك ، وأخرجه من طريق يزيد بن زريع ، عن معمر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، بمثله (٦) .

قال الحسن : أما والله ما هو بالسعي على الأقدام ، ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ، ولكن بالقلوب والنية والخشوع .

وقال قتادة في قوله : (فاسعوا إلى ذكر الله) ، يعنى : أن تسعى بقلبك وعملك ، وهو المشى إليها ، وكان يتأول قوله تعالى : (فلما بلغ معه السعي) ، أي : المشى معه . وروى عن محمد بن كعب ، وزيد بن أسلم ، وغيرهما ، نحو ذلك .

(١) مسلم ، كتاب الجمعة ، باب « هداية الله هذه الأمة ليوم الجمعة » : ٧/٣ .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ١٩ .

(٣) تفسير الطبري : ٦٥/٢٨ .

(٤) البخاري ، كتاب الأذان ، باب « لا يسمى إلى الصلاة ، وليأت بالسكينة والوقار » : ١٦٤/١ . ومسلم ، كتاب

المساجد ، باب « استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة ، والنهي عن إتيانها سعيًا » : ١٠٠/٢ .

(٥) البخاري ومسلم في الكتاب والباب المتقدمين ، انظر البخاري : ١٦٣/١ ، ومسلم : ١٠٠/٢ - ١٠١ .

(٦) تحفة الأحمدي ، أبواب الصلاة ، باب « ما جاء في المشى إلى المسجد » ، الحديث ٤٢٦ ، ٢٢٧ : ٢٨٧/٢ - ٢٩٥ .

ويستحب لمن جاء إلى الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها ، لما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل (١) » .

ولما عن أبي سعيد - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم (٢) » .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « حتى الله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام ، يغسل رأسه وجسده » . رواه مسلم (٣) .

وعن جابر - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « على كل رجل مسلم في كل سبعة أيام غسل يوم ، وهو يوم الجمعة » . رواه أحمد ، والنسائي ، وابن حبان (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا ابن المبارك ، عن الأوزاعي ، عن حسان بن عطية ، عن أبي الأشعث الصنعاني ، عن أوس بن أوس الثقفي قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « من غسل واغتسل يوم الجمعة ، وبكر وابتكر ، ومشى ولم يركب ، ودنا من الإمام واستمع ولم يلغ - كان له بكل خطوة أجر سنة ، أجر صيامها وقيامها (٥) » .

وهذا الحديث له طرق وألفاظ ، وقد أخرجه أهل السنن الأربعة - وحسنه الترمذي (٦) :

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ، ثم راح فكأنما قرب بدنة ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » [أخرجاه (٧)] .

ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه ، ويتطيب ويتسوك ، ويتنظف ويتطهر . وفي حديث أبي سعيد المتقدم : « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم ، والسواك ، وأن يمس من طيب أهله » .

- (١) البخارى ، كتاب الجمعة ، باب « فضل الغسل يوم الجمعة » : ٢/٢ . ومسلم ، كتاب الجمعة أيضاً : ٢/٣ .
 - (٢) البخارى ومسلم في الكتابين السابقين ، انظر البخارى : ٣/٢ ، ومسلم : ٣/٣ .
 - (٣) مسلم ، كتاب الجمعة ، باب « الطيب والسواك يوم الجمعة » : ٤/٣ .
 - (٤) مسند الإمام أحمد : ٣٠٤/٣ . والنسائي وهذا لفظه - في كتاب الجمعة ، باب « إيجاب الغسل يوم الجمعة » : ٩٢/٣ .
 - (٥) مسند الإمام أحمد : ١٠٤/٤ .
 - (٦) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، باب « في الغسل يوم الجمعة » . والنسائي ، كتاب الجمعة ، باب « فضل غسل يوم الجمعة » : ٩٥/٣ - ٩٦ . وابن ماجه ، كتاب الإقامة ، باب « ما جاء في الغسل يوم الجمعة » ، الحديث ١٠٨٧ : ٣٤٦/١ .
 - (٧) البخارى ، كتاب الجمعة ، باب « فضل الغسل يوم الجمعة » ، الحديث ٤٩٤ : ٣/٣ - ٤ .
- يوم الجمعة : ٤/٣ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن إبراهيم النخعي ، عن عمران ابن أبي يحيى ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبي أيوب الأنصاري : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب أهله - إن كان عنده - ولبس من أحسن ثيابه ، ثم خرج حتى يأتي المسجد فركع - إن بدا له - ولم يؤذ أحدا ، ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلي - كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى » (١) .

وفي سنن أبي داود وابن ماجه ، عن عبد الله بن سلام - رضى الله عنه - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر : « ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته » (٢) .

وعن عائشة - رضى الله عنها - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطب الناس يوم الجمعة ، فرأى عليهم ثياب التمار (٣) ، فقال : « ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعه ، سوى ثوبي مهنته » . رواه ابن ماجه (٤) .

وقوله تعالى : (إذا نودى للصلاة) : المراد بهذا النداء هو النداء الثاني الذى كان يفعل بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا خرج فجلس على المنبر ، فانه كان حينئذ يؤذن بين يديه ، فهذا هو المراد ، فأما النداء الأول الذى زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضى الله عنه - فإنما كان هذا لكثرة الناس ، كما رواه البخارى رحمه الله حيث قال : حدثنا آدم - هو ابن أبي إياس - حدثنا ابن أبي ذئب ، عن الزهرى ، عن السائب بن يزيد قال : « كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبى بكر و عمر ، فلما كان عثمان [بعد زمن (٥)] ، وكثر الناس ، زاد النداء الثانى (٦) على الزوراء (٧) » يعنى : يؤذن به على الدار التى تسمى بالزوراء ، وكانت أرفع دار بالمدينة ، بقرب المسجد .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا محمد بن راشد المكحولى ، عن مكحول : أن النداء كان فى يوم الجمعة مؤذنا واحدا حين يخرج الإمام ، ثم تقام الصلاة ، وذلك النداء الذى يحرم عنده البيع والشراء إذا نودى به ، فأمر عثمان رضى الله عنه أن ينادى قبل خروج الإمام حتى يجتمع الناس .

(١) مستند الإمام أحمد : ٤٢٠/٥ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب « اللبس للجمعة » . وسنن ابن ماجه ، كتاب الإقامة ، باب « ما جاء فى الزينة يوم الجمعة » ، الحديث ١٠٩٥ : ٣٤٨/١ .

(٣) التمار : جمع نمره - يفتح فكسر - وهى : ثياب يلبسها الأعراب .

(٤) سنن ابن ماجه ، فى الكتاب والباب المتقدمين ، الحديث ١٠٩٦ : ٣٤٩/١ .

(٥) ما بين القوسين غير ثابت فى الصحيح .

(٦) فى الصحيح : « النداء الثالث » ، ومثله فى سنن ابن ماجه ، كتاب الإقامة ، باب « ما جاء فى الأذان يوم الجمعة » ،

الحديث ١١٣٥ : ٣٥٩/١ .

(٧) البخارى ، كتاب الجمعة ، باب « الأذان يوم الجمعة » : ١٠/٢ .

وإنما يؤمر بحضور الجمعة الأحرار دون النساء والعبيد والصبيان ، ويعذر المسافر والمريض ، وقبيل المريض ، وما أشبه ذلك من الأعذار ، كما هو مقرر في كتب الفروع .

وقوله : (وذروا البيع) ، أى : اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا تودى للصلاة . ولهذا اتفق العلماء على تحريم البيع بعد النداء الثاني . واختلفوا : هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا ؟ على قولين ، وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه ، والله أعلم .

وقوله : (ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) ، أى : ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم ، أى : في الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون .

وقوله : (فإذا قضيت الصلاة) ، أى : فرغ منها ، فانتشروا في الأرض ، وابتغوا من فضل الله) : لَمَّا حَجَّرَ عَلَيْهِمْ فِي التَّصَرُّفِ بَعْدَ النِّدَاءِ وَأَمَرَهُمُ بِالاجْتِمَاعِ ، أَدْنَى لِمِ بَعْدَ الْفِرَاقِ فِي الْإِنْتِشَارِ فِي الْأَرْضِ وَالِابْتِغَاءِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ . كَانَ عِرَاكُ بْنُ (١) مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ انصَرَفَ فَوْقَ بَابِ الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ ، أَجِبْتِ دَعْوَتِكَ ، وَصَلَيْتِ فَرِيضَتِكَ ، وَانْتَشَرْتَ كَمَا أَمَرْتِنِي ، فَارْزُقِي مِنْ فَضْلِكَ ، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ . رواه ابن أبي حاتم ، وروى عن بعض السلف أنه قال : من باع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة ، بَارَكَ اللَّهُ لَهُ سَبْعِينَ مَرَّةً ، لقول الله تعالى : (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ، وابتغوا من فضل الله) .

وقوله : (واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) ، أى : في حال بيعكم وشرائكم ، وأخذكم وعطائكم ، اذكروا الله ذكرا كثيرا ، ولا تشغلوا الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة . ولهذا جاء في الحديث : « من دخل سوقا من الأسواق فقال : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، [له الملك] وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير » كُتِبَتْ لَهُ أَلْفُ أَلْفِ حَسَنَةٍ ، وَمَحِيٌّ عَنْهُ أَلْفُ أَلْفِ سَيِّئَةٍ (٢) .

وقال مجاهد : لا يكون العبد من إذا كبرن الله كثيرا ، حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا ،

وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ مِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرٌ
الرَّزِقِينَ (١١)

يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ ، فقال تعالى : (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها ، وتركوك قائما) ، أى : على المنبر لخطب . هكذا ذكره غير واحد من التابعين ، منهم : أبو العالية ، والحسن ، وزيد بن أسلم ، وقتادة .

(١) روى عراك بن مالك عن ابن عمر وأبي هريرة . وروى عنه ابنه خثيم بن عراك ، وعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز . قال أبو زرعة : عراك بن مالك ثقة . انظر البحر والتعديل لابن أبي حاتم : ٣٨/٢/٣ .
(٢) تحفة الأحوذى ، أبواب الدعوات ، باب ما يقول إذا دخل السوق ، الحديث ٣٤٨٨ : ٣٨٦/٩ - ٣٨٧ . وقال الترمذى : « هذا حديث غريب » . وسنن ابن ماجه ، كتاب التجارات ، باب « الأسواق ودخولها » ، الحديث ٢٢٣٥ : ٧٥٢/٢ . ومسنن الإمام أحمد عن عمر - رضى الله عنه - : ٤٧/١ .

وزعم مقاتل بن حيان : أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم ، وكان معها طبل ، فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائما على المنبر إلا القليل منهم . وقد صح بذلك الخبر ، فقال الإمام أحمد :

حدثنا ابن إدريس ، عن حصين ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر قال : قدمت غير المدينة ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخطب ، فخرج الناس وبقى اثنا عشر رجلا ، فنزلت : (وإذا رأوا تجارة أو طوا انفضوا إليها) (١) ، أخرجاه في الصحيحين ، من حديث سالم ، به (٢) .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا هشيم ، عن حصين ، عن سالم بن أبي الجعد وأبي سفيان ، عن جابر بن عبد الله قال : بينا النبي - صلى الله عليه وسلم - يخطب يوم الجمعة ، فقدمت غير إلى المدينة ، فابتدتها أصبحت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى لم يبق مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا اثنا عشر رجلا ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « والذي نفسي بيده ، لو تابعتم حتى لم يبق منكم أحد ، لسأل بكم الوادي فأرأى » ، ونزلت هذه الآية : (وإذا رأوا تجارة أو طوا انفضوا إليها ، وتركوا قائما) ، وقال : [كان] في الاثني عشر الذين ثبتوا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أبو بكر ، وعمر رضي الله عنهما ،

وفي قوله : (وتركوا قائما) ، دليل على أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائما . وقد روى مسلم في صحيحه عن جابر ابن سمرة قال : كانت للنبي - صلى الله عليه وسلم - خطبتان يجلس بينهما ، يقرأ القرآن ويذكر الناس (٣) :

لكن هاهنا [شيء] ينبغي أن يعلم وهو : أن هذه القصة قد قيل : إنها كانت لما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة ، كما رواه أبو داود في كتاب المراسيل : حدثنا محمود بن خالد ، عن الوليد ، أخبرني أبو معاذ بكير بن معروف ، أنه سمع مقاتل بن حيان يقول : « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين ، حتى إذا كان يوم (٤) والنبي - صلى الله عليه وسلم - يخطب ، وقد صلى الجمعة ، فدخل رجل فقال : إن دحية بن خليفة قد قدم بتجارة (٥) . » . يعني فانفضوا ، ولم يبق معه إلا نفر يسير .

وقوله : (قل ما عند الله) ، أي : الذي عند الله من الثواب في الدار الآخرة (خير من اللهو ومن التجارة ، والله خير الرازقين) ، أي : لمن توكل عليه ، وطلب الرزق في وقته .

آخر تفسير سورة الجمعة ، والله الحمد والمنة

(١) مسند الإمام أحمد : ٣/٣١٣ .

(٢) البخاري ، تفسير سورة الجمعة : ١٨٩/٦ . ومسلم ، كتاب الجمعة ، باب في قوله تعالى : (وإذا رأوا تجارة أو طوا

انفضوا إليها وتركوا قائما) : ٣/٩ - ١٠ .

(٣) مسلم ، كتاب الجمعة ، باب « ذكر الخطبتين قبل الصلاة وما فيها من الجلسة » : ٩/٣ .

(٤) في المراسيل : « كان يوم الجمعة » .

(٥) في المراسيل : « بتجارته » . انظر مراسيل أبي داود ، باب « ما جاء في الخطبة يوم الجمعة » : ١٥ .

تفسير سورة المنافقون

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَسْهَدُ بِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ لِرَسُولِهِ وَنَحْنُ نَسْهَدُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَكَذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا
ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ * وَإِذَا رَأَوْا تَعْجَبَكَ أَسْجَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا
تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ أَنَّهُ
يُؤَفِّكُونَ ﴿٤﴾

يقول تعالى مخبرا عن المنافقين : أنهم إنما يتفخرون بالإسلام إذا جاءوا النبي - صلى الله عليه وسلم - فأما في باطن الأمر
فليصوموا كذلك ، بل على الضد من ذلك ، ولهذا قال تعالى : (إذا جاءك المنافقون قالوا : نشهد إنك لرسول الله) ، أي :
إذا حضروا عندك واجهوك بذلك ، وأظهروا لك ذلك ، وليسوا كما يقولون : ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله ،
فقال : (والله يعلم إنك لرسوله) .

ثم قال : (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) ، أي : فيما أخبروا به ، وإن كان مطابقا للخارج ، لأنهم لم يكونوا
يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه ، ولهذا كانهم بالنسبة إلى اعتقادهم .

وقوله : (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله) ، أي : اتقوا الناس بالإيمان الكاذبة والخلفات (١) الأثمة ،
ليصدقوا فيما يقولون [فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم ، فاعتقدوا أنهم مسلمون ، فربما اقتدى بهم فيما يفعلون] (٢)
وصدقهم فيما يقولون ، وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يأبون الإسلام وأهله خبثا ، فحصل بهذا القادر ضرر
كبير على كثير من الناس ، ولهذا قال تعالى : (فصلوا عن سبيل الله ، إنهم ساء ما كانوا يعملون) - ولهذا كان الضحك
ابن مزارم يقرؤها : (اتخذوا إيمانهم جنة) ، أي : تصديقهم الظاهر جنة ، أي : تقية يتقون به القتل . والجمهور
يقرؤها : (أيمانهم) جمع بين (٣) .

(ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) ، [أي : إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن
الإيمان إلى الكفران ، واستبدالهم الضلالة بالهدى (فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون) (٢)] ، أي : فلا يصل إلى قلوبهم
هدى ، ولا يخلص إليها خير ، فلا تعي ولا تهتدي .

(١) في المخطوطة : « والخلفان » ، يانان . ولم نجد في الجموع ، ولعل الصواب ما أثبتناه ، ويكون جمع « حلقه » .

(٢) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة .

(٣) قال أبو حيان في البحر المحیط ٢٧١/٨ : وقرأ الجمهور (أيمانهم) يفتح الهمزة ، جمع يمين . والحسن بكسرهما ،

(وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وإن يقولوا تسمع لقولهم) ، أى : كانوا أشكالا حسنة وذوى فصاحة وألسنة ، إذا سمعهم السامع يصغى إلى قولهم لبلاغتهم ، وهم مع ذلك فى غاية الضعف والخور والهلوع والجزع والجبن ، ولهذا قال : (يحسبون كل صيحة عليهم) ، أى : كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف ، يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم ، كما قال تعالى : (أشحة عليكم ، فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت ، فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير ، أولئك لم يؤمنوا ، فأحبط الله أعمالهم ، وكان ذلك على الله يسيرا (١)) ، فهم جهنمات (٢) وصور بلامعاني . ولهذا قال : (هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) ، أى : كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال ،

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا عبد الملك بن قدامة الجمحى ، عن إسحاق بن بكر بن أبى القرات ، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى . عن أبىه ، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن المنافقين علامات يعرفون بها : تحببهم لعنة ، وطعامهم نهيبة (٣) ، وغنيمتهم غلول ، ولا يقربون المساجد إلا هجرا (٤) ولا يأتون الصلاة إلا دبرا (٥) ، مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون ، خشب (٦) بالليل ، صخب بالنهار » . وقاله يزيد مرة : « صخب بالنهار (٧) » .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسِهِمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾
سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾
هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَقْفَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لِنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَهَا الْأَذْلَ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

يقول تعالى مخبرا عن المنافقين - عليهم لعائن الله - أنهم ، (إذا قيل لهم : تعالوا يستغفر لكم رسول الله ، لوَّوا رؤوسهم أى : صدَّوا وأعرضوا عما قيل لهم ، استكباراً عن ذلك ، واحتقاراً لما قيل لهم . ولهذا قال : (ورأيتهم يصدون وهم

(١) سورة الأحزاب ، آية : ١٩ .

(٢) الجهام فى اللغة : السحاب الذى لا ماء فيه . وقد استعمل فى الذى لا خير فيه ؛ ومنه قول كعب بن أسد هبى بن أعطب : « جئتني بهجم » . أى : الذى تعرضه على من الدين لا خير فيه كالجهم الذى لا ماء فيه .

(٣) النهية - بضم النون - : ما يختلس .

(٤) أى : معرضين عنها . وقد ورد فى حديث أبى الدرداء : « ولا يسمعون القرآن إلا هجرا » ، قالوا : أراد الترك له والإعراض عنه . يقال : هجرت الشيء هجراً : إذا تركته وأغفلته .

(٥) أى : آخر الوقت .

(٦) أى : ينامون الليل كأنهم خشب مطرحة لا يصلون فيه ، فإذا أصبحوا تساخبوا على الدنيا شجا وحرصاً . والسخب والصخب : الصياح .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٢/٢٩٢ .

مستكبرون) : ثم جازاهم على ذلك فقال : (سواء حلبيهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ، إن يغفر الله لهم ، إن الله لا يهدي القوم الفاسقين) . كما قال في سورة «براءة» (١) ، وقد تقدم الكلام على ذلك ، وإيراد الأحاديث المروية هنالك .
وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمير العدي قال : قال سفيان : (لووا ردوسهم) ، قال ابن أبي عمير : حول سفيان وجهه على يمينه ، ونظر بعينه شزراً ، ثم قال : هم هذا .
وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل في عبد الله بن أبي سلول ، كما ستورده قريباً إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة وعليه التكلان .

وقد قال محمد بن إسحاق في السيرة : ولما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة - يعني مَرَجِعَهُ من أحد - وكان عبد الله بن أبي سلول - كما حدثني ابن شهاب الزهري - له مقام يتسومه كل جمعة لا ينكر ، شرفاً له من نفسه ومن قومه (٢) ، وكان فيهم شرفاً ، إذا جلس النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام ، فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أظهركم ، أكرمكم الله به ، وأجزكم به ، فانصروه وعزروه ، واسمعوا له وأطيعوا . ثم جلس ، حتى إذا صبح يوم أحد ما صنع - يعني مرجعه بثلاث الجيش - ورجع الناس (٣) قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون بشيابه من نواحيه وقالوا : اجلس ، أي عدو الله ، لست لذلك بأهل ، وقد صنعت ما صنعت . فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنا قلت بجزراً ؛ (٤) أن قُمت أشد أمره . فلقبه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا : ويلك . مالك ؟ قال : قمت أشد أمره ، فوثب على رجال من أصحابه يجذبوني ويعنفوني ، لكأنا قلت بجزراً ، أن قمت أشد أمره . قالوا : ويلك . ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : والله ما أبغى أن يستغفر لي (٥) .

وقال قتادة والسدي : أنزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي ، وذلك أن غلاماً من قرابته انطلق إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فحدثه بحديث عنه وأمر شديد ، فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإذا هو يخلف بالله ويتبرأ من ذلك ، وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام فلأموه وعكفوه (٦) ، وأنزل الله فيه ما تسمعون ، وقيل لعدو الله : لو أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ - فجعل يلوى رأسه ، أي : لست فأعلا (٧) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الربيع الزهراني ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا أيوب ، عن سعيد ابن جبير : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا نزل منزلاً لم يرتحل حتى يصل فيه ، فلما كانت غزوة تبوك

(١) انظر تفسير الآية ١١٣ - ١١٤ : ١٥٨/٤ - ١٦١ .

(٢) لفظ السيرة : « في نفسه ، وفي قومه » .

(٣) في السيرة : « بالناس » .

(٤) أي : أمراً عظيماً .

(٥) سيرة ابن هشام : ١٠٥/٢ .

(٦) في المخطوطة : « وعزموه » . وفي تفسير الطبري : « وعكفوه » : ولعل الصواب ما أثبتناه . وعزموه : أخفوه بالسنتهم .

وفي مستند الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاصي ١٥٨/٢ : « فأقبل على فطنني وعضني بلسانه » ، أي : لاني .

(٧) تفسير الطبري : ٧١/٢٨ .

بلغه أن عبد الله بن أبي ابن سلول قال : (ليخرجن الأعز منها الأذل) . فارتحل قبل أن يتزل آخر النهار ، وقيل لعبد الله ابن أبي : ائت النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى يستغفر لك . فأنزل الله : (إذا جاءك المنافقون) إلى قوله : (وإذا قيل لهم : تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووارعوسهم) .

وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن جبير . وقوله : إن ذلك كان في غزوة تبوك ، فيه نظر ، بل ليس بجيد ؛ فإن عبد الله ابن أبي ابن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك ، بل رجع بطائفة من الجيش . وإنما المشهور عند أصحاب المغازي والسير أن ذلك كان في غزوة المريسيع ، وهي غزوة بني المصطلق :

قال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق : حدثني محمد بن يحيى بن حبان ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن عثمان ابن قتادة ، في قصة بني المصطلق : « فبينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقيم هناك ، اقتتل على الماء جهجاه ابن سعيد (١) الغفاري - وكان أجيرا - لعمر بن الخطاب ، وسنان بن وبير (٢) - قال ابن إسحاق : فحدثني محمد ابن يحيى بن حبان قال : ازدحما على الماء فاقتلا ، فقال سنان : يا معشر الأنصار . وقال جهجاه : يا معشر المهاجرين - وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبي - فلما سمعها قال : قد ثاورونا (٣) في بلادنا . والله مامثلنا وجلايب (٤) قريش هذه إلا كما قال القائل : « ستمن كلبك يأكلك » . والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل : ثم أقبل على من عنده من قومه وقال : هذا ما صنعتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو كففت عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها . فسمحها زيد بن أرقم ، فذهب بها إلى رسول - صلى الله عليه وسلم - وهو غليظ - وعنده عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فأخبره الخبر ، فقال عمر رضى الله عنه : يا رسول الله مر عبادة بن بشر فليضرب عنقه . فقال صلى الله عليه وسلم : « فكيف إذا تحدث الناس - يا عمر - أن محمدا يقتل أصحابه ؟ لا ، ولكن ناد يا عمر في الرحيل » .

فلما بلغ عبد الله بن أبي أن ذلك قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتاه فاعتذر إليه ، وحلف بالله ما قال ما قال عليه زيد بن أرقم - وكان عند قومه بمكان - فقالوا : يا رسول الله ، عسى أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل .

وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم مهتجراً في ساعة كان لا يروح فيها ، فلقبه أسيد بن الحضير فسلم عليه بتحية النبوة ، ثم قال : والله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبي ؟ زعم أنه إذا قدم المدينة أنه سيخرج الأعز منها الأذل » . قال : فأنت - يا رسول الله -

(١) في سيرة ابن هشام : « بن مسعود » . وفي أسد الغابة ١/٣٦٥ : « جهجاه بن قيس . وقيل : ابن سعيد » .

(٢) في المخطوطة : « سنان بن يزيد » . والمثبت عن سيرة ابن هشام ، وأسد الغابة لابن الأثير ٢/٤٦٣ .

(٣) المشاورة : الموائبة .

(٤) جلايب قريش : لقب من كان أسلم من المهاجرين ، لقبهم بذلك المشركون . وأصل الجلايب : الأزو الغلاظ ، كانوا يلتصمون بها ، فلقبهم بذلك .

الزبُرُ وهو الدليل : ثم قال : يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الحُرُوزَ لِنُتَّوَجَّهَ ، فإنه ليرى أن قد استلبته ملكاً .

فسار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [بالناس] حتى أمسوا ، وليلته حتى أصبحوا ، وصَدَرَ يومه حتى اشتد الضحى . ثم نزل بالناس ليشتغلهم عما كان من الحديث ، فلم يأمن الناس أن وجدوا مس الأرض فناموا ، ونزلت سورة المنافقين (١) .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر بن إسحاق ، أخبرنا بشر بن موسى ، حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو بن دينار ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزاة فكسح (٢) رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال الأنصاري : يا الأنصار . وقال المهاجري : يا للمهاجرين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بال دعوى الجاهلية ؟ . دعواها فإنها منتنة » . وقال عبد الله ابن أبي سلول - وقد فعلوها - : والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرض منها الأذل . قال جابر : وكان الأنصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم كثر المهاجرون بعد ذلك ، فقال عمر : دعني أضرب عنق هذا المنافق . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « دعه ؛ لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » .

ورواه الإمام أحمد عن حسين بن محمد المروزي ، عن سفيان بن عيينة (٣) . ورواه البخاري عن الحميدي ، ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره ، عن سفيان ، به نحوه (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن زيد ابن أرقم قال : كنت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك ، فقال عبد الله بن أبي : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرض منها الأذل . قال : فأتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته ، قال : فحلف عبد الله بن أبي أنه لم يكن شيء من ذلك . قال : فلامني قومي وقالوا : ما أردت إلى هذا ؟ قال : فانطلقت فتممت كثيراً حزيناً ، قال : فأرسل إلى نبي الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « إن الله قد أنزل صدرك وصدقتك » . قال : فترلت هذه الآية : (هم الذين يقولون : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) حتى بلغ : (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرض منها الأذل) (٥) .

ورواه البخاري عند هذه الآية ، عن آدم بن أبي إياس ، عن شعبة ، ثم قال : « وقال ابن أبي زائدة ، عن الأعمش ، عن عمرو ، عن ابن أبي ليلى ، عن زيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم (٦) ؟ ورواه الترمذي والنسائي عندهما أيضاً من حديث شعبة ، به (٧) .

(١) انظر سيرة ابن هشام : ٢٩٥/٢ - ٢٩٢ .

(٢) كسحه : ضربه .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٣٩٢/٣ - ٣٩٣ .

(٤) البخاري ، كتاب التفسير ، تفسير سورة «المنافقون» : ١٩٢/٦ - ١٩٣ ، ومسلم ، كتاب البرة ، باب « نصر الأعرض ظالماً أو مظلوماً » : ١٩/٨ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٣٦٨/٤ - ٣٦٩ .

(٦) البخاري ، تفسير سورة «المنافقون» : ١٩٠/٦ .

(٧) تحفة الأحوف ، تفسير سورة «المنافقون» ، الحديث ٣٣٦٩ : ٢١٧/١ - ٢١٨ .

طريق أخرى عن زيد ، قال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا يحيى بن آدم ، ويحيى بن أبي بكير قالوا : حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق قال : سمعت زيد بن أرقم - وقال ابن أبي بكير (١) : عن زيد بن أرقم - قال : خرجت مع عمي في غزاة ، فسمعت عبد الله بن أبي [ابن سلول] يقول لأصحابه : لا تنفقوا على من عند رسول الله ، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعر من الأذل . فذكرت ذلك لعمي ، فذكره عمي لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأرسل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فحدثته فأرسل إلى عبد الله بن أبي ابن سلول [وأصحابه] فحلقوا ما قالوا : ، فكذبني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصدقته ، فأصابني همّ لم يصيبني مثله قط ، وجلست في البيت ، فقال عمي : ما أردت إلا أن كذبتك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومقتك . قال : حتى أنزل الله : (إذا جاءك المنافقون) قال : فيبعث إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقرأها رسول الله على ، ثم قال : « إن الله قد صدقك (٢) » .

ثم قال أحمد أيضاً : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق : أنه سمع زيد بن أرقم يقول : خرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سفر ، فأصاب الناس شدة - فقال عبد الله بن أبي [لأصحابه] : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفصوا من حوله . وقال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعر من الأذل . فأبئت النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته بذلك ، فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله ، فاجتهد يمينا ما فعل . فقالوا : كذب زيد يا رسول الله ، فوقع في نفسي مما قالوا ، حتى أنزل الله تصديقي (٣) : (إذا جاءك المنافقون) . قال : ودعاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليستغفر لهم ، فلبوا وعوسهم . وقوله تعالى : (كأنهم خشع مسندة) ، قال : كانوا رجالات أجمعين شيء (٤) .

وقد رواه البخاري ومسلم والنسائي ، من حديث زهير ، ورواه البخاري أيضاً والترمذي من حديث إسرائيل ، كلاماً عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني الكوفي ، عن زيد ، به (٥) .

طريق أخرى عن زيد ، قال أبو عيسى الترمذي : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا حبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي سعد (٦) الأزدي قال : حدثنا زيد بن أرقم قال : غزونا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان معنا أناس من الأعراب ، فكنا نبتدر (٧) الماء ، وكان الأعراب يسبقوننا يسبق الأعرابي أصحابه يملأ الخوض (٨) ، ويجعل

(١) في المخطوطة : « وقال أبو بكر » . والمثبت عن المسند .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣٧٣/٤ .

(٣) في المسند : « تصديقي في » (إذا ...) .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٣٧٣/٤ .

(٥) البخاري ، تفسير سورة « المنافقون » : ١٩٠/٦ - ١٩١ . ومسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم .

١١٩/٨ - ١٢٠ . وتحفة الأحوذى ، تفسير سورة « المنافقون » : ٣١٣/٩ - ٣١٤ .

(٦) في الترمذي : « عن أبي سعد » . ويقول الحافظ أبو العلي صاحب تحفة الأحوذى : « ويقال له : أبو سعد » .

(٧) أي : تسارح إليه .

(٨) هذا لفظ مخطوطة الأزهر . وفي تحفة الأحوذى : « يسبقونا إليه » ، فسبق الأعرابي أصحابه ، فيسبق الأعرابي فيملا

الخوض . ويقول الحافظ أبو العلي معلقاً على : (فسبق الأعرابي) : « كنا في النسخ الحاضرة بصيغة الماضي ، ولا يستقيم المعنى

إلا أن يكون بمعنى « يسبق » . ثم ذكر أن جملة « فيسبق » الأعرابي فيملا الخوض » بيان لما يصححه الأعرابي بعد سبقه إلى الماء .

حوله حجارة، ويجعل النطع (١) عليه حتى يجيء أصحابه، [قال] فأتى رجل من الأنصار الأعرابي (٢)، فأرخصي زمام ناقته لشرب، فأتى أن يدعه، فانتزع حجراً ففاض (٣) الماء، فرفع الأعرابي خشبة، فضرب بها رأس الأنصاري فشجته، فأتى عبد الله بن أبي رأس المنافقين فأخبره - وكان من أصحابه - فغضب عبد الله بن أبي، ثم قال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله - يعنى الأعراب - وكانوا يحضرون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند الطعام، فقال عبد الله لأصحابه: إذا انفضوا من عند محمد فاتوا محمداً بالطعام، فليأكل هو ومن عنده، ثم قال لأصحابه: إذا رجعتهم (٤) إلى المدينة فليخرج الأعرز منها الأذل. قال زيد: وأنا ردف عيسى (٥)، فسمعت عبد الله فأخبرت عيسى، فانطلقت فأخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأرسل إليه رسول الله، فحلف وجمحد، قال: فصدقه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكذبتى، فجاء إلى عيسى فقال: ما أردت [إلا] أن مقتك (٦) رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكذبتك والمسلمون. فوقع على من الغم ما لم يقع على أحد قط، فبينما أنا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - في سفر وقد حتمت (٧) برأسي من الغم، إذ أتاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقهرت أذنى، وضحكت في وجهي، فإني ما كان يسرفني أن لي بها الخلد [في الدنيا] ثم إن أبا بكر لحقني وقال: ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: ما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً غير أن (٨) عرك أذنى وضحكت في وجهي. فقال: أبشر. ثم لحقني عمر فقالت له مثل قولي لأبي بكر. فلما أن أصبحنا قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سورة المنافقين.

انفرد بإخراجه الترمذي وقال: « هذا حديث حسن (٩) صحيح » وهكذا رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم عن أبي العباس محمد بن أحمد المحبوبي، عن سعيد بن مسعود (١٠) عن عبيد الله بن موسى، به. وزاد بعد قوله « سورة المنافقين » (إذا جاءك المنافقون قالوا: نشهد إنك لرسول الله) حتى بلغ: (هم الذين يقولون: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) حتى بلغ: (ليخرجن الأعرز منها الأذل) .

وقد روى عبد الله بن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة بن الزبير في المغازي - وكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه أيضاً هذه القصة بهذا السياق، ولكن جعل الذي يتأخَّر رسول الله عليه وسلم كلام عبد الله بن أبي ابن سلول إنما هو أوس بن أرقم (١١)، من بني الحارث بن الخزرج. فاعله مبلغ آخر، أو تصحيف من جهة السمع، والله أعلم.

(١) النطع: بساط من الجلد.

(٢) في تحفة الأحوذى: « أعرابياً ».

(٣) لفظ الترمذي: « فانتزع قباض الماء ». وفي المخطوطة: « ففاض »، بالفتح. والمثبت عن المستدرک، تفسير سورة « المنافقون »: ٤٨٩/٣.

(٤) في تحفة الأحوذى: « لئن رجعتنا ».

(٥) في تحفة الأحوذى: « وأنا ردف رسول الله - صلى الله عليه وسلم ». ونحسبه خطأ.

(٦) في تحفة الأحوذى: « ما أردت لك أن... ». والمثبت عن الطبعات السابقة.

(٧) أى: نكسته؛ من شدة الغم.

(٨) في تحفة الأحوذى: « إلا أنه ».

(٩) تحفة الأحوذى، تفسير سورة « المنافقون »، الحديث ٣٣٦٨: ٢١٥/٩ - ٢١٧.

(١٠) ما بين القوسين عن المستدرک ٤٨٨/٣، ومكانه في مخطوطة الأزهر بياض.

(١١) في المخطوطة: « بن أرقم » والمثبت عن أسد الغاية: ١٦٣/١.

وقد قال ابن أبي حاتم رحمه الله : حدثنا محمد بن عزيز الأيلي ، حدثني سلامة ، حدثني عقيل ، أخبرني محمد بن مسلم : أن عروة بن الزبير وعمرو بن ثابت الأنصاري أخبراه : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غزا غزوة المريسيع ، وهي التي هدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيها مائة الطاغية التي كانت بين قفا المشلل (١) وبين البحر ، فبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خالد بن الوليد فكسر مائة ، فاقتتل رجالان في غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم - تلك ، أحدهما من المهاجرين ، والآخر من يهود ، وهم خلفاء الأنصار ، فاستعلى الرجل الذي من المهاجرين على البهزي ، فقال البهزي : يا معشر الأنصار ، فنصره رجال من الأنصار ، وقال المهاجري : يا معشر المهاجرين ، فنصره رجال من المهاجرين ، حتى كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الأنصار شيء من القتال ، ثم حُجِرَ بينهم فانكأ كل منافق - أو : رجل في قلبه مرض - إلى عبد الله بن أبي ابن سلول ، فقال : قد كنت تُرجى وتدفع ، فأصبحت لا تضر ولا تنفع ، قد تناصرت علينا الجلابيب - وكانوا يدعون كل حديث هجرة (٢) : الجلابيب - فقال عبد الله بن أبي عدو الله : لئن رجعتنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، قال مالك بن الدخشم (٣) وكان من المنافقين (٤) - أو لم أقل لكم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفصوا . فسمع بذلك عمر بن الخطاب ، فأقبل يمشي حتى جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، إنك لفي هذا الرجل الذي قد أفتن الناس ، أضرب عنقه - يريد عمر عبد الله بن أبي - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعمر : « أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله ؟ » . قال عمر : والله لئن أمرتني بقتله لأضربن عنقه . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « اجلس » . فأقبل أسيد بن الحضير - وهو أحد الأنصار ، ثم أحد بني عبد الأشهل ، حتى أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، إنك لفي هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضرب عنقه . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله ؟ » . قال نعم ، والله لئن أمرتني بقتله لأضربن بالسيف تحت قرط أذنيه . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « اجلس » . ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « آذوا بالرجل » . فهجر الناس ، فسار يومه وليته والغدا حتى مشى النهار (٥) ثم نزل . ثم هجر بالناس مثلها ، فصبح بالمدينة في ثلاث سارها من قفا المشلل فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أرسل إلى عمر فدعاه ، فقال له رسول الله : « أي عمر ، أكنت قاتله لو أمرتك بقتله ؟ » قال عمر : نعم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : والله لو قتلته يومئذ لأرغمت أنوف رجال لو أمرتهم اليوم بقتله امتلأوه فيتحدث الناس أني قد وقعت على أصحابي فأقتلهم صرا . وأنزل الله عز وجل : (هم الذين يقولون : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفصوا) . . . إلى قوله : (لئن رجعتنا إلى المدينة) . . . الآية . وهذا سياق غريب ، وفيه أشياء نفيسة لا توجد إلا فيه .

(١) المشلل : موضع بين مكة والمدينة .

(٢) في المخطوطة : « حديث أهدرة » .

(٣) في المخطوطة : « الدخشم » . والمثبت بين أسد الغابة : ٢٢/٥ .

(٤) مالك بن الدخشم : شهيد بدر في قول الجميع . وكان يقيم بالنفق . ولكن أباه عمر بن عبد البر يقول : « ولا يصح عنه النفاق » ، وقده ظهر من حسن إسلامه ما يمنع من اتهامه . وقد أرسله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأحرق مسجد الضراد هو ومن بن على . انظر الاستيعاب : ١٣٥١/٣ ، وأسد الغابة : ٢٢/٥ - ٢٣ .

(٥) أي : بعد وطال .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار : حدثني عاصم بن عُمَر بن قنادة : أن عبد الله بن أبي - يعني لما بلغه ما كان من أمر أبيه - أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي بلعنه ، فإنه ، فإن كنت فاعلا فبرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني ، إلى أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدحني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمحي في الناس ، فأقله - فأقتل - مؤمنا بكافر ، فأدخل النار . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « بل ترفق به وتحسن صحبته ، ما بنى معنا » (١)

وذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما : أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة ، وقف عبد الله بن عبد الله هنا على باب المدينة ، واستل سيفه ، فجعل الناس يمرون عليه ، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنة : وراءك . فقال : مالك ؟ وبالك . فقال : والله لا تجوز من هاهنا حتى يأذن لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنه العزيز وأنت اللدليل . فلما جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم وكان إنما يسير ساقية (٢) ، فشكا إليه عبد الله بن أبي ابنه ، فقال ابنه عبد الله : والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له . فأذن له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : أما إذ أذن لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجز الآن .

وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده : حدثنا سفيان بن عيينة ، حدثنا أبو هارون الميموني قال : قال عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول لأبيه : والله لا تدخل المدينة أبدا حتى تقول : رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخره وأنا الأذل : قال وجاء النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، إنه بلغني أنك تريد أن تقتل أبي ، فوالذي بعثك بالحق ما تأملت وجهه قط هيبة له ، ولئن شئت أن آتيك برأسه لأتيتك ، فاني أكره أن أرى قاتل أبي .

يَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلَهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥﴾

يقول تعالى أمرا لعباده المؤمنين بكرة ذكره ونهاها لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك ونهياهم بأنه من التسهي بمناع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق [له] من طاعة ربه وذكره، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة ، ثم حثهم على الإنفاق في طاعته فقال : (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول : رب ، لولا أخرتني إلى أجل قريب ، فأصدق وأكن من الصالحين) فكل مقترط يندم عند الاحتضار ، ويسأل طول المدة ولو شيئا يسيرا ، يستعجب ويستدرك ما فاتته ، وهيهات إكراه ما كان ، وأتى ما هوأت ، وكل بحسب تفرغه ، أما الكفار فكما قال تعالى : [وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب ، فيقول الذين ظلموا : ربنا ، أخرنا إلى أجل قريب ، لنحبصرتك

(١) سيرة ابن هشام : ٢٩٢/٢ - ٢٩٣ .

(٢) كان من صفة مشبهه - عليه الصلاة والسلام - أن يموت أصحابه ، أي يقدمهم أمامه ، ويشي خلفهم ، وتوافضا ،

ولا يدع أحدا يشي خلفه .

وتتبع الرسل ، أولم تكونوا ألتسمتم من قبل مالكم من زوال (١) . . . وقال تعالى (٢) : (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال : رب ، ارجعون . لعلی أعمل صالحاً فيما تركت ، كلا ، إنها كلمة هو قائلها ، ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون (٣) .

ثم قال تعالى : (ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ، والله خبير بما تعملون) ، أي : لا ينظر أحداً بعد حلول أجله ، وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقاً في قوله وسؤاله عن لو ردّ لعاد إلى شرهما كان عليه ، ولهذا قال (والله خبير بما تعملون) .

وقال أبو عيسى الترمذی : حدثنا عبد بن حميد : حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو جنتاب الكلبي ، عن الضحاك مزارح ، عن ابن عباس قال : من كان له مال يبلغه حج بيت ربه ، أو تجب فيه عليه زكاة ، فلم يفعل ، سأل الرجعة عند الموت . فقال رجل : يا ابن عباس ، اتق الله ، فانما يسأل الرجعة الكفار . فقال : سأتلو عليك بذلك قرآناً : (يا أيها الذين الذين آمنوا لا تلهمكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون .] وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق (٤)] إلى قوله : (والله خبير بما تعملون) ، قال : فما يوجب الزكاة ؟ قال : إذا بلغ المال مائتين فصاعداً . قال : فما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والبغير (٥) .

ثم قال : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن يحيى بن أبي حنيفة - وهو أبو جناب الكلبي عن الضحاك ، عن ابن عباس ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بنحوه (٦) :

ثم قال : وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره ، عن أبي جناب ، عن ابن الضحاك ، عن ابن عباس ، من قوله . وهو أصح (٧) وضعف أبا جناب الكلبي :

قلت ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع ، والله أعلم :

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن نقييل ، حدثنا سليمان بن عطاء ، عن مسلمة الجهني ، عن عمه - يعنى أبا مشجعة بن ربيعي - عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال : ذكرنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الزيادة في العمر [فقال : « إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها ، وإنما الزيادة في العمر] - أن يرزق الله العبد ذرية صالحة يدعون له ، فيلحقه دعاؤهم في قبره .

آخر تفسير سورة ((المنافقون)) ، والله الحمد والمنة

- (١) سورة ابراهيم ، آية : ٤٤ .
- (٢) ما بين القوسين عن الطبعات السابقة .
- (٣) سورة المؤمنون ، آية : ٩٩ - ١٠٠ .
- (٤) ما بين القوسين عن تحفة الأحوزي .
- (٥) تحفة الأحوزي ، تفسير سورة «المنافقون» ، الحديث ٣٣٧١ : ٢٢٠/٩ - ٢٢١ .
- (٦) تحفة الأحوزي ، تفسير سورة «المنافقون» ، الحديث ٣٣٧٢ : ٢٢١/٩ - ٢٢٢ .
- (٧) لفظ الترمذی : « وهذا أصح من رواية عبد الرزاق » .

تفسير سورة التغابن

وهي مدنية وقيل مكية

قال الطبراني : حدثنا محمد بن هارون بن محمد بن بكار الدمشقي ، حدثنا العباس بن الوليد الخلال ، حدثنا الوليد ابن الوليد حدثنا ابن (١) ثوبان ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مولود يولد إلا مكتوب في تشييك رأسه خمس آيات من سورة التغابن »
أورده ابن عساكر في ترجمة « الوليد بن صالح » ، وهو غريب جداً ، بل منكر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① هُوَ الَّذِي
خَلَقَكَ فَنَحَّكَ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ② خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكَ
فَأَحْسَنَ صُورَكَ ③ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ④ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ⑤

هذه السورة هي آخر المسبحات ، وقد تقدم الكلام على تسبيح المخلوقات لبارئها ومالكها (٢) ، ولهذا قال : (له الملك وله الحمد) ، أي : هو المتصرف في جميع الكائنات ، الحمود على جميع ما خلقه ويقدره :
وقوله : (وهو على كل شيء قدير) ، أي : بهذا أراد كان بلا مانع ولا مدافع ، وما لم يشأ لم يكن :
وقوله : (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) ، أي : هو الخالق لكم على هذه الصفة ، وأراد منكم ذلك ، فلا بد من وجود مؤمن وكافر ، وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الإضلال ، وهو شهيد على أعمال عباده ، وسيجزئهم بها أتم الجزاء : ولهذا قال : (والله بما تعملون بصير) .

ثم قال : (خلق السموات والأرض بالحق) ، أي : بالعدل والحكمة ، (وصوركم فأحسن صوركم) ، أي : أحسن أشكالكم ، كقوله تعالى : (يأبأ الإنسان ، ما غرك بربك الكريم) الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء

(١) في المخطوطة : « أبو ثوبان » . والصواب ، ما أثبتناه ، انظر المرحم والتعديل ترجمة الوليد بن الوليد المشيخ القلانسي الدمشقي : ١٩/٢/٤ .
(٢) انظر أول سورة الحديد : ٨/٢٥ .

وَكَيْفَ (١) . وكقوله : (الله الذي جعل لكم الأرض قرارا ، والسماء بناء ، وصوركم فأحسن صوركم ، وورثكم من

الطييات) (٢) : الآية . وقوله (وإليه المصير) ، أى : المرجع والمآب .

ثم أخبر تعالى عن علمه بجميع الكائنات السائية والأرضية والنفسية ، فقال : (يعلم ما فى السموات والأرض ، ويعلم

ما تسرون وما تعلنون ، والله عليهم بذات الصدور) .

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ

رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشْرٌ مِثْلُ بَشَرِنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٧﴾

يقول تعالى مخبراً عن الأمم الماضين ، وما حل بهم من العذاب والنكال ، فى مخالفة الرسل والتكذيب بالحق ، فقال :

(ألم يا تكلم نبأ الذين كفروا من قبل) ، أى : خبرهم وما كان من أمرهم ، (فذاقوا وبال أمرهم) ، أى : وخيم تكذيبهم

وردى أفعالهم ، وهو ما حل بهم فى الدنيا من العقوبة والحزى ، (ولهم عذاب أليم) ، أى : فى الدار الآخرة مضاف إلى

هذا الدينوى . ثم علل ذلك فقال : (ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) ، أى : بالحجج والدلائل والبراهين ، (فقالوا ،

أبشور ميثونا ؟) ، أى : استبعدوا أن تكون الرسالة فى البشر ، وأن يكون هدايم على يدى بشر مثلهم ، (فكفروا

وتولوا) ، أى : كذبوا بالحق ونكأوا عن العمل ، (واستغنى الله) ، أى : عنهم ، (والله غنى حميد) .

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ بِمَا عَمَلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٨﴾

فَقَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٩﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ

التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

يَخْلُدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ

يَخْلُدِينَ فِيهَا وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١١﴾

يقول تعالى مخبراً عن المشركين والكفار والملحدن أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون ، (قل : بلى ، وربى لتبعثن ، ثم لتنبون

بما عملتم) ، أى : لتخبرن بجميع أعمالكم ، جليلها وحقيها ، صغيرها وكبيرها ، (وذلك على الله يسير) ، أى : بعشكم

ومجازاتكم .

وهذه هى الآية الثالثة التى أمر الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يقسم بربه - عز وجل - على وقوع المعاد

ووجوده ، فالأولى فى سورة يونس : (ويستنبونك : أحق هو ؟ قل : أى ، وربى إنه لحق ، وما أنتم بمعجزين) (٣) ، والثانية

فى سورة سبأ : (وقال الذين كفروا : لا تأتينا الساعة ، قل : بلى ، وربى لتأتينكم) (٤) . . . الآية ، والثالثة هى هذه

(١) سورة الانفطار ، الآيات : ٦ - ٨ .

(٢) سورة خافر ، آية : ٦٤ .

(٣) سورة يونس ، آية : ٥٣ .

(٤) سورة سبأ ، آية : ٣ .

ثم قال تعالى : (قَامِنُوا لِلَّهِ وَاذْكُرُوا الْيَوْمَ الَّذِي آتَيْنَاكُمْ) ، يعني : القرآن ، (والله بما تعملون خبير) ، أى : فلا تخفى عليه من أمر الكفر خافية .

وقوله : (يوم يجمعكم ليوم الجمع) ، وهو يوم القيامة ، سمي بذلك لأنه يجمع فيه الأولون والآخرون في صعيد واحد ، يسمعون الداعي ويفقدون البصر (١) ، كما قال تعالى : (ذلك يوم مجموع له الناس ، وذلك يوم مشهود) (٢) . وقال تعالى : (قل : إن الأولين والآخرين : محضون إلى ميقات يوم معلوم) (٣) ،

وقوله : (ذلك يوم التغابن) — قال ابن عباس : هو اسم من أسماء يوم القيامة (٤) . وذلك أن أهل الجنة يهتدون أهل النار . وكذا قال قتادة ومجاهد .

وقال مقاتل بن حيان : لا يخفى أعظم من أن يدخل هؤلاء إلى الجنة ، ويذهب بأولئك إلى النار . قلت : وقد فسر ذلك بقوله تعالى : (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً ، يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ، ذلك الفوز العظيم . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ، أولئك أصحاب النار خالدين فيها ، وبئس المصير) . وقد تقدم تفسير مثل هذه خبر مرة :

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى مخبراً بما أخبر به في سورة الحديد : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) (٥) ، وهكذا قال هاهنا : (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله) — قال ابن عباس : بأمر الله . يعني عن قدره ومشيئته .

ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم) ، أى : ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره ، فصبّر واحتسب واستسلم لقضاء الله ، هدى الله قلبه ، وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه ، وبقينا صادقاً ، وقد يظن عليه ما كان أخذ منه ، أو أخيراً منه .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) ، يعني يهد قلبه لليقين ، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه (٦) .

وقال الأعمش ، عن أبي ظبيان قال : كنا عند علقمة فقرأ هذه الآية : (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) ، فسئل عن ذلك فقال : هو الرجل تصيبه المصيبة ، فيعلم أنها من عند الله ، فيرضى ويسلم . رواه ابن جرير (٦) ، وابن أبي حاتم .

(١) تقدم تفسير هذه الكلمة في : ٤٣٨/٤ . وهي من حديث في الصحيحين ومسنده الإمام أحمد ، تقدم ترجمتنا له في :
سورة الإسراء : ١٠٦/٥ - ١٠٧ .
(٢) سورة هود ، آية : ١٠٣ .
(٣) سورة الواقعة ، آية : ٤٩ - ٥٠ .
(٤) انظر تفسير الطبري : ٧٩/٢٨ .
(٥) سورة الحديد ، آية : ٢٢ .
(٦) تفسير الطبري : ٧٩/٢٥ - ٨٥ .

وقال سعيد بن جبير ، ومقاتل بن حيان : (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) ، يعنى : يسترجع ، يقول : (إن الله وإنا إليه راجعون) وفي الحديث المتفق عليه : «عجباً للمؤمن ! لا يقضى الله له قضاء إلا كان خيراً له ، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وإن أصابته سرأء شكر فكان خيراً له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن (١)» .

وقال أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن أبي ليبة ، حدثنا الحارث بن يزيد ، عن علي بن رباح : أنه سمع جنادة بن أبي أمية يقول : سمعت عبادة بن الصامت يقول : إن رجلاً أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال يا رسول الله ، أى العمل أفضل ؟ قال «إيمان بالله ، وتصديق به ، وجهاد فى سبيله» . قال : أريد أهون من هذا يا رسول الله . قال السجادة والصبر . قال : أريد أهون من ذلك يا رسول الله (٢) قال : «لا تتهم الله فى شيء ، قضى لك به (٣)» . لم يخرجوه .
وقوله (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) : أمر بطاعة الله ورسوله فيما شرع ، وفعل ما [به] أمر وترك ما عنه نهى وزجر ثم قال (فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين) أى : إن نكلتم عن العمل فإنا عليه ما حمل من البلاغ ، وعليكم ما حملتم من السمع والطاعة .

قال الزهري : من الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم ،

ثم قال تعالى مخبراً أنه الأحد الصمد الذى لا إله غيره ، فقال : (الله لا إله إلا هو ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ، فالأول خبر عن التوحيد ، ومعناه معنى الطيب ، أى : وحدوا الإلهية له ، وأخلصوها لديه ، وتوكلوا عليه ، كما قال تعالى : (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو ، فاتخذوه كيبلاً) (٤) .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفُوا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾
فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِيمٌ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٨﴾

يقول تعالى مخبراً عن الأزواج والأولاد : أن منهم من هو عدو الزوج والوالد ، بمعنى أنه ياتى به عن العمل الصالح ، كقوله : (يا أيها الذين آمنوا ، لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) (٥) . ولهذا قال هاهنا (فاحذروهم) - قال ابن زيد : يعنى على دينكم .

(١) تقدم الحديث عند تفسير الآية الخامسة من سورة إبراهيم ، وخبرناه هناك ، انظر : ٣٩٨/٤ .

(٢) ما بين القوسين عن مسند الإمام أحمد ، وهو سقط نظر .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٣١٨/٥ - ٣١٩ .

(٤) سورة المزمل ، آية : ٩ .

(٥) سورة المنافقون ، آية : ٩ .

وقال جهاد : (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) - قال : يحمل الرجل على قطعة الرحم أو معصية ربه ، فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه (١) .

وقال ابن أبي حاتم ، حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن خلف السقلاني [حدثنا] (٧) القرياني ، حدثنا إسرائيل ، حدثنا مالك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس - وسأله رجل عن هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) - قال : فهؤلاء رجال أسلموا من مكة ، فأرادوا أن يأتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوه ، فلما أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأوا الناس قد فقهوا في الدين ، فتهتموا أن يعاقبهم ، فأنزل الله هذه الآية : (وإن تعفوا وتصفحوا وتعفروا فإن الله غفور رحيم) .

وكنا رواه الترمذي عن محمد بن يحيى ، عن القرياني - وهو محمد بن يوسف - به وقال : حسن صحيح (٢) .
ورواه ابن جرير والطبراني ، من حديث إسرائيل ، به ، وروى من طريق العوفي ، عن ابن عباس ، نحوه ، وهكذا قال عكرمة مولاة صوا (٤) .

وقوله : (إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) ، يقول تعالى : إنما الأموال والأولاد فتنة ، أي اختبار وإبتلاء من الله خلقه . ليعلم من يطيعه ممن يعصيه .

وقوله : (والله عنده) ، أي : يوم القيامة (أجر عظيم) ، كما قال : (زين للناس حب الشهوات ، من النساء والبنين والقطاير المنقطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث) . . . الآية (٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني حسين بن واقد ، حدثني عبد الله بن بريدة سمعت أبا بريدة يقول : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخطب ، فجاه الحسن والحسين - رضي الله عنهما - عليهما قيصان أحمران عشيان ويعثران ، فترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ، ثم قال : صدق الله ورسوله .
إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، نظرت إلى هذين الصبيين عشيان ويعثران ، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما (٦) .
ورواه أهل السنن من حديث حسين بن واقد ، به (٧) وقال الترمذي : حسن غريب ، إنما نعرفه من حديثه (٨) .

(١) تفسير الطبري : ٨١/٢٨ .

(٢) ما بين القوسين من الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٢٤٥/٢/٣ ، والتهذيب : ١٤٩/٩ . وفي مخطوطة الأزهر مكانه : الصيدلاني .

(٣) تحفة الأحوزي ، تفسير صورة التباين ، الحديث ٣٣٧٣ : ٢٢٢/٩ - ٢٢٣ .

(٤) تفسير الطبري : ٨٠/٢٨ - ٨١ .

(٥) سورة آل عمران ، آية : ١٤ .

(٦) مستدرك الإمام أحمد : ٣٥/٥ .

(٧) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب «الإمام يقطع الخطبة للأمر بحدث» . وتحفة الأحوزي ، أبواب المناقب ، باب «مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب ، والحسين بن علي» ، الحديث ٣٨٦٣ : ٢٧٨/١٠ - ٢٧٩ . والنسائي ، كتاب الجمعة ، باب «نزول الإمام من المنبر قبل فراغه من الخطبة» ، وقطعه كلامه ، ورجوعه إليه يوم الجمعة : ١٠٨/٣ .
وكتاب الميادين ، باب «نزول الإمام من المنبر قبل فراغه من الخطبة» : ١٩٢/٣ . وسنن ابن ماجه ، كتاب اللباس ، باب «لبس الأحمر للرجال» ، الحديث ٣٦٥ : ١١٩٠/٢ .

(٨) لفظ الترمذي : وهذا حديث حسن غريب ، إنما نعرفه من حديث الحسين بن واقد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سُريج بن النعمان ، حدثنا هشيم ، أخبرنا جالد ، عن الشعبي ، حدثنا الأشعث بن قيس قال : قدمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في وفد كندة ، فقال لي : « هل لك من ولد ؟ » قلت : غلام ولد لي في مِخْرَجِي إِلَيْكَ مِنْ ابْنَةِ جَمْدٍ (١) ، وَلَوَدِدْتُ أَنْ يَكُنَّ مِنْهُ شَيْعَةُ الْقَوْمِ . قال : « لا تقولن ذلك ، فإن فيهم قرّة عين ، وأجرأ إذا قبضوا ، ثم قال : ولئن قلت ذلك : إنهم لخبئة مَحْزَنَةٌ (٢) ، إنهم لخبئة مَحْزَنَةٌ (٣) ، تفرد به أحمد ، رحمه الله تعالى ، وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمود بن بكر ، حدثنا أبي ، عن عيسى ، عن ابن أبي ليلي ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الولد ثمرة القلوب ، وإنهم متجينة مَبْخَلَةٌ محزنة » ثم قال : « لا يعرف إلا بهذا الإسناد » .

وقال الطبراني : حدثنا هاشم بن مزيد ، حدثنا محمد بن إسحاق بن عياش ، حدثني أبي ، حدثني ضَمْنَمُ بْنُ زُرْعَةَ ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « ليس عدوك الذي إن قتله كان فوزاً (٤) لك ، وإن قتلك دخلت الجنة ، ولكن الذي لعله عدوك ولدك الذي خرج من صلبك ، ثم أهدى عدوك مالك الذي ملكت عينك » .

وقوله تعالى : (فاتقوا الله ما استطعتم) ، أي : جهدكم وطاقتكم . كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه » (٥) وقد قال بعض المفسرين - كما رواه مالك ، عن زيد بن أسلم ، - إن هذه الآية العظيمة ناسخة للي في آل عمران ، وهي قوله : (يا أيها الذين آمنوا ، اتقوا الله حتى تقاته ، ولا تموتن ، إلا وأنتم مسلمون) (٦) .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثني يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثني ابن طيبة ، حدثني عطاء - هو ابن دينار - عن سعيد بن جبير في قوله : (اتقوا الله حتى تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ، قال : لما نزلت الآية اشتد على القوم العمل ، فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتفرجت جباههم ، فأنزل الله تخفيفاً على المسلمين : (فاتقوا الله ما استطعتم) ، فنسخت الآية الأولى .

وروى عن أبي العالية ، وزيد بن أسلم ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، والسدي ، ومقاتل بن حيان ، نحو ذلك .

(١) هو جمد - يفتح فسكون - الكندي . مترجم في أسد الغابة . انظر : ٣٤٩/١ .

(٢) أي : سبب العجب والحزن . يريد لو قلت هذا القول لصدقت فيه .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢١١/٥ .

(٤) في المخطوطة : « نورا لك » . والمثبت عن الطبقات السابقة .

(٥) البخاري ، كتاب الاعتصام ، ١١٦/٩ - ١١٧ . ومسلم ، كتاب الحج ، باب « فرض الحج مرة في العمر » .

١٠٢/٤ . والنسائي ، كتاب المناسك ، باب « وجوب الحج » : ١١٠/٥ - ١١١ . وابن ماجه ، المقدمة ، باب « اتباع

سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، الحديث ٣/١:٢ . ومسند الإمام أحمد عن أبي هريرة : ٢٤٧/٢ ، ٢٥٨ ، ٢١٤ -

٣١٥ ، ٣٥٥ .

(٦) سورة آل عمران ، آية ١٠٢ ، وانظر : ٧٢/٢ .

(٧) انظر تفسير الآية التاسعة من سورة الحشر : ٩٧/٧ - ٩٨ .

وقوله : (واسمعوا وأطيعوا) ، أى : كونوا متقادين لما يأمركم الله به ورسوله ، لا تحيدوا عنه يمنة ولا يسرة ، ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله ، ولا تتخلفوا عما به أمرتم ، ولا تركبوا ما عنه زُجرتم .
 وقوله تعالى : (وأنفقوا خيراً لأنفسكم) ، أى : وابذلوا مما رزقكم الله على الأقارب والفقراء والمساكين وذوى الحاجات ، وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن إليكم ، يكن خيراً لكم في الدنيا والآخرة ، وإن لا تفعلوا يكن شر لكم في الدنيا والآخرة

وقوله : (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) ، تقدم تفسيره في « سورة الحشر » وذكر الأحاديث الواردة في معنى هذه الآية ، مما أغنى عن إعادته هاهنا ، والله الحمد والمنة ، وقوله : (إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم) ، أى : مهما أنفقتم من شيء فهو خلفه ، ومهما تصدقتم من شيء فعلبه جزاؤه ، ونزل ذلك منزلة القرض له ، كما ثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول : « من يقرض غير ظلم ولا عديم (١) » . ولهذا قال يضاعفه لكم ، كما تقدم في سورة البقرة : (فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) (٢) .

(ويغفر لكم) ، أى : ويكفر عنكم السيئات . ولهذا قال : (والله شكور) ، أى : يجزي على القليل بالكثير ، (حلیم) أى : يصفح ويغفر ويسر ، ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا والسيئات .

(عالم الغيب والشهادة ، العزيز الحكيم) . تقدم تفسيره غير مرة :

[آخر تفسير «سورة التغابن» والله الحمد والمنة]

(١) تقدم الحديث عند تفسير الآية ٢٤٥ من سورة البقرة ، ومخرجنا هنالك ، انظر : ٤٤١/١ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٤٥ .

تفسير سورة الطلاق

وهي مننية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيَا النَّبِيَّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقْتُمُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾

صَوَّبَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوْلَا تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا ، ثُمَّ خَاطَبَ الْأُمَّةَ تَبَعًا فَقَالَ (: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ، إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقْتُمُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ) .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوَابٍ بْنِ سَعِيدٍ الْمُبَارِيُّ ، حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ : طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَفْصَةَ ، فَأَتَتْ أَهْلَهَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ، إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقْتُمُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ) ، فَقِيلَ لَهُ : رَاجِعْهَا فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ ، وَهِيَ مِنْ أَزْوَاجِكَ وَنَسَائِكَ فِي الْجَنَّةِ .

وَرَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ بَشَّارٍ ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى ، عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ قَتَادَةَ . . . فَذَكَرَهُ (١) مَرَّةً . وَقَدْ وَرَدَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - طَلَّقَ حَفْصَةَ ثُمَّ رَاجِعَهَا ،

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بَكْرٍ ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ وَعَقِيلٌ ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ ، أَخْبَرَنِي سَالِمٌ : أَنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَةً لَهُ وَهِيَ حَائِضٌ ، فَذَكَرَ عُمَرُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَتَقَيَّظَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ قَالَ : « لِيَرَجِعْهَا ، ثُمَّ يَمْسُكُهَا حَتَّى تَطْهَرَ ، ثُمَّ يَحْبِئُضُ فَتَطْهَرُ ، فَإِنْ بَدَأَ أَنْ يَطْلُقَهَا فَلْيَطْلُقْهَا طَاهِرًا قَبْلَ أَنْ عَسَا ، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (٢) » .

هَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ هَاهُنَا وَقَدْ رَوَاهُ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ ، وَاسْلَمٌ ، وَلَفْظُهُ : « فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يَطْلُقَ لَهَا النِّسَاءَ (٣) » .

(١) تفسير الطبري : ٨٥/٢٨ .

(٢) البخاري ، تفسير سورة الطلاق : ١٩٣/٦ ، وانظر البخاري ، كتاب الطلاق ، أول الكتاب ، وباب « إذا طلقت الحائض ، يعتد بذلك الطلاق » ، وباب « من طلق ، وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق » ، وباب « ويعلمون أحق بردهن في العدة » ، وكيف يراجع المرأة إذا طلقها واحدة أو اثنتين » ، وباب « مراجعة الحائض » . كل أولئك في كتاب الطلاق : ٥٢/٧ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٧٥ ، ٧٦ . وكتاب الأحكام ، باب « هل يقضى الحاكم أو يفى وهو غضبان » : ٨٢/٩ .

(٣) مسلم ، كتاب الطلاق ، باب « تحريم طلاق الحائض بغير رضاها » ، وأنه لو خالف وقع الطلاق ويؤمر برجوعها » .

ورواه أصحاب الكتب (١) والمسائيد من طرق متعددة وألفاظ كثيرة ، ومواضع استنصافها كتب الأحكام ، وأمس لفظ يورد هاهنا ما رواه مسلم في صحيحه ، من طريق ابن جريج : أخبرني أبو الزبير : أنه سمع عبد الرحمن ابن أمي - مولى عزة يسأل ابن عمر - وأبو الزبير [يسمع] ذلك : كيف ترى في رجل طلق امرأته حائضاً ؟ فقال : طلقت ابن عمر امرأته حائضاً على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم فسأل عمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : إن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهي حائض - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لا يراجعها قروداً ما ، وقال : « إذا طهرت فليطلق أو يمسك » قال ابن عمر : وقرأ النبي - صلى الله عليه وسلم - (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبيل عدتهن (٢) .

وقال الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله في قوله : (فطلقوهن لعدتهن) قال : الطهر من غير جماع (٣) . وروى عن ابن عمر ، وعطاء ، ومجاهد ، والحسن ، وابن سيرين ، وفقادة ، وميمون بن مهران ، ومقاتل بن حيان مثل ذلك : وهو رواية عن عكرمة ، والضحاك ، وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : (فطلقوهن لعدتهن) قال : لا يطلقها وهي حائض ولا في طهر قد جامعها فيه ، ولكن : تركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة (٤) .

وقال عكرمة (فطلقوهن لعدتهن) ، العدة : الطهر ، والقرء الحيضة ، أن يطلقها حبل مستبيناً حملها ، ولا يطلقها وقد طاف عليها ، ولا يدري حبلها أم لا (٥) .

ومن هاهنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق وقسموه إلى طلاق سنة وطلاق بدعة ، فطلاق السنة : أن يطلقها طاهراً من غير جماع ، أو حاملاً قد استبان حملها ، والبدعي : هو أن يطلقها في حال الحيض ، أو في طهر قد جامعها فيه ، ولا يدري أحملت أم لا ؟ وطلاق ثالث لا سنة فيه ولا بدعة ، وهو طلاق الصغيرة والآيسة ، وغير المدخول بها . وتحرير الكلام في ذلك وما يتعلق به مستقصى في كتب الفروع ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقوله : (وأحصوا العدة) ، أي : احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها ، لئلا تطول العدة على المرأة فتتمتع من الأزواج : (واتقوا الله ربكم) ، أي : في ذلك .

وقوله : (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن) أي : في مدة العدة لها حق السكنى على الزوج ما دامت معتدة منه ، فليس للرجل أن يخرجهما ، ولا يجوز لها أيضاً الخروج لأنها معتقلة (٦) لحق الزوج أيضاً .

(١) أخرجه في كتاب الطلاق ، انظر سنن أبي داود ، باب « طلاق للسنة » . وتحفة الأحرفي ، باب « ما جاء في طلاق السنة » ، الحديث ١١٨٥ و ١١٨٦ : ٣٣٩/٤ - ٣٤٢ . والنسائي ، باب « ما يفعل إذا طلق تطليقة وهي حائض » : ١٤٠/٦ - ١٤١ . وابن ماجه ، باب « الحامل كيف تطلق » ، الحديث ٢٠٢٣ : ٦٥٢/١ . ومسنند الإمام أحمد من عمر رضي الله عنه : ٤٣/١ - ٤٤ ، وعن عبد الله بن عمر : ٢٦/٢ ، ٤٣ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٨ - ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ - ٨١ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٤٥ - ١٤٦ . وعن جابر بن عبد الله : ٣٨٦/٣ .

(٢) ما بين القوسين عن مسلم .

(٣) مسلم ، كتاب الطلاق ، باب « تحريم طلاق الحائض » : ١٨٣/٤ .

(٤) تفسير الطبري : ٨٣/٢٨ .

(٥) تفسير الطبري : ٨٥/٢٨ .

(٦) في الضلوع : « معتقلة بحق » . والمثبت من الطبقات السابقة .

وقوله : (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) ، أي لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة ، فتخرج من المنزل ، والفاحشة المبينة تشمل (١) الزنا ، كما قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، والشعبي ، والحسن ، وابن سيرين ، وعاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وأبو قلابة ، وأبو صالح ، والضحاك ، وزيد بن أسلم ، وعطاء الخراساني ، والسدي ، وسعيد بن أبي هلال ، وغيرهم . وتشمل ما إذا نشزت المرأة أو بدت (٢) على أهل الرجل وأذنبهم في الكلام والفعال ، كما قاله أبي بن كعب ، وابن عباس (٣) ، وعكرمة ، وغيرهم .

وقوله : (وتلك حدود الله) ، أي : شرائعه ومحارمه ، (ومن يتعد حدود الله) ، أي : يخرج عنها ويتجاوزها إلى غيرها ولا يأمر بها ، (فقد ظلم نفسه) ، أي : بفعل ذلك ،

وقوله : (لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) ، أي : إنما أبقينا المطلقة في منزل الزوج في مدة العدة ، لعل الزوج يقدم على طلاقها ويخاف الله في قلبه رجعتها ، فيكون ذلك أسهل .

قال الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن فاطمة بنت قيس في قوله : (لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) ، قالت : هي الرجعة . وكذا قال الشعبي ، وعطاء ، وقتادة ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان ، والثوري . ومن هاهنا ذهب من ذهب من السلف ومن تابعهم ، كالإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - إلى أنه لا تجب السكنى للمبتوتة (٤) وكذا المتوفى عنها زوجها ، واعتمدوا أيضاً على حديث فاطمة بنت قيس الشهيرة ، حين طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص آخر ثلاث تطليقات ، وكان خائباً عنها باليمن ، فأرسل إليها بذلك ، فأرسل إليها وكيله وشعر - نفقة فتسخطته فقال : والله ليس لك علينا نفقة . فأنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « ليس لك عليه نفقة » . ولمسلم : « ولا سكنى وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك » ، ثم قال : « تلك امرأة يفشاها أصحابي ، اعتدى عند ابن أم مكتوم ، فانه رجل أعشى تضعن ثيابك » . الحديث (٥) .

وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى بالفظ آخر ، فقال :

حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا محالد ، حدثنا عامر قال : قدمت المدينة فأثبت فاطمة بنت قيس فحدثتني أن زوجها طلقها على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبعته رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سرية قالت : فقال لي أخوه : اخرجي من الدار . فقلت : إن لي نفقة وسكنى حتى يحل الأجل قال : لا . [قالت] : فأثبت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : يا رسول الله ، إن أخي طلقها ثلاثاً جميعاً . قالت : فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « انظري يا بنت آل قيس ، إنما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت له عليها رجعة ، فإذا لم يكن له عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنى .

(١) في المخطوطة : « كثر الزنا » . والمثبت أيضاً من الطبعات السابقة .

(٢) هذا من الهداه ، وهو الضحش في القول ، يقال : بدت على القوم بداه .

(٣) تفسير الطبري : ٨٦/٢٨ .

(٤) أي : المطلقة طلاقاً بائناً لا رجعة فيه .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٤١٢/٦ . وسنن أبي داود ، كتاب الطلاق ، باب « في نفقة المبتوتة » .

(٦) ما بين القوسين من المسند .

أخرجني فانزلي علي فإلانه ، ثم قال : إنه يتحدّث إليها ، انزلي علي ابن أم مكتوم ، فإنه أعني لا يرأه . . . وذكر تمام الحديث (١) .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن عبد الله البرار التستري حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف حدثنا بكر ابن بكار ، حدثنا سعيد بن يزيد البجلي حدثنا عامر الشعبي : أنه دخل علي فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس القرشي ، وزوجها أبو عمرو بن حفص بن المغيرة الخزومي ، فقالت : إن أبا عمرو بن حفص أرسل إلي وهو منطلق في جيش إلى اليمن بطلاق ، فسألت أولياءه النفقة علي والسكنى ، فقالوا : ما أرسل إلينا في ذلك شيئاً ، ولا أوصانا به . فانطلقت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا رسول الله ، إن أبا عمرو بن حفص أرسل إلي بطلاق ، فطلبت السكنى والنفقة علي ، فقال أولياؤه : لم يرسل إلينا في ذلك بشيء . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إنما النفقة والسكنى للمرأة إذا كان لزوجها عليها رجعة ، فإذا كانت لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره فلا نفقة لها ولا سكنى » .

وكذا رواه النسائي (٢) ، عن أحمد بن يحيى الصوفي ، عن أبي نعيم الفضل بن دكين ، عن سعيد بن يزيد وهو الأحمسي البجلي الكوفي - قال أبو حاتم الرازي : « هو شيخ ، يروي عنه (٣) » .

فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلْنِ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ قَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾

يقول تعالى : فإذا بلغت المعتقدات أجلهن ، أي : شارفن علي انقضاء العدة وقاربن ذلك ، ولكن لم تفرغ العدة بالكلية ، فحيثما إما أن يعزم الزوج علي إمساكها ، وهو رجعتها إلى عصمة نكاحه والاستمرار بها علي ما كانت عليه عنده ، (بمعروف) ، أي : بحسناً إليها في صحبتها ، وإما أن يعزم علي مفارقتها (بمعروف) أي : من غير مقابحة ولا مشامة ولا تخفيف بل يطلقها علي وجه جميل وسبيل حسن .

وقوله : (وأشهدوا ذوى عدل منكم) ، أي : علي الرجعة إذا عزم عليها ، كما رواه أبو داود وابن ماجه ، عن عمران بن حصين : أنه سئبل عن الرجل يطلق امرأته ثم يقع بها ولم يشهد علي طلاقها ولا علي رجعتها فقال : طَلَّقَتْ لغير صنة ، ورجعت لغير صنة ، أشهد علي طلاقها وعلي رجعتها ، ولا تعد (٤) .

وقال ابن جريج : كان عاء يقول : (وأشهدوا ذوى عدل منكم) قال : لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاء إلا شاهدا عدل ، كما قال الله عز وجل ، إلا أن يكون من عذر .

(١) معناه الإمام أحمد : ٣٧٣/٦ - ٣٧٤ .

(٢) النسائي ، كتاب الطلاق : ١٤٤/٦ .

(٣) المرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٧٤/١/٢ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الطلاق ، باب « في نسخ المراجعة بعد الطلاق الثلاث » . وصن ابن ماجه ، كتاب الطلاق .

باب الرجعة ، الحديث ٢٠٢٥ : ٦٥٢/١ .

وقوله : (ذلكم يوعد به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) ، أي : هذا الذي أمرناكم به من الإهداء وإقامة الشهادة ، إنما يأمر به من يؤمن بالله وأنه شرع هذا ، ويخاف عقاب الله في الدار الآخرة .

ومن هاهنا ذهب الشافعي - في أحد قوليهِ - إلى وجوب الإهداء في الرجعة ، كما يجب عندنا في ابتداء النكاح . وقد قال بهذا طائفة من العلماء ، ومن قال بهذا يقول : إن الرجعة لا تصح إلا بالقول ليقع الإهداء عليها .

وقوله : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب) ، أي : ومن يتق الله فيما أمره به ، وتوكل ما نهاه عنه ، يجعل له من أمره مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، أي : من جهة لا تخطر بباله .

قال الإمام أحمد : حدثنا ، يزيد ، أخبرنا كهيم بن الحسن ، حدثنا أبو السليل ، عن أبي ذر قال : جعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتلو عظمى هذه الآية : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب) ، حتى فرغ من الآية ، ثم قال : « يا أبا ذر ، لو أن الناس كلهم أخذوا بها كفتهم » . قال : فنجعل يتلوها ويرددها على حتى نعتست ثم قال : « يا أبا ذر ، كيف تصنع إن أخرجت من المدينة ؟ » . قلت إلى السعة والدعة أنطلق ، فأكون حمامة من حمام مكة . قال : « وكيف تصنع إن أخرجت من مكة » قال : قلت إلى السعة والدعة ، إلى الشام والأرض المقدسة : قال : « وكيف تصنع إن أخرجت من الشام » . قلت : إذا - والذي بعثك بالحق - أضع سبي على عاتق . قال : « أو خير من ذلك ؟ » قلت : أو خير من ذلك ؟ قال : تسمع وتطيع ، وإن كان عبداً حبشياً (١) .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، حدثنا يعلى بن عبيد ، حدثنا زكريا ، عن عامر ، عن شبيب بن شريك قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : إن أجمع آية في القرآن : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) ، وإن أكثر آية في القرآن فرجاً : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) (٢) .

وفي المسند (٣) : حدثني مهدي بن جعفر ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن الحكم بن مصعب ، عن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « من أكثر من الاستغفار جعل الله [له] من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب » (٤) .

وقال علي ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) ، يقول : ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة ، (ويرزقه من حيث لا يحتسب) (٥) .

وقال الربيع بن خثيم (يجعل له مخرجاً) ، أي : من كل شيء ضاق على الناس (٦) .

[وقال عكرمة : من طلق كما أمره الله ، يجعل له مخرجاً . وكذا روى عن ابن عباس ، والضحك (٧)] .

(١) مسند الإمام أحمد : ١٧٨/٥ - ١٧٩ .

(٢) انظر تفسير الآية التسعين من سورة النحل : ٥١٥/٤ ، وتفسير الطبري : ١٠٩/١٤ .

(٣) قال عبد الله بن الإمام أحمد : « وجدت في كتاب أبي بخط يده : حدثنا مهدي ... » .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢٤٨/١ .

(٥) تفسير الطبري : ٨٩/٢٨ .

(٦) تفسير الطبري : ٩٠/٢٨ .

(٧) ما بين القومين من الطيمات السابقة .

وقال ابن مسعود ، ومبروق : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) ، يعلم أن الله إن شاء منع ، وإن شاء أعطى (من حيث لا يحتسب) ، أي : من حيث لا يدري .

وقال قتادة : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) ، أي : من شبهات الأمور والكرب عند الموت ، (ويرزقه من حيث لا يحتسب) ، ومن حيث لا يرجو أولاً يأمل .

وقال السدي : (ومن يتق الله) : يطلق للسنّة ، ويراجع للسنّة ، وزعم أن رجلاً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقال له « عوف بن مالك الأشجعي » ، كان له ابن ، وأن المشركين أسروه ، فكان فيهم ، وكان أبوه يأتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيشكو إليه مكان ابنه وحاله التي هو بها وحاجته ، فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمره بالصبر ، ويقول له : « إن الله سيجعل لك فرجاً » . فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً أن انفلت ابنه من أيدي العدو فر بغم من أغانم العدو ، استاقها فجاء بها إلى أبيه وجاء معه [بغى (١)] قد أصابه من الغم ، فنزلت هذه الآية : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب) (٢) .

رواه ابن جرير ، وروى أيضاً من طريق سالم بن أبي الجعد مراسلاً نحوه (٣) .

وقال الإمام أحمد ، حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن عيسى ، عن عبد الله بن أبي الجعد ، عن ثوبان قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إن العبد ليحترم الرزق بالذنب يصيبه ، ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر » (٤) .

[ورواه النسائي وابن ماجه (٥) ، من حديث سفيان - وهو الثوري - به (٦)]

وقال محمد بن إسحاق : جاء مالك الأشجعي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له : أسر أبي عوف ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أرسل إليه أن رسول الله يأمرك أن تكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله » ؛ وكانوا قد شدوه بالقيد (٧) فسقط القيد عنه ، فخرج ، فإذا هو بناقة لم فركبها ، وأقبل فإذا بسرح (٨) القوم الذين كانوا شدوه فصاح بهم ، فاتبع أولها آخرها ، فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب ، فقال أبوه : عوف ورب الكعبة . فقالت أمه : واسواته . وعوف كيف يقدم (٩) [لما هو فيه من القيد - فاستبقا الباب والخادم ، فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلا ، فقص على أبيه أمره وأمر الإبل ، فقال أبوه : فقا حتى أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأسأله عنها . فأتى

(١) ما بين القوسين عن تفسير الطبري ، ومكانه بياض في المخطوطة .

(٢) تفسير الطبري : ٨٩/٢٨ .

(٣) تفسير الطبري : ٨٩/٢٨ - ٩٠ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢٧٧/٥ ، وانظر : ٢٨٠/٥ ، ٢٨٢ .

(٥) سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب « العقوبات » ، الحديث ٤٠٢٢ : ١٣٣٤/٢ .

(٦) ما بين القوسين عن الطبعات السابقة .

(٧) القيد - يكسر القاف - : وتر القوس .

(٨) السرح : الماشية .

(٩) ما بين القوسين عن الطبعات السابقة ، ومكانه بياض في المخطوطة .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « اصنع بها ما أحببت ، وما كنت صانعاً بما لك » . ونزل : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً . ويرزقه من حيث لا يحتسب) .
رواه ابن أبي حاتم (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق (٢) ، حدثنا إبراهيم بن الأشعث حدثنا الفضيل بن عياض ، عن هشام بن الحسن (٣) ، عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من انقطع إلى الله كفاه الله كل مشئونة ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع إلى الدنيا وكفه الله بها » .

وقوله : (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) - قال الإمام أحمد :

حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، حدثنا قيس بن الحجاج ، عن حنبل بن الصنعاني ، عن عبد الله بن عباس : أنه حدثه أنه ركب خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يا فلام ، إن معلمك كلمات : [احفظ الله يحفظك] ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف » (٤) .

وقد رواه الترمذي من حديث الليث بن سعد ، وابن لهيعة ، به . وقال : « حسن صحيح » (٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا بشر بن سلمان ، عن سيار أبي الحكم ، عن طارق بن شهاب ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قميصاً أن لا تسهّل حاجته ، ومن أنزلها بالله أتاه الله برزق عاجل ، أو بموت آجل » (٦) .

ثم رواه عن عبد الرزاق ، عن سفيان ، عن بشر ، عن سيار أبي حمزة ، ثم قال : وهو الصواب ، وسيار أبو الحكم لم يحدث عن طارق (٧) .

وقوله : (إن الله بالغ أمره) ، أي : منفذ قضاياه وأحكامه في خلقه بما يريد وبشاؤه ، (قد جعل الله لكل شيء قدراً) ، كقوله : (وكل شيء عنده بمقدار) (٨) .

(١) انظر أسد الغاية ، الترجمة ٤٦٢٧ : ٤١٧/٥ ، بتحقيقنا .

(٢) في المخطوطة : « بن سفيان » . والمثبت عن الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٢٨٧/٤ .

(٣) كذا ، ولم نجد هشاماً هذا ، ولعله هشام بن حسان ، أو هشام بن حبيش المترجم له في الجرح والتعديل : ٥٣٢/٤ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢٩٣/١ . وانظر أيضاً : ٣٠٣/١ ، ٣٢٠٧ .

(٥) تحفة الأحوذى ، أبواب صفة القيامة ، الحديث ٢٦٢٥ : ٢١٩/٧ - ٢٢٠ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٤٤٢/١ .

(٧) المرجع السابق ، والصفحة نفسها .

(٨) سورة الرعد ، آية ٨ .

وَاللَّيْ بَيْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مَنْ نَسِيَ كَرَّ إِنْ أَرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّيْ لَمْ يَحْضَنْ وَأَوْلَتْ الْأَحْمَالُ
أَجَلَهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿١﴾ أَذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ
يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٢﴾

يقول تعالى مبينا لعدة الآيسة - وهي التي قد انقطع عنها الحيض لكبرها - : أنها ثلاثة أشهر ، عوضاً عن الثلاثة ثروه
في حق من يحيض ، كما دلت على ذلك آية « البقرة (١) » ، وكذا الصغار اللاتي لم يبلغن سن الحيض أن عدتهن كعدة
الآيسة ثلاثة أشهر ، ولهذا قال : (واللاتي لم يحضن) .
وقوله : (إن ارتبتم) فيه قولان :

أحدهما - وهو قول طائفة من السلف ، كعجاض ، والزهرى ، وابن زيد - أى : إن رأين دما وشككنم في كونه
حيضا أو استحاضة ، وارتبتم فيه .

والقول الثاني : إن ارتبتم في حكم عدتهن ، ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر : وهذا مروى ، عن سعيد بن جبير ، وهو
اختيار ابن جرير ، وهو أظهر في المنى ، واحتج عليه بما رواه عن أبي كريب وأبي السائب قالا : حدثنا ابن ادريس ،
أخبرنا مطرف ، عن عمرو بن سالم قال : قال أبي بن كعب : يا رسول الله ، إن عدداً من عدد النساء لم تذكر في الكتاب :
الصغار والكبار وأولات الأحمال . قال : فأنزل الله عز وجل : (واللاتي يشن من الحيض من نساكنم إن ارتبتم فعدهن
ثلاثة أشهر ، واللاتي لم يحضن ، وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن (٢)) .

ورواه ابن أبي حاتم بأبسط من هذا السياق فقال : حدثنا أبي ، حدثنا يحيى بن المغيرة ، أخبرنا جرير ، عن مطيرك
عن عمر (٣) بن سالم ، عن أبي بن كعب قال : قلت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن ناساً من أهل المدينة
لما أنزلت هذه الآية التي في « البقرة » في عدة النساء قالوا : لقد بقي من عدة النساء عددٌ لم يذكر في القرآن ، والصغار
والكبار اللاتي قد انقطع عنهن الحيض ، وذوات الحمل . قال : فأنزلت التي في النساء القصرى : (واللاتي يشن من
الحيض من نساكنم إن ارتبتم فعدهن ثلاثة أشهر .) واللاتي لم يحضن . .

وقوله : (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) ، يقول تعالى : ومن كانت حاملاً فعدها بوضعها ، ولو كان
بعد الطلاق أو الموت بشواق ناقة ، في قول جمهور العلماء من السلف والخلف ، كما هو نص هذه الآية الكريمة ،
وكما وردت به السنة النبوية . وقد روى عن علي ، وابن عباس - رضى الله عنهم - أنهما ذهبا في المتوفى عنها زوجها
أنها تعتد بأبعد الأجلين من الوضع أو الأشهر ، عملاً بهذه الآية الكريمة ، والتي في سورة « البقرة » . وقد قال البخارى :
حدثنا سعد بن حفص ، حدثنا شيبان ، عن يحيى قال : أخبرني أبو سلمة قال : جاء رجل إلى ابن عباس ، - وأبو هريرة
جالس - فقال : أفتى في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة . فقال ابن عباس : آخر الأجلين . قلت أنا : (وأولات

(١) هي الآية ٢٢٨ . انظر : ٢٩٦/١ - ٢٩٨ .

(٢) تفسير الطبرى : ٩١/٢٨ .

(٣) عمر بن سالم ، ويقال عمرو - يفتح العين - وهو أبو عثمان الأنصارى . يروى عنه مطرف بن يزيد . انظر الخلاصة .

كتاب الكنى ، والمطالب العالية ، بزوائد المسانيد العاقية : ٢٨٩/٤ .

الأحمال أنجلهن أن يضعن حملهن) : قال أبو هريرة : أنا مع ابن أخي . يعني أبا سلمة ، فأرسل ابن عباس غلامه كريباً [إلى أم سلمة] يسألها ، فقالت : قُتِلَ زوج سُبَيْعَةَ الأَسْلَمِيَّةِ وهي حبلى ، فوضعت بعد موته بأربعين ليلة ، فخطبت ، فأتكحها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان أبو السنايل فيمن خطبها (١) .

هكذا أورد البخارى هذا الحديث هاهنا مختصراً . وقد رواه هو ومسلم وأصحاب الكتب مطولاً من وجوه (٢) آخر :
وقال الإمام أحمد :

حدثنا حماد بن أسامة ، أخبرنا هشام ، عن أبيه ، عن المسور بن مخرمة أن سُبَيْعَةَ الأَسْلَمِيَّةِ تُوُفِي عنها زوجها وهي حامل ، فلم تمكث إلا ليالى حتى وضعت ، فلما تَعَلَّتْ (٣) من نفاسها خطبت ، فاستأذنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى النكاح ، فأذن لها أن تَنكَحَ ، فنكحت (٤) .

ورواه البخارى فى صحيحه ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه - من طرق عنها (٥) ، كما قال مسلم
ابن الحجاج :

حدثنى أبو الطاهر : أخبرنا ابن وهب ، حدثنى يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، حدثنى عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة : أن أباه كتب إلى عمر بن عبد الله بن الأرقم الزهرى يأمره أن يدخل على سبيعة بنت الحارث الأَسْلَمِيَّةِ فيسألها عن حديثها وعما قال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين استفتته . فكتب عمر بن عبد الله يخبره أن سبيعة [أخبرته] أنها كانت تحت سعد بن خولة - وكان ممن شهد بدرًا - فتوفى عنها فى حجة الوداع وهي حامل ، فلم تتشعب أن وضعت حملها بعد وفاته ، فلما تَعَلَّتْ من نفاسها تجملت للخطاب ، فدخل عليها أبو السنايل بن بعكك فقال لها : ما لي أراك متجملة ؟ لعلك ترجين النكاح ، إنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشرون . قالت سبيعة : فلما قال لي ذلك جمعت على ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسألته عن ذلك ، فأفتاني بأنى قد حملت حين وضعت حملي ، وأمرني بالتزوج إن بدالى .

هذا لفظ مسلم (٦) . ورواه البخارى مختصراً (٧) ، ثم قال البخارى بعد رواية الحديث الأول عند هذه الآية :

- (١) البخارى ، تفسير سورة الطلاق : ١٩٣/٦ - ١٩٤ .
(٢) البخارى ، كتاب المغازى : ١٠٢/٥ - ١٠٣ . ومسلم ، كتاب الطلاق ، باب «انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل» : ٢٠٠/٤ - ٢٠٢ . والموطأ ، كتاب الطلاق ، باب «عدة المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملاً» . وسنن أبي داود ، كتاب الطلاق ، باب «فى عدة الحامل» . والنسائى ، كتاب الطلاق ، باب «عدة الحامل المتوفى عنها زوجها» : ١٩٠/٦ - ١٩٧ . وابن ماجه ، كتاب الطلاق ، باب «الحامل المتوفى عنها زوجها ، إذا وضعت حلت للأزواج» ، الحديث : ٢٠٢٧ - ٢٠٢٨ : ٦٥٣/١ - ٦٥٤ .
(٣) أى : ظهرت .
(٤) مسند الإمام أحمد : ٣٢٧/٤ .
(٥) انظر الإحالات المتقدمة . وانظر أيضاً البخارى ، كتاب الطلاق ، باب (وأولات الأحمال أنجلهن أن يضعن حملهن) : ٧٢/٧ .

(٦) مسلم ، كتاب الطلاق ، باب «انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها» : ٢٠٠/٤ - ٢٠١ .

(٧) انظر الإحالات المتقدمة .

وقال سليمان بن حرب وأبو الثمان : حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن محمد - هو ابن سيرين - قال : كنت في حلقة فيها عبد الرحمن بن أبي ليلى - رحمه الله - وكان أصحابه يعظمونه ، فذكر آخر الأجلين ، فحدثت بحديث سُبَيْعَةَ بنت الحارث عن عبد الله بن عتبة ، قال : فَصَمَّرَ لِي (١) بعض أصحابه ، قال محمد : ففطنت له فقلت : إنني لجرىءٌ أن أكذب على عبد الله وهو في ناحية الكوفة . قال : فاستحيا وقال : لكن عمته لم يقل (٢) ذلك . فلقيت أبا عطية مالك بن عامر فسألته ، فذهب يحدثني بحديث سُبَيْعَةَ ، فقلت : هل سمعت عن عبد الله فيها شيئا ؟ فقال : كنا عند عبد الله فقال : أتجعلون عليها التعليل ، ولا تجعلون عليها الرخصة ؟ نزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى : (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) (٣) .

ورواه ابن جرير ، من طريق سفيان بن عيينة وإسماعيل بن علية عن أيوب به مختصرا (٤) . ورواه النسائي في التفسير عن محمد بن عبد الأعلى ، عن خالد بن الحارث ، عن ابن عون ، عن محمد بن سيرين ، فذكره (٥) .
وقال ابن جرير : حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصرى ، حدثنا سعيد بن أبي مرجم ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثني ابن شبرمة الكوفى ، عن إبراهيم ، عن علقمة بن قيس أن عبد الله بن مسعود قال : من شاء لاعنته ، ما نزلت (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) إلا بعد آية المتوفى عنها زوجها . قال : وإذا وضعت المتوفى عنها زوجها فقد حلت . يريد بآية المتوفى عنها زوجها : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يبصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) (٤) . وقد رواه النسائي من حديث سعيد بن أبي مرجم ، به (٦) . ثم قال ابن جرير :

حدثنا أحمد بن منيع ، حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي قال : ذكر عند ابن مسعود آخر الأجلين ، فقال : من شاء قاسمته بالله أن هذه الآية التي في النساء القصرى نزلت بعد الأربعة الأشهر والعشرا ثم قال : أجل الحامل أن تضع مافي بطنها (٤) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطى ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أنس الضحى ، عن مسروق قال : بلغ ابن مسعود أن عليا - رضى الله عنه - يقول : آخر الأجلين . فقال : من شاء لاعنته ، إن التي في النساء القصرى نزلت بعد البقرة : (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) .

ورواه أبو داود وابن ماجه ، من حديث أبي معاوية ، عن الأعمش (٧) .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثني محمد بن أبي بكر المقدسى ، أخبرنا عبد الوهاب الثقفى ، حدثني المثنى ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، عن أبي بن كعب قال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : (وأولات

(١) أى : أصكتنى .

(٢) يعنى عبد الله بن مسعود لا يقول بأبعد الأجلين .

(٣) البخارى ، تفسير سورة الطلاق : ١٩٤/٦ .

(٤) تفسير الطبرى : ٩٢/٢٨ .

(٥) وهو في النسائي في كتاب الطلاق ، باب «عدة الحامل المتوفى عنها زوجها» : ١٩٦/٦ - ١٩٧ .

(٦) سنن النسائي ، في الكتاب والباب المتقدمين : ١٩٧/٦ .

(٧) سنن أبي داود ، كتاب الطلاق ، باب «في عدة الحامل» . وصنن ابن ماجه ، كتاب الطلاق ، باب «الحامل المتوفى

عنها زوجها» . الحديث : ٢٥٣٥ : ٦٥٥/١ .

الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) ، المطلقة ثلاثا أو المتوفى (١) عنها ؟ فقال : هي المطلقة ثلاثا والمتوفى عنها (٢) .

هذا حديث غريب جدا ، بل منكر ، لأن في إسناده المثني بن الصباح ، وهو مروك الحديث بكرة ، ولكن رواه ابن أبي حاتم بسند آخر ، فقال :

حدثنا محمد بن داود السمناني ، حدثنا عمرو بن خالد - يعنى الخرائي - حدثنا ابن لهيعة ، عن عمرو بن شعيب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي بن كعب : أنه لما نزلت هذه الآية قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لا أدرى أمشركة أم مبهمة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آية آية ؟ » : قال : (أجلهن أن يضعن حملهن) ، المتوفى عنها والمطلقة ؟ قال : نعم .

وكذا رواه ابن جرير ، عن أبي كريب ، عن موسى بن داود ، عن ابن لهيعة ، به : ثم رواه عن أبي كريب أيضا ، عن مالك بن إسماعيل ، عن ابن عيينة ، عن عبد الكريم بن أبي المخارق أنه حدث عن أبي بن كعب قال : سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن : (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) ، قال : « أجل كل حامل أن تضع مافي بطنها (٣) » .

عبد الكريم هذا ضعيف ، ولم يدرك أبيًا .

وقوله : (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) ، أى : يسهل له أمره ، وييسره عليه ، ويجعل له فرجا قريبا ومخرجا هاجلا .

ثم قال : (ذلك أمر الله أنزله إليكم) ، أى : حكمه وشرعه أنزله إليكم بواسطة رسوله صلى الله عليه وسلم ، (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ، ويعظم له أجرا) ، أى : يذهب عنه الخدور ، ويجزل له الثواب على العمل اليسير .

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَفَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَمْرُهُمْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَارَفْتُمْ فَتَرَضِعْ لَهُمْ وَأُخْرَى لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا أَتَتْهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٥﴾

يقول تعالى أمرآ عباده إذا طلق أحدهم المرأة أن يسكنها في منزل حتى تنقضى عدتها ، فقال : (أسكنوهن من حيث سكنتم) ، أى : عندكم ، (من وجدكم) ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : يعنى سعتكم (٤) . حتى قال قتادة : وإن لم تجد إلا جنب بيتك فأسكنها فيه ،

(١) لفظ المسند : « المطلقة ثلاثا والمتوفى عنها ؟ قال : هي المطلقة ثلاثا والمتوفى عنها » .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١١٦/٥ .

(٣) تفسير الطبري : ٩٣/٢٨ .

(٤) تفسير الطبري : ٩٤/٢٨ .

وقوله : (ولا تضاروهن لتضيقت عليهن) ، قال مقاتل بن حيان : يعنى بضارها لتفتدى منه بما لها أو تخرج من مسكنه .

وقال الثوري ، عن منصور ، عن أنى الضحى : (ولا تضاروهن لتضيقت عليهن) ، قال : يطلقها فإذا بقى يومان واجعا .

وقوله : (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) ، قال كثير من العلماء منهم ابن عباس ، وطائفة من السلف ، وجماعات من الخلف : هذه في البائن ، إن كانت حاملا أنفق عليها حتى تضع حملها ، قالوا : بدليل أن الرجعية تجب نفقتها سواء كانت حاملا أو حائلا .

وقال آخرون : بل السياق كله في الرجعيات ، وإنما نص على الإنفاق على الحامل وإن كانت رجعية ، لأن الحمل تطول مدته غالبا ، فاحتجج إلى النص على وجوب الإنفاق إلى الوضع ، لئلا يتوهم أنه إنما تجب النفقة بمقدار مدة العدة . واختلاف العلماء : هل النفقة لها بواسطة الحمل ، أو للحمل وحده ؟ على قولين منصوصين عن الشافعي وغيره ، ويتفرع عليها مسائل مذكورة في علم الفروع .

وقوله : (فإن أرضعن لكم) ، أى : إذا وضعن حملهن وهن طوائق ، فقد بين بانقضاء عدتهن ، ولها حيثئذ أن توضع الولد ، ولها أن تمتنع منه ، ولكن بعد أن تغذيه باللبأ - وهو : باكورة اللان الذى لا قوام للولد غالبا إلا به - فإن أرضعت استحققت أجره مثلها ، ولها أن تعاقد أباه أو وليه على ما يفتقان عليه من أجره . ولهذا قال تعالى : (فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن) .

وقوله : (واثمروا بينكم بمعروف) ، أى : ولتكن أموركم فيما بينكم بالمعروف ، من غير إضرار ولا مضارة ، كما قال في سورة البقرة : (لا تضار والدة بولدها ، ولا مولود له بولده (١)) .

وقوله : (وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى) ، أى : وإن اختلف الرجل والمرأة ، فطلبت المرأة في أجره الرضاع كثيرا ولم يجبهها الرجل إلى ذلك ، أو بذل الرجل قليلا ولم توافقته عليه ، فليسترضع (٢) له غيرها . فلو رضيت الأم بما استرضجت عليه الأجنبية فهي أحق بولدها ،

وقوله : (ليتفق ذو سعة من سعته) ، أى : ليتفق على المولود والده ، أو وليه ، بحسب قدرته ، (ومن قدر عليه رزقه ، فليتفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاه) ، كقوله : (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها (٣)) .

روى ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا حكام ، عن ابن سنان قال : سألت عمر بن الخطاب عن ابن عبيدة ، فقيل : إنه يلبس الغليظ من الثياب ، ويأكل أحسن الطعام . فبعث إليه بألف دينار ، وقال للرسول : انظر ما يصنع بها

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٣٣ .

(٢) في المخطوطة : « فلترضع » . والمثبت عن الظلمات السابقة

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٨٦ .

إذا هو أخذها . فما لبث أن لبس اللين من الثياب ، وأكل أطيب الطعام ، فجاء الرسول فأخبره ، فقال : رحمه الله ، تأول هذه الآية : (لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله (١)) .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير : حدثنا هاشم بن مزيد (٢) الطبراني ، حدثنا محمد بن إسماعيل ابن عياش ، أخبرني أبي ، أخبرني ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن (٣) أبي مالك الأشعري - واسمه الحارث - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ثلاثة نفر ، كان لأحدهم عشرة دنانير ، فتصدق منها بدينار . وكان لآخر عشر أواق ، فتصدق منها بأوقية . وكان لآخر مائة أوقية ، فتصدق منها بعشر أواق . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم في الأجر (٤) سواء ، كل قد تصدق بعشر ماله ، قال الله تعالى : (لينفق ذو سعة من سعته) .

هذا حديث غريب من هذا الوجه .

وقوله : (سيجعل الله بعد عسر يسرا) : وعده منه تعالى ، ووعدته حتى ، وهو لا يخلفه ، وهذه كقوله تعالى : (فإن مع العسر يسرا . إن مع العسر يسرا (٥)) .

وقد روى الإمام أحمد حديثاً يحسن أن نذكره هاهنا ، فقال : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا عبد الحميد بن بهرام ، حدثنا شهر بن حوشب قال : قال أبو هريرة : بينا رجل وامرأة له في السلف الخالي لا يقدران على شيء ، فجاء الرجل من سفره ، فدخل على امرأته جاثماً قد أصاب (٦) مسبقةً شديدة ، فقال لامرأته : عندك شيء ؟ قالت : نعم ، أبشر ، أتاك (٧) رزق الله . فاستحياها ، فقال : ويحك ! ابتغي إن كان عندك شيء . قالت : نعم ، هنيئة - ترجو رحمة الله - حتى إذا طال عليه الطوى (٨) قال : ويحك ! قومي فابتغي إن كان عندك شيء فأتيني به ، فإني قد بلغت (٩) وجهي . فقالت : نعم ، الآن ينضح التنور فلا تعجل . فلما أن سكت عنها ساعة وتحينت أن يقول لها ، قالت من عند نفسها : لو قمت فنظرت إلى تنوري ؟ فقامت فنظرت إلى تنورها ملآن جنوب الغنم ، ورحيبتها تلعثان . فقامت إلى الرحي ففضتها ، واستخرجت ما في تنورها من جنوب الغنم .

(١) تفسير الطبري : ٩٦/٢٨ .

(٢) في المخطوطة : « مرثد » ، بالراء والثاء . وقد مر مثله من قريب . ولم يتبها لنا ضبطه ، وما أثبتناه من المعجم الصغير

الطبراني : ١٢٦/٢ .

(٣) في المخطوطة : « بن أبي مالك » . والصواب ما أثبتناه ، انظر أسد الغاية ، ترجمة الحارث بن الأشعري ،

٣٨١/١ - ٣٨٢ ، بتحقيقنا .

(٤) في المخطوطة : « في الأشرة » . والمثبت عن الطبقات السابقة .

(٥) سورة أنشراح ، آية : ٥ - ٦ .

(٦) في المسند : « أصابته » .

(٧) في المخطوطة : « أتاك رزق » . والمثبت عن المسند ، على أن فيه : « أتاك » .

(٨) في المخطوطة : « الطول » . والمثبت عن المسند . والطوى : غلظ البطن .

(٩) أي : جهدت ، فالعطف حلف تفصيلاً .

قال أبو هريرة : فو الذى تنفس أبى القاسم بيده هو (١) قول محمد - صلى الله عليه وسلم - : « لو أخذت مائى رحيبها ولم تنفضها لطحتها إلى يوم القيامة (٢) » .

وقال فى موضع آخر : حدثنا أبو عامر ، حدثنا أبو بكر ، عن هشام ، عن محمد - هو ابن سيرين - عن أبى هريرة قال : دخل رجل على أهله ، فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرية ، فلما رأت امرأته قامت إلى الرحي فوضعتها ، وإلى التنور فسجرتة (٣) ، ثم قالت : اللهم ارزقنا . فنظرت ، فاذا الجفنة قد امتلأت ، قال : وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئاً ، قال : فرجع الزوج قال : أصبم بعدى شيئاً ؟ قالت امرأته : نعم ، من ربنا . قام (٤) إلى الرحي ، فذكر ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أما إنه لو لم ترفعها ، لم تزل تدور إلى يوم القيامة (٥) » .

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ كَحِاسِبِنَّا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَدَبْنَاهَا عَذَابًا نَّكَرًا ﴿١﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٢﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿٣﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿٤﴾

يقول تعالى متوعدا لمن خالف أمره ، وكذب رسله ، وسلك غير ما شرعه - ونفخرا عما حل بالأمة السالفة بسبب ذلك ، فقال : (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسوله) ، أى : تمردت وطغيت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله ، (فحاسبناها حسابا شديداً ، وعدبناها عذاباً نكراً) ، أى : منكرأً فظيماً .

(فذوقت وبال أمرها) ، أى : غيب مخالفتها ، وندموا حيث لا يتنفع الندم ، (وكان عاقبة أمرها خسراً . أعد الله لهم عذاباً شديداً) ، أى : فى الدار الآخرة ، مع ما عمجل لهم فى الدنيا .

ثم قال بعد ما قص من خبر هؤلاء : (فاتقوا الله يا أولى الألباب) ، أى : الأفهام المستقيمة ، لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولى الألباب ، (الذين آمنوا) ، أى : صدقوا بالله ورسوله ، (قد أنزل الله إليكم ذكراً) ، يعنى القرآن . كقولہ : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (٦))

(١) فى المسند : « عن قول » .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢١/٢ .

(٣) أى : أحمرته .

(٤) كذا فى المسند ، وفى المخطوطة دون نقط القاف .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٥١٣/٢ .

(٦) سورة الحجر ، آية : ٩ .

وقوله : (ورسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات) ، قال بعضهم : (رسولا) منصوب على أنه بدل الاشغال (١) وملايسة ، لأن الرسول هو الذي بلغ الذكر .

وقال ابن جرير : : الصواب أن الرسول ترجمة (٢) عن الذكر ، يعنى تفسيراً له (٣) ، ولهذا قال : (ورسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات) ، أى : فى حال كونها بيّنة واضحة جلية (ليخرج الذين آمنوا و عملوا الصالحات من الظلمات إلى النور) ، كقوله : (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور (٤)) وقال تعالى : (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور (٥)) ، [أى : من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم . وقد سمى الله تعالى الوحي الذى أنزله نوراً ؛ لما يحصل به من الهدى ، كما سماه روحاً ؛ لما يحصل به من حياة القلوب ، فقال تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا ، وإناك لتهدى إلى صراط (٦) مستقيم] (٧) .

وقوله : (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً ، يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ، قد أحسن الله له رزقاً) . قد تقدم تفسير مثل هذا غير مرة ، بما أخفى عن إعادته .

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٧﴾

يقول تعالى غيراً عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ، ليكون ذلك باعثاً على تعظيم ما شرع من الدين القويم : (الله الذى خلق سبع سموات) ، كقوله إخباراً عن نوح أنه قال لقومه : (ألم نروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً (٨)) وقال تعالى : (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن (٩)) .

وقوله : (ومن الأرض مثلهن) ، أى : سبعا أيضاً ، كما ثبت فى الصحيحين : (من ظلم قيد شبر من الأرض

(١) المعروف أن بدل الاشغال هو : ما دل على معنى اشتمل عليه متبوعه ، نحو : أصحبنى محمد طمعه . ويكون متصلاً بضمير يرجع إلى المبدل منه ، وما هنا لا يتحقق فيه ضابط بدل الاشغال .

(٢) الترجمة والتبيين من مصطلحات الكوفيين يعنون به ما يسمى عند البصريين بالمبدل .

(٣) تفسير الطبرى : ٩٨ / ٢٨ .

(٤) سورة ابراهيم ، آية : ١ .

(٥) سورة البقرة ، آية : ٢٥٧ .

(٦) سورة الشورى ، آية : ٥٢ .

(٧) ما بين القوسين المقوفين ساقط من مخطوطة الأزهر والمثبت عن الطبقات السابقة .

(٨) سورة نوح ، آية : ١٥ .

(٩) سورة الإسراء ، آية : ٤٤ .

طُوتَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ (١) . وفي صحيح البخارى : « خُسِفَ بِهِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ » . وقد ذُكِرَتْ طُوتُهُ وَالْفَاظَةُ وَعَزْوُهُ فِي أَوَّلِ « الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ » عِنْدَ ذِكْرِ خَلْقِ الْأَرْضِ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ .

ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم ، فقد أبعد التسجعة ، وأغرق في النزح ، وخالف القرآن والحديث بلا مستند . وقد تقدم في « سورة الحديد » عند قوله : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ذكر الأرضين السبع ، وبعد ما بينهن ، وكثافة كل واحدة منهن خمسين عام (٢) . وهكذا قال ابن مسعود وغيره ، وكذا الحديث الآخر : « ما السموات السبع وما بينهن وما بينهن ، والأرضون السبع وما بينهن وما بينهن في الكرسي ، إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة (٤) » .

وقال ابن جرير : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله : (سبع سموات ومن الأرض مثلهن) ، قال : لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم ، وكفركم تكذيبكم بها (٥) .

وحدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد التميمي الأشعري ، عن جعفر بن أبي المغيرة الخزازي ، عن سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس : (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) . : الآية ، فقال ابن عباس : ما يؤمنك إن أخبرتك (٦) بها فتكفر .

وقال ابن جرير ، حدثنا عمرو بن علي ومحمد بن المني قالوا : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس في هذه الآية : (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) — قال عمرو : قال : في كل أرض مثل إبراهيم ، ونحو ما على الأرض من الخلق . وقال ابن المني في حديثه : في كل صباء إبراهيم (٧) .

وقد روى البيهقي في كتاب « الأسماء والصفات » هذا الأثر عن ابن عباس بأبسط من هذا ، فقال : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وحدثنا أحمد بن يعقوب ، حدثنا عبيد بن غنام (٨) النخعي ، أخبرنا علي بن حكيم ، حدثنا شريك ، عن عطاء ابن السائب ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس أنه قال : (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) ، قال : سبع أرضين ، في كل أرض نبي كنيكم ، وآدم كآدم ، ونوح كنوح ، وإبراهيم كإبراهيم ، وعيسى كعيسى .

(١) البخارى ، كتاب المظالم ، باب « إثم من ظلم شيئا من الأرض » : ١٧٠/٣ - ١٧١ . وكتاب بدء الخلق ، باب « ما جاء في سبع أرضين » : ١٢٩/٤ - ١٣٠ . ومسلم ، كتاب البيوع ، باب « تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها » : ٥٧/٥ - ٥٩ .

(٢) انظر البداية والنهاية ، « ما جاء في سبع أرضين » : ١٩/١ - ٢١ .

(٣) انظر : ٣٢/٨ - ٣٣ .

(٤) انظر تفسير الآية ٢٥٥ من سورة البقرة : ٤٥٧/١ - ٤٥٨ .

(٥) في المخطوطة : « وكفرتكم بتكذيبكم » . والمثبت عن تفسير الطبري : ٩٦/٢٨ .

(٦) لفظ الطبري : « أن أخبرك » .

(٧) تفسير الطبري : ٩٩/٢٨ .

(٨) في المخطوطة : « بن غنام » . والمثبت عن الطبقات السابقة ، ولعله « عبيد بن غنام بن حصن بن قبيات الكوفي »

المترجم له في المعبر للذهبي : ١٠٧/٢ .

ثم رواه البيهقي من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس في قول الله عز وجل :
(الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) ، قال : في كل أرض نحو إبراهيم عليه السلام .

ثم قال البيهقي : إسناده هذا عن ابن عباس صحيح ، وهو شاذ بجملة ، لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعا ، والله أعلم به .

قال الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي في كتابه « التفكير والاعتبار » : حدثني إسحاق بن حاتم الكدائي حدثنا يحيى بن سليمان ، عن عثمان بن أبي دهريش (١) قال : بلغني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انتهى إلى أصحابه وهم ساكوت لا يتكلمون ، فقال : « ما لكم لا تتكلمون ؟ » فقالوا : نتفكر في خلق الله عز وجل . قال :
« فكذلك فافعلوا ، تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه ، فإن هذا المغرب أرضاً بيضاء ، نورها ساحتها - أو قال : ساحتها نورها (٢) - مسيرة الشمس أربعين يوماً ، بها خلق الله لم يعصوا الله طرفة عين قط » . قالوا : فأين الشيطان عنهم؟ قال :
« وما يدرون خلق الشيطان أم لم يخلق ؟ » قالوا : أمن ولد آدم ؟ قال : « وما يدرون خلق آدم أم لم يخلق ؟ » .

وهذا حديث مرسل ، وهو مفكر جداً ، « وعثمان بن أبي دهريش » ذكره ابن أبي حاتم في كتابه فقال : روى عن رجل مع آك الحكيم بن أبي العاص ، وعنه سفيان بن عيينة ، ويحيى بن سليم الطائفي ، وابن المبارك - سمعت أبي يقول ذلك (٣) .

[آخر تفسير سورة الطلاق]

(١) في المخطوطة : « دهرس » ، بالنسبة المهملة . والمثبت عن إشرح والتعديل لابن أبي حاتم .
(٢) كذا في مخطوطة الأزهر . وفي الطبقات السابقة : « نورها بيضاء » - أو قال : بيضاء ، نورها » .
(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ١٨٩ / ١ / ٣ .

تفسير سورة التحريم

وهي مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغَىٰ مَرْصَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكَ
نَحْلَةَ أَيْمَانِكَ وَاللَّهُ مُوَلِّكُكَ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ
بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ
الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ نُبُؤًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ وَإِنْ تَظْهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ وَأَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنْ مُسَلِّمَاتٍ
مُؤْمِنَاتٍ قَسِيحَاتٍ تَتَّبِعْتِ عَنِّي لَنْ سَيَحِلَّ لَيْسَ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

اختلف في سبب نزول صدر هذه السورة ، فقيل : نزلت في شأن مارية ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد حرّمها ، فنزل قوله : (يا أيها النبي ، لم تحرم ما أحل الله لك ؟ تبغى مرضاة أزواجك) : : الآية :

قال أبو عبد الرحمن النسائي : أخبرنا إبراهيم بن يونس بن محمد ، حدثنا أبي ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت له أمة يطؤها ، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرّمها ، فأنزل الله عز وجل : (يا أيها النبي ، لم تحرم ما أحل الله لك ؟) إلى آخر الآية .

وقال ابن جرير : حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، حدثنا ابن أبي مرزوق ، حدثنا أبو عثمان ، حدثني زيد بن أسلم : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نسائه ، فقالت : أي رسول الله ، في بيتي وعلى فراشي ؟ فجعلها عليه حراما . فقالت : أي رسول الله ، كيف يحترمه عليك [الحلال] ؟ فحلف لها بالله لا يصيبها : فأنزل الله : (يا أيها النبي ، لم تحرم ما أحل الله لك ؟) قال زيد : فقوله : « أنت على حرام » لقول (١) ،

وهكذا روى عبد الرحمن بن زيد ، عن أبيه :

وقال ابن جرير أيضاً ، حدثنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، عن مالك (٢) ، عن زيد بن أسلم ، قال : قال لها : « أنت على حرام ، والله لا أطوك » .

(١) تفسير الطبري : ٢٨ / ١٠٠ .

(٢) في تفسير الطبري : « أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، عن مالك » .

وقال سفيان الثوري وابن عُلَيْبَةَ ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن مسروق قال : آلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحرم فعوتب في التحريم ، وأمر بالكفارة في اليمين . رواه ابن جرير . وكذا روى عن قتادة ، وغيره ، عن الشعبي ، نفسه . وكذا قال غير واحد من السلف . منهم الضحاك ، والحسن ، وقاتدة ، ومقاتل بن حيان ، وروى العوفي ، عن ابن عباس القصة مطولة .

وقال ابن جرير : حدثنا سعيد بن يحيى ، حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله ابن عبد الله ، عن ابن عباس قال : قلت لعمر بن الخطاب : من المرأتان ؟ قال : عائشة وحفصة . وكان بدء الحديث في شأن أم إبراهيم القبطية ، أصابها النبي - صلى الله عليه وسلم - في بيت حفصة في نوبتها ، فوجدت حفصة ، فقالت : يا نبي الله ، لقد جئت إلى شيئاً ما جئت إلى أحد من أزواجك في يومى (١) ، وفي دوري ، وعلى فرائي . قال : « ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها ؟ » . قالت : بلى . فحرمها وقال : « لا تذكرى ذلك لأحد » . فذكرته لعائشة ، فأظهره الله عليه ، فأنزله الله : (يا أيها النبي ، لم تحرم ما أحل الله لك ؟ تبغى مرضاة أزواجك) الآيات ، فبلغنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كفر يمينه ، وأصاب جاريته . (٢) .

وقال الهيثم بن كليب في مسنده : حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا جرير ابن حازم ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لحفصة : « لا تخبرى أحداً ، وإن أم إبراهيم على حرام » . فقالت : أتحرم ما أحل الله لك ؟ قال : « فوالله لا أقربها » . قال : « فلم يقربها حتى أخبرت عائشة » . قال : فأنزله الله : (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) .

وهذا إسناد صحيح ، ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة ، وقد اختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج .

وقال ابن جرير : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن عليه ، حدثنا هشام الدستوائي قال : كتب إلى يحيى يحدث عن يعلى بن حكيم ، عن سعيد بن جبير : أن ابن عباس كان يقول في الحرام : يمين تكفرها ، وقال ابن عباس : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ، يعنى أن رسول الله حرم جاريته فقال الله : (يا أيها النبي ، لم تحرم ما أحل الله لك ؟) إلى قوله : (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) ، فكفر يمينه ، فصبر الحرام يميناً (٣) .

ورواه البخاري عن معاذ بن فضالة ، عن هشام - هو الدستوائي - عن يحيى - هو ابن أبي كثير - عن ابن حكيم - وهو يعلى - عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في الحرام : يمين تكفر (٤) . وقال ابن عباس : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) (٥) .

(١) في تفسير الطبري : « يومها » .

(٢) تفسير الطبري : ١٠٢/٢٨ .

(٣) تفسير الطبري : ١٠٢-١٠١/٢٨ .

(٤) لفظ البخاري : « في الحرام يكفر » .

(٥) البخاري ، تفسير سورة المتحرم : ١٩٤/٦ .

ورواه مسلم من حديث هشام الدستوائي به (١) :

وقال النسائي : أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد بن علي ، حدثنا مخلد - هو ابن يزيد ، حدثنا صفيان ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : أتاه رجل فقال : إني جعلت امرأتني على حرّما ؟ قال : كذبت ليست عليك بحرام . ثم تلا هذه الآية : (يا أيها النبي ، لم تحرم ما أحل الله لك) ؟ عليك أخطأ الكفارات ، عتق رقبة (٢) .

فرد به النسائي من هذا الوجه ، بهذا اللفظ :

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن زكريا ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا إسرائيل ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في قوله : (يا أيها النبي ، لم تحرم ما أحل الله لك) قال : حرم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سرّيته .

ومن هاهنا ذهب من ذهب من الفقهاء من قال بوجوب الكفارة على من حرّم جاريته أو زوجته أو طعاماً أو ثياباً أو ملبساً أو شيئاً من المباحات . وهو مذهب الإمام أحمد وطائفة . وذهب الشافعي إلى أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية ، إذا حرّم عينيهما أو أطلق التحريم فيهما في قوله ، فأما إن نوى بالتحريم طلاق الزوجة أو حتى الأمة ، نفذ فيهما . وقال ابن أبي حاتم : حدثني أبو عبد الله الطهراني ، أخبرنا حفص بن عمر العددي ، أخبرنا الحكم بن أبان ، حدثنا حكيم ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية : (يا أيها النبي ، لم تحرم ما أحل الله لك) في المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم .

وهذا قول غريب ، والصحيح أن ذلك كان في تحريمه العسل ، كما قال البخاري عند هذه الآية :

حدثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا هشام بن يوسف ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، عن عائشة قالت : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ، ويمكث عندها ، فتواطأت أنا وحفصة على أن يتنا دخلاً عليها ، فلتقل له : أكلت مغافير (٣) ؟ إني أجد منك ريح مغافير . قال : لا . ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ، فإن أعود له ، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحداً ، (تبغى مرضاة أزواجك) (٤) .

هكذا أورد هذا الحديث هاهنا بهذا اللفظ ، وقال في كتاب الأيمان والتدوير :

حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا الحجاج ، عن ابن جريج قال : زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول : سمعت عائشة تزعم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً فتواطيت أنا وحفصة أن يتنا دخلاً عليها النبي - صلى الله عليه وسلم - فلتقول له : إني أجد منك ريح مغافير ، أكلت مغافير ؟ فدخّل على إحداهما النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت ذلك له ، فقال : لا ، بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ، ولن

(١) مسلم ، كتاب الطلاق ، باب وجوب الكفارة على من حرّم امرأته ولم ينو الطلاق ، : ١٨٤/٤ .

(٢) النسائي ، كتاب الطلاق ، باب تأويل قوله عز وجل : (يا أيها النبي ، لم تحرم ما أحل الله لك) : ١٥١/٦ .

(٣) سياق شرح هذه الكلمة .

(٤) البخاري ، تفسير سورة التحريم ، : ١٦٥/٦ .

أحود له . فترلت : (يا أيها النبي ، لم تحرم ما أحل الله لك ؟) إلى : (إن تتوب إلى الله فقد صغت قلوبكما) لعائشة وحفصة (١) ،
 (وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً) لقوله : « بل شربت عسلاً » . وقال إبراهيم بن موسى ، عن هشام : « ولن
 أحود له ، وقد حلفت ، فلا تخبري بذلك أحداً » (٢) .

وهكذا رواه في كتاب الطلاق بهذا الإسناد ، ولفظه قريب منه (٣) . ثم قال : المغاير : « شبهه بالصمغ ، يكون
 في الرمث فيه حلاوة ، أغفر الرمث : إذا ظهر فيه . واحداً مغفور ، ويقال مغاير » (٤) . وهكذا قال الجوهري ، قال :
 « وقد يكون المغفور أيضاً للعشر والشمام والسلم والطلع » قال : والرمث ، بالكسر : مرعى من مراعي الإبل ، وهو من
 الحمض . قال : والعرفط : شجر من العضاة ينضح المغفور [منه] (٥) .

وقد روى مسلم هذا الحديث في كتاب « الطلاق » من صحيحه ، عن محمد بن حاتم ، عن حجاج بن محمد ، عن
 ابن جريج ، أخبرني عطاء ، عن عبيد بن عمير ، عن عائشة ، به . ولفظه كما أورده البخاري في الأيمان والنذور (٦) .

ثم قال البخاري في كتاب الطلاق : حدثنا فروة بن أبي المغراء ، حدثنا علي بن مسهر ، عن هشام بن حروة ، عن أبيه
 عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - يحب الحلوى والعسل ، وكان إذا انصرف من العصر دخل على
 نسائه ، فيدنو من إحداهن . فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس ، فغرت فأسألت عن ذلك ، فقيل
 لي : أهدت لها امرأة من قومها عككة (٧) عسل ، فسقت النبي - صلى الله عليه وسلم - منه شربة ، فقلت : أما والله لنحتالن
 له . فقلت لسودة بنت زمعة : إنه سيدنو منك ، فإذا دنا منك فقولي : « أكلت مغاير ؟ » ، فإنه سيقول ذلك : لا . فقولي
 له : ما هذه الريح التي أجد ؟ فإنه سيقول لك : سقتني حفصة شربة عسل . فقولي : جرت نحلته العرفط (٨) . وسأقول
 ذلك ، وقولي أنت له باصفية ذلك ، قالت - تقول سودة - : والله ما هو إلا أن قام على الباب ، فأردت أن أناديه (٩) بما
 أمرتني فرفأ منك ، فلما دنا منها قالت له سودة : يا رسول الله ، أكلت مغاير ؟ قال : « لا » . قالت : فما هذه للريح
 التي أجد منك ؟ قال : « سقتني حفصة شربة عسل » قالت : جرت نحلته العرفط . فلما دار إلى قلت نحو ذلك ،
 فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك ، فلما دار إلى حفصة قالت له : يا رسول الله ، ألا أسقيك منه ؟ قال : « لا حاجة لي
 فيه » قالت - تقول سودة - « والله لقد حرمتناه . قلت لها : اسكبي (١٠) .

(١) في الصحيح : (إن تتوبا إلى الله) لعائشة وحفصة .

(٢) البخاري ، كتاب الأيمان والنذور ، باب « إذا حرم طامه » : ١٧٥/٨ - ١٧٦ .

(٣) البخاري ، كتاب الطلاق ، باب « لم تحرم ما أحل الله » : ٥٦/٧ .

(٤) لم يقع لنا هذا القول في صحيح البخاري .

(٥) ما بين القوسين عن الصحاح ، مادة عرفط : ١١٤٢/٣ .

(٦) مسلم ، كتاب الطلاق ، باب « وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم يتو الطلاق » : ١٨٥ - ١٨٥ .

(٧) المكة : وجاء من جلد ، يتخص باليمن والعسل .

(٨) صياني شرح الترمذي .

(٩) كذا في إحدى روايتي الصحيح . وفي الأخرى : « أباديه » ، بالياء .

(١٠) البخاري ، كتاب الطلاق ، باب « لم تحرم ما أحل الله » : ٥٧/٧ .

هذا لفظ البخاري : وقد رواه مسلم عن سويد بن سعيد ، عن علي بن مسهر ، به : وعن أبي كريب وهارون ابن عبد الله والحسن بن بشر ، ثلاثهم عن أبي أسامة حماد بن أسامة ، عن هشام بن عروة ، به . وعنده قال : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يشتد عليه أن يوجد منه الريح (١) ، يعنى الريح الخبيثة ، ولهذا قلن له : « أكلت مغافير » لأن ريحها فيه شيء . فلما قال : « بل شربت عملاً » . قلن : جرت نحلته العرفط . أى : رحت نحلته شجر العرفط الذى صمغه المغافير ، ولهذا ظهر ريحه في العسل الذى شربته .

قال الجوهري : جرت النحل العرفط [تجرس] : إذا أكلته ، ومنه قيل للنحل : جوارس ، قال الشاعر :

تظفل على الثمراء منها جوارس .

وقال : الجرس والجرس : الصوت الخفى . ويقال : سمعت جرس [الطير] : إذا سمعت صوت مناقرها على شيء . فأكله ، وفي الحديث : « فيسمعون جرس [طير الجنة] » . قال الأصمعي : كنت في مجلس شعبة قال : « فيسمعون جرس طير الجنة » بالشين ، فقلت : « جرس » ؟ فظفر إلى فقال : « خذوها عنه ، فإنه أعلم بهذا منا (٢) » .

وانغرض أن هذا السياق فيه أن حفصة هي الساقية للعسل ، وهو من طريق هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن خاتمة عائشة . وفي طريق ابن جريج عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، عن عائشة أن زينب بنت جحش هي التي سقت العسل ، وأن عائشة وحفصة توأمانا وتظاهرتا عليه ، والله أعلم . وقد يقال : إنهما واقعتان ، ولا بعد في ذلك ، إلا أن كونهما سبياً لتزول هذه الآية فيه نظر ، والله أعلم . وما يدل على أن عائشة وحفصة - رضى الله عنهما - هما المتظاهرتان الحديث الذى رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن أنس بن مالك ، عن عبد الله بن أبي ثور ، عن ابن عباس قال : لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر عن المراتين من أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - اللتين قال الله تعالى : (إن توبوا إلى الله فقد صغت قلوبكما) ، حتى حج عمر وحججت معه ، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وحدثت معه بالإداوة ، فتهرب ثم أتاني ، فسكبت على يديه فتوضأ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم - اللتان قال الله تعالى : (إن توبوا إلى الله فقد صغت قلوبكما) ؟ فقال عمر : واعجبا لك يا ابن عباس - قال الزهري : كره - والله - ما سألته عنه ولم يكفه - قال : هي حفصة وعائشة . قال : ثم أخذ يسوق الحديث قال : كنا معشر قريش - قوماً تغلب النساء - فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم ، فطلق نساؤنا يتعلمن من نساينهم ، قال : وكان متروكاً في دار [بنى] أمية بن زيد بالعوائل . قال : فغضبتم يوماً على امرأتى فإذا هي تراجعتني ، فأنكرت أن تراجعتني ، فقالت : ما تنكر أن أراجعتك ؟ فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم - ليراجعنه ، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل . قال : فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت : أتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : نعم . قلت : وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل ؟ قالت : نعم . قلت : قد نجاب من فعل ذلك منكن وخسر ، أفأمن إحداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ، فإذا هي قد هلكت ؟ لا تراجعتي رسول الله ولا تسأليه شيئاً ، وسألني من مالي

(١) مسلم ، كتاب الطلاق ، باب « وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق » : ١٨٥/٤ .

(٢) الصحاح ، مادة جرس : ٩٠٨/٢ - ٩٠٩ .

(٣) ما بين القوسين من المعتمد .

ما بدا لك (١) ، ولا يغرتك أن كانت جاريتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منك - يريد عائشة - قال : وكان لي جار من الأنصار ، وكنا نتناوب النزول إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتزل يوماً وأتزل يوماً ، فيأتي بي خبر الوحي وغيره ، وآتيه مثل ذلك . قال : وكنا نتحدث أن غسان تُنحل (٢) الخليل لنغزونا ، فتزل صاحبي يوماً ثم أتي عشاء ، فضرب بابي ثم ناداني ، فخرجت إليه فقال : حدث أمر عظيم ، فقلت : وما ذلك ؟ أجابت غسان ؟ قال : لا ، بل أعظم من ذلك وأطول ، طلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نساءه ، فقلت : قد خابت حفصة وخسرت ، قد كنت أظن هذا كائناً . حتى إذا صليت الصبح شددت على ثيابي ثم نزلت ، فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت : أظنك رسول الله - صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : لا أدري ، هو هذا معتزل في هذه المشربة (٣) . فأنيبت غلاماً له أسود فقلت : استأذن لعمر . فدخل الغلام ثم خرج إلى فقال : ذكرت لك له فصمت : فانطلقت حتى أتيت المنبر ، فإذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم ، فجلست قليلاً ، ثم غلبي ما أجد ، فأنيبت الغلام فقلت : استأذن لعمر . فدخل ثم خرج فقال : فقد ذكرت لك له فصمت . فخرجت فجلست إلى المنبر ، ثم غلبي ما أجد فأنيبت الغلام فقلت : استأذن لعمر ، فدخل ثم خرج إلى فقال : قد ذكرت لك له فصمت . فوليت مديراً فإذا الغلام يدعوني فقال : ادخل ، قد أذن لك . فدخلت فسلمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإذا هو متكئ على رمال (٤) حصير .

قال الإمام أحمد : وحدثناه يعقوب في حديث صالح : رمال حصير قد أثر في جنبه ، فقلت : أطلقت يارسول الله نساءك ؟ فرفع رأسه إلى وقال : « لا » . فقلت : الله أكبر ، لو رأيتنا يارسول الله وكنا معشر قريش قوماً تغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم ، فظنننا نساؤنا يتعلمن من نساؤهم ، فغضبت (٥) على امرأتي يوماً فإذا هي تراجعني ، فأنكرت أن تراجعني ، فقالت : ما تنكر أن أراجعك ؟ فوالله إن أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - ليراجعنه ، ويهجره إحداهن اليوم إلى الليل . فقلت : قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر ، أفأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ، فإذا هي قد هلكت ، فتبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت : يارسول الله ، قد دخلت على حفصة فقلت : لا يغرتك أن كانت جاريتك هي أوسم - أو : أحب - إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منك . فتبسم أخرى ، فقلت : أستأنس يارسول الله ، قال : « نعم » . فجلست فوفعت رأسي في البيت ، فوالله ما رأيت في البيت شيئاً يرد البصر إلا أهبة (٦) ثلاثة : فقلت : ادع الله - يارسول الله - أن يوسع على أمك ، فقد وسع على فارس والروم ، وهم لا يعبدون الله . فاستوى جالساً وقال : « أفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟ أولئك قوم عجلت لهم

(١) في المستند : « وسأخبر ما بدا لك » .

(٢) أي : يعملون لحيلهم زمالاً . والمعنى : يتأهبون لقتالنا .

(٣) المشربة - بضم الراء وفتحها - : الغرفة .

(٤) تقدم تفسير هذه الكلمة في : ٣٢٠/٥ .

(٥) في المستند : « فتغضب » .

(٦) انظر تفسيرها أيضاً في : ٣٢٠/٥ .

طياتهم في الحياة الدنيا . فقلت : استغفر لي يا رسول الله . وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً ، من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله عز وجل (١) .

وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ، من طرق ، عن الزهري ، به (٢) وأخرجه الشيخان من حديث يحيى ابن سعيد الأنصاري ، عن عبيد بن حنن ، عن ابن عباس ، قال : مكثت ستة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية ، فما أستطيع أن أسأله هيبته له ، حتى خرج حاجاً فخرجت معه ، فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق ، عدل إلى الأراك لحاجة له ، قال : فوقفت حتى فرغ ، ثم صرت معه فقلت : يا أمير المؤمنين ، من اللتان تظاهرتا على النبي صلى الله عليه وسلم؟ (٣) .

هذا لفظ البخاري ، ولمسلم : من المرأتان اللتان قال الله تعالى : (وإن تظاهرا عليه) ؟ قال : عائشة وحفصة . ثم ساق الحديث بطوله ، ومنهم من اختصره (٤) .

وقال مسلم أيضاً : حدثني زهير بن حرب ، حدثنا عمر بن يونس الحنفي ، حدثنا عكرمة بن همار ، عن سيبك بن الوليد أني زميل - حدثني عبد الله بن عباس ، حدثني عمر بن الخطاب قال : لما احتزل نبي الله - صلى الله عليه وسلم - فساءه ، دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون (٥) بالحصى ، ويقولون : طلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نساءه ، وذلك قبل أن يؤمر بالرجوع . فقلت : لأعلمن ذلك اليوم فذكر الحديث في دخوله على عائشة وحفصة ، ووعظه لياهما ، إلى أن قال : فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أمكفة المشرية ، فناديت فقلت يا رباح ، استأفني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحو ما تقدم ، إلى أن قال : فقلت : يا رسول الله فقلت : يا رسول الله ، ما يشق عليك من أمر النساء ، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك ، ولما تكلمت - وأحمد الله - بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي ، ونزلت هذه الآية ، آية التحيير : (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن) ، (وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهير) . فقلت : أطلقتهن ؟ قال : لا فقامت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي : لم يطلق نساءه ، ونزلت هذه الآية : (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) . فكنيت أنا استنبطت ذلك الأمر (٦) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٣/١ - ٣٤ .

(٢) البخاري ، كتاب العلم ، باب « التناوب في العلم » : ٣٣/١ . وكتاب المظالم ، باب « الفرقة والعلمية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها » : ١٧٤/٣ - ١٧٧ . وكتاب النكاح ، باب « موعظة الرجل ابنته حال زوجها » : ٣٦/٧ - ٣٨ . ومسلم ، كتاب الطلاق ، باب « في الإيلاء » ، واعتزال النساء وتحيرهن وقوله تعالى : (وإن تظاهرا عليه) : ١٩٥ - ١٩٤ . وتحفة الأحوف ، تفسير سورة التحريم ، الحديث : ٣٣٧ : ٢٢٤/٩ - ٢٣٢ .

(٣) البخاري ، تفسير سورة المتحريم : ١٩٥/٦ .

(٤) مسلم ، كتاب الطلاق ، باب « في الإيلاء . . . » : ١٩٥/٤ .

(٥) أي : يضربون به الأرض ، كفعل المهموم المفكر .

(٦) مسلم ، كتاب الطلاق ، باب « في الإيلاء . . . » : ١٨٨/٤ - ١٩٥ .

وكذا قال سعيد بن جبيرة وعكرمة ، ومقاتل بن حيان ، والضحاك ، وغيرهم (وصالح المؤمنين) أبو بكر وعمر
 - زاد الحسن البصري وعثمان : وقال [ليث بن أبي سليم] ، عن مجاهد : (وصالح المؤمنين) ، قال : علي بن أبي طالب ،
 وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن [أبي] عمر ، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن [علي بن] (١)
 الحسين قال : أخبرني رجل ثقة يرفعه إلى علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوله : (وصالح المؤمنين) ،
 قال : هو علي بن أبي طالب : إسناده ضعيف ، وهو منكر جداً .

وقال البخاري : حدثنا عمرو بن عون ، حدثنا هشيم ، عن حميد ، عن أنس ، قال : قال عمر : اجتمع لواء النبي -
 صلى الله عليه وسلم - في الغيرة عليه ، فقلت لمن : (حسي ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن) فترلت هذه
 الآية (٢) .

وقد تقدم أنه وافق القرآن في أماكن ، منها في نزول الحجاب ، ومنها في أسارى بدر ، ومنها قوله : لو اتخذت من
 مقام إبراهيم مصلى ؟ فأنزل الله : (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) (٣) .

وقال ابن أبي حاتم ، حدثنا الأعمش ، حدثنا حميد ، عن أنس قال : قال عمر بن الخطاب : بلغني شيء كان
 بين أمهات المؤمنين وبين النبي - صلى الله عليه وسلم - فاستقرت بين أقول : لنكفن عن رسول الله أو ليدلته الله أزواجاً
 خيراً منكن . حتى أتيت علي آخر أمهات المؤمنين ، فقالت : يا عمر ، أما لي برسول الله ما يعظ نساءه ، حتى تعظن ؟
 فأمسكت ، فأنزل الله عز وجل : (حسي ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن ، مسلمات مؤمنات فإتاتن فإتات
 عابدات ساجدات ثيبات وأبكاراً) .

وهذه المرأة التي ردتها عما كان فيه من وعظ النساء هي أم سلمة ، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري (٤) .

وقال الطبراني ، حدثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني ، حدثنا إسماعيل البجلي ، حدثنا أبو حوالة ، عن أبي صفان ، عن
 الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : (وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً) ، قال : دخلت حفصة على النبي - صلى
 الله عليه وسلم - في بيتها وهو يغطاً مارية ، فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم : لا تخبري عائشة حتى أشرك
 بشارة ، فإن أباك يكي الأمر من بعد أبي بكر إذا أنا مت : فذهبت حفصة فأخبرت عائشة ، فقالت عائشة لرسول الله
 الله - صلى الله عليه وسلم - : من أتاك هذا ؟ قال : (نباتي العليم الخبير) . فقالت عائشة : لا أنظر إليك حتى تحرم
 مارية : فحرمها ، فأنزل الله : (يا أيها النبي لم تحرم) .

إسناده فيه نظر ، وقد تبين مما أوردهاه تفسير هذه الآيات الكريمات .

(١) ما بين القوسين عن ترجمة محمد بن جعفر في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٢٢٠٪٢٪٣ .

(٢) البخاري ، تفسير سورة المتحرم : ١٩٧٪٦ .

(٣) انظر تفسير الآية ١٢٥ من سورة البقرة : ٢٤٤٪١ - ٢٤٥ .

(٤) انظر البخاري ، تفسير سورة البقرة : ٢٤٤٪٦ .

ومعنى قوله : (مسلمات مؤمنات قانتات ثابتات عابدات) ظاهره .

وقوله (سائحات) ، أى : صائحات ، قاله أبو هريرة ، وعائشة ، وابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، وعبد بن كعب القرظي ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو مالك ، وإبراهيم النخعي ، والحسن ، وقتادة والضحاك ، والربيع بن أنس ، والسدي ، وغيرهم . وتقدم فيه حديث مرفوع عند قوله (السائحات) من سورة براءة ، ولفظه : « سياحة هذه الأمة الصيام » (١) .

وقال زيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن : (سائحات) ، أى : مهاجرات . وتلا عبد الرحمن : (السائحات) ، أى المهاجرون . والقول الأول أولى ، والله أعلم .

وقوله : (ثيبات وأبكارا) ، أى : منهن ثيبات ، ومنهن أبكارا ، ليكون ذلك أشبهى إلى النفوس ، فإن النوع يبسط النفس ، ولهذا قال : (ثيبات وأبكارا) .

وقال أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير : حدثنا أبو بكر بن صدقة ، حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق ، حدثنا عبد الله بن أمية ، حدثنا عبد القدوس ، عن صالح بن حيّان ، عن ابن بريدة ، عن أبيه (ثيبات وأبكارا) قال : وعد الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - في هذه الآية أن يزوجه ، فالتيب آسية امرأة فرعون ، وبالأبكار مريم بنت عمران .

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة « مريم عليها السلام » ، من طريق سويد بن سعيد : حدثنا محمد بن صالح ابن عمر ، عن الضحاك ومجاهد ، عن ابن عمر قال : جاء جبريل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بموت (٢) خديجة فقالت : إن الله يقرئها السلام ، ويبشرها ببيت في الجنة من قصب ، بعيد من الذهب ، لا نصب فيه ولا صخب ، من لؤلؤة [جوفاء بين] بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم .

ومن حديث أبي بكر الهذلي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل على خديجة ، وهي في الموت ، فقال : « يا خديجة ، إذا لقيت ضرائك فأقرئيهن مني السلام » . فقالت : يا رسول الله ، وهل تزوجت قبلي ؟ قال : « لا ، ولكن الله زوجني مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وكلتم أخت موسى » : ضعيف أيضاً .

وقال أبو يعلى : حدثنا إبراهيم بن عرعرة . حدثنا عبد النور بن عبد الله ، حدثنا يوسف بن شعيب ، عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعلمت أن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران ، وكلتم أخت موسى ، وآسية امرأة فرعون » . فقلت : هنيئاً لك يا رسول الله .

وهذا أيضاً ضعيف وروى مرسل - عن ابن أبي داود .

(١) انظر تفسير الآية ١١٢ من سورة براءة : ١٥٦/٤ .

(٢) كذا في خطوط الأزهر ، وفي الطبعات الصافية : « فرت خديجة » .

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ
 مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١٠٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُحْزَرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠١﴾
 يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُرِبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكَ أَنْ يَغْفِرَ عَنْكَ سَيِّئَاتِكَ وَيُدْخِلَكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُجْزَىٰ اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
 أَلْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٢﴾

قال سفیان الثوري ، عن منصور ، عن رجل ، عن علي - رضي الله عنه - في قوله تعالى : (قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا)
 يقول أدبهم ، علمهم (١) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) ، يقول : اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي
 الله ، ومروا أهليكم بالذكر ، بنجيتكم الله من النار .

وقال مجاهد : (قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) ، قال : اتقوا الله ، وأوصوا أهليكم بتقوى الله .

وقال قتادة : يأمرهم بطاعة الله ، وينهاهم عن معصية الله ، وأن يقوم عليهم بأمر الله ، ويأمرهم به ويساعدهم عليه ،
 فإذا رأيت لله معصية ، قدحتمهم (٢) عنها وزجرتهم عنها .

وهكذا قال الضحاك ومقاتل : حق على المسلم أن يعلم أهله ، من قرابته وإمائه وعبيده ، ما فرض الله عليهم ،
 وما نهاهم الله عنه .

وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، من حديث عبد الملك بن الربيع
 ابن سبرة ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين ،
 فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها » .

هذا لفظ أبي داود (٣) ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن » .

وروى أبو داود ، من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مثل ذلك .

قال الفقهاء : وهكذا في الصوم ، ليكون ذلك تمريناً له على العبادة ، لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة
 المعصية وترك المنكر ، والله الموفق .

(١) تفسير الطبري : ١٠٧/٢٨ .

(٢) في تفسير الطبري ١٠٧/٢٨ : « ردحتمهم » . والقنع : الكف والمنع .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب « متى يؤمر الغلام بالصلاة » . وثيقة الأحوتى ، أبواب المواقيت ، باب

« ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة » ، الحديث ٥٠٥ : ٤٤٥/٢ - ٤٤٦ : ٤٤٤/٢ .

وقوله : (وقودها الناس والحجارة) ، وقودها : أى حطبها الذى يلقى فيها جُثثُ بنى آدم : (والحجارة) ، قيل : المراد بذلك الأصنام التى كانت تعبد لقوله : (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) .

وقال ابن مسعود ، ومجاهد ، وأبو جعفر الباقر ، والسدى : هى حجارة من كبريت - زاد مجاهد : أنثن من الحيفة ، [وروى (١) ذلك ابن أبي حاتم رحمه الله ، ثم قال : حدثنا أبى ، حدثنا عبد الرحمن بن سنان الملقبى [حدثنا عبد العزيز - يعنى ابن أبى رواد - قال : بلغنى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تلا هذه الآية : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً . وقودها الناس والحجارة) ، وعنده بعض أصحابه ، وفيهم شيخ ، فقال الشيخ : يارسول الله ، حجارة جهنم كحجارة الدنيا ؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - «والذى نفسى بيده لصخرة من صخر جهنم أعظم من جبال الدنيا كلها قال : فوقع الشيخ مغشياً عليه ، فوضع النبي - صلى الله عليه وسلم - يده على فؤاده فإذا هو حى فناداه قال : «ياشيخ ، قل : لا إله إلا الله» . فقاها ، فبشره بالجنة ، قال : فقال أصحابه : يارسول الله ، أمن بيننا ؟ قال : نعم ، يقول الله تعالى : (ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد) . هذا حديث مرسل غريب .

وقوله : (عليها ملائكة غلاظ شداد) ، أى : طباعهم غليظة ، قد نزع من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله ، (شداد) أى تركيبيهم فى غاية الشدة والكثافة والمنظر المرعج .

قال ابن أبي حاتم ، حدثنا أبى حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان ، حدثنا أبى ، عن عكرمة أنه قال : إذا وصل أول أهل النار إلى النار ، وجدوا على الباب أربعمائة ألف من خزنة جهنم ، سود وجوههم ، كالخة أنيابهم ، قد نزع الله من قلوبهم الرحمة ليس فى قلب واحد منهم مقال ذرة من الرحمة ، لو طير الطير من منكب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلغ منكب الآخر ، ثم يجدون على الباب التسعة عشر ، عرض صدر أحدهم سبعون خريفاً ، ثم يهون من باب إلى باب خمسمائة سنة ، ثم يجدون على كل باب منها مثل ما وجدوا على الباب الأول ، حتى ينتهوا إلى آخرها .
وقوله : (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) ، أى : مهما أمرهم به تعالى يبادروا إليه ، لا يتأخرون عنه طرفة عين ، وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز عنه . وهؤلاءهم الزبانية هاذا بالله منهم . وقوله : (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون) ، أى : يقال للكفرة يوم القيامة : لا تعتذروا فإنه لا يقبل منكم ، وإنما تجزون اليوم بأعمالكم .

ثم قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توباً نصوحاً) ، أى : توبة صادقة جازمة ، تحو ما قبلها من السيئات وتلم شعت النائب وتجمعه ، وكفنه عما كان يتعاضاه من الدناعات .

قال ابن جرير : حدثنا ابن مثنى حدثنا محمد ، حدثنا شعبة ، عن سمائل بن حرب : سمعت النعمان بن بشير يحدث : سمعت عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يقول : (يا أيها الذين آمنوا ، توبوا إلى الله توبة نصوحاً) ، قال : يذنب اللئب ثم لا يرجع فيه (٢) .

(١) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة -

(٢) تفسير الطبرى : ١٠٧/٢٨ .

وقال الثوري ، عن سماك ، عن النعمان ، عن عمر قال : التوبة النصوح : أن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه ، أو لا يعود فيه (١) :

وقال أبو الأحوص وغيره ، عن سماك ، عن النعمان : سئل عمر عن التوبة النصوح ، فقال : أن يتوب الرجل مع العمل السيئ ، ثم لا يعود إليه أبداً :

وقال الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله : (توبة نصوحاً) ، قال : يتوب ثم لا يعود . وقد روى هذا مرفوعاً فقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عاصم ، عن إبراهيم الهجري ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : (التوبة من الذنب أن يتوب منه ، ثم لا يعود فيه) (٢) . فترد به أحمد من طريق إبراهيم بن مسلم الهجري ، وهو ضعيف ، والموقوف أصح ، والله أعلم . ولهذا قال [العلماء] (٣) : التوبة النصوح هو أن يتلغ عن الذنب في الحاضر ، ويندم على ما سلف منه في الماضي ، ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل : ثم إن كان الحق لآدى رده إليه بطريقه .

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن عبد الكريم ، أخبرني زياد بن أبي مریم ، عن عبد الله بن مسعود قال : دخلت مع أبي علي عبد الله بن مسعود فقال : أنت سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم يقول : (الندم توبة ؟) : قال : نعم - وقال مرة : نعم سمعته يقول : (الندم توبة) (٤) :

ورواه ابن ماجه ، عن هشام بن عمار ، عن سفيان بن عيينة ، عن عبد الكريم - وهو ابن مالك الجزي - به (٥) . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثني الوليد بن بكير أبو خباب ، عن عبد الله بن محمد العدوي (٦) ، عن أبي سنان البصري ، عن أنس قلابة ، عن زر بن حبیش ، عن أبي بن كعب قال : قيل لنا أشياء تكون في آخر هذه الأمة عند اقتراب الساعة ، منها : نكاح الرجل امرأته أو أمته في دبرها ، وذلك مما حرم الله ورسوله ، وبعثت الله عليه ورسوله : ومنها نكاح الرجل الرجل ، وذلك مما حرم الله ورسوله ، وبعثت الله عليه ورسوله : ومنها نكاح المرأة المرأة ، وذلك مما حرم الله ورسوله ، وبعثت الله عليه ورسوله . وليس هؤلاء صلاة ما أقاموا على هذا ، حتى يتوبوا إلى الله توبة نصوحاً : قال زر : فقلت لأبي بن كعب : فما التوبة النصوح ؟ فقال : سألت عن ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : (هو الندم على الذنب حين يقرط منك ، فتستغفر الله بندامتك [منه] عند الحاضر ، ثم لا تعود إليه أبداً) :

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا عباد بن عمرو ، حدثنا أبو عمرو بن العلاء ، سمعت الحسن يقول التوبة النصوح : أن تبغض الذنب كما أحببته ، وتستغفر منه إذا ذكرته .

(١) تفسير الطبري : ١٠٧/٢٨ - ١٠٨ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٤٤٦/١ .

(٣) ما بين القوسين عن الطيمات السابقة .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٣٧٦/١ .

(٥) سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب « ذكر التوبة » ، الحديث ٤٢٥٢ : ١٤٢٠/٢ .

(٦) في المخطوطة : « والمعنى » . والمثبت عن الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ١٥٦/٢/٢ .

فأما إذا حَزَمَ بالتوبة وصَمَمَ عليها فإنها تَجَسُّبُ ما قبلها من الخطيئات ، كما ثبتت في الصحيح : « الإسلام يتجسب ما قبله ، والتوبة تجب ما قبلها » (١) .

وهل من شرط التوبة النصوح الاستمرارُ على ذلك إلى الممات ، كما تقدم في الحديث وفي الأثر : « لا يعود فيه أبداً » أو يكفي العزم على أن لا يعود في تكفير الماضي ، بحيث لو وقع منه ذلك الذنب بعد ذلك لا يكون ذلك ضاراً في تكفير ما تقدم ، لعموم قوله عليه السلام : « التوبة تجب ما قبلها ؟ » . ولأول أن يحتج بما ثبت في الصحيح أيضاً : « من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر (٢) . فإذا كان هذا في الإسلام الذي هو أقوى من التوبة ، فالتوبة بطريق الأولى ، والله أعلم .

وقوله : (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) « وعسى » من الله موجبة ، (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) ، أى : ولا يخزيهم معه يعنى يوم القيامة ، (نورهم يسرى بين أيديهم وبأيمنهم كما تقدم في سورة الحديد (٣) :

يقولون : ربنا ، أتمم لنا نورنا ، واغفر لنا إنك على كل شيء قدير) : قال مجاهد ، والضحاك ، والحمين البصرى وغيرهم : « هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المذاقين قد طغىء » .

وفال محمد بن نصر المروزي : حدثنا محمد بن مقاتل المروزي ، حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا ابن طيبة ، حدثني يزيد ابن أبي حبيب ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، أنه سمع أبا ذر وأبا الدرداء قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة ، وأول من يؤذن له برفع رأسه ، وأنظر بين يدي فأعرف أمي من بين الأمم ، وأنظر عن يميني فأعرف أمي من بين الأمم ، وأنظر عن شمالي فأعرف أمي من بين الأمم » . فقال رجل : يا رسول الله ، وكيف تعرف أمك من بين الأمم : قال « غر محجلون من آثار الظهور ، ولا يكون أحد من الأمم كذلك غيرهم ، وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمنهم ، وأعرفهم بسياهم في وجوههم من أثر السجود ، وأعرفهم بنورهم يسرى بين أيديهم (٤) »

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني ، حدثنا ابن المبارك ، عن يحيى بن حسان ، عن رجل من بني كنانة قال : صليت خلف النبي - صلى الله عليه وسلم - عام الفتح فسمعه يقول : « اللهم لا تخزني يوم القيامة (٥) » .

(١) الذي في مسند الإمام أحمد عن عمرو بن العاص ١٩٩/٤ : « والحجرة تجب ... » . ومثله أيضاً في : ٢٥٥/٤ ، ٢٥٥ .

(٢) البخاري ، كتاب « استنباط المرتدين » ... : ١٧/٢ - ١٨ . ومسلم كتاب الإيمان ، باب هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية :

٧٧/١ .

(٣) انظر تفسير الآية ٢٨ من سورة الحديد : ٥٧/٨ .

(٤) تقدم الحديث في سورة الإسراء ، عند تفسير الآية ٧٩ ، من رواية الإمام أحمد ، عن حسن ، عن ابن لهيعة ،

وخرجه هناك ، انظر : ١٠٦/٥ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢٣٤/٤ .

(مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَاتُ نُوحٍ وَأَمْرَأَاتُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ لَهُمَا ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الْكٰفِرِينَ ﴿٦٠﴾

يقول تعالى أمرأ رسولہ - صلى الله عليه وسلم - بجهاد الكفار والمنافقين ، هؤلاء بالسلاح والقتال ، وهؤلاء بأقامة الحدود عليهم ، (واغظ عليهم) ، أى فى الدنيا ، (ومأواهم جهنم وبئس المصير) ، أى : فى الآخرة .

ثم قال : (ضرب الله مثلا للذين كفروا) ، أى : فى مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم ، أن ذلك لا يجدى عنهم شيئا ، ولا ينفعهم عند الله ، إن لم يكن الإيمان حاصلًا فى قلوبهم ، ثم ذكر المثل فقال : (امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عيادين من عبادنا صالحين) ، أى : نبين رسولين عندهما فى صحبتها ليلا ونهاراً ، يواكلانها ويصاحبانها ويعاشرانها أشد العشرة والاختلاط ، (فخانتاهما) أى : فى الإيمان ، لم يوافقاهما على الإيمان ، ولا صدقاهما فى الرسالة ، فلم يجتد ذلك كله شيئاً ، ولا دفع عنهما محذوراً ولهذا قال : (فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً) أى : لكفرهما ، (وقيل) أى : للمرأتين (ادخلا النار مع الداخلين) .

وليس المراد (فخانتاهما) فى فاحشة ، بل فى الدين ، فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع فى الفاحشة ، لحرمته الأنبياء ، كما قدمنا فى سورة التور .

قال سفيان الثوري ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن سليمان بن قتية (١) : سمعت ابن عباس يقول فى هذه الآية : (فخانتاهما) ، قال : ما زلت ، أما امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون ، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيانه .

وقال العوفي ، عن ابن عباس قال : كانت خيانتيهما أنهما كانتا على عورتيهما فكانت امرأة نوح تتطلع على سر نوح ، فإذا آمن مع نوح أخبرت الجبابرة من قوم نوح به ، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحداً أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء .

وهكذا قال عكرمة ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وغيرهم .

وقد استدلل بهذه الآية الكريمة بعض العلماء على ضعف الحديث الذى يأثره كثير من الناس : « من أكل مع مغفور له غفر له » . وهذا الحديث لا أصل له ، وإنما يروى هذا عن بعض الصالحين أنه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - فى المنام فقال : يا رسول الله ، أنت قلت : من أكل مع مغفور له [غفر له] ؟ قال : لا ، ولكنى الآن أقوله .

(١) فى تفسير الطبرى ١٠٩/٢٨ : « سليمان بن قيس » . وهو خطأ ، والصواب ما فى مخطوطة الأزهر ، انظر ترجمة سليمان بن قتية ، فى المرح والتمديد لابن أبى حاتم : ١٣٦/١/٢ .

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَاتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ
وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ
بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِحْسَانٌ ﴿١٢﴾

وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تصرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم ، كما قال تعالى : (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة) .

قال قتادة : كان فرعون أعنى أهل الأرض وأبعده (١) فوالله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت زوجها لتعلموا أن الله حكيم عدل ، لا يؤخذ أحداً إلا بذنبه (٢) .

وقال ابن جرير : حدثنا إسماعيل بن حفص الأبلخي ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سلمان قال : كانت امرأة فرعون تُحدِّب في الشمس ، فإذا انصرف عنها أظلمت الملائكة بأجنحتها ، وكانت توى بيتها في الجنة (٣) .

ثم رواه عن محمد بن عبيد (٤) الحارثي عن أسباط بن محمد ، عن سليمان التيمي ، به .

ثم قال ابن جرير : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن عاصم ، عن هشام الدستوائي ، حدثنا القاسم بن أبي بزة قال : كانت امرأة فرعون تسأل : من غلب ؟؟ فيقال : غلب موسى وهارون . فتقول : آمنت برب موسى وهارون فأرسل إليها فرعون فقال : انظروا أعظم صخرة تجدونها ، فان مضت على قولها فألقوها عليها ، وإن رجعت عن قولها فهي امرأته فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيتها في الجنة ، فضمت على قولها ، وانتزع ل الله (٥) روحها ، وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح (٦) .

فقولها : (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة) قال العلماء : اختارت الجار قبل الدار ، وقد ورد شيء من ذلك في حديث مرفوع : (ونجني من فرعون وعمله) ، أي : خلصني منه ، فإنني أبرأ من عمله ، (ونجني من القوم الظالمين) . وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها .

وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العافية قال : كان إيمان امرأة فرعون من قبل إيمان امرأة خازن فرعون ، وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون ، فوقع المشط من يدها ، فقالت : تعس من كفر بالله ؟ فقالت لها

(١) أي : وأبعدهم . وإفراد الضمير مع اسم التفضيل في مثل هذا المقام فصيح شائع في لسان العرب ، ويقول علماء العربية إن التقدير : وأبعد شيء ، فلذا أفرد العرب الضمير .

(٢) تفسير الطبري : ١١٠/٢٨ .

(٣) في المخطوطة : « عن عبيد بن محمد » . والمثبت عن تفسير الطبري . وانظر أيضاً تفسير الطبري ط دار المعارف ، الأثر ١١٥٣٠ : ٧٦/١٠ - ٧٧ ، وتعليق الصيغ المحقق هنالك .

(٤) ما بين القوسين عن تفسير الطبري .

(٥) تفسير الطبري : ١١٠/٢٨ .

ابنة فرعون ، ولك رب غير أبي ؟ قالت : ربى ورب أبوك ورب كل شيء الله . فلطمتها بنت فرعون وضربتها ، وأخبرت أباها ، فأرسل إليها فرعون فقال : تعبدين رباً غيرى ؟ قالت : نعم ، ربى وربك ورب كل شيء الله ، وإياه أعبد فعلمها فرعون وأوتد لها أوتاداً ، فشد رجلها ويديها وأرسل عليها الحيات ، وكانت كذلك ، فأتى عليها يوماً فقال لها : ما أنت متهمية ؟ فقالت له : ربى وربك ورب كل شيء الله . فقال لها : إني ذابح ابنك في فيك إن لم تفعل . فقالت له : اقض ما أنت قاض . فذبح ابنها في فيها ، وإن روح ابنها بشرها فقال لها : أبشرى يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا . فصبرت ثم أتى فرعون يوماً آخر فقال لها مثل ذلك ، فقالت له ، مثل ذلك ، فذبح ابنها [الآخر] في فيها ، فبشرها روحه أيضاً ، وقال لها : أبصرى يا أمه فإن لك عند الله من الثواب كذا وكذا . قال : وسمعت امرأة فرعون كلام روح ابنها الأكبر ثم الأصغر . فأمنت امرأة فرعون ، وقبض الله روح امرأة خازن فرعون ، وكشف الغطاء عن ثوبها ومترلتها وكرامتها في الجنة لا امرأة فرعون حتى رأت فازدادت إيماناً و يقيناً وتصديقاً ، فاطمأن فرعون على إيمانها ، فقال للملأ ، ما تعلمون من آسية بنت مزاحم ؟ فأثنوا عليها ، فقال لهم : إنها تعبد غيرى . فقالوا له : اقتلها : فأوتد لها أوتاداً ، فشد يديها ورجليها ، فدعت آسية ربها فقالت : (رب ، ابن لى عندك بيتاً في الجنة) : فوافق ذلك أن حضرها فرعون ، فضحكت حين رأت بيتها في الجنة فقال فرعون : ألا تعجبون من جنونها ، إنا نعلبها وهي تضحك ، فقبض الله روحها رضى الله عنها (١) وقوله (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها) ، أى حفظته وصانته . الإحصان : هو للعفاف والحريه ، (فنفضنا فيه من روحنا) ، أى : بواسطة الملك ، وهو جبريل ، فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوى ، وأمره الله تعالى أن ينفخ فيه في جيب درعها ، فنزلت النفضة فولجت في فرجها ، فكان منه الحمل بعبسى عليه السلام . ولهذا قال : (فنفضنا فيه روحنا ، وصدقت بكلمات ربها وكتبه) ، أى : بقدره وشرعه ، (وكانت من القانتين) .

قال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا داود بن أبي القرات ، عن علياء ، عن حكيمه ، عن ابن عباس قال : خط رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الأرض أربعة خطوط ، وقال : « أتدرون ما هذا ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم ابنة عمران وآسية ابنة مزاحم امرأة فرعون (٢) » .

وثبت في الصحيحين من حديث شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن مرة الهمداني ، عن أبي موسى الأشعري ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام (٣) » .

وقد ذكرنا طرق هذه الأحاديث وألفاظها والكلام عليها في قصة عبسى ابن مريم - عليهما السلام - في كتابنا (البداية والنهاية) والله الحمد والمنة ، وذكرنا ما ورد من الحديث من أنها تكون هي وآسية بنت مزاحم من أزواجه عليه السلام في الجنة عند قوله (ثيبات وأبكارا) .

[آخر تفسير (سورة التحريم) والله الحمد]

(١) تفسير الطبرى : ١١٠/٢٨ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢٩٣/١ .

(٣) البخارى ، كتاب بدء الخلق ، باب قول الله تعالى : (وضرب الله مثلا الذين آمنوا امرأة فرعون . . .) : ١٩٢/٧ .

ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب « فضائل خديجة أم المؤمنين » : ١٢٢/٧ - ١٢٣ .

تفسير سورة الملك

وهي مكية

قال أحمد : حدثنا حجاج بن محمد وابن جعفر قالا : حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن عباس الجشمي ، عن أبي هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت ل صاحبها حتى يغفر له »
تبارك الذي بيده الملك (١) .

ورواه أهل السنن الأربعة ، من حديث شعبة ، به : وقال الترمذي : « هذا حديث حسن (٢) » .

وقد روى الطبراني والحافظ الضياء المقدسي ، من طريق سلام بن مسكين ، عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سورة في القرآن خصصت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة : تبارك الذي بيده الملك » .

وقال الترمذي : حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، حدثنا يحيى بن مالك النكري ، عن أبيه ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس قال : ضرب بعض أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - خبائه (٣) على قبر ، وهو لا يحسب أنه قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، ضربت خبائن على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا إنسان يقرأ سورة الملك : (تبارك) ، حتى ختمها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : « هي المانعة ، هي المنجية ، تنجي من عذاب القبر » . ثم قال : « هذا حديث غريب من هذا الوجه : وفي الباب عن أبي هريرة (٤) » . ثم روى الترمذي أيضاً من طريق ليث بن أبي سليم ، عن أبي الزبير ، عن جابر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ (الم . تنزيل) ، (وتبارك الذي بيده الملك) . وقال ليث عن طاوس : يفضلان كل سورة في القرآن بسبعين حسنة . (٥) .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن الحسن بن علاف الأصبهاني (٦) ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو ددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي » . يعني (تبارك الذي بيده الملك) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٢١/٢ . وانظر أيضاً : ٢٩٩/٢ .

(٢) تحفة الأحوذى ، أبواب فضائل القرآن ، باب « ما جاء في سورة الملك » ، الحديث ٣٠٥٣ : ٢٥٥ : ٢٥٥ - ٢٥٥ .

وسنن ابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب « ثواب القرآن » ، الحديث ٣٧٨٦ : ١٢٤٤/٢ .

(٣) الخبائه : الخيمة .

(٤) تحفة الأحوذى ، أبواب فضائل القرآن ، باب « ما جاء في سورة الملك » ، الحديث : ٣٠/٥٢ : ١٩٩/٨ - ٢٥٥ .

(٥) تحفة الأحوذى : ٢٥١/٨ - ٢٥٢ .

(٦) لم تقع لنا ترجمته في المعجم الصغير .

هذا حديث غريب ، وإبراهيم ضعيف ، وقد تقدم مثله في سورة «يس» (١) وقد روى هذا الحديث عبد حميد في مسنده بأبسط من هذا ، فقال :

حدثنا إبراهيم بن الحكم ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال لرجل : ألا أتخفك بحديث تفرح به ؟ قال : بلى . قال : اقرأ (تبارك الذي بيده الملك) وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك ، فإنها المنجية والمخادلة ، تجادل - أو نخاصم - يوم القيامة عند ربها لقارئها ، وتطلب له [أن ينجيه] من عذاب النار ، وينجي بها صاحبها من عذاب البر ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمي » .

وقد روى الحافظ ابن عساكر في تاريخه ، في ترجمة أحمد بن نصر بن زياد ، أبي عبد الله القرشي النسابوري ، المقرئ الزاهد القبيح ، أحد الثقات الذين روى عنهم البخاري ومسلم ، لكن في غير الصحيحين ، وروى عنه الترمذي وابن ماجه وابن خزيمة ، وعليه تفقه في مذهب أبي حنيفة بن حريويه (٢) ، وخلق سوامهم ، سابق بسنده من حديثه عن فرات بن السائب ، عن الزهري ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن رجلاً من كان قبلكم مات ، وليس معه شيء من كتاب الله إلا «تبارك» ، فلما وضع في حفرته أتاه الملك فثارت السورة في وجهه ، فقال لها : إنك من كتاب الله ، وأنا أكره مساءتك ، وإني لا أملك لك [ولا له ولا لنفسي] ضراً ولا نفعاً ، فإن أردت هذا به فانطلقى إلى الرب تبارك وتعالى فاشفعى له : فتنطقى إلى الرب فتقول : يارب ، إن فلاناً عمّد إلى من بين كتابك فتعمّنتى وتلاني أفتحرقه أنت بالنار وتعذبه وأنا في جوفه ؟ فان كنت فاعلا ذلك به فامحني من كتابك . فيقول : ألا أراك غضبت ؟ فتقول : وحق لي أن أغضب . فيقول : اذهبي فقد وهبته لك ، وشعّنتك فيه . قال فتجيب : فيخرج [(٣) الملك ، فيخرج كاسفه البال لم يتحلل (٤) منه بشيء . قال : فتجيب : فضعها على فيه ، فتقول : مرحباً بهذا الفم ، فرجماً ثلاثي ، ومرحياً بهذا الصدر ، فرجماً وعاني ، ومرحياً بهاتين القدمين ، فرجماً قامتاني . وتوثّسه في قبره مخافة الوحشة عليه . قال : فلما حدثت بهذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يبق صغير ولا كبير ولا حرّ ولا عبد ، إلا تعلمها ، وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم المنجية .

قلت : وهذا حديث منكر جداً ، وفرات بن السائب (٥) هذا ضعفه الإمام أحمد ، ويحيى بن معين ، والبخاري ، وأبو حاتم ، والدارقطني وغير واحد . وقد ذكره ابن عساكر من وجه آخر ، عن الزهري ، من قوله مختصراً . وروى البيهقي في كتاب « إثبات عذاب القبر » عن ابن مسعود موقوفاً ومرفوعاً ما يشهد لهذا ، وقد كتبناه في كتاب الجنائز من الأحكام الكبرى ، والله الحمد .

(١) انظر : ٥٤٨/٦

(٢) هو علي بن الحسن بن حريويه الفقيه الشافعي ، قاضي مصر . قال عنه الذهبي : « وهو من أصحاب الوجوه » . وقال أبو سعيد بن يونس : « كان شيئاً عجيباً ، ما رأينا مثله ، لا قبله ولا بعده ، وكان ينفقه على مذهب أبي ثور » . توفي - رحمه الله سنة ٣١٩ . انظر العبر للذهبي : ١٧٦/٢ .

(٣) ما بين القوسين عن الدر المنثور للسيوطي ٢٤٦/٦ . ولنظ الدر : « فتجيب سورة الملك ، فيخرج كاسف البال » . وكان في المخطوطة : « خاسف البال » . ورجل كاسف البال : سيء الحال .

(٤) أي : لم يظفر بشيء .

(٥) انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٨٠/٢/٣ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبْرَكَ الَّذِي يَبْدَأُ الْمَلِكَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ
تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ
الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾

بمجد تعالى نفسه الكريمة ، ويخبر أنه بيده الملك ، أى : هو المتصرف فى جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله . ولهذا قال : (وهو على كل شيء قدير) .

ثم قال : (الذى خلق الموت والحياة) : واستدل بهذه الآية من قال : إن الموت أمر وجودى لأنه مخلوق . ومعنى الآية أنه أوجد الخلاق من العدم ، ليبلوهم ويختبرهم أيهم أحسن عملاً ؟ كما قال : (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم) (١) فسمى الخلق الأول - وهو العدم موتاً ، وسمى هذه النشأة حياة . ولهذا قال : (ثم يميتكم ثم يحييكم) .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زرعة [حدثنا] صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا خباب ، عن قتادة فى قوله : (الذى خلق الموت والحياة) ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله أذل بنى آدم بالموت ، وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت ، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء » .

ورواه معمر ، عن قتادة (٢) .

وقوله : (ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) ، أى : يختبر عملاً ، كما قال محمد بن عجلان : ولم يقل أكثر عملاً .
ثم قال : (وهو العزيز الغفور) ، أى : هو العزيز العظيم المنيع الجنب ، وهو مع ذلك غفور لمن تاب إليه وأتاب ، بعد ما عصاه وخالف أمره ، وإن كان تعالى عزيزاً هو مع ذلك يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز .

ثم قال : (الذى خلق سبع سموات طباقاً) ، أى : طبقة بعد طبقة ، وهل هن متواصلات بمعنى أنهن علويات بعضهن على بعض ، أو متفاصلات بينهن خلاء ؟ فيه قولان ، أحدهما الثانى ، كما دل على ذلك حديث الإسرائ وغيره .
وقوله : (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) ، أى : بل هو مصطحب مستو ، ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة ، ولا نقص ولا عيب ولا خلل . ولهذا قال : (فارجع البصر هل ترى من فطور) ، أى : انظر إلى السماء فتأملها ، هل ترى فيها عيباً أو نقصاً أو خللاً أو فطوراً ؟ .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والنضحاك والثورى ، وغيرهم فى قوله : (فارجع البصر هل ترى من فطور) ، أى :

شقوق (٣) .

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٨ .

(٢) تفسير الطبرى : ٢/٢٩ .

(٣) تفسير الطبرى : ٢/٢٩ .

وقال السدي: (هل ترى من فطور) ، أي : من خروق : وقال ابن عباس في رواية : (من فطور) ، أي : من وهى (١) . وقال قتادة (هل ترى من فطور) أي : هل ترى خلتاً يا ابن آدم ؟ .

وقوله : (ثم ارجع البصر كرتين) ، قال : مرتين . (ينقلب إليك البصر خاسئاً) قال ابن عباس : ذليلاً ؟ وقال مجاهد ، و قتادة : صاغراً .

(وهو حسير) ، قال ابن عباس : يعنى وهو كليل : وقال مجاهد ، و قتادة ، والسدي : الحسير : المنقطع من الإعياء ،

ومعنى الآية إنك لو كررت البصر ، مهما كررت ، لا ينقلب إليك ، أي : لرجع إليك البصر ، (خاسئاً) ، عن أن يرى عيباً أو خلا ، (وهو حسير) ، أي كليل وقد انقطع من الإعياء من كثرة التكرار ، ولا يرى نقصاً .

ولما نفي عنها في خلقها القصر بين كمالها وزينتها فقال : (ولقد زينا السماء الدنيا مصابيح) ، وهى الكواكب التى وضعت فيها من السيارات والثوابت :

وقوله : (وجعلناها رجوماً للشياطين) ، عاد الضمير في قوله وجعلناها على جنس المصابيح لا على حينها ، لأنه لا لا يرى بالكواكب التى في السماء ، بل يشهب من دونها ، وقد تكون مستعمدة منها ، والله أعلم ،

وقوله : (وأعدنا لهم عذاب السعير) ، أي : جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا ، وأعدنا لهم عذاب السعير في الآخرة ، كما قال : في أول الصافات : (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظاً من كل شيطان مارد . لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب . دحوراً ولهم عذاب واصب . إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب (٢) .

قال قتادة : إنما خلقت هذه النجوم لثلاث نصال : خلقها زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلامات جهنمى جا . فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه ، [وأضاع] نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به : رواه ابن جرير (٣) وابن أبي حاتم .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسُومُونَ الْمَصِيرَ ﴿١٠﴾ إِذَا الْقُوا فِيهَا سَمْعُوا مَا نَسِبُوا وَهِيَ تَجُورُ ﴿١١﴾ نَكَدٌ
مُعَيَّرٌ مِنَ الْعَيْطِ كَمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَاءَ لِمُؤْمِنَاتِهَا الْوَيْتُكَرُ نَذِيرٌ ﴿١٢﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا
مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿١٣﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٤﴾
﴿١٥﴾ فَأَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فُحْتًا لَأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٦﴾

يقول تعالى : (و أعدنا لهم عذاب جهنم ويسومون المصير) ، أي : يسوم المال والمقلب . (إذا القوا فيها سمعوا ما نسبوا) (إذا القوا فيها سمعوا ما شهبوا) - قال ابن جرير : بنى الصباح (٢)

(١) في المخطوطة : « وهاء » . والمثبت عن تفسير الطبري ٣ / ٢٩ . والوهى - يضم الواو وكسر الهاء : رياء مشددة - جمع وهى - بفتح فسكون - وهو : الشفق في النهى .

(٢) سورة الصافات ، الآيات : ٦ - ١٠ .

(٣) تفسير الطبري : ٣ / ٢٩ - ٤ .

(٤) لفظ ابن جرير ٢ / ٢٩ : « يعنى بالشهب : الصوت الذى يخرج من الجوف بشدة كصوت الهمار » .

(وهي نفور) - قال الثوري : تغلى بهم كما يغلى الحسب القليل في الماء الكثير .

وقوله : (تكاد تميز من الغيظ) ، أي : تكاد ينفصل بعضها من بعض ، من شدة غيظها عليهم وحقها بهم ، (كلما أتى فيها فوج سالم خزنتها ألم بأنكم نذير . قالوا : بلى ، قد جاءنا نذير ، فكذبنا وقلنا : ما نزل الله من شيء ، إن أنتم إلا في ضلال كبير) . يذكر تعالى عدله في خلقه ، وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه ، كما قال : (وما كنا مُعْتَدِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً) (١) وقال تعالى : (حتى إذا جاءوها ففتح أبوابها ، وقال لهم خزنتها : ألم بأنكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم ، وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا : بلى ، ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) (٢) . وهكذا عادوا على أنفسهم بالملامة ، وندموا حيث لا تنفعهم الندامة ، فقالوا : (لو كنا نسمع أو نعقل ، ما كنا في أصحاب السعير) ، أي : لو كانت لنا عقول نتفجع بها أو نسمع ما أنزل الله من الحق ، لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاختيار به ، ولكن لم يكن لنا فهم نحي به ما جاءت به الرسل ، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم ، قال الله تعالى : (فاعترفوا بذنوبهم ، فسحقا لأصحاب السعير) :

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري الطائي قال : أخبرني من سمعه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : «إن يهلك الناس حتى يعذبوا من أنفسهم» (٣) . وفي حديث آخر : «لا يدخل أحد النار ، إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة» .

إِنَّ الَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٤﴾ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِيهَا مَنَاجِبَهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٧﴾

يقول تعالى مخبراً عن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن الناس ، فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات ، حيث لا يراه أحد إلا الله - بأنه له مغفرة وأجر كبير ، أي : يكفر عنه ذنوبه ، ويجازى بالثواب الجزيل ، كما ثبت في الصحيحين : «سبعة يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله» ، فذكر منهم ، رجلا دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجلا تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه (٤) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا طالوت بن عباد ، حدثنا الحارث بن عبيد ، عن ثابت ، عن أنس قال : قالوا : يا رسول الله ، إنا نكون عندك على حال ، فإذا فارقتنا كنا على غيرنا ؟ قال : «كيف أنتم وربيكم ؟» قالوا : الله وينا في السر والعلانية . قال : «ليس ذلكم النفاق» .

(١) سورة الإبراهيم آية : ١٥ .

(٢) سورة الزمر ، آية : ٧١ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢٦٠/٤ ، وانظر أيضاً : ٢٩٣/٥ .

(٤) البخاري ، كتاب الأذان ، باب «من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد» : ١٦٨/١ . وسلم ، كتاب

الزكاة ، باب «فضل إخفاء الصدقة» : ٩٣/٣ .

لم يروه عن ثابت إلا الحارث بن عبيد فيما نعلمه .

ثم قال تعالى منبها على أنه مطلع على الضمائر والسرائر : (وأسروا قولكم أو اجهروا به ، إنه علم بذات الصدور) ، أي : بما خطر في القلوب ، (ألا يعلم من خلق ؟) ، أي : ألا يعلم الخالق . وقيل : معناه : ألا يعلم الله مخلوقه ؟ والأول أولى ، لقوله ، (وهو اللطيف الخبير) .

ثم ذكر نعمته على خلقه في تسخير له الأرض وتذليله إياها لهم ، بأن جعلها قارة ساكنة لا تمند ولا تضطرب ، بما جعل فيها من الجبال ، وأنبع فيها من العيون ، وسلك فيها من السبل ، وهياها فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار ، فقال : (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها) ، أي : فسافروا حيث شئتم من أقطارها ، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات ، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئا ، إلا أن ينسره الله لكم . ولهذا قال : (واكلوا من رزقه) ، فالسعي في السبب لا ينافي اتوكلا ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حيوة ، أخبرني بكر بن عمرو : أنه سمع عبد الله بن هبيرة يقول : إنه سمع أبا تميم الجبشاني يقول : إنه سمع عمر بن الخطاب يقول : إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لو أنكم توكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو (١) خصاصا وتروح بطانا (٢) » .

رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه ، من حديث ابن هبيرة ، وقال الترمذي : « حسن صحيح (٣) » فأثبت لما رواها وطلب الرزق ، مع توكلها على الله - عز وجل - وهو المسخر المسير المسيب ، (وإليه النشور) ، أي : المرجع يوم القيامة .

قال ابن عباس ومجاهد وقناة والسدي : (مناكبها) أطرافها وفجاجها ونواحيها . وقال ابن عباس وقناة : (مناكبها) الجبال .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن حكام الأزدي ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن يونس بن جبير ، عن بشير ابن كعب : أنه قرأ هذه الآية : (فامشوا في مناكبها) فقال لأم ولد له : إن علمت (مناكبها) فأنت حقيقة : فقالت : هي الجبال ، فسأل أبا البرداء فقال : هي الجبال .

(١) خصاصا : جياحا ، ويطانا : مطلة الأجواف .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣٠/١ ، وانظر أيضا : ٥٢٦١ .

(٣) تحفة الأحوذى ، أبواب الزهد ، باب « ما جاء في الزهادة في الدنيا » ، الحديث ٢٤٤٧ : ٨/٧ ، وابن ماجه ،

كتاب الزهد ، باب « التوكل واليقين » ، الحديث ٤١٦٤ : ١٢٩٤/٢ .

ءَأَمِنْتُمْ مِّنَ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنَ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۗ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيفَ كَانَ نَكِيرٍ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَيْتَ وَيَقْبِضْنَ مَا يَمْسِكُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾

وهذا أيضاً من لطفه ورحمته بخلقه أنه قادر على تعذيبهم ، بسبب كفر بعضهم به وعبادتهم معه غيره وهو مع هذا يحلم ويصفح ، ويوجل ولا يعجل ، كما قال : (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ، فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعبادهم بصيراً) (١) .

وقال هاهنا : أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ، أي : تذهب وتجيء وتضطرب ، (أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً) ، أي : ريحا فيها حصباء تدمعكم ، كما قال : (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر ، أو يرسل عليكم حاصباً ، ثم لا تجدوا لكم وكيلاً) (٢) . وهكذا توعدهم هاهنا بقوله : (فستعلمون كيف نذير) أي : كيف يكون إندارى وعاقبة من تخلف عنه وكذب به .

ثم قال : (ولقد كذب الذين من قبلهم) ، أي : من الأمم السالفة والقرون الخالية ، (فكيف كان نكير) ، أي : فكيف كان إنكارى عليهم ومعاقبى لهم ؟ أي : عظيماً شديداً ألياً . .

ثم قال تعالى : (أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن) ، أي : تارة يصففن أجنحتهن في الهواء ، وتارة تجمع جناحاً وتنشر جناحاً ، (ما يمسكهن) ، أي : في الجو (إلا الرحمن) ، أي : بما سخرهن من الهواء ، من رحمته ولطفه ، (إنه بكل شيء بصير) ، أي : بما يصلح كل شيء من مخلوقاته . وهذه كقوله : (ألم يروا إلى الطير مستخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله ، إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) (٣) .

أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ يَنْصُرُكَ مِمَّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكَ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عْتَوٍ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَمَّنْ يَمِشُ مِمْشًا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمِشُ سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى للمشركين الذين عبدوا غيره ، يبتغون عندهم نصراً ورفقاً ، منكراً عليهم فيما اعتقدوه ، ومخبراً لهم أنه لا يحصل لهم ما أملوه ، فقال : (أمَّن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) ، أي : ليس لكم من دونه من ولى [ولا ولى] ، ولا ناصر لكم غيره ولهذا قال : (إن الكافرون إلا في غرور) .

(١) سورة فاطر ، آية : ٤٥ .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ٦٨ .

(٣) سورة النحل ، آية : ٧٩ .

ثم قال : (أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه ؟) ، أي : من هذا الذي إذا قطع الله رزقه عنكم يرزقكم بعده ؟
 أي : لا أحد يعطى ويمنع ويخلق ويرزق ، وينصر إلا الله عز وجل وحده ، لا شريك له : أي : وهم يعلمون ذلك ، ومع
 هذا يعبدون غيره ، ولهذا قال : (بل لجوا) أي : استمروا في طغيانهم وإفكهم وضلالهم ، (في غم ونفور) ، أي :
 معاندة واستكبار ونفوراً على أديبارهم عن الحق لا يسمعون له ولا يتبعونه .

ثم قال : (أفن يمشى مكباً على وجهه أهدى أمن يمشى سوياً على صراط مستقيم ؟) ، وهذا مثل ضربه الله للمؤمن
 والكافر ، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشى مكباً على وجهه ، أي يمشى منحنيلاً لا مستويًا على وجهه ، أي : لا
 يدري أين يسلك ولا كيف يذهب ؟ بل تائه حائر ضال ، أهذا أهدى (أمن يمشى سوياً) ، أي : منتصب القامة (على
 صراط مستقيم) ، أي : على طريق واضح بين ، وهو في نفسه مستقيم ، وطريقه مستقيمة . هذا مثلهم في الدنيا ، وكذلك
 يكونون في الآخرة ، فالؤمن يمشى سوياً على صراط مستقيم ، مُفضً به إلى الجنة الفيحاء ، وأما الكافر فإنه يمشى
 على وجهه إلى نار جهنم ، (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون : من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم
 وقفوهم إنهم مسئولون : ما لكم لا تناصرون : بل هم اليوم مستسلمون) (١) :

قال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا ابن نمير ، حدثنا إسماعيل ، عن نفع قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قيل :
 يا رسول الله ، كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ فقال : « أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادراً على أن يمشيهم على وجوههم ؟ »
 وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طريق يونس بن محمد ، عن شيبان ، عن قتادة ، عن أنس ، به نحوه (٢) ،
 وقوله : (قل : هو الذي أنشأكم) ، أي : ابتداء خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً ، (وجعل لكم السمع
 والأبصار والأفئدة) ، أي : العقول والإدراك ، (قليلاً ما تشكرون) ، أي ما أقل تستعملون هذه القوى التي أنعم الله بها
 عليكم ، في طاعته وامتنال أوامره وترك زواجره .

(قل : هو الذي ذرأكم في الأرض) ، أي : بشكم ونشركم في أقطار الأرض وأرجائها ، مع اختلاف ألسنتكم في
 لغاتكم وألوانكم ، وحلأكم (٤) وأشكالكم وصوركم ، (وإليه تحشرون) ، أي : تجتمعون بعد هذا التفرق
 والشتات ، يجمعكم كما فرقكم ويعيدكم كما بدأكم .

ثم قال مخبراً عن الكفار المنكرين المعاد المستعدين وقومه : (ويقولون : متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ؟) ، أي :
 متى هذا الذي نخرنا بكونه من الاجتماع بعد هذا التفرق ؟ (قل : إنما العلم عند الله) ، أي : لا يعلم وقت ذلك على التحيين
 إلا الله - عز وجل - لكنه أمرني أن أخبركم أن هذا كائن واقع لا محالة فاحذروه ، (وإنما أنا نذير مبين) : وإنما
 على البلاغ ، وقد أدبته إليكم .

(١) سورة الصافات ، الآيات : ٢٢ - ٢٦ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٦٧/٣ .

(٣) ما بين القوسين مكانه بياض في المخطوطة ، وقد أثبتناه تنمة للسياق ، والحديث قد تقدم إخرجه عن الصحيحين عند
 تفسير آية الفرقان ٣٤ : ١١٨/٦ . وهذه الطريق التي في الصحيحين - طريق يونس بن محمد - أخرج منها الإمام أحمد حديث
 أنس أيضاً في المسند : ٢٢٩/٣ ، ويبدو أن هذا هو سر توقف ابن كثير ، والله أعلم .

(٤) الخطي - بكسر ففتح - : العلامات الظاهرة .

قال الله تعالى : (فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا) ، أى : لما قامت القيامة وشاهدها الكفار ، ووأوا أن الأمر كان قريباً ، لأن كل ما هو آتٍ آتٍ وإن طال زمنه ، فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك ، لما يعلمون ما لهم هناك من الشر ، أى : فأحاط بهم ذلك ، وجاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم فى بال ولا حساب ، (ويدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون . ويدا لهم سيئات ما كسبوا وحقا بهم ما كانوا به يستهزئون) (١) . ولهذا يقال لهم على وجه التقرير والتوبيخ : (هذا الذى كنتم به تَدَّعون) ، أى : تستعجلون :

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِى اللَّهُ وَمَعَى أَوْرَحْمِنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٤٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى : (قل) : يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمة : (أرايتم إن أهلكنى الله ومن معى أو رحمتنا . فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) ، أى : خلصوا أنفسكم ، فإنه لا منقذ لكم من الله إلا التوبة والإنابة ، والرجوع إلى دينه ، ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنكال ، فسواء عذبنا الله أو رحمتنا ، فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم :

ثم قال : (قل : هو الرحمن أمنا به وعليه توكلنا) ، أى : أمنا برب العالمين الرحمن الرحيم ، وعليه توكلنا فى جميع أمورنا ، كما قال : (فاعبده وتوكل عليه) (٢) . ولهذا قال : (فستعلمون من هو فى ضلال مبين؟) أى : منا ومنكم ، ولئن تكون العاقبة فى الدنيا والآخرة ؟

ثم قال : (قل : أرايتم إن أصبح ماؤكم غوراً) ، أى : ذاهبا فى الأرض إلى أسفل ، فلا يتسأل بالفتوس الحداد ، ولا السواعد الشداد ، والغائر : عكس النابج . ولهذا قال : (فمن يأتىكم بماء معين ؟) أى : نابج سائح (٣) جار على وجه الأرض ، لا يقدر على ذلك إلا الله - عز وجل - . فمن فضله وكرمه أنبع لكم المياه وأجراها فى سائر أقطار الأرض ، بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة والكثرة ، فله الحمد والمنة .

[آخر تفسير « سورة الملك » والله الحمد]

(١) سورة الزمر ، آية : ٤٧ - ٤٨ .

(٢) سورة هود ، آية : ١٢٣ .

(٣) فى المخطوطة : « نابج صالح » . والمثبت من الطبقات السابقة .

تفسير سورة « ن »

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتَبْصُرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَبْيَعُكَ الْمُفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول « سورة البقرة » (١) وأن قوله : (ن) كقوله : (ص) ، (ق) ، ونحو ذلك من الحروف المقطعة في أوائل السور ، وتحرير القول في ذلك بما أغنى عن إعادته ،

وقيل : المراد بقوله : (ن) : حوت عظيم على تيار الماء العظيم المحيط ، وهو حامل للأرضين السبع ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير : »

حدثنا ابن بشار ، حدثنا يحيى ، حدثنا سفيان - هو الثوري - حدثنا سليمان - هو الأعمش - عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله القلم قال : اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب القدر . فجري بما يكون من ذلك اليوم إلى يوم قيام الساعة ثم خلق « النون » ورفع بخار الماء ، ففتتقت منه السماء ، وبسطت الأرض على ظهر النون ، فاضطرب النون فادت الأرض ، فأثبتت بالجبال ، فأنها انفخر على الأرض (٢) .

وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، به : وهكذا رواه شعبة ، ومحمد بن فضَّيل ، ووكيع ، عن الأعمش ، به - وزاد شعبة في روايته : ثم قرأ : (ن والقلم وما يسطرون) . وقد رواه شريك عن الأعمش عن أبي ظبيان - أو مجاهد - عن ابن عباس ، فذكر نحوه . ورواه معمر ، عن الأعمش : أن ابن عباس قال . . . فذكره ، ثم قرأ : (ن والقلم وما يسطرون) . ثم قال ابن جرير :

حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس قال : إن أول شيء خلق ربي - عز وجل - القلم ، ثم قال له : اكتب . فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة . ثم خلق « النون » فوق الماء ، ثم كبس الأرض عليه (٣) .

(١) انظر : ١/٥٦ - ٦٠ .

(٢) تفسير الطبري : ٩/٢٩ - ١٠ .

(٣) تفسير الطبري : ١٠/٢٩ .

وقد روى الطبراني ذلك مرفوعاً فقال: حدثنا أبو حبيب [زيد بن المهدي المروزي]، حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني، حدثنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أول ما خلق الله القلم والحوت [قال للقلم: اكتب] قال: ما أكتب قال: كل شيء كائن إلى يوم القيامة». ثم قرأ: (ن والقلم وما يسطرون)، فالنون: الحوت. والقلم: القلم.

حديث آخر في ذلك رواه [ابن عساكر] عن أبي عبد الله مولى بني أمية، عن أبي صالح، عن أبي هريرة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول شيء خلقه الله القلم، ثم خلق النون» وهي: الدواة. ثم قال له: اكتب قال: وما أكتب؟ [قال: اكتب] ما يكون - أو: ما هو كائن - من عمل أو رزق أو أثر أو أجل. فكتب ذلك إلى يوم القيامة، فذلك قوله: (ن والقلم وما يسطرون). ثم حتم على القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة، ثم خلق العنق وقال: وعزني لأكملنك [فيمن أحببت، ولأنقصلنك من أبغضت] (١).

وقال ابن أبي نجيح: إن إبراهيم بن أبي بكر أخبره عن مجاهد قال: كان يقال: النون: الحوت الذي تحت الأرض السابعة.

وقد ذكر البغوي وجماعة من المفسرين: إن على ظهر هذا الحوت صخرة سمكها كغلف السموات والأرض، وعلى ظهرها ثور له أربعون ألف قرن، وعلى متنه الأرضون السبع وما فيهن وما بينهن، فأنه أعلم. ومن العجيب أن بعضهم حمل [على] هذا المعنى الحديث الذي رواه الإمام أحمد:

حدثنا إسماعيل، حدثنا حميد، عن أنس: أن عبد الله بن سلام بآتاه مَقْدَم رسول الله - صلى الله عليه وسلم المدينة فأتاه فسأله عن أشياء، قال: إني سائلك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي، قال: ما أول أسرار الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد يتزع إلى أبيه؟ والولد يتزع إلى أمه؟ قال: «أخبرني بن جبريل آتني». قال ابن سلام: فذلك هدو اليهود من الملائكة. قال: «أما أول أسرار الساعة فنار تحشروهم من المشرق إلى المغرب. وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبدهوت. وأما الولد فاذا سبى ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع (٢)».

ورواه البخاري من طرق عن حميد (٣) ورواه مسلم (٤) أيضاً. وله من حديث ثوبان - مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم - نحو هذا. وفي صحيح مسلم من حديث أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان: أن حبراً سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن مسائل، فكان منها قال: «فأخفهم؟» - يعني أهل الجنة حين يدخلون الجنة - قال: «زيادة كبد الحوت». قال: «فأغلاؤهم على إثرها؟» قال: «ينحر لهم نور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها». قال: «فأشراهم عليه؟» قال: «من عين [فيها] تسمى سلسيلا». (٥).

(١) ما بين القوسين عن الدر المنثور ٢٥٠/٦، ومكانه بياض في المخطوطة. وقد أخرجه السيوطي عن الحكيم الترمذي.
 (٢) مسند الإمام أحمد: ١٨٩/٣.
 (٣) البخاري، تفسير سورة البقرة: ٢٣/٦.
 (٤) كذا، ولم يقع لنا حديث مسلم.
 (٥) مسلم، كتاب الحيض، باب «بيان صفة مني الرجل والمرأة»، وأن الولد مخلوق من مائهما: ١٧٣/١.

وقيل : المراد بقوله : (ن) : لوح من نور ؛

قال ابن جرير : حدثنا الحسن بن شبيب المكنب : حدثنا محمد بن زياد الجوزي ، عن فرات بن أبي الفرات ، عن معاوية بن قرة ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - (ن والقلم وما يسطرون) : لوح من نور ، وقلم من نور (١) ، يجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة (٢) . وهذا مرسل غريب .

وقال ابن جرير : أخبرت أن ذلك القلم من نور طوله مائة عام ؛

وقيل : المراد بقوله : (ن) : دواة ، والقلم : القلم . قال ابن جرير :

حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا ابن نور ، عن معمر ، عن الحسن وقتادة في قوله : (ن) ، قال : هي الدواة (٣) ؛

وقد روى في هذا حديث مرفوع غريب جداً فقال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا الحسن بن يحيى ، حدثنا أبو عبد الله مولى بني أمية ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « خلق الله النون ، وهي الدواة » ؛

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب ، حدثنا أنس عيسى بن عبد الله ، حدثنا ثابت الثمالي (٤) ، عن ابن عباس قال : إن الله خلق النون - وهي الدواة - وخلق القلم ، فقال : اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول ، بر أو فجور ، أو رزق مقسوم حلال أو حرام . ثم ألزم كل شيء من ذلك ، شأنه : دخوله في الدنيا ، ومقامه فيها [كم] ؟ وخروجه منها كيف ؟ ثم جعل على العباد حفظة ، وللكتاب خزائن ، فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم ، فإذا في الرزق وانقطع الأثر وانقضى الأجل ، أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم ، فتقول لهم الخزنة : ما نجد لصاحبكم عندنا شيئاً . فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا . قال : فقال ابن عباس : ألسنم قوماً عربياً تسمعون الحفظة يقولون : (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) ؟ وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل (٥) .

وقوله : (والقلم) : الظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به كقوله : (اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم) (٦) . فهو قسم منه تعالى ، وتنبه لخلق على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العزيم . ولهذا قال : (وما يسطرون) - قال ابن عباس ، ، ومجاهد ، وقتادة : يعني وما يكتبون .

(١) « وقلم من نور » : غير ثابت في تفسير الطبري .

(٢) تفسير الطبري : ١٠/٢٩ - ١١ .

(٣) تفسير الطبري : ١٠/٢٩ .

(٤) كذا في المخطوطة . وفي تفسير الطبري : « البناني » . انظر التهذيب ، ترجمة : ثابت بن أسلم ، وترجمة : ثابت بن أبي صفية .

(٥) تفسير الطبري : ١٠/٢٩ .

(٦) سورة الملق : ٣ - ٥ .

وقال أبو النجدي ، عن ابن عباس (وما يسطرون) أى : وما يعاون .
 وقال السدى : (وما يسطرون) يعنى الملائكة (١) وما [تكتب من عمل العباد .
 وقال آخرون : بل المراد ما هنا بالقلم الذى أجراه الله بالتقدير حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرضين
 بخمسين ألف سنة . وأوردوا فى ذلك الأحاديث الواردة فى ذكر القلم ، فقال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبو سعيد بن يحيى (٢) بن سعيد القطان وبواس بن حبيب قالوا . حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا عبد الواحد
 ابن سلم السلمى ، عن عطاء - هو ابن أبي رباح - حدثني الوليد بن عباد بن عباد بن الصامت قال : دعاني أنى حين حضره الموت
 فقال انى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب . قال : يارب
 ما أكتب ؟ قال : اكتب التقدير ما كان [(٣) وما هو كائن إلى الأبد » (٤) .

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد من طريق ، عن الوليد بن عباد ، عن أبيه (٥) ، به . وأخرجه الترمذى من حديث
 أبي داود الطيالسي ، به . وقال : « حسن صحيح غريب (٦) » . ورواه أبو داود فى « كتاب السنة » من سننه ، عن جعفر
 ابن مسافر ، عن يحيى بن حسان ، عن ابن رباح ، عن إبراهيم بن أبي عبلة ، عن أبي حفصة - واسمه حبيش بن
 شريح الحبشى الشامي - عن عباد ، فذكره (٧) .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الله الطوسى ، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق ، أنانا يد الله بن المبارك ،
 حدثنا رباح بن زيد ، عن عمر بن حبيب . عن القاسم بن ابى بزرة ، عن سعيد بن حبيب ، عن ابن عباس : أنه كان يحدث
 أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن أول ما خلقه الله القلم ، فأمره فكتب كل شئ » . غريب من هذا
 الوجه ، ولم يخرجوه (٨) .

وقال ابن أبي مجبح ، عن مجاهد : (والقلم) يعنى : الذى كتب به الذكر .

وقوله : (وما يسطرون) ، أى : يكتبون ، كما تقدم .

وقوله : (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) ، أى : لست ، والله الحمد ، مجنون ، كما قد يقوله الجهلة من قومك ، والمكذوبون
 بما جتتهم به من الهدى وأحق المبين ، فتسبوك فيه إلى الجنون ، (وإن لك لأجراً غير ممنون) ، أى : بل لك الأجر العظيم ،
 والثواب الجزيل الذى لا ينقطع ولا يبديد ، على لإبلاغك رسالة ربك إلى الخلق . وصبرك على أذاهم . ومعنى (مجر ممنون)

(١) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة .

(٢) هو أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان . وقد تقدم التعريف به فى : ٢٥٥/٣

(٣) ما بين القوسين عن منحة المعبود .

(٤) انظر منحة المعبود فى ترتيب منزه الطيالسي أبي داود كتاب القدر ٣٠/١ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٣١٧/٥ .

(٦) محفة الأحودى ، تفسير سورة (ن والقلم) ، الحديث ٣٢٧٥ : ٢٢٢/٩ - ٢٢٣ .

(٧) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب « فى القدر » .

(٨) تفسير الطبرى : ١١/٢٩ .

أى : غير مقطوع كقوله : (عطاء غير مجذوذ) (١) [فلهم أجر غير ممنون] (٢) ، أى : غير مقطوع عنهم . وقال وقال مجاهد : (غير ممنون) (٣) أى غير محسوب وهو يرجع إلى ما قلناه .

وقوله : (وإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ) ، قال العوفي ، عن ابن عباس : أى وإِنَّكَ لَعَلَىٰ دِينٍ عَظِيمٍ ، وهو الإسلام ، وكذلك قال مجاهد ، وأبو مالك ، والسدي ، والربيع بن أنس ، والضحاك ، وابن زيد .

وقال عطية : لعلى أدب عظيم . وقال معمر ، عن قتادة : سئلت عائشة عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالت : كان خلقه القرآن ، تقول (٤) : كما هو في القرآن .

وقال سعيد بن أبي عمرو ، عن قتادة قوله : (وإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ) ، ذُكِرَ لَنَا أَنَّ سَعْدَ (٥) بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَتْ : فَإِنَّ خَلْقَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، عن زُرَّارَةَ بن أوفى ، عن سعد بن هشام قال : سألت عائشة فقلت : أخبريني بأمر المؤمنين - عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : أنقرأ القرآن ؟ قلت نعم . فقالت : كان خلقه القرآن (٦) .

هذا حديث طويل . وقد رواه الإمام مسلم (٧) في صحيحه ، من حديث قتادة بطوله ، وسبأني في «سورة المزمل» إن شاء الله تعالى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا يونس ، عن الحسن قال : سألت (٨) عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : كان خلقه القرآن (٩) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود ، حدثنا شريك ، عن قيس بن وهب ، عن رجل من بني سواد قال : سألت عائشة عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : أما تقرأ القرآن : (وإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ) ؟ قال : قلت : حدثيني عن ذلك : قالت : صنعت له طعاماً ، وصنعت له حفصة طعاماً ، فقلت لجاريةي : اذهبي فإن جاءت هي بالطعام فوضعتة قبل فاطمى الطعم ! قالت : فجاءت بالطعام . قالت : فألقت الجارية ،

(١) سورة هود ، آية : ١٠٨ .

(٢) سورة التين ، آية : ٦ .

(٣) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة .

(٤) في المخطوطة : « يقول سعيد » . والمثبت عن الطبقات السابقة ، وتفسير الطبري : ١٢/٢٩ - ١٣ .

(٥) في المخطوطة وتفسير الطبري : « سعيد » . والمثبت عن الجرح والتمديد لابن أبي حاتم : ٩٦/١/٢ . ورواية مسلم

التي تأتي بعد . ومسنده الإمام أحمد : ٥٣/٦ .

(٦) تفسير الطبري : ١٣/٢٩ .

(٧) مسلم ، كتاب المسافرين ، باب « جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض » : ١٦٨/٢ - ١٧٠ .

(٨) في المخطوطة : « سئلت » . والمثبت عن المسند .

(٩) مسند الإمام أحمد : ٢١٦/٦ .

فوقعت القصعة فانكسرت - وكان نطع^(١) - قالت : فجمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « اقتصوا - أو : اقتصى - شك أسود - ظرفاً مكان ظرفك » . قالت : فما قال شيئاً (٢) .

وقال ابن جرير : حدثنا عبيد بن آدم بن أبي أبياس ، حدثنا أبي ، حدثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن ، عن سعد (٣) ابن هشام : قال : أتيت عائشة أم المؤمنين فقلت لها : أخبريني بخلق النبي صلى الله عليه وسلم . فقالت : كان خلقه القرآن أما تقرأ : (وإنك لعلی خلق عظیم) ؟ .

وقد روى أبو داود والنسائي ، من حديث الحسن ، نحوه (٤) .

وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني معاوية بن صالح ، عن أبي الزاهرية ، عن جبير بن ثقفير قال : حججت فدخلت على عائشة - رضى الله عنها - فسألتها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقالت : كان خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القرآن . (٥) .

هكذا رواه أحمد ، عن عبد الرحمن بن مهدي (٦) . ورواه النسائي في التفسير ، عن إسحاق بن منصور ، عن عبد الرحمن ابن مهدي ، عن معاوية بن صالح ، به .

ومعنى هذا أنه - عليه السلام - صار امتثال القرآن ، أمراً ومهياً ، سجية له ، وخلقاً تطبعه ، وترك طبعه الجميل ، فهما أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه عنه تركه . هذا مع ما جسسه . الله عليه من الخلق العظيم ، من الحياء والكرم ، والشجاعة ، والصفح والحلم ، وكل خلق جميل . كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال : خدمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين فما قال لي « أف » قط ، ولا قال لشيء فعلته : لم فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله : ألا فعلته ؟ . وكان صلى الله عليه أحسن الناس خلقاً ، ولا مسست خراً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا شمست مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) .

(١) كذا في المخطوطة . وفي مسند الإمام أحمد : « وكان نطعاً » . والنطع في اللغة : بساط من جلد . ولعل المعنى أن القصعة وقعت على البساط ، فجمع الرسول - عليه السلام - الطعام من عليه ، والله أعلم .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١١١/٦ .

(٣) في المخطوطة وتفسير الطبري ١٣/٢٩ : « سعيد » . وقد نهينا عليه من قريب .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب التطوع ، باب « في صلاة الليل » .

(٥) تفسير الطبري : ١٣/٢٩ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ١٨٨/٦ .

(٧) انظر مسلم ، كتاب الفضائل ، باب « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحسن الناس خلقاً » : ٧٢/٧ - ٧٤ .

وباب « طيب رائحة النبي - صلى الله عليه وسلم - ولين مسه ، والتبرك بمسحه » : ٨٠/٧ - ٨١ . والبيهقي ، كتاب المناقب :

٢٢٠/٤ . ومسند الإمام أحمد : ١٠٧/٣ ، ٢٠٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٧٠ .

وقال البخاري: [حدثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله] (١) ، حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا إبراهيم بن يوسف من أبيه ، عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء يقول : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحسن الناس وجهاً وأحسن الناس خلقاً ، ليس بالطويل [البائن] ولا بالقصير (٢) .

والأحاديث في هذا كثيرة ، ولأبي عيسى الترمذي في هذا كتاب «الشمال» :

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرازق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : ما ضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده خادماً له قط ، ولا امرأة ، ولا ضرب بيده شيئاً قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله . ولا يخبر بين شيتين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إنا ، فإذا كان إنما كان أبعد الناس ، من الإثم ، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمة الله ، فيكون هو ينتقم لله عز وجل (٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عجلان ، عن القعقاع ابن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إنما بعثت لأتيم صالح الأخلاق (٤) » . . . تفرد به .

وقوله : (فستبصر ويبصرون . بأيكم الفتون) ، أي : فستعلم ويعلمون ، وسيعلم مخالفوك ومكذبوك : من المفتون الضال منك ومنهم . وهذه كتوله تعالى : (سيعلمون غداً من الكذاب الأشر) (٥) ، وكفوله : (وإنا أولياكم على هدى أو على ضلال مبين) (٦) .

قال ابن جريج ، قال ابن عباس في هذه الآية : ستعلم ويعلمون يوم القيامة :

وقال العوفي ، عن ابن عباس : (بأيكم الفتون) أي : الجنون (٧) . وكذا قال مجاهد ، وغيره .

وقال قتادة وغيره : (بأيكم الفتون) ، أي . أولى بالشيطان (٨) .

ومعنى الفتون ظاهر ، أي : الذي قد افتن عن الحق وضل عنه . وإنما دخلت الباء في قوله : (بأيكم الفتون) لتدل على تضمين الفعل في قوله : (فستبصر ويبصرون) ، وتقديره فتعلم ويعلمون ، أو : فتستخبر ويستخبرون بأيكم الفتون . والله أعلم . ثم قال تعالى : (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) ، أي : هو يعلم تعالى أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي ، ويعلم الخبز الضال عن الحق .

(١) ما بين القوسين عن صحيح البخاري .

(٢) البخاري ، كتاب المناقب ، باب «صفة النبي - صلى الله عليه وسلم» : ٢٢٨/٤ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢٣٢/٦ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٣٨١/٢ .

(٥) سورة القمر ، آية : ٢٦ .

(٦) سورة سبأ ، آية : ٢٤ .

(٧) تفسير الطبري : ١٣/٢٩ .

(٨) تفسير الطبري : ١٤/٢٩ .

فَلَا تُطْعِ الْمُكذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُوا لَو تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مِهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَتْ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُسْأَلُ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطُومِ ﴿١٦﴾

يقول تعالى : كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم ، (فلا تطع المكذبين) ،
(ودوا لو تدهن فيدهنون) .

قال ابن عباس : لو ترخص لم فيترخصون (١) .

وقال مجاهد : ودوا لو تركن إلى آفتهم وترك ما أنت عليه من الحق (٢) .

ثم قال تعالى : (ولا تطع كل حلاف مهين) ، وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانتة إنما يتقى بأيمانه الكاذبة التي يجترئ بها على أسياء الله تعالى ، واستعمالها في كل وقت في غير محلها ،

قال ابن عباس : المهين الكاذب . وقال مجاهد : هو الضعيف القلب . قال الحسن : كل حلاف مكابر مهين ضعيفه ،
وقوله (هماز) ، قال ابن عباس وقتادة : يعنى الاغتياب :

(مشاء بنميم) ، يعنى : الذى يمشى بين الناس ، ويحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين ، وهى الخالقة ؛
وقد ثبت فى الصحيحين من حديث مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
بقتيرين فقال : «إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول ، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة» (٣)
الحديث . وأخرجه بقية الجماعة فى كتبهم ، من طرق عن مجاهد ، به :

وقال أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن همام : أن حذيفة قال : سمعت رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - يقول : « لا يدخل الجنة قتات » (٤) .

رواه الجماعة - إلا ابن ماجه - من طرق ، عن إبراهيم ، به (٥) .

وحدثنا عبد الرزاق ، حدثنا الثورى ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن همام ، عن حذيفة قال : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يدخل الجنة قتات » ، يعنى تماماً (٦) .

(١) أى : تلين فى دينك فيلينون .

(٢) تفسير الطبرى : ١٤/٢٩ .

(٣) البيهقى ، كتاب الوضوء ، باب « من الكبائر أن لا يستتر من بوله » : ٦٤/١ . ومسلم ، كتاب الطهارة :
باب « اللذيل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه » : ١٦٦/١ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٣٨٢/٥ . وانظر أيضاً : ٣٨٩/٥ ، ٣٩١ ، ٣٩٧ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ .

(٥) البيهقى ، كتاب الأدب ، باب « ما يكره من النميمة » : ٢٦/٨ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب « بيان غاظ
تصريح النميمة » : ٧١/١ . وسنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب « فى القتات » . وتحفة الأحوذى ، أبواب البر ، باب

« ما جاء فى النمام » ، الحديث ٢٠٩٥ : ١٧٢/٦ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٣٨٩/٥ .

وحدثنا يحيى بن سعيد القطان أبو سعيد الأحول ، عن الأعمش ، حدثني إبراهيم - منذ نحو ستين سنة - عن همام بن الحارث قال : مر رجل على حذيفة فقيل : إن هذا يرفع الحديث إلى الأمراء . فقال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول - أو : قال - : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لا يدخل الجنة قتات (١) » .

وقال أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا مهدي ، عن واصل الأحذب ، عن أبي وائل قال : بلغ حذيفة عن رجل أنه يَمُّ الحديث ، فقال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة نمام (٢) » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن ابن خنيس ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد ابن السكن : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم بخياركم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « الذين إذا رُؤوا (٣) ذُكِرَ الله عز وجل » . ثم قال : « ألا أخبركم بشراركم ؟ المشاعون بالنيمة ، المفسدون بين الأحية ، الباغون للبراء العنت (٤) » .

ورواه ابن ماجه ، عن سويد بن سعيد ، عن يحيى بن سليم ، عن ابن خنيس ، به (٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي حنيس ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم - يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم - : « خيار عباد الله الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ الله ، وشرار عباد الله المشاعون بالنيمة ، المفرقون بين الأحية ، الباغون للبراء العنت (٦) » .

وقوله : (متاع للخير معتد أثم) أي : يمنع ما عليه وما لديه من الخير ، (معتد) في تناول ما أحل الله له ، يتجاوز فيها الحد المشروع (أثم) ، أي يتناول المحرمات .

وقوله : (عتل بعد ذلك زميم) ، أما العتل فهو : القَطْطُ الغليظ الصحيح ، الجَمُوعُ المشُوعُ .

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع وعبد الرحمن ، عن سفيان ، عن معبد بن خالد ، عن حارثة بن وهب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أنبئكم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر » . وقال وكيع : « كل جواظ : جعظري (٧) مستكبر (٨) » .

أخرجه في الصحيحين وبقية الجماعة ، إلا أبا داود ، من حديث سفيان الثوري وشعبة ، كلاهما عن معبد بن خالد (٩) به .

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٨٩/٥ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣٩١/٥ .

(٣) أي : إنهم من الخشية والخوف من الله ، أو من كثرة ذكر الله ، بحيث إن الناس يذكرون الله عند حضورهم .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٤٥٩/٦ .

(٥) سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب « من لا يؤبه له » ، الحديث ٤١١٩ : ١٣٧٩/٢ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٢٢٧/٤ .

(٧) الجعظري : القَطْطُ الغليظ المتكبر . وقيل : هو الذي ينتفخ بما ليس عنده وهو قصير .

(٨) مسند الإمام أحمد : ٣٠٦/٤ .

(٩) البخاري ، تفسير سورة (ن والقلم) : ١٩٨/٦ . ومسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب « النار يدخلها

الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء » : ١٥٤/٨ . وتحفة الأحوذى ، أبواب جهنم ، الحديث ٢٧٢٢ : ٢٣١/٧ - ٢٣٢ .

وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب « من لا يؤبه له » ، الحديث ٤١١٦ : ١٣٧٨/٢ .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى بن علي قال : سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو ابن العاص . أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال عند ذكر أهل النار : « كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع » ، تفرد به أحمد (١) .

قال أهل اللغة : الجعظري : الفظ الغليظ ، والجواظ : الجموع المتنوع ،

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا عبد الحميد ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن عثم ، قال سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن العتل الزنيم ، فقال : « هو الشديد الخلق المصحح (٢) ، الأكل الشروب الواجد للطعام والشراب ، الظلوم للناس ، رحيب الجوف (٣) » .

وهذا الإسناد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة الجواظ الجعظري (٤) ، والعتل الزنيم » ، وقد أرسله أيضاً غير واحد من التابعين .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تبكى السماء من عبد أصبح الله جسمه ، وأرحب جوفه ، وأعطاه من الدنيا مقتضماً ، فكان للناس ظلوماً - قال : فذلك العتل الزنيم (٥) » .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريقين مرسلين ، ونص عليه غير واحد من السلف ، منهم مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، وغيرهم : أن العتل هو : المصحح الخلق ، الشديد القوى في المأكل والمشرب والمنكح ، وغير ذلك وأما الزنيم فقال البخاري :

حدثنا محمود ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : (عتل بعد ذلك زنيم) ، قال : رجل من قريش له زنمة (٦) مثل زنمة الشاة (٧) .

ومعنى هذا أنه كان مشهوراً بالشركهرة الشاة ذات الزنمة من بين أخواتها . وإنما الزنيم في لغة العرب : هو الدعوى في القوم . قاله ابن جرير وغير واحد من الأئمة ، قال : ومنه قول حسان بن ثابت ، يعني يذم بعض كفار قريش :

وأنت زنيم نيط في آل هاشم * كسما نيط خلف الرأكب القمدح القرد (٨)

(١) مستد الإمام أحمد : ١٦٩/٢ . وانظر : ٢١٤/٢ .

(٢) أي : البري من الأسقام .

(٣) مستد الإمام أحمد : ٢٢٧/٤ .

(٤) في المستد ٢٢٧/٤ : « و الجعظري » .

(٥) في المخطوطة : « فذلك العبد » . والمثبت عن تفسير الطبري : ١٦/٢٩ .

(٦) الزنمة : شيء يقطع من أذن الشاة ويترك معلقاً بها .

(٧) البخاري ، تفسير سورة (ن والقلم) : ١٩٧/٦ - ١٩٨ .

(٨) ديوان حسان بن ثابت ، ط بيروت : ٨٩ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢٦٥/٢ .

وقال آخر : زَيْمٌ ، لَيْسَ يُعْرَفُ مِّنْ أَبِيهِ * بَعْنَى الْأُمِّ ، ذُو حَسَبٍ لَتِيمٍ

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمار بن خالد الواسطي ، حدثنا أسباط ، عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله (زيم) ، قال : الدعي الفاحش اللئيم : ثم قال ابن عباس :

زَيْمٌ ، تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً * كَمَا زِيدَ فِي عَرَضِ الْأَدِيمِ الْأَكْرَعُ (١)

وقال العوفي عن ابن عباس : الزيم : الدعي : ويقال : الزيم : رجل كانت به زئمة ، يعرف بها : ويقال : هو الأحنس بن شريق الثقفي ، حليف بني زهرة . وزعم أناس من بني زهرة أن الزيم الأسود بن عبدغوث الزهري ، وليس به (٢)

وقال ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : أنه زعم أن الزيم المُلْحَقُ النسب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثني يونس ، حدثنا ابن وهب ، حدثني سليمان بن بلال ، عن عبد الرحمن بن حرملة ، عن سعيد ابن المسيب ، أنه سمعه يقول في هذه الآية : (عتل بعد ذلك زيم) ، قال سعيد : هو المُلْحَقُ في القوم ، ليس منهم (٣) ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عقبة بن خالد ، عن عامر بن قدامة (٤) قال : سئل عكرمة [عن الزيم] ، قال : هو ولد الزنا :

وقال الحكم بن أبان ، عن عكرمة (٥) في قوله تعالى : (عتل بعد ذلك زيم) ، قال : يعرف المؤمن من الكافر مثل الشاة الزئماء . [والزئماء من الشياه] : التي في عنقها هنتان معلقتان في حلقها (٦) :

وقال الثوري ، عن جابر ، عن الحسن ، عن سعيد بن جبير قال : الزيم : الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزئمتها . والزيم : المُلْحَقُ : رواه ابن جرير :

وروي أيضاً من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال في الزيم : قال : لُعِبَتْ فلم يعرف حتى قيل : زيم . قال : وكانت له زئمة في عنقه يُعْرَفُ بها . وقال آخرون : كان دعبياً (٧) :

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن إدريس ، عن أبيه (٨) ، عن أصحاب التفسير قالوا : هو الذي تكون له زئمة مثل زئمة الشاة :

(١) البيت في الكامل المبرد منسوباً إلى حسان بن ثابت : ٩٥٨/٣ . ولم أجده في ديوانه ، وهو في اللسان مادة زيم منسوباً إلى الخطيم التميمي الجاهلي . وانظره في معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ٤٩/٣ .

(٢) تفسير الطبري : ١٧/٢٩ .

(٣) أخرجه الطبري من حديث يونس ، به : ١٧/٢٩ .

(٤) كذا ، ولم تقع لنا ترجمة « عامر بن قدامة » . وضع نسبه - الفكر - طبعه ١٤٠١ هـ .

(٥) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة .

(٦) في المخطوطة : « في عنقها المتعلقين في حلق الشاة » . والمثبت عن الطبقات السابقة .

(٧) تفسير الطبري : ١٧/٢٩ .

(٨) ليس في تفسير الطبري : « عن أبيه » .

عصم بن قدامة
الصلوات
١٧٨٧ هـ

وقال الضحاك : كانت له زَنْمَةٌ في أصل أذنه ، ويقال : هو اللثيم الملتصق في النسب .
وقال أبو إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : هو المريب الذي يعرف بالشر .
وقال مجاهد : الزنيم يعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة . وقال أبو رزين : الزنيم علامة الكفر . وقال عكرمة : الزنيم ؛
الذي يعرف باللوم كما تعرف [الشاة] بزئمتها (١) .

والأقوال في هذا كثيرة ، وترجع إلى ما قلناه ، وهو أن الزنيم هو : المشهور بالشر ، الذي يعرف به من بين الناس ،
وغالباً يكون دعياً ولد زناً ، فإنه في الغالب يتسلط الشيطان عليه مالا يتسلط على غيره ، كما جاء في الحديث : « لا يدخل
الجنة ولد زناً (٢) » . وفي الحديث الآخر : « ولد الزنا شرُّ الثلاثة إذا عمل بعمل أبويه (٣) »

وقوله : (أن كان ذا مال وبنين . إذا تتلى عليه آياتنا قال : أساطير الأولين) ، يقول تعالى : هذا مقابلة ما أنعم الله عليه
من المال والبنين ، كفر بآيات الله وأعرض عنها ، وزعم أنها ككذب مأخوذ من أساطير الأولين ، كقوله : (ذرني ومن
خلقت وحيداً * وجعلت له ملاماً ممدوداً * وبنين شهوداً * ومهدت له تمهيداً * ثم يطمع أن أزيد * كلا ، إنه كان لآياتنا
حنيداً * سأرهقه صعوداً * إنه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر
واستكبر * فقال : إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر) قال الله تعالى : (سأصليه سقر) (٤) . وقال تعالى هاهنا :
(سنسمه على الخراطوم) .

قال ابن جرير : سبب أمره بياناً واضحاً ، حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم ، كما لا تخفى السمة على الخراطيم (٥) : وهكذا
قال قتادة : (سنسمه على الخراطوم) : شين لا يفارقه آخر ما عليه . وفي رواية عنه : سبها على أنفه . وكذا قال السدي .
وقال العوفي ، عن ابن عباس : (سنسمه على الخراطوم) : [يقاتل (٦) يوم بدر ، فيخطم بالسيف في القتال . وقال
آخرون : (سنسمه) (٧) : سمة أهل النار ، يعني نسود وجهه يوم القيامة ، وعبر عن الوجه بالخراطوم . وحكى ذلك كله
أبو جعفر ابن جرير ، ومال إلى أنه لا مانع . من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة ، وهو مستحجج .
وقد قال ابن أبي حاتم في سورة (عم يتساءلون) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث [حدثني الليث] ؛
حدثني خالد بن سعيد ، عن عبد الملك بن عبد الله ، عن عيسى بن هلال الصدفي ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن العبد يكتب مؤمناً أحقاباً ثم أحقاً بآثم يموت والله عليه ساخط . وإن العبد يكتب كافراً
أحقاباً ثم أحقاباً ، ثم يموت والله عليه راض . ومن مات همماً مازاً لمآزاً ملقّباً للناس ، كان علامته يوم القيامة أن يرسمه الله
على الخراطوم ، من كلا الشفتين » .

(١) انظر تفسير الطبري : ١٧/٢٩ - ١٨ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص : ٢٠٣/٧ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة : ٣١١/٢ ، وعن عائشة - رضي الله عنها - : ١٠٩/٦ . وأخرجه أبو داود

في كتاب العتاق ، باب « في عتق ولد الزنا » .

(٤) سورة المدثر ، الآيات : ١١ - ٢٦ .

(٥) تفسير الطبري : ١٨/٢٩ - ١٩ .

(٦) تفسير الطبري : ١٨/٢٩ .

(٧) ما بين القوسين عن الطيمات السابقة .

إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْبِئُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ
 مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ آغِدُوا عَلَيْنَا حُرْمَةً إِن كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ
 قَدِيرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ حُرْمُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا
 مُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا بُولَاقَا
 إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ عَسَى رَبِّنَا أَنْ يَبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ
 أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

هذا مثل "صربه" الله - تعالى - لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة ، وأعطاهم من النعم الجسيمة ، وهو
 بعثه "حمداً" - صلى الله عليه وسلم - إليهم ، فقابلوه بالتكذيب والرد والبخارية ، ولهذا قال : (إنا بلوناهم) ، أى :
 اختبرناهم ، (كما بلونا أصحاب الجنة) ، وهى البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه ، (إذ أقسموا ليصرمها مصبحين) ،
 أى : حلفوا فيما بينهم ليجدُنَّ ثمرها ليلاً ، لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل ، ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء ،
 (ولا يستنبئون) أى : فيما حلفوا به . ولهذا حثَّهم الله فى آياتهم ، فقال : (طاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) ،
 أى : أصابها آفة سماوية ، (فأصبحت كالصريم) ، قال ابن عباس : أى كالليل الأسود . وقال الثورى ، والسدى : مثل
 الذرع إذا حُصِد ، أى : هشيماً ييساً .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن أحمد بن الصباح : أنبأنا بشير بن زاذان ، عن عمر بن صبيح ، عن ليث بن أبي
 سكيم ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إياكم والمعاصي ،
 إن العبد ليدب الذنب فيحرم به رزقاً قد كان هيبىء له » ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (طاف عليها طائف
 من ربك ، وهم نائمون . فأصبحت كالصريم) ، قد حرّموا خير جنتهم بدنهم .

(فتنادوا مصبحين) أى : لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضاً ليذهبوا إلى الجنداد ، (أن آغدوا على حرثكم إن
 كنتم صادقين) ، أى : تريدون الصرام . قال مجاهد : كان حرثهم عنباً (فانطلقوا وهم يتخافتون) ، أى : يتناجون فيما
 بينهم بحيث لا يسمعون أحداً كلامهم . ثم فسر الله عالم السر والنجوى ما كانوا يتخافتون به ، فقال : (فانطلقوا وهم
 يتخافتون . أن لا يدخلها اليوم عليكم مسكين) ، أى : يقول (١) بعضهم لبعض : لا تمكثوا اليوم فقيراً يدخلها عليكم ! قال
 الله تعالى : (وغدوا على حرد) ، أى : قوة وشدة . وقال مجاهد : (وغدوا على حرد) ، أى : جد (٢) . وقال عكرمة :
 غيظ . وقال الشعبي : (على حرد) : على المساكين . وقال السدى : (على حرد) ، أى : كان اسم قريتهم حرد . فأبعد
 السدى في قوله هذا !

(١) فى المخطوطة : « يقولون بعضهم بعضاً » . والمثبت عن الطبقات السابقة .

(٢) تفسير الطبرى : ٢٠/٢٩ .

(قادرين) ، أي: عليها فيما يزعمون ويرومون . (فلما رآوها قالوا : إنا لضالون) ، أي : فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها ، وهي [على] الحالة التي قال الله - عز وجل - ، قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مدلهمة ، لا يتنفع بشيء منها ، فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا الطريق . ولهذا قالوا : (إنا لضالون) ، أي : قد سلكتنا إليها غير الطريق فتُهنا عنها . قاله ابن عباس وغيره . ثم رجعوا عما كانوا فيه ، وتيقنوا أنها هي فقالوا : (بل نحن محرمون) ، أي : بل هذه هي ، ولكن نحن لا حظ لنا ولا نصيب ،

(قال أوسطهم) ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبیر ، وعكرمة ، ومحمد بن كعب ، والربيع بن أنس ، والضحاك ، وقتادة : أي أعدهم وخبرهم : (ألم أقل لكم : لولا تسبحون !) ، قال مجاهد ، والسدي ، وابن جريج : (لولا تسبحون) ، أي : لولا تستنون - قال السدي : وكان استنناؤهم في ذلك الزمان تسيباً ،

وقال ابن جريج : هو قول القائل : إن شاء الله (١) . وقيل : معناه : قال أوسطهم : (ألم أقل لكم لولا تسبحون) ، أي : هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم ، (قالوا سبحان ربنا ، إنا كنا ظالمين) ، أتوا بالطاعة حيث لا تنفع ، وندموا واعترفوا حيث لا ينفع ، ولهذا قالوا : (إنا كنا ظالمين . فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) ، أي : يلوم بعضهم بعضاً على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجسد ، فكان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب ، (قالوا : يا ولينا إنا كنا طاغين) ، أي : اعتدنا وبغينا وطغينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا ، (عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها ، إنا إلى ربنا راغبون) ، قيل : رغبوا في بدلها لهم في الدنيا . وقيل : احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة ، والله أعلم .

ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن - قال سعيد بن جبیر : كانوا من قرية يقال لها ضروان ، على ستة أميال من صنعاء . وقيل : كانوا من أهل الحبشة ، وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة ، وكانوا من أهل الكتاب ، وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة ، فكان ما استغله منها يرد فيها ما يحتاج إليه ويدخر لعياله قوت سنتهم ، ويتصدق بالفاضل . فلما مات وورثه بنوه ، قالوا : لقد كان أبونا أحمق إذ كان يصرّف من هذه شيئاً للفقراء ، ولو أننا منغناهم لتوفر ذلك علينا . فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيص قصدهم ، فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية ، ورأس المال والريح والصدقة ، فلم يبق لهم شيء .

قال الله تعالى : (كذلك العذاب) ، أي : هكذا عذاب من ، خالف أمر الله ، وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه ، ومنع حق المساكين والفقراء وذوى الحاجات ، وبدل نعمة الله كفراً (وللعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) ، أي : هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم ، وعذاب الآخرة أشق . وقد ورد في حديث رواه الحافظ البيهقي من طريق جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه ، عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبى عن الجسد آذ بالليل ، والحصاد بالليل .

إِنَّ الْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٤٦﴾ أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٤٧﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٤٨﴾
 أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٤٩﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ ﴿٥٠﴾ أَمْ لَكُمْ آيْمَانُ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ
 لَعَلَّكُمْ ﴿٥١﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٥٢﴾ أَمْ لَكُمْ شُرَكَاءُ فَلَْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٥٣﴾

لما ذكر تعالى حال أهل الجنة الدنيوية، وما أصابهم فيها من النعمة حين عصوا الله عز وجل وخالفوا أمره، بين أن لهم آثاء وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تبيد ولا تفرغ ولا ينقض نعيمها .

ثم قال : (أفجعل المسلمين كالمجرمين ؟) ، أى : أفساوى بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء ؟ كلا ورب الأرض والسماء ،
 ولذا قال : (ما لكم كيف تحكمون !) أى كيف [تظنون] ذلك ؟

ثم قال : (أم لكم كتاب فيه تدرسون . إن لكم فيه لما تخيرون) ، يقول : أفأبأيدكم كتاب منزل من السماء تدرسونه
 وتحفظونه وتداولونه بنقل الخلف عن السلف ، متضمن حكماً مؤكداً كما تدعون ؟ (إن لكم فيه لما تخيرون . أم لكم
 آيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة ؟ إن لكم لما تحكمون أى : معكم عهد منا ومواثيق مؤكدة ، (إن لكم لما تحكمون) ،
 أى : إنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتون ، (سلهم أيهم بذلك زعيم ؟) أى : قل لهم : من هو المتضمن المتكفل بهذا ؟
 (أم لهم شركاء) ، أى : من الأصنام والأنداد ، (فلأيتوا بشركائهم إن كانوا صادقين) ،

يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٦﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ دَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا
 يُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالُونَ ﴿٤٧﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ
 ﴿٤٨﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٥٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ
 يَكْتُمُونَ ﴿٥١﴾

لما ذكر تعالى أن للمتقين عنده جنات النعيم ، بين متى ذلك كائن وواقع ، فقال : (يوم يكشف عن ساق ويدعون
 إلى السجود فلا يستطيعون) ، يعنى يوم القيامة وما يكون فيه من الأحوال والزلازل والبلابل والامتحان والأمور العظام .
 وقد قال البخارى هاهنا :

حدثنا آدم ، حدثنا الليث ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ،
 عن أبي سعيد الخدرى قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « يكشف ربنا عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن
 ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة ، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبعاً (١) واحداً » .

(١) الطبق : فقار الظهر ، واحدها طبقه ، يريد أنه صار فقارهم كله كالفقارة الواحدة ، فلا يقدر على السجود .

والحديث أخرجه البخارى عند تفسير سورة (ن والقلم) : ١٩٨/٦ .

وهذا الحديث مخرج في الصحبتين وفي غيرهما من طرق ، وله ألفاظ ، وهو حديث طويل مشهور (١) :

وقد قال عبد الله بن المبارك ، عن أسامة بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (يوم يكشف عن ساق) قال : هو يوم كرب وشدة . رواه ابن جرير ثم قال :

حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهرا ، عن سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، عن ابن مسعود - أو : ابن عباس (٢) ، الشك من ابن جرير - : (يوم يكشف عن ساق) ، قال : عن أمر عظيم ، كقول الشاعر :

• وغامت الحرب بنا على ساق (٣) •

وقال ابن أبي نجيب ، عن مجاهد : (يوم يكشف عن ساق) ، قال : شدة الأمر .

وقال ابن عباس : هي أول ساعة تكون في يوم القيامة .

[وقال ابن جرير عن مجاهد : (يوم يكشف عن ساق) ، قال : شدة الأمر وجدده] .

وقال علي ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : (يوم يكشف عن ساق) ، هو : الأمر الشديد المظيح من الغول يوم القيامة .

وقال العوفي ، عن ابن عباس قوله : (يوم يكشف عن ساق) ، يقول : حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال . وكشف دخول الآخرة ، وكشف الأمر عنه . وكذا روى الضحاك عن ابن عباس . أورد ذلك كله أبو جعفر بن جرير (٤) ثم قال :

حدثني أبو يزيد عمر بن شبة ، حدثنا هارون (٥) بن عمر الخزومي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا أبو سعد روح بن جناح ، عن مولى لعمر بن عبد العزيز ، عن أبي بردة بن أبي موسى ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يوم يكشف عن ساق) ، قال : عن نور عظيم ، يخرون له سجداً (٦) .

ورواه أبو يعلى ، عن القاسم بن يحيى ، عن الوليد بن مسلم ، به . وفيه رجل مهم ، فإله أعلم :

وقوله : (خاشعة أبصارهم ترهفهم ذلة) ، أي : في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا ، فعوقبوا . نقض ما كانوا عليه . ولما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم ، كذلك عوقبوا بعدم تسليم عليهما في

(١) البخاري ، كتاب التوحيد : ١٥٨/٩ - ١٦٠ .

(٢) الذي في تفسير الطبري ٢٤/٢٩ : « عن إبراهيم ، عن ابن عباس » . وليس فيه ذكر لابن مسعود .

(٣) في المخطوطة : « مالت الحرب عن ساق » . والمثبت عن تفسير الطبري : ٢٤/٢٩ . والبحر المحيط لأبي حيان :

٣١٦/٨ .

(٤) تفسير الطبري : ٢٤/٢٩ .

(٥) هارون بن عمر هذا غير ثابت في تفسير الطبري ، وهو مترجم في الحرج والتدبير لابن أبي حاتم : ٩٣/٢/٤ .

وقد ترجم : « هارون بن عمرو » . وذكر تحقيق الحسين في إحسن النسخ « عمر » دون واد .

(٦) تفسير الطبري : ٢٧/٢٩ .

الآخرة ، إذا تجلى الرب - عز وجل - فسجد له المؤمنون ، لا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد ، بل يعود ظهر أحدهم سبقاً واحداً ، كلما أراد أحدهم أن يسجد خسر لقفاه ، عكس السجود ، كما كانوا في الدنيا ، بخلاف ما عليه المؤمنون .

ثم قال تعالى : (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) ، يعنى القرآن . وهذا تهديد شديد ، أى : دعنى وإياه منى ومنه (١) أنا أعلم به كيف أستدرجه ، وأمدته في غيه وأنظر ، ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر . ولهذا قال : (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) ، أى : وهم لا يشعرون ، بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة ، وهو في نفس الأمر إهانة ، كما قال : (يحسبون أننا نجدهم به من مال وبنين . نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون (٢)) وقال : (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ، حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) (٣) . ولهذا قال هاهنا (وأملئ لهم إن كيدى متين ، [أى : وأؤخرهم وأنظرهم وأمدهم ، وذلك من كيدى ومكرى بهم ، ولهذا قال تعالى : (إن كيدى متين)] أى : عظيم لمن خالف أمرى ، وكذب رسلى ، واجترأ على معصيتى .

وفي الصحيحين عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إن الله ليملى للظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته » : ثم قرأ : (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظلمة ، إن أخذه ألم شديد) (٤) . وقوله (أم تسألهم أجرآ فهم من مغرم مثقلون ؟ * أم عندهم الغيب فهم يكتبون !) ، تقدم تفسيرهما في سورة الطور (٥) ، والمعنى في ذلك : أنك يا محمد تدعوهم إلى الله - عز وجل - بلا أجر تأخذه منهم ، بل ترجوا ثواب ذلك عند الله - عز وجل - وهم يكذبون بما جنتهم به ، بمجرد الجهل والكفر والعدا .

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤١﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُ رِعْمَةً مِّنْ رَبِّهِ لَكُنَّ عِوَابًا مُّغْرَابًا وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٢﴾ فَاجْتَنِبْ رَبَّهُ فِجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٤٤﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى : (فاصبر) يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم ، فإن الله سيحكم لك عليهم ، ويجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة ، (ولا تكن كصاحب الحوت) ، يعنى : ذا النون ، وهو يونس بن متى عليه السلام ، حين ذهب مغاضباً على قومه ، فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر والتقام الحوت له ، وشروء الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم ، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلل القدير ، الذى لا يرد ما أنفذه من التقدير ، فحينئذ نادى في الظلمات :

(١) كذا في مخطوطة الأزهر .

(٢) سورة المؤمنون ، آية : ٥٥ - ٥٦ .

(٣) سورة الأنعام ، آية : ٤٤ .

(٤) تقدم الحديث عند تفسير الآية ١٠٢ من سورة هود ، وأخرجناه هناك ، انظر : ٢٧٨/٤ - ٢٧٩ .

(٥) انظر تفسير آتى الطور ٤٠ - ٤١ في : ٤١٣/٧ .

(أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) (١) قال الله : (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) (٢) وقال تعالى : (فلولا أنه كان من المسبحين « لبث في بطنه إلى يوم يبعثون » . (٣) وقال هاهنا : (إذ نادي وهو مكظوم) - قال ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي : مغموم (٤) . وقال عطاء الخراساني ، وأبو مالك : مكروب . وقد قدمنا في الحديث أنه لما قال : (لا إله إلا أنت سبحانك ، إني كنت من الظالمين) ، خرجت الكلمة [تَحُفَّ (٥)] حول العرش ، فقالت الملائكة : يارب ، هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة . فقال الله : أما تعرفون هذا ؟ قالوا : لا . قال : هذا يونس . قالوا : يارب ، عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة ؟ قال : نعم . قالوا : أفلا ترحم ما كان يعمل في الرخاء فتنجيه من البلاء ؟ فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء ، ولهذا قال تعالى : (فاجتباه ربه فجعله من الصالحين) :

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « لا ينبغي لأحد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى (٦) » .
ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري . وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة (٧) :

وقوله : (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) - قال ابن عباس . ومجاهد . وغيرهما : (ليزلقونك) ؛ لَيَسْتَفْتِنُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ (٨) . أى : لَيَعِينُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ، بمعنى يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك ، وحايته إياك منهم . وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق ، بأمر الله - عز وجل - كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة :

حديث أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال أبو داود : حدثنا سليمان بن داود العتكي : حدثنا شريك (ح) - وحدثنا العباس العنبري ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا شريك ، عن العباس بن ذريح ، عن الشعبي - قال العباس : عن أنس - قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا رقية إلا من عين أو حمة (٩) أو دم لا (١٠) » يرقأه ؛ لم يذكر العباس العين . وهذا لفظ سليمان (١١) :

حديث بريدة بن الحصيب - رضى الله عنه - قال أبو عبد الله بن ماجه : حدثنا محمد بن عبد الله بن شمير ، حدثنا

(١) سورة الأنبياء ، آية : ٨٧ .

(٢) سورة الأنبياء ، آية : ٨٨ .

(٣) سورة الصافات ، آية : ١٤٣ - ١٤٤ .

(٤) انظر تفسير الطبري : ٢٨/٢٩ - ٢٩ .

(٥) في المخطوطة : « عن حول » . والمثبت عن السياق التي تقدمت عند آية الأنبياء ٨٧ : ٣٦٢/٥ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٣٩٠/١ .

(٧) تقدم تخريج الحديث عن الصحيحين في : ٣٦٢/٥ .

(٨) تفسير الطبري : ٢٩/٢٩ .

(٩) الحمة : السم .

(١٠) أى : لا ينقطع .

(١١) سنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب « ما جاء في الرق » .

إسحاق بن سليمان ، عن أبي جعفر الرازي ، عن حصين ، عن الشعبي ، عن بريدة بن الحباب قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لا رقية إلا من عين أو حممة (١) » .

هكذا رواه ابن ماجه ، وقد أخرجه مسلم في صحيحه ، عن سعيد بن منصور ، عن هشيم ، عن حصين بن عبد الرحمن بن عامر الشعبي ، عن بريدة موقوفاً ، وفيه قصة (٢) . وقد رواه شعبه ، عن حصين ، عن الشعبي ، عن بريدة . قاله الترمذي (٣) . وروى هذا الحديث الإمام البخاري من حديث محمد بن فضيل ، وأبو داود من حديث مالك بن مغول ، والترمذي من حديث سفيان بن عيينة ، ثلاثتهم عن حصين عن عامر الشعبي ، عن عمران بن حصين موقوفاً (٤) .

حديث أبي ذر جندب بن جنادة ، قال الحافظ أبو يعلى الموصلي - رحمه الله - حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعة بن البرقي السامي ، حدثنا ديلم بن غزوان ، حدثنا وهب بن أبي دبي (٥) ، عن أبي حرب (٦) عن أبي ذر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن العين لتولع (٧) الرجل باذن الله ، فيتصاعد حلقها ، ثم يردى منه . إسناده غريب ، ولم يخرجه » .

حديث حابس التميمي . قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حرب ، حدثنا يحيى بن أبي كثير ، حدثني حبة بن حابس التميمي : أن أباه أخبره : أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « لا شيء في الهام (٨) والعين حق ، وأصدق الطيرة الفأل (٩) » .

وقد رواه الترمذي عن عمرو بن علي ، عن أبي عثمان يحيى بن كثير ، عن علي بن المبارك ، عن يحيى بن أبي كثير ، به ثم قال غريب (١٠) . قال : وروى شيبان ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن حبة بن حابس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم (١١) .

- (١) سنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب « ما جاء ما رخص فيه من الرقية » ، الحديث ٣٥١٣ : ١١٦١/٢ .
 (٢) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب « الدليل عن دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب » : ١٢٧/١ - ١٣٨ .
 (٣) تحفة الأحوذى ، أبواب الطب ، باب « ما جاء في الرخصة في الرقية » ، الحديث ٢١٣٤ : ٢١٧/٦ .
 (٤) البخاري ، كتاب الطب ، باب « من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتوى » : ١٦٣/٧ . وسنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب « تعليق التام » . وتحفة الأحوذى ، أبواب الطب ، باب « ما جاء في الرخصة في الرقية » ، الحديث ٢١٣٤ : ٢١٧/٦ .

- (٥) كذا في مخطوطة الأزهر ، وانظر ترجمة وهب في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٢٢/٢ - ٢٣ .
 (٦) الحديث في مسند الإمام أحمد ، وفيه : « عن أبي حرب ، عن مجنون ، عن أبي ذر . . . » . انظر المسند : ١٤٦/٥ ، ١٦٧ .
 (٧) كذا في المخطوطة ، وفي المسند : « لتولع » ، بالغين . ويبدو أن الصواب ما هنا . في اللسان : « ولع فلان بفلان يولع به : إذا لج في أمره وحرص على إيدائه » ، وكان الأصل : « لتولع » بالرجل ، ثم حذف الخافض .
 (٨) الهام : واحدة هامة وهي : طائر معروف من طير الليل . وقيل : هو البومة . قالوا : كانت إذا سقطت على دار أحدم رآها ناعية له نفسه أو بعض أهله . وقيل : كانت العرب تعتقد أن عظام الميت ، وقيل : روحه - تنقلب هامة تطير . والطيحة - بكسر الطاء وتفتح الياء - : التشاوم بالشيء . والفأل يكون فيما يسوء وما ينسى . والطيحة لا تكون إلا فيما يسوء . وربما استعملت فيما يسر .

- (٩) مسند الإمام أحمد : ٧٠/٥ .
 (١٠) تحفة الأحوذى ، أبواب الطب ، باب « ما جاء أن العين حق والنمل لها » ، الحديث ٢١٤٠ : ٢٢١/٦ - ٢٢٢ .
 (١١) المرجع السابق : ٢٢٦/٦ .

[قلت (١) : كذلك رواه الإمام أحمد عن حسن بن موسى وحُسَيْن بن محمد، عن شيان] عن يحيى بن أبي كثير،
من حبة [(٢) حدثه، عن أبيه، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا بأس في الهام، والعين حق،
وأصدق الطيرة الفأل (٣)] :

حديث ابن عباس، قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن الوليد، عن سفيان، عن دُوَيْد، حدثني إسماعيل بن ثوبان
عن جابر بن زيد، عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « العين حق، العين حق، تستنزل الحائق (٤) »
غريب،

طريق أخرى قال مسلم في صحيحه : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، أخبرنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا
وهيب، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « العين حق، ولو كان
شيء سابق القدر سبقت العين وإذا اغتسلتم (٥) فاضلوا (٦) ». انفرد به دون البخاري،

وقال عبد الرزاق، عن سفيان الثوري عن منصور، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس قال :
كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُعوذُ بالحسن والحسين، يقول : « أعيدكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان
وهامة (٧) » ومن كل عين لامة، ويقول : « هكذا كان إبراهيم يُعوذُ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام » :

أخرجه البخاري [وأهل السنن (٨)] من حديث المنهال، به (٩) :

حديث أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف - رضي الله عنه - قال ابن ماجه : حدثنا هشام بن عمار، حدثنا سفيان،
عن الزهري، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال : [مر عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف (١٠)] وهو يغتسل فقال : لم
أر كالיום ولا جلد (١١) غبابة : فالبت أن ليط به (١٢)، فأتى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقيل له : أدرك

(١) من هنا عن الطبقات السابقة . وقد ورد في المخطوطة في نهاية الأحاديث المروية عن عائشة، والتي ساقى بعد .

(٢) ما بين القوسين من المسند، ومكانه في الطبقات السابقة : « بن أبي حبة » .

(٣) إل هنا ينتهي ما أثبتناه عن الطبقات السابقة . وانظر مسند الإمام أحمد : ٧٠/٥ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢٧٤/١ ، ٢٩٤ .

(٥) كانوا يرون أن يومئذ المائت يغسل أطرافه وما تحت الإزار، فتصب غسالته على العين، ويستشقون بذلك، فأمرهم
للنبي - عليه السلام - أن لا يمتنعوا عن الاغتسال إذا أريد منهم ذلك .

(٦) مسلم، كتاب السلام، باب « الطب والمرض والرق » : ١٣/٧ - ١٤ .

(٧) الهامة : كل ذات سم يقتل .

(٨) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة، ومكانه بياض في المخطوطة .

(٩) البخاري، كتاب الأنبياء : ١٧٨/٤ - ١٧٩ . وتحفة الأحوفى، أبواب الطب، باب « ما جاء في الرقية من

العين »، الحديث ٣١٣٨ : ٢٢٠/٦ - ٢٢١ . وابن ماجه، كتاب الطب، باب « ما عوذ به النبي - صلى الله عليه وسلم -

وما عوذ به »، الحديث ٣٥٥٢٤ : ١١٦٤/٢ - ١١٦٥ .

(١٠) ما بين القوسين من سنن ابن ماجه، ومكانه بياض في المخطوطة .

(١١) الهامة : الحاربة التي في خدرها لم تتزوج بعد .

(١٢) أي : صرع وسقط إلى الأرض .

[سهلاً ضربياً] . قال : « من تهمون به ؟ » قالوا : عامر بن ربيعة . قال : « علام يقتل أحدكم أخاه ؟ » إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة . ثم دعا بماء فأمر عامراً أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ، وركبتيه ، وداخلة إزاره (١) ، وأمره أن يصب عليه .

قال سفيان : قال معمر . عن الزهري : وأمر أن يكفأ ناء من خلفه (٢) .

وقد رواه النسائي ، من حديث سفيان بن عيينة ومالك بن أنس ، كلاهما عن الزهري ، به . ومن حديث سفيان بن ابن عيينة أيضاً عن معمر ، عن الزهري ، عن أبي أمامة : ويكفأ الإناء من خلفه . ومن حديث ابن أبي ذئب عن الزهري ، عن أبي أمامة أسد بن سهل بن حنيف ، عن أبيه ، به . ومن حديث مالك أيضاً ، عن محمد بن أبي أمامة بن سهل ، عن أبيه به .

حديث أبي سعيد الخدري ، قال ابن ماجه : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد ، عن الجريري عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينعوذ من أعين العجان وأعين الإنس . فلما نزل المعوذتان أخذهما وترك ما سوى ذلك (٣) .

ورواه الترمذي والنسائي ، من حديث سعيد بن إياس أبي مسعود الجريري به . وقال الترمذي : « حسن (٤) » .

حديث آخر ، عنه . قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثني أبي ، حدثني عبد العزيز بن صهيب ، حدثني أبو نضرة ، عن أبي سعيد : أن جبريل أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : اشتكى يا محمد ؟ قال : « نعم » . قال : باسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس وعين يشفيك ، باسم الله أرقيك (٥) .

ورواه عن عفان ، عن عبد الوارث ، مثله (٦) . ورواه مسلم وأهل السنن - إلا أبا داود - من حديث عبد الوارث به (٧) . وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا داود ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد - أو : عن جابر بن عبد الله أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اشتكى ، فأتاه جبريل فقال : باسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من كل حاسد وعين يشفيك (٨) .

(١) قيل المراد به : طرف الإزار . وقيل : موضعه من الجسد . وقيل : الورك . وقيل : الذاكير .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الطب ، باب « العين » ، الحديث ٣٥٠٩ : ١١٦٠/٢ .

(٣) سنن ابن ماجه ، كتاب الطب ، باب « من استرق عن العين » ، الحديث ٣٥١١ : ١١٦١/٢ .

(٤) تحفة الأحوزي ، أبواب الطب ، باب « ما جاء في الرقية بالمعوذتين » ، الحديث ٢١٣٥ : ٢١٨/٦ ، وقال الترمذي - كما في تحفة الأحوزي - : « حسن غريب » .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢٨/٣ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٥٦/٣ .

(٧) مسلم ، كتاب السلام ، باب « الطب والمرض والرقى » : ١٣/٧ . وتحفة الأحوزي ، أبواب الجنائز ، باب « ما جاء في التعوذ المريض » ، الحديث ٩٧٩ : ٤٦/٤ - ٤٧ . وابن ماجه ، كتاب الطب ،

(٨) مسند الإمام أحمد : ٧٥/٣ .

ورواه أيضاً ، عن محمد بن عبد الرحمن الطفاوى ، عن داود ، عن أبي نصره ، عن أبي سعيد ، به (١) .

قال أبو زرعة الرازى : روى عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه ، عن عبد العزيز [عن أبي نصره ، وعن عبد العزيز (٢)] عن أنس ، فى معناه ، وكلاهما صحيح (٣) .

حديث أبي هريرة قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « إن العين حق (٤) » .

أخرجه من حديث عبد الرزاق (٥) :

وقال ابن ماجه : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا إسماعيل بن علقمة ، عن الجريري ، عن مضارب بن حزن ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « العين حق (٦) » تفرد به .

ورواه أحمد ، عن إسماعيل بن علقمة ، عن سعيد الجريري (٧) ، به :

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير ، حدثنا ثور - يعنى ابن يزيد - عن مكحول ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العين حق ، ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم (٨) » .

وقال أحمد : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن قيس : سئل أبو هريرة : هل سمعت رسول الله يقول : الطيرة فى ثلاث : فى المسكن والفرس والمرأة ؟ قال قال : قلت : إذا أقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل ! ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « [أصدق] الطيرة الفأل ، والعين حق (٩) » .

حديث أسماء بنت عميس ، قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن عروة بن عامر ، عن عبيد بن رفاعة الزرقى قال : قالت أسماء : يا رسول الله ، إن بنى جعفر تصيبهم العين ، أفأسرئ لهم ؟ قال : « نعم ، فلو كان شىء يسبق القدر لسبقته العين (١٠) » .

(١) مسند الإمام أحمد : ٥٨/٣ .

(٢) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة .

(٣) انظر سنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب « ما جاء فى الرقى » .

(٤) مسند الإمام أحمد من حديث طويل : ٣١٨/٢ - ٣١٩ .

(٥) البخارى ، كتاب الطب ، باب « العين حق » : ١٧١/٧ . ومسلم ، كتاب السلام ، باب « الطب والمرهن والرقى » :

١٣/٧ .

(٦) سنن ابن ماجه ، كتاب الطب ، باب « العين » ، الحديث ٣٥٠٧ : ١١٥٩/٢ .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٤٨٧/٢ .

(٨) مسند الإمام أحمد : ٢٣٩/٢ .

(٩) مسند الإمام أحمد : ٢٨٩/٢ .

(١٠) مسند الإمام أحمد : ٤٣٨/٦ .

وكذا رواه الترمذى وابن ماجه ، من حديث سفيان بن عيينة ، به : ورواه الترمذى أيضاً والنسائى ، من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، عن عمرو بن دينار ، عن عروة بن عامر ، عن عبيد بن رفاعه ، عن أسماء بنت عميس ، به . وقال الترمذى : حسن صحيح (١) .

حديث عائشة رضی الله عنها ، قال ابن ماجه : حدثنا علي ابن أبي الخصيب ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، ومسعر عن معبد بن خالد ، عن عبد الله بن شداد ، عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن تسترقى من العين (٢) : ورواه البخارى عن محمد بن كثير ، عن سفيان ، عن معبد بن خالد ، به . وأخرجه مسلم من حديث سفيان [ومسعر ، كلاهما عن معبد به (٣)] ثم قال ابن ماجه :

حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا أبو هشام الخزومى ، حدثنا وهيب ، عن أبي واقد ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استعيذوا بالله ، فإن العين حق » . تفرد به (٤) . وقال أبو داود : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة قالت : كان يؤمر العائن فيتوضأ ويغسل منه المصحفين (٥) :

حديث سهل بن حنيف ، قال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا أبو أويس ، حدثنا الزهرى ، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف : أن أباه حدثه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خرج وساروا معه نحو مكة ، حتى إذا كانوا بشعب الحرار - من الجحفة - اغتسل سهل بن حنيف - وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد - فنظر إليه عامر بن ربيعة ، أخو بني عدى بن كعب - وهو يغتسل ، فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة . فلطبط سهل ، فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقيل له : يا رسول الله ، هل لك فى سهل . والله ما يرفع رأسه ولا يقبض . قال : « هل تنهمون فيه من أحد ؟ » . قالوا : نظر إليه عامر بن ربيعة . فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عامراً ، فتغيط عليه ، وقال : « علام يقتل أحدكم أخاه ، هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت ؟ ثم قال له : اغتسل له - فغسل وجهه وبديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجله وداخلته إزاره فى قدح - ثم صب ذلك الماء عليه . يصبه (٦) رجل على رأسه وظهوره من خلفه ، ثم يكفأ القدح وراءه . ففعل ذلك ، فراح سهل مع الناس ، ليس به بأس .

- (١) تحفة الأحوذى ، أبواب الطب ، باب « ما جاء فى الرقية من العين » ، الحديث ٢١٣٦ - ٢١٣٧ : ٢١٩/٦ - ٢٢٠ .
وسنن ابن ماجه ، كتاب الطب ، باب « من استرقى من العين » ، الحديث ٣٥١٠ : ١١٦٠/٢ .
(٢) سنن ابن ماجه ، فى الكتاب والباب المتقدمين ، الحديث ٣٥١٢ : ١١٦١/٢ .
(٣) البخارى ، كتاب الطب ، باب « رقية العين » : ١٧١/٧ . ومسلم ، كتاب السلام ، باب « استحباب الرقية من العين والتملة والحمة والنظرة » : ١٧/٧ - ١٨ .
(٤) سنن ابن ماجه ، كتاب الطب ، باب « العين » ، الحديث ٣٥٠٨ : ١١٥٩/٢ . وهذا فى المخطوطة : « فان النفس حق » . والمثبت عن سنن ابن ماجه .
(٥) سنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب « ماجاه فى العين » . وهذا وقد وقع عقيب هذا الحديث السقط الذى بهينا عليه هند حديث حابس التميمى .
(٦) فى المخطوطة : « فصبه » . والمثبت عن المسند .

حديث عامر بن ربيعة ، قال الإمام أحمد في مسند عامر : حدثنا وكيع ، حدثنا أنس ، حدثنا عبد الله بن عيسى ، عن أمية (١) بن هند بن سهل بن حنيف ، عن عبد الله بن عامر قال : انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغسل ، قال : فانطلقا بتمسان الخمس (٢) - قال : فوضع عامر جبّة كانت عليه من صوف ، فنظرت إليه فأصبته بعيني ، فنزل الماء بغسل ، قال : فسمعت له في الماء فرقة ، فأتيته فناديته ثلاثا فلم يجبي . فأتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته ، قال : فجاء بمشي فقحاض الماء كأنى أنظر إلى بياض ساقيه ، قال : فضرب صدره بيده ثم قال : « اللهم ، اصرف عنه حرها وبردها ووردها » (٣) . قال : فقام . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إذا رأى أحدكم من أخيه ، أو من نفسه أو من ماله ، ما يعجبه ، فليبرك ، فإن العين حق » (٤) .

حديث جابر ، قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا طالب بن حبيب ابن عمرو بن سهل الأنصاري - ويقال له : ابن الضجيج (٥) ، ضجيج حمزة - رضی الله عنه - حدثني عبد الرحمن ابن جابر بن عبد الله ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثر من يموت من أمي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس » .

قال البزار : يعنى العين . قال : والأنا لعلم يروى هذا الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا بهذا الاسناد ؛ قلت : بل قد روى من وجه آخر عن جابر ؛ قال الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر الهروي - المعروف بشكّر - في كتاب العجائب ، وهو شتمل على فوائد جليلة وغريبة : حدثنا الرهاوى ، حدثنا يعقوب بن محمد ، حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي ، حدثنا محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « العين حق لتورد الرجل القبر ، والدمامل القدر ، وإن أكثر هلاك أمي في العين » .

ثم رواه عن شعيب بن أيوب ، عن مهاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر [قال] : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « قد تدخل العين في القبر ، وتدخل الجمال القدر » .

حديث عبد الله بن عمرو ، قال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا رشدين بن سعد ، عن الحسن بن ثوبان ، عن هشام بن أبي ربيعة ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لا عدوى ولا طيرة ، ولا هامة ولا حسد ، والعين حق » (٦) . تفرد به أحمد .

حديث عن علي ، روى الحافظ ابن عساكر من طريق خبيثمة بن سليمان الحافظ : حدثنا عبيد بن محمد الكشوري ، حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد ربه البصري ، عن أبي رجاء ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي : أن

(١) مسند الإمام أحمد : ٤٨٦/٣ - ٤٨٧ .

(٢) الخمس - بفتحين - : كل ما سترك من شجر أو بناء أو غيره .

(٣) الوصب - بفتحين - : دوام الوجع ولزوم .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٤٤٧/٣ .

(٥) « ذلك أن سهلا استشهد بأحد مع حمزة فدفن إلى جنبه . انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٤٩٦/١/٢ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٢٢٢/٢ .

جبريل أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فوافقته مغنياً ، فقال : يا محمد ، ما هذا الغم الذي أراه في وجهك ؟ قال : « الحسن والحسين أصابتهما عين » . قال : صدق بالعين ، فإن العين حق ، أفلا عودتكما بهؤلاء الكلمات ؟ قال : « وماهن يا جبريل ؟ » . قال : قل : اللهم ذا السلطان العظيم ، [ذا المن] (١) القديم ، ظا الوجه الكريم ، ولي الكلمات التامات ، والدعوات المستجابات ، عاف الحسن والحسين من أنفس الجن ، وأعين الإنس . فقالت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقاما يلعبان بين يديه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « عودوا أنفسكم ونساءكم وأولادكم بهذا التعويد ، فإنه لم يتعود المتعودون مثله » .

قال الخطيب البغدادي : تفرد بروايته أبو رجاء محمد بن عبيد الله الحبيطي من أهل تلمسنة . ذكره ابن عساكر في ترجمة « طراد بن الحسين ، من تاريخه (٢) » .

وقوله : (ويقولون : إنه لمجنون) ، أى : يزدرونه بأعيانهم ويؤذونه بألسنتهم ، ويقولون : (إنه لمجنون) ، أى : لمجيبته بالقرآن . قال الله تعالى : (وما هو إلا ذكر للعالمين) .

[آخر تفسير سورة (ن) والله الأحميد]

(١) ما بين القوسين عن تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر . ومكانه بياض في المخطوطة .

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية ، برقم ١٢٥ تاريخ ، الجزء الخامس عن مكتبة أحمد الثالث .

تفسير سورة الحاقة

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ① مَا الْحَاقَّةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ③ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ④ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا
بِالطَّاغِيَةِ ⑤ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ⑥ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنَّى أَيَّامٌ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ
فِيهَا صَرَغِي كَأَنَّهُمْ مَخَالٍ خَاوِيَةٌ ⑦ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ⑧ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكْتُ
بِالْحَاطِئَةِ ⑨ فَعَصَا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ⑩ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِفْرًا فِي الْجَحَادَةِ ⑪
لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِبَاءَ آذُنٍ وَعِيَةٍ ⑫

الحاقة من أسماء يوم القيامة ، لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد ، ولهذا عظم تعالى أمرها فقال : (وما أدراك ما الحاقة ؟) .

ثم ذكر تعالى إهلاكه الأمم المكذبين بها فقال تعالى : (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) ، وهي الصيحة التي أسكتهم ، والزلزلة التي أسكتهم . هكذا قال قتادة : الطاغية الصيحة . [وهو اختيار ابن جرير (١)] .

وقال مجاهد : الطاغية الذنوب . وكذا قال الربيع بن أنس ، وابن زيد : إنها الطغيان ، وقرأ ابن زيد : (كذبت ثمود بطغرها) .

وقال السدي : (فأهلكوا بالطاغية) ، قال : يعني عاقرة الناقة ،

(وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) ، أي : باردة . قال قتادة ، والربيع ، والسدي ، والثوري : (عاتية) ، أي : شديدة المهبوب . قال قتادة : عنت عليهم حتى ندمت (٢) عن أفئدتهم .

وقال الضحاک : (صرصر) : باردة ، (عاتية) : عنت عليهم بغير رحمة ولا بركة . وقال علي (٣) وغيره : عنت على الخزنة فخرجت بغير حساب :

(١) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة . وانظر تفسر الطبري : ٢٩/٣١ .

(٢) أي : كسفت .

(٣) هو علي بن أبي طالب ، وانظر أثره في تفسير الطبري : ٢٩/٣٢ .

(مخزها عليهم) ، أى : سلطها عليهم (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) ، أى : كوامل متتابعات مشائم :

قال ابن مسعود ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والثوري ، وغير واحد : (حسوما) : متتابعات :

وعن عكرمة والربيع : مشائم عليهم ، كقوله : (في أيام نحسات) - قال الربيع : وكان أولها الجمعة . وقال غيره : الأربعاء . ويقال : إنها التي تسميها الناس الأعجاز ؛ كأن الناس أخذوا ذلك من قوله تعالى : (افترى القوم فيها صرعى ، كأنهم أعجاز نخل خاوية) . وقيل : لأنها تكون في عجز الشتاء ، ويقال : أيام العجوز ؛ لأن عجوزا من قوم عاد دخلت سرّيا فقتلها الريح في اليوم الثامن . حكاه البيهقي . والله أعلم .

قال ابن عباس : (خاوية) : خربة . وقال غيره : بالية . أى : جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتا على أم رأسه ، فينشدخ رأسه وتبقى جثته هامدة كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أخصان .

وقد ثبت في الصحيحين ، [عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال] : « نُصِرْتُ بِالصَّبَا ، وَأَهْلِكْتُ عَادًا بِالذَّبُورِ (١) » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن يحيى بن الضريس العبدى ، حدثنا ابن فضال ، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ما فتح الله على عاد من الريح التي أهلكتها فيها إلا مثل موضع الخاتم ، فحرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم ، فجعلتهم بين السماء والأرض . فلما رأى ذلك أهل الحضرة الريح وما فيها قالوا : هذا عارض ممطرنا . فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحضرة (٢) » . وقال الثوري عن ، ليث ، عن مجاهد : الريح لها جناحان وذنب ،

(فهل لوى لهم من باقية؟) ، أى : هل نحس منهم من أحد من بقاياهم أنه ممن يتسبب إليهم؟ بل بادوا عن آخرهم ، ولم يجعل الله لهم خلتقا .

ثم قال تعالى : (وجاء فرعون ومن قبله) : قرئ بكسر القاف ، أى : ومن عنده في زمانه من أتباعه عن كفار القبط . وقرأ آخرون بفتحها ، أى : ومن قبله من الأمم المشبهين له .

وقوله : (والموتفكات) ، وهم الأمم المكذبون بالرسول (بالخاطئة) ، أى : بالفعل الخاطئة ، وهي التكذيب بما أنزل الله :

قال الربيع : (بالخاطئة) ، أى : بالمعصية . وقال مجاهد : بالخاطيا .

ولهذا قال : (فعصوا رسول ربهم) : وهذا جنس ، أى : ككل كذب رسول الله إليهم . كما قال : (إن كل إلا كذب الرسل فحق وعيد) (٣) . ومن كذب رسول الله فقد كذب بالجميع ، كما قال : (كذبت قوم نوح المرسلين) (٤)

(١) تقدم الحديث عند تفسيره الآية الحادية والأربعين من سورة الذاريات ، وخرجناه هناك : ٤٥٥/٧ .

(٢) انظر تفسير الآية الرابعة والعشرين من سورة الأحقاف : ٢٧١/٧ .

(٣) سورة فرق : آية : ١٤ .

(٤) سورة الشعراء : آية : ١٥٥ .

(كذبت عاد المرسلين) (١) (كذبت ثمود المرسلين) (٢) . وإنما جاء إلى كل أمة رسول واحد ، ولهذا قال هاهنا : (فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية) ، أى : عظمة شديد : أليمة .

قال مجاهد : (رابية) : شديدة . وقال السدى : مهلكة .

ثم قال الله تعالى : (إنا لما طغى الماء) ، أى : زاد على الحد بإذن الله وارتفع على الوجود - قال ابن عباس وغيره : (طغى الماء) : كثر - وذلك بسبب دعوة نوح - عليه السلام - على قومه حين كذبوه وخالفوه ، فعبدوا غير الله ، فاستجاب الله له وعم أهل الأرض بالطوفان إلا من كان مع نوح فى السفينة ، فالتاس كلهم من سلالة نوح وذريته :

قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهرا بن ، عن أبي سنان سعيد بن سنان ، عن غير واحد ، عن علي بن أبي طالب قال : لم تتزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدي ملك ، فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخزان ، فطغى الماء على الخزان (٣) فخرج ، فذلك قول الله (إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية) ، ولم يتزل شئ من الريح إلا بكيل على يدي ملك ، إلا يوم عاد ، فانه أذن لها دون الخزان فخرجت ، فذلك قوله : (بريح صرصر عاتية) : عنت على الخزان (٤) .

ولهذا قال تعالى ممتنا على الناس : (إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية) ، وهى السفينة الجارية على وجه الماء ، (لنجعلها لكم تذكرة) عاد الضمير على الجنس للدلالة المعنى عليه ، أى : وأبينا لكم من جنسها ما تكونون على تيار الماء فى البحار ، كما قال : (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون . لتستوبوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه (٥)) . وقال تعالى : (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون . وخلقنا لهم من مثله ما يركبون (٦)) . وقال قتادة : أبى الله السفينة حتى أدركها أوائل هذه الأمة (٧) . والأول أظهر ، ولهذا قال : (وتعبها أذن واعية) ، أى : وتفهيم هذه النعمة ، وتذكورها أذن واعية .

قال ابن عباس : حافظة سامية . وقال قتادة : (أذن واعية) : عقلت عن الله فانتفعت مما سمعت من كتاب الله ، وقال الضحاك : (وتعبها أذن واعية) : سمعتها أذن ووعت (٧) . أى : من له سمع صحيح وعقل رجيح . وهذا عام فيمن فهم ، ووعى .

(١) سورة الشعراء ، آية : ١٢٣ .

(٢) سورة الشعراء ، آية : ١٤١ .

(٣) فى تفسير الطبرى : « على الجبال » .

(٤) تفسير الطبرى : ٣٢/٢٩ .

(٥) سورة الزخرف ، آية : ١٣ - ١٤ .

(٦) سورة « يس » ، آية : ٤١ - ٤٢ .

(٧) تفسير الطبرى : ٣٥/٢٩ .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : الكروبيون (١) ثمانية أجزاء ، كل جنس منهم بقدر الإنس والجن والشياطين والملائكة .

وقوله : (يومئذ تُعرضون لا تخفى منكم خافية) ، أى : تعرضون على عالم السر والنجوى الذى لا يخفى عليه شيء من أموركم ، بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر . ولهذا قال : (لا تخفى منكم خافية) .

وقد قال ابن أبي الدنيا : أخبرنا إسماعيل بن إسماعيل ، أخبرنا سفيان بن عيينة ، عن جعفر بن برقان ، عن ثابت بن الحجاج قال : قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن تؤزنوا ، فإنه أخف عليكم فى الحساب عدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، وتزيّنوا للعرض الأكبر : (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع : حدثنا علي بن علي بن رفاعة ، عن الحسن ، عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، فأما عرضان فجدال ومعادير ، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف [فى الأبدى] ، فأخذ بيمينه وأخذ بشماله (٢) » .

ورواه ابن ماجه ، عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن وكيع (٣) ، به . وقد رواه الترمذى عن أبي كريب ، عن وكيع ، عن علي بن علي ، عن الحسن ، عن أبي هريرة ، به (٤) .

وقد روى ابن جرير عن مجاهد بن موسى ، عن يزيد ، عن سليمان بن حبان ، عن مروان الأصغر ، عن أنس ، عن عبد الله قال : يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات : [عرضتان] ، معادير وخصومات ، والعرضة الثالثة تطير الصحف فى الأبدى . ورواه سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة مرسلا ، مثله (٥) .

فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ ۖ (١١) إِنْ ظَنَنْتُ أَنْي مَلَّتِي حِسَابِيَّ ۖ (١٢) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۖ (١٣) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ (١٤) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۖ (١٥) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۖ (١٦)

يخبر تعالى عن سعادة من أوفى كتابه يوم القيامة بيمينه ، وفرحه بذلك ، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه : (هؤولم اقرءوا كتابيه) ، أى : خلدوا اقرءوا كتابيه ؛ لأنه يعلم أن الذى فيه خير وحسنات محضه ، لأنه ممن بدل الله سيئاته حسنات .

(١) الكروبيون : سادة الملائكة المقربون .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٤١٤/٤ .

(٣) سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب « ذكر البعث » ، الحديث ٤٢٧٧ : ١٤٣٠/٢ .

(٤) تحفة الأحوذى ، أبواب القيامة ، باب « ماجاء فى العرض » ، الحديث ٢٥٤٢ : ١١١/٧ - ١١٢ .

(٥) تفسير الطبرى : ٣٨/٢٩ .

قال عبد الرحمن بن زيد : معنى (هاؤم اقرءوا كتابيه) ، أى : ها اقرءوا كتابيه ، و « وُم » رائدة : كذا قال ، والظاهر أنها معنى : ها كم .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا بشر بن مطر الواسطي ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا عاصم الأحول ، عن أبي عثمان قال : المؤمن يعطى كتابه في سر من الله ، فيقرأ سيئاته ، فكلما قرأ سيئة تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرأها ، فيرجع إليه لونه . ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدت حسنت ، قال : فعند ذلك يقول : هاؤم اقرءوا كتابيه .

وحدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن الوليد بن سلمة ، حدثنا روح بن عباد ، حدثنا موسى بن عبيدة ، أخبرني عبد الله ابن عبد الله بن حنظلة - غسيل الملائكة - قال : إن الله يتدف عبده يوم القيامة فييدى سيئاته في ظهر صحيفته ، فيقول له : أنت عملت هذا ؟ فيقول : نعم ، أى رب . فيقول له : إني لم أفضحك به ، وإني قد غفرت لك . فيقول عند ذلك : (هاؤم اقرءوا كتابيه . إني ظننت أني ملاق حسايه) ، حين نجا من فضحة يوم القيامة .

وقد تقدم في الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى ، فقال : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : و يدنى الله العبد يوم القيامة ، فيقره بذنوبه كلها ، حتى إذا رأى أنه قد هلك قال الله : إني سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم . ثم يعطى كتاب حسناته يمينه . وأما الكافر والمنافق (فيقول الأشهداء : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين) (١) .

وقوله : (إني ظننت أني ملاق حسايه) ، أى : قد كنت موقنا في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة ، كما قال : (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) (٢) .

قال الله : (فهو في عيشة راضية) ، أى : مرضية ، (في جنة عالية) ، أى : ربيعة قصورها ، حسان حورها ، نعيمة دورها ، دائم حبورها .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو عتبة الحسن بن علي بن مسلم السكوني ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن سعيد بن يوسف ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلام الأسود قال : سمعت أبا أمامة قال : سأل رجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : هل يتزاور أهل الجنة ؟ قال : « نعم ، إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى ، فيحيونهم ويسلمون عليهم ، ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلى ، تقصر بهم أعمالهم » .

وقد ثبت في الصحيح : « إن الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » (٣) :

وقوله : (قطوفها ذاتية) ، قال البراء بن عازب : أى قريبة ، يتناولها أحدهم ، وهو تام على سيره . وكذا قال غير واحد .

(١) تقدم الحديث عند تفسير الآية الثامنة عشرة من سورة هود ، وخرجناه هناك ، انظر : ٢٤٧/٤ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٤٦ .

(٣) تقدم الحديث عند تفسير الآية السادسة والتسعين من سورة النساء ، وخرجناه هناك ، انظر : ٣٤٢/٢ .

قال الطبراني ، عن عبد الرزاق ، عن سفیان الثوري ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن عطاء بن يسار ، عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز : (بسم الله الرحمن الرحيم) هذا كتاب من الله لفلان بن فلان ، أدخلوه جنة عالية ، قطوفها دانية » .

وكذا رواه الضياء في صفة الجنة من طريق سعدان بن سعيد ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان النهدي ، عن سليمان ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « يعطى المؤمن جوازاً على الصراط : (بسم الله الرحمن الرحيم) ، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان ، أدخلوه جنة عالية ، قطوفها دانية » .

وقوله : (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية) ، أي : يقال لم ذلك ، تفضلاً عليهم ، وامتناناً وإنعاماً وإحساناً . وإلا فقد ثبت في الصحيح ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « اعملوا وسدّوا وقاربوا (١) ، واعلموا أن أحداً منكم لن يدخله عمله الجنة » . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا ، إلا أن يتغمّدني الله برحمته منه وفضل » (٢) :

وَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِئْئِهِ فَيَقُولُ يَلْبِثُنِي لَمْ أَوْتِ كِتَابِيهِ ۖ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ ۖ ﴿٢٦﴾ يَلْبِثُهَا كَانَتْ
الْقَاضِيَةَ ۖ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ۖ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ ۖ ﴿٢٩﴾ خُدُوهُ فَعَلُوهُ ۖ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ
﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۖ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۖ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ
طَعَامِ الْيَسْكِينِ ۖ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ۖ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غِسْلِينٍ ۖ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا
الْخَاطِئُونَ ۖ ﴿٣٧﴾

وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أعطى [أحدهم] كتابه في العرصات بشيئه ، فحينئذ يندم غاية الندم ، فيقول :
(ياليتني لم أوت كتابي . ولم أد ما حسايه . ياليتها كانت القاضية) .

قال الضحاك : يعنى مونة لا حياة بعدها . وكذا قال محمد بن كعب ، والربيع ، والسدي :

وقال قتادة : تمى الموت ، ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه (٣) .

(ما أغنى عنى ماليه . هلك عنى سلطانيه) ، أي : لم يدفع عنى مالى ولا جاهى عذاب الله وبأسه ، بل خلتص الأمر إلى وحدي ، فلا معين لى ولا مجير . فعندها يقول الله عز وجل : (خذوه فقلوه . ثم الجحيم صلوه) ، أي : يأمر الزبانية أن تأخذ عتقاً من الحشر ، فتغسله ، أي : تضع الأغلال في عنقه ، ثم تؤرده إلى جهنم فتصليه إليها ، أي : تغمره فيها .

(١) تقدم شرحه في : ٣٨٦/٥ .

(٢) البخارى ، كتاب الرقاق ، باب « التصد والمداومة على العمل » : ١٢٣/٨ . ومسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ،

باب « لن يدخل أحد الجنة بعمله ، بل برحمة الله تعالى » : ١٤٠/٨ - ١٤١ .

(٣) تفسير الطبري : ٣٩/٢٩ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد ، عن عمرو بن قيس ، عن المنهال بن عمرو قال : إذا قال الله - عز وجل - : خلوه ، ابتدره سبعون ألف ملك ، إن الملك منهم ليقول (١) هكذا ، فيلبي سبعين ألفاً في النار :

وروى ابن أبي الدنيا في « الأهوال » : إنه يبتدره أربعائة ألف ، ولا يبقى شيء إلا دقته ، فيقول : مالي والله ؟ فيقول : إن الرب عليك غضبان ، فكل شيء غضبان عليك .

وقال الفضيل - هو ابن عياض - : إذا قال الرب - عز وجل - : خلوه فخلوه ، ابتدره سبعون ألف ملك ، أيهم يجعل الغل في عنقه .

(ثم الجحيم صلوه) ، أي : احمروه فيها ،

وقوله : (ثم في سلسلة ذرعتها سبعون ذراعاً فأسلكوه) - قال كعب الأحبار : كل حلقة منها قدر حديد الدنيا :

وقال العوفي عن ابن عباس ، وابن جريج : بذراع الملك . وقال ابن جريج ، قال ابن عباس : (فأسلكوه) : تدخل في استه ثم تخرج من فيه ، ثم ينظفون فيها كما ينظف الجراد في العود حين يشوي .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : يسلك في ذبوره حتى يخرج من منخره ، حتى لا يقوم على وجليه (٢) :

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن إسحاق ، أخبرنا عبد الله ، أخبرنا سعيد بن يزيد ، عن أبي السمع ، عن عيسى ابن هلال الصدي ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن وصاصة (٣) مثل هذه - وأشار إلى [مثل (٤)] جُمُجُمة - أرسلت من السماء إلى الأرض ، وهي مسيرة خمسمائة سنة ، بلغت الأرض قبل الليل . ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة ، لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار ، قبل أن تبلغ قعرها (٥) أو أصلها (٦) » :

وأخرجه الترمذي ، عن سويد بن نصر ، عن عبد الله بن المبارك ، به . وقال : « هذا حديث حسن (٧) » :

وقوله : (إنه كان لا يؤمن بالله العظيم) ولا يحض على طعام المسكين) ، أي : لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ، ولا ينفع خلقه ويؤدى حقهم ؛ فإن الله على العباد أن يوحده ولا يشركوا به شيئاً ، وللعباد بعضهم على بعض

(١) يطلق القول في اللغة على جميع الأفعال .

(٢) تفسير الطبري : ٤٠/٢٩ .

(٣) أي : قطعة من الرصاص .

(٤) ما بين القوسين عن المسند والترمذي . والجمجمة : قذح صغير .

(٥) أي : نهاية السلسلة .

(٦) مسند الإمام أحمد : ١٩٧/٢ .

(٧) تحفة الأحوذى ، أبواب صفة جهنم ، باب « ماجاء في صفة طعام أهل النار » ، الحديث ٢٧١٤ : ٢١٢/١ - ٣١٤ .

حق الإحسان والمعاونة على البر والتقوى . ولهذا أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وقبض النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول : « الصلاة ، وما ملكت أيمانكم (١) » .

وقوله : (فليس له اليوم هاهنا حميم * ولا طعام إلا من غسلين * لا يأكله إلا الخاطئون) ، أى : ليس له اليوم من يتقده من عذاب الله ، لا حميم - وهو القريب - ولا شفيح يطاع ، ولا طعام له هاهنا إلا من غسلين ، قال قتادة : هو شر طعام أهل النار . وقال الربيع ، والضحاك : هو شجرة في جهنم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا منصور بن أبي مزاحم ، حدثنا أبو سعيد المؤدب ، عن خُصيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : ما أدري ما الغسلين ؟ ولكنى أظنه الزقوم .

وقال شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : الغسلين : الدم والماء يسيل من لحومهم . وقال علي بن أبي طلحة عنه : الغسلين : صديد أهل النار (٢) .

فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تَبْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا نُنزِّلُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾

يقول تعالى مقسماً لخلقهم بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة على كماله في أسمائه وصفاته ، وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم : أن القرآن كلامه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله ، الذى اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة ، فقال : (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون . إنه لقول رسول كريم) ، يعنى محمداً - صلى الله عليه وسلم - أضافه إليه على معنى التبليغ ، لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل ، ولهذا أضافه في سورة التكوير إلى الرسول الملكى : (إنه لقول رسول كريم * ذى قوة عند ذى العرش مكين * مطاع ثم أمين) وهذا جبريل عليه السلام .

ثم قال : (وما صاحبكم بمجنون) يعنى محمداً - صلى الله عليه وسلم - (ولقد رآه بالأفق المبين) ، يعنى أن محمداً وأبى جبريل على صورته التى خلقه الله عليها ، (وما هو على الغيب بضمين) ، أى : بمتهم ، (وما هو بقول شيطان رجيم (٣)) : وهكذا قال هاهنا (وما هو بقول شاعر قليل ما تذكرون . ولا بقول كاهن قليل ما تذكرون) ، فأضافه تارة إلى قول الرسول الملكى ، وتارة إلى الرسول البشرى ، لأن كلا منهما مبلغ عن الله ما استأمنه عليه من وحيه وكلامه ، ولهذا قال : (تنزيل من رب العالمين) ،

(١) ابن ماجه ، كتاب الوصايا ، باب « هل أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، الحديث : ٢٦٧ ، ٢/٩٥٥ - ٩٥٦ . وكتاب الجنائز ، باب « ماجاء فى ذكر مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، الحديث : ١٦٢٥ ، ١/٥١٩ . ومستند الإمام أحمد من على رضى الله عنه : ٧٨/١ . وعن أنس : ١١٧/٢ . وعن أم سلمة : ٢٩٠/٦ ، ٣١١ ، ٣١٥ ، ٣٢١ .

(٢) تفسير الطبرى : ٤١/٢٩ .

(٣) سورة التكوير ، الآية ١٩ - ٢٥ .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثنا شريح بن عبيد قال : قال عمر بن الخطاب : خرجت أتعرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن أسلم ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد ، فقامت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلت أعجب من تأليف القرآن - قال : فقلت : هذا والله شاعر كما قالت قريش : قال : فقراً : (إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون) ، قال : فقلت : كاهن . قال : فقراً : (ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين * ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين) ... إلى آخر السورة ، قال : فوقع الإسلام في قلبي كل موقع (١) .

فهذا من جملة الأسباب التي جعلها الله مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب ، كما أوردنا كيفية إسلامه في سيرته المفردة ، والله الحمد :

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذَكَّرٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى : (ولو تقول علينا) ، أي : محمد - صلى الله عليه وسلم - لو كان كما يزعمون مفترياً علينا ، فزاد في الرسالة أو نقص منها ، أو قال شيئاً من عنده ففسده علينا ، وليس كذلك - لعاجلناه بالعقوبة . ولهذا قال : (لأخذنا منه باليمين) ، قيل : معناه لانتقمنا منه باليمين ، لأنها أشد في البطش . وقيل : لأخذنا يمينه :

(ثم لقطعنا منه الوتين) ، قال ابن عباس : وهو نياط القلب ، وهو العرق الذي القلب معلق فيه : وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير ، والحكم ، وقتادة ، والضحاك ، ومسلم البطي ، وأبو صخر حميد بن زياد . وقال محمد بن كعب : هو القلب ومراقه (٢) وما يليه .

وقوله : (فما منكم من أحد عنه حاجزين) ، أي : فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئاً من ذلك . والمعنى في هذا : بل هو صادق بار راشد ، لأن الله - عز وجل - مقرر له ما يبلغه عنه ، مؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات :

ثم قال : (وإنه لتذكرة للمتقين) ، يعني : القرآن . كما قال : (قل : هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى (٣)) :

ثم قال : (وإننا لنعلم أن منكم مكذبين) ، أي : مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن :

(١) مسند الإمام أحمد ١٧/١ - ١٨ .

(٢) المراق : ما سفل من البطن فاتحته من المواضع التي ترقق جلودها ، واحدها مرث .

(٣) سورة فصلت ، آية : ٤٤ .

ثم قال : (وإِنَّ لِحَسْرَةِ عَلَى الْكَافِرِينَ) - قال ابن جرير : وإن التَّكْنِيبَ لِحَسْرَةِ عَلَى الْكَافِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (١) ،
وحكاه عن قتادة بمثله .

وروى ابن أبي حاتم ، من طريق السدي ، عن أبي مالك : (وإِنَّ لِحَسْرَةِ عَلَى الْكَافِرِينَ) ، يقول : لندامة . ويحتمل
هود الضمير على القرآن ، أي : وإن القرآن والإيمان به لِحَسْرَةٍ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ عَلَى الْكَافِرِينَ ، كما قال : (كذلك
هلكناه في قلوب المجرمين . لا يؤمنون به (٢)) . وقال تعالى : (وحيل بينهم وبين ما يشتهون (٣)) . ولهذا قال هاهنا :
(وإِنَّ لِحَقِّ الْيَقِينِ) ، أي : الخبر الصادق الحق الذي لا مَرِيَةَ فِيهِ ، ولا شك ، ولا ريب .

ثم قال : (فسبح باسم ربك العظيم) ، أي : الذي أنزل هذا القرآن العظيم .

[آخر تفسير سورة العنقابة ، والله الحمد]

(١) تفسير الطبري : ٤٣/٢٩ .

(٢) سورة الشعراء ، آية ٣٠٠ - ٢٠١ .

(٣) سورة سبأ ، آية ٥٥ .

تفسير سورة سأل سائل

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ
وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَرَأَوْهُ
قَرِيبًا ﴿٧﴾

(سأل سائل بعذاب واقع) : فيه تضمن دل عليه حرف « الباء » ، كأنه مُقَدَّر : استعجل سائل بعذاب واقع ؛
كقوله : (ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده (١)) ، أى : وعذابه واقع لا محالة .

قال النضائي : حدثنا بشر بن خالد ، [حدثنا] أبو أسامة ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ،
عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس في قوله : (سأل سائل بعذاب واقع) ، قال : النضر بن الحارث بن كندة ؛

وقال العوفي ، عن ابن عباس : (سأل سائل بعذاب واقع) ، قال : ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع (٢)

وقال ابن أبي نجیح ، عن مجاهد في قوله : (سأل سائل) : دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة ، قال : وهو
قولهم : (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو اتتنا بعذاب أليم) ؛

وقال ابن زيد وغيره : (سأل سائل بعذاب واقع) ، أى : واد في جهنم ، يسيل يوم القيامة بالعذاب . وهذا القول
ضعيف ، بعيد عن المراد . والصحيح الأول لدلالة السياق عليه .

وقوله : (واقع . للكافرين) ، أى : مُرْصَدٌ مُعَدٌّ للكافرين ؛

وقال ابن عباس (واقع) : جاء . (ليس له دافع) ، أى : لا دافع له إذا أراد الله كونه . ولهذا قال : (من الله
ذو المعارج) - قال الثوري ، عن الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس في قوله : (ذو المعارج) ،
قال : ذو الدرجات .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس (ذو المعارج) ، بمعنى : العلو والقواضل ؛

وقال مجاهد (ذو المعارج) : معارج السماء . وقال قتادة : ذو القواضل والنعم .

(١) سورة الحج ، آية : ٤٧ .

(٢) تفسير الطبري : ٤٤/٢٩ .

وقوله : (تعرج الملائكة والروح إليه) - قال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قادة : (تعرج) : تصعد ؛

وأما الروح فقال أبو صالح : هم خلق من خلق الله . يشبهون الناس ، ولبسوا ناسا .

قلت : ويحتمل أن يكون المراد به جبريل ، ويكون من باب عطف الخاص على العام . ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح نبي آدم ، فإنها إذا قبضت يصعد بها إلى السماء ، كما دل عليه حديث البراء . وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، من حديث المنهال ، عن زاذان ، عن البراء مرفوعا الحديث بطوله في قبض الروح الطيبة - قال فيه : « فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة » . والله أعلم بصحته ، فقد تكلم في بعض روايته ، ولكنه مشهور ، وله شاهد في حديث أبي هريرة فيما تقدم من رواية الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه ، من طريق ابن أبي ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عنه . وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة ، وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالى : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء (١)) .

وقوله : (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) : فيه أربعة أقوال :

أحدها : أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين ، وهو قرار الأرض السابعة ، وذلك مسيرة خمسين ألف سنة ، هذا ارتفاع العرش عن المركز الذي في وسط الأرض السابعة . وذلك اتساع العرش من قطر [إلى] قطر مسيرة خمسين ألف سنة ؛ وأنه من باقوتة حمراء ، كما ذكره ابن أبي شيبة في كتاب صفة العرش . وقد قاله ابن أبي حاتم عند هذه الآية :

حدثنا أحمد بن سلمة ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا حكام ، عن عُمَرَ بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قوله : (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ، قال : منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات مقدار خمسين ألف سنة . ويوم كان مقداره ألف سنة . يعنى بذلك تتنزل الأوامر من السماء إلى الأرض ، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد ، فذلك مقداره ألف سنة ، لأن ما بين السماء والأرض مقدار مسيرة خمسمائة سنة .

وقد رواه ابن جرير عن ابن حميد ، عن حكام بن سلم ، عن عُمَرَ بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد قوله ، لم يذكر ابن عباس (٢) :

قال ابن أبي حاتم : وحدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا إسحاق بن منصور (٣) ، حدثنا لوح المؤدب (٤) ، عن عبد الوهاب بن مجاهد ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : غلط كل أرض خمسمائة عام ، وبين كل

(١) تقدم حديث البراء وأبي هريرة عند آية إبراهيم السابعة والعشرين ، وخرجناه هناك ، انظر : ٤١٣/٤ - ٤١٧ .

(٢) تفسير الطبري : ٤٤/٢٩ - ٤٥ .

(٣) في المخطوطة : « إبراهيم بن منصور » . ولم نجده ، وما أثبتناه عن ترجمة « نوح بن يزيد بن سيار أبي محمد المؤدب »

في التهذيب : ٤٨٩/١٠ . والجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٤٨٥/١/٤ .

(٤) في المخطوطة « المعروف » ، وكان أصلها « المؤدب » ثم أصلها التامخ إلى « المعروف » ، انظر التعليق المتقدم .

أرض إلى أرض خمسمائة عام ، وذلك سبعة آلاف عام . وغلظ كل سياه خمسمائة عام ، وبين السماء إلى السماء خمسمائة عام ، وذلك أربعة عشر ألف عام ، وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام ، فذلك قوله : (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) .

القول الثاني : أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم إلى قيام الساعة ، قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبو زرعة ، أخبرنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا ابن أبي زائدة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ، قال : الدنيا عمرها خمسون ألف سنة . وذلك عمرها يوم ، سماها الله تعالى يوم ، (تخرج الملائكة والروح إليه في يوم) ، قال : اليوم الدنيا ؛

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد - وعن الحكم بن أبان ، عن عكرمة : (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ، قال : الدنيا من أولها إلى آخرها مقدار خمسين ألف سنة ، لا يدري أحدكم مضى ، ولا كم بقي إلا الله عز وجل .

القول الثالث : أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة ، وهو قول غريب جدا ، قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان ، حدثنا بهلول بن المورق ، حدثنا موسى بن عبيدة ، أخبرني محمد ابن كعب : (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ، قال : هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة .

القول الرابع : أن المراد بذلك يوم القيامة ، قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أحمد بن ستان الراسطي ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ، قال : يوم القيامة . وهذا إسناد صحيح . ورواه الثوري عن سماك بن حرب ، عن عكرمة (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) : يوم القيامة . وكذا قال الضحاك ، وابن زيد .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (تخرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ، قال : [فهذا (١)] يوم القيامة . جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة .

وقد وردت أحاديث في معنى ذلك ، قال الإمام أحمد :

حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) : ما أطول هذا اليوم ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أحف عليه من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدنيا (٢) » .

(١) ما بين القوسين عن تفسير الطبري : ٤٥/٢٩ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٧٥/٣ .

ورواه ابن جرير ، عن يونس ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن دراج ، به (١) . إلا أن دراجا وشيخه ضعيفان ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أبي عمر الغداني قال : كنت عند أبي هريرة فمر رجل من بني عامر بن صعصعة ، فقيل له : هذا أكثر عامري مالا . فقال أبو هريرة : ردّوه فقال : نبئت أنك فو مال كثير ؟ فقال العامري : إي والله ، إن لي مائة حُمْرًا ومائة أدمًا ، حتى عد من ألوان الإبل ، وأفتان الرقيق ورياط الخليل فقال أبو هريرة : إياك وأخفاف الإبل وأظلاف النعم - يرّدّد ذلك عليه ، حتى جعل لون العامري يتغير - فقال : ما ذلك يا أبا هريرة ؟ قال : سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « من كانت له إبل لا يعطى حقها في نجدتها ورسّلها » - قلنا يا رسول الله : ما نجدتها ورسّلها ؟ قال : « في عُسرها وبسرها - فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ (٢) ما كانت وأكثره وأسمته وآشره (٣) ، حتى يبطح (٤) لها بقاع قرقر ، فتطوّه بأخفافها ، فإذا جاوزته أخرجها أعيدت عليه أولها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله ، وإذا كانت له بقر لا يعطى حقها في نجدتها ورسّلها ، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمته وآشره ثم يبطح لها بقاع قرقر فتطوّه كل ذات ظلف بظلفها ، وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ، إذا جاوزته أخرجها أعيدت عليه أولها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله . وإذا كانت له غنم لا يعطى حقها في نجدتها ورسّلها ، فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأسمته وآشره ، حتى يبطح لها بقاع قرقر ، فتطوّه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ، ذات قرن بقرنها ، ليس فيها عَقْصَاء (٥) ولا عَضْبَاء ، إذا جاوزته أخرجها أعيدت عليه أولها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين الناس ، فيرى سبيله . فقال العامري : وما حق الإبل يا أبا هريرة ؟ قال : أن تعطى للكريمة (٦) ، وتمنح الغزيرة ، وتُفَقَّر الظهر ، وقسقى اللبن (٧) ، وتطرق الفحل (٨) ، وقد رواه أبو داود من حديث شعبة ، والنسائي من حديث سعيد بن أبي عمرو ، كلاهما عن قتادة ، به (٩) ،

(١) تفسير الطبري : ٤٥/٢٩ .

(٢) أي : كأسرع وأنشط .

(٣) في المسند : « وآشره » . وهي رواية في هذه الكلمة ، فقد رويت بالسين المهملة وتشديد الراء ، أي : كأسن ما كانت وأوفره ، من سر كل شيء وهو لونه وممته . وقيل : هو من السرور لأنها إذا سنت سرت الناظر إليها . وروى « وآشره » بمد المهملة وشين معجمة وتخفيف الراء - أي : أبطره وأنشطه .

(٤) أي : يلق على وجهه . وقاع قرقر : مكان واسع مستو . .

(٥) للعقضاء : الملتوية القرنين . والمضباء : المكسورة القرن .

(٦) أي : التمزيقة على صاحبها . والغزيرة : كثيرة اللبن . وأقفر البعير : أهارة الركوب . وأطرق الفحل : أهارة للضراب .

(٧) في المخطوط « وتسقى الإبل » . والمثبت عن المسند .

(٨) مسند الإمام أحمد : ٤٨٩/٢ - ٤٩٠ .

(٩) أخرجه في كتاب الزكاة ، انظر سنن أبي داود ، باب « في حقوق المال » . والنسائي ، باب « التفليظ في حبس

طريق أخرى لهذا الحديث ، قال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا حماد ، عن سُهَيْل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من صاحب كثر لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحس عليها في نار جهنم ، فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره ، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » ... وذكر بقية الحديث في الغم والإبل كما تقدم ، وفيه : « الخيل لثلاثة رجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر » إلى آخره (١) .

ورواه مسلم في صحيحه بتمامه منفردا به دون البخاري ، من حديث سُهَيْل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة (٢) ، وموضع استقصاء طريقه وألفاظه في كتاب الزكاة في « الأحكام » ، والغرض من إيراده هاهنا قوله : « حتى يحكم الله بين عباده ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » .

وقد روى ابن جرير عن يعقوب عن ابن عسّية وعبد الرهاب ، عن أيوب ، عن ابن أبي مليكة قال : سألت رجلاً ابن عباس عن قوله : (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ، قال : فأنهم ، فقيل له فيه ، فقال : ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؟ فقال : إنما سألتك لتحدثني . قال : هما يومان ذكرهما الله ، الله أعلم بهما ، وأكره أن أقول في كتاب الله عملاً أعلم (٣) .

وقوله : (فاصبر صبرا جميلا) ، أي : اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك ، واستعجالهم العذاب استبعادا لوقوعه . كقوله : (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ، والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق (٤)) . ولهذا قال : (إنهم يرونه بعيدا) ، أي : وقوع العذاب وقيام الساعة يراه الكفرة بعيدا الوقوع ، بمعنى استحبال الوقوع ، (ونراه قريبا) ، أي : المؤمنون يعتقدون كونه قريبا ، وإن كان له أمدا لا يعنمه إلا الله عز وجل ، لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة .

يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ⑧ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ⑨ وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حِمِيماً ⑩ يَبْصُرُونَهُمْ ⑪ يَوْمَ الْمَجْرِمِ لَوْ يَفْقَدِي مِنَ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَنِيهِ ⑫ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ⑬ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُقْوِيهِ ⑭ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ⑮ كَلَّا إِنَّهَا لَلظَّنِّ ⑯ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى ⑰ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ⑱ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ⑲

يقول تعالى : العذاب واقع بالكافرين ، (يوم تكون السماء كالمهل) - قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعطاء ، وسعد ابن جبير ، وعكرمة ، والسدي ، وغير واحد : كدردى الزيت ، (وتكون الجبال كالعهن) ، (أي : كالصوف) المنفوش ، (قاله مجاهد ، وقتادة ، والسدي . وهذه الآية كقوله تعالى : (وتكون الجبال كالعهن المنفوش (٥)) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٢/٢٦٢ .

(٢) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب « إثم مانع الزكاة » : ٣/٧١ - ٧٢ . وانظر فيما تقدم : ٤/٨٣ .

(٣) تفسير الطبري : ٤٥/٢٩ .

(٤) سورة الشورى ، آية : ١٨ .

(٥) سورة القارعة ، آية : ٥ .

وقوله : (ولا يسأل حميما . يصرونهم) ، أى : لا يسأل الضريب بريبه عن حاله ، وهو يراه فى أسوأ الأحوال ، فتشغله نفسه عن غيره .

قال العوفي عن ابن عباس : يعرف بعضهم بعضا ، ويتعارفون بينهم ، ثم يقر بعضهم من بعض بعد ذلك ، يقول : (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) (١) .

وهذه الآية الكريمة كقولها : (يا أيها الناس ، اتقوا ربكم واتخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ، إن وعد الله حق) (٢) . وكقولها : (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا تحمل منه شيء ولو كان ذا قرنى) (٣) ، وكقولها : (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) (٤) ، وكقولها : (يوم يقر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه . لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) (٥) .

وقوله : (يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ بنيه . وصاحبته وأخيه . وفصيلته التي تؤويه . ومن فى الأرض جميعا ثم ينجيه . كلا) ، أى : لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض وبأعز ما يجده من المال ، ولو بملء الأرض ذهبا ، أو من ولده الذى كان فى الدنيا حشاشة كبده ، يود يوم القيامة إذا رأى الأحوال أن يفتدى من عذاب الله به ، ولا يقبل منه . قال مجاهد والسدى : (فصيلته) : قبيلته وعشيرته . وقال عكرمة : فسخيده الذى هو منهم . وقال أشهب ، عن مالك : (فصيلته) أمه .

وقوله (إنها لظي) ، يصف النار وشدة حرها ، (نزاعة للشوى) - قال ابن عباس ، ومجاهد : جلدة الرأس . وقال العوفي ، عن ابن عباس : (نزاعة للشوى) : الجلود والهام . وقال مجاهد : ما دون العظم من اللحم . وقال سعيد بن جبيرة العصب . وقال أبو صالح : (نزاعة للشوى) ، يعنى أطراف اليدين والرجلين . وقال أيضا : نزاعة لحم الساقين . وقال الحسن البصرى ، وثابت البنائى : (نزاعة للشوى) ، أى : مكارم وجهه . وقال الحسن أيضا : محرق كل شيء فيه ، ويبقى فؤاده يصيح . وقال قتادة : (نزاعة للشوى) ، أى : نزاعة لهامته ومكارم وجهه وخطأته وأطرافه . وقال الضحاك : تبرى اللحم والجلد عن العظم ، حتى لا تترك منه شيئا . وقال ابن زيد : الشوى : الآراب العظام (٦) . فقوله : نزاعة ، قال : تقطع عظامهم ، ثم يجدد خلقهم وتبدل جلودهم (٧) .

وقوله : (تدعو من أدبر وتولى . وجمع فأوعى) ، أى : تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها ، وقدر لهم أنهم فى الدار الدنيا يعملون عملها ، فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ذلك (٨) ، ثم تلتقطهم من بين أهل الحشر كما يلتقط الطير الحب . وذلك أنهم كما قال الله - عز وجل - كانوا ممن (أدبر وتولى) ، أى : كذب بقلبه ، وترك العمل بجوارحه

(١) تفسير الطبرى : ٤٦/٢٩٠ .

(٢) سورة لقمان ، آية : ٣٣ .

(٣) سورة غافر ، آية : ١٨ .

(٤) سورة « المؤمنون » ، آية : ١٠١ .

(٥) سورة عبس ، الآيات : ٣٤ - ٣٧ .

(٦) الآراب : الأعضاء ، واحدها : إرب ، بكسر فسكون .

(٧) فى المخطوطة : « ثم تبدل جلودهم وخلقهم وتبدل جلودهم » وأثبت عن تفسير الطبرى : ٤٨/٢٩٨ .

(٨) أى : فصيح بليغ .

(وجمع فأوعى) ، أى : أجمع المال بعضه على بعض فأوعاه ، أى : أوكاه ومنع حق الله منه من الواجب عليه في النفقات ومن إخراج الزكاة . وقد ورد في الحديث : « ولا تُوعى (١) فيُوعى الله عليك (٢) » . وكان عبد الله بن حكيم (٣) لا يربط له كبسا ويقول : « سمعت الله يقول : (وجمع فأوعى) (٤) » .

وقال الحسن البصرى : يا ابن آدم ، سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا

وقال قتادة في قوله : « (وجمع فأوعى) » ، قال : كان جموعاً قموماً للخبيث (٥)

* إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا الْمَصْلُومِينَ ۝
 الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝ لِلسَّائِلِينَ وَالْمَحْرُومِينَ ۝ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
 يَوْمَ الْبُرْءِ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابٍ رِيبٍ مَشْفِقُونَ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ
 لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ
 ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ
 قَائِمُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمِينَ ۝

يقول تعالى خبراً عن الإنسان وما هو يجبول عليه من الأخلاق الدينية : (إن الإنسان خلق هلوعاً) ، ثم فسره بقوله :
 (إذا مسه الشر جزوعاً) ، أى : إذا أصابه الضر فرح وجزع وانزع قلبه من شدة الرعب ، وأيس أن يحصل له بعد ذلك
 خير ، (وإذا مسه الخير منوعاً) ، أى : إذا حصلت له نعمة من الله نحل بها على غيره ، ومنع حق الله فيها ،

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى بن عيسى بن رباح ، سمعت أبي يحدث عن عبد العزيز
 ابن مروان بن الحكم قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شر ماى رجل : شح هالع ،
 وجبن خالع (٦) » :

ورواه أبو داود عن عبد الله بن الجراح ، عن أبي عبد الرحمن المقرئ ، به : وليس لعبد العزيز عنده [سواه] (٧) :

(١) الإيماة : حمل للشيء في الوعاء . والمراد هنا : منع الفضل عن افتقر إليه . ومعنى « يوعى عليك » : يمتك فضله
 ويقتر عليك كما منعت وانقرت .

(٢) البخارى ، كتاب الزكاة ، باب « الصدقة فيما استطاع » : ١٤٠/٢ - ١٤١ . ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب
 « الحث على الإقتاف وكراهة الإحصاء » : ٩٢/٣ .

(٣) صحابى ، أدرك الذى صلى الله عليه وسلم ولم يره ، قاله ابن منده وأبو نعيم . وقال أبو عمر : اختلف فى صحابه من الذى
 صلى الله عليه وسلم . انظر أسد الغابة : ٣٣٩/٣ ، بتحقيقنا .

(٤) تفسير الطبرى : ٤٩/٢٩ .

(٥) تم الشيء : كنهه . وتم ماعلى المائة : أكله كله فلم يدع منه شيئاً . يريد أن هذا الجموع لا يتحرى الطيب من الكسب ،
 بل يجمع المال من كل طريق ، وبأى وجه .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٣٢٠/٢ .

(٧) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب « فى الجراء والبعين » .

ثم قال : (إلا المصلين) ، أى : الإنسان من حيث هو متصف بصمات الدم إلا من عصمه الله ووفقه ، وهداه إلى الخير ويسر له أسبابه ، وهم المصلون : (الذين هم على صلاتهم دائمون) . قيل : معناه يحافظون على أوقاتها وواجباتها . قاله ابن مسعود ، ومسروق ، وإبراهيم النخعي .

وقيل : المراد بالدوام هاهنا السكون والخشوع ، كقوله : (قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون) (١) ، قاله عتبة بن عامر . ومنه الماء الدائم ، أى : الساكن الراكد .

وقيل : المراد بذلك الذين إذا عملوا عملاً داوموا عليه وأثبتوه ، كما جاء في الصحيح عن عائشة ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ » - وفي لفظ : « ما داوم عليه صاحبه » . قالت : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا عمل عملاً داوم عليه . وفي لفظ : أثبتته (٢) .

وقال قتادة في قوله : (الذين هم على صلاتهم دائمون) : ذُكِرَ لنا أن دانيال - عليه السلام - تمت أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - فقال : يصلون صلاة لو صلاتها قوم نوح ما غرقوا ، أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم ، أو نود ما أخلصهم الصيحة . فعليكم بالصلاة فإنها خلق للمؤمنين حسن .

وقوله : (والذين في أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم) ، أى : في أموالهم نصيب مقرر للذى الحاجات . وقد تقدم الكلام على ذلك في « سورة الداريات » .

وقوله : (والذين يصدقون بيوم الدين) ، أى : يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء ، فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب . ولهذا قال : (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) ، أى : خائفون وجلون ، (إن عذاب ربهم غير مأمون) ، أى : لا يأمنه أحد ممن عَقَلَ عن أمره إلا بأمان من الله تبارك وتعالى .

وقوله : (والذين هم لفروجهم حافظون) ، أى : يكتفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله . ولهذا قال : (إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) ، أى : من الإماء ، (فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) . وقد تقدم تفسير هذا في أول سورة : (قد أفلح المؤمنون) مما أغنى عن إعادته هاهنا .

وقوله : (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) أى : إذا أوتئتموا لم يخونوا . ، وإذا عاهدوا لم يغلروا . وهذه صفات للمؤمنين ، وضدها صفات المنافقين ، كما ورد في الحديث الصحيح « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أوتئتم خان » - وفي رواية : « إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » (٣) .

(١) سورة « المؤمنون » ، آية : ١ - ٢ .

(٢) انظر البخاري ، كتاب الإيمان ، باب « أحب الدين إلى الله أدومه » : ١٧/١ . وكتاب الرقاق ، باب « التصد والمداومة على العمل » : ١٢٢/٨ . ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب « فضيلة العمل الدائم من أيام الليل وغيره » : ١٨٨/٢ - ١٨٩ . وسنن أبي داود ، كتاب التطوع ، باب « ما يؤمر به من القصد في الصلاة » .

(٣) تقدم تخريج الحديث عند تفسير الآية الثامنة من سورة « المؤمنون » : ٥٨/٥ .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾ ، أى : محافظون عليها لا يزيدون فيها ، ولا ينقصون منها ، ولا يكتمونها ،
(ومن يكتمها قلوبهم آثم قلبه (١)) .

ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحْفَظُونَ ﴾ (٢) ، أى : على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها ، فافتتح
الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها ، فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها ، كما تقدم في أول سورة : (قد أفلح
المؤمنون) ، سواء . ولهذا قال هناك : (أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) (٣) ، وقال هاهنا ،
(أولئك في أجنات مكرمون) ، أى : مكرمون بأنواع الملاذ والمسار :

قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكَ مَهْطِعِينَ ﴿٣٧﴾ عَنِ الشِّمَالِ غَازِئِينَ ﴿٣٨﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ
جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٩﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَائِدُونَ ﴿٤١﴾ عَلَيَّ
أَنْ تُبَدَّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤٢﴾ فَكَلَّمَهُمْ بِحُضُوعٍ وَيَلْعَبُونَ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ
يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصَيْبٍ يُوْفُونَ ﴿٤٤﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكِ الْيَوْمِ الَّذِي
كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى منكرا على الكفار الذين كانوا في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - وهم مشاهدون له ، ولما أرسله الله به
من الهدى وأبده الله به من المعجزات الباهرة ، ثم هم مع هذا كله فارّون منه ، متفرقون عنه ، شاردون يمينا وشمالا ،
فرقا فرقا ، وشيعا شيعا ، كما قال تعالى : ﴿ فإلمم عن التذكرة معرضين . كأنهم حمر مستنشرة : فرمت من قسورة ﴾ (٤)
د . الآية وهذه مثلها ، فانه قال تعالى : (فلا للذين كفروا قبلك مهطعين) ، أى : فالهؤلاء الكفار الذين عندك يا محمد
(مهطعين) ، أى : مسرعين نافرين منك ، كما قال الحسن البصرى : (مهطعين) ، أى : منطلقين ، (عن الشمال
وعن الشمال عزين) ، واحدها عزة ، أى : متفرقين . وهو حال من مهطعين ، أى : في حال تفرقهم واختلافهم ،
كما قال الإمام أحمد في أهل الأهواء : فهم مخالفتون للكتاب ، مختلفون في الكتاب ، متفقون على مخالفة الكتاب .

وقال العوفى ، عن ابن عباس : (فلما للذين كفروا قبلك مهطعين) ، قال : قبلك ينظرون ، (عن اليمين وعن الشمال
عزين) ، قال : العزين : العصب من الناس ، عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به (٥) :

وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا أبو عامر ، حدثنا قرة ، عن الحسن في قوله : (عن اليمين وعن الشمال
عزين) ، متفرقين ، يأخذون يمينا وشمالا يقولون : ما قال هذا الرجل (٦) ؟ :

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٨٣ .

(٢) كذا في مخطوطة الأزهر بالجمع وهي قراءة الحسن . انظر البحر المحيط : ٣٣٥/٨ .

(٣) سورة « المؤمنون » ، آية : ١٠ - ١١ .

(٤) سورة المدثر ، الآيات : ٤٩ - ٥١ .

(٥) تفسير الطبرى : ٥٣/٢٩ .

(٦) تفسير الطبرى : ٥٤/٢٩ .

وقال قتادة : (مهطعين) : عامدين ، (عن اليمين وعن الشمال عزير) ، أى : فِرْقاً حول النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يرغبون في كتاب الله ، ولا في نبيه - صلى الله عليه وسلم -

وقال الثوري ، وشعبة ، وعيسى بن يونس وعبثر بن القاسم ومحمد بن فضيل ، ووكيع ، ويحيى القطان ، وأبو معاوية ، كلهم عن الأعمش ، عن المسيب بن رافع ، عن تميم بن طرفة ، عن جابر بن سمرة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج عليهم وهم حلق ، فقال : « ما لي أراكم عزيرين ؟ » :

رواه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن جرير ، من حديث الأعمش ، به (١) :

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا مؤمل ، حدثنا سفيان (٢) ، عن عبد الملك بن عمير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج على أصحابه وهم حلق حلق ، فقال : « ما لي أراكم عزيرين ؟ » :

وهذا إسناد جيد ، ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه :

وقوله : (أبطع كل امرئ منهم أن يدخل الجنة نعم . كلا) ، أى : أبطع هؤلاء - والحالة هذه - من فرارهم عن الرسول ونفارهم عن الحق - أن يدخلوا جنات النعيم ؟ بل ما أواهم نار الجحيم .

ثم قال تعالى مقروراً لوقوع المعاد والعذاب بهم الذى أنكروا كونه واستبعدوا وجوده ، مستدلاً عليهم بالبداة التى الإعادة أهون منها وهم معترفون بها ، فقال : (إنا خلقناهم مما يعلمون) ، أى : من المئى الضعيف ، كما قال : (ألم نخلقكم من ماء مهين (٣)) . وقال : (فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب . إنه على وجهه لقادر . يوم تبلى السرائر . فما له من قوة ولا ناصر (٤)) .

ثم قال : (فلا أقسم برب المشارق والمغرب) ، أى : الذى خلق السموات والأرض ، وجعل مشرقاً ومغرباً ، ونحز الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في مغاربها . وتقرير الكلام : ليس الأمر كما تزعمون أن لا معاد ولا حساب ولا بحث ولا نشور ، بل كل ذلك واقع وكائن لا محالة . ولهذا أتى بـ « لا » في ابتداء القسم ليدل على أن المقسم عليه نفي ، وهو مضمون الكلام ، وهو الرد على زعمهم القاسد في نفي يوم القيامة ، وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ما هو أبلغ من إقامة القيامة ، وهو خلق السموات والأرض ، وتسخير ما فيهما من الخالوقات من الحيوانات والجمادات ، وسائر صنوف الموجودات ، ولهذا قال تعالى : (لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ (٥)) وقال تعالى : (أولم يروا

(١) مستند الإمام أحمد : ٩٣/٥ ، ١٠١ ، ١٠٧ . ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب « الأمر بالسكون في الصلاة » والنهي عن الإشارة باليد . . . : ٢٩/٢ وسنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب « في التملق » .

(٢) في تفسير الطبرى ٥٤/٢٩ : « عن شقيق » .

(٣) سورة المرسلات ، آية : ٢٠ .

(٤) سورة الطارق ، الآيات : ٥ - ١٠ .

(٥) سورة غافر ، آية : ٥٧ .

أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي مخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى؟ بلى إنه على كل شيء قدير . وقال تعالى في الآية الأخرى : (أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى وهو الخلاق العليم ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (١)) . وقال هاهنا (فلا أقسم برب المشارق والمغرب إنا لقادرون . على أن نبدل خيراً منهم) ، أى : يوم القيامة نعيدهم بأبدان خيرة من هذه ، فإن قدرته صالحة لذلك ، (وما نحن بمسبوقين) ، أى : بعاجزين . كما قال تعالى : (أحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ؟ بلى قادرين على أن نسوي بنانه (٢)) . وقال تعالى : (نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين . على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون (٣)) ،

واختار ابن جرير (على أن نبدل خيراً منهم) ، أى : أمة تطيعنا ولا تعصينا وجعلها (٤) ، كقوله : (وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم (٥)) . والمعنى الأول أظهر لدلالة الآيات الأخر عليه ، والله أعلم . ثم قال تعالى : (فذرهم) ، أى : يا محمد (محضوا ويلعبوا) ، أى : دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم ، (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) ، أى : فسيعلمون غيب ذلك ويلذوقون وبالاه ، (يوم يخرجون من الأجداث سراها كأنهم إلى نصب يوفضون) ، أى : يقومون من القبور إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب ، ينهضون سراها كأنهم إلى نصب يوفضون .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك : إلى علمهم يسعون (٦) . وقال أبو العالية ، ويحيى بن أبي كثير : إلى غاية يسعون إليها .

وقد قرأ الجمهور : (نَصَّب) ، بفتح النون وإسكان الصاد ، وهو مصدر بمعنى المنصب ، وقرأ الحسن البصرى : (نصب) بضم النون والصاد ، وهو الصم ، أى : كأنهم في إسراعهم إلى الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عابنوه يوفضون ، ينتدرون . (أيهم) يستلمه أول ؟ وهذا مروى عن مجاهد ، ويحيى بن أبي كثير ، ومسلم البطين ، وقتادة ، والضحاك ، والربيع بن أنس ، وأبي صالح ، وعاصم بن بهدلة ، وابن زيد ، وغيرهم . وقوله : (خاشعة أبصارهم) ، أى : خاضعة (ترهقهم ذلة) ، أى : في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة ، (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) .

آخر تفسير « سورة سأل سائل » والله الحمد والمنة

- (١) سورة خافر ، آية ٥٧ .
- (٢) سورة القيامة ، آية : ٣ - ٤ .
- (٣) سورة الواقعة ، آية : ٦٠ - ٦١ .
- (٤) تفسير الطبرى : ٥٥/٢٩ .
- (٥) سورة محمد ، آية : ٣٨ .
- (٦) تفسير الطبرى : ٦/٢٩ .

تفسير سورة نوح

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَنْتَقُواهُ وَأَطِيعُوا أَوْصِيَاءَهُ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾

يقول تعالى مخبرا عن نوح - عليه السلام - أنه أرسله إلى قومه آمرا له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم ، فإن تابوا وأنبأوا رفع عنهم ، ولهذا قال : (أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم . قال : يا قوم ، إنني لكم نذير مبين) أي : بين التنذارة ، ظاهر الأمر واضح ، (أن اعبدوا الله واتقوه) ، أي : اتركوا محارمه واجتنبوا ماأمه ، (وأطيعوا) فيما أمركم به وأنهاكم عنه . (يغفر لكم من ذنوبكم) ، أي : إذا فعلتم ما أمرتكم به وصدقتم ما أرسلت به إليكم ، غفر الله لكم ذنوبكم .

« ومن » هاهنا قيل : إنها زائدة . ولكن القول بزيادتها في الإثبات قليل . ومنه قول بعض العرب : « قد كان من مطر » . وقيل : إنها بمعنى « عن » ، تقديره يصفح لكم عن ذنوبكم . واختاره ابن جرير (١) . وقيل : لأنها للتبخيص ، أي يغفر لكم الذنوب العظام التي وعدكم على ارتكابكم إياها الانتقام .

(ويؤخركم إلى أجل مسمى) ، أي : يمد في أعماركم ويدبر عنكم العذاب الذي إن لم تتزجروا عما نهاكم عنه ؛ أوفعه بكم

وقد يستدل هذه الآية من يقول : إن الطاعة والبر وصاله الرحم ، يزداد بها في العمر حقيقة ؛ كما ورد به الحديث : « صالة الرحم تزيد في العمر » .

وقوله : (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) ، أي : بادروا بالطاعة قبل حلول العقوبة ، فإنه إذا أمر تعالى بكون فلك لا يرد ولا يمنع ، فإنه العظم الذي قهر كل شيء ، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات .

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿١﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٢﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ
 جَعَلُوا أَسْدِيحَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَفْتَرُوا بُيُوتَهُمْ وَانصَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٣﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا
 ﴿٤﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٥﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿٦﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ
 عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٧﴾ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُبْنِيَنَّ وَيَجْعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلَ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿٨﴾ مَا لَكُمْ
 لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ مِطَاقًا ﴿١١﴾
 وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ مِرْآجًا ﴿١٢﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٣﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ
 فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٤﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ سَاغًا ﴿١٥﴾ لِيَتَّسِلُوكُمْ مِمَّا سَبَلًا فِجَاجًا ﴿١٦﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح - عليه السلام - أنه اشكى إلى ربه - عز وجل - ما لى من قومه ، وما صبر عليهم
 في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة إلا خمسين عاما ، وما بين لقومه ووضع لهم ودعاهم إلى الرشد والسبيل الأقوم ،
 فقال : (رب ، إني دعوت قومي ليلا ونهارا) ، أي : لم أترك دعاهم في ليل ولا نهار ، امتثالا لأمرك وابتغاء لطاعتك ،
 (فلم يزدني دعائي إلا فرارا) ، أي : كلما دعوتهم ليقربوا من الحق فترأوا منه وحادوا عنه ، (وإني كلما دعوتهم
 لتغفر لهم ، جعلوا أسديحهم في آذانهم واستفتروا بيوتهم) ، أي : سدوا آذانهم لئلا يسموا ما أدعوهم إليه . كما أخبر
 تعالى عن كفار قريش : (وقال الذين كفروا : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون (١)) .

(واستفتوا بيوتهم) - قال ابن جرير ، عن ابن عباس : تنكروا له لئلا يعرفهم . وقال سعيد بن جبير ، والسدي :
 غطوا آذانهم لئلا يسموا ما يقول .

(وانصروا) ، أي : استمروا على ما هم فيه من الشرك والكفر العظيم القطيع ، (واستكبروا استكبارا) ، أي :
 واستكفروا عن اتباع الحق والانقياد له .

(ثم إنني دعوتهم جهارا) ، أي : جهرة بين الناس . (ثم إنني أعلنت لهم) ، أي : كلما ظاهرا بصوت عال ،
 (وانصرت لهم إسرا) ، أي : فيا بيني وبينهم ، فتنوع عليهم الدعوة لتكون أجمع فيهم ، (فقلت : استغفروا ربكم
 إنه كان غفارا) ، أي : لرجعوا إليه وارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب ، فانه من تاب إليه تاب عليه ، ولو كانت
 ذنوبه مهما كان في الكفر والشرك ، ولهذا قال : (فقلت : استغفروا ربكم إنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا) ،
 أي : متواصلة الأمطار . ولهذا يستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء ، لأجل هذه الآية . وهكذا روى عن
 أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه صعد المنبر ليستسقي ، فلم يزد على الاستغفار ، وقرأ الآيات في الاستغفار . ومنها هذه الآية :

(قلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا) ثم قال : لقد طلبت الغيث بمجاديب (١) السماء التي يستترل بها المطر .

وقال ابن عباس وغيره : يتبع بعضه بعضا :

وقوله : (ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً) ، أى : إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه ، كثر الرزق عليكم ، وأسقاكم من بركات السماء ، وأبنت لكم من بركات الأرض ، وأبنت لكم الزرع ، وأدر لكم الضرع ، وأمدكم بأموال وبنين ، أى : أعطاكم الأموال والأولاد ، وجعل لكم جنات وبها أنواع الثمار ، وخللها بالأنهار الجارية بينها .

هذا مقام الدعوة بالترغيب . ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال : (مالكم لا ترجون الله وقارا ؟) ، أى : عظمة . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك . وقال ابن عباس : لا تعظمون الله حق عظمتهم (٢) . أى : لا تحافون من بأسه ونقمتهم ، (وقد خلقكم أطوارا) ، قيل : معناه من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة . قاله ابن عباس ، وعكرمة وقتادة ، ويحيى بن رافع ، والسدى ، وابن زيد .

وقوله : (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) ، أى : واحدة فوق واحدة ، وهل هذا بتلقي من جهة السمع فقط ؟ أو هو من الأمور المدركة بالحواس ، مما علم من التسيير والكسوفات . فإن الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضا ، فأدناها القمر في السماء الدنيا وهو يكسف ما فوقه ، وعطارد في الثانية ، والزهرة في الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمريخ في الخامسة ، والمشتري في السادسة ، وزحل في السابعة . وأما بقية الكواكب - وهى الثوابت - فى فللك ثامن بسمونه فللك الثوابت . والمتشرعون منهم يقولون : هو الكرمى ، والفلك التاسع ، وهو الأطلس . والأكثر عندهم الذى حركته على خلاف حركة سائر الأفلاك ، وذلك أن حركته مبدأ الحركات ، وهى من المغرب إلى المشرق ، وسائر الأفلاك عكسه من المشرق إلى المغرب ، ومعها يدور سائر الكواكب تبعا ، ولكن لسبابة حركة معاكسة لحركة أفلاكها ، فأنها تسير من المغرب إلى المشرق . وكل يقطع فلكه بحسه ، فالقمر يقطع فلكه فى كل شهر مرة ، والشمس فى كل سنة مرة ، وزحل فى كل ثلاثين سنة مرة ، وذلك بحسب اتساع أفلاكها ، وإن كانت حركة الجمع فى السرعة متناسبة . هذا ملخص ما يقولونه فى هذا المقام ، على اختلاف بينهم فى مواضع كثيرة ، لسننا بصدده بيانها ، وإنما المقصود أن الله سبحانه : (خلق سبع سموات طباقا . وجعل القمر فيها نورا وجعل الشمس سراجا) ، أى : فاوت بينهما فى الاستتارة ، فجعل كلا منهما آتمودجا على حدة ، ليعرف الليل والنهار بطلع الشمس ومعيتها ، وقدر القمر منازل وبروجا . وفاوت نوره . فتارة يزداد حتى يتناهى ثم يشرع فى النقص حتى يستسر ، ليدل على مضى الشهور والأشوام ، كما قال : (هو الذى جعل الشمس ضياء ، والقمر نورا ، وهدى منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق . يعصن الآيات لقوم يعلمون (٣)) .

(١) مجاديب : جمع جده - بكسر مسكون - وهو : نجم من النجوم .

(٢) تفسير الطبرى : ٥٩/٢٩ - ٦٠ .

(٣) سورة يونس ، آية : ٥ .

وقوله : (والله أنبتكم من الأرض نباتاً) : هنا اسم مصدر ، والإبتان به هاهنا أحسن ، (ثم يعيدكم فيها) ، أى : إذا هم (وخرجكم إخراجاً) ، أى : يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرة ، (والله جعل لكم الأرض بساطاً) ، أى : بسطها ومهدا وقررها وثبتها بالجبال الراسيات الشم الشاخات ، (لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً) ، أى : خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم ، من نواحيها وأرجائها وأقطارها ، وكل هذا مما ينبتهم له نوح - عليه السلام - على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والأرض ، ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية ، فهو الخالق الرازق ، جعل السماء بناء ، والأرض مهادا ، وأوسع على خلقه من رزقه ، فهو الذى يجب أن يعبد ويوحى ولا يشرك به أحد ، لأنه لا نظير له ولا عديل له ، ولا قند ولا كفاء ، ولا صاحبة ولا ولد ، ولا وزير ولا مشر ، بل هو العلى الكبير .

قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي مَعْصُومِي وَأَتَّبِعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿١٧﴾ وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا كَبِيرًا ﴿١٨﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿١٩﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٠﴾

يقول تعالى محبرا عن نوح - عليه السلام - أنه أسهى إليه ، وهو العلم الذى لا يعزب عنه شيء ، فمع البيان المتقدم ذكره ، والدعوة المتنوعة المشتملة على الترغيب تارة والترهيب أخرى : أهم عصوه وكذبوه وخالفوه ، واتبعوا أبناءه الذين آمن غفلك عن أمر الله ، ومعهم عمال وأولاد ، وهى فى نفس الأمر استدراج وإنظار لا إكرام . ولهذا قال : (واتبعوا من لم يزدده ماله وولده إلا خسارا) - قرىء (وولده) بالضم وبالفتح ، وكلاهما مقاربان .

وقوله : (ومكروا مكرا كبيرا) ، قال مجاهد : (كبيرا) ، أى : عظيما . وقال ابن زيد (كبيرا) ، أى : كبيرا ، والعرب تقول : أمر عجيب وعجيب وعجيب . ورجل حسبان . وحسان : وجمال وجمال ، بالتحفيف والشديد ، معنى واحد (١) .

والمعنى فى قوله : (ومكروا مكرا كبيرا) ، أى : بأنواعهم فى تسويلهم لهم أنهم على الحق والهدى ، كما يقولون لهم يوم القيامة : (بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا (٢)) . ولهذا قال هاهنا : (ومكروا مكرا كبيرا) . وقالوا : لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا . وهذه أسماء أصنامهم التى كانوا يعبدونها من دون الله .

قال البخارى : حدثنا إبراهيم ، حدثنا هشام ، عن ابن جريج ، وقال عطاء ، عن ابن عباس : صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد : أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سواع فكانت لخديل ، وأما يغوث

(١) انظر تفسير الطبرى : ٦١/٢٩ - ٦٢ .

(٢) سورة سبأ ، آية : ٢٢ .

فَكَانَتْ لِرَادٍ ، ثُمَّ لَبِيٍّ شَطِيفٍ بِالْجُرُفِ عِنْدَ سَبَأَ ، وَأَمَّا يَعْقُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ ، وَأَمَّا نَسْرُ فَكَانَتْ لِحَمِيرٍ لِأَنَّ ذِي كَلَاعٍ
وَهِيَ أَسْيَاهُ رِجَالُ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْهَبُوا إِلَى مَجَانِسِهِمْ إِلَى
كَانُوا يَجْلِسُونَ أَهْصَابًا وَسُمُوهَا بِأَسْمَائِهِمْ ، فَفَعَلُوا . فَلَمْ تَعْبُدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أَوْلَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمَ عِبَدَتْ (١) .
وَكَذَلِكَ رَوَى عَنْ عِكْرِمَةَ ، وَالضَّحَّاكِ ، وَقَتَادَةَ ، وَابْنَ إِسْحَاقَ ، نَحْوَ هَذَا .

وَقَالَ هَلِي بْنُ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : هَذِهِ أَسْمَاءُ كَانَتْ تَعْبُدُ فِي زَمَنِ نُوحٍ (٢) .

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، حَدَّثَنَا مَهْرَانُ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ مُوسَى ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ (وَيَعْقُوقُ وَنَسْرًا) ،
قَالَ : كَانُوا قَوْمًا صَالِحِينَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ (٣) ، وَكَانَ لَهُمْ أَتْبَاعٌ يَتَّبِعُونَ بِهِمْ ، فَلَمَّا مَاتُوا قَالَ أَصْحَابُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا
يَتَّبِعُونَ بِهِمْ : لَوْ صَوَّرْنَا لَهُمْ كَانُوا أَشْوَقًا لَنَا إِلَى الْعِبَادَةِ إِذَا ذَكَرْنَاهُمْ . فَصَوَّرُوهُمْ . فَلَمَّا مَاتُوا وَجَّاهَ آخِرُونَ دَبَّ إِلَيْهِمْ
إِبْلِيسُ فَقَالَ : إِنَّمَا كَانُوا يَعْْبُدُونَهُمْ وَبِهِمْ يَسْتَشُونَ الْمَطَرَ . فَعْبَدُوهُمْ (٤) .

وَرَوَى الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَرْجُمَةِ شَيْثٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ طَرِيقِ إِسْحَاقَ بْنِ بَشَرَ قَالَ : وَأَخْرَجَنِي جُوَيْرِ
وَمُقَاتِلُ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : وَلَدَ لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْبَعُونَ وَلَدًا ، عَشْرُونَ غُلَامًا وَعَشْرُونَ جَارِيَةً ،
فَكَانَ مِنْ هَاشِمٍ مِنْهُمْ : هَابِيلُ ، وَقَابِيلُ ، وَصَالِحٌ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ - وَالَّذِي (٥) كَانَ سَيِّدَ عَبْدِ الْخَارِثِ - وَوَدَّ ، وَكَانَ وَدَّ
يُقَالُ لَهُ « شَيْثٌ » . وَيُقَالُ لَهُ « هِبَةُ اللَّهِ » ، وَكَانَ إِخْوَتُهُ قَدَسًا وَوَدَّ ، وَوَلَدَ لَهُ سَوَاحٌ وَيَغُوثٌ وَيَعْقُوقُ وَنَسْرٌ (٦) .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو الدُّورِيُّ ، حَدَّثَنِي أَبُو إِسْمَاعِيلَ الْمَوْدُبِيُّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ
عَنْ أَبِي حَزْرَةَ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ : اشْتَكَى آدَمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَعِنْدَهُ بَنُوهُ : وَدَّ ، وَيَغُوثُ ، وَسَوَاحٌ
وَنَسْرٌ - وَكَانَ وَدَّ أَكْبَرَهُمْ وَأَبْرَهُمْ بِهِ ،

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ ، عَنْ أَبِي الْمَطْهَرِ قَالَ :
ذَكَرُوا عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ - وَهُوَ قَائِمٌ بِصَلِيِّ - يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ، قَالَ : فَلَمَّا انْفَتَلَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ : ذَكَرْتُمْ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ ،
أَمَّا إِنَّهُ قَتَلَ فِي أَوَّلِ أَرْضِ عُبَيْدٍ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ . قَالَ : ثُمَّ ذَكَرَ [وَدَّ] - قَالَ : وَكَانَ وَدَّ (٧) رَجُلًا مُسْلِمًا ، وَكَانَ
مُحِبًّا فِي قَوْمِهِ ، فَلَمَّا مَاتَ عَسَكَرُوا حَوْلَ قَبْرِهِ فِي أَرْضِ بَابِلَ وَجَزَعُوا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَى إِبْلِيسُ جَزَعَهُمْ عَلَيْهِ ، نَشِبَهُ

(١) البخاري : تفسير سورة « إنا أرسلنا » : ١٩٩/٦ .

(٢) تفسير الطبري : ٦٣/٢٩ .

(٣) في المخطوطة : « عن آدم » . وفي تفسير الطبري : « من بني آدم » . والمثبت عن الطبقات السابقة .

(٤) تفسير الطبري : ٦٣/٢٩ .

(٥) في المخطوطة : « وعبد الرحمن الذين كان معهم » . والمثبت عن تاريخ مدينة دمشق .

(٦) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية بجامعة البوالم العربية برقم ١٢٥ تاريخ الجزء الخامس

عن مكتبة أحمد الثالث .

(٧) في المخطوطة : « ثم ذكروا رجلاً مسلماً » . والمثبت عن المشور للسيوطي ، وقد أخرجه عن عبد بن حميد عن أبي المطهر

انظر : ٢٦٩/٦ .

في صورة إنسان ، ثم قال : إنى أرى جزعكم على هذا الرجل ، فهل لكم أن أصور لكم مثله ، فيكون في آدابكم فله كرونه ؟
 قالوا : نعم . فصور لهم مثله ، قال : ووضعوه في آدابهم وجعلوا يذكرونه . فلما رأى ما بهم من ذكره قال : هل لكم
 أن أجعل في منزل كل واحد منكم مثالا مثله ، فيكون له في بيته فتذكرونه ؟ قالوا : نعم . قال : فمثل لكل أهل بيت
 مثالا مثله ، فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به ، قال : وأذكركم أبناءهم فجعلوا يرون ما يصنعون به ، وتناسلوا ودرّس أمر
 ذكروهم إياه ، حتى (١) اتخذوه ، إذا يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم ، فكان أول ما عبد غير الله : الصنم الذي
 سموه ودًا .

وقوله : (وقد أضلوا كثيرا) ، يعنى الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقا كثيرا ، فإنه استمرت عبادتها في القرون
 إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم . وقد قال الخليل - عليه السلام - في دعائه : (واجنبني وبني
 أن نعبد الأصنام . رب ، إنهن أضللن كثيرا من الناس (٢)) .

وقوله : (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) : دعاء منه على قومه لقردهم وكفرهم وعنادهم ، كما دعا موسى على فرعون
 ومثله في قوله : (ربنا ، اطمس على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم (٣)) . وقد
 استجاب الله لكل من التبتين في قومه ، وأغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به .

مِمَّا خَطَبْتِهِمْ أُرْفِقُوا فَاَدْخُلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٦٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ
 عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِبَارًا ﴿٦٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَبْضُلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَجْرًا كَفَّارًا ﴿٦٧﴾
 رَبِّ اغْنِي لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٦٨﴾

يقول تعالى : (مما خطب إليهم) وقرئ : (خطب إليهم) (١) (أرفقوا) ، أى : من كثرة ذنوبهم وعتوهم وإصرارهم على
 كفرهم ومخالفتهم رسوله ، (أرفقوا فأدخلوا نارا) ، أى : نقلوا من تيار البحار إلى حرارة النار ، (فلم يجدوا لهم من
 دون الله أنصارا) ، أى : لم يكن لهم معين ولا معيثة ولا مسجبر ينتقم من عذاب الله كقوله : (قال : لا عاصم اليوم
 من أمر الله إلا من رحم) (٥) .

(وقال نوح : رب ، لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) ، أى : لا تترك على الأرض منهم أحدا ولا قوسريًا (٦)
 وهذه من صيغ تأكيد النبي .

قال الضحاك : (ديارا) : واحدا . وقال السدي : الديار : الذي يسكن الدار .

(١) انظر الدر المنثور ٦/٢٧٠ : « حتى اتخذوه إذا يعبدونه من دون الله ، قال : وكان أول . . . »

(٢) سورة إبراهيم ، آية : ٣٥ - ٣٦ .

(٣) سورة يونس ، آية : ٨٨ .

(٤) انظر البحر المحيط لأبي حيان : ٣٤٣/٨ . والطبرى : ٦٣/٢٩ .

(٥) سورة هود ، آية : ٤٣ .

(٦) في المخطوطة : « ولا دومريا » . والمثبت عن إصلاح المنطق لابن السكيت : ٤٣٣ . والمعنى : ما بها أحد .

فاستجاب لله ، فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين ، حتى ولد نوح أصله الذي اعتزل عن أبيه ،
وقال : (ستوى إلى جبل يعصفي من الماء . قال : لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان من
الغرقين) .

وقال ابن أبي حاتم : قرئ (١) على يونس بن عبد الأعلى ، أبقرفا ابن وهب ، أخبرني شبيب بن سعيد ، عن
أبي الجوزاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . « لو رحم الله من قوم نوح أحدا ، لرحم
إمرأة ، لما رأيت الماء حلت ولدها ثم صعدت الجبل ، فلما بلغها الماء صعدت به منكبا ، فلما بلغ الماء منكبا وضعت
ولدها على رأسها ، فلما بلغ الماء رأسها رفعت ولدها يديها . فلو رحم الله منهم أحدا لرحم هذه المرأة . »
هذا حديث غريب ، ورجاله ثقات . ونحى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح - عليه السلام - وهم الذين أمره
الله بحملهم معه .

وقوله : (إنك إن تذرهم يضلوا عبادك) ، أي : إنك إن أبقيت منهم أحدا أضارا عبادك ، [أي : الذين] تخلفهم
بعنهم ، (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) ، أي : فاجرا في الأعمال كافر القلب ، وذلك لخبرته بهم ومكانته بين أظهرهم
ألف سنة إلا خمسين عاما .

ثم قال : (رب ، اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا) ، قال الضحاك : بيتي مسجدي . ولا مانع من حمل
الآية على ظاهرها ، وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن ، وقد قال الإمام أحمد :

حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حيوة ، أنبأنا سالم بن خيلان ، أن الوليد بن قيس السجستاني أخبره : أنه سمع
أبا سعيد الخدري - أو : عن أبي الميثم ، عن أبي سعيد : - أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :
« لا تصحب إلا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك إلا تقي (١) . »

ورواه أبو داود والترمذي ، من حديث عبد الله بن المبارك ، عن حيوة بن شريح ، به . ثم قال الترمذي : « إنما نعرفه
من هذا الوجه (٢) . »

وقوله : (وللمؤمنين والمؤمنات) : دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات ، وذلك يعتم الأحياء منهم والأموات .
وهذا يستحب مثل هذا الدعاء ، اقتداء بنوح عليه السلام ، وما جاء في الآثار والأدعية المشروعة .

وقوله : (ولا ترد للظالمين إلا تبارا) - قال السدي : إلا ملاقا . وقال جاهد : إلا خسارا (٣) . أي : في الدنيا
والآخرة .

آخر تفسير سورة نوح

(١) في الضلوة ، « لما قرئ » .

(٢) مصنف الإمام أحمد ٣٨/٢ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب « من يؤمر أن يجالس » ، تحت الأخرى ، أبواب الزهد ، باب « ما جاء في صحبه
المؤمن » ، الحديث ٢٥٠٦ - ٧٥/٧ - ٧٦ .

(٤) تفسير الطبري : ٦٤/٢٩ .

تفسير سورة الجن

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾

يقول تعالى أمرا رسوله - صلى الله عليه وسلم - ان يخبر قومه : ان الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه . وانقادوا له فقال تعالى : (قل : أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدي إلى الرشاد) ، أى : إلى السداد والتجاح ، (فآمننا به ، ولن نشرك بربنا أحدا) . وهذا المقام شبيه بقوله تعالى : (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) (١) . وقد قدمنا الأحاديث الواردة في ذلك مما أغنى عن إعادتها هاهنا (٢) .

وقوله : (وأنه تعالى جد ربنا) - قال على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : (جد ربنا) ، أى : فعله وأمره وقدرته (٣) .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : جد الله : آلاؤه وقدرته ولعمته على خلقه ؛

وروى عن مجاهد وعكرمة : جلال ربنا . وقال قتادة : تعالى جلاله وعظمته وأمره . وقال السدي : تعالى أمر ربنا ؛ وعن أبي الدرداء ومجاهد أيضا وابن جريج : تعالى ذكره . وقال سعيد بن جبير (تعالى جد ربنا) ، أى : تعالى ربنا . فأما ما رواه ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : الجد أب . ولو علمت الجن أن في الإنس جدا ما قالوا تعالى جد ربنا .

فهذا إسناد جيد ، ولكن لست أفهم ما معنى هذا الكلام ، ولعله قد سقط شيء ، والله أعلم ؛

وقوله : (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) ، أى : تعالى عن اتخاذ صاحبة والأولاد [أى : قالت] الجن : تنزه الرب تعالى جلاله وعظمته ، حين أسلموا وآمنوا بالقرآن ، عن اتخاذ صاحبة والولد .

(١) سورة الأحقاف ، آية ٢٩ .

(٢) نصر : ٢٧٢/٧ - ٢٨٧ .

(٣) تفسير الطبري : ٦٥/٢٩ .

ثم قالوا : (وأنه كان يقول سفيها على الله شططا) - قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي : (سفيها) يعنون إبليس (شططا) ، قال السدي ، عن أبي مالك : (شططا) ، أي : جورا . وقال ابن زيد : ظاهرا) كبيرا .

ويحتمل أن يكون المراد بقولهم (سفيها) : اسم جنس لكل من زعم أن لله صاحبة أو ولدا . ولهذا قالوا : (وأنه كان يقول سفيها) ، أي : قبل إسلامه (على الله شططا) ، أي : باطلا وزورا . ولهذا قالوا : (وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا) ، أي : ما حسبنا أن الإنس والجن يثبتون على الكذب على الله في نسبة صاحبة والولد إليه . فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به ، علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك .

وقوله : (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا) ، أي : كنا نرى أن لنا فضلا على الإنس ، لأنهم كانوا يعوذون بنا ، أي : إذا نزلوا واديا أو مكانا موحشا من البراري وغيرها كما كان عادة العرب في جاهليتها . يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجن ، أن يصيبهم بشيء يسوؤهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخضارته ، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم (زادهم رهقا) ، أي : خوفا وإرهابا وذعرا ، حتى تبغوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذا بهم ، كما قال قتادة : (فزادهم رهقا) ، أي : إثمًا ، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة (٢) .

وقال الثوري ، عن منصور عن إبراهيم : (فزادهم رهقا) ، أي : ازدادت الجن عليهم جراءة .

وقال السدي : كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فيترطها فيقول : أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أصروا أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ما شئني . قال : فإذا عاد بهم من دون الله ، رهقتهم الجن الأذى عند ذلك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، حدثنا الزبير ابن الخريت ، عن عكرمة قال : كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد ، وكان الإنس إذا نزلوا واديا هرب الجن ، فيقول سيد القوم : تعوذ بسيد أهل هذا الوادي . فقال الجن : نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم . فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخيل والجنون ، فذلك قول الله : (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا) .

وقال أبو العالية ، والربيع ، وزيد بن أسلم : (رهقا) ، أي : خوفا . وقال العوفي ، عن ابن عباس : (فزادهم رهقا) ، أي : إثمًا . وكذا قال : قتادة . وقال مجاهد : زاد الكفار طغيانا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا فروة بن أبي المغراء الكندي ، حدثنا القاسم بن مالك - يعني المزني - عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن أبيه ، عن كردم بن أبي السائب الأنصاري قال : خرجت مع أبي من المدينة في حاجة ، وذلك أول ما ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة ، فأوانا المبيت إلى راعي غنم . فلما انتصف الليل جاء ذئب

(١) تفسير الطبري ٦٧/٢٩ .

(٢) تفسير الطبري ٦٩/٢٩ .

فأخذ حَمَلًا من الغنم ، فوثب الراعى فقال : يا عامر الوادى ، جارك . فنادى مناد لا تراه ، يقول : يا سِرْحَان (١) ، أرسله . فأنى الحمل يشند (٢) حتى دخل فى الغنم لم تصبه كدمة . وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة : (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً) (٣) .

ثم قال : وروى عن عبيد بن عمير ، ومجاهد ، وأبي العالية ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم النخعي ، نحوه .

وقد يكون هذا الذئب الذى أخذ الحمل - وهو ولد الشاة - كان جنياً حتى يهرب الإنسى ويخاف منه ، ثم رده عليه لما استجار به ، ليضله ومهينه ، ويخرجه عن دينه ، والله أعلم .
وقوله : (وأمهم ظنوا كما ظنتم أن لن يبعث الله أحداً) ، أى : لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولا . قاله الكلبى ، وابن جرير (٤) .

وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشَهَابًا ﴿٥﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ
يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا ﴿٦﴾ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿٧﴾

نحى تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - وأنزل عليه القرآن ، وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرساً شديداً ، وحفظت من سائر أرجائها ، وطردت الشياطين عن مقاعدها التى كانت تقعد فيها قبل ذلك ، لئلا يسترقوا شيئاً من القرآن . فيلقوه على ألسنة الكهنة ، فيلبس الأمر ويختلط ولا يندرى من الصادق . وهذا من لطف الله خلقه ، ورحمته بعباده ، وحفظه لكتابه العزيز ، ولهذا قالت الجن : (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً) ، [أى : من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهاباً رصداً] له ، لا يتخطاه ولا يتعداه ، بل يحقه ومهلكه ، (وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً) ، أى : ما ندرى هذا الأمر الذى قد حدث فى السماء ، لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض ، أم أراد بهم ربهم رشداً ؟ وهذا من أدبهم فى العبارة حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل ، والخير أضافوه إلى الله عز وجل . وقد ورد فى الصحيح : « الشر ليس إليك » . وقد كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك ، ولكن ليس بكثير بل فى الأحيان بعد الأحيان ، كما فى حديث (٥) ابن عباس : بينما نحن جلوس مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا رى بنجم فاستنار ، فقال : « ما كنتم تقولون فى هذا ؟ » قلنا : كنا نقول : يولد عظيم ، يموت عظيم . فقال : « ليس كذلك ، ولكن الله إذا قضى الأمر فى السماء ... وذكر تمام الحديث ، وقد أوردناه فى « سورة سبأ » (٦) سبأً بتمامه . وهذا هو السبب

(١) السرحان - بكسر فسكون - : الذئب ، وقيل : الأسد .

(٢) أى : يسرع .

(٣) انظر أسد الغابة ، ترجمة كردم بن أبى السنايل ، وقيل : ابن أبى السائب : ٤/٦٤٤ ، بتحقيقنا .

(٤) تفسير الطبرى : ٦٩/٢٩ .

(٥) فى المخطوطة : « كما فى حديث العباس » . وقد تقدم الحديث فى سورة سبأ عن ابن عباس .

(٦) انظر تفسير الآية الثالثة والعشرين من سورة سبأ : ٥٠٣/٦ - ٥٠٤ .

الذي حتمهم على تطلب السبب في ذلك ، فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاريها ، فوجدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ بأصحابه في الصلاة ، فعرفوا أن هذا هو الذي حتمت من أجله السماء ، فأمن من آمن منهم ، وتمرد في طغيانه من بقي ، كما تقدم حديث ابن عباس في ذلك ، عند قوله في «سورة الأحقاف» : (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن) (١) ... الآية . ولا شك أنه لما حدث هذا الأمر ، وهو كثرة الشهب في السماء والري بها ، حال ذلك الإنس والجن وانزعجوا له وارتاعوا لذلك ، وظنوا أن ذلك لخراب العالم - كما قال السدي : لم تكن السماء تخرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر ، وكانت الشياطين قبل محمد - صلى الله عليه وسلم - قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا ، يستمعون ما يحدث في السماء من أمر . فلما بعث الله محمداً نبياً ، رجعوا ليلة من الليالي . ففرغ لذلك أهل الطائف ، فقالوا : هلك أهل السماء ، لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب . فجمعوا يعتقدون أرقاعهم ويُسَيِّبُونَ مواشيهم ، فقال لهم عبد البليل بن عمرو بن عمير : ويحكم يا معشر أهل الطائف ، أمسكوا عن أموالكم ، وانظروا إلى معالم النجوم ، فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء ، إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة - يعني محمداً صلى الله عليه وسلم - وإن أنتم لم تروها فقد هلك أهل السماء . فنظروا فرأوها ، فكفوا عن أموالهم . وفرغت الشياطين في تلك الليلة ، فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم ، فقال : اتنوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها . فأتوه فشمّ فقال : صاحبكم بمكة . فبعث سبعة نفر من جن نصيبين ، فقدموا مكة فوجدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائماً يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن ، فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلاً كلهم (٢) تصيبه ، ثم أسلموا . فأنزل الله - تعالى - أمرهم على نبيه - صلى الله عليه وسلم - وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى في أول البحث من (كتاب السيرة) المطول ، والله أعلم ، والله الحمد والمثبة .

وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرِيقَ قِدَادًا ﴿١٧﴾ وَأَنَا ظَنُّنَا أَنْ لَنْ نَعْبِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نَعْبِزَهُ هَرَبًا ﴿١٨﴾ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهَيْدَىءَ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْصًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٩﴾ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَدِيسُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿٢٠﴾ وَأَمَّا الْقَدِيسُونَ فَكَانُوا لِحَبْلِهِمْ خَطْبًا ﴿٢١﴾ وَالْوَالِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿٢٢﴾ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿٢٣﴾

يقول مخبر عن الجن : إنهم قالوا مخبرين عن أنفسهم : (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك) [أي ، غير ذلك] (كنا طرائق قداداً) ، أي : طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : (كنا طرائق قداداً) ، أي : منا المؤمن ومنا الكافر .

وقال أحمد بن سليمان النجاد في أماليه ، حدثنا أسلم بن سهل بحشيش ، حدثنا علي بن الحسن بن سليمان - وهو

أبو الشعثاء الحضرمي ، شيخ مسلم - حدثنا أبو معاوية قال : سمعت الأعمش يقول : نروح لإبنا جنى . فقلت له :

(١) سورة الأحقاف ، آية : ٢٩ ، وانظر : ٢٧٢/٧ - ٢٧٢ .

(٢) أي : صدورهم .

ما أحب الطعام إليكم؟ فقال الأرز. قال: فأزيناكم به، فجعلت أرى اللثم تزفع ولا أرى أحدا. فقلت: فيكم من هذه الأهواء التي فينا؟ قال: نعم. قلت: فما الراضة فيكم؟ قال: شرنا.

عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي فقال: هذا إسناد صحيح إلى الأعمش؛ وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة العباس بن أحمد الدمشقي قال: سمعت بعض الجن (١) وأنا في متروني بالليل ينشد:

قُلُوبٌ بَرَّأها الحَبِّ حَتَّى تَمَلَّتْ مَدَّةَ أَهْبِها فِي كُلِّ قَرْبٍ وَشَارِقٍ
تَهْمُ بِحَبِّ اللَّهِ ، وَاللَّهُ رَبُّها مَعْلَمَةٌ بِاللَّهِ دُونَ الخَلْقِ (٢)

وقوله: (وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا)، أي: نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا وأنا لا نعجزه في الأرض، ولو أمعنا في الحرب، فانه علينا قادر، لا يعجزه أحد منا.

(وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به): يفخرون بذلك، وهو مغفر لهم، وشرف رفيع، وصفة حسنة؛

وقولهم: (فن يؤمن بربه فلا يخاف تحسنا ولا رهقا) - قال ابن عباس، وقتادة، وغيرهما: فلا يخاف أن يُنقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته، كما قال تعالى: (فلا تأف ظلما ولا هضميا (٣)).

(وأنا من المسلمون وما القاسطون)، أي: من المسلم وما القاسط، وهو: الجائر عن الحق الناكب عنه، بخلاف

المقسط فانه العادل، (فن أسلم فأولئك تحروا رشدا)، أي: طلبوا لأنفسهم النجاة. (وأما القاسطون فكانوا لجهنم خطبا) أي: وقودا تسعر بهم.

وقوله: (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا. لفتنهم فيه) - اختلف المفسرون في معنى هذا

قولين:

أحدهما: وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها، (لأسقيناهم ماء غدقا)، أي: كثيرا. والمراد بذلك سعة الرزق، كقوله تعالى: (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم، لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم (٤)). وكتوله: (ولو أن أهل القري آمنوا واتقوا، لفتننا عليهم بركات من السماء والأرض) (٥). وعلى هذا يكون معنى قوله: (لفتنهم فيه)، أي: لنختبرهم، كما قال مالك، عن زيد بن أسلم: (لفتنهم): لبتناهم، من يسسر سلى الهداية من يرد إلى الغواية؟

ذكر من قال بهذا القول: قال العوفي، عن ابن عباس: (وأن لو استقاموا على الطريقة): يعني بالاستقامة الطاعة (٦). وقال مجاهد: (وأن لو استقاموا على الطريقة)، قال: الإسلام. وكذا قال سعيد بن جبير، وسعيد ابن المسيب، وعطاء، والسدي، ومحمد بن كعب القرظي.

(١) في تاريخ مدينة دمشق: «أخي».

(٢) تاريخ مدينة دمشق ميكرو فيلم بمهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية، برقم ١٢٥ تاريخ الجزء الخامس، عن مكتبة أحمد الثالث.

(٣) سورة طه، آية: ١١٢.

(٤) سورة المائدة، آية: ٦٦.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٩٦.

(٦) تفسير الطبري: ٧٢/٢٩.

وقال قتادة: (وأن لو استقاموا على الطريقة) ، يقول: لو آمنوا كلهم لأرسلنا عليهم من الدنيا .
 وقال مجاهد: (وأن لو استقاموا على الطريقة) ، أي: طريقة الحق . وكذا قال الضحاك ، واستشهد على ذلك
 بالآيتين اللتين ذكرناهما ، وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا في قوله: (لنفتنهم فيه) ، أي: لنبتليهم به .
 وقال مقاتل: نزلت في كفار قريش حين منعوا المطر سبع سنين .
 والقول الثاني: (وأن لو استقاموا على الطريقة): الضلالة (لأسقيناها ماء غدقا) ، أي: لأوسعنا عليهم في الرزق
 استدراجا ، كما قال: (فلما نسوا ما ذكروا به ، فتحنا عليهم أبواب كل شيء ، حتى إذا فرحوا بما أتوا أخذناهم
 بغتة ، فاذا هم مبلسون (١)) . وكقوله: (أحسبون أننا نمدهم به من مال وبنين . نسارع لهم في الخيرات؟ بل لا يشعرون (٢))
 وهذا قول أبي مجازز لاحق بن حُمَيد ، فإنه قال في قوله: (وأن لو استقاموا على الطريقة) ، أي: طريقة الضلالة .
 رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وحكاه البغوي عن الربيع بن أنس ، وزيد بن أسلم ، والكلبى ، وابن كيسان .
 وله اتجاه ويتأيد بقوله: (لنفتنهم فيه) .

وقوله: (ومن يعرض عن ذكر ربه تسلكه (٣) عذابا صعبا) ، أي: عذابا شاقا شديدا موجعا مؤلما .
 قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقاتدة ، وابن زيد: (عذابا صعبا) ، أي: مشقة لا راحة معها .
 وعن ابن عباس: جبل في جهنم . وعن سعيد بن جبير: [بر] فيها .

وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدَ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكْفُرُونَ عَلَيْهِ لَبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ
 إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُخْرِجَنِي مِنَ اللَّهِ
 أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ . وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ
 خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْأَلُونَ مَنْ أضعف ناصرا وأقل عددا ﴿٢٤﴾

يقول تعالى أمرًا لعباده أن يوحدوه في مجال عبادته ، ولا يُدعى معه أحد ولا يشرك به ، كما قال قتادة في قوله:
 (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) - قال: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعتهم ، أشركوا بالله ،
 فأمر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يوحدوه وحده (٤) .
 وقال ابن أبي حاتم: ذكر علي بن الحسين: حدثنا إسماعيل ابن بنت السدي ، أخبرنا رجل مناه ، عن السدي ،
 عن أبي مالك - أو: أبي صالح - عن ابن عباس في قوله: (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) ، قال: لم يكن
 يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ، ومسجد إيليا: بيت المقدس .

(١) سورة الأنعام ، آية: ٤٤ .

(٢) سورة «المؤمنون» ، آية: ٥٥ - ٥٦ .

(٣) كذا في مخطوطة الأزهر (نسلكه) ، بالنون ، ويقول أبوحيان في البحر المحيط ٣٥٢/٨ : «وقرأ الجمهور
 (يسلكه) بالياء ، وباقي السبعة بالنون» .

(٤) تفسير الطبري: ٧٣/٢٩ .

وقال الأعمش : قالت الجن : يا رسول الله : ائذن لنا نشهد معك الصلوات في مسجدك . فأنزل الله : (وأن المساجد فلا تدعوا مع الله أحدا) . يقول : صلوا ، لا تخالطوا الناس .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهرا ، حدثنا سفیان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن محمود ، عن صفية ابن جبير : (وأن المساجد لله) قال : قالت الجن لئن صلى الله عليه وسلم : كيف لنا أن نأق المسجد ونحن نؤمن ؟ [وكيف نشهد الصلاة ونحن نؤمن عنك ؟] فترلت : (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا (١)) .

وقال سفیان ، عن خصيف ، عن عكرمة : نزلت في المساجد كلها .

[وقال (٢) سعيد بن جبير . نزلت في أعضاء السجود ، أي : هي لله فلا تسجدوا بها لغيره . وذكروا عند هذا القول الحديث الصحيح ، من رواية عبد الله بن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس (٣) - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أمرت أن أسجد على سبعة أعظم : على الجبهة - أشار بيده إلى أنفه - واليدين والركبتين وأطراف القدمين (٤) » .

وقوله : (وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) - قال العوفي ، عن ابن عباس يقول : لما سمعوا النبي - صلى الله عليه وسلم - يتلو القرآن كادوا يركبونه ، من الخرس ، لما سمعوه يتلو القرآن ، وذنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه : (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) ، يستمعون القرآن .

هذا قول ، وهو مروى عن الزبير بن العوام ، رضي الله عنه .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن معمر ، حدثنا [أبو مسلم (٥)] ، عن أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس قال : قال الجن لقومهم : (لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) ، قال : لما رأوه يصلي وأصحابه يركعون يركعوه ويسجدون بسجوده ، قال : عجبوا من طواعية أصحابه له ، قال : فقالوا لقومهم : (لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا (٦)) .

وهذا قول ثان ، وهو مروى عن سعيد بن جبير أيضا .

وقال الحسن : لما قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « لا إله إلا الله » ، ويدعو الناس إلى ربهم ، كادت العرب تكلم عليه جميعا (٧) .

وقال قتادة في قوله : (وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) ، قال : تكلمت الإنس والجن على هذا الأمر ليظننوه ، فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناواه .

(١) تفسير الطبري : ٢٩ / ٧٣ .

(٢) من هنا غير ثابت في مخطوطة الأزهر .

(٣) البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب « السجود على الأنتف » : ٢٠٦ / ١ . ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب « أعضاء السجود » ، وأنهى عن كف الشعر والثوب وعقب الرأس في الصلاة : ٥٢ / ٢ .

(٤) إلى هنا ينهى ما أثبت عن الطبقات السابقة .

(٥) في المخطوطة : « حدثنا ابن هشام » . والمثبت عن تفسير الطبري ، والطبقات السابقة من ابن كثير .

(٦) تفسير الطبري : ٧٤ / ٢٩ .

(٧) تفسير الطبري : ٧٥ / ٢٩ . وفيه : « كادت العرب تكون عليه جميعا » .

وهذا قول ثالث ، وهو مروي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقول ابن زيد ، واختبار ابن جرير ، وهو الأظهر لقوله بعده : (قال (١) : إنما أدعوني ولا أشرك به أحدا) ، أي : قال لهم الرسول - لما آذوه وخالفوه وكنبوه وتظاهروا عليه ، ليبتلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته : (إنما ادعوني) ، أي : إنما أعبد ربي وحده لا شريك له ، وأستجير به وأتوكل عليه ، (ولا أشرك به أحدا) .

وقوله : (قل : إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) ، أي : إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي ، وعبد من عباد الله ليس لي من الأمر شيء في هدايتكم ولا هوائتكم ، بل المرجع في ذلك كله إلى الله عز وجل .

ثم أخبر عن نفسه أيضا أنه لا يجيره من الله أحد ، أي : لو عصيته فإنه لا يقدر أحد على إثمادي من عذابه ، (ولن أجد من دونه ملتحدا) ، قال مجاهد ، وقتادة ، والسدي : لا ملجأ . وقال قتادة أيضا : (قل : إن لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا) ، أي : لا نصير ولا ملجأ . وفي رواية : لا ولي ولا موئل .

وقوله تعالى : (إلا بلاغا من الله ورسالاته) ، قال بعضهم : هو مستثنى من قوله (لا أملك لكم ضرا ولا رشدا إلا بلاغا) ويحتمل أن يكون استثناء من قوله : (لن يجيرني من الله أحد) ، أي : لا يجيرني منه ويخلصني إلا لبلاغ الرسالة التي أوجب أداءها علي ، كما قال تعالى : (يا أيها الرسول ، بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فإبلاغ رسالته ، والله يعصمك من الناس (٢)) .

وقوله : (ومن بعض الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا) أي إنما أبلغكم رسالة الله فمن بعض بعد ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم خالدين فيها أبدا ، لا محيد لهم عنها ، ولا خروج لهم منها .

وقوله : (حتى إذا رآوا ما يوعدون فسيعلمون يومئذ من أضعف نصرا وأقل عددا) ، أي : حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة ، فسيعلمون يومئذ من أضعف نصرا وأقل عددا ؟ هم أم المؤمنون الموحدون لله عز وجل ، ، أي : بل المشركين لا نصير لهم بالكلية ، وهم أقل عددا من جنود الله عز وجل .

قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبٌ مَا تُوْعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمْدًا ﴿٢٩﴾ عَلِيمٌ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٣٠﴾
إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٣١﴾ لَيَعْلَمَنَّ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ
وَإِحْاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٣٢﴾

يقول تعالى أمراً رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يقول للناس : إنه لا علم له بوقت الساعة ، ولا يدري أقرب وقتها أم بعيد ؟ (قل : إن أدري أقرب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا ؟) ، أي : مدة طويلة .

وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذي يتداوله كثير ، من الجهلة من أنه - عليه السلام - لا يؤتف تحت الأرض ، كذب لا أصل له ، ولم نره في شيء من الكتب . وقد كان - صلى الله عليه وسلم - يسأل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها ، ولما تبدى له جبريل في صورة أعرابي كان فيما سأله أن قال : يا محمد ، فأخبرني عن الساعة ؟

(١) كذا في مخطوطة الأزهر (قال) . وهي قراءة الجمهور ، انظر البحر المحيط لأبي حيان : ٢٥٢/٨ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ٦٧ .

قال : « ما المشغول عنها بأعلم من السائل » . ولما ناداه ذلك الأعرابي بصوت جهوري فقال : يا محمد ، متى الساعة ؟ قال : « ويحك . إنها كاتبة ، فما أعددت لها ؟ » . قال : أما إنني لم أعد لها كثير صلاة ولا صيام ، ولكني أحب الله ورسوله . قال : « فأنت مع من أحببت » . قال أنس : فمما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حاتم أبي ، حدثنا محمد بن (٢) مصفى ، حدثنا محمد بن حمير (٣) ، حدثني أبو بكر بن أبي مريم ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « يا بني آدم ، إن كنتم لا تعلمون (٤) ففعلوا أنفسكم من الموت ، والذي نفسي بيده إنما توعدون لآت » .

وقد قال أبو داود في آخر كتاب الملاحم : حدثنا موسى بن سهل ، حدثنا حجاج بن إبراهيم ، حدثنا ابن وهب ، حدثني معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن أبيه ، عن أبي ثعلبة الخشني قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن ينجز الله هذه الأمة (٥) من نصف يوم (٦) » .

انفرد به أبو داود ، ثم قال أبو داود :

حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثني صفوان ، عن شريح بن عبيد ، عن سعد بن أبي وقاص عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إني لأرجو أن لا تعجز أمي عند ربها أن يوحى بهم نصف يوم » . قيل لسعد : وكم نصف يوم ؟ قال : خمسينة عام . انفرد به أبو داود (٦) .

وقوله : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . إلا من ارتضى من رسول) : هذه كقولها تعالى : (ولا يعلمون بشيء من علمه إلا بما شاء (٧)) . وهكذا قال هانئ : إنه يعلم الغيب والشهادة ، وإنه لا يطلع أحد من خلقه على شيء من علمه إلا بما أطلعته تعالى عليه ، ولهذا قال : (فلا يظهر على غيبه أحدا . إلا من ارتضى من رسول) ، وهذا يعم الرسول الملكي والبشري .

ثم قال : (فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه وحدا) : أي : يختصه بزيادة معقبات من الملائكة شفقتونه من أمر الله ، ويسبقونه على منامه من وحى الله . ولهذا قال : (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، وأحاط بما ليس لهم ، وأحصى كل شيء عددا) .

وقد اختلف المتسرون في التفسير الذي في قوله : (ليعلم) إلى من يعود ؟ فقيل : إنه عائذ على النبي صلى الله عليه وسلم :

- (١) تقدم الحديث عند تفسير الآية ١٨٧ من سورة الأعراف وخبرناه هناك ، انظر : ٢٢٣/٣ .
- (٢) في المخطوطة : « محمد بن معا » . ولم نجد . والمثبت مما تقدم في تفسير آية الأنعام ١٣٤ : ٢٣٥/٣ . ويقول ابن أبي حاتم في البحر والتمثيل ١٠٤/١/٤ : « محمد بن المنصور الحمصي ، روى عن محمد بن حمير ... كتب عنه أبي وروى عنه » .
- (٣) في المخطوطة : « محمد بن جبير » ، انظر التعليق المتقدم .
- (٤) في المخطوطة : « وتعلمون » . والمثبت عن السيادة التي تقدمت في سورة الأنعام : ٢٣٥/٣ .
- (٥) في المخطوطة : « وهذه الآية » . والمثبت عن سنن أبي داود .
- (٦) سنن أبي داود ، كتاب الملاحم ، باب « قيام الساعة » .
- (٧) سورة البقرة ، آية : ٢٢٥ .

قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب القمسي ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير في قوله : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ، قال : أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل ، (ليعلم) محمد صلى الله عليه وسلم (أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، وأحاط بما لديهم ، وأحصى كل شيء عدداً (١)) .

ورواه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القمسي ، به . وهكذا رواه الضحاك ، والسدي ، ويزيد بن أبي حبيب :

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة : (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) ، قال : ليعلم نبي الله أن الرسل قد بلغت عن الله ، وأن الملائكة حفظتها ودفعتها عنها . وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة . واختاره ابن جرير . وقيل غير ذلك ، كما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله : (إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) ، قال : هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي من الشيطان ، حتى يتبين (٢) الذي أرسل [به] إليهم ، وذلك حين يقول ، ليعلم أهل الشرك (٣) أن قد أبلغوا رسالات ربهم (٤) .

وكذا قال ابن أبي نجیح ، عن مجاهد : (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) ، قال : ليعلم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم . وفي هذا نظر .

وقال البغوي : قرأ يعقوب : (ليعلم) ، بالضم ، أي : ليعلم الناس أن الرسل قد سلّوا ،

ويحتمل أن يكون الضمير عائداً إلى الله - عز وجل - وهو قول حكاة ابن الجوزي في « زاد المسير (٥) » . ويكون المعنى في ذلك : أنه يحفظ رساله ملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته ، ويحفظ ما بين إليهم من الوحي ، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، ويكون ذلك كقوله : (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه (٦)) ، وكقوله : (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين (٧)) ، إلى أمثال ذلك ، مع العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعاً لا محالة ، ولهذا قال بعد هذا : (وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً) .

آخر تفسير سورة الجن ، والله الحمد والمنة

(١) تفسير الطبري : ٧٧/٢٩ .

(٢) في المخطوطة : « حتى يتبين الذين أرسل إليهم » . وانثبت من تفسير الطبري . ولفظ الدر المنثور ٢٧٥/٦ : « حتى يتبين النبي أرسل إليهم به » .

(٣) لفظ الطبري : « وذلك حين يقول ، ليعلم أن قد أبلغوا ... » . ولفظ الدر المنثور : « وذلك حين يقول أهل الشرك : قد أبلغوا رسالات ربهم » . ويبدو أنه لا بد من هذه الزيادة ، وهي « أهل الشرك » بدليل أثر مجاهد الذي يلي أثر ابن عباس .

(٤) تفسير الطبري : ٧٧/٢٩ .

(٥) زاد المسير ، تفسير سورة الجن : ٣٨٦/٨ .

(٦) سورة البقرة ، آية : ١٤٣ .

(٧) سورة المتكويث ، آية : ١١ .

تفسير سورة المزمل

وهي مكية

قال الحافظ أبو بكر بن عمرو بن عبد الخالق البزار : حدثنا محمد بن موسى القطان الواسطي ، حدثنا معلى بن عبد الرحمن حدثنا شريك ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر قال : اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا : سمو هذا الرجل اسما تصدر الناس عنه . فقالوا : كاهن . قالوا : ليس بكاهن . قالوا : مجنون . قالوا : ليس بمجنون . قالوا : ساحر . قالوا : ليس بساحر . فتفرق المشركون على ذلك ، فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فترمل في ثيابه وتندثر فيها . فأتاه جبريل عليه السلام فقال : (يا أيها المزمل) ، (يا أيها المدثر) .

ثم قال البزار : معلى بن عبد الرحمن : قد حدث عنه جماعة من أهل العلم ، واحتملوا حديثه ، لكنه نثره بأحاديث لا ينابيع عليها .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ① ثُمَّ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا ② تَصَفَّهُ ③ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ④ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ
تَرْتِيلًا ⑤ إِنَّا سُنِّقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيْلًا ⑦ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ
سَبْعًا طَوِيلًا ⑧ وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَنَسَّلْ إِلَيْهِ تَتَبِيلًا ⑨ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ⑩

يأمر تعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يترك التزمل ، وهو : التغلطي في الليل ، وينهض إلى القيام لربه سهو وجل - كما قال تعالى : (تتجاني جنوبيهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفا وطمعا ، ومما رزقناهم ينفقون (١)) ، وكذلك كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثالا ما أمره الله تعالى به من قيام الليل ، وقد كان واجبا عليه وحده ، كما قال تعالى : (ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، حتى أن يبحتك ربك مقاما محموداً (٢)) . وهما بين له مقدار ما يقوم فقال تعالى : (يا أيها المزمل . ثم الليل إلا قليلا) .

قال ابن عباس ، والضحاك ، والسدي : (يا أيها المزمل) ، يعني : يا أيها التالم . وقال قتادة : المزمل في ثيابه . وقال إبراهيم النخعي : نزلت وهو مستزمل بقطيفة .

(١) سورة السجدة ، آية : ١٦ .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ٧٩ .

وقال شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (يا أيها الزمّل) ، قال : يا محمد ، زُملت القرآن ،
وقوله : (نصفه) : بدل من الليل ، (أو انقص منه قليلاً . أو زد عليه) ، أي : أمرناك أن تقوم نصف الليل
بزيادة قليلة أو نقصان قليل ، لا حرج عليك في ذلك .

وقوله : (ورتل القرآن ترتيلاً) ، أي : اقرأه على تمهل ، فانه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره . وكذلك كان
يقراً صلوات الله وسلامه عليه ، قالت عائشة : كان يقرأ السورة غير تائها ، حتى تكون أطول من أطول منها . وفي صحيح
البخاري ، عن أنس : أنه سُئِلَ عن قراءة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : كانت مبدأ ، ثم قرأ :
(بسم الله الرحمن الرحيم) ، يمد بسم الله ، ويمد الرحمن ، ويمد الرحيم (١) .

وقال ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة : أنها سُئِلت عن قراءة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
تتالت : كان يقطع قراءته آية آية (بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم
الدين) . رواه أحمد ، وأبو داود : والترمذي (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي
- صلى الله عليه وسلم - قال : « يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارق (٣) ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فان منزلتك
هذه آخر آية تقرؤها (٤) » .

ورواه أبو داود ، والترمذي والنسائي ، من حديث سفيان الثوري ، به . وقال الترمذي : « حسن صحيح (٥) » .
وقد قدمنا في أول التفسير الأحاديث الدالة على استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة ، كما جاء في الحديث :
« زينوا القرآن بأصواتكم » ، و « ليس منا من لم يتغن بالقرآن (٦) » ، و « لقد أوتى هذا مرام من مزامير آل داود (٧) » .
يعني أبا موسى ، فقال أبو موسى : لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قرائي لخبرته لك بغيري .

(١) البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب « مد القراءة » : ٢٤١/٦ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣٠٢/٦ . وسنن أبي داود ، كتاب الحروف . وتحفة الأحوذى ، أبواب فضائل القرآن ، باب
« ما جاء كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم » ، الحديث ٣٠٩١/٨ : ٢٤١-٢٤٥ .
(٣) كذا في المخطوطة ، ومثله في الترمذي . وفي سنن أبي داود : « وارتق » . وفي مسند الإمام أحمد : « وارقاً » . والمعنى :
اصعد إلى درجات الجنة .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٩٢/٢ .

(٥) سنن أبي داود ، كتاب الوتر ، باب « استحباب الترتيل في القراءة » . وتحفة الأحوذى ، أبواب فضائل القرآن ،
الحديث ٣٠٨١ : ٢٢٢/٨ .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب الوتر ، باب « استحباب الترتيل في القراءة » . والنسائي ، كتاب الانتحاح ، باب « تزين
القرآن بالصوت » : ١٧٩/٢ . وابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة ، باب « في حسن الصوت بالقرآن » ، الحديث ١٣٤٢ :
٤٢٦/١ . ومسند الإمام أحمد ، عن البراء بن عازب : ٢٨٣/٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٤ .

(٧) البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى « (وأسرؤا قولكم أو أجهروا به) » : ١٨٨/٩ . وسنن أبي داود ،
كتاب الوتر ، باب « استحباب الترتيل في القراءة » . ومسند الإمام أحمد عن سعد بن أبي وقاص : ١٧٢/١ ، ١٧٥ ، ١٧٩ .
(٨) البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب « حسن الصوت بالقراءة » : ٢٤١/٦ . ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب

« استحباب تحسين الصوت بالقرآن » : ١٩٢/٢ - ١٩٣ .

وعن ابن مسعود أنه قال : لا تشروه نثر الزمل ، ولا تهذوه هذا الشعر (١) ، ففوا عند عجائبه ، وحركوا به القلوب ، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة . رواه البغوي .

وقال البخاري : حدثنا آدم ، حدثنا شعبة ، حدثنا عمرو بن مرة : سمعت أبا وائل قال : جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : قرأت المفصل الليلة في ركعة . فقال : هكذا كهذا الشعر . لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرن بينهما . فذكر عشرين سورة من المفصل ، سورتين في ركعة . (٢)

وقوله : (إنا ستاق عليك قولا ثقيلًا) ، قال الحسن ، وقناة : أي العمل به (٣) ، وقيل : ثقيل وقت نزوله ، من عظمته . كما قال زيد بن ثابت : أنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفخذاه على فخذى ، فكادت ترض فخذى (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن عمرو بن الوليد ، عن عبد الله بن عمرو قال : سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا رسول الله ، هل تحس بالوحي ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أسمع صلاصيل » ، ثم أسكت عند ذلك ، فما من مرة يوحى إلى إلا ظننت أن نفسي تكفيض (٥) ، ففرد به أحمد (٦) .

وفي أول صحيح البخاري عن عبد الله بن يوسف ، عن مالك ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة : أن الخارث ابن هشام سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : كيف يأتيك الوحي ؟ فقال : « أحيانًا يأتيني في مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليّ ، فيفصم (٧) عنى وقد وعيت عنه ما قال » ، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول » ، قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي - صلى الله عليه وسلم - في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه وإن جبينه ليترعد عرقًا . هذا لفظه (٨) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، أخبرنا عبد الرحمن ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : إن كان ليروحي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو على راحلته ، فتضرب بجرانها (٩) . وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته ، وضعت جرانها ، فما تستطيع أن تحرك حتى يسرى عنه (١٠) .

(١) أي : لا تسرعوا في قراءته كما تسرعوا في قراءة الشعر ، والخذ : سرعة القطع .

(٢) البخاري ، كتاب الصلاة ، باب « الجمع بين السورتين في ركعة » : ١٩٧/١ .

(٣) تفسير الطبري : ٨٠/٢٩ .

(٤) البخاري ، كتاب الصلاة ، باب « ما يذكر في الفخذ » : ١٠٣/١ . وتفسير سورة النساء : ٥٩/٦ - ٦٠ .

(٥) أي : تخرج .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٢٢٢/٢ .

(٧) أي : يتلعق . يقال : أضغم المطر ، إذا أطلع وانكشف .

(٨) البخاري : ٣-٢/١ .

(٩) مسند الإمام أحمد : ١١٨/٦ . والجران : باطن العنق . والمعنى : أنها تثبت في مكانها .

(١٠) تفسير الطبري : ٨٠٢/٩ .

وهذا مرسل . الجران ، هو باطن العنق .

واختار ابن جرير أنه ثقيل من الوجهين معا ، كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كما ثقل في الدنيا ثقل يوم القيامة في الموازين (١) .

وقوله : (إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قبلا) - قال أبو إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : نشأ : قام ، بالحيشة .

وقال عمر ، وابن عباس ، وابن الزبير : الليل كله ناشئة . وكذا قال مجاهد ، وغير واحد ، يقال : نشأ : إذا قام من الليل . وفي رواية عن مجاهد : بعد العشاء . وكذا قال أبو مجلز ، وقناة ، وسالم و [أبو] خازم ، ومحمد بن المنكدر .

والغرض أن ناشئة الليل هي : ساعاته وأوقاته ، وكل ساعة منه تسمى ناشئة ، وهي الآتات . والمتصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان ، وأجمع على التلاوة . ولهذا قال : (هي أشد وطأ وأقوم قبلا) ، أي : أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار ؛ لأنه وقت انتشار الناس وتخط الأصوات وأوقات المعاش .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا الأعمش : أن أنس بن مالك قرأ هذه الآية : (إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأصوب قبلا) ، فقال له رجل : إنما نقرأها (وأقوم قبلا) . فقال له : إن أصوب وأقوم وأهيا وأشبه هذا واحد .

وهذا قال : (إن لك في النهار سبعا طويلا) ، قال ابن عباس ، وعكرمة ، وعطاء بن أبي مسلم : الفراغ والنوم . وقال أبو العالية ، ومجاهد ، وأبو مالك ، والضحاك ، والحسن ، وقناة ، والربيع بن أنس ، وسفيان الثوري : فراغا طويلا .

وقال قناة : فراغا وبخية ومنقبأ .

وقال السدي : (سبعا طويلا) : تطوعا كثيرا .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : (سبعا طويلا) ، قال : لحوائجك ، فأفرغ لدينك الليل . قال : وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة ، ثم إن الله من على العباد فخففها ووضعها ، وقرأ : (قم الليل إلا قليلا) إلى آخر الآية ، ثم قال : (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل) حتى يبلغ : (فأقموا ما تيسر منه) [الليل نصفه أو ثلثه . ثم جاء أمر أوسع وأفسح وضع الفريضة عنه وعن أمته (٢)] فقال (٣) : وقال : (ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) . وهذا الذي قاله كما قاله (٤) .

والدليل عليه ما رواه الامام أحمد في مسنده حيث قال : حدثنا يحيى ، حدثنا سعيد بن أبي عسوية ، عن قناة ، عن زرارة بن أنوف ، عن سعد بن هشام (٥) : أنه طلق امرأته ثم ارتحل إلى المدينة ليبيع عقارا له بها ويجعله في الكراع (٦)

(١) تفسير الطبري : ٢٩ / ٨٠ .

(٢) ما بين القوسين عن تفسير الطبري . ونحشى أن يكون سقط نظر .

(٣) في المخطوطة : « وقال » . والمثبت عن تفسير الطبري أيضا .

(٤) تفسير الطبري : ٢٩ / ٨٣ .

(٥) في المخطوطة : « سعيد بن هشام » . والمثبت عن المسند والجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٢ / ٩٦ .

(٦) أي : فيشترى بدله الأسلحة والخيل ؛ وذلك لعزمه التجرد للجهاد .

والسلاح ، ثم يجاهد الروم حتى يموت . فلقى رهطاً من قومه فحدثوه أن رهطاً من قومه سنةً أرادوا ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : « أليس لكم في أسوة ؟ فنهاهم عن ذلك ، فأشهدهم على رجعتها ، ثم رجع إلينا فأخبرنا أنه أتى ابن عباس فسأله عن الوتر فقال : ألا أبتك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . قال : ائت عائشة فاسألها ثم ارجع إلي فأخبرني بردها عليك . قال : فأتيت على حكيم بن أفلح فاستلحقته (١) إليها ، فقال : ما أنا بقارها (٢) ؛ إني نهيته أن تقول في هاتين الشيعتين (٣) شيئاً ، فأبى فيهما إلا مضياً . فأقسمت عليه . فجاء معي ، فدخلنا عليها فقالت : حكيم ؟ وعرفته ، قال : نعم . قالت : من هذا معك ؟ قال : سعد بن هشام . قالت : من هشام ؟ قال : ابن عامر . قال : فترحمت عليه وقالت : نعم المرء كان عامر . قلت : يا أم المؤمنين ، أتبينني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : ألت تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى . قالت : فإن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم - كان القرآن . فهيمت أن أقوم ، ثم بدا لي قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : يا أم المؤمنين ، أتبينني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : ألت تقرأ هذه السورة : (يا أيها المزمل) ؟ قلت : بلى . قالت : فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم ، وأمسك الله خاتمها في السماء اثني عشر شهراً ، ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة ، فصار قيام الليل تطوعاً من بعد فريضة (٤) . فهيمت أن أقوم ، ثم بدا لي وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : يا أم المؤمنين ، أتبينني عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : كنا نعد له سواكه وطهوره ، فيبعثه (٥) الله لما شاء أن يبعثه من الليل ، فيتسوك ثم يتوضأ ثم يصلي ثمان ركعات لا يجلس فيهن إلا عند الثامنة ، فيجلس ويذكر ربه ويدعو [ويستغفر ثم ينهض ولا يسلم . ثم يصلي التاسعة فيقعد فيحمد ربه ويذكره ويدعو (٦)] . ثم يسلم تسليماً بسمعنا ، ثم يصلي ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم . فتلك إحدى عشرة [ركعة] يا بني . فلما أسن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأخذ (٧) اللحم ، أوتر بسبع ، ثم صلى ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم ، فتلك [تسع] يا بني . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها ، وكان إذا شغله عن قيام الليل نوم أو وجع أو مرض ، صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة ، ولا أعلم نبي الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ القرآن كله في ليلة [ولا قام (٦) ليلة] حتى أصبح ، ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان .

فأتيت ابن عباس فحدثته بحديثها ، فقال : صدقت ، أما لو كنت أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهني مشافهة (٨) .

(١) أي : طلبت منه مرافقته إياي في الذهاب إليها .

(٢) أي : لا أريد قربها .

(٣) يريد : شيعة على أصحاب الجبل .

(٤) في المسند : « فريضته » . وما في مسلم يوافق ما هنا .

(٥) أي : يوقظه ؛ لأن النوم أخو الموت .

(٦) ما بين القوسين سقط من المخطوطة ، والمثبت عن المسند .

(٧) في بعض روايات مسلم : « وأخذه » . والمعنى : وكثر لحمه . هذا ما قيل ، وهو خلاف صفة عليه السلام ، فإنه لم يكن خيماً سمياً ، نعم جاء في صفة - صلى الله عليه وسلم - أنه يادن مباسك ، والبادن : الضخم ، فلما قيل « يادن » أردف

« مباسك » ، وهو الذي يمسك بعض أعضائه بعضاً ، فهو معتدل الخلق . على أنه قد قيل في « وأخذ اللحم » : ضعف .

(٨) مسند الإمام أحمد : ٥٤/٦ .

هكذا رواه الامام أحمد بتمامه . وقد أخرجه مسلم في صحيحه ، من حديث قتادة ، بنحوه (١) :

طريق أخرى عن عائشة في هذا المعنى ، قال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا زيد (٢) بن الحُصَّاب - وحدثنا ابن حميد ، حدثنا مهرا ن قالوا جميعا ، واللفظ لابن وكيع . عن موسى بن عبيدة ، حدثني محمد بن طحلاء . عن أبي سلمة ، عن عائشة قالت : كنت أجعل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حصيرا يصلي عليه من الليل . فتسامع الناس به فاجتمعوا ، اخرج كالمغضب - وكان بهم رحيا ، فخشى أن يكتب عليهم فيام الليل - فقال : « أيها الناس ، اكلفُوا (٣) من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يَمَلُكُ من الثواب حتى تملوا من العمل ، وخير الأعمال ما ديم عليه » . وتروى القرآن : (يا أيها المزمل . قم الليل إلا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه) ، حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق ، فكثروا بذلك ثمانية أشهر ، فرأى الله ما يبتغون من رضوانه ، فرحمهم فردهم إلى الفريضة ، وترك فيام الليل (٤) :

ورواه ابن أبي حاتم من طريق موسى بن عبيدة الرضى ، وهو ضعيف . والحدث في الصحيح (٥) بدون زيادة تروى هذه السورة ، وهذا السياق فد يروهم أن تروى هذه السورة بالمدينة ، وليس كذلك ، وإنما هي مكة . وقوله في هذا السياق : إن بين تروى أولها وآخرها ثمانية أشهر - غريب : فقد تقدم في رواية أحمد أنه كان بينهما سنة . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج . حدثنا أبو أسامة ، عن مسعر ، عن سيارك الحنفي ، سمعت ابن عباس يقول : أول ما نزل أول المزمل ، كانوا يقومون نحو من فيامهم في شهر رمضان ، وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة :

وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب ، عن أبي أسامة ، به (٦) :

وقال الثوري ومحمد بن بشر العنيدى ، كلاهما عن مسعر ، عن سيارك ، عن ابن عباس : كان بينهما سنة . وروى ابن جرير ، عن أبي كريب ، عن وكيع ، عن إسرائيل ، عن سيارك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثله (٧) . وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهرا ن ، عن سفيان ، عن قيس بن وهب ، عن أبي عبد الرحمن قال : لما نزلت : (يا أيها المزمل) ، قاموا حولاً حتى ورمت أقدامهم رسوقهم ، حتى نزلت : (فاقروا ما نيسر منه) قال : فاسراح الناس (٨) .

وكذا قال الحسن البصرى :

- (١) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب « جامع صلاة الليل ، ومن قام عنه أو مرض » : ١٦٨/٢ - ١٧٠ .
 (٢) في تفسير الطبري : « يزيد بن حيان » . ويبدو أن الصواب ما هنا .
 (٣) أي : خذوا وتحملوا .
 (٤) تفسير الطبري : ٧٩/٢٩ .
 (٥) انظر البخاري ، كتاب الرقاق ، باب « التصد والمداومة على العمل » : ١٢٢/٨ . وانظر مستد الإمام أحمد : ٤٠/٦ ، ٦١ ، ١٧٦ ، ١٨١ ، ٢٤١ ، ٢٦٧ .
 (٦) تفسير الطبري : ٧٨/٢٩ .
 (٧) تفسير الطبري : ٨٠/٢٩ .
 (٨) تفسير الطبري : ٧٩/٢٩ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبي (١) عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن سعد بن هشام قال : فقلت - يعني لعائشة - : أخبرينا عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : أأستقرأ : (يا أمها المزمل) ؟ قلت : بلى . قالت : فأنها كانت قيام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه حتى انتفخت أفد امهم ، وحبس آخرها في السماء ستة عشر شهرا ، ثم نزل .

وقال معمر ، عن قتادة : (قم الليل إلا قليلا) ، قاموا حولا أو حولين ، حتى انتفخت سؤقهم وأفدامهم ، فأنزل الله تخفيفها بعد في آخر السورة .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب القمي ، عن جعفر ، عن سعيد - هو ابن جبر - قال : لما أنزل الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم - : (يا أمها المزمل) ، قال : مكث النبي - صلى الله عليه وسلم - على هذه الحال عشر سنين يقوم الليل ، كما أمره ، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه ، فأنزل الله عليه بعد عشر سنين : (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك) إلى قوله : (وأقيموا الصلاة) ، فخفف الله تعالى عنهم بعد عشر سنين (٢) .

ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن عمرو بن رافع ، عن يعقوب القمي ، به :

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (قم الليل إلا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا) أورد عليه ورتل القرآن ترتيلا) ، فأمر الله نبيه والمؤمنين بقيام الليل إلا قليلا (٣) اقتضى ذلك على المؤمنين ، ثم خفف الله عنهم ورحمهم ، فأنزل بعد هذا : (علم أن سيكون منكم مرضى ، وآخرون يضربون في الأرض) إلى قوله : (فاقربوا ما تيسر منه) ، فوسع الله - وله الحمد - ولم يضيق (٤) .

وقوله : (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتلا) ، أي : أكثر من ذكره ، وانقطع إليه ، وتفرض لعبادته إذا فرغت من أشغالك ، وما تحتاج إليه من أمور دنياك ، كما قال : (فإذا فرغت فانصب) (٥) ، أي : إذا فرغت من مهامك (٦) فانصب في طاعته وعبادته ، لتكون فارغ البال . قاله ابن زيد بمعناه أو قريب (٧) منه .

قال ابن عباس ومجاهد ، وأبو صالح ، وعطية ، والضحاك ، والسدي : (وتبتل إليه تبتلا) ، أي : أخلص له

العبادة :

وقال الحسن : اجتهد وتبتل إليه نفسك :

(١) ما بين القوسين عن الطيحات السابقة .

(٢) تفسير الطبري : ٧٩/٢٩ .

(٣) ما بين القوسين عن تفسير الطبري . وهو سقط نظر .

(٤) تفسير الطبري : ٧٩/٢٩ .

(٥) سورة الشرح ، آية : ٧ .

(٦) في المخطوطة : « مهامك » .

(٧) انظر تفسير الطبري : ٨٤/٢٩ .

وقال ابن جرير : يقال للعابد : متبتل ، ومنه الحديث المروي [أنه] سمى عن التبتل (١) . يعنى الانقطاع إلى العبادة وترك التزوج .

وقوله : (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً) ، أى : هو المالك المتصرف فى المشارق والمغرب ، الذى لا إله إلا هو ، وكما أفردته بالعبادة فأفردته بالتوكل (فاتخذه وكيلاً) ، كما قال فى الآية الأخرى : (فاعبده وتوكل عليه (٢)) ، وكقوله : (إياك نعبد وإياك نستعين) ، وآيات كثيرة فى هذا المعنى ، فيها الأمر بإفراد العبادة والطاعة لله ، وتخصيصه بالتوكل عليه .

وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠٦﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَىٰ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١٠٧﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٠٨﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠٩﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١١٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١١١﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيسًا ﴿١١٢﴾ فَكَيْفَ نَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١١٣﴾ السَّمَاءُ مَنفُطْرَةٌ ۖ كَأَن يَوْمَئِذٍ مَّفْعُولًا ﴿١١٤﴾

يقول تعالى أمرا رسوله - صلى الله عليه وسلم - بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه ، وأن هجرهم هجرا جميلا ، وهو الذى لا عتاب معه . ثم قال له متوعداً لكفار قومه ومتهدداً - وهو العظيم الذى لا يقوم لغضبه شيء - (وذرى والمكذبين أولى النعمة) ، أى : دعى والمكذبين المترفين أصحاب الأموال ، فانهم أقدر على الطاعة من غيرهم ، وهم بظالمون من الحقوق بما ليس عند غيرهم ، (ومهلهم قليلا) ، أى : رويدا ، كما قال : (نمتهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) . ولهذا قال هاهنا : (إن لدينا أنكالا) ، وهى القيود . قاله ابن عباس ، وعكرمة ، وطاوس ، ومحمد بن كعب ، وعبد الله بن بريرة ، وأبو عمران الجوني ، وأبو مجلز ، والضحاك ، وحمام بن أبى سلمان ، وقتادة ، والسدى ، وابن المبارك ، والثوري ، وغير واحد (وجحيم) ، وهى السعير المضطربة . (وطعاما ذا غصة) - قال ابن عباس : ينشب فى الخلق فلا يدخل ولا يخرج ، (وعذابا ألما . يوم ترجف الأرض والجبال) ، أى : تنزل ، (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) ، أى : تصير ككتبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء ، ثم إنها تنسف نسفا فلا يبقى منها شيء إلا ذهب ، حتى تصير الأرض قاعاً صافصفا ، لا ترى فيها عوجا ، أى : واديا ، ولا أمثا ، أى : رابية . ومعناه : لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع (٣) .

ثم قال مخاطبا لكفار قريش ، والمراد سائر الناس : (إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم) ، أى : بأعمالكم ، (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا . فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا) - قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ،

(١) انظر تفسير الطبرى : ٨٣/٢٩ .

(٢) سورة هود ، آية : ١٢٣ .

(٣) انظر تفسير سورة طه ، آية : ١٠٧ ، فى : ٣٠٩/٥ - ٣١٠ .

والسدى ، والثوري : (أخذنا ويلا) ، أى : شديدا (١) . أى : فاحذروا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول ، فصيبيكم ما أصاب فرعون ، حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، كما قال تعالى : (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى (٢)) ، وأنتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتم ؛ لأن رسولاكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران . ويروى عن ابن عباس ، ومجاهد .

وقوله : (فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا) ، محتمل أن يكون (يوما) معمولا لتقون ، كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود : « فكيف تخافون أيها الناس يوما يجعل الولدان شيبا إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به » ؟ ومحتمل أن يكون معمولا لكفرتم ، فعلى الأول : كيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفرع العظيم إن كفرتم ؟ وعلى الثاني : كيف يحصل لكم تقوى إن كفرتم يوم القيامة وجحدتموه ؟ وكلاهما معنى حسن ، ولكن الأول أولى ، والله أعلم .

ومعنى قوله : (يوما يجعل الولدان شيبا) ، أى : من شدة أهواله وزلازله وبلائه ، وذلك حين يقول الله لآدم : ابعث بعث النار . فيقول : من كم ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار ، وواحد إلى الجنة (٣) .

قال الطبراني : حدثنا يحيى بن أيوب العلاف ، حدثنا سعيد بن أبي مریم ، حدثنا نافع بن يزيد ، حدثنا عثمان بن عطاء الطرماساني ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ : (يوما يجعل الولدان شيبا) ، قال : « ذلك يوم القيامة ، وذلك يوم يقول الله لآدم : قم فابعث من ذريتك بعثا إلى النار . قال : من كم يا رب ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ، وينجو واحد . فاشتد ذلك على المسلمين ، وعرف ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال حين أبصر ذلك في وجوههم : « إن بني آدم كثير ، وإن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ، وإنه لا يموت منهم رجل [حتى ينتشر] لصلبه ألف رجل ففيمهم وفي أشباههم جنة لكم » .

هذا حديث غريب ، وقد تقدم في أول سورة الحج ذكر هذه [الأحاديث] .

وقوله : (السماء منقطر به) - قال الحسن ، وقتادة : أى بسببه من شدته [وهوله] . ومنهم من بعده الضمير على الله عز وجل . [وروى عن ابن عباس ومجاهد (٤)] ، وليس بقوى ؛ لأنه لم يجز له ذكرها هنا .

وقوله تعالى : (كان وعده مفعولا) ، أى . كان وعد هذا اليوم مفعولا ، أى : واقعا لا محالة ، وكأنا لا نحيد عنه ،

(١) تفسير الطبراني : ٨٦/٢٩ .

(٢) سورة النازعات ، آية : ٢٥ .

(٣) تقدم الحديث عند تفسير الآية الثانية من سورة الحج ، وخرجناه هناك ، انظر : ٣٨٨ - ٣٨٥/٥ .

(٤) انظر تفسير الطبراني : ٨٧/٢٩ .

إِنْ هَدَيْتَهُ تَذَكَّرَ فَإِنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَيْكَ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١﴾ * إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ
وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن تحصوه فتأب عليك فاقراء وأما
تيسر من القرءان علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله
وآخرون يقبلون في سبيل الله فاقراء وأما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقروا الله قرضا
حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير نجده عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور
رحيم ﴿٢﴾

يقول تعالى : (إن هذه) ، أي : السورة (تذكرة) ، أي : يتذكر بها أولو الألباب . ولهذا قال : (فن شاء اتخذ
إلى ربه سبيلا) ، أي : من شاء الله هدايته ، كما قيده في السورة الأخرى : (وما تشاءون إلا أن يشاء الله ، إن الله
كان عليا حكما (١)) .

ثم قال : (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك) ، أي : تارة هكذا ،
وتارة هكذا ، وذلك كله من غير قصد منكم ، ولكن لا تقدر على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل ، لأنه يشق
عليكم ، ولهذا قال : (والله يقدر الليل والنهار) ، أي : تارة يعتدلان ، وتارة يأخذ هذا من هذا ، أو هذا من هذا ،
(علم أن لن تحصوه) ، أي : الفرض الذي أوجبه عليكم (فاقراءوا ما تيسر من القرآن) ، أي : من غير تحديد بوقت ،
أي : ولكن قوموا من الليل ما تيسر . وعبر عن الصلاة بالقراءة ، كما قال في سورة سبحان : (ولا تجهر بصلاتك) ،
أي : بقراءتك ، (ولا تخافت بها) (٢) .

وقد استدلل أصحاب الإمام أبي حنيفة - رحمه الله - بهذه الآية ، وهي قوله : (فاقراءوا ما تيسر من القرآن) ،
على أنه لا يتعين قراءة الفاتحة في الصلاة ، بل لو قرأ بها أو غيرها من القرآن ، ولو بآية ، أجزاء ، واعتضدوا بحديث
المسيء صلواته الذي في الصحيحين : « ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن » (٣) .

وقد أجازهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت ، وهو في الصحيحين أيضا : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
قال : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » (٤) . وفي صحيح مسلم ، عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
قال : « كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ، فهي خداج ، فهي خداج : غير تمام » (٥) . وفي صحيح
ابن خزيمة عن أبي هريرة مرفوعا : « لا تجزئ صلاة من لم يقرأ بأم القرآن » .

(١) سورة الإنسان ، آية : ٣٠ .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ١١٠ .

(٣) البخاري ، كتاب الاستئذان ، باب « من رد فقال : عليك السلام » : ٦٨/٨ - ٦٩ . ومسلم ، كتاب الصلاة ،

باب « وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة » : ١١/٢ .

(٤) البخاري ، كتاب الصلاة ، باب « وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلاة كلها » ، في الحفسير والسفر ، وما يجر

فيها وما يخافت » : ١٩٢/١ . ومسلم ، في الكتاب والباب المتقدمين - في التعليق السابق - : ٩/٢ .

(٥) مسلم ، في الكتاب والباب المتقدمين : ١٠/٢ .

وقوله : (علم أن سيكون منكم مرضى ، وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون في سبيل الله) ، أى : علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذار في ترك قيام الليل ، من مرضى لا يستطيعون ذلك ، ومسافرين في الأرض يبتغون من فضل الله في المكاسب والمتاجر ، وآخرين مشغولين بما هو الأهم في حقهم من الغزو في سبيل الله . وهذه الآية - بل السورة كلها - مكية ، ولم يكن القتال شرع بعد ، فهي من أكبر دلائل النبوة ، لأنه من باب الإخبار بالمغيبات المستقبلية . ولهذا قال : (فافرقوا ما تيسر منه) ، أى : قوموا بما تيسر عليكم منه .

قال ابن جرير : حدثنا يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء محمد قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ، ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ، ولا يقوم به ، وإنما يصلي المكتوبة ؟ قال : يتوسد القرآن (١) ، لعن الله ذلك ، قال الله تعالى للعبد الصالح : (وإنه لذنو علم لما علمناه) ، (وعلمم ما لم تعلموا أنهم ولا آباؤكم) . قلت : يا أبا سعيد ، قال الله : (فافرقوا ما تيسر من القرآن) ؟ قال : نعم ، ولو خمس آيات (٢) .

وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصرى : أنه كان يرى حقا واجبا على حاملة القرآن أن يقوموا ولو بشئ مما منه في الليل ، ولهذا جاء في الحديث : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل عن رجل نام حتى أصبح ، فقال : « ذلك رجل بال الشيطان في أذنه (٣) » . فقيل : معناه : نام عن المكتوبة . وقيل : عن قيام الليل . وفي السنن : « أوتروا يا أهل القرآن (٤) » . وفي الحديث الآخر : « من لم يوتر فليس منا (٥) » .

وأغرب من هذا ما حكى عن أبي بكر عبد العزيز (٦) ، من الخنابلة ، من إيجابه قيام شهر رمضان ، فالله أعلم . وقال الطبرانى : حدثنا أحمد بن سعيد بن فرقد الجدى ، حدثنا أبو محمد بن يوسف الزبيدى ، حدثنا هبة الرحمن . [عن محمد بن عبد الله بن (٧)] طاوس - من ولد طاوس - عن أبيه ، عن طاوس ، عن ابن عباس « عن النبي صلى الله عليه وسلم : (فافرقوا ما تيسر منه) ، قال : « مائة آية » . وهذا حديث غريب جدا لم أراه إلا في معجم الطبرانى رحمه الله .

(١) معوسد القرآن : هو الذى ينام الليل عن القرآن ولم يتجد به .

(٢) في تفسير الطبرى ٨٩/٢٩ : « ولو خمسين آية » .

(٣) البخارى ، كتاب الصلاة ، باب « إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه » : ٦٩/٢ . ومسلم ، كتاب المساجد

باب « ما روى فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح » : ١٨٧/٢ .

(٤) تحفة الأحوذى ، أبواب الوتر ، الحديث ٥٢ : ٦/٢ - ٥٣٨ . وسنن أبي داود ، كتاب الوتر ، باب « استحباب

الوتر » . وائسائى ، كتاب قيام الليل ، باب « الأمر بالوتر » : ٢٢٨/٣ - ٢٢٩ . وابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة ، باب

« ما جاء في الوتر » ، الحديث ١١٦٩ ، ١١٧٠ : ٣٧٠/١ . ومسنند الإمام أحمد عن على رضى الله عنه : ١١٠/١ : ١٤٣

١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٨ .

(٥) سنن أبي داود ، كتاب الوتر ، باب « فيمن لم يوتر » . ومسنند الإمام أحمد عن أبي هريرة : ٤٤٣/٢

وهن بريدة : ٣٥٧/٥ .

(٦) هو هبة العزيز بن جعفر بن أحمد الخنبللى ، أبو بكر . صاحب الحلال ، وشيخ الخنابلة ، وهالمهم ، وصاحب

التصانيف . روى عن موسى بن هارون ، وأبي خليفة الجمحى وجماعة . توفي في شوال سنة ٣٦٣ . وله ثمان وسبعون سنة . وكان

صاحب زهد وهبادة . انظر المعبر الذهبى : ٣٣٠/٢ .

(٧) ما بين القوسين عن الطبعات السابقة .

وقوله : (وأقموا الصلاة وآتوا الزكاة) ، أي : أقيموا صلواتكم الواجبة عليكم ، وآتوا الزكاة المفروضة . وهذا يدل لمن قال : إن فرض الزكاة نزل بمكة ، لكن مقادير النصب والمخرج لم تُبين إلا بالمدينة . والله أعلم .

وقد قال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، والحسن ، وقنادة ، وغير واحد من السلف : إن هذه الآية نَسَخَتْ الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولاً من قيام الليل . واختلفوا في المدة التي بينهما على أقوال كما تقدم . وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لذلك الرجل : « خمس صلوات في اليوم والثيلة » . قال : هل على غيرها ؟ قال : « لا ، إلا أن تطوع (١) » .

وقوله تعالى : (وأقرضوا الله قرضاً حسناً) ، يعني من الصدقات ، فإن الله يجازي على ذلك أحسن الجزاء وأوفره ، كما قال : (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) (٢) .

وقوله : (وما تقدموا لأنفسكم من خير نجده عند الله هو خيراً وأعظم أجراً) ، أي : جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل ، وهو خير مما أقيتموه لأنفسكم في الدنيا .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الحارث ابن سويد قال : قال عبد الله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه ؟ » قالوا : يا رسول الله ، ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه . قال : « اهلوا ما تقولون » . قالوا : ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله ؟ قال : « إنما مال أحدكم ما تقدم ومال وارثه ما آخر » .

ورواه البخاري من حديث حفص بن غياث والنسائي من حديث أبي معاوية ، كلاهما عن الأعمش ، به (٣) .

ثم قال تعالى : (واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) ، أي : أكثروا من ذكره واستغفاره في أموركم كلها ، فإنه غفور رحيم لمن استغفروه .

آخر تفسير «سورة الزمل» والله العبد

(١) البخاري ، كتاب الإيمان ، باب « الزكاة من الإسلام » : ١٨/١ . ومسلم ، كتاب الإيمان أيضاً ، باب « بيان الصلوات التي هي أركان الإسلام » : ٢١/١ - ٢٢ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٤٥ .

(٣) البخاري ، كتاب الزكاة ، باب « ما قدم من ماله لغيره » : ١١٦/٨ . والنسائي ، كتاب الوصايا ، باب « تكرارها في تأخير الوصية » : ٢٢٧/٦ .

تفسير سورة المدثر

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنْذِرْ ② وَرَبِّكَ فَكْبِيرٌ ③ وَنَبَأُكَ فَكَبِيرٌ ④ وَالرَّجْزَ فَاجْجِرْ ⑤ وَلَا تَمَنَّ ⑥
تَسْكُرُ ⑦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑧ فَإِذَا نُفِرَ فِي الْأَقْوَامِ ⑨ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ عَسِيرٌ ⑩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ
بَسِيرٍ ⑪

ثبت في صحيح البخاري ، عن جابر أنه كان يقول : أول شيء نزل من القرآن : (يا أيها المدثر) .

وخالفه الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولا قوله تعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ، كما سيأتي ذلك :

هناك :

قال البخاري : حدثنا يحيى ، حدثنا وكيع ، عن علي بن المبارك ، عن يحيى بن أبي كثير قال : سألت أبا سلمة ابن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن ، قال : (يا أيها المدثر) . قلت : يقولون : (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ؟ فقال أبو سلمة : سألت جابر بن عبد الله عن ذلك ، وقالت له مثل ما قلت لي ، فقال جابر : لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « جاورت بحضرة ، فلما قضيت جوارى هبطت فتوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا ، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا ، ونظرت أمامي فلم أر شيئا ، ونظرت خلفي فلم أر شيئا . فرفعت رأسي فرأيت شيئا ، فأثبت خديجة فقلت : دثروني . وصبوا على ماء باردا . قال : فدثروني وصبوا على ماء باردا قال : فترلت (يا أيها المدثر ، قم فأندر . وربك فكبير) (١) .

هكذا ساقه من هذا الوجه ، وقد رواه مسلم من طريق عقيل ، عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة قال : أخبرني جابر ابن عبد الله : أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحدث عن فقرة الوحي : « قبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء ، فرفعت بصري قبيل السماء ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض ، فجمعتُ (٢) منه حتى هويت إلى الأرض ، فجئت إلى أهلي ، فقلت : زملوني زملوني . فزملوني ، فأنزل الله (يا أيها المدثر . قم فأندر) إلى : (فاهجر) . - قال أبو سلمة : والرجز الأوتان - ثم حمسى الوحي وتتماع .

هذا لفظ البخاري (٣) ، ولهذا السياق هو المحفوظ ، وهو يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا ، لقوله : « فإذا الملك الذي جاءني بحراء » ، وهو جبريل حين أتاه بقوله : (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك

(١) البخاري ، تفسير سورة المدثر : ٢٠٠/٦ - ٢٠١ .

(٢) أي : فرغت منه وخفت . ويروى : « فجئت » بالهمز مكان التاء الأولى ، وهو بمعنى .

(٣) البخاري ، تفسير سورة المدثر : ٢٠٢/٦ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب « بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله

الأكبرم . الذي علم بالتلم . علم الإنسان ما لم يعلم . ثم إنه حصل بعد هذا فترة ، ثم نزل الملك بعد هذا . ووجه الجمع أن أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، حدثنا عقیل ، عن ابن شهاب قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول : أخبرني جابر بن عبد الله : أنه سمع رسول - الله صلى الله عليه وسلم - يقول : (ثم قرأ الوحي عن فترة ، فينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت بصري قِبَلَ السماء ، فإذا الملك الذي جاءني [بحراء الآل (١)] قاعد على كبري بين السماء والأرض ، فَجِئْتُ مِنْهُ فَرَقاً ، حتى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَجِئْتُ أَهْلِي فَتَلَّتْ لَمْ : زَمَلُونِي زَمَلُونِي . فَمَلُونِي . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبِّكَ فَكْبُرْ . وَثِيَابِكَ فَطَهِّرْ . وَالرِّجْزَ فَاهْجِرْ) . ثم حمى الوحي [بعد (١)] وتتابع (٢) . أخرجاه من حديث الزهري ، به (٣) .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار ، حدثنا الحسن بن بشر البجلي : حدثنا المعاني بن عمران ، عن إبراهيم بن يزيد ، سمعت ابن أبي مائة يقول : سمعت ابن عباس يقول : إن الوليد بن المغيرة صنع لتريش طعاماً ، فلما أكلوا . قال : ما تقولون في هذا الرجل ؟ فقال بعضهم : ساحر . وقال بعضهم : ليس بساحر . وقال بعضهم : كاهن . وقال بعضهم : ليس بكاهن . وقال بعضهم : شاعر . وقال بعضهم : ليس بشاعر . وقال بعضهم : صهر يوثق . فأجمع رأيهم على أنه صهر يوثق . فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فحزّن وقنع رأسه (٤) ، وتذكر ، فأنزل الله (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبِّكَ فَكْبُرْ . وَثِيَابِكَ فَطَهِّرْ . وَالرِّجْزَ فَاهْجِرْ . وَلَا تَمَنَّيَنَّ تَسْتَكْتَرُ . وَلِرَبِّكَ فَاهْجِرْ) .

فقوله : (قُمْ فَأَنْذِرْ) : أي : شمر عن ساق العزم ، وأنذر الناس . وهذا حصل الإرسال ، كما حصل بالأول النبوة . (وَرَبِّكَ فَكْبُرْ) أي عظم . وقوله : (وَثِيَابِكَ فَطَهِّرْ) - قال الأجلح الكندي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنه أتاه رجل فسأله عن هذه الآية : (وَثِيَابِكَ فَطَهِّرْ) ، قال : لا تلبسها على معصية ولا على عُدْوَةٍ . ثم قال : أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي :

فأني بحمد الله لا أتوب فإجر لست ، ولا من عُدْوَةٍ أَتَقَنَّحُ (٥)

وقال ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : (وَثِيَابِكَ فَطَهِّرْ) ، قال : في كلام العرب : نسي الثياب . وفي رواية بهذا الإسناد : فطهر من الذنوب . وكذا قال إبراهيم ، والنسفي ، وعطاء .

وقال الثوري : عن رجل (٦) ، عن عطاء ، عن ابن عباس في هذه الآية : (وَثِيَابِكَ فَطَهِّرْ) ، قال : من الأثم . وكذا قال إبراهيم النخعي .

(١) ما بين القوسين عن المستد .

(٢) مستد الإمام أحمد : ٣٢٥/٣ .

(٣) البيهقي ، كتاب بدء الخلق ، باب : إذا قال أحدكم : آمين ، والملائكة في السماء ... : ١٤١/٤ . ومسلم ،

كتاب الإيمان ، باب : بدء الوحي ... : ٩٩/١ .

(٤) وقال : أتبع رأسه وقتله : رفعه وخصه بصرفه نحو الشيء لا يصرفه عنه . وأتبع غلظه رأسه : وهو أن يرفع يديه . ووجهه إن ما حيال رأسه من السماء .

(٥) تفسير الطبري : ٩١/٢٩ . وانظر البحر المحيط : ٣٧٨/٨ .

(٦) في تفسير الطبري : ٩٢/٢٩ : وصفيان عن ابن جريج ، عن عطاء .

وقال مجاهد : (وثيابك فطهر) ، قال : نفسك ، ليس ثيابه . وفي رواية عنه : (وثيابك فطهر) ؛ حملك فأصلح . وكذا قال أبو رزين . وقال في رواية أخرى : (وثيابك فطهر) ، أي : لست بكاهن ولا ساحر ، فأعرض هما قالوا . وقال قتادة : (وثيابك فطهر) ، أي : طهرها من المعاصي ، وكانت العرب تسمى الرجل إذا نكث ولم يتغ بم عهد الله إنه لمعدتس الثياب ، وإذا وفي وأصلح : إنه لمطهر الثياب . وقال عكرمة ، والضحاك : لا تلبسها على معصية .

وقال الشاعر (١) :

إذا المره لم يدتس من التوم عرقه فكل رداء برتديه حصيل

وقال العوفي ، عن ابن عباس : (وثيابك فطهر) : لانتك ثيابك الى تلبس من مكسب غير طائب ، ويقال : لا تلبس ثيابك على معصية .

وقال محمد بن سيرين : (وثيابك فطهر) ، أي : اغسلها بالماء .

وقال ابن زيد : كان المشركون لا يتطهرون ، فأمره الله أن يتطهر وأن يطهر ثيابه ؛

وهذا القول اختاره ابن جرير ، وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب ، فإن العرب تطلق الثياب عليه كما قال امرؤ القيس (٢) :

أفأظلم مستهلاً بعض هذا التدليل وإن كنت قد أزمعت متجزي (٣) فأجمل
وإن تلك قد ساءت مني خاسفة فسلى نيبان من ثيابك تنسل (٤)

وقال سعيد بن جبیر : (وثيابك فطهر) : وقلبك ونبئك فطهر .

وقال محمد بن كعب القرظي ، والحسن البصري : وخالقك فحسن ؛

وقوله : (والرجز فاهجر) ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (والرجز) وهو الأصنام فاهجر (٥) ؛

وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وقاتدة ، والزهرى ، وابن زيد : إنها الأوثان ؛

وقال إبراهيم ، والضحاك : (والرجز فاهجر) ، أي : اترك المعصية .

وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك ، كقوله : (يا أيها النبي ، اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) (٦) ؛

(وقال موسى لأخيه هارون : اخلفني في قومي ، وأصلح ، ولا تتبع سبيل المفسدين) (٧) .

(١) هو دكين بن رجاء ، انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٦١٢/٢ .

(٢) من المعلقة ؛ انظر ديوانه ، ط بيروت : ٣٧ .

(٣) في الديوان : « صرمي » .

(٤) يقول : إنه إن ساءت خلق من أخلاق ، وكرهت خصلة من خصائل ، فوهى على قلبى أنأرقك ، والمعنى على هذا القول ؛

استخرجى قلبى من قلبك يفارقه . والنسول : سقوط الريش والوبر والصوف والشعر .

(٥) تفسير الطبري : ٩٣/٢٩ .

(٦) سورة الأحزاب : آية : ٩ .

(٧) سورة الأعراف : آية : ١٥٢ .

وقوله : (ولا تمنن تستكثر) ، قال ابن عباس : لا تعط العطية تلتمس أكثر منها (١) . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، وعطاء ، وطاوس ، وأبو الأحوص ، وإبراهيم النخعي ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم .

وروى عن ابن مسعود أنه قرأ : (ولا تمنن أن تستكثر) (٢) .

[وقال الحسن البصري : لا تمنن بعملك على ربك تستكثره] (٣) . وكذا قال الربيع بن أنس ، واختاره ابن جرير .

وقال خُصيف ، عن مجاهد في قوله : (ولا تمنن تستكثر) ، قال : لا تضعف أن تستكثر من الخير ، قال : تمنن في كلام العرب : تضعف (٤) .

وقال ابن زيد : لا تمنن بالنبوة على الناس ، تستكثرهم بها ، تأخذ عليه عوضا من الدنيا .

فهذه أربعة أقوال ، والأظهر القول الأول ، والله أعلم

وقوله : (ولربك فاصبر) ، أي : اجعل صبرك على أذاهم لوجه الله عز وجل ، قاله مجاهد .

وقال إبراهيم النخعي : اصبر [على] (٣) عظيمك لله تعالى .

وقوله : (فإذا نقر في الناقر . فذلك يومئذ يوم عسير . على الكافرين غير يسير) - قال ابن عباس : ومجاهد ، والشعبي ، وزيد بن أسلم ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، والربيع بن أنس ، والسدي ، وابن زيد : (الناقر) : الصور . قال مجاهد : وهو كهيئة القرن .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أسباط بن محمد ، عن مطرف ، عن عطية العوفي ، عن ابن عباس : (فإذا نقر في الناقر) ، فقال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « كيف أنعم وصاحب القرن قد التتم القرن وحنى جبهته ، ينتظر مني يومئذ فيفتخ ؟ » فقال أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : « قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا » .

وهكذا رواه الإمام أحمد عن أسباط ، به (٤) . ورواه ابن جرير عن أبي كريب ، عن ابن فضيل وأسباط ، كلاهما عن مطرف ، به . ورواه من طريق أخرى ، عن العوفي ، عن ابن عباس ، به (٥) .

وقوله : (فذلك يومئذ يوم عسير) ، أي : شديد ، (على الكافرين غير يسير) ، أي : غير سهل عليهم . كما قال تعالى : (يقول الكافرون : هذا يوم عسر) (٦) .

وقد روينا عن زرارة بن أوفى - قاضي البصرة - : أنه صلى بهم الصبح ، فقرأ هذه السورة ، فلما وصل إلى قوله :

(فإذا نقر في الناقر . فذلك يومئذ يوم عسير . على الكافرين غير يسير) : شهِقَ شهقةً ، ثم خر ميتا رحمه الله (٧) .

(١) في المخطوطة : « تلتمس المن معها » . والمثبت عن العليقات السابقة ، وتفسير الطبري : ٩٢/٢٩ .

(٢) تفسير الطبري : ٩٤/٢٩ .

(٣) ما بين القوسين عن تفسير الطبري : ٩٥/٢٩ .

(٤) تقدم حديث المسند عند تفسير آية آل عمران ١٧٣ . وخرجناه هناك ، انظر : ١٤٨/٢ .

(٥) انظر تفسير الطبري : ٩٥/٢٩ .

(٦) سورة القمر ، آية : ٨ .

(٧) ذكر ذلك الذهبي في كتاب المعبر ، انظر : ١٠٩/١ .

ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتَ وَحِيدًا ۝۱۱ وَجَعَلْتُمْ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۝۱۲ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝۱۳ وَمَهَّدْتُمْ لَهُ تَمْهِيدًا ۝۱۴ ثُمَّ يَطْمَعُ ۝۱۵ أَنْ أَزِيدَ ۝۱۶ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۝۱۷ سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا ۝۱۸ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝۱۹ فَقَتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝۲۰ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝۲۱ ثُمَّ نَبَّأَ ۝۲۲ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝۲۳ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝۲۴ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَىٰ ۝۲۵ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝۲۶ سَأُصَلِّبُ سَفَرًا ۝۲۷ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۝۲۸ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝۲۹ لَوَاحَةٌ ۝۳۰ لِلْبَشَرِ ۝۳۱ عَلَيْهَا نَسْعَةٌ عَشْرٌ ۝۳۲

يقول تعالى متوعدا لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا ، فكفر بأنعم الله ، وبدلها كفرًا ، وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها ، وجعلها من قول البشر . وقد عدد الله عليه نعمه حيث قال : (ذرني ومن خلقت وحيداً) ، أى : خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد ، ثم رزقه الله (مالا ممدوداً) ، أى : واسعاً كثيراً . قيل : ألف دينار . وقيل : مائة ألف دينار . وقيل : أرضاً يستغلها . وقيل غير ذلك . وجعل له (بنين شهوداً) ، قال مجاهد : لا يغيبون ، أى : حضوراً عنده لا يسافرون في التجارات ، بل مواليتهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم فعود عند أبيهم ، يتمتع بهم ويتشملون بهم . وكانوا - فيما ذكره السدي ، وأبو مالك ، وعاصم بن عمر بن قتادة - ثلاثة عشر : وقال ابن عباس ، ومجاهد : كانوا عشرة . وهذا أبلغ في النعمة [وهو إقامتهم (١) عنده] .

(ومهدت له تمهيداً) ، أى : مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك ، (ثم يطمع أن أزيد . كلاً إنه كان لآياتنا عنيداً) ، أى : معانداً ، وهو : الكفر على نعمه بعد العلم . قال الله : (سأرهقه صعوداً) ، قال الإمام أحمد :

حدثنا حسن ، حدثنا ابن لبيبة ، عن دراج ، عن أبي الأيتم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « ويل : في جهنم ، يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره ، والصعور جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً ، ثم يهوى به كذلك فيه أبداً (٢) » .

وقد رواه الترمذي عن عبد بن حميد ، عن الحسن بن موسى الأشيب ، به . ثم قال : « غريب ، لا نعرفه إلا من حديث ابن لبيبة عن دراج (٣) » كذا قال . وقد رواه ابن جرير ، عن يونس ، عن عبد الله بن وهب ، عن عمرو ابن الحارث ، عن دراج . وفيه غرابة ونكارة (٤) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمن - المعروف بعلان المصري (٥) - قال : حدثنا منجاب ، أخبرنا شريك ، عن عمار الدهني ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : (سأرهقه صعوداً) ، قال : « هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده ، فإذا وضع يده ذابت ، وإذا رفعها عادت ، وإذا وضع رجليه ذابت ، وإذا رفعها عادت » .

ورواه البزار وابن جرير (٦) ، من حديث شريك ، به ،

وقال قتادة ، عن ابن عباس : صعود : صخرة عظيمة يسحب عليها الكافر على وجهه ،

(١) ما بين القوسين عن الطبعات السابقة .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٧٥/٣ .

(٣) تحفة الأحوذى ، تفسير سورة الأنبياء ، الحديث ٣٢١٣ : ٥/٩ .

(٤) تفسير الطبري : ٩٧/٢٩ .

(٥) في المخطوطة : « البصري » . والمثبت عن الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ١٩٥/١/٣ .

(٦) تفسير الطبري : ٩٧/٢٩ .

وقال السدي : صعودا : صخرة ملساء في جهنم ، يكلف أن يصلحها .

وقال مجاهد : (سأرهقه صعوداً) ، أي : مشقة من العذاب . وقال قتادة : عذاباً لا راحة فيه . واختاره ابن جرير .
 وقوله : (إنه فكر وقدر) ، أي : إنما أُرهِقناه صعوداً ، أي : قربناه من العذاب الشاق ، أبعده عن الإيمان ،
 لأنه فكر وقدر ، أي : تَرَوَى ماذا يقول في القرآن حين سئلت عن القرآن ، ففكر ماذا يخلق من المقال ، (وقدر) ،
 أي : تروى ، (فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر) ، دعاء عليه ، (ثم نظر) ، أي : أعاد النظر والتروى ،
 (ثم عيس) ، أي : قبض بين عينيه وقطب (وبسر) ، أي : كالج وكره ، ومنه قول توبة بن الحمير الشاعر (١) :
 وَقَد رَأَيْتِي مِنْهَا صُدُودٌ رَأَيْتُهُ وَإِعْرَاضُهَا عَنْ حَاجَتِي وَبُسُورُهَا

وقوله : (ثم أدبر واستكبر) ، أي : صرف عن الحق ورجع الفقهري مستكبراً عن الانقياد للقرآن ، (فقال :
 إن هذا إلا سحر يؤثر) ، أي : هذا سحر يتقاه محمد عن غيره من قبله ويحكيه عنهم ، ولهذا قال : (إن هذا إلا قول البشر) ،
 أي : ليس بكلام الله .

وهذا المذكور في هذا السياق هو : الوليد بن المغيرة المخزومي ، أحد رؤساء قريش - لعنه الله - وكان من خبره
 في هذا ما رواه العوفي ، عن ابن عباس قال : دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن ،
 فلما أخبره خرج على قريش فقال : يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة . فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهتدي من الجنون ،
 وإن قوله لمن كلام الله . فلما سمع بذلك النفر من قريش اتهموا فقالوا : والله لأن صبا الوليد لتصبون قريش . فلما سمع
 بذلك أبو جهل بن هشام قال : أنا والله أكفيكم شأنه . فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد : ألم تر قومك قد جمعوا لك
 الصدقة ؟ فقال : ألتست أكثرهم مالا وولداً . فقال له أبو جهل : يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من
 طعامه . فقال الوليد : أقد تحدث به عشرين ؟ ! فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ، ولا ابن أبي كبشة ،
 وما قوله إلا سحر يؤثر . فأنزل الله على رسوله - صلى الله عليه وسلم - (ذرني ومن خلقت وحيداً) إلى قوله :
 (لا تبي ولا تدن) .

وقال قتادة : زعموا أنه قال : والله لقد نظرت فيما قال الرجل فإذا هو ليس بشعر ، وإن له خللاوة ، وإن عليه
 لطلاوة ، وإنه ليعلو وما يعلى ، وما أشك أنه سحر . فأنزل الله : (فقتل كيف قدر) ... الآية (ثم عيس وبسر) ،
 قبض ما بين عينيه وكلج (٢) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأهلبي ، أخبرنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عباد بن منصور ، عن عكرمة :
 أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقرأ عليه القرآن ، فكانه رق له . فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام ،
 فأثاه فقال : أي عم ، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا . قال : لم ؟ قال : بعضونك ، فإنك أتيت محمداً تتعرض
 لما قبسه . قال : قد علمت قريش أنني أكثرها مالا . قال : فقل فيه قولاً يعلم قومك أنك منكراً لما قال ، وأنتك كاره له .
 قال : فإذا أقول فيه ؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم بجزء ولا بقصيده ولا بأشعار الجن ، والله
 ما يشبه الذي يقول شيئاً من ذلك . والله إن لقوله الذي يقول لخللاوة ، وإنه ليعظم (٣) ماخته ، وإنه ليعلو وما يعلى ،

(١) جواز القرآن لأبي عبيدة : ٢/٢٧٥ . ولعله من القصيدة التي ذكرها ابن قتيبة في الشعر والشعراء : ٤٤٥ . وانظر

تفسير الطبري : ٩٨/٢٩ .

(٢) تفسير الطبري : ٩٨/٢٩ .

(٣) في المخطوطة « وإنه أعظم » . والمثبت عن تفسير الطبري والطبقات السابقة .

قال : والله لا يرضى قومك حتى تقول قبه . قال : فدعى حتى أفكر فيه . فلما فكر قال : هذا سحر يأثره عن غيره . فترلت : (ذرني ومن خلقت وحيدا) قال قتادة : خرج من بطن أمه وحيداً [(١) حتى بلغ : (تسعة عشر) (٢)] .

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد نحوه من هذا . وقد زعم السدي أنهم لما اجتمعوا في دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه ، قبل أن يقدم عليهم وفود العرب للحج ليصدّوهم عنه ، فقال قائلون : شاعر . وقال آخرون : ساحر . وقال آخرون : كاهن . وقال آخرون : مجنون . كما قال تعالى : (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً) (٣) ، كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه ، ففكر وقدر ، ونظر وعبس وبسر ، فقال : (إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر) ، قال الله - عز وجل - : (سأصليه سقر) ، أي : سأعمره فيها من جميع جهاته ، ثم قال : (وما أدراك ما سقر) ؟ وهذا تهويل لأمرها وتضخيم . ثم فسر ذلك بقوله : (لا تبق ولا تنر) ، أي : تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم ، ثم تبدل غير ذلك ، وهم في ذلك لا يموتون ولا يحيون ، قاله ابن بريده وأبو سنان وغيرهما .

وقوله : (لواحجة للبشر) ، قال مجاهد : للجلد ، وقال أبو رزين : تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل . وقال زيد بن أسلم : تلوح أجسادهم عليها . وقال قتادة : (لواحجة للبشر) ، أي : حرقاة للجلد . وقال ابن عباس : تحرق بشرة الإنسان (٤) .

وقوله : (عليها تسعة عشر) ، أي : من مقتضى الزبانية ، عظيم خلقهم ، غليظ خلقهم .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا ابن أبي زائدة ، أخبرني [حارث عن] (٥) هارم عن البراء في قوله : (عليها تسعة عشر) ، قال : إن رهطاً من اليهود سألوا رجلاً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن خزنة جهنم ، فقال : الله ورسوله أعلم . فجاء رجل فأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - فنزل عليه ساعتئذ : (عليها تسعة عشر) . فأخبر أصحابه وقال : « ادعهم ، أما إنني سألتهم عن تربة الجنة إن أتوني ، أما إنهما درمكة (٦) بيضاء » . فجاءوه فسألوه عن خزنة جهنم ، فأهوى بأصابع كفيه مرتين وأمسك الإبهام في الثانية ، ثم قال : « أخبروني عن تربة الجنة » . فقالوا : أخبرهم يا ابن سلام . فقال : كأنها خبزة بيضاء . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « وأما إن الخبز إنما يكون من الدرملك » .

هكذا وقع عند ابن أبي حاتم عن البراء ، والمشهور عن جابر بن عبد الله ، كما قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا منده ، حدثنا أحمد بن عبيدة ، أخبرنا سفيان ويحيى بن حكيم ، حدثنا سفيان ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر ابن عبد الله قال : جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا محمد ، غلب أصحابك اليوم . فقال :

(١) ما بين القوسين الموقوفين عن تفسير الطبري ، وهو سقط نظر .

(٢) تفسير الطبري : ٩٨/٢٩ .

(٣) سورة الإسراء ، آية : ٥٨ .

(٤) تفسير الطبري : ١٠٠/٢٩ .

(٥) ما بين القوسين عن الطهات السابقة . ومكانه في المخطوطة : « مرثب بن » . ويبدو أنه خطأ .

(٦) الدرملك : الدقيق الحواري ، وهو الذي نخل مرة بعد أخرى .

« بأى شيء؟ » قال: سألتهم يهود هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار؟ قالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أغلب قوم تسألوا عما لا يدرون فقالوا: لا ندرى حتى نسأل نبينا؟» على بأعداء الله، لكن سألوهم أن يريهم الله جهرة. فأرسل إليهم فدعاهم قالوا: يا أبا القاسم، كم عدة خزنة أهل النار؟ قال: «هكذا»، وطبق كفيه، ثم طبق كفيه، مرتين، وعقد واحدة، وقال لأصحابه: «إن سئلتهم عن تربة الجنة فهي الدرّمك». فلما سألوهم فأنبرهم بعدة خزنة أهل النار، قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ماتربة الجنة؟». فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: خبزة يا أبا القاسم. فقال: «الخبز من الدرّمك».

وهكذا رواه الترمذى عند هذه الآية عن ابن أبي عمير، عن سفيان، به. وقال: هو والبزار: «لا نعرفه إلا من حديث مجالد» (١). وقد رواه الإمام أحمد، عن علي بن المديني، عن سفيان، بقصص (٢) الدرّمك فقط.

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ۗ كَلَّا وَالْقَمَرِ ۗ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ۗ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ۗ إِنَّهَا لَأَحَدَى الْكَبِيرِ ۗ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ۗ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَّقِدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۗ

يقول تعالى: (وما جعلنا أصحاب النار) أي: خزائنها (إلا ملائكة)، أي: غلاظا شدادا. وذلك رد على مشركي قريش حين ذكر عدد الخزنة، فقال أبو جهل: يا معشر قريش، أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فغلبونهم؟ فقال الله: (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة)، أي: شديدي الخلق لا يقاومون ولا يغالبون. وقد قيل: إن أبا الأشدين - واسمه: كسادة بن أسيد بن خلف - قال: يا معشر قريش، اكفوني منهم اثنين وأنا أكفيكم سبعة عشر، إعجابا منه بنفسه، وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويحاذيه عشرة لينتزعوه من تحت قدميه، فيتمزق الجلد ولا يتزحج عنه. قال السهيلي: وهو الذي دعا رسول الله إلى مصارعة وقال: إن صرعتني آمنت بك. فصرعه النبي - صلى الله عليه وسلم - مرارا، فلم يؤمن. قال: وقد نسب ابن إسحاق خير المصارعة إلى ركاة ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب (٣).

قلت: ولا منافاة بين ما ذكرناه والله أعلم.

(وما جعلنا عدتهم إلا فتنه للذين كفروا)، أي: إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر اختياراً متناً للناس، (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب)، أي: يعلمون أن هذا الرسول حق: فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله.

(١) تحفة الأحوذى، تفسير سورة المدثر، الحديث ٣٣٨٣: ٢٤٦/٩ - ٢٤٧.

(٢) في المخطوطة: «نقص الدرّمك». ولعل الصواب ما أثبتناه. وانظر مستد الإمام أحمد: ٣٦١/٣.

(٣) الروض الأنف للسهيلي: ٢٠٠/١.

(ويزداد الذين آمنوا إيماناً) ، أى : إلى إيمانهم ، أى : بما يشهدون من صدق اخبار نبيهم محمد - صلى الله عليه وسلم - (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ، وليقول الذين في قلوبهم مرض) ، أى : من المنافقين (والكافرون : ماذا أراد الله بهذا مثلا) ؟ أى يقولون : ما الحكمة في ذكر هذا هاهنا ؟ قال الله تعالى : (كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) ، أى : من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان في قلوب أقوام ، ويترزل عند آخرين ، وله الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة .

وقوله : (وما يعلم جنود ربك إلا هو) ، أى : ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى ، ثلثا يتوهم متوهم أنما هم تسعة عشر فقط كما قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين . ومن تابعهم من الملتين الذين سمعوا هذه الآية ، فأرادوا تنزيها على العقول العشرة والنفوس التسعة ، التي اخترعوا دعواها وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها ، فأفهموها صدر الآية وقد كفروا بآخرها ، وهو قوله : (وما يعلم جنود ربك إلا هو) .

وقد ثبت في حديث الإسراء المروي في الصحيحين وغيرهما ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة : « فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه آخر ما عليهم (١) » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود ، حدثنا إسرائيل ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن موري ، عن أبي ذر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إنى أرى مالا ترون ، وأسمع مالا تسمعون ، أطت السماء وحقت لها أن تقطع (٢) ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد ، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، ولا تكلمتم بالنساء على الفرسات ، ولخرجتم إلى الصعدات (٣) تجأرون إلى الله عز وجل . فقال أبو ذر : والله لوددت أنى شجرة تعصد (٤) . » ورواه الترمذي وابن ماجه ، من حديث إسرائيل ، وقال الترمذي : « حسن غريب ، ويروى عن أبي ذر موقوفاً (٥) » .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا خبير (٦) بن عرفة المصري ، حدثنا عروة بن مروان الرقي ، حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم بن مالك ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم ، أو ملك ساجد ، أو ملك راکع ، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً : سبحانك ! ما عبدناك حقَّ عبادتك إلا أننا لم نشرك بك شيئاً » .

وقال محمد بن نصر المروزي في « كتاب الصلاة » : حدثنا عمرو بن زرارة ، أخبرنا عبد الوهاب بن (٧) عطاء ، عن

(١) تقدمت أحاديث الإسراء أول سورة الإسراء ، ونحرجناها هناك ، انظر : ٢/٥ - ٤٢ . وانظر أيضاً أول سورة الطور : ٥٣/٧ .

(٢) تقدم تفسير غريب هذا الحديث عند الآية ١٦٥ من سورة الصافات : ٣٨/٧ .

(٣) أى : الطرق . وفي المسند : « وخرجتم على أو إلى الصعدات » . ولفظ الترمذي كما هنا .

(٤) أى تقطع وتستأصل . انظر المسند : ١٧٣/٥ .

(٥) تحفة الأحوذى ، أبواب الزهد ، باب ما جاء في قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ، والحديث ٢٤١٤ : ٦٠١/٦ - ٦٠٣ . وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب الحزن والبكاء ، الحديث ٤١٩٠ : ١٤٠٢/٢ .

(٦) في المخطوطة : « حسين بن عرفة » . والمثبت عن المصنف الصغير للطبراني : ١٦٠/١ .

(٧) في المخطوطة : « عبد الوهاب ، عن عطاء » . والمثبت عن رواية ابن أبي حاتم ، وقد تقدمت في سورة الأنبياء : ٣٢٦/٥ .

وسورة براءة : ١٦٤/٥ . وعبد الوهاب بن عطاء يروى عن سعيد بن أبي عروبة ، انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٧٢/١/٣ .

سعيد ، عن قتادة ، عن صفوان بن محرز ، عن حكيم بن حزام قال : بينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع أصحابه إذ قال لهم : « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا : ما نسمع من شيء . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « [أسمع] أطيح السماء وما تلام أن تشط ، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راعح أو ساجد » .

وقال أيضاً : حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاذ ، حدثنا أبو معاذ الفضل بن خالد التحوي ، حدثنا عبيد بن سليمان الباهلي ، سمعت الضحاك بن مزاحم ، يحدث عن مسروق بن الأجدع ، عن عائشة أنها قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا وعليه ملك ساجد أو قائم ، وذلك قول الملائكة : (وما منا إلا له مقام معلوم » وإنما نحن الصافون » وإنما نحن المسبحون (١) » .

وهذا مرفوع غريب جداً رواه عن محمود بن آدم ، عن أنى معاوية ، عن الأعمش ، عن أنى الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود أنه قال : إن من السموات سماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماء قائماً ، ثم قرأ : (وإنما نحن الصافون » وإنما نحن المسبحون)

ثم قال : حدثنا أحمد بن سيار : حدثنا أبو جعفر بن محمد بن خالد الدمشقي المعروف بابن أمه ، حدثنا المغيرة بن عمر بن هبة عن من بن عمرو بن عوف ، حدثني سليمان بن أيوب ، عن سالم بن عوف ، حدثني عطاء بن زيد (٢) بن مسعود عن أبيه بن الحليل (٣) ، حدثني سليمان بن عمرو بن الربيع ، عن من بن سالم ، حدثني عبد الرحمن بن العلاء ، عن من بن ساعدة ، عن أبيه العلاء بن سعد - وقد شهد الفتح وما بعده - : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال يوماً لجلسائه : « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا وما نسمع يا رسول الله ؟ قال : « أطت السماء وحق لها أن تشط ، إنه ليس فيها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو راعح أو ساجد ، وقال الملائكة : (وإنما نحن الصافون » وإنما نحن المسبحون) » . وهذا إسناد غريب جداً :

ثم قال : حدثنا إسحاق بن محمد بن إسماعيل الفروي ، حدثنا عبد الملك بن قدامة ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمر : أن عمر جاء والصلاة قائمة ، ونفر ثلاثة جلوس ، أحدهم أبو جحش الليثي ، فقال : قوموا فصلوا مع رسول الله . فقام اثنان وأبى أبو جحش أن يقوم ، وقال : لا أقوم حتى يأتي رجل هو أقوى مني ذراعين (٤) ، وأشد مني بطشاً فيصرعي ، ثم يئدس وجهي في التراب : قال عمر : فصرعته ودست وجهه في التراب فألقى عثمان بن عفان فحجزني عنه ، فخرج عمر مغضباً حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ما رأيتك يا أبا حفص ؟ » فلنكر له ما كان منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن رضي عمر رحمة (٥) » والله لو ددت أنك جئتني برأس الخبيث ، فقام عمر بوجهه (٦) نحوه ، فلما أبعد ناداه فقال : « اجلس حتى أخبرك بغنى الرب - عز وجل - عن صلاة أبي جحش ، إن لله في السماء الدنيا ملائكة خشوعاً لا يرفعون رءوسهم حتى تقوم الساعة . فإذا قامت رفعوا

(١) انظر تفسير الآية ١٦٥ من سورة الصافات ، فقد أخرجه ابن كثير عن الضحاك في تفسيره : ٣٨/٧ .

(٢) كذا في مخطوطة الأزهر ، وفي أسد الغابة : « يزيد » .

(٣) في المخطوطة : « من بن الحكم » . والمثبت عن أسد الغابة ٧٦/٤ ، والطبعات السابقة من هذا التفسير .

(٤) في المستدرک : « ذراعاً » .

(٥) ما بين القوسين من المستدرک ، والطبعات السابقة ، وفي مخطوطة الأزهر مكانه : « إنى ... » ثم يفاض .

(٦) أي : يوجه نحوه .

وموسمهم، ثم قالوا: ربنا، وما عبدناك حتى عبادةك، وإن لله في السماء الثانية ملائكة منجوداً لا يرفعون رؤوسهم حتى تقوم الساعة، فإذا قامت الساعة رفعوا رؤوسهم، وقالوا: سبحانك، وما عبدناك حتى عبادةك، فقال له عمر: وما يقولون يارسول الله؟ فقال: «أما أهل السماء الدنيا فيقولون: سبحان ذي الملك والملكوت، وأما أهل السماء الثانية فيقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، وأما أهل السماء الثالثة فيقولون: سبحان الحي الذي لا يموت، فقلها يا عمر في صلواتك»، فقال عمر: يارسول الله، فكيف بالذي كنت علمتني وأمرتني أن أقوله في صلواتي؟ فقال: «قل هذا مرة وهذا مرة»، وكان الذي أمره به أن يقوله: «أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضائك من سخطائك، وأعوذ بك منك، جلي وجهك» هذا حديث غريب جداً (١)، بل منكر نكارة شديدة، وإسحاق السريوي روى عنه البخاري، وذكره ابن حبان في الثقات وضعفه أبو داود والنسائي والعليني والبارقظني. وقال أبو حاتم الرازي: «كان صدوقاً إلا أنه ذهب بصره فرعا [لقن] وكتبه صحيفة (٢)». وقال مرة: هو مضطرب، وشيخه عبد الملك بن قدامة أبو قتادة الجمحي: تكلم فيه أيضاً. والعجب من الإمام محمد بن نصر كيف رواه ولم يتكلم عليه، ولا عرف بحاله، ولا تعرض لضحك، بعض رجاله؟ غير أنه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير مرسلًا بنحوه. ومن طريق أخرى عن الحسن البصري مرسلًا، قريباً منه، ثم قال محمد بن نصر:

حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاذ أخبرنا النضر، أخبرنا عباد بن منصور قال: سمعت علي بن أرطاة وهو خطيبنا على منبر المنائن قال: سمعت رجلاً من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن لله تعالى ملائكة ترصد قرانهم من حيثته، ما منهم منك تقطر منه دمعته من عينه إلا وقعت على منك يصلي، وإن منهم ملائكة منجوداً من خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وإن منهم ملائكة ركوعاً لم يرفعوا رؤوسهم من خلق الله السموات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله - عز وجل - قالوا: سبحانك، وما عبدناك حتى عبادةك».

وهذا إسناد لا يأمن به.

وقوله: (وما هي إلا ذكري للبشر)، قال مجاهد وغير واحد: (وما هي)، أي: النار التي وصفت، (إلا ذكري للبشر).

ثم قال: (كلا والنمر، والليل إذا أهير)، أي: ولي، (والصبح إذا أسفر)، أي: أشرق، (إنها لإحدى الكبر)، أي: العظام، يعني النار، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقدامة، والضحاك، وغير واحد من السلف: (تذكيراً للبشر، لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر)، أي: لمن شاء أن يقبل التقدير ويهتدى للحق، أو يتأخر عنها ويؤلى ويردها.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک في کتاب معرفة الصحابة: ٨٧/٣ + ٨٨، بإسناده إلى إسحاق السريوي نحوه.

(٢) المخرج والتعديل لابن أبي حاتم: ٢٣٣/١/١.

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٢٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٢٩﴾ فِي جَنَّاتٍ بِتَسَاءُلُونَ ﴿٣٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ مَا سَأَلُوكُمْ فِي سَفَرٍ ﴿٣٢﴾ قَالُوا لَرَأَيْتَكَ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٣٣﴾ وَلَمْ تَكُنْ تُطْعِمُ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾ وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٣٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٣٦﴾ حَتَّى أَتَيْنَا الْبَاقِينَ ﴿٣٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٣٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٣٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٤٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٤١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُّثْقَلَةً ﴿٤٢﴾ كَلَّا بَلْ لَّا يَخَافُونَ الْعَذَابَ ﴿٤٣﴾ كَلَّا أَلَمْ تَذْكُرْ ﴿٤٤﴾ مَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٤٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّشْوِيِّ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى ضرباً أن (كل نفس بما كسبت رهينة)، أي: معقولة بعملها يوم القيامة، قاله ابن عباس وغيره (إلا أصحاب اليمين) فأنهم في جنات يتساءلون عن المجرمين أي يسألون المجرمين وهم في الغرفات وأولئك في النار كاتين لهم (ما سألكم في سفر؟ قالوا: لم نك من المصلين . ولم نك تطعم المسكين) ، أي : ما عبدنا ربنا ولا أحسننا إلى خلقه من جنسنا ، (وكننا نحوض مع الخائضين) ، أي : نتكلم فيما لا تعلم . وقال قتادة : كما غوى غاوي غويتنا معه ، (وكننا نكذب يوم الدين حتى أتانا اليقين) ، يعني الموت . كقوله : (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (١)) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما هو - يعني عثمان بن مظعون - فقد جاءه اليقين من ربه (٢) » .

قال الله تعالى : (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) ، أي : من كان متصفاً بهذه الصفات فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه ، لأن الشفاعة إنما تنجح إذا كان أهل قابلاً ، فأما من وإلى الله كافراً يوم القيامة فإنه له النار لا محالة ، خالداً فيها .

ثم قال تعالى : (فما لهم عن التذكرة معرضين ؟) أي : فما هؤلاء الكفرة الذين قبلتكم مما تدعوهم إليه وتذكروهم به معرضين) (كأنهم حمير مستنفرة . فرت من قسورة) ، أي : كأنهم في نفرهم عن الحق وإعراضهم عنه حمير من حمير الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد ، قاله أبو هريرة ، وابن عباس - في رواية عنه - وزيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن . أو : رام ، وهو رواية عن ابن عباس ، وهو قول الجمهور (٣) .

وقال حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن (٤) مهراك ، عن ابن عباس : الأسد بالعربية ، ويقال له بالحبشية قسورة ، وبالفارسية شير ، وبالنبطية أوبا .

وقوله : (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً مثقولة) ، أي : بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن

(١) سورة الحجر آية : ٩٩ .

(٢) تقدم الحديث عند تفسير آية الحجر المتقدمة . وعرجناه هناك ، النظر : ٤٧٢/٤ .

(٣) انظر تفسير الطبري : ١٠٦/٢٩ - ١٠٧ .

(٤) في المخطوطة : « يوسف بن مهراق » . والمثبت عن تفسير الطبري : ١٠٧/٢٩ . وأخرج والتعديل لابن أبي حاتم :

يترد عليه كتاباً كما أنزل على النبي . قاله مجاهد وغيره ، كقوله : (وإذا جاءهم آية قالوا : لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالاته (١)) - وفي رواية عن قتادة : يريدون أن يوتوا براءة بغير عمل (٢) .
 قوله (كلا ، بل لا يخافون الآخرة) ، أي : إنما أفسدتم عدم إيمانهم بها ، وتكذيبهم بوقوعها .
 ثم قال تعالى : (كلا إنه تذكروه) أي : حقاً إن القرآن تذكرة (فمن شاء ذكره . وما يذكرون إلا أن يشاء الله)
 الله (كقوله :) وما تشامون إلا أن يشاء الله (٣) .
 وقوله : (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) ، أي : هو أهل أن يخاف منه ، وهو أهل أن يخفر ذنب من تاب إليه
 وأتاب . قاله قتادة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الحباب ، أخبرني سهيل - أخو حزم - حدثنا ثابت البناني ، عن أنس بن مالك
 قال : قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذه الآية : (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) ، وقال : قال ربكم : أنا
 أهل أن أتقى ، فلا يجعل معي إله ، فمن أتى أن يجعل معي إلهاً كان أهلاً أن أخفر له (٤) .
 ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب ، والنسائي من حديث المعافى بن عمران ، كلاهما عن سهيل بن
 عبد الله القطامي ، به . وقال الترمذي : حسن غريب ، وسهيل ليس بالقوي (٥) . ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه ،
 عن هذبة بن خالد ، عن سهيل ، به . وهكذا رواه أبو يعلى والبيهقي والبخاري وغيرهم ، من حديث سهيل
 القطامي ، به .

آخر تفسير سورة المدثر والله الحمد والمنة

-
- (١) سورة الأنعام ، آية : ١٢٤ . (ورسالاته) هكذا في مخطوطة الأزهر ، وقد نبتنا عليها في موضعها من هذا التفسير ،
 انظر : ٣/٢٢٤ .
 (٢) تفسير الطبري : ٢٩/١٠٧ .
 (٣) سورة الإنسان ، آية : ٣٠ ، ولشكوك ، آية : ٢٩ .
 (٤) مسند الإمام أحمد : ٣/١٤٢ ، وانظر : ٣/٢٤٣ .
 (٥) تحفة الأحقضي ، تفسير سورة المدثر ، الحديث : ٢٢٨٤ - ٢٤٧/٩ - ٢٤٨ . وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب
 ما يرجي من رحمة الله يوم القيامة ، الحديث : ٤٢٩٩ : ٢/١٤٢٧ .

تفسير سورة القيامة

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ① وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ② أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ تُجْمَعَ عِظَامُهُ ③ بَلَى قَدِيرًا ④
عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ⑤ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ⑥ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ⑦ فَإِذَا يَرَى
الْبَصِيرَ ⑧ وَخَسَفَ الْقَمَرَ ⑨ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ⑩ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَعْرُ ⑪
كَلَّا لَا وَزَرَ ⑫ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ⑬ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ⑭ بَلَى
الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ⑮ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ⑯

قد تقدم غير مرة أن المقسم عليه مني كان متشكياً ، جاز الإتيان بلا قبل القسم لتأكيد النفي . والمقسم عليه هاهنا هو إثبات المعاد ، والرد على ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم بعث الأجساد ، ولهذا قال تعالى : (لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة) - قال الحسن : أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة (١) . وقال قتادة : بل أقسم بهما جميعاً . هكذا حكاه ابن أبي حاتم . وقد حكى ابن جرير ، عن الحسن والأعرج أنهما قرآ : (لأقسم) (٢) وهذا يوجه قول الحسن ؛ لأنه أثبت القسم بيوم القيامة ونفى القسم بالنفس اللوامة . والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً كما قاله قتادة رحمه الله ، وهو المروي عن ابن عباس ، وسعيد بن جبيرة ، واختاره ابن جرير .

فأما يوم القيامة فعروف ، وأما النفس اللوامة فقال قره بن خالد ، عن الحسن البصري في هذه الآية : إن المؤمن - والله - ما نراه إلا يلوم نفسه : ما أردت بكلمتي ؟ ما أردت بأكلتي ؟ ما أردت بحديث نفسي ؟ وإن الفاجر يعضي فئدما ما يعاتب نفسه .

وقال جوير : بلغنا عن الحسن أنه قال في قوله : (ولا أقسم بالنفس اللوامة) ، قال : ليس أحد من أهل السموات والأرض إلا يلوم نفسه يوم القيامة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم ، عن إسرائيل ، عن سفيان : أنه سأل عكرمة عن قوله : (ولا أقسم بالنفس اللوامة) ، قال : يلوم على الخير والشر : لو فعلت كذا وكذا .

(١) أخرج الطبري هذا الأثر عن الحسن ، انظر : ١٠٩/٢٩ .
(٢) في الخطوطة : « لا أقسم » . وهو خطأ . وقد ثبت على هامشها في هذا الموضع : (لعله ولا أقسم بالنفس) على أحد الوجهين عن ابن كثير . « هذا وانظر القراءات في المحتسب لابن جني : ٣٤١/٢ . وتفسير الطبري : ١٠٨/٢٩ - ١١٠ .
وتفسير القرطبي : ٩٢/١٩ . والبحر المحيط : ٢٦٢/٨ .

ورواه ابن جرير ، عن أبي كزّيب ، عن وكيع عن إسرائيل به (١) .
وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا مؤمل ، حدثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن الحسن بن مسلم ، عن سعيد بن جبير في : (ولا أقسم بالنفس اللوامة) ، قال : تلوم على الخير والشر (١) .
ثم رواه من وجه آخر عن سعيد أنه سأل ابن عباس عن ذلك : فقال : هي النفس التلوم (١) ،
وقال ابن أبي نجیح ، عن مجاهد : تندم على ما فات وتلوم عليه .
وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : اللوامة : المذمومة ،
وقال قتادة : (اللوامة) : الفاجرة .
قال ابن جرير : وكل هذه الأقوال متقاربة بالمعنى ، والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر ،
وتندم على ما فات .
وقوله : (أحسب الإنسان أن لن نجح عظامه ؟) ، أي : يوم القيامة ، أيقن أنا لا تقدر على إعادة عظامه وجمعها
من أما كنها المنفردة ؟ (بلى ، قادرين على أن نسوي بنانه) - قال سعيد بن جبير والعوفى ، عن ابن عباس : أن يجعله
خفا أو حافراً (٢) . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقاتدة ، والضحاك ، وابن جرير . ووجهه ابن جرير
بأنه تعالى لو شاء لجعل ذلك في الدنيا .
والظاهر من الآية أن قوله (قادرين) حال من قوله : (نجح) ، أي : أيقن الإنسان أنا لا نجح عظامه ؟ بلى ستجمعها
قادرين على أن نسوي بنانه ، أي : قدرتنا صالحة لجمعها ، ولو شئنا لبعثناه أزيد مما كان ، فنجعل بنانه - وهي أطراف
أصحابه - مستوية . وهذا معنى قول ابن قتيبة ، والراجح .
وقوله : (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) - قال سعيد ، عن ابن عباس : يعني ممضى قدما .
وقال العوفى ، عن ابن عباس : (ليفجر أمامه) يعني الأمل ، يقول الإنسان : أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة ،
ويقال : هو الكفر بالحق بين يدي القيامة (٣) .
وقال مجاهد : (ليفجر أمامه) : يمضى أمامه راكبا رأسه . وقال الحسن : لا يليق ابن آدم إلا تترع نفسه إلى معصية الله
قدما قدما ، إلا من عصمه (٣) الله .
وروى عن عكرمة ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، والسدي ، وغير واحد من السلف : هو الذي يتعجل الذنوب
ويُسوف التوبة .
وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هو الكافر يكذب بيوم الحساب . وكذا قال ابن زيد ، وهذا هو الأظهر
من المراد ، ولهذا قال بعده : (يسأل أباي يوم القيامة ؟) ، أي : يقول في يكون يوم القيامة ؟ وإنما سؤاله سؤال
استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده ، كما قال تعالى : (ويعنون : متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . قل : لكم ميعاد
يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون (٤)) .

(١) تفسير الطبري : ١٠٩/٢٩ .

(٢) في المخطوطة : « أو حائفا » . والمثبت من تفسير الطبري : ١١٠/٢٩ .

(٣) تفسير الطبري : ١١١/١٩ .

(٤) سورة سبأ ، آية : ٢٩ - ٣٠ .

وقال تعالى هاهنا : (فاذا برق البصر) - قال أبو عمرو بن العلاء : (برق) - بكسر الراء - أى : حار (١) . وهذا الذى قاله شبيه بقوله تعالى : (لا يرتد إليهم طرفهم) (٢) ، بل ينظرون من الفزع هكذا وهكذا ، لا يستقر لهم بصر على شيء ، من شدة الرعب .

وقرأ آخرون : (برق) بالفتح ، وهو قريب فى المعنى من الأول . والمقصود أن الأبصار تنبه يوم القيامة وتخشع وتحار وتذل من شدة الأهوال ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور .

وقوله : (وخسفت القمر) ، أى : ذهب ضوءه ، (وجمع الشمس والقمر) - قال مجاهد : كيوماً . وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية : (إذا الشمس كورت . وإذا النجوم انكدرت) . وروى عن ابن مسعود أنه قرأ : (وجمع بين الشمس والقمر) (٣) .

وقوله : (يقول الإنسان يومئذ : أين المفر) ، أى : إذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة حينئذ [يريد أن] (٤) يفر ويقول : أين المفر ؟ أى : هل من ملجأ أو موئل ؟ قال الله تعالى : (كلا ، لا وزر . إلى ربك يومئذ المستقر) - قال ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وغير واحد ، من السلف : أى لا نجاة .

وهذه كقوله : (مالكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير) (٥) ، أى : ليس لكم مكان (تتكرون فيه ، وكلا قال هاهنا : لا وزر) ، أى : ليس لكم مكان (٤) [تعتصمون فيه . ولهذا قال : (إلى ربك يومئذ المستقر) ، أى : المرجع والمصير .

ثم قال تعالى : (نبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) ، أى : يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها ، أولها وآخرها ، صغيرها وكبيرها ، كما قال تعالى : (ووجدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحداً) (٤) . وهكذا قال هاهنا : (بل الإنسان على نفسه بصيرة . ولو ألقى معاذيره) ، أى : هو شهيد على نفسه ، عالم بما فعله ولو اختلر وأنكر ، كما قال تعالى : (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) (٦) .

قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : (بل الإنسان على نفسه بصيرة) ، يقول : سمعه وبصره ويده ورجلاه (٧) وجوارحه .

وقال قتادة : شاهد على نفسه . وفى رواية قال : إذا شئت - والله - رأيت بصيرا بعيوب الناس وذنوبهم غافلاً عن ذنوبه ، وكان يقال : إن فى الإنجيل مكتوباً : يا ابن آدم ، تبصر القلادة فى عين أخيك ، وترك الجذائل (٨) فى عينك لا تبصره (٩) .

(١) تفسير الطبرى : ١١٢/٢٩ .

(٢) سورة إبراهيم ، آية : ٤٣ .

(٣) تفسير الطبرى : ١١٣/٢٩ .

(٤) ما بين القوسين عن الطيحات السابقة .

(٥) سورة الشورى ، آية : ٤٧ .

(٦) سورة الإسراء ، آية : ١٤ .

(٧) فى المخطوطة : « ويديه ورجليه » . والمثبت عن تفسير الطبرى : ١١٥/٢٩ .

(٨) فى المخطوطة : « وترك الجذع » . والمثبت عن تفسير الطبرى . وفى النهاية لابن الأثير - وقد ذكر الأثر - : « الجذال - بالكسر والفتح - : أصل الشجرة يقطع ، وقد يحمل المود جهلاً » .

(٩) تفسير الطبرى : ١١٥/٢٩ .

وقال مجاهد : (ولو ألقى معاذيره) : ولو جادل عنها فهو بصير عليها . وقال قتادة : (ولو ألقى معاذيره) : ولو اعتذر يومئذ بباطل لا يقبل منه . وقال السدي : (ولو ألقى معاذيره) : حجته . وكذا قال ابن زيد ، والحسن البصري ، وغيرهم . واختاره ابن جرير .

وقال قتادة ، عن زرارة ، عن ابن عباس : (ولو ألقى معاذيره) ، يقول : لو ألقى ثيابه (١) ،

وقال الضحاك : ولو ألقى ستوره ، وأهل اليمن يسمون السر : المعذار (٢) .

والصحيح قول مجاهد وأصحابه ، كقوله : (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا : والله ربنا ما كنا مشركين (٣)) ، وكقوله : (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ، ويحسبون أنهم على شيء ، ألا إنهم هم الكاذبون (٤)) . وقال العوفي ، عن ابن عباس : (ولو ألقى معاذيره) ، هي : الاعتذار ، ألم تسمع أنه قال : (لا ينفع الظالمين معذرتهم) ، وقال : (والتقوا إلى الله يومئذ السلم) ، (فألقوا السلم (٥) ما كنا نعمل من سوء) وقولهم : (والله ربنا ما كنا مشركين) .

لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۖ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۖ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّازِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾

هذا تعليم من الله - عز وجل - لرسوله - صلى الله عليه وسلم - في كيفية تلقيه الوحي من الملك ، فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته ، فأمره الله - عز وجل - إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له ، وتكفل له أن يجمعه في صدره ، وأن يبصره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه ، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه . فالحالة الأولى جمعه في صدره ، والثانية تلاوته ، والثالثة تفسيره وإيضاح معناه . ولهذا قال : (لا تحرك به لسانك لتعجل به) ، أي : بالقرآن ، كما قال : (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى بك وأهله وحياه ، وقل : رب زدني علما (٦)) .

ثم قال : (إن علينا جمعه) ، أي : في صدرك ، (وقرأته) ، أي : أن تقرأه ، (فاذا قرأناه) ، أي : إذا تلاه عليك الملك عن الله عز وجل (فاتبع قرآنه) ، أي : فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك ، (ثم إن علينا بيانه) ، أي : بعد حفظه وتلاوته نبيته لك ونوضحه ، ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، عن أبي عوانة ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن سعيد بن جبسر ، عن

(١) في المخطوطة : «لو ألقى بهتانه» . والمثبت عن الطبقات السابقة ، والأثر - كما في تفسير الطبري ١١٦/٢٩ - :

«لو تجرد» .

(٢) انظر البحر المحيط لأبي حيان : ٣٨٧/٨ .

(٣) سورة الانعام ، آية : ٢٣ .

(٤) سورة المجادلة ، آية : ١٨ .

(٥) في المخطوطة وتفسير الطبري ١١٦/٢٩ : «والتقوا إلى الله يومئذ السلم ما كنا نعمل» . وهما آيتان لا آية واحدة ،

أما الأولى فبنو النحل : ٨٧ . والثانية من السورة نفسها : ٢٨ . ولعله سقط نظر ،

(٦) سورة طه ، آية : ١١٤ .

ابن عباس قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعالج من التنزيل شدة ، فكان يحرك شفثيه ، - قال : فقال لي ابن عباس : أنا أحرك شفثي كما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحرك شفثيه . وقال لي سعيد : وأنا أحرك شفثي كما رأيت ابن عباس يحرك شفثيه - فأنزل الله عز وجل : (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) ، قال : جمعه في صدرك ، ثم تقرأه ، (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) : فاستمع له وأنتصت ، (ثم إن علينا بيانه) . فكان بعد ذلك إذا انطلق جريلا قرأه كما أقرأه (١) .

وقد رواه البخاري ومسلم ، من غير وجه ، عن موسى بن أبي عائشة ، به . ولفظ البخاري : فكان إذا أتاه جريلا أطرق ، فإذا ذهب قرأه كما وعد الله عز وجل (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو يحيى التيمي ، حدثنا موسى بن أبي عائشة ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا نزل عليه الوحي يلقى منه شدة ، وكان إذا نزل عليه عرف في تحريكه شفثيه ، يتلى أوله ويحرك شفثيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يهرع من آخره ، فأنزل الله : (لا تحرك به لسانك لتعجل به) .

وهكذا قال الشعبي ، والحسن البصري ، وقتادة ، ومجاهد ، والضحاك ، وغير واحد : إن هذه الآية نزلت في ذلك .

وقد روى ابن جرير من طريق العوفي ، عن ابن عباس : (لا تحرك به لسانك لتعجل به) ، قال : كان لا يفتر من القراءة (٣) مخافة أن ينساه ، فقال الله : (لا تحرك به لسانك لتعجل به) (إن علينا) أن جمعه لك ، (وقرآنه) أن تقرئك فلا تنسى (٤) .

وقال ابن عباس وعطية العوفي : (ثم إن علينا بيانه) : تبين حلاله وحرامه . وكذا قال قتادة :

وقوله : (كلا ، بل يحبون العاجلة . وتلدرون الآخرة) ، أي : إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزله الله - عز وجل - على رسوله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الحق والقرآن العظيم : أنهم إنما همتهم إلى الدار الدنيا العاجلة ، وهم لا همون متشاغلون عن الآخرة .

ثم قال تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة) ، من النضارة ، أي : حسنة بهيئة مشرقة مسرورة ، (إلى ربها ناظرة) ، أي : تراه عيانا ، كما رواه البخاري رحمه الله في صحيحه : « إنكم سرورون ربكم عيانا (٥) » . وقد ثبت رؤية المؤمنين لله - عز وجل - في الدار الآخرة [في] الأحاديث الصحاح ، من طرق متواترة عند أئمة الحديث ، لا يمكن دفعها ولا منعها ، لحديث أبي سعيد وأبي هريرة - وهما في الصحيحين - أن ناسا قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٤٣/١ .

(٢) البخاري ، تفسير سورة القيامة : ٢٠٣/٦ . وانظر فيما تقدم تفسير آية طه ج ١١٤ : ٣١٣/٥ ، فقد خرجنا

الحديث هناك عن الصحيحين .

(٣) في تفسير الطبري : « من القرآن » .

(٤) تفسير الطبري : ١١٧/٢٩ .

(٥) البخاري ، كتاب التوحيد : ١٥٦/٩ .

فقال : « هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب ؟ » قالوا : لا . قال : « فانكم ترون ربكم كذلك (١) » وفي الصحيحين عن جرير قال : نظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى القمر ليلة البدر فقال : « إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر ، فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا (١) » وفي الصحيحين عن أبي موسى قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن (٢) » . وفي أفراد مسلم ، عن صهيب ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة قال : يقول الله تعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ، وهي الزيادة » . ثم تلا هذه الآية : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (٣) .

وفي أفراد مسلم ، عن جابر في حديثه : « إن الله يستجلى للمؤمنين يضحك (٤) » - يعنى في عرصات القيامة - في هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم - عز وجل - في العرصات ، وفي روضات الجنات .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا عبد الملك بن أنجر ، حدثنا ثوير بن أبي فاخته ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة ، يرى أقصاه كما يرى أدناه . » ينظر إلى أزواجه وخدمه . وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجهه الله كل يوم مرتين (٥) .

ورواه الترمذى عن عبد بن حميد ، عن شابة ، عن إسرائيل ، عن ثوير قال : « سمعت ابن عمر ... » فذكره ، قال : « ورواه عبد الملك بن أنجر ، عن ثوير ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قوله » . وكذلك رواه الثورى ، عن ثوير ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، ولم يرفعه (٦) . ولو لا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن ، ولكن ذكرنا ذلك مفرقا في مواضع من هذا التفسير ، وبالله التوفيق . وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة ، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام . وهُدَاة الأنام .

ومن تأول ذلك بأن المراد به (إلى) مفرد الآلاء ، وهى النعم ، - كما قال الثورى ، عن منصور ، عن مجاهد : (إلى ربها ناظرة) ، فقال : تنتظر الثواب من ربها . رواه ابن جرير - من غير وجه - عن مجاهد . (٧) وكذا قال أبو صالح أيضا - فقد أبعد هذا القائل النجعة ، وأبطل فيما ذهب إليه . وأين هو من قوله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم

(١) البخارى ، الكتاب المتقدم : ١٥٦/٩ - ١٥٨ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب « معرفة طريق الرؤية » .

١١٢/١ - ١١٥ .

(٢) البخارى ، الكتاب المتقدم : ١٦٢/٩ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب « إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى » : ١١٢/١ .

(٣) مسلم ، فى الكتاب والباب المتقدمين : ١١٢/١ . وانظر تفسير الآية السادسة والعشرين من سورة يونس : ١٩٩/٤ .

(٤) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب « أدنى أهل الجنة منزلة » : ١٢٢/١ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ١٣/٢ .

(٦) تحفة الأحوذى ، تفسير سورة القيامة ، الحديث ٣٣٨٦ : ٢٤٩/٩ - ٢٥٠ .

(٧) تفسير الطبرى : ١٢٠/٢٩ .

يومئذ لمحجوبون ؟ (١) قال الشافعي : رحمه الله ؛ ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل : ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما دل عليه سياق الآية الكريمة ، وهي قوله : (إلى ربه ناظرة) قال ابن جرير حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري ، حدثنا آدم ، حدثنا المبارك ، عن الحسن : « (وجوه يومئذ ناظرة) ، قال : حسنة ، (إلى ربه ناظرة) ، قال : تنظر إلى الخالق ، وحق لها أن تتصبر وهي تنظر إلى الخالق (٢) .

وقوله : (ووجوه يومئذ باسرة . تظن أن يفعل بها فاقرة) : هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة . قال قتادة : كالحة . وقال السدي : تغير ألوانها . وقال ابن زيد (باسرة) ، أي : عابسة .

(تظن) ، أي : تستيقن (أن يفعل بها فاقرة) ، قال مجاهد : داهية . وقال قتادة : شر . وقال السدي : تستيقن أنها هالكة . وقال ابن زيد : تظن أن ستدخل النار ؛

وهذا المقام كقوله : (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه (٣)) ، وكقوله : (وجوه يومئذ مسفرة . ضاحكة مستبشرة . ووجوه يومئذ عليها غبرة . ترهقها قفرة . أولئك هم الكفرة الفجرة (٤)) . وكقوله : (وجوه يومئذ خاشعة . عاملة ناصبة . تصلى نارا حامية) إلى قوله : (وجوه يومئذ ناعمة . لسعيها راضية . في جنة عالية (٥)) ، في أشباه ذلك من الآيات والسياقات ؛

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۖ وَقِيلَ لَهَا مِمَّن رَاقٍ ۖ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ۖ وَالْتَفَتِ إِلَىٰ آلِهَا بِالْوَسْطِ ۖ وَهِيَ فِي الْغِيَابِ ۖ لَهَا يَوْمَئِذٍ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۖ وَإِن جَعَلْنَاهَا حِقْقًا ۖ فَلَا يَصْدَقُ وَلَا يَصْلَىٰ ۖ وَلَكِنَّ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۖ ثُمَّ دُخِّلَ إِلَىٰ آهْلِهَا فِي الْبُحْبُوحِ ۖ وَأُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ۖ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ۖ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۖ أَلَيْسَ لَكَ نُفُوسٌ مِّن مَّن مَّيْمَنِي ۖ لَوْ كَانَتْ عُلُقَةً نَّحْلَقُكَ فَسَوْىٰ ۖ جَعَلَ مِنَ الزَّوْجِيبِ الذَّكْرَ وَالْأُنثَىٰ ۖ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۖ

يخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الأحوال - ثبتنا الله هناك بالقول الثابت - فقال تعالى : (كلا إذا بلغت التراقي) ، إن جعلنا (كلا) رادعة فعناها : لست يا ابن آدم تكذب هناك بما أخبرت به ، بل صار ذلك عندك عيانا . وإن جعلناها بمعنى (حقا) فظاهر ، أي : حقا إذا بلغت التراقي ، أي : انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك . والتراقي : جمع ترقوة ، وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق ، كقوله : (فلولا إذا بلغت الحلقوم . وأنتم حينئذ تنظرون . ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون . فلولا إن كنتم غير مدينين . ترجعونها إن كنتم صادقين (٦)) .

(١) سورة المطففين ، آية : ١٥ .

(٢) تفسير الطبري : ١١٩/٢٩ - ١٢٠ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٠٦ .

(٤) سورة عبس ، الآيات : ٣٨ - ٤٢ .

(٥) سورة الفاشية ، الآيات : ٢ - ١٠ .

(٦) سورة الواقعة ، الآيات : ٨٣ - ٨٧ .

وهكذا قال هاهنا : (كلا إذا بلغت التراقي) ، ويذكر هاهنا حديث بسمر بن جحاش (١) الذي تقدم في سورة « يس » ،
والتراقي : جمع ترقوة وهي قريبة من الحلقوم .

(وقيل : من راق ؟) قال : عكرمة ، عن ابن عباس : أى من راق يرقى ؟ وكذا قال أبو قلابة : (وقيل من
راق) ، أى : من طبيب شاف . وكذا قال قتادة ، والضحاك ، وابن زيد (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا نصر بن علي ، حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي ، حدثنا عمرو
ابن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس : (وقيل : من راق) ، قال : قيل : من يرقى بروحه ملائكة الرحمة
أم ملائكة العذاب (٣) ؟ فعلى هذا يكون من كلام الملائكة .

وهذا الإسناد ، عن ابن عباس في قوله : (والتفت الساق بالساق) ، (قال : التفت عليه الدنيا والآخرة : وكذا
قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (والتفت الساق بالساق) ، يقول : آخر يوم من أيام الدنيا ، وأول يوم من
أيام الآخرة ، فتلتقى الشدة بالشدة إلا من رحم الله (٤) .

وقال عكرمة : (والتفت الساق بالساق) : الأمر العظيم بالأمر العظيم : وقال مجاهد : بلاء بلاء : وقال الحسن
البصرى في قوله : (والتفت الساق بالساق) : هما ساقاك إذا التفتا . وفي رواية عنه : ماتت رجلاه فلم تحمله ، وقد
كان عليهما جوالا (٥) . وكذا قال السدى ، عن أبي مالك .

وفي رواية عن الحسن : هو لفتهما في الكفن .

وقال الضحاك : (والتفت الساق بالساق) ، اجتمع عليه أمران : الناس يجهزون جسده ، والملائكة يجهزون
روحه .

وقوله : (إلى ربك يومئذ المساق) ، أى : المرجع والمآب ، وذلك أن الروح ترفع إلى السموات ، فيقول الله
- عز وجل - : ردوا عبيدى إلى الأرض ، فانى منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى . كما ورد
في حديث البراء الطويل (٦) . وقد قال الله تعالى : (وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكم حفظة ، حتى إذا جاء
أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون . ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ، ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين (٧)) .

وقوله : (فلا صدق ولا صلى . ولكن كذب ، وتولى) : هذا إخبار عن الكافر الذى كان في الدار الدنيا مكذبا للحق
بقلبه ، متوليا عن العمل بقلبه ، فلا خير فيه باطنا ولا ظاهرا ، ولهذا قال : (فلا صدق ولا صلى ، ولكن كذب
وتولى . ثم ذهب إلى أهله يتمطى) ، أى : جتلا أشرا بطورا كسلانا ، لا همة له ولا عمل ، كما قال : (وإذا انقلبوا

(١) في المخطوطة : « بسمر بن حجاج » . انظر تفسير سورة « يس » : ٥٨٠/٦ .

(٢) انظر تفسير الطبرى : ١٢١/٢٩ .

(٣) أخرجه الطبرى ، من طريق عمرو بن مالك النكرى ، به ، انظر : ١٢١/٢٩ .

(٤) تفسير الطبرى : ١٢٢/٢٩ .

(٥) تفسير الطبرى : ١٢٣/٢٩ .

(٦) تقدم حديث البراء بن عازب ، عند تفسير الآية الأربعين من سورة الأعراف ، انظر : ٤٩٧/٢ - ٤٩٨ .

(٧) سورة الأنعام ، آية : ٦١ - ٦٢ .

إلى أهلهم انقلبوا فكهين) (١) ، وقال : (إنه كان في أهله مسرورا . إنه ظن أن لن يحور) ، أي : يرجع ، (بلى إن ربه كان به بصيرا) (٢) .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : (ثم ذهب إلى أهله يتمطى) : يختال . وقال قتادة ، وزيد بن أسلم : يتبختر . قال الله تعالى : (أولى لك فأولى . ثم أولى لك فأولى) : وهذا تهديد ووعيد أكيد منه تعالى للكافر به المتبختر في مشيته ، أي : يحق لك أن تمشي هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك ، كما يقال في مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد ، كقوله : (ذق إنك أنت العزيز الكريم) (٣) . وكقوله : (كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون) (٤) . وكقوله : (فاعبدوا ما شئتم من دونه) (٥) ، وكقوله : (اعملوا ما شئتم) (٦) . إلى غير ذلك .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا عبد الرحمن - يعنى ابن مهدى - عن إسرائيل عن موسى بن أبي عائشة قال : سألت سعيد بن جبير قلت : (أولى لك فأولى . ثم أولى لك فأولى) ؟ قال : قال النبي ، - صلى الله عليه وسلم - لأبي جهل ، ثم نزل به القرآن .

وقال أبو عبد الرحمن النسائي : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبو النعمان ، حدثنا أبو عوانة - (ح) وحدثنا أبو داود : حدثنا محمد بن سليمان ، حدثنا أبو عوانة - عن موسى بن أبي عائشة ، عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : (أولى لك فأولى . ثم أولى لك فأولى) ؟ قال : قاله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم أنزله الله عز وجل :

السورة
الكبرى
٥٠
برصم

قال ابن أبي حاتم : وحدثنا أبي حدثنا ، هشام بن خالد ، حدثنا شعيب بن إسحاق ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : (أولى لك فأولى ، ثم أولى لك فأولى) ، وعبد على أثر وعيد ، كما تسمعون ، وزعموا أن عدو الله أبا جهل أخذ نسي الله بمجامع ثيابه ، ثم قال : «أولى لك فأولى . ثم أولى لك فأولى» . فقال عدو الله أبو جهل : أتوعدني يا محمد ؟ والله لا نستطيع أنت ولا ربك شيئا ، وإني لأعز من مشى بين جبليها .

وقوله : (أتحسب الإنسان أن يترك سدى) ، قال السدى : يعنى لا يبعث :

وقال مجاهد ، والشافعي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يعنى لا يؤمر ولا ينهى :

والظاهر أن الآية تعم الحالين ، أي : ليس يترك في هذه الدنيا مهملا لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث ، بل هو مأمور منه في الدنيا ، محشور إلى الله في الدار الآخرة . والمقصود هنا إثبات المعاد ، والرد على من أنكروه من أهل الزيغ والجهل والعناد ، ولهذا قال مستدلا على الإعادة بالبداء فقال : (ألم يك نطفة من مني يمى) ؟ أي : أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين ، يمى يراق من الأصلاب في الأرحام . (ثم كان علقة فخلق فسوى) ،

(١) سورة المطففين ، آية : ٣٤ .

(٢) سورة الانشقاق ، آية : ١٣ - ١٥ .

(٣) سورة الدخان ، آية : ٤٩ .

(٤) سورة المرسلات ، آية : ٤٦ .

(٥) سورة الزمر ، آية : ١٥ .

(٦) سورة فصلت ، آية : ٤٠ .

أى : فصلا علقه ، ثم مضغة ، ثم شكّل ونفخ فيه الروح ، فصار خلقاً آخر سويّاً سليم الأعضاء ، ذكرنا أو أنثى بأذن الله وتقديره . ولهذا قال : (فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) .

ثم قال : (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) ، أى : أما هذا الذى أنشأ هذا الخلق السوى من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه ؟ وتناول القدرة للإعادة إما بطريق الأولى بالنسبة إلى البداءة ، وإما مساوية على القولين فى قوله : (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه (١)) . والأول أشهر كما تقدم فى « سورة الروم » بيانه وتقديره ، والله أعلم (٢) .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا شبابة ، عن شعبة ، عن موسى بن أبى عائشة ، عن آخر : أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن ، فإذا قرأ : (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟) قال : سبحانك اللهم فبلى . فستل عن ذلك فقال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول ذلك .

وقال أبو داود رحمه الله : حدثنا محمد بن المنثى ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن موسى بن أبى عائشة قال : كان رجل يصلى فوق بيته ، فكان إذا قرأ : (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟) . قال : سبحانك ، فبلى (٣) فسأله عن ذلك فقال : سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) .

تفرد به أبو داود ، ولم يسم هذا الصحابى ، ولا يضر ذلك .

وقال أبو داود أيضاً : حدثنا عبد الله بن محمد الزهرى ، حدثنا سفيان ، حدثنى إسماعيل بن أمية : سمعت أعرابياً يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها : (أليس الله بأحكم الحاكمين ؟) فليقل : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين . ومن قرأ : (لا أقسم بيوم القيامة) فانتهى إلى : (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟) فليقل : بلى . ومن قرأ : (والمرسلات) فبلغ : (فبأى حديث يعده يؤمنون ؟) فليقل : آمنا بالله (٥) »

ورواه أحمد ، عن سفيان بن عيينة . ورواه الترمذى عن ابن أبى عمر ، عن سفيان بن عيينة (٦) . وقد رواه شعبة ، عن إسماعيل بن أمية قال : قلت له : من حديثك ؟ قال رجل صدق ، عن أبى هريرة

وقال ابن جرير حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) : ذكر لنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا قرأها قال : « سبحانك وبلى (٧) » .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطى ، حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، حدثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه مر بهذه الآية : (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟) ، قال : سبحانك ، فبلى .

[آخر تفسير سورة القيامة والله الحمد والمنة]

(١) سورة الروم ، آية : ٢٧ .

(٢) انظر : ٣١٨/٦ .

(٣) فى سنن أبى داود : « فبكى » . والصواب ما هنا ، انظر الأحاديث التالية .

(٤) سنن أبى داود ، كتاب الصلاة ، باب « الدغاء فى الصلاة » .

(٥) سنن أبى داود ، كتاب الصلاة ، باب « مقدار الركوع والسجود » .

(٦) تحفة الأحوذى ، تفسير سورة التين ، الحديث ٣٤٠٥ : ٢٧٦/٩ .

(٧) تفسير الطبرى : ١٢٥/٢٩ .

تفسير سورة الانسان

وهي مكية

قد تقدم في صحيح مسلم ، عن ابن عباس : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة (الم . تنزيل) السجدة ، و (هل أتى على الإنسان؟ (١)).

وقال عبد الله بن وهب ، أخبرنا ابن زيد : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ هذه السورة : (هل أتى على الإنسان حين من الدهر) ، وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود ، فلما بلغ صفة الجنان ، زفر زفرة فخرجت نفسه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أخرج نفس صاحبكم - أو قال : أحيكم - الشوق إلى الجنة » . مرسل غريب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْقَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ
بِجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

يقول تعالى مخبرا عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئا يذكر ، لحقارته وضعفه ، فقال : (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا؟) .

ثم بين ذلك فقال : (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) ، أي : أخلاط . والمشج والمشيح : الشيء الحليط ، بعضه في بعض .

قال ابن عباس في قوله : (من نطفة أمشاج) ، يعنى : ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتماعا واختلاطا . ثم ينتقل بعد من طور إلى طور وحال إلى حال ولون إلى لون . وهكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والحسن ، والربيع بن أنس : الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة (٢) .

وقوله : (نبتليه) ، أي : نختبره ، كقوله : (ليبلوكم أيكم أحسن عملا (٣)) . (فجعلناه سمعا بصيرا) ، أي : جعلناه له سمعا وبصر أيتمكن بهما من الطاعة والمعصية .

وقوله : (إنا هديناه السبيل) ، أي : بيناه له ووضحناه وبصرناه به ، كقوله : (وأما ثمود فهديناهم فاستجبوا

-
- (١) تقدم الحديث أول تفسير سورة السجدة ، عن أبي هريرة وخرجناه هناك ، انظر : ٢٦١/٦ . وانظر الحديث عن ابن عباس في صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب «ما يقرأ في يوم الجمعة» : ١٦/٣ .
- (٢) انظر تفسير الطبري : ١٢٦/٢٩ .
- (٣) سورة الملك ، آية : ٤ .

العمى على الهدى (١) ، وكقوله . (وهديناه النجدين (٢)) ، أى : بينا له طريق الخير وطريق الشر . وهذا قول عكرمة ، وعطية ، وابن زيد ، ومجاهد - فى المشهور عنه - والجمهور .

وروى عن مجاهد ، وأبي صالح ، والضحاك ، والسدى أنهم قالوا فى قوله : (إنا هديناه السبيل) : يعنى خروجه من الرحم . وهذا قول غريب ، والصحيح المشهور الأول .

وقوله : (إما شاكراً وإما كفوراً) منصوب على الحال من « الهاء » فى قوله : (إنا هديناه السبيل) : تقديره فهو فى ذلك إما شقياً وإما سعيد (٣) ، كما جاء فى الحديث الذى رواه مسلم ، عن أبى مالك الأشعري قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فوبقها أو معتقها (٤) » . وتقدم فى « سورة الروم » ، عند قوله : (فطرة الله التى فطر الناس عليها) من رواية جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فاذا أعرب عنه لسانه ، فإما شاكراً وإما كفوراً (٥) » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، عن عثمان بن محمد ، عن المقبرى ، عن أبى هريرة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « مامن خارج يخرج إلا يباهه (٦) رايتان : زاية بيد ملكك ، وراية بيد شيطان ، فان خرج لما يحب الله أتبعه الملك برايته ، فلم يزل تحت زاية الملك حتى يرجع إلى بيته . وإن خرج لما يسخط الله أتبعه الشيطان برايته ، فلم يزل تحت زاية الشيطان ، حتى يرجع إلى بيته (٧) » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن ابن خثيم ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر ابن عبد الله : أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال لكعب بن عجرة : « أعاذك الله من إمارة السفهاء » . قال : وما إمارة السفهاء ؟ قال : « أمراء يكونون من بعدى ، لا يهتدون بهدائى ، ولا يستنون بسنتى ، فن صدقهم بكنبهم وأعانهم على ظلمهم ، فأولئك ليسوا منى ولست منهم ، ولا يردون على حوضى . ومن لم يصدقهم بكنبهم ولم يعنهم على ظلمهم ، فأولئك منى وأنا منهم ، وسيردون على حوضى . يا كعب بن عجرة : الصوم جنة ، والصدقة تطهى » .

(١) سورة فصلت ، آية : ١٧ .

(٢) سورة البلد ، آية : ١٠ .

(٣) انظر تفسير الطبرى : ١٢٧/٢٩ - ١٢٨ .

(٤) مسلم كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء ١/١٤٠ ومعنى الحديث ، قبائح نفسه أى حطها بإعطائها وأخذ عرضها ، وهو عمله

وكسبه ، فهو مهلكها إن كسب الشر ، وهو معتقها إن كسب الخير .

(٥) انظر الحديث عند تفسير آية الروم الثلاثين : ٦/٣٢١ ، وقد أخرجه مالك .

(٦) فى المسند : « إلا بيده » .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٢/٣٢٣ .

الخطيئة ، والصلاة قرباناً - أو قال : برهان . يا كعب بن عجرة : إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت ، النار أولى به . يا كعب : الناس غاديان ، فبتاع نفسه فعتقها ، وبتاع نفسه فوبقها (١) .
ورواه عن عتقان ، عن وهيب (٢) ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، به .

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾
عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّدْرِ وَيَحَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾
وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطَعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا
شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعَهُمْ نَصْرَةً
وَسُورًا ﴿١١﴾ وَحَزَّنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾

يخبر تعالى عما أُرصد له للكافرين من خلقه به من السلاسل والأغلال والسعير ، وهو اللهب والحريق في نار جهنم ،
كما قال : (إذا الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون . في الحميم ثم في النار يُسجرون) (٣) .
ولما ذكر ما أعدّه لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده : (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) ،
وقد علم ما في الكافور من التبريد والرأحة الطيبة ، مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاعة في الجنة .
قال الحسن : برد الكافور في طيب الزنجبيل . ولهذا قال : (عينا يشرب بها عباد الله ، يفجرونها تفجيراً) ، أي :
هذا الذي مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صيرفاً بلا مزج وتبرؤون (٤) بها ،
ولهذا ضمن يشرب « يروي » حتى عداه بالباء ، ونصب (عينا) على التمييز .
قال بعضهم : هذا الشراب في طيبه كالكافور . وقال بعضهم : هو من عين كافور . وقال بعضهم : يجوز أن يكون
منصوباً به (يشرب) . حكى هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير (٥) .
وقوله : (يفجرونها تفجيراً) ، أي : يتصرفون فيها حيث شاءوا وأين شاءوا ، من قصورهم ودورهم ومجالسهم
ومحالمهم .
والتفجير هو الإنباع ، كما قال تعالى : (وقالوا : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً) (٧)
وقال : (وفجرنا خلالها نهراً) (٦) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٣/٣٢١ .

(٢) في المسند : « حدثنا وهيب ، حدثنا عبد الله بن وهيب ، حدثنا عبد الله بن خثيم . ويبدو أنه خطأ » .

(٣) سورة غافر ، آية : ٧١ - ٧٢ .

(٤) في المخطوطة : « ويسرون بها » . والمثبت عن الطبقات السابقة ، والسياق يقتضيه .

(٥) انظر تفسير الطبري : ٢٩/١٢٨ .

(٦) سورة الإسراء ، آية : ٩٠ .

(٧) سورة الكهف ، آية : ٣٣ .

قال مجاهد : (يفجرونها تفجيراً) يفودونها حيث شاءوا (١) . وكذا قال عكرمة ، وقتادة : وقال الثوري :
بصرفونها حيث شاءوا (٢) .

وقوله : (يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً) ، أى : يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من الطاعات الواجبة بأصل الشرع ، وما أوجبه على أنفسهم بطريق النذر .

قال الإمام مالك ، عن طلحة بن عبد الملك الأيلي ، عن القاسم بن مالك ، عن عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » . رواه البخارى ، من حديث مالك (٣) .

ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خوفاً من سوء الحساب يوم المعاد ، وهو اليوم الذي شره مستطير ، أى : منتشر عام على الناس إلا من رحيم الله .

قال ابن عباس : فاشياً . وقال قتادة : استطار - والله - شر ذلك اليوم حتى ملاً السموات والأرض (٤) .
قال ابن جرير : ومنه قولهم : استطار الصدع في الزجاج واستطال (٥) . ومنه قول الأعشى :
فَبَيَّانَتْ وَقَدَّ أَسْأَرَتْ (٦) فِي السُّوَا دَ صَدُّعًا ، عَلَى نَأْيِهَا ، مُسْتَطِيرًا
يعنى : ممتدا فاشياً .

وقوله : (ويطعمون الطعام على حبه) ، قيل : على حب الله تعالى . وجعلوا الضمير عائداً إلى الله - عز وجل -
للدلالة السياق عليه . والأظهر أن الضمير عائداً على الطعام ، أى : ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له ، قاله
مجاهد ، ومقاتل ، واختاره ابن جرير ، كقوله تعالى : (وآتى المال على حبه) (٦) ، وكقوله تعالى : (لن تناولوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون) (٧) .

وروى البيهقي ، من طريق الأعمش ، عن نافع قال : مرض ابن عمر فاشتبهى عنبا - أول ما جاء العنب - فأرسلت
صفية - يعنى امرأته - فاشتريت عنقوداً بدرهم ، فاتبع الرسول السائل ، فلما دخل به قال السائل : السائل . فقال
ابن عمر أعطوه إياه . فأعطوه إياه . ثم أرسلت بدرهم آخر فاشتريت عنقوداً فاتبع الرسول السائل ، فلما دخل قال السائل :
السائل . فقال ابن عمر : أعطوه إياه . فأعطوه إياه . فأرسلت صفية إلى السائل فقالت : والله إن عدت لا تصيب منه
خيراً أبداً . ثم أرسلت بدرهم آخر فاشتريت به .

(١) انظر الدر المنثور للسيوطي : ٢٩٨/٦ .

(٢) تفسير الطبري : ٢٢٨/٢٩ - ١٢٩ .

(٣) البخارى ، كتاب الإيمان ، باب « النذر في الطاعة » ، باب « النذر فيما لا يملك وفي معصية » : ١٧٦/٨ = ١٧٧ .

(٤) تفسير الطبري : ١٢٩/٢٩ .

(٥) يعمد في تفسير الطبري : « ولا يقال ذلك في الحائط ، ومنه ... » .

(٦) كذا في المخطوطة مضبوطاً . ورواية البديوان ٨٥ : « وبانت ، وقد أورثت في الفوائد ... ويستعمل في الطعام

والشراب وغيرهما » .

(٧) سورة البقرة ، آية : ١٧٧ .

(٨) سورة آل عمران ، آية : ٩٢ .

وفي الصحيح : « أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح ، شحيح ، تأمل الغنى وتخشى الفقر (١) » ، أي : في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه ولهذا قال تعالى : « وبطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً » أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانهما وصفتهما (٢) . وأما الأسير فقال سعيد بن جبير ، والحسن ، والضحاك : الأسير : من أهل القبلة (٣) . وقال ابن عباس : كان أسراؤهم يومئذ مشركين . ويشهد لهذا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى ، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء . وهكذا قال سعيد بن جبير ، وعطاء ، والحسن ، وقتادة .

وقد وصى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث ، حتى إنه كان آخر ما أوصى أن يجعل يقول : « الصلاة وما ملكت أيمانكم (٤) » .

وقال عكرمة : هم العبيد - واختاره ابن جرير - لعموم الآية للمسلم والمشرک .

وقال مجاهد : هو أخبوس . أي : يطعمون ذلّاء الطعام وهم يشتهونه ويحبونه ، قائلين بلسان الحال : (إنما نطعمكم لوجه الله) ، أي : رجاء ثواب الله ورضاه ، (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) ، أي : لا نطلب منكم مجازاة تكافؤنا بها ولا أن تشكرونا عند الناس .

قال مجاهد وسعيد بن جبير : أما والله ما قالوه بألسنتهم ، ولكن علم الله به من قلوبهم ، فأنتى عليهم به ليرغب في ذلك راغب (٥) .

(إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً) ، أي : إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه ، في اليوم العبوس القمطرير .

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (عبوساً) : ضيقاً ، (قمطريراً) : طويلاً .

وقال عكرمة وغيره ، عنه ، في قوله : (يوماً عبوساً قمطريراً) ، أي : يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القمطران .

وقال مجاهد : (عبوساً) ، العابس الشفتين (قمطريراً) ، قال : تقيض الوجه بالبسور :

وقال سعيد بن جبير ، وقتادة : تعبس فيه الوجوه من الهول ، (قمطريراً) : تقيض الجبين وما بين العينين ، من الهول :

وقال ابن زيد : العبوس : الشر . والقمطرير : الشديد .

وأوضح العبارات وأجلاها وأحلاها ، وأعلاها وأولاها - قول ابن عباس رضي الله عنه :

(١) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب « بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح » : ٩٣/٣ .

(٢) انظر تفسير الآية الثالثة والثمانين من سورة البقرة : ١٧٢/١ . ، وآية النساء السادسة والثلاثين : ٢٦١/٢ .

(٣) انظر تفسير الطبري : ١٣٠/٢٦ .

(٤) سنن ابن ماجه ، كتاب الوصايا ، باب « هل أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، الحديث ٢٦٩٧ : ٢/٩٠١-٩٠١ .

وكتاب الجنائز ، باب « ما جاء في ذكر مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، الحديث ١٦٢٥ : ١/٥١٩ . ومسنند الإمام

أحمد عن علي رضي الله عنه : ٧٨/١ . وعن أنس بن مالك : ١١٧/٣ . وعن أم سلمة : ٢٩٠/٦ ، ٣١١ ، ٣١٥ ، ٣٢١ .

(٥) تفسير الطبري : ١٣٠/٢٩ .

قال ابن جرير : والقمطرير هو : الشديد ؛ يقال : هو يوم قمطرير ويوم قماطرير ، ويوم عصيب وعصيب ، وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطارا ، وذلك أشد الأيام وأطولها في البلاء والشدة ، ومنه قول بعضهم :

بني عمنا ، هل تذكرون بلاءنا ؟ عليكم إذا ما كان يوم قماطر (١)

قال الله تعالى : (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ، ولقاهم نضرة وسرورا) ، وهذا من باب التجانس البليغ ، (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) ، أي : آمنهم مما خافوا منه ، (ولقاهم نضرة) ، أي : في وجوههم ، (وسرورا) ، أي : في قلوبهم . قاله الحسن البصري ، وقتادة ، وأبو العالية ، والربيع بن أنس . وهذه كقوله تعالى : (وجوه يومئذ مسفرة : صاحكة مستبشرة (٢)) ، وذلك أن القلب إذا سر استنار وجهه ، قال كعب بن مالك في حديثه الطويل : « وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا سر ، استنار وجهه حتى كأنه [قطعة] (٣) قمر (٤) » . وقالت عائشة : « دخل علي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسرورا تبرق أسارير وجهه (٥) ... » الحديث .

وقوله : (وجزاهم بما صبروا) ، أي : بسبب صبرهم أعطاهم وتوهم وبوأهم (جنة وحريرا) ، أي : منزلا رحبا ، وعيشا رغدا ، ولباسا حسنا .

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن سليمان الداراني قال : قرئ على أبي سليمان الداراني سورة : (هل أتى على الإنسان ؟) ، فلما بلغ القاريء إلى قوله : (وجزاهم بما صبروا) ، قال : بما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا ، ثم أنشد :

كم قتيل بشهوة وآسير
شبهوات الإنسان تورثه الدل
آف من مشتبهى خلاف الجميل
وتلقيه في البلاء الطويل

مُنَكِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَايِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٤﴾ وَذَانِبَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أُظُوفُهَا تَذِيلًا ﴿١٥﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِمِائِينَ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٦﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٧﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٨﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٩﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلُكًا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوفٌ أُسُورٌ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمُ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُرْجَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٣﴾

يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم ، وما أسعج عليهم من الفضل العميم فقال : (منكنين فيها على الأرائك) . وقد تقدم الكلام على ذلك في « سورة (٦) الصافات » وذكر الخلاف في الانتكاء : هل هو الاضطجاع ، أو الترفق ، أو التربع ، أو التمكن في الجلوس ؟ وأن الأرائك هي السررت تحت الحجال .

(١) تفسير الطبري ١٣١/٢٩ ، والبيت في اللسان ، مادة فمطر ، غير منسوب .

(٢) سورة عبس ، آية : ٣٨ - ٣٩ .

(٣) في المخطوطة : « كأنه قلقة » . انظر تحريجتنا لهذا الحديث .

(٤) تقدم الحديث عند تفسير الآية ١١٨ من سورة براءة ، وخرجناه هناك ، انظر : ١٦٥/٤ - ١٦٩ .

(٥) البخاري ، كتاب المناقب ، باب « صفة النبي صلى الله عليه وسلم » : ٢٢٩/٤ . ومسلم ، كتاب الرضاع ، باب

« العمل بالحق القائف الولد » : ١٧٢/٤ .

(٦) كذا ، وقد تقدم ذلك في سورة الكهف ، عند تفسير الآية الحادية والثلاثين : ١٥٢/٥ .

وقوله : (لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً) ، أى : ليس عندهم حرّ مزعج ، ولا برد مؤلم ، بل هى مزاج واحد دائم سرمدى ، (لا يبعون عنها حولا) .

(ودانية عليهم ظلالها) ، أى : قريبة إليهم أغصانها ، (وذللت قطوفها تذليلاً) ، أى : متى تعاطاه دنا القطف إليه وتدلّى من أعلى غصنه ، كأنه سامع طائع ، كما قال فى الآية الأخرى : (وجنىّ الجنّتين دان (١)) : وقال تعالى : (قطوفها دانية (٢)) .

قال مجاهد : (وذللت قطوفها تذليلاً) : إن قام ارتفعت بقدره (٣) ، وإن قعدت تكدت (٤) له حتى ينالها ، وإن اضطجع تكدت (٤) له حتى ينالها ، فذلك قوله : (تذليلاً (٥)) .

وقال قتادة : لا يرد أيديهم عنها شوك ولا بعداً .

وقال مجاهد : أرض الجنة من ورق ، وتراها المسك ، وأصول شجرها من ذهب وفضة ، وأفنانها من اللؤلؤ الرطب والزبرجد والياقوت ، والورق والتمر بين ذلك ، فمن أكل منها قائماً لم يؤذه ، ومن أكل منها قاعداً لم يؤذه ، ومن أكل منها مضطجعاً لم يؤذه .

وقوله : (ويطاف عليهم بأنية من فضة وأكواب) ، أى : يطوف عليهم الخدم بأوانى الطعام ، وهى من فضة ، وأكواب الشراب وهى الكيزان التى لا عرى لها ولا خراطيم .

وقوله : (قوارير قوارير من فضة) ، فالأول منصوب بجر « كان ؛ أى : كانت قوارير . والثانى منصوب إما على البدلية ، أو تمييزاً ، لأنه بينه بقوله : (قوارير من فضة) .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن البصرى ، وغير واحد : يياض الفضة فى صفاء الزجاج ، والقوارير لا تكون إلا من زجاج . فهذه الأكواب هى من فضة ، وهى مع هذا شفافة يرى ما فى باطنها من ظاهرها ، وهذا مما لا نظير له فى الدنيا .

قال ابن المبارك ، عن إسماعيل ، عن رجل ، عن ابن عباس : ليس فى الجنة شيء إلا قد أعطيتم فى الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة . رواد ابن أبي حاتم .

وقوله : (قدروها تقديراً) ، أى : على قدر ريتهم ، لا تزيد عنه ولا تنقص ، بل هى معدة لذلك ، مقدرة بحسب رى صاحبها . هذا معنى قول ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبیر ، وأبي صالح ، وقتادة ، وابن أبى عمير ، وعبد الله بن عبيد بن عمير ، وقتادة ، والشعبي ، وابن زيد . وقاله ابن جرير وغير واحد . وهذا أبلغ فى الاعناء والشرف والكرامة .

(١) سورة الرحمن ، آية : ٥٤ .

(٢) سورة الحاقة آية : ٢٣ .

(٣) فى المخطوطة : « بقدر » ، دون هاء . والمثبت عن الطبرى ، والدر المنثور .

(٤) فى المخطوطة : « تكدت » . والمثبت عن المرجعين المتقدمين .

(٥) تفسير الطبرى : ١٣٢/٢٩ - ١٣٣ . والدر المنثور : ٣٠٠/٦ .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : (قدروها تقديراً) ، قدرت للكف : وهكذا قال الربيع بن أنس . وقال الضحك على قدر أكف الخدام . وهذا لا ينافي القول الأول ، فإنها مقدره في القدر والرى .

وقوله : (ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً) ، أى : ويسقون - يعنى الأبرار ايضاً - فى هذه الأكواب (كأساً) ، أى : خمرًا ، (كان مزاجها زنجبيلاً) ، فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد ، وتارة بالزنجبيل وهو حار ، ليعتدل الأمر ، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة . وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صِرْفًا ، كما قاله قتادة وغير واحد . وقد تقدم قوله : (عينا يشرب بها عباد الله) ، وقال هاهنا : (عينا فيها تسمى سلسيلاً) [أى : الزنجبيل عين فى الجنة تسمى سلسيلاً] .

قال عكرمة : اسم عين فى الجنة . وقال مجاهد : سميت بذلك لسلاسة سيلها وحده جربها .

وقال قتادة : (عينا فيها تسمى سلسيلاً) : عين سلسة مستقيده ماؤها .

وحكى ابن جرير عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها فى الحلق . واختار هو أنها تعجم ذلك كله ، وهو كما قال .

وقوله تعالى : (ويطوف عليهم ولدان مخلدون . إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤًا منثورًا) ، أى : يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة (مخلدون) ، أى : على حالة واحدة مخلدون عليها ، لا يتغيرون عنها ، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن . ومن فسروهم بأنهم مخرصون فى آذانهم الأقرطة ، فإنما عبر عن المعنى بذلك ، لأن الصغير هو الذى يليق له ذلك دون الكبير .

وقوله : (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤًا منثورًا) ، أى : إذا رأيتهم فى انتشارهم فى قضاء حوائج السادة ، وكثرتهم ، وصباحة وجوههم ، وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم ، حسبتهم لؤلؤًا منثورًا . ولا يكون فى التشبيه أحسن من هذا ، ولا فى المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن .

قال قتادة ، عن أبي أيوب ، عن عبد الله بن عمرو : ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم ، كل خادم على عمل ما عليه صاحبه (١) .

وقوله : (وإذا رأيت) ، أى : وإذا رأيت يا محمد (ثم) ، أى : هناك ، يعنى فى الجنة ونعيمها وسعتها وارتفاعها وما فيها من الحيرة والسرور ، (رأيت نعيمًا وملكًا كبيرًا) ، أى : مملكة لله هناك عظيمة وسلطانًا باهرًا . وثبت فى الصحيح أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجًا منها ، وآخر أهل الجنة دخولًا إليها : إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها .

وقد قدّمنا (٢) فى الحديث المروى من طريق ثوبان بن أنس فى فاختة ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر فى ملكه مسيرة ألف سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه » - فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون فى الجنة ، فما ظنك بما هو أعلى منزلة ، وأحظى عنده تعالى ،

(١) تفسير الطبرى : ١٣٦/٢٩ .

(٢) انظر تفسير الآية الثالثة والعشرين من سورة القيامة ، وقد تقدمت من قريبه .

وقد روى الطبراني هاهنا حديثاً غريباً جداً فقال : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا محمد بن عمار الموصلي ، حدثنا هبة بن سالم ، عن أيوب بن عتبة ، عن عطاء ، عن ابن عمر قال : جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له رسول الله : « سل واستفهم » . فقال : يا رسول الله ، فُضِّلْتُمْ علينا بالصور والألوان والنبوة ، أفُرِيتَ إن أمنتُ بما أمنتَ به وعملتُ بمثل ما عملتَ به ، إني لكائنٌ معك في الجنة ؟ قال : « نعم والذي نفسي بيده إنه ليُرى بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : لا إله إلا الله ، كان له بها عهدٌ عند الله ، ومن قال : سبحان الله وبحمده ، كتب له مائة ألف حسنة ، وأربعة وعشرون ألف حسنة » . فقال رجل : كيف نهاك بعد هذا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وُضِعَ على جبل لأثقله ، فتقوم النعمة - أو : نعممُ الله - فتكاد تستنفد ذلك كله ، إلا أن يتَّعَمَّده الله بروحمته » : ونزلت هذه السورة : (هل أنى على الإنسان حين من الدهر) إلى قوله : (ملكا كبيرا) - فقال الحبشي : وإن عيني لترى ما ترى عينك في الجنة ؟ قال : « نعم » . فاستبكي حتى فاضت نفسه . قال ابن عمر : فلما رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتدليه في حفرة بيده (١) ،

وقوله : (عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق) ، أى : لباس أهل الجنة فيها الحرير ، ومنه سندس ، وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم ، والإستبرق منه ما فيه بريق ولمعان ، وهو مما يلي الظاهر ، كما هو المعهود في اللباس ، (وحلوا أساور من فضة) وهذه صفة الأبرار ، وأما المقربون فكما قال : (يخلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ، ولباسهم فيها حرير (٢)) ،

ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والخل قال بعده : (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) ، أى : طهر بواطنهم من الحسد [والحقن] والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة ، كما روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال : إذا انتهى أهل الجنة إلى باب الجنة وجدوا هنالك عينين فكأما ألهموا ذلك فشربوا من إحداهما [فأذهب الله (٣)] ما في بطونهم من أذى ، ثم اغتسلوا من الأخرى فنجرت عليهم نضرة النعيم (٤) ،

وقوله : (إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) ، أى : يقال لهم ذلك تكريماً لهم وإحساناً إليهم كقوله : (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية (٥)) ، وكقوله : (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) (٦) وقوله : (وكان سعيكم مشكورا) ، أى : جزاكم الله على القليل بالكثير ،

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور عن الطبري ، وابن مردويه ، وابن عساکر : ٢٩٧/٦ .

(٢) سورة الحج ، آية : ٢٣ .

(٣) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة ، ومكانه في المخطوطة كلمة غير واضحة .

(٤) انظر تفسير الآية الثالثة والأربعين من سورة الأعراف : ٤١١/٣ ، والثالثة والسبعين من سورة الزمر : ١١٤/٥ .

(٥) سورة الحاقة ، آية : ٢٤ .

(٦) سورة الأعراف ، آية : ٤٣ .

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿١٦﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿١٧﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿١٩﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَجُحُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٠﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أُمَّثْلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٣﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ممثنا على رسوله - صلى الله عليه وسلم - بما نزله عليه من القرآن العظيم تنزيلا : (فاصبر لحكم ربك) ، أى : كما أكرمك بما أنزلت عليك ، فاصبر على قضاءه وقدره ، واعلم أنه سيد برك بحسن تدبيره ، (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) ، أى : لا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صدك عما أنزل إليك ، بل بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وتوكل على الله ؛ فإن الله يعصمك من الناس . فالآثم هو الفاجر في أفعاله والكفور هو الكافر بقلبه . (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) ، أى : أول النهار وآخره . (ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) ، كقوله : (ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا (١)) ، وكقوله : (يا أيها المزمل . قم الليل إلا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن تنزيلا (٢)) .

ثم قال تعالى منكرا على الكفار ومن أشبههم في حُب الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها ، وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم : (إن هؤلاء يحبون العاجلة . ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) ، يعنى يوم القيامة . ثم قال : (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) - قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : يعنى خلقناهم (٣) . (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) ، أى : وإذا شئنا بعثناهم يوم القيامة ، وبديلناهم فأعدناهم خلقا جديدا . وهذا استدلال بالبداة على الرجعة .

وقال ابن زيد ، وابن جرير : (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) : وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم (٤) . كقوله : (إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين ، وكان الله على ذلك قديرا (٥)) ، وكقوله : (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد . وما ذلك على الله بعزيز (٥)) .

ثم قال تعالى (إن هذه) - يعنى هذه السورة (تذكرة ، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) ، أى : طريقا ومسلكا ، أى : من شاء اهتدى بالقرآن كقوله : (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله ، وكان الله بهم عليما) . ثم قال : (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) ، أى : لا يقدر أحد أن يهدى نفسه ، ولا يدخل في الإيمان ولا يخرج لنفسه نفعا ، (إلا أن يشاء الله ، إن الله كان عليما حكيما) ، [أى : عليم بمن يستحق الهداية فييسرها له ، ويقبض له أسبابها ، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى ، وله الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة ، ولهذا قال تعالى : (إن الله كان عليما حكيما) .

ثم قال : (يدخل من يشاء في رحمته ، والظالمين أعد لهم عذابا أليما) ، أى : يهدى من يشاء ويضل من يشاء ، ومن يهده فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادى له .

[آخر سورة الانسان]

- (١) سورة الإسراء ، آية : ٧٩ .
- (٢) سورة المزمل ، الآيات : ١ - ٤ .
- (٣) تفسير الطبرى : ١٣٩ / ٢٩ .
- (٤) سورة النساء ، آية : ١٣٣ .
- (٥) سورة إبراهيم ، آية : ١٩ - ٢٥ . سورة فاطر ، آية : ١٦ - ١٧ .

تفسير سورة والمرسلات

وهي مكية

قال البخاري (١) ، حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، [حدثنا أبي] (٢) ، حدثنا الأعمش ، حدثني إبراهيم ، عن الأسود عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : بينما نحن مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ، في غار بمني ، إذ نزلت عليه : (والمرسلات) ، فإنه ليلتوها وإني لأتلقاها من فيه ، وإن فاه لرتب بها ، إذ وثبت علينا حية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اقلوها » . فابتدرناها فذهبت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « وقيت شركم كما وقيت شرها (٣) » . وأخرجه مسلم أيضا ، من طريق الأعمش (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس ، عن أمه : أنها سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفاً (٥) .

وفي رواية مالك ، عن الزهري ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس : أن أم الفضل سمعته يقرأ : (والمرسلات عرفاً) ، فقالت : يا بني ، ذكرتني بقراءتك هذه السورة ، إنها لآخر ما سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ بها في المغرب .

أخرجه في الصحيحين ، من طريق مالك ، به (٦) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ① فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا ② وَالنَّشْرِ نَشْرًا ③ فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا ④ فَالْمَلَقَتِ ⑤ ذِكْرًا ⑥ عُدْرًا أَوْ نُذْرًا ⑦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ⑧ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ⑨ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ⑩ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ ⑪ وَإِذَا الرَّسُلُ أَقْنَتْ ⑫ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ⑬ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ⑭ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ⑮ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑯

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا زكريا بن سهل المروزي ، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق ، أخبرنا الحسين بن واقد ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة : (والمرسلات عرفاً) ، قال : الملائكة .

(١) في المخطوطة : « قال البخاري : حدثنا أحمد ، حدثنا عمر ... » . وهو خطأ .

(٢) ما بين القوسين عن البخاري ، وهو ساقط من المخطوطة .

(٣) البخاري ، تفسير سورة (المرسلات) : ٢٠٥/٦ . وقوله « في غار بمني » . كلمة « بمني » غير ثابتة في هذه الرواية .

وانظر فتح الباري : ٤٨٧/٨ .

(٤) مسلم ، كتاب قتل الحيات وغيرها : ٤٠/٧ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٣٣٨/٦ .

(٦) البخاري ، كتاب الأذان ، باب « القراءة في المغرب » : ١٩٣/١ - ١٩٤ ، ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب

« القراءة في الصبح » : ٤٠/٢ - ٤١ .

قال : ورؤى عن مسروق ، وأبي الضحى ، ومجاهد - في إحدى الروايات - والسدى ، والربيع بن أنس ، مثل ذلك .

ورؤى عن أنى صالح أنه قال : هي الرسل . وفي رواية عنه : هي الملائكة . وهكذا قال أبو صالح في (العاصفات) و (الناشرات) و (الملقيات) : أنها الملائكة .

قال الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن أبي العبيد بن قال : سألت ابن مسعود عن (المرسلات عرفاً) ، قال : الريح (١) . وكذا قال في : (العاصفات عصفاً . والناشرات نشراً) : إنها الريح . وكذا قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وأبو صالح - في رواية عنه - وتوقف ابن جرير في (المرسلات عرفاً) : هل هي الملائكة أرسلت بالعرف (٢) ، أو كعرف الفرس يتبع بعضهم بعضاً (٣) ؟ أو : هي الريح إذا هبتت شيئاً فشيئاً ؟ وقطع بأن العاصفات عصفاً هي الرياح ، كما قاله ابن مسعود ومن تابعه . ومن قال ذلك في العاصفات أيضاً : علي بن أبي طالب ، والسدى . وتوقف في (الناشرات نشراً) ، هل هي الملائكة أو الريح ؟ كما تقدم . وعن أبي صالح : أن الناشرات نشراً : المطر .

والأظهر أن « المرسلات » هي الرياح ، كما قال تعالى : (وأرسلنا الرياح لواقح (٤)) . وقال تعالى : (وهو الذي يرسل الرياح بشراب من يدى رحمته (٥)) . وهكذا العاصفات هي : الرياح ، يقال : عصفت الريح إذا هبتت بتصويت . وكذا الناشرات هي : الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء ، كما يشاء الرب عز وجل .

وقوله : (فالغارات فرقاً . فالملقيات ذكراً . غدراً أو نذراً) ، يعنى : الملائكة . قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، ومسروق ، ومجاهد ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، والسدى ، والثوري . ولا خلاف هاهنا ، فإنها تنزل بأمر الله على الرسل ، تفرق بين الحق والباطل ، والهدى والعمى ، والحلال والحرام ، وتلقى إلى الرسل وحياً فيه إغدار إلى الخلق ، وإندار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره .

وقوله : (إنما توعدون لواقع) : هذا هو المقسم عليه هذه الأقسام ، أى : ما وعدتم به من قيام الساعة ، والنفخ في الصور ، وبعث الأجساد ، وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ، ومجازاة كل عامل بعمله ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، إن هذا كله - (لواقع) ، أى : لكائن لا محالة .

ثم قال : (فإذا النجوم طمست) ، أى : ذهب ضوءها ، كقوله : (وإذا النجوم انكدرت (٦)) . وكقوله : (وإذا الكواكب انتثرت (٧)) .

(١) تفسير الطبرى : ١٤٠/٢٩

(٢) أى : بالمعروف .

(٣) قال الطبرى ١٤١/٢٩ : « وقال بعضهم : عنى بقوله (عرفاً) متتابعة كعرف الفرس ، كما قالت العرب : الناس إلى فلان عرفاً ، وإذا توجهوا إليه فأكثروا » . وقال ذلك أبو عبيدة في مجاز القرآن : عرفاً : يتبع بعضه بعضاً ، يقال : جاءه عرفاً » .

(٤) سورة الحجر ، آية : ٢٢ .

(٥) سورة الأعراف ، آية : ٥٧ .

(٦) سورة التكوير ، آية : ٢ .

(٧) سورة الانفطار ، آية : ٢ .

(وإذا السماء فرجت) ، أى : انفطرت وانشقت ، وتدلت أرجاؤها ، ووهت أطرافها ،

(وإذا الجبال نسفت) ، أى : ذهب بها ، فلا يبقى لها عين ولا أثر ، كقوله : (ويسألونك عن الجبال فقل : ينسفها ربى نسفاً : فيلبرها قاعاً صافصفاً . لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً (١)) وقال تعالى : (ويوم نسف الجبال ، وترى الأرض بارزة ، وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً (٢)) .

وقوله : (وإذا الرسل أقتت) - قال العوفي ، عن ابن عباس : جمعت : وقال ابن زيد (٣) : وهذه كقوله تعالى : (يوم يجمع الله الرسل) . وقال مجاهد : (أقتت) : أجلت . وقال الثوري ، عن منصور ، عن إبراهيم : (أقتت) : أوعدت . وكأنه يجعلها كقوله : (وأشرفت الأرض بنور ربها ، ووضع الكتاب ، وحيى بالنبيين والشهداء ، وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون (٤)) .

ثم قال : (لآى يوم أجلت ؟ ليوم الفصل . وما أدراك ما يوم الفصل ؟ ويل يومئذ للمكذبين) ، يقول تعالى : (لآى يوم أجلت الرسل وأرجى أمرها ؟ حتى تقوم الساعة ، كما قال تعالى : (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ، إن الله عزيز ذو انتقام . يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ، وبرزوا لله الواحد القهار (٥)) . وهو يوم الفصل ، كما قال : (ليوم الفصل) .

ثم قال معظاً لشأنه : (وما أدراك ما يوم الفصل ؟ ويل يومئذ للمكذبين) ، أى : ويل لهم من عذاب الله غداً . وقد قدمنا فى الحديث أن « ويل » : وادى جهنم (٦) . ولا يصح .

أَلَمْ نَهَكَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾
أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾
وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْسِي سَلْمِخَيْتٍ
وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى : (ألم نهك الأولين) ؟ أى : معنى من المكذبين للرسل المخالفين لما جاءهم به ، (ثم ننبئهم الآخريين) ، أى : ممن أشبههم . ولهذا قال : (كذلك نفعل بالمجرمين . ويل يومئذ للمكذبين) . قاله ابن جرير (٧) .
ثم قال ممتناً على خلقه ومحتجاً على الإعادة بالبداءة : (ألم نخلقكم من ماء مهين) ؟ أى : ضعيف حقير بالنسبة إلى

(١) سورة طه ، الآيات : ١٠٥ - ١٠٧ .

(٢) سورة الكهف ، آية : ٤٧ .

(٣) أثر ابن زيد كما فى تفسير الطبرى ١٤٣/٢٩ : « وإذا الرسل أقتت ، قال : أقتت ليوم القيامة ، وقرأ : (يوم يجمع الله الرسل) ، قال : والأجل : الميقات ، وقرأ : (يسألونك عن الأهلة ، قل : هى مواقيت للناس) ... » .

(٤) سورة الزمر ، آية : ٦٩ .

(٥) سورة إبراهيم ، آية : ٤٧ - ٤٨ .

(٦) انظر تفسير الآية ٧٩ من سورة البقرة : ١٦٨/١ .

(٧) تفسير الطبرى : ١٤٤/٢٩ .

قُدْرَةُ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ ، كما تقدم في سورة (يس) في حديث بَسْر بن جِحَّاش : « ابن آدم ، أنَّى تُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتِكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ ۱؟ » (١) .

(فجعلناه في قرار مكين) ، يعنى : جمعناه في الرَّحِيم ، وهو قرار الماء من الرجل والمرأة ، والرحم معد لذلك ، حافظ لما أودع فيه من الماء .

وقوله : (إلى قدر معلوم) ، يعنى إلى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر : ولهذا قال : (فقدردنا فنعم القادرون ر ويل يومئذ للمكذبين) .

ثم قال : (ألم نجعل الأرض كفتانا . أحياء وأمواتا) - قال ابن عباس : (كفتانا) : كفتاً . وقال مجاهد : يُكفَّتُ الميْت فلا يُرى منه شيء . وقال الشعبي : بطنها لأمواتكم ، وظهرها لأحيائكم . وكذا قال مجاهد وقتادة (٢) .

(وجعلنا فيها رواسي شامخات) ، يعنى : الجبال أرسى بها الأرض لئلا تميد وتضطرب .

(وأسقيناكم ماء فراتا) : عذبا زلالا من السحاب ، أو مما أنبجعه الله من عيون الأرض .

(ويل يومئذ للمكذبين) ، أى : ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها ، ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره .

أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٢٢﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ ﴿٢٣﴾
 إِنهَا تَرْمِي بِشَرِّهَا كَالْقَصْرِ ﴿٢٤﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٢٥﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٦﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطَقُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَا يُؤذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَدِرُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٩﴾ هَذَا يَوْمٌ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكَ وَالْأُولَىٰ ﴿٣٠﴾ فَإِنْ كَانَ لَكَ كَيْدٌ فَكِيدُونَ ﴿٣١﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٢﴾

يقول تعالى مخاطبا للكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار ، أنهم يقال لهم يوم القيامة : (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون . انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب) ، يعنى لهيب النار إذا ارتفع وصعد معه دخان ، فن شدته وقوته أن له ثلاث شعب ، (لا ظليل ولا يغنى من الھب) ، أى : ظل الدخان المقابل للهب لا ظليل هو في نفسه ، ولا يغنى من الھب ، يعنى ولا يقبهم حر الھب .

وقوله : (إنها ترمي بشرر كالقصر) ، أى : يتطاير الشرر من هبها كالقصر . قال ابن مسعود : كالحصون . وقال ابن عباس وقتادة ، ومجاهد ، ومالك عن زيد بن أسلم ، وغيرهم : يعنى أصول الشجر .

(كأنه جمالات صفر) ، أى : كالإبل السود . قاله مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك . واختاره

ابن جرير .

(١) انظر تفسير الآية السابعة والستين من سورة (يس) ، فقد خرجنا الحديث هناك : ٥٨٠/٦ .

(٢) انظر تفسير الطبرى : ١٤٥/٢٩ .

(٣) كذا في مخطوطة الأزهر (جمالات) ، وهى قراءة الجمهور . ويقول أبو حيان في البحر المحيط ٤٠٧/٨ : « جمالات -

يكسر الجيم ، وبالالف والتاء - : جمع جمال ، جمع الجمع ، وهى الإبل ، كقولهم : رجالات قریش » ، ويذكر أبو حيان أن ابن عباس وقتادة وابن جبير والحسن وأبو رجاء قرأوا (جمالات) بضم الجيم ، وهى جمال السفن [كذا ، ولعله جمال السفن] الواحد منها جملة ، لكونه جملة من الطاقات والقوى ، ثم جمع على جمال وجمال ، ثم جمع جمال ثانياً جمع صحفة فقلوا : جمالات .

وعن ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير : (جمالات صفر) ، يعنى : حبال السفن : وعنه - اعنى ابن عباس - :
(جمالات صفر) : قطع نحاس

وقال البخارى : حدثنا عمرو بن على ، حدثنا يحيى أخبرنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن عباس قال : سمعت
ابن عباس : (إنها ترى بشرى كالقصر) ، قال : كنا نعد إلى الخشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك ، فرفعه للشتاء ، فنسميه
القَصْرَ (١) ، (كأنه جمالات صفر) : حبال السفن ، تجمع حتى تكون كأوساط الرجال (٢) .

(ويل يومئذ للمكذبين) . ثم قال تعالى : (هذا يوم لا ينطقون) ، أى : لا يتكلمون . (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) ،
أى : لا يقدرّون على الكلام ، ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا ، بل قد قامت عليهم الحجة ووقع القول عليهم بما ظلموا
فهم لا ينطقون . وعرضات القيامة حالات ، والرب تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة ، وعن هذه الحالة تارة ؛ ليدل على
شدة الأهوال والزلازل يومئذ . ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام : (ويل يومئذ للمكذبين) .

وقوله : (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين . فإن كان لكم كيد فكيدون) : وهذه مخاطبة من الخالق لعباده
يقول لهم : (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين) ، يعنى أنه جمعهم بقدرته فى صعيد واحد ، يُسمعهم الداعى
ويَسْفُدُّهم البصر (٣) .

وقوله : (فإن كان لكم كيد فكيدون) : تهديد شديد ووعد أكيد ، أى : إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتى ،
وتنجوا من حكمى فافعلوا ، فإنكم لا تقدرّون على ذلك ، كما قال تعالى : (يا معشر الجن والإنس ، إن استطعتم أن
تنفذوا من أقطار السموات والأرض فأنفذوا ، لا تنفذون إلا بسلطان (٤)) . وقد قال تعالى : (ولا تصرونه شيئا (٥)) ،
وفى الحديث : « يا عبادى ، إنكم لن تبلغوا نقى فتنفَعوني ، ولن تبلغوا ضرى فتمضرونى » .

وقد قال ابن أبى حاتم : حدثنا على بن المنذر الطريقى الأودى ، حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا حُصَيْن بن عبد الرحمن ،
عن حسان بن أبى (٦) المخارق ، عن أبى عبد الله الجَدَلَى قال : أتيت بيت المقدس ، [فإذا عبادة بن الصامت وعبد الله
ابن عمرو ، وكعب الأحبار يتحدثون فى بيت المقدس] ، فقال عبادة : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخريين
بصعيد واحد ، ينقذهم البصر ويسمعهم الداعى ، ويقول الله : (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين . فإن كان لكم كيد
فكيدون) ، اليوم لا ينجو منى جبار عنيد ، ولا شيطان مرید . فقال عبد الله بن عمرو : فإننا (٧) ، تحدث يومئذ [أنه]
يخرج عنق (٨) من النار فتتطلق حتى إذا كانت بين ظهرائى الناس نادى : أيها الناس ، إني بعثت إلى ثلاثئة أنا أعرف

(١) فى النهاية : يريد قصر النخل ، وهو ما غلظ من أسفلها ، أو أعناق الإبل ، واحدها قصره .

(٢) البخارى ، تفسير سورة (والمرسلات) : ٢٠٥/٦ .

(٣) هذا اقتباس من حديث تقدم تحريجه له عند تفسير الآية الثامنة والسبعين من سورة الإسراء : ١٠٦/٥ .

(٤) سورة الرحمن ، آية : ٣٣ .

(٥) سورة هود ، آية : ٥٧ .

(٦) كذا ، وفى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم : ٢٣٥/٢/١ : « حسان بن المخارق » . ويبدو أنه يقال فيه أيضاً :

« ابن أبى المخارق » . انظر التاريخ الكبير للبخارى : ٣٢/١/٢ .

(٧) فى المخطوطة : « كأنها تحدث » . والمثبت عن الطبقات السابقة . وفى الدر المنثور ٣٠٥/٦ : « إنا نجد فى الكتاب

أنه تخرج ... » . لوما بين القوسين عن الدر المنثور .

(٨) أى طائفة .

هم من الأب بولده ومن الأخ بأخيه ، لا يُغَيَّبُهُمْ عَنِّي وَزَّرَ ، ولا تُخَفِّيهُمْ عَنِّي خَفَافَةً : الذي جعل مع الله إلها آخر ، وكل جبار عنيد ، وكل شيطان مرید . فتنطوى عليهم فتقذف بهم في النار قبل الحساب بأربعين سنة .

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوْكَهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُّوْا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا
مِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُّوْا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ
عَجْرَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ
﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى مخبراً عن عباده المتقين الذين عبدوه بأداء الواجبات ، وترك المحرمات : أنهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون ، أى : بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه ، من ظل اليعقوم ، وهو : الدخان الأسود المنتمى (وفواكه مما يشتهون) ، أى : ومن سائر أنواع الثمار ، مهما طلبوا وجدوا . (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون) ، أى : يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم . ثم قال تعالى مخبراً خيراً مستأنفاً : (إنا كذلك نجزي المحسنين) ، أى : هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل ، (ويل يومئذ للمكذبين) .

وقوله : (كلوا وتمتعوا قليلاً ، [إنكم (١) مجرمون] خطاب للمكذبين بيوم الدين ، وأمرهم أمر تهديد ووعيد فقال تعالى : (كلوا وتمتعوا قليلاً] ، أى : مدة قليلة قريبة قصيرة ، (إنكم مجرمون) ، أى : ثم تساقون إلى نار جهنم التي تقدم ذكرها ، (ويل يومئذ للمكذبين) ، كما قال تعالى : (تمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ (٢)) ، وقال تعالى : (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع في الدنيا ، ثم إلينا مرجعهم ، ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون (٣)) .

وقوله : (وإذا قيل لهم : اركعوا ، لا يركعون) ، أى : إذا أمر هؤلاء الجهالة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة ، امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه . ولهذا قال : (ويل يومئذ للمكذبين) . ثم قال : (فبأى حديث بعده يؤمنون ؟) ، أى : إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأى كلام يؤمنون به ؟ ! كقوله تعالى : (فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون (٤) ؟) !

قال ابن أبي حاتم : حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أمية : سمعت رجلاً أعرابياً يبدوياً يقول : سمعت أبا هريرة يرويه إذا قرأ : (والمرسلات عرفاً) ، فقرأ : (فبأى حديث بعده يؤمنون ؟) فليقل : آمنت بالله وبما أنزل .

وقد تقدم هذا الحديث في « سورة القيامة » .

آخر تفسير سورة والمرسلات

- (١) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة .
- (٢) سورة لقمان ، آية : ٢٤ .
- (٣) سورة يونس ، آية : ٦٩ - ٧٠ .
- (٤) سورة الجاثية ، آية : ٦ .

تفسير سورة النبأ

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَعَاءً شَدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً نَّجًّا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا أَلْفَاظًا ﴿١٦﴾

يقول تعالى منكراً على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة إنكاراً لوقوعها : (عم يتساءلون ؟ عن النبأ العظيم) ،
أى : عن أى شىء يتساءلون ؟ عن أمر القيامة ، وهو النبأ العظيم ، يعنى : الخبر الهائل الفظع الباهر ؛
قال قتادة ، وابن زيد : النبأ العظيم : البعث بعد الموت . وقال مجاهد : هو القرآن (١) . والأظهر الأول لقوله :
الذى هم فيه مختلفون) ، يعنى الناس فيه على قولين مؤمن به وكافر ؛

ثم قال تعالى متوعداً لمنكرى القيامة : (كلا سيعلمون . ثم كلا سيعلمون) ، وهذا تهديد شديد ووعد أكيد ؛
ثم شرع تعالى يبيِّن قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة والأمور العجيبة ، الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر
المعاد وغيره ، فقال : (ألم نجعل الأرض مهادا) ؟ أى : ممهدة للخلاق ذكولاً لهم ، قارة ساكنة ثابتة ، (والجبال
أوتادا) ، أى : جعلها لها أوتاداً أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها .
ثم قال : (وخلقناكم أزواجاً) ، يعنى : ذكراً وأنثى يستمتع كل منهما بالآخر ، ويحصل التناسل بذلك ، كقوله :
(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة (٢)) .

وقوله : (وجعلنا نومكم سباتاً) ، أى : قطعاً للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعى . [فى المعاش (٣)]
فى عرض النهار . وقد تقدم مثل هذه الآية فى «سورة الفرقان (٤)» .

(١) انظر تفسير الطبرى : ٣٠/٢ - ٣ .

(٢) سورة الروم ، آية : ٢١ .

(٣) فى المخطوطة : «... والسعى فى أرض النهار» . والمثبت عن الطبقات السابقة .

(٤) سورة الفرقان آية : ٤٧ ، وانظر : ١٢٢/٦ .

(وجعلنا الليل لباساً) ، أى : يغشى الناس ظلامه وسواده ، كما قال : (والليل إذا يغشاها (١)) ، وقال الشاعر (٢) :

فَلَمَّا لَبَسْنَ اللَّيْلَ (٣) ، أَوْ حِينَ نَصَبْتُ لَهُ مِنْ خَدَا آذَانِهَا وَهُوَ جَانِحٌ

وقال قتادة فى قوله : (وجعلنا الليل لباساً) ، أى : سكتنا ،

وقوله : (وجعلنا النهار معاشاً) ، أى : جعلناه مشرقاً مثيراً مضيئاً ، ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب

والمجئ للمعاش والتكسب والتجارات ، وغير ذلك .

وقوله : (وبنينا فوقكم سبغاً شدادا) ، يعنى : السموات السبع ، فى اتساعها وارتفاعها وإحكامها وإتقانها ، وتزينها

بالكواكب [الثوابت] والسيارات . ولهذا قال : (وجعلنا سراجاً وهاجاً) ، يعنى : الشمس المنيرة على جميع العالم التى

يتوهج ضوءها لأهل الأرض كلهم

وقوله : (وأنزّلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً) - قال العوفي ، عن ابن عباس : (المعصرات) : الريح (٤) .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد ، حدثنا أبو داود الحقرى ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد

ابن جبير ، عن ابن عباس : (وأنزّلنا من المعصرات) ، قال : الرياح ، وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، ومقاتل ،

والكلبي ، وزيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن : إنما الرياح . ومعنى هذا القول أنها تستدر المطر من السحاب .

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : (من المعصرات) ، أى : من السحاب . وكذا قال عكرمة أيضاً .

وأبو العالية ، والضحاك والحسن ، والربيع بن أنس ، والثورى ، واختاره ابن جرير .

وقال الفراء : هى السحاب التى تتحلّب بالمطر ولم تمطر بعد ، كما يقال : امرأة معصر : إذا دنا حينها

ولم تحض .

وعن الحسن ، وقتادة : (من المعصرات) : يعنى السموات : وهذا قول غريب .

والأظهر أن المراد بالمعصرات السحاب ، كما قال تعالى : (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً ، فيبسطه فى السماء

كيف يشاء ، ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله) ، أى : من بينه .

وقوله (ماء ثجاجاً) - قال مجاهد ، وقتادة ، والربيع بن أنس : (ثجاجاً) : منصبا . وقال الثورى : متتابعاً .

وقال ابن زيد : كثيراً .

قال ابن جرير : ولا يعرف فى كلام العرب فى صفة الكثرة الثلج ، وإنما الثلج : الصب المتتابع : ومنه قول النبي

- صلى الله عليه وسلم - : «أفضل الحج العجج والثلج» . يعنى : صبّ دماء البُدن (٥) . هكذا قال . قلت : وفى حديث

(١) سورة الشمس ، آية : ٤ .

(٢) هو ذو الرمة ، والبيت فى ديوانه ط كبردج : ١٠٨ . وكتاب خلق الإنسان لثابت : ٩٣ . وتفسير الطبرى :

٣/٣٥ .

(٣) قال الطبرى : «يعنى بقوله (لبسن الليل) : أدخلنا فى سواده فاستترن به» . فأما «خدا الأذان» ، فهو : استترها

والأخذى : المستترخى الأذن . وهو جانح ، يعنى الليل .

(٤) تفسير الطبرى : ٤/٣٥ .

(٥) تفسير الطبرى : ٥/٣٥ .

المستحاضة حين قال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أنت لك الكرْسُفُ » - يعنى : أن تحنشى بالقطن - : قالت : يا رسول الله ، هو أكثر من ذلك ، إنما أئج نجأ (١) . وهذا فيه دلالة على استعمال النَّجِّجِ في الصَّبِّ المتتابع الكثير ، والله أعلم .

وقوله : (لنخرج به حبا ونباتا . وجنات ألفافا) ، أى : لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك (حبا) يدخر للإنسانى والأنعام ، (ونباتا) ، أى : خضرا يؤكل رطبا ، (وجنات) ، أى : بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة ، وألوان مختلفة ، وطعوم وروائح متفاوتة ، وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعا ، ولهذا قال : (وجنات ألفافا) - قال ابن عباس ، وغيره : (ألفافا) : مجتمعة . وهذه كقوله تعالى : (وفي الأرض قطع متجاورات ، وجنات من أعناب وزرع ونخيل ، صنوان وغير صنوان ، تُسقى (٢) بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض في الأكل (٣)) ... الآية .

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا ﴿٣١﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿٣٢﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿٣٣﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٣٥﴾ لِلطَّغْيِينِ مَغَابًا ﴿٣٦﴾ لَيْسِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٣٧﴾ لَا يَدْخُلُونَهَا فِيهَا بَرْدٌ وَلَا شَرَابٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٣٩﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٤٠﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٤١﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٤٢﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٤٣﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٤٤﴾

يقول تعالى مخبرا عن يوم الفصل ، وهو يوم القيامة ، أنه مؤقت بأجل معدود ، لا يزداد عليه ولا ينقص منه ، ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله عز وجل ، كما قال : (وما تؤخره إلا لأجل معدود (٤)) .

(يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) - قال مجاهد : زُمِرًا . قال ابن جرير : يعنى تأتي كل أمة مع رسولها ، كقوله : (يوم ندعو كل أناس بإمامهم (٥)) .

وقال البخارى : (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) ، حدثنا محمد ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ما بين النفتين أربعون » . قالوا : أربعون يوما ؟ قال : « أبيت » . قالوا : أربعون شهرا ؟ قال : « أبيت » . قالوا : أربعون سنة ؟ قال : « أبيت » . قال :

(١) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، باب « إذا أبلت الحيضة تدع الصلاة » . وتحفة الأحوذى ، أبواب الطهارة ، باب « ما جاء في المستحاضة : أنها تجمع بين الصلاتين بغسل واحد » ، الحديث ١٢٨ : ٣٩٥/١ - ٤٠٤ . وابن ماجه ، كتاب الطهارة ، باب « ما جاء في المستحاضة التي قد عدت أيام إقرائها قيل أن يستمر بها الدم » ، الحديث ٦٢٢ : ٢٠٣/١ - ٢٠٤ . ومسنن الإمام أحمد عن حمزة بنت جحش : ٤٣٩/٦ .

(٢) كذا في مخطوطة الأزهر (تسقى) بالتاء . وهي قراءة ثابتة في السبعة . انظر البحر المحيط : ٣٦٣/٥ .

(٣) سورة الرعد ، آية : ٤ .

(٤) سورة هود ، آية : ١٠٤ .

(٥) تفسير الطبرى : ٦/٢٥ .

« ثُمَّ يُنَزَّلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ ، لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى ، إِلَّا عِظْمًا وَاحِدًا ، وَهُوَ عَجَبُ الذَّنْبِ وَمَنْه يَرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (١) » .

(وفتحت السماء فكانت أبوابا) ، أى : طرقا ومسالك لتزول الملائكة ، (وسيرت الجبال فكانت سرابا) كقوله :
(وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب (٢)) . وكقوله : (وتكون الجبال كالعهن المنفوش (٣)) :

وقال هاهنا : (فكانت سرابا) ، أى : يخيل إلى الناظر أنها شيء ، وليست بشيء ، وبعد هذا تذهب بالكلية ، فلا عين ولا أثر ، كما قال : (ويسألونك عن الجبال ، فقل : يسفها ربي نسفا ، فيذرهما قاعا صافصفا : لا ترى فيها عوجا ولا أمثا (٤)) . وقال : (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة (٥)) :

وقوله : (إن جهنم كانت مرصدا) ، أى : مرصدة معدة (للطاغين) ، وهم : المرادة العصاة الخالفون للرسول ، (مآبا) ، أى : مرجعا ومتقلبا ومصيرا ونزولا . وقال الحسن ، وقتادة فى قوله : (إن جهنم كانت مرصدا) ، يعنى : أنه لا يدخل [أحد] الجنة حتى يجتاز بالنار ، فان كان معه جواز نجا والا احتبس . وقال سفيان الثوري : عليها ثلاث قناطر (٦) .

وقوله : (لا يثن فيها أحقبا) ، أى : ما كثر فيها أحقبا ، وهى جمع « حُقب » ، وهو : المدة من الزمان . وقد اختلفوا فى مقداره ، فقال ابن جرير ، عن ابن حميد ، عن مهرا ، عن سفيان الثوري ، عن عمار الدهني ، عن سالم بن أبي الجعد قال : قال على بن أبي طالب لجلال المتجرى : ما تجدون الحُقب فى كتاب الله المنزل ؟ قال : تجده ثمانين سنة ، كل سنة اثنا عشر شهرا ، كل شهر ثلاثون يوما ، كل يوم ألف سنة (٧) .
وهكذا روى عن أبي هريرة ، وعبد الله بن عمرو ، وابن عباس ، وسعيد بن جبيرة ، وعمرو بن ميمون ، والحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، والضحاك . وعن الحسن والسدي أيضا : سبعون سنة كذلك . وعن عبد الله ابن عمرو : الحُقب أربعون سنة ، كل يوم منها كألف سنة مما تعدون . رواهما ابن أبي حاتم ، وقال بشر بن كعب : ذكر لي أن الحُقب الواحد ثلاثمائة سنة ، كل سنة ثلاثمائة وستون يوما ، كل يوم ألف سنة . رواه ابن جرير (٧) ، وابن أبي حاتم .

ثم قال ابن أبي حاتم : ذكر عن عمار بن على بن أبي بكر الأسفنديسي : حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله : (لا يثن فيها أحقبا) ، قال : فالحُقب شهر ، الشهر ثلاثون يوما ، والسنة اثنا عشر شهرا ، والسنة ثلاثمائة وستون يوما ، كل يوم منها ألف سنة .

(١) البخارى ، تفسير سورة (عم يتساءلون) : ٢٠٥/٦ .

(٢) سورة النمل ، آية : ٨٨ .

(٣) سورة القارعة ، آية : ٥ .

(٤) سورة طه ، الآيات : ١٠٥ - ١٠٧ .

(٥) سورة الكهف ، آية : ٤٧ .

(٦) تفسير الطبري : ٧/٣٠ .

(٧) تفسير الطبري : ٨/٣٥ .

كما تعدون ، فالحقبت ثلاثون ألف ألف سنة ، وهذا حديث منكر جدا ، والقاسم الراوى عنه وهو جعفر بن الزبير كلاهما متروك ؛

وقال البزار : حدثنا محمد بن مرداس ، حدثنا سليمان بن مسلم أبو المعلى قال : سألت سليمان التيمي هل يخرج من النار أحد ؟ فقال : حدثني نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقابا » . قال : والحقبت : بضع وثمانون سنة ، والسنة ثلاثمائة وستون يوما مما تعدون ؛

ثم قال : سليمان بن مسلم بصري مشهور

وقال السدي : (لا يثن فيها أحقابا) : سبعمائة حقبت ، كل حقبت سبعون سنة ، كل سنة ثلاثمائة وستون يوما ، كل يوم كالف سنة مما تعدون ؛

وقد قال مقاتل بن حيان : إن هذه الآية منسوخة بقوله : (فذوقوا فلن تزيدكم إلا عذابا) ؛

وقال خالد بن معدان : هذه الآية وقوله : (إلا ما شاء ربك) في أهل التوحيد : رواها ابن جرير (١) ؛

ثم قال : ويحتمل أن يكون قوله : (لا يثن فيها أحقابا) متعلقاً بقوله : (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) ، ثم يحدث الله لهم بعد ذلك عذابا من شكل آخر ونوع آخر : ثم قال : والصحيح أنها لا انقضاء لها كما قال قتادة والربيع ابن أنس . وقد قال قبل ذلك ؛

حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن زهير ، عن سالم : سمعت الحسن يسأل عن قوله : (لا يثن فيها أحقابا) ، قال : أما الأحقاب فليس لها عدة إلا الخلود في النار ، ولكن ذكروا أن الحقبت سبعون سنة ، كل يوم منها كالف سنة مما تعدون ،

وقال سعيد ، عن قتادة : قال الله تعالى : (لا يثن فيها أحقابا) ، وهو : مالا انقطاع له ، وكلما مضى حقبت جاء حقبت بعده ، ، وذكر لنا أن الحقبت ثمانون سنة ؛

[وقال الربيع بن أنس : (لا يثن فيها أحقابا) : لا يعلم عدة هذه الأحقاب إلا الله ، ولكن الحقبت الواحد ثمانون سنة (٢)] والسنة ثلاثمائة وستون يوما ، كل يوم كالف سنة مما تعدون . رواها أيضا ابن جرير ؛ وقوله : (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) ، أي : لا يجدون في جهنم برداً لقلوبهم ، ولا شراباً طيباً يتغذون به ؛ ولهذا قال : (إلا حميماً وغساقاً) : - قال أبو العالية : استثنى من البرد الحميم ومن الشراب الغساق ؛ وكذا قال الربيع ابن أنس ؛

فأما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره وحموه ، والغساق : هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم ، فهو بارد لا يستطيع من برده ولا يواجه من تنه . وقد قدمنا الكلام على الغساق في سورة (ص) بما أغنى عن إعادته (٣) أجازنا الله من ذلك ، بمنه وكرمه ؛

(١) تفسير الطبري : ٩ / ٣٠ .

(٢) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة وإن كان في غير مكانه فيها ، وتفسير الطبري .

(٣) انظر تفسير الآية السابعة والخمسين من سورة (ص) : ٦٩ / ٧ .

قال ابن جرير : وقيل : المراد بقوله : (لا يدوقون فيها برداً) ، يعنى : النوم ، كما قال الكندي :

بَرَدَاتٌ مَرَّاشِفَهَا عَلَيَّ فَصَدَّتْني عَنْهَا وَعَن قَبْلَاتِهَا ، البردُ

يعنى بالبرد : النعاس والنوم (١) . هكذا ذكره ولم يعزّه إلى أحد . وقد رواه ابن أبي حاتم ، من طريق السدي ، عن مرة الطيب . ونقله عن مجاهد أيضا . وحكاها البغوي عن أبي عبيدة (٢) ، والكسائي أيضا .

وقوله : (جزاء وفاقا) ، أى : هذا الذى صاروا إليه من هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التى كانوا يعملونها فى الدنيا . قاله مجاهد ، وقتادة ، وغير واحد .

ثم قال : (إنهم كانوا لا يرجون حساباً) ، أى : لم يكونوا يعتقدون أن ثم دارا يجازون فيها ويحاسبون ، (وكذبوا بآياتنا كذاباً) ، أى : وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التى أنزلها على رسوله ، فيقابلونها بالكذب والمعاندة .

وقوله : (كذاباً) ، أى : تكذبا ، وهو مصدر من غير الفعل . قالوا : وقد سمع أعرابي يستقى الفراء على المروة : الحلق أحب إليك أو القصار ؟ وأنشد بعضهم (٣) :

لَقَدْ طَالَ مَا تَبَطَّطْنِي عَنْ صَحَابَتِي . وَعَنْ حَوْجِ قَضَائِهَا مِنْ شَفَائِي

وقوله تعالى : (وكل شيء أحصيناه كتاباً) ، أى : وقد علمنا أعمال العباد كلهم ، وكتبناها عليهم ، وسنجزهم على ذلك ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

وقوله : (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً) ، أى : يقال لأهل النار : ذوقوا ما أنتم فيه ، فلن نزيدكم إلا عذاباً من جنسه (وآخر من شكله أزواج (٤)) .

قال قتادة ، عن أبي أيوب الأزدي ، عن عبد الله بن عمرو قال : لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه : (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً) . قال : فهم فى مزيد من العذاب أبداً (٥) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن محمد بن مصعب الصوري ، حدثنا خالد بن عبد الرحمن ، حدثنا جسر ابن فرقد ، عن الحسن قال : سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية فى كتاب الله على أهل النار . قال : سمعت رسول الله

— صلى الله عليه وسلم — قرأ : (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً) ، فقال : « هلك القوم بمعاصيهم الله عز وجل » ،

جسر بن فرقد : ضعيف الحديث بالكلية .

(١) تفسير الطبرى : ٩/٣٠ .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢٨٢/٢ .

(٣) البيت للأعور بن براء الكلابي ، انظر تصريف الأسماء للشيخ الطنطاوى : ٩٤ ، وقد أحال على تهذيب ألفاظ ابن السكيت ، باب الحوائج . وقد ذكر الفراء البيت فى « معانى القرآن » منسوباً إلى بعض بني كلاب ، انظر : ٢٢٩/٣ ، وانظر أيضاً الطبرى : ١١/٣٠ .

(٤) سورة ص ، آية : ٥٨ .

(٥) تفسير الطبرى : ١٢/٣٠ .

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
وَلَا كَذِبًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾

يقول تعالى مخبرا عن السعداء وما أعد لهم تعالى من الكرامة والنعيم المقيم ، فقال : (إن للمتقين مفازا) . قال ابن عباس ،
والضحك : منتزها . وقال مجاهد ، وقتادة : فازوا فنجوا من النار . والأظهر هاهنا قول ابن عباس ؛ لأنه قال بعده :
(حدائق) ، وهي البساتين من النخيل وغيرها (وأعنابا . وكواعب أترابا) ، أي : وجورا كواعب . قال ابن عباس
ومجاهد ، وغير واحد : (كواعب) ، أي : نواهد ، يعنون أن تُدبَّهَن [نواهد (١)] لم يتدابين لأنهن أبكار عُرب
أتراب ، أي : في سن واحدة ، كما تقدم بيانه في «سورة الواقعة (٢)» .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا عبد (٣) الله بن أحمد بن عبد الرحمن الدمشقي ، حدثني أبي ، عن أبي سفيان عبد الرحمن
ابن عبد الله بن تيم (٤) ، حدثنا عطية بن سليمان أبو الغيث ، عن أبي عبد الرحمن القاسم بن أبي القاسم الدمشقي ،
عن أبي أمامة : أنه سمعه يحدث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إن قمص أهل الجنة لتبدو من رضوان الله ،
وإن السحابة تمر بهم فتناديهم : يا أهل الجنة ، ماذا تريدون أن أمطر كم ؟ حتى إنها لتطرحهم الكواعب الأتراب » .

وقوله : (وكأسا دهاقا) - قال ابن عباس : مملوءة متتابعة . وقال عكرمة : صافية . وقال مجاهد ، والحسن ،
وقتادة ، وابن زيد : (دهاقا) : المألى المترعة . وقال مجاهد ، وسعيد بن جبیر : هي المتتابعة .

وقوله : (لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا) كقوله : (لا لغو فيها ولا تأثيم (٥)) ، أي : ليس فيها كلام لاغ عار
عن الفائدة ، ولا إثم كذب ، بل هي دار السلام ، وكل كلام فيها سالم من النقص .

وقوله : (جزاء من ربك عطاء حسابا) ، أي : هذا الذي ذكرناه جازاهم الله به وأعطاهموه ، بفضله ومسنه
وإحسانه ورحمته ؛ (عطاء) : حساباً ، أي : كافيا وافراً شاملاً كثيرا ؛ تقول العرب : « أعطاني فأحسبني » ، أي :
كفاني . ومنه « حسبي الله » ، أي : الله كافي .

(١) في المخطوطة : « تدبهن كواعب » . والمثبت عن الطبقات السابقة .

(٢) انظر تفسير الآية السابعة والثلاثين من سورة الواقعة : ١١/٨ - ١٢ .

(٣) كذا في المخطوطة ، ويبدو أنه خطأ ، وأن صوابه : « أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الدمشقي » وهو مترجم له في
الجرح والتعديل : ٥٩/١/١ . على أن ابن أبي حاتم لم يذكر أنه روى عنه ، وإنما قال : « وسمعت أبي يقول : كتبت عنه »
وكان صدوقاً . فأما أبو أحمد هذا فهو : « عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد الدمشقي » . وهو مترجم له في الجرح : ٢٥٤/٢/٢ .

٢٥٥

(٤) في المخطوطة تحوات « تيم » إلى « تيم » وبقى فقط التاء والياء كما هو . ولم نجد ، وفي التهذيب في ترجمة « عبد الرحمن بن
عبد الله بن سعد » أنه يروى عن أنه سفيان قاضي نيسابور ، وهو : عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد ربه .

(٥) سورة الطور ، آية : ٢٣ .

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَعَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله ، وأنه رب السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ، وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء .

وقوله : (لا يملكون منه خطابا) ، أى : لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه ، كقوله : (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه (١)) ، وكقوله : (يوم بأنى لا تكلم نفس إلا بإذنه (٢)) .

وقوله : (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون) : اختلف المفسرون فى المراد بالروح هاهنا ، ما هو ؟ على أقوال :

أحدها : رواه العوفي ، عن ابن عباس : أنهم أرواح نبي آدم .

الثانى : هم بنو آدم . قاله الحسن ، وقتادة ، وقال قتادة : هذا مما كان ابن عباس يكتمه ؛

الثالث : أنهم خلق من خلق الله ، على صور نبي آدم ، وليسوا ملائكة ولا بشر ، وهم يأكلون ويشربون . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وأبو صالح والأعمش .

الرابع : هو جبريل . قاله الشعبي ، وسعيد بن جبير ، والضحاك . ويستشهد لهذا القول بقوله : (نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين (٣)) . وقال مقاتل بن حيان : الروح : أشرف الملائكة ، وأقرب إلى الرب - عز وجل - وصاحب الوحي .

والخامس : أنه القرآن . قاله ابن زيد ، كقوله : (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا (٤)) ... الآية ؛

والسادس : أنه ملك من الملائكة يقدر جميع المخلوقات ؛ قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : قوله (يوم يقوم الروح) ، قال : هو ملك من أعظم الملائكة خلقا .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، حدثنا رواد بن الجراح ، عن أبى حمزة ، عن الشعبي ، عن علقمة عن ابن مسعود قال : « الروح : فى السماء الرابعة هو أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة ، يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة ، يخلق الله من كل تسبيحة ملكاً من الملائكة يحيى يوم القيامة صفا وحده (٥) » . وهذا قول غريب جداً .

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٥٥ .

(٢) سورة هود ، آية : ١٠٥ .

(٣) سورة الشعراء ، آية : ١٩٣ - ١٩٤ .

(٤) سورة الشورى ، آية : ٥٢ .

(٥) تفسير الطبرى : ١٥/٣٠ .

وقد قاله الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله [بن] عرس المصري ، حدثنا وهب . [الله بن روق بن هبيرة ، حدثنا بشر بن بكر (١)] ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني عطاء ، عن عبد الله بن عباس : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إن لله ملكا لو قيل له : اتقم السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة ، لفعل ، تسبيحه : سبحانك حيث كنت » .

وهذا حديث غريب جداً ، وفي رفعه نظر ، وقد يكون موقوفاً على ابن عباس ، ويكون مما تلقاه من الإسرائيليات ، والله أعلم .

وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها ، والأشبه - والله أعلم - أنهم بنو آدم . وقوله : (إلا من أذن له الرحمن) ، كقوله : (لا تكلم نفس إلا بإذنه (٢)) . وكما ثبت في الصحيح : « ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل (٣) » .

وقوله : (وقال صواباً) ، أى : حقاً ، ومن الحق : « لا إله إلا الله » ، كما قاله أبو صالح ، وعكرمة . وقوله : (ذلك اليوم الحق) ، أى : الكائن لا محالة ، (فمن شاء اتخذ إلى ربه ما بآ) ، أى : مرجعاً وطريقاً يهتدى إليه ومنهجاً يمر به عليه .

وقوله : (إنا أنذرناكم عذاباً قريباً) ، يعنى : يوم القيامة لتأكيد وقوعه صار قريباً ، لأن كل ما هو آت آت ، (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) ، أى : يعرض عليه جميع أعماله ، خيرها وشرها ، قديمها وحديثها ، كقوله : (ووجدوا ما عملوا حاضراً (٤)) وكقوله ، (نبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر (٥)) .

(ويقول الكافر : يا ليتني كنت تراباً) ، أى : يود الكافر يومئذ أنه كان في الدار الدنيا تراباً ، ولم يكن خلق ، ولا يخرج إلى الوجود . وذلك حين عاين عذاب الله ، ونظر إلى أعماله الفاسدة قد سطرت عليه بأبدي الملائكة السقرة الكرام البررة . وقيل : إنما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا ، ويفصل بينها بحكمه العدل الذي لا يبور ، حتى إنه ليقتص للشاء الجماء من القرناء (٦) . فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها : كوني تراباً . فتصير تراباً ، فتصد ذلك يقول الكافر : (يا ليتني كنت تراباً) ، أى : كنت حيواناً فأرجع إلى التراب . وقد ورد معنى هذا في حديث الصور المشهور (٧) ، وورد فيه آثار عن أبي هريرة ، وعبد الله بن عمرو ، وغيرهما .

[آخر تفسير سورة (ع)]

(١) ما بين القوسين عن الطبعات السابقة ، ولم تقع لنا ترجمة « وهب هذا » ، فأما « بشر بن بكر » فهو الثبيتي ، مترجم في المبرج والتعديل لابن أبي حاتم : ٣٥٢/١/١ .

(٢) سورة هود ، آية : ١٠٥ .

(٣) تقدم الحديث عند آية هود المتقدمة ، وخرجناه هناك ، انظر : ٢٧٩/٤ .

(٤) سورة الكهف ، آية : ٤٩ .

(٥) سورة القيامة ، آية : ١٣ .

(٦) انظر : ٢٩٨/٢ ، ١٦٣/٥ ، ٣١١ .

(٧) تقدم حديث الصور عند تفسير الآية الثالثة والسبعين من سورة الأنعام . انظر : ٢٧٦/٢ - ٢٨٢ . وانظره أيضاً

أول سورة الحج : ٢٨٤/٥ - ٢٨٥ .

تفسير سورة النازعات

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ① وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ② وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ③ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ④ فَالْمُدْبِرَاتِ ⑤ أَمْرًا ⑥ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ⑦ تَتَّبِعُنَّ الرَّاادِفَةَ ⑧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ⑨ أَبْصُرُهَا خَشِيعَةٌ ⑩ يَقُولُونَ ⑪ أَوْنًا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَاِفرَةِ ⑫ أءَذا كُنَّا عِظًا مَنخَرَةً ⑬ قَالُوا تِلْكَ إِذْا كَرَّةٌ خاسِرَةٌ ⑭ فإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ ⑮ وَاحِدَةٌ ⑯ فَإِذا هُم بِالسَّاهِرَةِ ⑰

قال ابن مسعود ، وابن عباس ، ومسروق ، وسعيد بن جبیر ، وأبو صالح ، وأبو الضحی ، والسدي : (النازعات غرقا) : الملائكة ، يعنون حين تنزع أرواح بني آدم ، فنتهم من تأخذ روحه بعنف فتغرق في نزعها ، ومن تأخذ روحه بسهولة وكأنما حركته من نشاط (١) ، وهو قوله : (والنشاطات نشطا) قاله ابن عباس .

وعن ابن عباس : (والنازعات) : هي أنفس الكفار ، تنزع ثم تنشط ، ثم تغرق في النار . رواه ابن أبي حاتم ، وقال مجاهد : (والنازعات غرقا) : وقناة ، وقال الحسن ، وقناة : (والنازعات غرقا) والنشاطات نشطا ؛ هي النجوم .

وقال عطاء بن أبي رباح في قوله : (والنازعات) و (النشاطات) : هي القسي في القتال . والصحيح الأول ، وعليه الأكثرون .

وأما قوله : (والساحات سبحا) فقال ابن مسعود : هي الملائكة . ورؤى عن علي ، ومجاهد ، وسعيد بن جبیر ، وأبي صالح مثل ذلك .

وعن مجاهد : (والساحات سبحا) : الموت . وقال قتادة : هي النجوم . وقال عطاء بن أبي رباح : هي السفن . وقوله : (فالسابقات سبقا) - رؤى عن علي ، ومسروق ، ومجاهد ، وأبي صالح ، والحسن البصري : يعني الملائكة ، قال الحسن : سبقت إلى الإيمان والتصديق به . وعن مجاهد : الموت . وقال قتادة : هي النجوم . وقال عطاء : هي الخيل في سبيل الله .

وقوله : (فالمدبرات أمرا) ، قال علي ، ومجاهد ، وعطاء ، وأبو صالح ، والحسن ، وقناة ، والربيع بن أنس ، والسدي : هي الملائكة - زاد الحسن : تدبير الأمر من السماء إلى الأرض . يعني بأمر ربها عز وجل . ولم يختلفوا في هذا ، ولم يقطع ابن جرير بالمراد في شيء من ذلك ، إلا أنه حكى في (المدبرات أمرا) أنها الملائكة ، ولا أثبت ولا نفي .

وقوله : (يوم ترجف الراجفة . تتبعها الرادفة) - قال ابن عباس : هما النفختان الأولى والثانية . وهكذا قال مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، وغير واحد .

وعن مجاهد : أما الأولى - وهي قوله - : (يوم ترجف الراجفة) ، فكقوله جلت عظمتها : (يوم ترجف الأرض والجناب) ، والثانية - وهي الرادفة - فهي كقوله : (وحملت الأرض والجناب فكد كتنا دكة واحدة (١)) .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل بن أبي بن كعب ، عن أبيه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « جاءت الراجفة ، تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه » . فقال رجل : يا رسول الله ، أرايت إن جعلت صلواتي كلها عليك ؟ قال : « إذا يكفئك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك (٢) » .

وقد رواه الترمذي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، من حديث سفيان الثوري ، بإسناده مثله ، ولفظ الترمذي وابن أبي حاتم : « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : « يا أيها الناس ، اذكروا الله ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه (٣) » .

وقوله : (قلب يومئذ واجفة) - قال ابن عباس : يعنى خائفة . وكذا قال مجاهد ، وقتادة (أبطارها خاشعة) ، أى : أبصار أصحابها وإنما أضيف إليها ، للسلاسة . أى : ذليلة حقيرة ، مما عانيت من الأهوال .

وقوله : (يقولون : أئنا لمردودون في الحافرة) ؟ يعنى مشركى قريش ومن قال بقولهم في إنكار المعاد ، يستبعدون وقوع البعث بعد المصير إلى الحافرة وهي القبور ، قاله مجاهد . وبعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم ونحوها ، ولهذا قالوا : (أئنا كنا عظاما نخرة ؟) وقرئ : ناخرة (٤) .

وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : أى بالية - قال ابن عباس : وهو العظم إذا بلى ودخلت الريح فيه ، قالوا : (تلك إذا كرة خاسرة) .

وعن ابن عباس ، ومحمد بن كعب ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وأبي مالك ، والسدى ، وقتادة : الحافرة الحياة بعد الموت . وقال ابن زيد : الحافرة : النار . وما أكثر أسماءها ! هي النار ، والجحيم ، وسقر ، وجهنم ، والهاوية ، والحافرة ، ولظى ، والحطمة .

وأما قولهم : (تلك إذا كرة خاسرة) ، فقال محمد بن كعب : قالت قريش : لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن .

(١) تفسير الطبري : ٢١/٣٠ . وقد اضطرب الأثر في مخطوطة الأزهر ، فدخل أثر ابن عباس المتقدم في هذا الأثر ، وما أثبت عن الطبعات السابقة .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٣٦/٥ .

(٣) تحفة الأجوذي ، أبواب صفة القيامة ، الحديث ٢٥٧٤ : ١٥٢/٧ - ١٥٤ . وقال الترمذي : « هذا حديث حين » .

وتفسير الطبري : ٢١/٣٠ .

(٤) انظر تفسير الطبري : ٤٢٣/٣٠ .

قال الله تعالى : (فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة) ، أى : فإنما هو أمر من الله لا مثنوية فيه ولا تأكيد ، فإذا الناس قيام ينظرون ، وهو أن يأمر تعالى إسرائيل فيفتح في الصور نفخة البعث ، فاذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الرب - عز وجل - ينظرون ، كما قال : (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ، وتظنون إن لبثتم إلا قليلا (١)) . وقال تعالى : (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر (٢)) . وقال تعالى : (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب (٣)) قال مجاهد : (فإنما هي زجرة واحدة) : صيحة واحدة .

وقال إبراهيم التيمي : أشد ما يكون الرب غَضَباً على خلقه يوم يعثهم .

وقال الحسن البصرى : زجرة من الغضب . وقال أبو مالك ، والربيع بن أنس : زجرة واحدة : هي النفخة الآخرة ؛

وقوله : (فإذا هم بالساهرة) - قال ابن عباس : (الساهرة) الأرض كلها . وكذا قال سعيد بن جبّير ، وقتادة ، وأبو صالح .

وقال عكرمة ، والحسن ، والضحاك ، وابن زيد : (الساهرة) وجه الأرض ،

وقال مجاهد : كانوا بأسفلها فأخرجوا إلى أعلاها - قال : و (الساهرة) : المكان المستوى (٤) ،

وقال الثوري : (الساهرة) أرض الشام ، وقال عثمان بن أبي العاتكة : (الساهرة) : أرض بيت المقدس . وقال وهب ابن مثنبه : (الساهرة) : جبل إلى جانب بيت المقدس . وقال قتادة أيضا (الساهرة) : جهنم . وهذه أقوال كلها غريبة ، والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا حنّزَر (٥) بن المبارك الشيخ الصالح ، حدثنا بشر بن الحرى ، حدثنا مصعب بن ثابت ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد الساعدي : (فإذا هم بالساهرة) ، قال : أرض بيضاء عقراء كالخبيزة النقي .

وقال الربيع بن أنس : (فإذا هم بالساهرة) ، يقول الله عز وجل : (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار) . ويقول : (ويسألونك عن الجبال فقل : ينسفها ربي نسفاً . فيدورها قاعا صفصفاً . لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً) . وقال : (ويوم نسير الجبال وتترى الأرض بارزة) : وبرزت الأرض التي عليها الجبال ، وهي لا تعد من هذه الأرض ، وهي أرض لم يعمل عليها خطيئة ، ولم يهراق عليها دم .

(١) سورة الإسراء ، آية : ٥٢ .

(٢) سورة القمر ، آية : ٥٠ .

(٣) سورة النحل ، آية : ٧٧ .

(٤) تفسير الطبري : ٢٤/٣٠ .

(٥) في المخطوطة « حزن » دون نقط . وفي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٤٠٦/٢٤١ : « حنّزَره برأين » والمثبت

عن المشبه الذهبي : ٢٢٥/١ .

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۖ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧)
فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرَكَى (١٨) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠)
فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ سَعْيَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ
نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى (٢٦)

يخبر تعالى رسوله محمدا - صلى الله عليه وسلم - عن عبده ورسوله موسى - عليه السلام - أنه ابتعثه إلى فرعون ، وأيده بالمعجزات ، ومع هذا استمر على كفره وطغيانه ، حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر . وكذلك عاقبة من خالفك وكذب بما جئت به ، ولهذا قال في آخر القصة : (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) .

فقوله : (هل أتاك حديث موسى) ؟ أى : هل سمعت خبره ؟ (إذ ناداه ربه) ، أى : كلمته نداء ، (بالواد المقدس) ، أى : المطهر : (طوى) ، وهو اسم الوادى على الصحيح ، كما تقدم في سورة (طه) (١) . فقال له : (اذهب إلى فرعون إنه طغى) ، أى : تجر وتمرد وعتا ، (فقل : هل لك إلى أن تزكى) ؟ أى : قل له : هل لك أن تجيب إلى طريقة ومسلك تزكى به ، أى : تسلم وتطيع . (وأهديك إلى ربك) ، أى : أدلك إلى عبادة ربك ، (فتخشى) ، أى : فيصير قلبك خاضعا له مطيعا خاشعا بعد ما كان قاسيا خبيثا بعيدا من الخير . (فأراه الآية الكبرى) ، يعنى : فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية ودليلا واضحا على صدق ما جاء به من عند الله ، (فكذب وعصى) ، أى : فكذب بالحق وخالف ما أمره به من الطاعة . وحاصله أنه كثر قلبه فلم يفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره . وعلمه بأن ما جاء به أنه حق لا يلزم منه أنه مؤمن به ؛ لأن المعرفة علم القلب ، والإيمان عمله ، وهو الانقياد للحق والخضوع له . وقوله : (ثم أدبر سعي) ، أى : فى ، قابله الحق بالباطل ، وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى - عليه السلام - من المعجزة الباهرة ، (فحشر فنادى) ، أى : فى قومه (فقال : أنا ربكم الأعلى) .

قال ابن عباس ، ومجاهد : وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله (ما علمت لكم من إله غيرى) ، بأربعين سنة (٢) . قال الله تعالى : (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) ، أى : انتقم الله منه انتقاما جعله به عبرة ونكالا لأمثاله من المتمردين فى الدنيا (ويوم القيامة ، بشئ الرfid المرفود (٣)) ، كما قال تعالى : (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون (٤)) . هذا هو الصحيح فى معنى الآية أن المراد بقوله : (نكال الآخرة والأولى) ، أى : الدنيا والآخرة : وقيل : المراد بذلك كلمته الأولى والثانية . وقيل : كفره وعصيانه . والصحيح الذى لا شك فيه الأول . وقوله : (إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى) ، أى : لمن يتعظ ويتزجر .

(١) أنظر : ٢٧١/٥ .

(٢) سورة القصص ، آية : ٣٨ .

(٣) سورة هود ، آية : ٩٩ .

(٤) سورة القصص ، آية : ٤٦ .

ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَّاها ﴿١٧﴾ رَفَعَ سَمَكها فَسَوَّيْها ﴿١٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلها وَأَخْرَجَ صُحْبها ﴿١٩﴾ وَالْأَرْضُ
بَعْدَ ذَلِكَ دَحْيها ﴿٢٠﴾ أَخْرَجَ مِنْها مَاءها وَمَرَعها ﴿٢١﴾ وَالْجِبَالُ أَرْسُها ﴿٢٢﴾ مَتاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكم ﴿٢٣﴾

يقول تعالى محتجاً على منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدئه : (أ أنتم) أيها الناس (أشد خلقاً أم السماء) ؟ يعني بل السماء أشد خلقاً منكم ، كما قال تعالى : (خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس (١)) . وقال : (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى ، وهو الخلاق العليم (٢)) . فقوله : (بناها) فسرهُ بقوله : (رفع سمكها فسواها) ، أي : جعلها عالية البناء ، بعيدة الفناء ، مستوية الأرجاء ، مكالة بالكواكب في الليلة الظلماء .

وقوله : (وأغطش ليلها وأخرج ضحها) ، أي : جعل ليلها مظلماً أسود حالكا ، ونهارها مضيئاً مشرقاً نيراً واضحاً .

قال ابن عباس : أغطش ليلها : أظلمه . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبیر ، وجماعة كثيرون .

(وأخرج ضحها) ، أي : أثار نهارها .

وقوله : (والأرض بعد ذلك دحها) ، فسرهُ بقوله : (أخرج منها ماءها ومرعاها) : وقد تقدم في سورة «حم السجدة (٣)» أن الأرض خلقت قبل السماء ، ولكن إنما دحيت بعد خلق السماء ، بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل . وهذا معنى قول ابن عباس ، وغير واحد ، واختاره ابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي ، حدثنا عبيد الله بن يحيى ابن عمرو - عن زيد بن أبي أنيسة ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس : (دحها) : ودحيتها أن أخرج منها الماء والمرعى ، وشفق الأنهار ، وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام ، فذلك قوله : (والأرض بعد ذلك دحها) ، وقد تقدم تقرير ذلك هنالك .

وقوله : (والجبال أرساها) ، أي : قررها وأثبتها وأكدها في أماكنها ، وهو الحكيم العليم : الرؤوف بخلقه

الرحيم .

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا العوام بن حوشب ، عن سليمان بن أبي سليمان ، عن أنس بن مالك ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : «لما خلق الله الأرض جعلت تيد ، فخلق الجبال فألقاها عليها ، فاستقرت ، فنعجت الملائكة من خلق الجبال فقالت : يا رب ، فهل من خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال : نعم ، الحديد . قالت : يا رب ، فهل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ قال : نعم ، النار . قالت : يا رب ، فهل من خلقك شيء

(١) سورة غافر ، آية : ٥٧ .

(٢) سورة يس ، آية : ٨١ .

(٣) انظر تفسير الآية التاسعة من سورة فصلت : ٧/١٥٥ .

أشد من النار؟ قال: نعم، الماء. قالت: يا رب، فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم، الريح. قالت: يا رب، فهل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم، يتصدق بيمينه يخفيها من شماله (١).

وقال أبو جعفر بن جرير: حدثنا بن حميد، حدثنا جرير، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي قال: لما خلق الله الأرض [قمصت (٢)] وقالت: تخلق علي آدم وذريته، يلقون علي تنهم ويعملون علي بالخطايا، فأرساها الله بالجبال، فمنها ما ترون، ومنها ما لا ترون، وكان أول قرار الأرض كلحم الجزور إذا تحجر، يخرج لحمه. غريب (٣).

وقوله: (متاعا لكم ولأنعامكم)، أي: دحا الأرض فأنبع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرى أنهارها، وأنبث زروعها وأشجارها وثمارها، وثبت جبالها لتستقر بأهلها ويقر قرارها، كل ذلك متاعاً خلقه ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبوها مدة احتياجهم إليها في هذه الدار إلى أن ينتهي الأمد، وينقضي الأجل.

فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿٣٦﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٧﴾ وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ بَرَى ﴿٣٨﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٩﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ هَوَىٰ ﴿٤٢﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤٣﴾ يَسْعَوْنَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانٌ مَّرَسَهَا ﴿٤٤﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ﴿٤٥﴾ إِنْ أُنذِرْتَ مِنْ نَحْوِهَا ﴿٤٦﴾ كَأَنَّ يَوْمَ بَرُونَهَا لَوْ يَلْبِسُونَ إِلَّا غَشِيَةً أَوْ حَمِيهَا ﴿٤٧﴾

يقول تعالى: (فإذا جاءت الطامة الكبرى)، وهو يوم القيامة. قاله ابن عباس، سميت بذلك لأنها تطم على كل أمر هائل مفضح، كما قال تعالى: (والساعة أدهى وأمر (٤)).

(يوم يتذكر الإنسان ما سعى)، أي: حينئذ يتذكر ابن آدم جميع [عمله] خيره وشره، كما قال: (يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى (٥)).

(وبرزت الجحيم لمن برى)، أي: أظهرت للناظرين فرآها الناس عياناً. (فأما من طغى)، أي: تمرد وعنا، (وآثر الحياة الدنيا)، أي: قدمها على أمر دينه وأخراه، (فإن الجحيم هي المأوى)، أي: فإن مصيره إلى الجحيم، وإن مطعمه من الزقوم ومشربه من الحميم. (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى)، أي: خاف القيام

(١) مسند الإمام أحمد: ١٢٤/٣. وقد أخرجه الترمذي عن محمد بن بشار، عن يزيد، بإسناده مثله. وقال: وهذا حديث قريب، لا يعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه. انظر تحفة الأحوذى، تفسير الموهبتين: ٣٠٧/٩ - ٣٠٨.

(٢) أي: اضطربت.

(٣) تفسير الطبري: ٣٠/٣٠. وقد تقدم عن الإمام علي من طريق أخرى نحوه، عند تفسير الآية الخامسة عشرة من سورة

النحل: ٤٨١/٤ - ٤٨٢.

(٤) سورة القمر، آية: ٢٦.

(٥) سورة الفجر، آية: ٢٣.

بين يدي الله — عز وجل — حكّم الله فيه ، ونهى نفسه عن هواها ، وردّها إلى طاعة مولانا ، (فإن الجنة هي المأوى)
 أى : منقلبه ومصيره ومرجه إلى الجنة الفيحاء .

ثم قال تعالى : (يستلونك عن الساعة أيان مرساها . قيم أنت من ذكرها . إلى ربك متهاها) ، أى : ليس علمها
 إليك ولا إلى أحد من الخلق ، بل مردّها ومرجعها إلى الله عز وجل ، فهو الذى يعلم وقتها على التعيين ، (تمسكت
 في السموات والأرض ، لا تأتاكم إلا بغتة ، يستلونك كأنك حفى عنها ، قل : إنما علمها عند الله (١) . وقال ما هنا
 (إلى ربك متهاها) . ولهذا لما سأل جبريل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن وقت الساعة قال : وما المسئول
 عنها بأعلم من السائل (٢) .

وقوله : (إنما أنت منذر من يخشاها) ، أى : إنما بعثتك لتنذر الناس وتحذرهم من بأس الله وعذابه ، فن حشى الله
 وخاف مقامه ووعيده ، اتبعك فأفلق وأنجح ، والحية والحمار على من كذبك وخالفك .

وقوله : (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) ، أى : إذا قاموا من قبورهم إلى الخشع يستقرون مدة
 الحياة الدنيا ، حتى كأنها عندهم كانت عشية من يوم أو ضحى من يوم .

قال جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) ، أما عشية فإ بين
 الظهر إلى غروب الشمس ، (أو ضحاها) ، ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار .
 وقال قتادة : وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة (٣) ،

[آخر تفسير سورة النازعات]

(١) سورة الأعراف ، آية : ١٨٧ .

(٢) تقدم الحديث عند تفسير آية الأعراف المتقدمة ، وخرجناه هناك ، انظر : ٣/٥٢٢ - ٥٢٣ .

(٣) تفسير الطبرى : ٣٥/٢٢٠ .

تفسير سورة عبس

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يُزَكِّيهِ ۝ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ اللَّهُ كَرِيماً ۝ (٤) أَمَّا مَنْ
لَا يَسْتَعِينُ ۝ (٥) فَانْتَهَىٰ لَهُ تَصَدَّىٰ ۝ (٦) وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزْكِيهِ ۝ (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝ (٩)
فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝ (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝ (١١) فَمِنْ شَاءَ ذَكَرْتَهُ ۝ (١٢) فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝ (١٣) حَرُّوفٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝ (١٤)
وَأَيْدِي سُفَّيرَةٍ ۝ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝ (١٦)

ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يوماً مخاطباً بعض عطاء قريش ، وقد طمع في إسلامه ، فبينما هو مخاطبه ويتناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم - وكان من أسلم قديماً - فبجعل يسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن شيء ويلج عليه ، وودّ النبي - صلى الله عليه وسلم - أن لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل ، طمغاً ورضية في هدايته . وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه ، وأقبل على الآخر ، فأنزل الله عز وجل : (عبس وتولى : أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكي) ؟ أي : يحصل له زكاة وطهارة في نفسه ، (أو يذكر فتنتعه اللذكري) ، أي : يحصل له اتعاظ وانزجار عن الحرام ، (أما من استغنى فأنت له تصدى) ، أي : أنا الغني فأنت تنعرض له لعله يهتدى ، (وما عليك ألا يزكي) ؟ أي : ما أنت بمطالب به إذ لم يحصل له زكاة . (وأما من جاءك يسعى وهو يخشى) ، أي : يقصدك ويؤمك ليتهتدى بما تقول له ، (فأنت عنه تلهي) ، أي : تتشاغل . ومن هاهنا أمر الله - عز وجل - رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن لا يخص بالإنذار أحداً ، بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف ، والفقر والغنى ، والسادة والعبيد ، والرجال والنساء ، والصغار والكبار . ثم الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وله الحكمة [البالغة] والحجة [الدامغة] .

قال الحافظ أبو يعلى في مستنده : حدثنا محمد - هو ابن مهدي - حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن قتادة عن أنس في قوله : (عبس وتولى) ، جاء ابن أم مكتوم إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يكلم أبي بن خلف ، فأعرض عنه ، فأنزل الله : (عبس وتولى : أن جاءه الأعمى) ، فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك بكرمه .

قال قتادة : وأخبرني أنس بن مالك قال : رأيت يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء - يعني ابن أم مكتوم (١) .

وقال أبو يعلى وابن جرير : حدثنا سعيد بن يحيى الأموى ، حدثني أبي ، عن هشام بن عروة [مما عرضه (١)] عليه عن عروة ، عن عائشة قالت : أنزلت : (عبس وتولى) في ابن أم مكتوم الأعمى ، أتى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجعل يقول : أرشدني - قالت : وعند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من عطاء المشركين - قالت : فجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - يعرض عنه ويقبل على الآخر ، ويقول : « أتري بما أقول بأسا ؟ » : فيقول : لا . ففي هذا أنزلت : (عبس وتولى (٢)) .

وقد روى الترمذى هذا الحديث ، عن سعيد بن يحيى الأموى ، بإسناده ، مثله ، ثم قال : « وقد رواه بعضهم عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : أنزلت (عبس وتولى) في ابن أم مكتوم ، ولم يذكر فيه عن عائشة (٣) » : قلت : كذلك هو في الموطأ (٤) .

ثم روى ابن جرير وابن أبي حاتم أيضا من طريق العوفى ، عن ابن عباس قوله : (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) ، قال : بينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يناجى عتبة بن ربيعة ، وأبا جهل بن هشام ، والعباس بن عبد المطلب - وكان يتصدى لهم كثيرا ، ويحرص عليهم أن يؤمنوا - فأقبل إليه رجل أعمى - يقال له عبد الله بن أم مكتوم - يمشى وهو يناجيه ، فجعل عبد الله يستقرئ النبي - صلى الله عليه وسلم - آية من القرآن ، وقال : يا رسول الله ، علمني مما علمك الله . فأعرض عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعبس في وجهه ، وتولى وكثره كلامه ، وأقبل على الآخرين ، فلما قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نجواه وأخذ ينقلب إلى أهله ، أمسك الله بعض بصره ، ثم ختم (٥) برأسه ، ثم أنزل الله : (عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى : أو يذكر فتنفعه الذكري) . فلما نزل فيه ما نزل ، أكرمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكلمه وقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - « ما حاجتك ؟ هل تريد من شيء ؟ وإذا ذهب من عنده قال : هل لك حاجة في شيء ؟ » . وذلك لما أنزل الله تعالى : (أما من استغنى . فأنت له تصدى . وما عليك ألا يزكى (٥) ؟ !) .

فيه غرابة ونكارة ، وقد تكلمت في إسناده .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن منصور الرمادى ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا الليث ، حدثني يونس ، عن ابن شهاب قال : قال سالم بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمر : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إن بلالا يؤذن بليل ، فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم » . وهو الأعمى الذى أنزل الله فيه : (عبس وتولى . أن جاءه الأعمى) ، وكان يؤذن مع بلال قال سالم : وكان رجلاً ضريب البصر ، فلم يك يؤذن حتى يقول له الناس - حين ينظرون إلى بزوغ الفجر : أذن .

(١) ما بين القوسين عن تفسير الطبرى ، ومكانه بياض في المخطوطة .

(٢) تفسير الطبرى : ٣٠/٣٢ .

(٣) تحفة الأحوذى ، تفسير سورة عبس ، الحديث ٣٢٨٧ : ٩/٢٥٠ - ٢٥١ .

(٤) انظر تنوير الحوالك : ١/١٦٠ - ١٦١ .

(٥) أى : سقطت ذقته على صدره .

(٦) تفسير الطبرى : ٣٠/٣٢ - ٣٣ .

وهكذا ذكر عروة بن الزبير ، ومجاهد ، وأبو مالك ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد ، وغير واحد من السلف والخلف ؛ أنها نزلت في ابن أم مكتوم . والمشهور أن اسمه عبد الله ، ويقال : عمرو (١) . والله أعلم .
وقوله : (كلا إنها تذكرة) ، أي : هذه السورة ، أو الوصية بالمساواة بين الناس في إيصال العلم من شريفهم وروضيعهم .

وقال قتادة والسدي : (كلا إنها تذكرة) ، يعني القرآن . (فن شاء ذكره) ، أي : فن شاء ذكر الله في جميع أموره . ويحتمل عود الضمير على الوحي ؛ للدلالة الكلام عليه .
وقوله : (في صحف مكربة . مرفوعة مطهرة) ، أي : هذه السورة أو العظة ، وكلاهما متلازم ، بل جميع القرآن (في صحف مكربة) ، أي : معظمة موقرة . (مرفوعة) ، أي : عالية القدر ، (مطهرة) أي : من البدنس والزيادة والنقص .

وقوله : (بأيدي سفرة) . قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وابن زيد : هي الملائكة .
وقال وهب بن منبه : هم أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - وقال قتادة : هم القراء . وقال ابن جرير : عن ابن عباس : السفرة بالنسبة : القراء .
وقال ابن جرير : الصحيح أن السفرة الملائكة ، والسفرة يعني بين الله وبين خلقه ، ومنه يقال : السفير الذي يسمى بين الناس في الصلح والخير ، كما قال الشاعر :

وما أدعُ السَّفَرَةَ بين قومي وما أمشي بغش إن مَشَيْتُ (٢)

وقال البخاري : « سَفَرَةٌ : الملائكة (٣) . سفرت : أصلحت بينهم . وجعلت الملائكة إذا نزلت يوحي الله وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم (٤) .

وقوله : (كرام بررة) ، أي : خلقتهم كرم حسن شريف ، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة . ومن هاهنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد .

قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن زُرارة بن أوفى ، عن سعد بن هشام ، عن عائشة قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « الذي يقرأ القرآن - وهو ما هر به - مع السَّفَرَةَ الكرام البررة ، والذي يقرؤه - وهو عليه شاق - له أجران (٥) » .
أخرجه الجماعة من طريق قتادة ، به (٦) .

(١) انظر أسد الغابة ، ترجمة « عبد الله بن زائدة بن الأصم » : ٢٣٨/٣ . وترجمة « عمرو بن زائدة بن الأصم » : ٢٢٣/٤ .

(٢) تفسير الطبري : ٣٥/٣٠ . ومعاني القرآن للفراء : ٢٣٦/٣ . والبحر المحيط : ٤٢٥/٨ .

(٣) بعنه في الصحيح : « واحدهم سافر » .

(٤) في المخطوطة : « بين الناس » . والمثبت عن الصحيح ، انظر البخاري ، تفسير سورة (عبس) : ٢٠٦/٦ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٤٨/٦ . وانظر أيضاً : ٩٤/٦ ، ٩٨ ، ١١٠ ، ١٧٠ ، ١٩٢ ، ٢٣٩ ، ٢٦٦ .

(٦) البخاري ، تفسير سورة (عبس) : ٢٠٦/٦ . ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتمتع به «

١٩٥/٢ . وستن أبي داود ، كتاب الوتر ، باب « في ثواب قراءة القرآن » . وتحفة الأحوذى ، أبواب فضائل القرآن «

باب « ما جاء في فضل قارئ القرآن » ، الحديث ٣٠٦٨ : ٢١٥/٨ - ٢١٦ . وقال : « هذا حديث حسن صحيح » . وابن

ماجه ، كتاب الأدب ، باب « ثواب القرآن » ، الحديث ٣٧٧٩ : ١٢٤٢/٢ .

قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ﴿٢٠﴾
 ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى
 طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَيْنًا
 وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَحْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَيْكِهِ وَأَبَا ﴿٣١﴾ مَتَعَلِكُمْ وَلَا نَعْمَكُمْ ﴿٣٢﴾

يقول تعالى ذاماً لمن أنكر البعث والنشور من بني آدم : (قتل الإنسان ما أكفره) . قال الضحاك ، عن ابن عباس :
 (قتل الإنسان) : لعن الإنسان . وكذا قال أبو مالك . وهذا لجنس الإنسان المكذب ؛ لكثرة تكذيبه بلا مستند ، بل
 مجرد الاستبعاد وعدم العلم .

قال ابن جرير (١) : (ما أكفره) : ما أشد كفره ! وقال ابن جرير : ويحتمل أن يكون المراد أى شيء جعله
 كافراً ؟ أى : ما حمّله على التكذيب بالمعاد .

وقال قتادة - وقد حكاه البغوي عن مقاتل والكلبي - : (ما أكفره) ما ألعنه .

ثم بين تعالى له كيف خلقه الله من الشيء الخفي ، وأنه قادر على إعادته كما بدأه ، فقال : (من أى شيء خلقه ؟
 من نطفة خلقه فقدره) ، أى : قدر أجله وزرقه وعمله وشق أو سعيد . (ثم السبيل يسره) - قال العوفي ، عن ابن عباس :
 ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه . وكذا قال عكرمة ، والضحاك ، وأبو صالح ، وقاتدة ، والسدي ، واختاره
 ابن جرير (٢) .

وقال مجاهد : هذه كقوله : (إنا هدينا السبيل : إما شاكراً وإما كفوراً) . أى : بيّنا له ووضحنا وسهّلنا
 عليه علمه ، وهكذا قال الحسن ، وابن زيد . وهذا هو الأرجح ، والله أعلم .

وقوله : (ثم أماته فأقبره) ، أى : إنه بعد خلقه له (أماته فأقبره) ، أى : جعله (٣) ذا قبر . والعرب تقول :

(١) كما في مخطوطة الأزهر . وفي الطبعات السابقة : « ابن جريج » . ولعل الصواب ما في المخطوطة ، فقد قال ابن
 جرير الطبري ٣٥/٣٠ : « وفي قوله (أكفره) وجهان ، أحدهما : التعجب من كفره مع إحسان الله إليه وأياديه عنده .
 والآخر : ما الذى أكفره ، أى : أى شيء أكفره ؟ » . والوجه الأول يعنى ما ذكره ابن كثير أولاً : « ما أشد كفره » .
 فذكر مراد الطبري من التعجب . والوجه الثاني استفهام .

(٢) تفسير الطبري : ٣٦/٣٠ .

(٣) كل ذلك ذكره الفراء في معاني القرآن : ٢٣٧/٣ ، وأخذه عنه الطبري : ٣٦/٣٠ . وهذا المعنى الذى تفيدته الهزئة
 يسميه علماء الصرف : التعريض ، يقول الأستاذ محمد عبد الحاق عظيمه في كتابه « المعنى في تصريف الأفعال » ٨٢ : « تفيد
 الهزئة أنك جعلت ما كان مفعولاً معرضاً لأن يقع عليه الحدث ، سواء صار مفعولاً أم لا ، نحو أقتلته : أى عرضته لأن يكون
 مقتولاً ، قتل أولاً . وأبعت الفرس أى : عرضته للبيع ، وأسقيته ، أى : جعلت له ماء وسقياً ، شرب أولم يشرب ، وأقبرته
 جعلت له قبراً ، قبر أولاً ، وقبرته دفنته . وأسقيته : عرضته للشقاء » . وانظر كتاب سيبويه : ٢٣٥/٢ . والشافية للرضى :

«قبرت الرجل»: إذا ولى ذلك منه، وأقبره الله. «وعصبت قرن الثور، وأعصبه الله، وبترت ذنب البعير وأقبره الله؛ وطردت عنى فلاناً، وأطرده الله. أى: جعله طريداً، قال الأعشى (١):

لَو أَسْنَدَتْ مَيْتاً إِلَى نَحْرِهَا (٢) عَاشَ ، وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَبْرِ

وقوله: (ثم إذا شاء أنشره)، أى: بعثه بعد موته، ومنه يقال: البعث والنشور، (ومن آياته: أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون (٣))، (وانظر إلى العظام كيف ننشرها (٤)) ثم نكسوها لحماً (٥).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبى، حدثنا أصبغ بن الفرج، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث: أن دراجاً أبا السمح أخبره، عن أبى الهيثم، عن أبى سعيد، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه». قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: «مثل حبة خردل منه ينشأون».

وهذا الحديث ثابت في الصحيح من رواية الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة، بدون هذه الزيادة، ولفظه: «كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب (٦)».

وقوله: (كلا، لَمَّا يَقْضِ ما أمره) - قال ابن جرير: يقول: كلا، ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر؛ من أنه قد أدى حق الله عليه في نفسه وماله، (لَمَّا يَقْضِ ما أمره)، يقول: لم يؤد ما فُرض عليه من الفرائض لربه عز وجل (٧).

ثم روى هو وابن أبي حاتم من طريق ابن أبى نجيح، عن مجاهد قوله: (كلا، لَمَّا يَقْضِ ما أمره)، قال: لا يقضى أحد أبداً كل ما افترض عليه. وحكاها البغوي، عن الحسن البصري، بنحو من هذا. ولم أجد للمتقدمين فيه كلاماً سوى هذا. والذي يقع لي في معنى ذلك - والله أعلم - أن المعنى: (ثم إذا شاء أنشره)، أى: بعثه، (كلا لَمَّا يَقْضِ ما أمره): لا يفعله الآن حتى تنتقض المدة، ويفرغ القدر من نبي آدم من كتب تعالى له [أن] سيوجد منهم، ويخرج إلى الدنيا، وقد أمر به تعالى كونا وقديراً، فإذا تناهى ذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم.

وقد روى ابن أبي حاتم، عن وهب بن منبّه قال: قال عزير عليه السلام: قال الملك الذي جاءني: فان القبور هي بطن الأرض، وإن الأرض هي أم الخلق، فإذا خلق الله ما أراد أن يخلق، وتمت هذه القبور التي مَدَّ الله لها،

(١) ديوانه، ط بيروت: ٩٣، من قصيدة يهجو بها طلحة بن علاثة، ويمدح عامر بن الطفيل.

(٢) في المخطوطة: «إلى خدرها». وفي الطبقات السابقة: «إلى صدرها». والمثبت عن ديوان الأعشى: وتفسير

الطبري: ٣٠/٣٦.

(٣) سورة الروم، آية: ٢٠.

(٤) هي قراءة نبه عليها ابن كثير في سورة البقرة: ٦٥/١. وقال ابن خالويه في الحجة ٧٦: «يقرأ بالراء والزاي».

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٥٩.

(٦) البخاري، تفسير سورة الزمر: ١٥٨/٦. ومسلم، كتاب الفتن، باب «ما بين النفتين»: ٢١٠/٨. وانظر

تفسير الآية الرابعة عشرة من «سورة الزمر»: ٤٦١/٥.

(٧) تفسير الطبري: ٣٠/٣٦.

انقطعت الدنيا ومات من عليها ، ولفظت الأرض مائى جوفها ، وأخرجت القبور ما فيها ، وهذا شبيه بما قلناه من معنى الآية ، والله - سبحانه وتعالى - أعلم بالصواب .

وقال : (فلينظر الإنسان إلى طعامه) : فيه [امتنان وفيه] استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعد ما كانت عظاما بالية وترابا متمزقا ؛ (أنا صبينا الماء صبا) ، أى : أنزلناه من السماء على الأرض ، (ثم شققنا الأرض شققا) ، أى : أسكنناه فيها فدخل في تضحومها وتخلل في أجزاء الحب المودع فيها ، فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض ، (فأنبثنا فيها حيا . وعنبا وقضيا) ، فالحب : كل ما يذكر من الحبوب ، والعتب معروف ، والقضب هو : الفصصصة التي تأكلها الدواب رطبة . ويقال لها : القتب أيضا . قال ذلك ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك ، والسدى .

وقال الحسن البصرى : القضب : العلف .

(وزيتونا) ، وهو معروف ، وهو آدمٌ وعصيره آدم ، ويستصح به ، وبدهن به : (ونخلًا) يؤكل بلحا [بسرًا] ورطبًا ، وتمرًا ، ونبثًا ، ومطبوخًا ، ويعتصر منه ربُّ وخل . (وحدائق غلبا) : أى بساتين : قال الحسن ، وقتادة ؛ (غلبا) : نخل غلاظ كرام . وقال ابن عباس ، ومجاهد : (الحدائق) : كل ما التفت واجتمع . وقال ابن عباس أيضا ؛ (غلبا) : الشجر الذى يستظل به . وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : (وحدائق غلبا) ، أى : طوال (١) . وقال عكرمة : (غلبا) ، أى : غلاظ الأوساط . وفي رواية : غلاظ الرقاب ، ألم تر إلى الرجل إذا كان غليظ الرقبة قيل : والله إنه لأغلب . رواه ابن أبى حاتم ، وأنشد ابن جرير للفرزدق (٢) :

عوى فأنارَ أغلبَ ضيغميًّا فويل ابن المرأفة ما استندارا (٣)

وقوله : (وفاكهة وأبا) ، أما الفاكهة فهو ما يتفكه به من الثمار . قال ابن عباس : الفاكهة : كل ما أكل رطبًا ، والأب ما أنبتت الأرض ، مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس - وفي رواية عنه : هو الحشيش للبهائم . وقال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأبو مالك : الأب : الكأ . وعن مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، وابن زيد : الأب للبهائم كالفاكهة لئبى آدم : وعن عطاء : كل شيء نبت على وجه الأرض فهو أب . وقال الضحاك : كل شيء أنبتته الأرض سوى الفاكهة فهو أب .

وقال ابن إدريس ، عن عاصم بن كليب ، عن أبيه ، عن ابن عباس : الأب : نبت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس . ورواه ابن جرير من ثلاث طرق ، عن ابن إدريس ، ثم قال :

(١) تفسير الطبرى : ٣٧/٣٠ .

(٢) ديوانه ، ط بيروت : ٣٥٥ . من قصيدة يرد فيها على جرير ويناقضه .

(٣) الضمير فى « عوى » يعود إلى جرير . والأغلب : الأسد الضيغمي : الشديد الضغم ، وهو العنق . واستأثره :

حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا : حدثنا ابن إدريس ، حدثنا عبد الملك ، عن سعيد بن جبير قال : عدّ (١) ابن عباس وقال : الأب : ما أنبت الأرض للأنعام . هذا لفظ أبي كريب وقال أبو السائب : ما أنبت الأرض مما يأكل الناس وتأكل الأنعام .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : الأب : الكلاً والمرعى . وكذا قال مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، وابن زيد ، وغير واحد (٢) .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : حدثنا محمد بن يزيد ، حدثنا العوام بن حوشب ، عن إبراهيم التيمي قال : سئل أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - عن قوله تعالى : (وفاكهة وأبا) فقال : أى ساء تظلى وأى أرض تظلى إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم .

وهذا منقطع بين إبراهيم التيمي والصديق . فأما ما رواه ابن جرير حيث قال :

حدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن أبي عدي ، حدثنا حميد ، عن أنس قال : قرأ عمر بن الخطاب (عيس وتوى) فلما أتى على هذه الآية : (وفاكهة وأبا) قال : عرفنا ما الفاكهة ، فما الأب ؟ فقال : لعمر ك يا ابن الخطاب إن هذا هو التكلف (٢) .

فهو إسناد صحيح ، وقد رواه غير واحد عن أنس ، به . هو محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه ، وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض ، لقوله : (فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا وفاكهة وأبا) .

وقوله : (متاعا لكم ولأنعامكم) ، أى : عيشة لكم ولأنعامكم في هذه الدار إلى يوم القيامة ،

فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةَ ﴿٣٦﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٧﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٨﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٩﴾ لِكُلِّ أُمَّرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٤٠﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٤١﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٤٢﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٣﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤٤﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿٤٥﴾

قال ابن عباس : (الصاخة) : اسم من أسماء يوم القيامة ، عظمه الله ، وحدّره عباده (٣) ؛

قال ابن جرير : لعله اسم للنفخة في الصور . وقال البخاري : (الصاخة) : يعنى صيحة القيامة ، سميت بذلك لأنها تصخّ الأسماع ، أى : تبالغ في إسماعها حتى تكاد تُصمّها .

(يوم يفر المرء من أخيه . وأمّه وأبيه . وصاحبه وبنيه) ، أى : يراهم ، ويفر منهم ، ويتعد عنهم ، لأن الهول عظيم ، والحطب جليل .

(١) تقدم قبل هذا في رواية أخرى ٣٨/٣٠ : « عن ابن عباس - قال : عد سبعا ، وجعل رزقه في سبعة ، وجعله من سبعة ، وقال في آخر ذلك : الأب ما أنبت الأرض مما لا يأكل الناس » .

(٢) تفسير الطبري : ٣٨/٣٠ .

(٣) تفسير الطبري : ٣٩/٣٠ .

قال عكرمة : يلتقي الرجل زوجته فيقول لها : يا هذه ، أرى بعل كنت لك ؟ فتقول : نعم البعل كنت ! وتثنى بخير ما استطاعت ، فيقول لها : فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهيينها لي لعل أنجو مما ترين . فتقول له : ما أيسر ما طلبت ، ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئاً أخوف مثل (١) الذي تخاف . قال : وإن الرجل ليلقي ابنه فيتعلق به فيقول : يا بني ، أرى والد كنت لك ؟ فيثنى بخير . فيقول له : يا بني ، إني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعل أنجو مما ترى . فيقول ولده : يا أبت ، ما أيسر ما طلبت ، ولكني أخوف مثل الذي تتخوف ، فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً . يقول الله تعالى : (يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبه وبنيه) .

وفي الحديث الصحيح - في أمر الشفاعة - : أنه إذا طلب إلى كل من أولى العزم أن يشفع عند الله في الخلائق ، يقول : نفسي نفسي ، لا أسأله اليوم إلا نفسي ، حتى إن عيسى ابن مريم يقول : لا أسأله اليوم إلا نفسي ، لا أسأله مريم التي ولدته . ولهذا قال تعالى : (يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبه وبنيه) .

قال قتادة : الأحب فالأحب ، والأقرب فالأقرب ، من هول ذلك اليوم .

وقوله : (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) ، أي : هو في شغل شاغل عن غيره .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عمار بن الحارث ، حدثنا الوليد بن صالح ، حدثنا ثابت أبو زيد العباداني ، عن هلال بن خبّاب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « تحشرون حفاة عراة مشاة غرلاً » (٢) . قال : فقالت زوجته : يا رسول الله ، أويرى بعضنا عورة بعض ؟ قال : « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » . أو قال : « ما أشغله عن النظر » .

وقد رواه النسائي منفرداً به ، عن أبي داود ، عن عارم ، عن ثابت بن يزيد - وهو أبو زيد الأحول البصري ، أحد الثقات - عن هلال بن خبّاب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، به . وقد رواه الترمذي عن عبد بن حميد ، عن محمد بن الفضل ، عن ثابت بن يزيد ، عن هلال بن خبّاب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « تحشرون حفاة عراة غرلاً » . فقالت امرأة : أيبصر - أو : يرى - بعضنا عورة بعض ؟ قال : « يا فلانة ، (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) . ثم قال الترمذي : « وهذا حديث حسن صحيح ، وقد روى من غير وجه عن ابن (٣) عباس رضي الله عنه .

وقال النسائي : أخبرني عمرو بن عثمان ، حدثنا بقرية ، حدثنا الزبيدي ، أخبرني الزهري ، عن عروة ، عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يبحث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً » . فقالت عائشة : يا رسول الله ، فكيف بالعورات ؟ فقال : (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) (٤) .

انفرد به النسائي من هذا الوجه .

(١) في المخطوطة : « أخوف من قبل الذي . . » والمنبت عن الطبعات السابقة .

(٢) غرل - بضم فسكون - : جمع أغرل ، وهو الأظلاف غير المختون .

(٣) تحفة الأحوذى ، تفسير سورة عبس ، الحديث ٣٣٨٨ : ٢٥١/٩ - ٢٥٢ .

(٤) النسائي ، كتاب الجنائز ، باب « البعث » : ١١٤/٤ .

ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أزهر بن حاتم ، حدثنا الفضل بن موسى ، عن عائذ بن شريح ، عن أنس ابن مالك قال : سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، إني سألتك عن حديث فتخبرني أنت به . قال : « إن كان عندى منه علم » . قالت : يا نبي الله ، كيف يحشر الرجال ؟ قال : « حفاة عراة » . ثم انتظرت ساعة فقالت : يا نبي الله ، كيف يحشر النساء ؟ قال : « كذلك حفاة عراة » . قالت : واسوأته من يوم القيامة ! قال : « وعن أى ذلك تسألين ، إنه قد نزل على آية لا يضرك كان عليك ثياب أولا يكون » . قالت : آية آية هي يا نبي الله ؟ قال : (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) .

وقال البغوي في تفسيره : أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي ، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أخبرني الحسين بن عبد الله ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن ، حدثنا محمد بن عبد العزيز ، حدثنا ابن أبي أويس ، حدثنا أبي ، عن محمد بن أبي عياش ، عن عطاء بن يسار ، عن سودة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق ، وبلغ شحوم الآذان » . فقلت : يا رسول الله ، واسوأته ينظر بعضنا إلى بعض ؟ فقال : « قد شغل الناس ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » .

هذا حديث غريب من هذا الوجه جدا ، وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عمار الحسين بن حريث المروزي ، عن الفضل بن موسى ، به (١) . ولكن قال أبو حاتم الرازي : « عائذ بن شريح ضعيف ، في حديثه ضعف (٢) » .

وقوله : (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة) ، أى : يكون الناس هنالك فريقين (وجوه مسفرة) ، أى : مستبشرة (ضاحكة مستبشرة) ، أى : مسرورة فرحة من سرور قلوبهم ، قد ظهر البشر على وجوههم ، وهؤلاء أهل الجنة . (وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قرة) ، أى : يعلوها ويغشاها قرة ، أى : سواد .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سهل بن عثمان العسكري ، حدثنا أبو علي محمد بن جعفر بن محمد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة على وجوههم » . قال فهو قوله : (وجوه يومئذ عليها غبرة) .

وقال ابن عباس : (ترهقها قرة) ، أى : يغشاها سواد الوجوه .

وقوله : (أولئك هم الكفرة الفجرة) ، أى : الكفرة قلوبهم ، الفجرة في أعمالهم ، كما قال تعالى : (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا (٣)) .

آخر تفسير سورة عبس ، والله الحمد والمنة

(١) تفسير الطبري : ٣٩/٣٠ .

(٢) الجرح والتمديد لابن أبي حاتم : ١٦/٢/٣ .

(٣) سورة نوح ، آية : ٢٧ .

تفسير سورة التكويد

وهي مكية

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا عبد الله بن بحر القاصي : أن عبد الرحمن بن يزيد الصنعاني أخبره : أنه سمع بن عمر يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ : (إذا الشمس كورت) ، و (إذا السماء انفطرت) ، و (إذا السماء انشقت) (١) ، وهكذا رواه الترمذي ، عن العباس بن عبد العظيم العنبري ، عن عبد الرزاق ، به (٢) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤)
وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّتَتْ (٨)
بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢)
وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلِفَتْ (١٣) عَلَيَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤)

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (إذا الشمس كورت) ، يعني : أظلمت . وقال العوفي ، عنه : ذهب ، وقال مجاهد : اضمحلت وذهبت . وكذا قال الضحاك .

وقال قتادة : ذهب ضوءها . وقال سعيد بن جبير : (كورت) : غُورَتْ ؛

وقال الربيع بن خثيم (كورت) : يعني رمى بها .

وقال أبو صالح (كورت) : ألقيت . وعنه أيضا : نكست . وقال زيد بن أسلم : تقع في الأرض ؛

قال ابن جرير : والصواب من القول عندنا في ذلك أن التكويد جمع الشيء بعضه إلى بعض ، ومنه تكوير العمامة [وهو لفها على الرأس ، وكتكويد الكاره (٣)] و [هي (٤)] جمع الثياب بعضها إلى بعض ، فعني قوله : (كورت) : جمع بعضها إلى بعض ، ثم لفت فرى بها ، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها (٥) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٧/٢ ، ٣٦ ، ١٥٥ .

(٢) تحفة الأحوذى ، تفسير سورة إذا الشمس كورت : ٢٥٢/٩ - ٢٥٣ .

(٣) الكارة : الفرازة التي تكون فيها الأمتعة وغيرها .

(٤) ما بين الأقواس عن تفسير الطبري .

(٥) تفسير الطبري : ٤١/٣٠ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودي ، حدثنا أبو أسامة ، عن مجالد ، عن شيخ من بَجِيلَةَ ، عن ابن عباس : (إذا الشمس كورت) ، قال : يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ، ويبعث الله ريحا دبوراً فتضرمها ناراً . وكذا قال عامر الشعبي : ثم قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح ، حدثني معاوية بن صالح ، عن ابن يزيد بن أبي مریم ، عن أبيه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في قول الله : (إذا الشمس كورت) ، قال : « كورت في جهنم . » .

وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده : حدثنا موسى بن محمد بن حبيّان ، حدثنا دُرُسْتُ بن زياد ، حدثنا يزيد الرقاشي ، حدثنا أنس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الشمس والقمر نوران عقيران (١) في النار . » .

هذا حديث ضعيف ، لأن يزيد الرقاشي ضعيف ، والذي رواه البخاري في الصحيح بدون هذه الزيادة ، ثم قال البخاري :

حدثنا مسدد ، حدثنا عبد العزيز بن المختار ، حدثنا عبد الله الداناج ، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : « الشمس والقمر يكوران (٢) يوم القيامة (٣) . » .

انفرد به البخاري وهذا لفظه ، وإنما أخرجه في كتاب « بدء الخلق » ، وكان جديراً أن يذكره هاهنا أو يكرره ، كما هي عادته في أمثاله ! وقد رواه البزار فجَوَّدَ إirاده ، فقال :

حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي ، حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا عبد العزيز بن المختار ، عن عبد الله الداناج قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد مسجد الكوفة ، وجاء الحسن فجلس إليه فحدث قال : حدثنا أبو هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن الشمس والقمر نوران في النار يوم القيامة » . فقال الحسن : وما ذنبهما ؟ فقال : أحدثك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتقول : أحسبه قال : وما ذنبهما .

ثم قال : لا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه ، ولم يرو عبد الله الداناج عن أبي سلمة سوى هذا الحديث ، وقوله : (وإذا النجوم انكدرت) ، أي : انتشرت ، كما قال تعالى : (وإذا الكواكب انتشرت (٤)) ، وأصل الانكدار : الانصباب .

قال الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب قال : ست آيات قبل يوم القيامة ، بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس ، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم ، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واختلطت ، ففرغت الجن إلى الإنس والآنس إلى الجن ، واختلطت الدواب والطيور والوحوش ، فاجوا

(١) في النهاية : « وفي حديث كعب : (إن الشمس والقمر نوران عقيران في النار) ، قيل : لما وصفهما الله تعالى بالسباحة في قوله : (كل في فاك يسبحون) . ثم أخبر أنه يجعلهما في النار ، يعذب بهما أهلها بحيث لا يبرحانها ، صاراً كأنهما زمان عقيران . حكى ذلك أبو موسى ، وهو كما تراه ! » .

(٢) في البخاري : مكوران .

(٣) البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب « صفة الشمس والقمر بحسبان » : ٤ / ١٣١ .

(٤) سورة الانفطار ، آية : ٢ .

بعضهم في بعض : (وإذا الوحوش حشرت) ، قال : اختلطت ، (وإذا العشار عطلت) ، قال : أهلها أهلها ، (وإذا البحار سجرت) ، قال : قالت الجن : نحن نأتيكم بالخير . قال : فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تأجج ، قال : فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا ، قال فبينما هم كذلك إذ جاءهم الريح فأماتهم .

رواه ابن جرير (١) - وهذا لفظه - وابن أبي حاتم ، وبعضه ، وهكذا قال مجاهد والربيع بن خثيم ، والحسن البصري وأبو صالح ، وحماد بن أبي سليمان ، والضحاك في قوله : (وإذا النجوم انكدرت) ، أي : تناثرت .
وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (وإذا النجوم انكدرت) ، أي : تغيرت . وقال يزيد بن أبي مريم ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : (وإذا النجوم انكدرت) ، قال : « انكدرت في جهنم ، وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم ، إلا ما كان من عيسى وأمه ، ولو رضيا أن يعبدوا لدخلها » . رواه ابن أبي حاتم بالإسناد المتقدم .
وقوله : (وإذا الجبال سيرت) ، أي : زالت عن أماكنها ونسفت ، فتركت الأرض قاعا صافصفا .
وقوله : (وإذا العشار عطلت) ، قال عكرمة ، ومجاهد : عشار الإبل . قال مجاهد : (عطلت) : تركت وسيبت .

وقال أبو بن كعب ، والضحاك : أهلها أهلها . وقال الربيع بن خثيم : لم تحلب ولم تُصَرَّ (٢) ، فحلب منها أربابها .

وقال الضحاك : تركت لراعي لها ،

والمعنى في هذا كله متقارب . والمقصود أن العشار من الإبل - وهي : خيبارها والحوامل منها التي قد وصلت في حملها إلى الشهر العاشر ، واحدها : عَشْرَاء ، ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع - قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها ، بعد ما كانوا أرغب شيء فيها ، بما دهمهم من الأمر العظيم المفضح الهائل ، وهو أمر القيامة وانعقاد أسبائها ، ووقوع مقدماتها .

وقيل : بل يكون ذلك يوم القيامة براها أصحابها كذلك ولا سبيل لهم إليها . وقد قيل في العشار : إنها السحاب يُعطل عن المسير بين السماء والأرض ، لخراب الدنيا . وقيل : إنها الأرض التي تعشر (٣) . وقيل : إنها الديار التي كانت تسكن تُعطل لذهاب أهلها . حكى هذه الأقوال كلها الإمام أبو عبد الله القرطبي في كتابه « التذكرة » ، ورجح أنها الإبل ، وعزاه إلى أكثر الناس (٤) .

قلت : بل لا يعرف عن السلف والأئمة سواه ، والله أعلم .

(١) تفسير الطبري : ٤١/٣٠ .

(٢) كان من عادة العرب أن تصر ضروع الخلوبات إذا أرسلوها إلى المرعى ، ويسمون ذلك الرباط صرارا ، فإذا راحت عشياً حلت تلك الأصرة وحلبت .

(٣) في التذكرة للقرطبي : « وقيل : الأرض التي يعشر زرعها تعطل فلا تزرع » .

(٤) النظر التذكرة : ٢١٢ - ٢١٣ .

وقوله : (وإذا الوحوش حُشِرَتْ) ، أى : جمعت . كما قال تعالى : (وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ، ما فرطنا فى الكتاب من شيء ، ثم إلى ربهم يحشرون (١)) - قال ابن عباس : يحشر كل شيء حتى الدباب . رواه ابن أبي حاتم . وكذا قال الربيع بن خثيم والسدى ، وغير واحد . وكذا قال قتادة فى تفسير هذه الآية : إن هذه الخلائق [موافية] فيفضى الله فيها ما يشاء .

وقال عكرمة : حشرها موتها :

وقال ابن جرير : حدثني على [بن مسلم] الطوسى ، حدثنا عباد بن العوام ، أخبرنا حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قوله : (وإذا الوحوش حُشِرَتْ) ، قال : حُشِرَ البهائم موتها ، وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس ، فإنهما يوقنان يوم القيامة .

حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن سفیان ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك ، عن الربيع بن خثيم : (وإذا الوحوش حُشِرَتْ) ، قال : أتى عليها أمر الله . قال سفیان : قال أنس : فذكرته لعكرمة ، فقال : قال ابن عباس : حشرها موتها .

وقد تقدم عن أنس بن مالك أنه قال : (وإذا الوحوش حُشِرَتْ) : اختلطت :

قال ابن جرير : والأولى قول من قال : (حُشِرَتْ) : جمعت ، قال الله تعالى : (والطير محشورة) ، أى : مجموعة (٢) .

وقوله : (وإذا البحار سجرت) ، قال ابن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن عسكينة ، عن داود ، عن سعيد ابن المسيب قال : قال على - رضى الله عنه - لرجل من اليهود : أين جهنم ؟ قال : البحر . فقال : ما أراه إلا صادقا . (والبحر المسجور) ، (وإذا البحار سجرت) [مَحْقَقَةٌ (٣)] .

وقال ابن عباس وغير واحد : يرسل الله عليها الدبور فتسعرها ، وتصب نارا تأجج . وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله : (والبحر المسجور (٤)) .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا على بن الحسين بن الجنيد ، حدثنا أبو طاهر حدثني عبد الجبار بن سليمان أبو سليمان النفاط - شيخ صالح يشبه مالك بن أنس - عن معاوية بن سعيد قال : إن هذا البحر بركة - يعنى بحر الروم - وسط الأرض ، والأمهار كلها تصب فيه ، والبحر [الكبير] يصب فيه ، وأسفله آبار مطبقة بالنحاس ، فإذا كان يوم القيامة أسجر . وهذا أثر غريب عجيب . وفى سنن أنس بن داود : « لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز ، فإن تحت البحر نارا ، وتحت النار بحرا » الحديث ، وقد تقدم الكلام عليه فى « سورة فاطر (٥) » .

(١) سورة الأنعام ، آية : ٣٨ .

(٢) تفسير الطبرى : ٤٣/٣٠ .

(٣) ما بين القوسين عن تفسير الطبرى : ٤٣/٣٠ .

(٤) انظر تفسير الآية السادسة من سورة الطور : ٤٠٥/٧ .

(٥) لم يتقدم للحديث ذكر فى سورة فاطر ، وقد أخرجه أبو داود فى كتاب الجهاد ، باب « فى ركوب البحر فى الغزو »

وقال مجاهد ، والحسن بن مسلم : (سجرت) أوقدت : وقال الحسن : يبست : وقال الضحاك ، وقتادة : غاص ماؤها فذهب ولم يبق فيها قطرة . وقال الضحاك أيضا : (سجرت) فجرت . وقال السدي : فتحت وسيرت . وقال الربيع ابن خثيم : (سجرت) : فاضت .

وقوله : (وإذا النفوس زوجت) ، أى : جمع كل شكل إلى نظيره ، كقوله : (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم (١)) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن الصباح البزاز ، حدثنا الوليد بن أبي ثور ، عن سماك ، عن النعمان ابن بشير أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « (وإذا النفوس زوجت) ، قال : الضرياء ، كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله » ، وذلك بأن الله عز وجل يقول : (وكنتم أزواجا ثلاثة) فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة . وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة . والسابقون السابقون) ، قال : هم الضرياء ؛

ثم رواه بن أبي حاتم من طريق آخر ، عن سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير أن عُمَرَ خطب الناس فقرا : (وإذا النفوس زوجت) ، فقال : تنزّوجها أن تؤول كل شيعة إلى شيعتهم - وفي رواية : هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة أو النار .

وفي رواية عن النعمان قال : سئل عمر عن قوله تعالى : (وإذا النفوس زوجت) ، فقال : يقرون بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح ، ويقرون بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار ، لذلك تزويج الأنفس .

وفي رواية عن النعمان أن عمر قال للناس : ما تقولون في تفسير هذه الآية : (وإذا النفوس زوجت) ؟ فسكتوا ؛ قال : ولكن هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة ، والرجل يزوج نظيره من أهل النار ، ثم قرأ : (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : (وإذا النفوس زوجت) ، قال : ذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة ؛

وقال ابن أبي نجیح . عن مجاهد : (وإذا النفوس زوجت) ، قال : الأمثال من الناس جمع بينهم . وكذا قال الربيع بن خثيم والحسن ، وقتادة . واختاره ابن جرير ، وهو الصحيح (٢) .

، قول آخر في قوله : (وإذا النفوس زوجت) ، قال ابن أبي حاتم ؛

حدثنا علي بن الحسن بن الجنيد ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس قال : يسيل واد من أصل العرش من ماء فيما بين الصيحتين ، ومقدار ما بينهما أربعون عاما ، فينبت منه كل خلق بلى ، من الإنسان أو طير أو دابة ، ولو مر عليهم مار قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم على الأرض قد نبثوا ، ثم ترسل الأرواح فتزوج الأجساد ، فلذلك قول الله تعالى : (وإذا النفوس زوجت) .

وكذا قال أبو العالية ، وعكرمة ، وسعيد بن جبیر ، والشعبي ، والحسن البصري أيضا في قوله : (وإذا النفوس

(١) سورة الصافات ، آية : ٢٢ .

(٢) تفسير الطبري : ٤٥/٣٠ .

زوجت) ، أى : زوجت بالأبدان : وقيل : زوج المؤمنون بالخور العين ، وزوج الكافرون بالشياطين : حكاه القرطبي في «التذكرة (١)» .

وقوله : (وإذا الموعودة سئلت . بأى ذنب قتلت) : هكذا قراءة الجمهور (سئلت (٢)) . والموعودة هى التى كان أهل الجاهلية يدسونها فى التراب كراهية البنات ، فيوم القيامة تسأل الموعودة على أى ذنب قتلت ، ليكون ذلك تهديداً لقاتلتها ، فاذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذا ؟ !

وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : (وإذا الموعودة سئلت (٣)) ، أى : سألت . وكذا قال أبو الضحى (سألت) ، أى : طلبت بدمها . وعن السدى ، وفتادة ، مثله . وقد وردت أحاديث تتعلق بالموعودة ، فقال الإمام أحمد :

حدثنا عبد الله بن يزيد ، [حدثنا سعيد] بن أبى أيوب ، حدثنى أبو الأسود - وهو : محمد بن عبد الرحمن بن نوفل - عن عروة ، عن عائشة ، عن جدامة بنت وهب - أخت عكاشة - قالت : حضرت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى ناس وهو يقول : « لقد هممت أن أنهى عن الغيلة (٤) » ، فنظرت فى الروم وفارس فإذا هم يغيلون أولادهم ، ولا يضر أولادهم ذلك شيئا . ثم سأله عن العزل ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ذلك الوأد الخنى ، وهو الموعودة سئلت (٥) » .

ورواه مسلم من حديث أبى عبد الرحمن المقرئ - وهو عبد الله بن يزيد - عن سعيد بن أبى أيوب . ورواه أيضا ابن ماجه ، عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن يحيى بن إسحاق السليحى ، عن يحيى بن أيوب . ورواه مسلم أيضا وأبو داود والترمذى والنسائى ، من حديث مالك بن أنس ، ثلاثتهم عن أبى الأسود ، به (٦) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبى عدى ، عن داود بن أبى هند ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن سلمة بن يزيد الجعفى قال : انطلقت أنا وأخى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلنا : يا رسول الله ، إن أمنا مليكة كانت تصل الرحم وتقرى الضيف ، وتفعل [وتفعل (٧)] هلكت فى الجاهلية ، فهل ذلك نافعها شيئا ؟ قال : « لا » . قلنا : فإنها

(١) التذكرة : ٢١٣ .

(٢) قال الطبرى ٤٥/٣٠ : « اختلفت القراءة فى قراءة ذلك ، فقرأه أبو الضحى مسلم بن صبيح (وإذا الموعودة سألت . بأى ذنب قتلت) بمعنى : سألت الموعودة الوائدة : بأى ذنب قتلتها ؟ » هذا (و قتلت) على هذه القراءة بسكون اللام وضم التاء . انظر البحر المحيط : ٤٣٣/٨ .

(٣) كذا فى المخطوطة ، وانظر البحر المحيط : ٤٣٣/٨ ، وتفسير الطبرى : ٤٥/٣٠ .

(٤) الغيلة - بكسر الغين - : أن يجامع الرجل زوجته وهى ترضع .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٤٣٤/٦ .

(٦) مسلم ، كتاب النكاح ، باب « جواز الغيلة » ، وهى : وطء المرضع وكراهة العزل : ١٦١/٤ . وابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب « الغيل » ، الحديث ٢٠١١ : ٦٤٨/١ . وسنن أبى داود ، كتاب الطب ، باب « فى الغيل » . و تحفة الأحمدي ، أبواب الطب ، باب « ماجاء فى الغيلة » ، الحديث ٢١٥٩ : ٢٤٩/٦ - ٢٥٠ . والنسائى ، كتاب النكاح ، باب « الغيلة » : ١٠٦/٦ - ١٠٧ .

(٧) ما بين القوسين عن المسند .

كانت وأدت أختنا في الجاهلية ، فهل ذلك نافعها شيئا ؟ قال : « الوائدة والموعودة في النار ، إلا أن يدرك الوائدة الإسلام ، فيعفو الله عنها (١) » .

ورواه النسائي ، من حديث داود بن أبي هند ، به ،

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن علقمة وأبي الأحوص ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الوائدة والموعودة في النار » .

وقال أحمد أيضا : حدثنا إسحاق الأزرق ، أخبرنا عوف ، حدثني حسناء ابنة معاوية الصُّرَّيْمِيَّة ، عن عمها (٢) قال : قلت : يا رسول الله ، من في الجنة ؟ قال : « النبي في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والمولود في الجنة ، والموعودة في الجنة » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا قرة قال : سمعت الحسن يقول : قيل : يا رسول الله ، من في الجنة ؟ قال : « الموعودة في الجنة » .

هذا حديث مرسل من مراسيل الحسن ، ومنهم من قبله ؛

وقال ابن أبي حاتم : [حدثني] أبو عبد الله الظهري ، حدثنا حفص بن عمر العدني ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة قال : قال ابن عباس : أطفال المشركين في الجنة ، فمن زعم أنهم في النار فقد كذب ، يقول الله عز وجل : (وإذا الموعودة سئلت . بأى ذنب قتلت) ، قال ابن عباس : هي المدفونة .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا إسرائيل ، عن سماك بن حرب ، عن النعمان بن بشير ، عن عمر بن الخطاب في قوله : (وإذا الموعودة سئلت) ، قال : جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، إني وأدت بنات لي في الجاهلية ، فقال : « أعتق عن كل واحدة منهن رقبة » . قال : يا رسول الله ، إني صاحب إبل ؟ قال : « فانحر عن كل واحدة منهن بدنة » .

قال الحافظ أبو بكر البزار : خولف فيه عبد الرزاق ، ولم يكتبه إلا عن الحسين بن مهدي ، عنه (٣) :

وقد رواه ابن أبي حاتم فقال : أخبرنا أبو عبد الله الظهري - فيما كتب إلى - قال : حدثنا عبد الرزاق . . . فذكره بإسناده مثله ، إلا أنه قال : « وأدت ثمان بنات لي في الجاهلية » . وقال في آخره : « فأهد إن شئت عن كل واحدة بدنة » . ثم قال :

(١) مستند الإمام أحمد : ٤٧٨/٣ .

(٢) في المخطوطة : « عن عمها قالت » . والمثبت عن المستد ، وأسد الغابة : ٣٦٦/٦ بتحقيقنا . هذا وقد تقدمت سياقة هذا الحديث في سورة الإسراء : ٥٤/٥ .

(٣) كذا في المخطوطة والطبقات السابقة ، ونحسب أنه قد وقع في نص البزار تحريف ، فالحسين بن مهدي ، يروي عن عبد الرزاق ، انظر التهذيب : ٣٧٢/٢ .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : هي الظباء . وكذا قال سعيد أيضا ، ومجاهد ، والضحاك ،

وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد : هي الظباء والبقر .

وقال ابن جرير : حدثنا يعقوب ، حدثنا هشيم ، أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ومجاهد : أنهما تذاكرا هذه الآية :
(فلا أقسم بالخنس . الجوار الكنس) ، فقال إبراهيم لمجاهد : قل فيها بما سمعت . قال : فقال مجاهد : كنا نسمع
فيها شيئا ، وناس يقولون : إنها النجوم . قال : فقال إبراهيم : قل فيها بما سمعت . قال : فقال مجاهد : كنا نسمع
أنها بقر الوحش حين تكنس في حُجْرَتِهَا . قال : فقال إبراهيم : إنهم يكذبون على علي ، هذا كما رووا عن علي أنه
ضمن الأسفل الأعلى ، والأعلى الأسفل (١) :

وتوقف ابن جرير في قوله : (الخنس . الجوار الكنس) : هل هو النجوم ، أو الظباء وبقر الوحش ؟ قال :
ويحتمل أن يكون الجميع مرادا .

وقوله : (والليل إذا عسعس) ، فيه قولان :

أحدهما : إقباله بظلامه . قال مجاهد : أظلم . وقال سعيد بن جبير : إذا نشأ . وقال الحسن البصري : إذا غشي
الناس : وكذا قال عطية العوفي :

وقال علي بن أبي طلحة ، والعوفي عن ابن عباس : (إذا عسعس) : إذا أدبر . وكذا قال مجاهد ، وقناة ،
والضحاك ، وكذا قال زيد بن أسلم ، وابنه عبد الرحمن : (إذا عسعس) ، أي : إذا ذهب فتولى .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري سمع أبا عبد الرحمن السلمي
قال : خرج علينا علي - رضي الله عنه - حين ثوب المثوب بصلاة الصبح فقال : أين السائلون عن الوتر : (والليل
إذا عسعس . والصبح إذا تنفس ؟) هذا حين أدبر حسن .

وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله : (إذا عسعس) : إذا أدبر . قال لقوله : (والصبح إذا تنفس) ، أي :
أضاء ، واستشهد بقول الشاعر (٢) أيضا :

حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لَهُ تَنَفَّسًا وَانْجَابَ عَنْهَا لَيْلُهَا وَعَسْعَسًا

أي : أدبر : وعندى أن المراد بقوله . (عسعس) : إذا أقبل ، وإن كان يصح استعماله في الإدبار ، لكن الإقبال
هنا أنسب ، كأنه أقسم تعالى بالليل وظلامه إذا أقبل ، وبالفجر وضياؤه إذا أشرق ، كما قال : (والليل إذا يغشى ،
والنهار إذا تجلى (٣)) . وقال : (والضحى . والليل إذا سجي (٤)) . وقال : (فالتق الإصباح وجاعل الليل سكناً) ،
وغير ذلك من الآيات :

وقال كثير من علماء الأصول : إن لفظة « عسعس » تستعمل في الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك ، فعلى هذا
يصح أن يراد كل منهما ، والله أعلم .

(١) تفسير الطبري : ٤٩/٣٠ ، وقد وقع في نص الطبري سقط .

(٢) تفسير الطبري : ٥٠/٣٠ ، وقد نسب إلى علقمة بن قرط ، وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢٨٧/٢ - ٢٨٨ .

(٣) سورة الليل ، آية : ١ - ٢ .

(٤) سورة الضحى ، آية : ١ - ٢ .

قال ابن جرير : وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن « عسعس » : دنا من أوله وأظلم : وقال الفراء : كان أبو البلاد النحوي ينشد بيتاً :

عَسَعَسَ حَتَّى لَوْ يَشَاءُ ادْتَنَا كَمَا نَ لَهُ مِنْ ضَوْئِهِ مَقْبِيسٌ

يريد : لو يشاء إذ دنا ، أدغم الذال في الدال . وقال الفراء : وكانوا يرون أن هذا البيت مصنوع (١) .

وقوله : (والصبح إذا تنفس) ، قال الضحاك : إذا طلع . وقال قتادة : إذا أضاء وأقبل . وقال سعيد بن جبير : إذا نشأ . وهو المروى عن علي رضي الله عنه .

وقال ابن جرير : يعنى : وَضَوْءُ النَّهَارِ إِذَا أَقْبَلَ وَتَبَيَّنَ ،

وقوله : (إنه لقول رسول كريم) ، يعنى : إن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم ، أى : ملك شريف حسن الخلق ، بهى المنظر ، وهو جبريل عليه الصلاة والسلام . قاله ابن عباس ، والشعبي ، وميمون بن مهران ، والحسن ، وقاتدة ، والضحاك ، والربيع بن أنس ، وغيرهم .

(ذى قوة) كقوله : (علمه شديد القوى . ذو مرة (٢)) ، أى : شديد الحسنى ، شديد البطش والفعل ، (عند ذى العرش مكين) ، أى : له مكانة عند الله - عز وجل - ومنزلة رفيعة .

قال أبو صالح في قوله : (عند ذى العرش مكين) ، قال : جبريل يدخل في سبعين حججاً بأمر نور بغير إذن (٣) ، (مطاع ثم) ، أى : له وجهة ، وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى .

قال قتادة : (مطاع ثم) ، أى : في السموات ، يعنى : ليس هو من أفناء (٤) الملائكة ، بل هو من السادة والأشراف ، محتبى به ، انتخب لهذه الرسالة العظيمة .

وقوله : (أمين) : صفة لجبريل بالأمانة ، وهذا عظيم جداً أن الرب - عز وجل - يركى عبده ورسوله الملتكى جبريل ، كما ركى عبده ورسوله البشرى محمداً - صلى الله عليه وسلم - بقوله : (وما صاحبكم بمجنون) .

قال الشعبي ، وميمون بن مهران ، وأبو صالح ، ومن تقدم ذكرهم : المراد بقوله : (وما صاحبكم بمجنون) ، يعنى : محمداً صلى الله عليه وسلم .

وقوله تعالى : (ولقد رآه بالأفق المبين) ، يعنى : ولقد رأى محمد جبريل الذى يأتيه بالرسالة عن الله - عز وجل - على الصورة التى خلقه الله عليها له سبائة جناح ، (بالأفق المبين) ، أى : البين ، وهى الرؤية الأولى التى كانت بالبطحاء ، وهى المذكورة في قوله : (علمه شديد القوى . ذومرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى (٥)) ، كما تقدم (٦) تفسير ذلك وتقريره . والدليل أن المراد بذلك جبريل

(١) تفسير الطبرى : ٥٠/٣٠ ، ومعاني القرآن للفراء : ٢٤٢/٣ .

(٢) سورة النجم ، آية : ٥-٦ .

(٣) تفسير الطبرى : ٥١/٣٠ .

(٤) يقال : رجل من أفناء الناس ، أى : لم يعلم من هو ؟

(٥) سورة النجم ، الآيات : ٥ - ١٠ .

(٦) انظر : ٤١٩/٧ وما بعدها .

عليه السلام . والظاهر - والله أعلم - أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء ، لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهي الأولى ، وأما الثانية وهي المذكورة في قوله : (ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى (١)) ، فتلك إنما ذكرت في «سورة النجم» ، وقد نزلت بعد الإسراء .

وقوله : (وما هو على الغيب بظنين) ، [أى : وما محمد على ما أنزله الله إليه بظنين] ، أى : بتتهم . ومنهم من قرأ ذلك بالضاد ، أى : يبخيل ، بل يبذله لكل أحد .

قال سفيان بن عبيّنة : ظنين وضنين سواء ، أى : ماهو بكاذب ، وماهو بفاجر . والظنين : المتهم ، والضنين : البخيل .

وقال قتادة : كان القرآن غيباً ، فأنزله الله على محمد ، فافتنّ به على الناس ، بل بكفّه ونشره وبذله لكل من أرواه . وكذا قال عكرمة ، وابن زيد ، وغير واحد . واختار ابن جرير قراءة الضاد (٢) . قلت : وكلاهما متواتر ، ومعناه صحيح كما تقدم .

وقوله : (وما هو بقول شيطان رجيم) ، أى : وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم ، أى : لا يقدر على عمله ، ولا يريده ، ولا ينبغى له ، كما قال : (وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغى لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون (٣)) .

وقوله : (فأين تذهبون ؟) ، أى : فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن ، مع ظهوره ووضوحه ، وببيان كونه جاء من عند الله عز وجل ، كما قال الصديق - رضى الله عنه - لوفد بني حنيفة حين قدموا مسلمين ، وأمرهم فتلوا عليه شيئاً من قرآن مسيلمه الذى هو فى غاية الهديان والركاكة ، فقال : وبحكم . أين يذهب بعقولكم ؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إلّ ، أى : من إله .

وقال قتادة : (فأين تذهبون) ، أى : عن كتاب الله وعن طاعته ،

وقوله : (إن هو إلا ذكر للعالمين) ، أى : هذا القرآن ذكر لجميع الناس ، يتذكرون به ويتعظون ، (لمن شاء منكم أن يستقيم) ، أى : من أراد الهداية فعلية بهذا القرآن ، فإنه منجاة له وهداية ، ولا هداية فيما سواه ، (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) ، أى : ليست المشيئة موكولة إليكم ، فمن شاء اعتدى ومن شاء ضل ، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله - عز وجل - رب العالمين :

قال سفيان الثوري ، عن سعيد بن عبد العزيز ، عن سليمان بن موسى : لما نزلت هذه الآية : (لمن شاء منكم أن يستقيم) ، قال أبو جهل : الأمر إلينا ، إن شئنا استقمنا ، وإن شئنا لم نستقم . فأنزل الله : (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين (٤)) .

آخر تفسير سورة التكويد ، وبالله الحمد

- (١) سورة النجم ، الآيات : ١٣ - ١٦ .
- (٢) تفسير سفيان ، ٥٣/٣٠ .
- (٣) سورة الشعراء ، الآيات : ٢١٠ - ٢١٢ .
- (٤) تفسير سفيان ، ٥٣/٣٠ .

تفسير سورة الانفطار

وهي مكية

قال النسائي : أخبرنا محمد بن قدامة ، حدثنا جرير عن الأعمش ، عن محارب بن دثار ، عن جابر قال : قام معاذ فصلى العشاء الآخرة فطول ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أفنان يا معاذ ؟ ، [أفنان يا معاذ ؟ ! (١)] أين كنت عن سبح اسم ربك الأعلى ، والضحى ، وإذا السماء انفطرت (٢) ؟ ! »
وأصل الحديث مخرج في الصحيحين (٣) . ولكن ذكر (إذا السماء انفطرت) في أفراد النسائي : وتقدم (٤) من رواية عبد الله بن عمر ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « من سره أن ينظر إلى القيامة رأى عين فليقرأ : (إذا الشمس كورت) و (إذا السماء انفطرت) و (إذا السماء انشقت) » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدِمْتَ وَأَخَّرْتَ ﴿٥﴾ بِنَائِمًا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّغْكَ فَعْدَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنُوبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى : (إذا السماء انفطرت) ، أى : انشقت . كما قال : (السماء منفطر به (٥)) .

(وإذا الكواكب انتثرت) ، أى : تساقطت .

(وإذا البحار فجرت) ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : فجر الله بعضها في بعض . وقال الحسن : فجر الله

بعضها في بعض ، فذهب ماؤها . وقال قتادة : اختلط مالها بعضها (٦) . وقال الكلبي : ملئت .

(وإذا القبور بعثت) ، قال ابن عباس : بعثت . وقال السدي : تبعث : تحرك فيخرج من فيها ،

(١) ما بين القوسين عن النسائي .

(٢) سنن النسائي ، كتاب الافتتاح ، باب « القراءة في العشاء الآخرة (سبح اسم ربك الأعلى) : ١٧٢/٢ .

(٣) البخاري ، كتاب الأدب ، باب « من لم ير إكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا » : ٣٢/٨ - ٣٣ . ومسلم ، كتاب

الصلوة ، باب « القراءة في العشاء » : ٤١/٢ - ٤٢ .

(٤) تقدم ذلك أول سورة التكوير ، وخرجناه هنالك .

(٥) سورة . المزل ، آية : ١٨ .

(٦) تفسير الطبري : ٥٤/٣٠ .

(علمت نفس ما قدمت وأخرت) ، أى : إذا كان هذا حصل هذا .

وقوله : (يا أيها الإنسان ، ما غرك بربك الكريم) ؟ : هذا تهديد ، لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب ؛ حيث قال (الكريم) ، حتى يقول قائلهم : غره كرمه . بل المعنى فى هذه الآية : ما غرك يا ابن آدم بربك الكريم - أى : العظيم - حتى أقدمت على معصيته ، وقابلته بما لا يليق ؟ كما جاء فى الحديث : « يقول الله يوم القيامة : ابن آدم ، ما غرك بى ؟ ابن آدم ، ماذا أجبت المرسلين ؟ » .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا ابن أبى عمر ، حدثنا سفيان : [أن عمر] سمع رجلا يقرأ : (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) ، فقال عمر : الجهل .

وقال أيضا : حدثنا عمر بن شبة ، حدثنا أبو خلف ، حدثنا يحيى البكاء ، سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية : (يا أيها الإنسان ، ما غرك بربك الكريم) ، قال ابن عمر : غره - والله - جهله .

قال : ورؤى عن ابن عباس ، والربيع بن خثيم ، والحسن ، مثل ذلك .

وقال قتادة : (ما غرك بربك الكريم) : شئ ما غر ابن آدم غير ، وهذا العدو الشيطان (٢) ،

وقال الفضيل بن عياض : لو قال لى « ما غرك بى » ، لقلت : ستورك المرخاة .

وقال أبو بكر [الوراق] : لو قال لى (ما غرك بربك الكريم) ، لقلت : غرنى كرم الكريم .

قال البغوى : وقال بعض أهل الإشارة : إنما قال (بربك الكريم) دون سائر أسمائه وصفاته ، كأنه لقنه الإجابة ؛

وهذا الذى تخيله هذا القائل ليس بباطل ، لأنه إنما أتى باسمه (الكريم) ، لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة ، وأعمال السوء .

وحكى البغوى ، عن الكلبي ومقاتل أنهما قالا : نزلت هذه الآية فى الأخنس (٣) بن شريق ، ضرب النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يعاقب فى الحالة [الراهنة] ، فأنزل الله : (ما غرك بربك الكريم) ؟ .

وقوله : (الذى خلقتك فسواك فعدلك) ، أى : ما غرك بالرب الكريم (الذى خلقتك فسواك فعدلك) ، أى : جعلك مسويا معتدلا القائمة منتصبها ، فى أحسن الهيئات والأشكال .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر (٤) حدثنا حريز ، حدثنى عبد الرحمن بن مسيرة ، عن جبير بن نفير ، عن بسير بن جحاش القرشى : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بصق يوما فى كفه ، فوضع عليها إصبعه ، ثم قال : « قال الله عز وجل : ابن آدم ، أنتى تُعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه؟ حتى إذا سويتك وعدلتك ، مشيت بين بردين وللأرض منك وكيدٌ ، فجمعت ومنتعت ، حتى إذا بلغت التراقي قلت : أتصدق ، وأنتى أوان الصدقة (٥) » وكذا رواه ابن ماجه ، عن أبى بكر بن أبى شيبه ، عن يزيد بن هارون ، عن حريز بن عثمان ، به (٦) .

(١) لفظ الطبرى : « لفظ ما غر ابن آدم هذا العدو الشيطان » .

(٢) تفسير الطبرى : ٥٥/٣٠ .

(٣) فى المخطوطة : « الأسود بن شريق » . ولم نجده ، انظر سيرة ابن هشام : ٢٧٦/١ ، ٢٨٢ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٦٠ .

(٤) هو أبو النضر هاشم بن القاسم الليثى .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢١٠/٤ .

(٦) سنن ابن ماجه ، كتاب الوصايا ، باب « النهى عن الإمساك فى الحياة والتبذير عند الموت » ، الحديث ٢٧٠٧ .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزني: وتابعه يحيى بن حمزة، عن ثور بن يزيد، عن عبد الرحمن بن ميسرة: **وقوله: (في أي صورة ما شاء ركبك) - قال مجاهد: في أي شبهة أب أو أم أو خال أو عم؟**

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن سنان القزاز، حدثنا مطهر بن الهيثم، حدثنا موسى بن عيسى بن رباح، حدثني أبي، عن جدي: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له: «ما ولد لك؟» قال: يا رسول الله، ما عسى أن يولد لي؟ إما غلام وإما جارية. قال: «فن يشبه». قال: يا رسول الله، من عسى أن يشبه؟ إما أباه وإما أمه؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - عندها: «مه. لا تقولن هكذا، إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم؟ أما قرأت هذه الآية في كتاب الله: (في أي صورة ما شاء ركبك)، قال: سلكك».

وهكذا رواه ابن أبي حاتم والطبراني، من حديث مطهر بن الهيثم، به. وهذا الحديث لو صح لكان فيصلا في هذه الآية، ولكن إسناده ليس بالثابت، لأن «مطهر بن الهيثم» قال فيه أبو سعيد بن يونس: كان متروك الحديث. وقال ابن حبان: يروى عن موسى بن عيسى وغيره ما لا يشبه حديث الأبيات. ولكن في الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلا قال: يا رسول الله، إن امرأتى وكدت غلاماً أسوداً؟ قال: «هل لك من إبل؟». قال: نعم. قال: «فألوأناها؟». قال: حمر. قال: «فهل فيها من أورق؟». قال: نعم. قال: «فأني أناها ذلك؟». قال: عسى أن يكون نزع عرق. قال: «وهذا عسى أن يكون نزع عرق (١)».

وقد قال عكرمة في قوله: (في أي صورة ما شاء ركبك): إن شاء في صورة قرد، وإن شاء في صورة خنزير (٢)، وكذا قال أبو صالح: إن شاء في صورة كلب، وإن شاء في صورة حمار، وإن شاء في صورة خنزير.

وقال قتادة: (في أي صورة ما شاء ركبك)، قال: قادر - والله - ربنا على ذلك. ومعنى هذا القول عند هؤلاء: أن الله - عز وجل - قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق، ولكن بقدرته ولفظه وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام، حسن المنظر والهيئة.

وقوله: (كلا بل تكذبون بالدين)، أي: بل إنما يحلمكم على مواجهة الكرم ومقابلته بالمعاصي، تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب.

وقوله تعالى: (وإن عليكم لحافظين. كراما كاتبين. يعلمون ما تفعلون)، يعني: وإن عليكم ملائكة حفظة كراما فلا تقابلوهم بالقبائح، فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا وكيع، حدثنا سفيان ومسعر، عن علقمة ابن مرثد، عن مجاهد قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين: الجنابة والغائط. فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو ببعيره، أو ليسره أخوه».

وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار، فوصله بلفظ آخر، فقال: حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة، حدثنا عبيد الله ابن موسى، عن حفص بن سليمان، عن علقمة بن مرثد، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله

(١) البخاري، كتاب الطلاق، باب «إذا عرض بنى الولد»: ٦٨/٧ - ٦٩. ومسلم، كتاب اللعان: ٢١١/٤ -

عليه وسلم « إن الله ينهاكم عن التعري ، فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم ، الكرام الكاتبين ، الذين لا يتخارفونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات : الغائط ، والحناية ، والغسل . فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستر بثوبه ، أو بجرم خائط ، أو بغيره » .

ثم قال : حفص بن سليمان بن الحديث ، وقد روى عنه ، واحتمل حديثه . وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا زياد بن أيوب ، حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي ، حدثنا تمام بن نجيع ، عن الحسن - يعني البصري - عن أنس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ما من جاقطين يرفعان إلى الله - عز وجل - ما حفظا في يوم فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفارا إلا قال الله تعالى : قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة » .

ثم قال : نفرد به تمام بن نجيع ، وهو صالح الحديث . قلت : وثقه ابن معين وضعفه البخاري ، وأبو زرعة ، وابن أبي حاتم والنسائي ، وابن عدي : ورواه ابن حبان بالوضع . وقال الإمام أحمد : لا أعرف حقيقة أمره (١) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا إسحاق بن سليمان البغدادي المعروف بالقلسوسي ، حدثنا بيان بن حمران ، حدثنا سلام ، عن منصور بن زاذان ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن الله ملائكة يعرفون بني آدم - وأحسبه قال : ويعرفون أعمالهم - فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه ، وقالوا : أفلح الليلة فلان ، نجا الليلة فلان . وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسموه ، وقالوا : هلك الليلة فلان » .

ثم قال البزار : سلام هذا ، أحسبه سلام المدائني ، وهو ابن الحديث .

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٦﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٧﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٨﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿٢١﴾ بَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأُممُ يَوْمَئِذٍ لَمُتَّةٌ ﴿٢٢﴾

يَوْمَئِذٍ لَمُتَّةٌ ﴿٢٢﴾

يخبر تعالى عما يصبر الأبرار إليه من النعيم ، وهم الذين أطاعوا الله عز وجل ، ولم يقابلوه بالمعاصي ، وقد روى ابن عساکر في ترجمة « موسى بن محمد » ، عن هشام بن عمار ، عن عيسى بن يونس بن أبي إسحاق ، عن عبيد الله بن محارب ، عن ابن عمر ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « إنما ساهم الله الأبرار لأنهم برّوا الآباء والأبناء » .

ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ، ولهذا قال : (يصلونها يوم الدين) ، أي : يوم الحساب والجزاء والقيامة ، (وما هم عنها بغائبين) ، أي : لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ، ولا يخفف عنهم من عذابها ، ولا يجابها إلى ما يسألون من الموت أو الراحة ، ولو يوما واحدا ،

(١) أنظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ١/١٥٠ : ٤٤٠ .

وقوله : (وما أدراك ما يوم الدين) تعظيم لشأن يوم القيامة ، ثم أكده بقوله : (ثم ما أدراك ما يوم الدين) .
ثم فسره بقوله : (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) ، أى : لا يقدر واحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه ، إلا أن
يأذن الله لمن يشاء ويرضى .

ونذكر هنا حديث : « يا بنى هاشم ، أنقذوا أنفسكم [من النار] ، لا أملك لكم من الله شيئا » . وقد تقدم في آخر
تفسير سورة الشعراء (١) . ولهذا قال : (والأمر يومئذ لله) ، كقوله : (لمن الملك اليوم ؟ الله الواحد القهار (٢)) ،
وكقوله : (الملك يومئذ الحق للرحمن (٣)) ، وكقوله : (مالك يوم الدين (٤)) .
قال [قتادة] : (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله) ، والأمر - والله - اليوم لله ، ولكنه يومئذ
لا ينازعه أحد (٥) .

آخر تفسير سورة الانفطار ، وبالله الحمد

(١) انظر تفسير الآية ٢١٤ من سورة الشعراء : ١٧٦/٦ وما بعدها .

(٢) سورة طافر ، آية : ١٦ .

(٣) سورة الفرقان ، آية : ١٦ .

(٤) سورة الفاتحة ، آية : ٤ .

(٥) تفسير الطبري : ٥٧/٣٠ .

وقال ما هنا : (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين . وما أدراك ما سجين) ، وهو يجمع الضيق والسفول ، كما قال :
(وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثورا (١)) .

وقوله : (كتاب مرقوم) ليس تفسيرا لقوله ، (وما أدراك ما سجين) ، وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سجين ، أي : مرقوم مكتوب مفروغ منه ، لا يزداد فيه أحد ولا ينقص منه أحد ؛ قاله محمد بن كعب القرظي .

ثم قال : (ويل يومئذ للمكذبين) ، أي : إذا صاروا يوم القيامة إلى ما أوعدهم الله من السجن والعذاب المهين ؛ وقد تقدم الكلام على قوله (ويل (٢)) بما أغنى عن إعادته ، وأن المراد من ذلك الهلاك والدمار ، كما يقال : ويل لفلان ، وكما جاء في المسند والسنن من رواية بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويل للذي يحدث فيكذب ، ليضحك الناس ، ويل له ، ويل له ، ويل له (٣) » .

ثم قال تعالى مفسرا للمكذبين الفجار الكفرة : (الذين يكذبون بيوم الدين) ، أي : لا يصدقون بوقوعه ، ولا يعتقدون كونه ويستبعدون أمره . قال الله تعالى : (وما يكذب به إلا كل معتد أثم) ، أي : معتد في أفعاله ؛ من تعاطى الحرام والمجاوزه في تناول المباح والأثم في أقواله : إن حدث كذب ، وإن وعد أخلف ، وإن خاصم فجر .

وقوله : (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) ، أي : إذا سمع كلام الله من الرسول ، يكذب به ، ويظن به ظن السوء ، فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الأوائل ، كما قال تعالى : (وإذا قيل لهم : ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا : أساطير الأولين (٤)) . وقال : (وقالوا : أساطير الأولين اكتتبها ، فهي تملى عليه بكرة وأصيلا (٥)) . قال الله تعالى : (كلا ، بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) ، أي : ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا ، إن هذا القرآن أساطير الأولين ؛ بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله - صلى الله عليه وسلم - وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرب الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا ، ولهذا قال تعالى : (كلا ، بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) . والرين يعثرى قلوب الكافرين ، والغيم للأبرار ، والغين للمقربين .

وقد روى ابن جرير والترمذي والنسائي وابن ماجه . من طرق ، عن محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن العبد إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب منها صُلب (٦) قلبه ، وإن زاد زادت ، فذلك قول الله : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) » .

وقال الترمذي : « حسن صحيح (٧) » . ولفظ النسائي : « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكبت في قلبه نكتة ، فإن

(١) سورة الفرقان ، آية : ١٣ .

(٢) انظر تفسير سورة البقرة ، الآية التاسعة والسبعين : ١٦٨/١ .

(٣) مستند الإمام أحمد : ٥/٥ - ٦ ، ٧ . وسنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب « في الكذب » .

(٤) سورة النحل ، آية : ٢٤ .

(٥) سورة الفرقان ، آية : ٥ .

(٦) أي : جلى ، يقال : صقله : جلاه .

(٧) تحفة الأحوذى ، تفسير سورة (ويل للمطففين) : ٢٥٤/٩ . وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب « ذكر الذنوب » .

الهدية : ٤٢٤٤ : ١٤١٨/٢ .

هو نَزَعَ واستغفر وتاب صَقِيلَ قلبه ، فإن عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه ، فهو الران الذي قال الله : (كلا ، بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) .

وقال أحمد : حدثنا صفوان بن عيسى ، أخبرنا ابن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن المؤمن إذا أذنب كانت نكته سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صَقِيلَ قلبه ، فإن زاد زادت حتى يعلو قلبه ، وذلك الران الذي ذكر الله في القرآن : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (١)) .

وقال الحسن البصرى : هو الذنب على الذنب ، حتى يعمى القلب ، فيموت . وكذا قال مجاهد بن جبر وقتادة ، وابن زيد ، وغيرهم .

وقوله : (كلا ، إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ، أى : لهم يوم القيامة منزل ونزل سجين ، ثم هم [يوم] القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم .

قال الإمام أبو عبد الله الشافعى : هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه - عز وجل - يومئذ ، وهذا الذى قاله الإمام الشافعى - رحمه الله - فى غاية الحسن ، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية ، كما دل عليه منطوق قوله : (وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة (٢)) . وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة فى رؤية المؤمنين ربهم - عز وجل - فى الدار الآخرة ، رؤية بالأبصار فى عَرَصات القيامة ، وفى روضات الجنان الفاخرة . وقد قال ابن جرير [محمد بن (٣) عمار الرازى] : حدثنا أبو معمر المنقرى ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن فى قوله : (كلا ، إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ، قال : يكشف الحجاب ، فينظر إليه المؤمنون والكافرون ، ثم يحجب عنه الكافرون وينظر إليه المؤمنون . كل يوم غدوة وعشية - أو كلاما هذا معناه (٤) .

قوله : (ثم إنهم لصالوا الجحيم) ، أى : ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن من أهل النيران ، (ثم يقال : هذا الذى كنتم به تكذبون) ، أى : يقال لهم [ذلك] على وجه التقرير والتوبيخ ، والتصغير والتحقيق .

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لِنِى عَلَيْنَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيْنَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مُرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾
 إِنَّ الْأَبْرَارَ لَنِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مِخْتَلِمٍ ﴿٢٥﴾ خِتْلَمُهُمْ مِنْ سَكِّ فِي ذَلِكَ فَلَيَتَنَّافِسُ الْمُنْتَفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِمَّا أَجْتُمُونَ تَسْنِيمٌ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى : حقا (إن كتاب الأبرار) ، وهم بخلاف الفجار ، (لنى عليين) ، أى : مصبرهم إلى عليين ، وهو بخلاف سجين .

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٩٧/٢ .

(٢) سورة القيامة ، آية : ٢٢ - ٢٣ .

(٣) ما بين القوسين عن تفسير الطبرى .

(٤) تفسير الطبرى : ٦٤/٣٠ ، وقد وقع فى تفسير الطبرى سقط نظر .

قال الأعشى ، عن شهر بن عطية ، عن هلال بن يساف قال : سألت ابن عباس كعباً وأنا حاضِر عن سجين ، قال : هي الأرض السابعة ، وفيها أرواح الكفار . وسأله عن عساين فقال : هي السماء السابعة ، وفيها أرواح المؤمنين . وهكذا قال غير واحد : إنها السماء السابعة ،

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : (كلا ، إن كتاب الأبرار لفي عساين) ، يعني : الجنة ؛ وفي رواية العوفي ، عنه : أعمالهم في السماء عند الله . وكذا قال الضحاك .

وقال قتادة : عليون : ساق العرش اليميني . وقال غيره : عليون عند سدرة المنتهى ؛

والظاهر : أن عليين مأخوذ ، من العلو ، وكلا علا الشيء وارتفع عظم واتسع ، ولهذا قال معظمًا أمره ومفخماً شأنه : (وما أدراك ما عليون) . ثم قال مؤكداً لما كتب لهم : (كتاب مرقوم . يشهده المقربون) ، وهم الملائكة ، قاله

قتادة ؛

وقال العوفي ، عن ابن عباس : يشهده من كل سماء مقربوها (١) ؛

ثم قال تعالى : (إن الأبرار لفي نعيم) ، أي : يوم القيامة هم في نعيم مقيم ، وجنات فيها فضل عظيم . (على الأرائك) ، وهي : السرر تحت الحِجَال ، (ينظرون) ، قيل : معناه ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والنفضل الذي لا ينتضي ولا يبئد . وقيل : معناه (على الأرائك ينظرون) إلى الله عز وجل . وهذا مقابلة لما وُصِفَ به أولئك الفجار : (كلا ، إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ، فذكر عن هؤلاء أنهم يبأحون النظر إلى الله عز وجل وهم على سررهم وفرشهم ، كما تقدم في حديث ابن عمر : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألى سنة ، يرى أقصاه كما يرى أدناه ، وإن أعلاه لمن ينظر إلى الله في اليوم مرتين (٢) » .

وقوله : (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) ، أي : تعرف إذا نظرت إليهم في وجوههم نضرة النعيم ، أي : صفة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرياسة ؛ مما هم فيه من النعيم العظيم .

وقوله : (يسقون من رحيق مختوم) ، أي : يسقون من خمر من الجنة . والرحيق : من أساء الخمر . قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، وابن زيد .

قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا زهير ، عن سعد أبي المجاهد الطائي ، عن عطية بن سعد العوفي ، عن أبي سفيان بن عبيد بن خالد - أراه قد رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم - قال : « إنما مؤمن سقى مؤمناً شربة على ظمأ ، سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم . وإما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع ، أطعمه الله من ثمار الجنة . وإما مؤمن كسا مؤمناً ثوباً على عري كساه الله من خضر الجنة (٣) » .

وقال ابن مسعود في قوله : (ختامه مسك) ، أي : خلطه مسك ؛

وقال العوفي ، عن ابن عباس : طيب الله لهم الخمر ، فكان آخر شيء جعل فيها مسك ، ختمت بمسك . وكذا قال قتادة والضحاك .

(١) تفسير الطبري : ٦٦/٣٠ .

(٢) تقدم الحديث عند تفسير آية القيامة : ٢٢ - ٢٣ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ١٣/٣ - ١٤ .

وقال إبراهيم والحسن : (ختامه مسك) ، أى : عاقبته مسك .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، حدثنا أبو حمزة ، عن جابر ، عن عبد الرحمن ابن سابط ، عن أبي الدرداء : (ختامه مسك) ، قال : شراب أبيض مثل الفضة ، يخبثون به شرابهم . ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها ، لم يبق ذر روح إلا وجد طيبها (١) .

وقال ابن أبي نجیح ، عن مجاهد : (ختامه مسك) ، قال : طيبه مسك .

وقوله : (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) ، أى : وفي مثل هذا الحال فليتنافس المتنافسون ، وليتباهى ويكاثرو ويستبق إلى مثله المستبقون . كقوله : (لمثل هذا فليعمل العاملون) .

وقوله : (ومزاجه من تسنيم) ، أى : ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم ، أى : من شراب يقال له تسنيم ، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه . قاله أبو صالح والضحاك . ولهذا قال : (عينا يشرب بها المقربون) ، أى : يشربها المقربون صريفاً ، وتمزج لأصحاب اليمين [مزجاً] . قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، ومسروق ، وقتادة ، غيرهم .

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ
أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ
﴿٣٤﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٥﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٦﴾ هَلْ ثُبُوبَ الْكُفَّارِ مَا
كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٧﴾

يخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين ، أى : يستهزئون بهم ويحتقرونهم ، وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم ، أى : محتقرين لهم ، (وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين) (٢) ، أى : إذا انقلب ، أى : رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم ، انقلبوا إليها فاكهين ، أى : مهتما طلبوا وجدوا ، ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم ، بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحتقرونهم ويحسدونهم ، (وإذا رأوهم قالوا : إن هؤلاء لضالون) ، أى : لكونهم على غير دينهم ، قال الله تعالى : (وما أرسلوا عليهم حافظين) ، أى : وما بعث هؤلاء المجرمون حافظين على هؤلاء المؤمنين ما يصدر من أعمالهم وأقوالهم ، ولا كلفوا بهم ؟ فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم ، كما قال تعالى : (قال : احسثوا فيها ولا تكلمون . إنه كان فريق من عبادي يقولون : ربنا ، آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ، فاتخذتموهم سفهاً حتى أنسوكم ذكري ، وكنتم منهم تضحكون . إلى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) (٣) ،

(١) تفسير الطبري : ٦٨/٣٠ .

(٢) كذا في مخطوطة الأزهر (فاكهين) بالألف . وهي قرارة الجمهور ، انظر البحر المحيط : ٤٤٣/٨ .

(٣) سورة « المؤمنون » آيات : ١٠٥ - ١١١ .

ولهذا قال هاهنا : (فاليوم) يعنى يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) ، أى : فى مقابلة ما ضحك بهم أولئك ،
 (على الأرائك ينظرون) ، أى : إلى الله - عز وجل - فى مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ، ليسوا بضالين ، بل هم
 من أولياء الله المقربين ، ينظرون إلى ربهم فى دار كرامته ،
 وقوله : (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ؟) ، أى : هل جوزى الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من
 الاستهزاء والتنقص أم لا ؟ يعنى : قد جوزوا أوفر الجزاء وأعمه وأكمله .

آخر المطففين

تفسير سورة الانشقاق

وهي مكية

قال مالك ، عن عبد الله بن يزيد ، عن أبي سلمة : أن أبا هريرة قرأ بهم : (إذا السماء انشقت) ، فسجد فيها ، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سجد فيها . رواه مسلم والنسائي ، من طريق مالك ، به (١) ، وقال البخاري : حدثنا أبو النعمان ، حدثنا معتمر ، عن أبيه ، عن بكر ، عن أبي رافع قال : صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ : (إذا السماء انشقت) ، فسجد ، فقلت له ، قال سجدت خلف أبي القاسم - صلى الله عليه وسلم - فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه (٢) .

ورواه أيضا عن مسدد ، عن معتمر ، به : ثم رواه عن مسدد ، عن يزيد بن زريع ، عن التيمي ، عن بكر عن أبي رافع ، فذكره (٣) . وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق ، عن سليمان بن طرخان التيمي ، به . وقد روى مسلم وأهل السنن من حديث سفیان بن عيينة - زاد النسائي : وسفيان الثوري - كلاهما عن أيوب بن موسى ، عن عطاء بن ميناء ، عن أبي هريرة قال : سجدنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في (إذا السماء انشقت) ، و : (اقرأ باسم ربك الذي خلق (٤)) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ② وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④
وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ⑤ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ ⑥ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ
بِإِيمَانِهِ ⑦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⑧ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑨ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ
بِزُورٍ ⑩ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ⑪ وَيَصَلِّي سَعِيرًا ⑫ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑬ إِنَّهُ ظَنَّ أَن
لَّنْ يَحُورَ ⑭ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ⑮

يقول تعالى : (إذا السماء انشقت) ، وذلك يوم القيامة ، (وأذنت لربها) ، أي : استمعت لربها وأطاعت أمره فيها أمرها به من الانشقاق (وحقت) ، أي : وحق لها أن تطيع أمره ، لأنه العظيم الذي لا يمانع ولا يغالب ، بل قد قهر كل شيء وذلك له كل شيء .

(١) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب « سجود التلاوة » . ٨٨/٢ - ٨٩ . والنسائي ، كتاب الانتحاح ، باب السجود في (إذا السماء انشقت) : ١٦١/٢ .
(٢) البخاري ، كتاب الأذان ، باب « الجهر في المشاء » : ١٩٤/١ .
(٣) البخاري ، كتاب الأذان ، باب « القراءة في المشاء » : ١٩٤/١ .
(٤) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب « سجود التلاوة » : ٨٩/٢ .

ثم قال : (وإذا الأرض مدت) ، أى : بسطت وفرشت ووسعت .

قال ابن جرير رحمه الله : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن علي بن الحسين : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « إذا كان يوم القيامة مدد الله الأرض مدد الأديم ، حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه ، فأكون أول من يدعى ، وجبريل عن يمين الرحمن ، والله ما رآه قبلا ، فأقول : يا رب إن هذا أخبرني أنك أرسلته إلى ؟ فيقول الله عز وجل : صدق . ثم أشفع فأقول : يا رب ، عبادك عبدوك في أطراف الأرض . قال : وهو المقام الجمود (١) . »

وقوله : (وألقت ما فيها وتخلت) ، أى : ألقت ما في بطنها من الأموات ، وتخلت منهم . قاله مجاهد ، وسعيد ، وقتادة ، وأذنت لرجلها وحقت (كما تقدم) .

وقوله : (يا أيها الإنسان ، إنك كادح إلى ربك كدحا) ، أى : ساع إلى ربك سعيا ، وعامل عملا ، (ففلاقيه) ، ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر . ويشهد له ما رواه أبو داود الطيالسي ، عن الحسن بن أبي جعفر ، عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « قال جبريل : يا محمد ، عش ما شئت فانك ميت ، وأحب ما شئت فانك مفارقة . واعمل ما شئت فانك ملاقيه . »

ومن الناس من يعيد الضمير على قوله (ربك) ، أى : ففلاقي ربك ، ومعناه : فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك . وعلى هذا فكلا القولين متلازم .

قال العوفي ، عن ابن عباس : (يا أيها الإنسان ، إنك كادح إلى ربك كدحا) ، يقول : تعمل عملا تلقى [الله] به ، خيرا كان أو شرا (٢) .

وقال قتادة : (يا أيها الإنسان ، إنك كادح إلى ربك كدحا) : إن كدحك - يا ابن آدم - لضعيف ، فن استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعل ، ولا قوة إلا بالله .

ثم قال : (فأما من أوتى كتابه يمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) ، أى : سهلا بلا تعسير ، أى : لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله ، فإن من حوسب كذلك يهلك لا محالة .

قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، أخبرنا أيوب ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من نوقش الحساب عذب » . قالت : فقلت : أليس قال الله : (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) ؟ قال : « ليس ذلك بالحساب ، ولكن ذلك العرض ، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب (٣) » . وهكذا رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير ، من حديث أيوب السخيتاني ، به (٤) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا أبو عامر الخزاز ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إنه ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا معدبا » . فقلت : أليس الله

(١) تفسير الطبري : ٧٢/٣٠ .

(٢) تفسير الطبري : ٧٢/٣٠ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤٧/٦ .

(٤) البخاري ، تفسير سورة (إذا السماء انشقت) : ٢٠٧/٦ - ٢٠٨ . ومسلم ، كتاب الجنة ، باب « إثبات الحساب » .

١٦٤/٨ . وتحفة الأحوذى تفسير سورة (إذا السماء انشقت) ، الحديث ٣٣٩٤ : ٢٥٦/٩ . ونفس الطبري : ٧٤/٣٠ .

يقول : (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) ؟ . قال : « ذلك العرض ، إنه من نُوقِش الحساب عُدَّ ب » ، وقال بيده على إصبعه كأنه يَنكَبُ .

وقد رواه أيضا عن عمرو بن علي ، عن ابن أبي عمري ، عن أبي يونس القشيري ، عن ابن أبي مليكة ، عن القاسم ، عن عائشة - فذكر الحديث (١) . أخرجاه من طريق أبي يونس القشيري ، واسمه حاتم بن أبي صغيرة ، به (٢) .

قال ابن جرير : وحدثنا نصر بن علي الجهضمي ، حدثنا مسلم ، عن الحريش بن الحرث أخى الزبير ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة قالت : من نُوقِش الحساب - أو : من حوسِب - عُدَّ ب . قال : ثم قالت : إنما الحساب اليسير عرض على الله - عز وجل - وهو يراهم (٣) .

وقال أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثني عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، عن [عباد بن عبد الله بن الزبير] ، عن عائشة قالت : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول في بعض صلواته : « اللهم حاسبني حسابا يسيرا » . فلما انصرف قلت : يا رسول الله ، ما الحساب اليسير ؟ قال : « أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه ، إنه من نُوقِش الحساب يا عائشة يومئذ هلك (٤) » . صحيح على شرط مسلم .

وقوله تعالى : (ويتقلب إلى أهله مسرورا) ، أي : ويرجع إلى أهله في الجنة . قاله قتادة ، والضحاك ،

(مسرورا) ، أي : فرحان مغتبطا بما أعطاه الله عز وجل .

وقد روى الطبراني عن ثوبان - مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : إنكم تعملون أعمالا لا تعرف ، ويوشك العارف (٥) أن يثوب إلى أهله ، فسرور ومكظوم .

وقوله : (وأما من أوفى كتابه وراء ظهره) ، أي : بشاله من وراء ظهره ، تُثني يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك ، (فسوف يدعو ثورا) ، أي : خسارا وهلاكًا ، (ويصلى سجيرا . إنه كان في أهله مسرورا) ، أي : فرحا لا يفكر في العواقب ، ولا يخاف مما أمامه ، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل ، (إنه ظن أن لن يحور) ، أي : كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته . قاله ابن عباس ، وقتادة ، وغيرهما . والحور : هو الرجوع . قال الله : (بلى ، إن ربه كان به بصيرا) ، يعنى : بلى سيعيده الله كما بدأه ، ويجازيه على أعماله خيرها وشرها ، فإنه كان به بصيرا ، أي : عليما خبيرا .

(١) تفسير الطبري : ٧٤/٣٠ - ٧٥ .

(٢) البخاري ، تفسير سورة (إذا السماء انشقت) : ٢٠٨/٦ . ومسلم ، كتاب الجنة ، باب « إثبات الحساب » :

١٦٤/٨ .

(٣) تفسير الطبري : ٧٤/٣٠ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٤٨/٦ .

(٥) كذا في مخطوطة الأزهر ، وفي العليقات السابقة : « ويوشك الغائب » .

فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا
عَنْ طَبَقٍ (١٩) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ
كَفَرُوا يَكْذِبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ (٢٤) إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)

روى عن علي ، وابن عباس ، وعبيدة بن الصامت ، وأبي هريرة ، وشداد بن أوس ، وابن عمر ، ومحمد بن علي
ابن الحسين ، [ومكحول] ، وبكر بن عبد الله المزني ، ويكير بن الأشج ، ومالك ، وابن أبي ذئب ، وعبد العزيز
ابن أبي سلمة الماجشون أنهم قالوا : الشفق : الحمرة .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن خنيس ، عن ابن لبيبة ، عن أبي هريرة قال : الشفق البياض .

فالشفق هو حمرة الأفق إما قبل طلوع الشمس - كما قاله مجاهد - وإما بعد غروبها - كما هو معروف عند
أهل اللغة .

قال الخليل بن أحمد : الشفق : الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة ، فاذا ذهب قيل : غاب (١)

الشفق .

وقال الجوهري : الشفق : بقية ضوء الشمس وحمرة في أول الليل إلى قريب من العتمة ،
وكذا قال عكرمة : الشفق الذي يكون بين المغرب والعشاء .

وفي صحيح مسلم ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « وقت المغرب ما لم يغب
الشفق (٢) » .

في هذا كله دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهري والخليل . ولكن صح عن مجاهد أنه قال في هذه الآية :

(فلا أقسم بالشفق) : هو النهار كله . وفي رواية عنه أيضا أنه قال : الشفق الشمس . رواها ابن أبي حاتم ،

وإنما حملة على هذا قرأته بقوله تعالى (والليل وما وسق) ، أي : جمع . كأنه أقسم بالضياء والظلام .

وقال ابن جرير : أقسم الله بالنهار مدبراً ، وبالليل مقبلاً . قال ابن جرير : وقال آخرون : الشفق اسم للحمرة
والبياض . وقالوا : هو من الأضداد (٣) .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة : (وما وسق) : وما جمع - قال قتادة : وما جمع من نجم ودابة ،
واستشهد ابن عباس بقول الشاعر (٤) :

مُسْتَوْسَقَاتٍ لَوْ تَجِدْنَ سَائِقًا

(١) في المخطوطة : « ذهب الشفق » . والمثبت عن الطبقات السابقة ، واللسان العرب ، مادة : شفق .

(٢) وقع لنا الحديث في مسند الإمام أحمد : ٢١٠/٢ ، ٢٢٣ .

(٣) تفسير الطبري : ٧٦/٣٠ .

(٤) نسب الرجز إلى المعاج ، انظر اللسان ، مادة : وسق . وانظر الرجز أيضاً في مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢٩١/٢ .
وتفسير الطبري : ٧٦/٣٠ - ٧٧ .

(٥) البخاري ، تفسير سورة (إذا السماء انشقت) : ٢٠٨/٦ .

قد قال عكرمة : (والليل وما وسق) ، يقول : ما ساق من ظلمة ، إذا كان الليل ذهب كل شيء إلى مأواه .
وقوله : (والقمر إذا اتسق) — قال ابن عباس : إذا اجتمع واستوى . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبیر
ومسروق ، وأبو صالح ، والضحاك ، وابن زيد .

(والقمر إذا اتسق) : إذا استوى . وقال الحسن : إذا اجتمع ، إذا امتلأ . وقال قتادة : إذا استدار ،
ومعنى كلامهم : أنه إذا تكامل نوره وأبدر ، جعله مقابلاً لليل وما وسق .

وقوله : (لتركن طبقاً عن طبق) — قال البخاري : أخبرنا سعيد بن النضر ، أخبرنا هشيم ، أخبرنا أبو بشر ،
عن مجاهد قال : قال ابن عباس : (لتركن طبقاً عن طبق) : حالاً بعد حال — قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم (١) .
هكذا رواه البخاري بهذا اللفظ ، وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبي — صلى الله عليه وسلم —
كأنه قال : سمعت هذا من نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فيكون قوله « نبيكم » مرفوعاً على الفاعلية من « قال » وهو
الأظهر ، والله أعلم ، كما قال أنس : لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه ، سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم .
وقال ابن جرير : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشيم ، أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد : أن ابن عباس كان
يقول : (لتركن طبقاً عن طبق) ، قال : يعنى نبيكم صلى الله عليه وسلم ، يقول : حالاً بعد حال . هذا لفظه (٢) .
وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس (طبقاً عن طبق) : حالاً بعد حال . وكذا قال عكرمة ومرة الطيب ،
ومجاهد ، والحسن ، والضحاك .

ويحتمل أن يكون المراد : (لتركن طبقاً عن طبق) : حالاً بعد حال . قال : هذا (٣) ... يعنى المراد بهذا نبيكم
— صلى الله عليه وسلم — فيكون مرفوعاً على أن « هذا » و « نبيكم » يكونان مبتدأ وخبراً . والله أعلم ، ولعل هذا قد يكون
هو المتبادر إلى كثير من الرواة ، كما قال أبو داود الطيالسي وغندر : حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبیر ،
عن ابن عباس : (لتركن طبقاً عن طبق) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

ويؤيد هذا المعنى قراءة عمر ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وعامة أهل مكة والكوفة : (لَتَرَكَّبَيْنَ) بفتح
التاء والهاء (٤) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، عن الشعبي : (لتركن طبقاً عن
طبق) ، قال : لتركبن يا محمد ساء بعد ساء . وهكذا روى عن ابن مسعود ، ومسروق ، وأبي العالية : (طبقاً
عن طبق) : ساء بعد ساء (٥) .

قلت : يعنون ليلة الإسراء ؟

(١) البخاري ، كتاب الفتن ، باب « لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه » : ٦١/٩ - ٦٢ . وتحفة الأحوذى ، أبواب
الفتن ، باب « ما جاء في أشرار الساعة » ، الحديث ٢٣٠٢ : ٤٤٩/٦ - ٤٥٠ .

(٢) تفسير الطبري : ٧٨/٣٠ .

(٣) هذا تفسير ثان للحديث الذي رواه البخاري من ابن عباس .

(٤) انظر كتاب السبعة لابن مجاهد : ٦٧٧ .

(٥) تفسير الطبري : ٧٨/٣٠ .

وقال أبو إسحاق ، والسدى ، عن رجل ، عن ابن عباس : (طبقا عن طبق) : متزلا على منزل : وكذا رواه العوفي ، عن ابن عباس مثله - وزاد : « ويقال : أمرا بعد أمر ، وحالا بعد حال (١) » .

وقال السدى نفسه : (لتركبن طبقا عن طبق) : أعمال من قبلكم متزلا بعد متزك :

قلت : كأنه أراد معنى الحديث الصحيح : « لتركبن سنن من كان قبلكم ، حذو القلدة بالقلدة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » . قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : « فن ؟ (٢) » . وهذا محتمل ،

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا صدقة ، حدثنا ابن جابر : أنه سمع مكحولاً يقول في قول الله : (لتركبن طبقا عن طبق) ، قال : في كل عشرين سنة ، تحدثون أمرا لم تكونوا عليه ،

وقال الأعمش : حدثني إبراهيم قال : قال عبد الله : (لتركبن طبقا عن طبق) ، قال : السماء تنشق ثم تمطر ، ثم تكون لونا بعد لون .

وقال الثوري ، عن قيس بن وهب ، عن مرة ، عن ابن مسعود : (طبقا عن طبق) ، قال : السماء مرة كالدهان ، ومرة تنشق (٣) .

وروى البزار من طريق جابر الجعفي ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود : (لتركبن طبقا عن طبق) ، يا محمد ، يعني حالا بعد حال . ثم قال : ورواه جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس .

وقال سعيد بن جبير : (لتركبن طبقا عن طبق) ، قال : قوم كانوا في الدنيا خسيس أمرهم ، فارتفعوا في الآخرة ، وآخرون كانوا أشرفا في الدنيا ، فارتفعوا في الآخرة .

وقال عكرمة : (طبقا عن طبق) : حالا بعد حال ، فظما بعد ما كان رضعما ، وشيخا بعد ما كان شابا .

وقال الحسن البصري : (طبقا عن طبق) ، يقول : حالا بعد حال ، رضاء بعد شدة ، وشدة بعد رضاء ، وغنى بعد فقر ، وفقرا بعد غنى ، وصحة بعد سقم وسقم بعد صحة .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن عبد الله بن زاهر : حدثني أبي ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر - هو الجعفي - عن محمد بن علي ، عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إن ابن آدم لبي غفلة مما خلق له ، إن الله إذا أراد خلقه قال للملك : اكتب رزقه ، اكتب أجله ، اكتب أثره ، اكتب شقيا أو سعيدا ، ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله إليه ملكا فيحفظه حتى يدرك ، ثم يرتفع ذلك الملك ، ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته ، فإذا حضره الموت ارتفع ذاك المكان ، وجاءه ملك الموت فقبض روحه ، فإذا دخل قبره رَدَّ الروح في جسده . ثم ارتفع ملك الموت وجاءه ، ملكا القبر فامتحنه . ثم يرتفعان ، فإذا قامت الساعة انخط عليه ملك الحسنات

(١) تفسير الطبري : ٧٨/٣٠ .

(٢) تقدم الحديث عند تفسير الآية الرابعة والثلاثين من سورة براءة ، وخرجناه هناك ، وشرحنا غريبه ، الفخر : ٨٠/٤ .

(٣) تفسير الطبري : ٧٩/٣٠ .

وملك السموات ، فانتشطا كتابا معقودا في عنقه ، ثم حضرا معه : واحد سائقا وآخر شهيدا ، ثم قال الله عز وجل : (لقد كنت في غفلة من هذا) . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لتركبن طبقا عن طبق) . قال : « حالا بعد حال » . ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن قدامكم لأمرًا عظيمًا لا تقدرُونه ، فاستعينوا بالله العظيم » ؛ هذا حديث منكر ، وإسناده فيه ضعفاء ، ولكن معناه صحيح ، والله - سبحانه وتعالى - أعلم .

ثم قال ابن جرير بعد ما حكى أقوال الناس في هذه الآية من القراء والمفسرين : والصواب من التأويل قول من قال لتتركبن أنت - يا محمد - حالا بعد حال وأمرًا بعد أمر من الشدائد ، والمراد بذلك - وإن كان [الخطاب (١)] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم موجهًا - جميع (٢) الناس ، وأنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوال (٣) ؛ وقوله : (فالهم لا يؤمنون . وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) ، أى : فإذا منعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر ؟ . وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الرحمن وكلامه - وهو هذا القرآن - لا يسجدون إعظاما وإكراما واحتراما ؟ .

وقوله : (بل الذين كفروا يكذبون) ، أى : من سببتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق ؛

(والله أعلم بما يوعون) - قال مجاهد وقتادة : يكتُمون في صدورهم (٣) .

(فبشرهم بعذاب أليم) ، أى : فأخبرهم - يا محمد - بأن الله - عز وجل - قد أعدَّ لهم عذابا أليما ؛

وقوله : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) : هذا استثناء منقطع ، يعنى لكن الذين آمنوا - أى : بقلوبهم - وعملوا الصالحات بجوارحهم ، (لهم أجر) ، أى : في الدار الآخرة .

(غير ممنون) - قال ابن عباس : غير منقوص . وقال مجاهد ، والضحاك : غير محسوب ؛

وحاصل قولها أنه غير مقطوع ، كما قال تعالى : (عطاء غير مجدود (٤)) . وقال السدى : قال بعضهم : (غير

منون) ؛ غير منقوص . وقال بعضهم : (غير ممنون) عليهم .

وهذا القول الآخر عن بعضهم قد أنكره غير واحد ، فإن الله عز وجل له المنة على أهل الجنة في كل حال وأن

ولحظة ، وإنما دخولها بفضلها ورحمتها لا بأعمالهم ، فله عليهم المنة دائما سرمدا ، والحمد لله وحده أبدا ، ولهذا يلهمون

تسبيحه ونحميده كما يلهمون النفس : (وآخر دعوانهم : أن الحمد لله رب العالمين (٥)) ؛

آخر تفسير سورة الانشقاق ، والله الحمد

(١) ما بين القوسين عن تفسير الطبرى .

(٢) كلمة « جميع » خبر لقوله : « والمراد بذلك » .

(٣) تفسير الطبرى : ٨٥/٣٠ .

(٤) سورة هود ، آية : ١٠٨ .

(٥) سورة يونس ، آية : ١٠ .

تفسير سورة البروج

وهي مكية

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا رزيق بن أبي سلمى حدثنا أبو المهزم ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماوات البروج ، والسماء والطارق (١) .
وقال أحمد : حدثنا أبو سعيد (٢) - مولى بني هاشم - حدثنا حماد بن عباد السدوسي ، سمعت أبا المهزم يحدث عن أبي هريرة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر أن يقرأ بالسموات في العشاء (٣) . تفرد به أحمد .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قَتَلَ أَصْحَابَ الْأَعْدُدِ ﴿٤﴾
النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ
إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾
إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ كَفَرُوا فَهُمْ فِي جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾

يقسم تعالى بالسماوات وبروجها ، وهي : النجوم العظام . كما تقدم بيان ذلك في قوله : (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً ، وجعل فيها سراجاً وقمراً متبراً (٤)) .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والسدي : البروج : النجوم : وعن مجاهد أيضاً : البروج التي فيها الحرس .

وقال يحيى بن رافع (٥) : البروج : قصور في السماء . وقال المنهال بن عمرو : (والسماوات البروج) : الخلق الحسن .

واختار ابن جرير أنها : منازل الشمس والقمر ، وهي اثنا عشر برجاً ، تسير الشمس في كل واحد منها شهراً ، ويسير القمر في كل واحد يومين وثلاثاً ، فذلك ثمانية وعشرون منزلة ، ويستسر ليلتين (٦) ،

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٢٦/٢ - ٣٢٧ .

(٢) في المسند : « حدثنا سعيد » . والصواب أبو سعيد ، وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبيد النصرى ، انظر التهذيب :

٢٠٩/٦ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٣٢٧/٢ .

(٤) سورة الفرقان ، آية : ٦١ .

(٥) هو أبو عيسى الثقفى . روى عن عثمان بن عفان ، وأبي هريرة . روى عنه إسماعيل بن أبي خالد . انظر الجرح والتعديل :

لابن أبي حاتم : ١٤٣/٢/٤ .

(٦) انظر تفسير الطبري : ٨١/٣٠ .

وقوله (واليوم الموعود ، وشاهد ومشهود) : اختلف المفسرون في ذلك ، وقد قال ابن أبي حاتم :

حدثنا عبد الله بن محمد بن عمرو الغزالي ، حدثنا عبيد الله - يعني ابن موسى - حدثنا موسى بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الأنصاري ، عن عبد الله بن رافع ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (واليوم الموعود) يوم القيامة ، (وشاهد) يوم الجمعة . وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة ، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه ، ولا يستعبد فيها من شر إلا أعاده ، (ومشهود) يوم عرفة .

وهكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة (١) من طرق عن موسى بن عبيدة الربذي - وهو ضعيف الحديث - وقد روى موقوفاً (٢) على أبي هريرة ، وهو أشبه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد ، حدثنا شعبة ، سمعت علي بن زيد ويونس بن عبيد يحدثان عن عمار - مولى بني هاشم - عن أبي هريرة - أما علي فرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما يونس فلم يعد أبا هريرة - أنه قال في هذه الآية : (وشاهد ومشهود) ، قال : يعني الشاهد يوم الجمعة ، ويوم مشهود يوم القيامة (٣) .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن يونس سمعت عماراً مولى بني هاشم يحدث عن أبي هريرة وأنه قال في هذه الآية (وشاهد ومشهود) ، قال : الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود يوم عرفة ، والموعود يوم القيامة (٤) . وقد روى عن أبي هريرة أنه قال : اليوم الموعود يوم القيامة . وكذلك قال الحسن ، وقتادة ، وابن زيد . ولم أرهم يختلفون في ذلك والله الحمد .

ثم (٥) قال ابن جرير : حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، حدثني أبي ، حدثنا ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « اليوم الموعود يوم القيامة ، وإن الشاهد يوم الجمعة ، وإن المشهود يوم عرفة ، ويوم الجمعة ذخره (٦) الله لنا (٧) » .

ثم قال ابن جرير : حدثنا سهل بن موسى الرازي ، حدثنا ابن أبي قديك ، عن ابن حرملة ، عن سعيد بن المسيب أنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن سيد الأيام يوم الجمعة ، وهو الشاهد ، والمشهود يوم عرفة (٨) » .

(١) في المخطوطة : « ابن حزم » . والمثبت عن الطبعات السابقة .

(٢) في المخطوطة : « روى مرفوعاً » . والمثبت أيضاً عن الطبعات السابقة .

(٣) كذا ، ولفظ المسند ٢/٢٩٨ : « قال : يعني الشاهد يوم عرفة ، والموعود يوم القيامة » .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢/٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٥) هذا الحديث ساقط من مخطوطة الأزهر .

(٦) كذا في الطبعات السابقة . وفي تفسير الطبري : « خيرة الله لنا » .

(٧) تفسير الطبري : ٣٠/٨٢ - ٨٣ .

(٨) تفسير الطبري : ٣٥/٨٢ .

وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيب ، م قال ابن جرير :

حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن شعبة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف المكي ، عن ابن عباس قال : **الشاهد** هو محمد صلى الله عليه وسلم ، والمشهود يوم القيامة ، ثم قرأ : (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود (١)) .
 وحدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن شبك قال : سألت رجل الحسن بن علي عن : (وشاهد ومشهود) ، قال : سألت أحدا قبلي ؟ قال : نعم ، سألت ابن عمر وابن الزبير ، فقالا : يوم الذبح ويوم الجمعة . فقال : لا ، ولكن **الشاهد** محمد صلى الله عليه وسلم . ثم قرأ : (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) .
والمشهود يوم القيامة ، ثم قرأ : (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود (١)) .
 وهكذا قال الحسن البصري . وقال سفيان الثوري ، عن ابن حرملة ، عن سعيد بن المسيب : (**ومشهود**) يوم القيامة .

وقال مجاهد ، وعكرمة ، والضحاك : **الشاهد** ابن آدم ، والمشهود يوم القيامة ،

وعن عكرمة أيضا : **الشاهد** محمد - صلى الله عليه وسلم - والمشهود يوم الجمعة ،

[وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : **الشاهد** الله ، والمشهود يوم القيامة (٢)] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، حدثنا سفيان ، عن أبي يحيى القتات ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : (**وشاهد ومشهود**) قال : **الشاهد** الإنسان . والمشهود يوم الجمعة . هكذا رواه ابن أبي حاتم .
 وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهرا ، عن سفيان عن [ابن أبي (٣)] ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : (**وشاهد ومشهود**) ، **الشاهد** : يوم عرفة ، والمشهود يوم القيامة (٤) .

وبه عن سفيان - هو الثوري - عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : يوم الذبح ، ويوم عرفة **بمعنى الشاهد والمشهود** .

قال ابن جرير : وقال آخرون : **المشهود** يوم الجمعة . ورووا في ذلك ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثني يحيى بن عبد الله بن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن زيد بن أيمن ، عن هبادة بن نسي ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة ، فإنه يوم مشهود ، تشهد الملائكة (٤) » .

وعن سعيد بن جبير : **الشاهد** الله ، وتلا (وكفى بالله شهيدا) ، والمشهود نحن . حكاه البغوي ، وقال : **الأكثرون**

على أن **الشاهد** يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة .

(١) تفسير الطبري : ٨٣/٣٠ .

(٢) هذا الأثر ساقط من مخطوطة الأزهر .

(٣) في المخطوطة : « عن أبي يحيى القتات » . والمثبت عن الطبقات والسابقة وتفسير الطبري .

(٤) تفسير الطبري : ٨٤/٣٠ .

وقوله : (قتل أصحاب الأخدود) ، أى : لعن أصحاب الأخدود ، وجمعه أخاديد ، وهى الحفر فى الأرض ؛ وهذا خبر عن قوم من الكفار عمكوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله - عز وجل - فقهرهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم ، فأبوا عليهم ، فحضروا لهم فى الأرض أخدوداً وأججوا فيه نارا ، وأعدوا لها وقودا يسعرونها به ، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم ، فقتلهم فيها ، ولهذا قال تعالى : (قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) ، أى : مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين .

قال الله تعالى : (وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) ، أى : وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذى لا يضام من لاذ بجنابه ، المتبع الحميد فى جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره ، وإن كان قد قدر على عباده هؤلاء هذا الذى وقع بهم بأيدي الكفار به ، فهو العزيز الحميد ، وإن خفى سبب ذلك على كثير من الناس .

ثم قال : (الذى له ملك السموات والأرض) ، من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ، (والله على كل شئ شهيد) ، أى : لا يغيب عنه شئ فى جميع السموات والأرض ، ولا تخفى عليه خافية .

وقد اختلف أهل التفسير فى أهل هذه القصة ، من هم ؟ فعن على - رضى الله عنه - أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج الحارم ، فامتنع عليه علانهم ، فعمد إلى حفر أخدود فقتل فيه من أنكر عليه منهم ، واستمر فيهم تحليل الحارم إلى اليوم .

وعنه أنهم كانوا قوماً باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم ، فغلب مؤمنوهم على كفارهم ، ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين ، فخذوا لهم الأخاديد ، وأحرقوهم فيها .

وعنه أنهم كانوا من أهل الحبشة واحدهم حبشياً .

وقال ثعلوبى ، عن ابن عباس : (قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود) ، قال : ناس من بنى إسرائيل ، حثوا وأخذوا فى الأرض ، ثم أوقدوا فيه نارا ، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجلاً ونساء ، فحرضوا عليها ، وزعموا أنه دانيال وأصحابه .

وهكذا قال الضحاك بن مزاحم ، وقيل غير ذلك ؛ وقد قال الإمام أحمد :

حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن صهيب : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « كان [ملك] فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر ، فلما كبر الساحر قال للملك : إني قد كبرت سننى وحضر أجلي ، فادفع إلى غلاما لأعلمه السحر . فدفع إليه غلاما فكان يعلمه السحر ، وكان بين الساحر [وبين] الملك راهب ، فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه ، فأعجبه نحوه وكلامه ، وكان إذا [أتى] (١) الساحر ضرب به وقال : ما حبسك ؟ وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا : ما حبسك ؟ فشكا ذلك إلى الراهب ، فقال : إذا أراه الساحر أن يضربك فقل : حبسنى أهلى . وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل : حبسنى الساحر .

(١) فى المخطوطة : « رأى الساحر » . والمثبت عن المسند .

قال : فبينما هو ذات يوم (١) إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة ، قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا ، فقال :
اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى [الله] أم أمر الساحر ؟ قال : فأخذ حجرا فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك
وأرضى من أمر الساحر ، فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس . وربما وقتلها ، ومضى الناس . فأخبر الراهب بذلك ،
فقال : أي بُنى ، أنت أفضل مني ، وإنك ستبطل ، فان ابتليت فلا تدل على . فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص
وسائر الأدواء ويشفيهم ، وكان جليس للملك فعمى ، فسمع به ، فأناه بهدايا كثيرة فقال : اشفى ولك ما هاهنا أجمع ،
فقال : ما أنا أشفى أحداً ، إنما يشفى الله عز وجل ، فان آمنت به دعوت الله فشفاك . فآمن فدعا الله فشفاه . ثم أتى الملك
فجلس منه نحو ما كان يجلس ، فقال له الملك : يا فلان ، من ردّ عليك بصرك ؟ فقال : ربي ؟ فقال : أنا ؟ قال : لا ،
ربي وربك الله . قال : ولك رب غيري ؟ قال : نعم ، ربي وربك الله . فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فبعث إليه
فقال : أي بُنى ، بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء ؟ . قال : ما أشفى أنا أحداً ، إنما يشفى الله
عز وجل . قال : أنا ؟ قال : لا . قال : أولك رب غيري ؟ قال : ربي وربك الله . فأخذه أيضا بالعذاب ، فلم يزل به
حتى دل على الراهب ، فأتى بالراهب فقال : ارجع عن دينك . فأبى ، فوضع المشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه ،
وقال للأعمى : ارجع عن دينك . فأبى ، فوضع المشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض . وقال للغلام :
ارجع عن دينك . فأبى ، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا ، وقال : إذا بلغم ذروته فان رجع عن دينه وإلا فدعه هدهوه (٢)
[من فوقه (٣)] فذهبوا به ، فلما علوا به الجبل قال : اللهم ، اكفنيهم بما شئت . فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون ،
وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله . فبعث به مع نفر في قرقور (٤)
فقال : إذا لججتم به البحر فان رجع عن دينه وإلا فغرقوه في البحر . فلججوا به البحر فقال الغلام : اللهم ، اكفنيهم
بما شئت . فغرقوا أجمعون ، وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله . ثم قال
للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به ، فان أنت فعلت ما أمرك به قتلتي ، وإلا فانك لا تستطيع قتلي ،
قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبي على جذع ، وتأخذ سهما من كنانتي ثم قل : « باسم الله رب
الغلام » ، فانك إذا فعلت ذلك قتلتي . ففعل ، ووضع السهم في كبده قوسه (٥) ثم رماه ، وقال : « باسم الله رب الغلام » .
فوقع السهم في صدغه ، فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات ، فقال الناس : آمنا برب الغلام . فقيل للملك :
أرأيت ما كنت تحذر ؟ فقد - والله - نزل بك ، قد آمن الناس كلهم . فأمر بأفواه السكك فمخدت فيها الأخاديد ،
وأضرمت فيها النيران ، وقال : من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها . قال : فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون ،
فجاءت امرأة بابن لها ترضعه ، فكأنها تقاعست أن تقع في النار ، فقال الصبي : اصبري يا أماء ، فانك على الحق (٦) .

(١) لفظ المسند : « فبينما هو كذلك ، إذ أتى ذات يوم على . . . » .

(٢) أي : دحرجوه .

(٣) ما بين القوسين عن المسند .

(٤) القرقور - بضم القافين - : السفينة الصغيرة .

(٥) كبد القوس : مقبضها عند الرمي .

(٦) مسند الإمام أحمد : ١٦/٦ - ١٨ .

وهكذا رواه مسلم (١) في آخر الصحيح عن هُدبة بن خالد ، عن حماد بن سلمة [به نحوه . ورواه النسائي عن أحمد بن سليمان ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة (٢)] ومن طريق حماد بن زيد ، كلاهما عن ثابت ، به واختصروا أوله . وقد جَوَّده الإمام أبو عيسى الترمذى ، فرواه في تفسير هذه السورة عن محمود بن غيلان وعبد بن حميد [المعنى واحد] - قالوا : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ثابت البُنَّانِي ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن صُهَيْب قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا صلى العصر همَّس - والهمَّس في قول بعضهم (٣) : تحريك شفَّته كأنه يتكلم - فقيل له : [إنك] - يا رسول الله - إذا صليت العصر همَّست ؟ قال : « إن نبيا من الأنبياء كان أعجب (٤) بأمتة فقال : من يقوم هؤلاء ؟ . فأوحى الله إليه أن خيرهم بين أن أنتقم [منهم] ، وبين أن أسلط عليهم عدوهم . فاختروا النعمة ، فسَلَطَ عليهم الموت ، فمات منهم في يوم سبعون ألفا » . قال : وكان إذا حَدَّثَ بهذا الحديث ، حَدَّثَ بهذا الحديث الآخر قال : كان ملك من الملوك ، وكان لذلك الملك كاهن يتكهن له ، فقال الكاهن : انظروا لي غلاما فهِمًّا - أو قال : فطنا لَقِنَّا (٥) - فأعلَّمته علمي هذا .. فذكر القصة بيَّامها ، وقال في آخره : « يقول الله عز وجل : (قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود) حتى بلغ : (العزيز الحميد) . قال : فأما الغلام فإنه دفن [قال] : فيذكر أنه أُخْرِجَ في زمان عمر بن الخطاب ، وإصبعه على صُدْغِه كما وضعها حين قتل » . ثم قال الترمذى : « حسن غريب (٦) » .

وهذا السياق ليس فيه صراحة أن سياق هذه القصة من كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : فيحتمل أن يكون من كلام صُهَيْب الرومي ، فانه كان عنده علم من أخبار النصراني ، والله أعلم .

وقد أورد محمد بن إسحاق بن يسار هذه القصة في السيرة بسياق آخر ، فيها مخالفة لما تقدم ، فقال :

حدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القُرظي - وحدثني أيضاً بعض أهل نجران ، عن أهلها - : أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان ، وكان في قرية من قراها قريبا من نجران - ونجران هي القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحرٌ يعلم غلمان أهل نجران السحر ، فلما نزلها فيمُون (٧) - ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه ابن منبه ، قالوا : رجل نزلها - ابنتي (٨) خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر ، وجعل أهل نجران يرسلون [غلمانهم] إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر ، فبعث الثامر ابنه عبد الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران ، فكان إذا مر بصاحب

- (١) مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب « قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام » : ٢٢٩/٨ - ٢٣١ .
- (٢) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة - وكان فيها : « أحمد بن سليمان ، عن عفان » . والمثبت عن التهذيب ، ترجمة عفان ابن مسلم : ٢٣٠/٧ - ٢٣١ .
- (٣) في المخطوطة : « بعض قولهم » . والمثبت عن الترمذى .
- (٤) أعجب - بصيغة المبنى للمجهول - وإعجابه بأمتة من جهة الكثرة .
- (٥) الفهم - بفتح فسكون - : سريع الفهم والفتن : الحاذق . والقن : حسن التلقن لما يسمعه .
- (٦) تحفة الأحوذى ، تفسير سورة البروج ، الحديث ٣٢٩٨ : ٢٥٩/٩ - ٢٦٥ .
- (٧) في سيرة ابن هشام : « فيمبون » .
- (٨) في المخطوطة : « فابنتي » . والمثبت عن السيرة ، وهو الصواب .

وهذا يقتضى أن هذه القصة كانت قدما بعد زمان إسماعيل - عليه السلام - بقرب من خمسمائة سنة أو نحوها ، وما ذكره ابن إسحاق يقتضى أن قصتهم كانت في زمان الفترة التى بين عيسى ومحمد - عليهما من الله السلام - وهو أشبه ، والله أعلم .

وقد محتمل أن ذلك قد وقع في العالم كثيراً ، كما قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا أبو اليان ، أخبرنا صفوان ، عن عبد الرحمن بن جبير قال : كانت الأخدود في اليمن زمان تبع ، وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد ، فأتخذوا أتوتا ، وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد . وفي العراق في أرض بابل مختصر ، الذى وضع الصم وأمر الناس أن يسجدوا له ، فامتنع دانيال وصاحبه : عزريا وميشائيل ، فأوقد لهم أتوتا وألقى فيه الحطب والنار ، ثم ألقاهما فيه ، فجعلها الله عليهما بردا وسلاما ، وأنقذهما منها ، وألقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط ، فأكلتهم النار .

وقال أسباط ، عن السدى في قوله : (قتل أصحاب الأخدود) ، قال : كانت الأخدود ثلاثة : خدّ بالعراق ، وخذّ بالشام ، وخذّ باليمن . رواه ابن أبي حاتم .

وعن مقاتل قال : كانت الأخدود ثلاثة : واحدة بنجران باليمن ، والأخرى بالشام ، والأخرى بفارس ، أما التى بالشام فهو انطنانوس الرومى ، وأما التى بفارس فهو مختصر ، وأما التى بأرض العرب فهو يوسف ذو نواس ، فأما التى بفارس والشام فلم ينزل الله فيهم قرآنا ، وأنزل في التى كانت بنجران .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكى ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع - هو ابن أنس - في قوله : (قتل أصحاب الأخدود) ، قال : سمعنا أنهم كانوا قوما في زمان الفترة ، فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنة والشر وصاروا أحزابا ، (كل حزب بما لديهم فرحون) ، اعتزلوا إلى قرية سكنوها ، وأقاموا على عبادة الله (مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) ، وكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين ، وحدث حديثهم ، فأرسل إليهم فأمرهم أن يعبدوا الأوثان التى اتخذوا ، وأتهم أبوا عليه كلهم وقالوا : لا نعبد إلا الله وحده ، لا شريك له . فقال لهم : إن لم تعبدوا هذه الآلهة التى عبدت فإني قاتلكم . فأبوا عليه ، فخذت أخدودا من نار ، وقال لهم الجبار - ووقفهم عليها - : اختاروا هذه أو الذى نحن فيه . فقالوا : هذه أحب إلينا . وفيهم نساء وذرية ، ففزعن الدرّية ، فقالوا لهم : لا نار من بعد اليوم . فوقعوا فيها ، فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسيهم حرّها ، وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين ، فأحرقهم الله بها ، ففي ذلك أنزل الله عز وجل : (قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد . الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شئ شهيد .) .

ورواه ابن جرير : حدثت عن عمار ، عن عبد الله بن أبي جعفر ، به نحوه (١) .

وقوله : (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) ، أى : حرّقوا . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وابن أبى .

(ثم لم يتوبوا) ، أى : لم يقلعوا عما فعلوا ، ويندموا على ما أسلفوا ؛

(فلهم عذاب جهنم ، ولهم عذاب الحريق) ، وذلك أنجزاء من جنس العمل — قال الحسن البصرى : انظروا إلى هذا الكرم والجد ، قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة ؛

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ
الْشَدِيدُ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لَمَّا
يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أُنْتِكَ حَدِيثُ الْجَنَّاتِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ
مِنَ وَّرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قَوْلٌ بَلْبَةٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوَجٍ مَّخْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين أن (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) ، بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم ، ولهذا قال : (ذلك الفوز الكبير) .

ثم قال : (إن بطش ربك لشديد) ، أى : إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره ، لشديد عظيم قوى ؛ فانه تعالى ذو القوة المتين ، الذى ما شاء كان كما يشاء فى مثل لمح البصر ، أو هو أقرب . ولهذا قال : (إنه هو يبدى ويعيد) ، أى : من قوته وقدرته الثامة يبدى الخلق ثم يعيده كما بدأه ، بلا ممانع ولا مدافع . (وهو الغفور الودود) ، أى : يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه ، ولو كان الذنب من أى شيء كان .

والودود — قال ابن عباس وغيره — : هو الحبيب (ذو العرش) ، [أى : صاحب العرش] المعظم العالى على جميع الخلائق .

والمجيد : فيه قراءتان ، الرفع على أنه صفة للرب — عز وجل — والجر على أنه صفة للعرش ، وكلاهما معنى صحيح .

(فعال لما يريد) ، أى : مهما أراد فعله ، لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل ؛ لعظمته وقهره وحكمته وعذله ، كما روينا عن أبى بكر الصديق أنه قيل له — وهو فى مرض الموت — : هل نظر إليك الطيب ؟ قال : نعم . قالوا : فما قال لك ؟ قال : قال لى : إني فعال لما أريد ،

وقوله : (هل أتاك حديث الجنود : فرعون وثمود) ، أى : هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس ، وأنزل عليهم من النعمة التى لم يردا عنها أحد ؟

وهذا تقرير لقوله : (إن بطش ربك لشديد) ، أي : إذا أخذ الظالم أخذه أخذاً شديداً ، أخذاً عزيزاً مقتدرًا .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة تقرأ : (هل أتاك حديث الجنود) ، فقام يسمع ، فقال : « نعم ، قد جاءني » .

وقوله : (بل الذين كفروا في تكذيب) ، أي : هم في شك وريب وكفر وعناد ، (والله من ورائهم محيط) ، أي : هو قادر عليهم ، قاهر لا يفتونونه ولا يعجزونه ، (بل هو قرآن مجيد) ، أي : عظيم كريم ، (في لوح محفوظ) ، أي : هو في الملائكة المحفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل .

قال ابن جرير : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا قرة بن سباج ، حدثنا حرب بن سريته ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك في قوله : (بل هو قرآن مجيد . في لوح محفوظ) قال : إن اللوح المحفوظ الذي ذكره الله : (بل هو قرآن مجيد . في لوح محفوظ) ، في جبهة إسرائيل (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح ، حدثنا معاوية بن صالح : أن أبا الأعقبس - هو عبد الرحمن ابن سكران قال : ما من شيء قضى الله - القرآن فما قبله وما بعده - إلا وهو في اللوح المحفوظ . واللوح المحفوظ بين عيني إسرائيل ، لا يؤذن له بالنظر فيه .

وقال الحسن البصري : إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ ، ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه . وقد روى البغوي من طريق إسحاق بن بشر : أخبرني مقاتل وابن جريج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : إن في صلب اللوح لا إله إلا الله وحده ، دينه الإسلام ، ومحمد عبده ورسوله ، فمن آمن بالله وصدق بوعدته واتبع رسوله ، أدخله الجنة - قال : واللوح لوح من ذرة بيضاء ، طوله ما بين السماء والأرض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافته الدر والياقوت ، ودفناه ياقوتة حمراء ، وقلمه نور ، وكلامه مغمود بالعرش ، وأصله في حجر ملك .

قال مقاتل : اللوح المحفوظ عن يمين العرش .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عثمان [بن أبي شيبة ، حدثنا منجاب بن الحارث] ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، حدثنا زياد بن عبد الله ، عن ليث ، عن عبد الملك بن سعيد بن جبير ، عن أبيه ، عن ابن عباس : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن الله خلق لوحاً محفوظاً من ذرة بيضاء ، صفحاتها من ياقوتة حمراء ، قلمه نور وكتابه نور ، لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة ، يخلق ويرزق ، ويميت ويحيي ، ويعز ويذل ، ويفعل ما يشاء » .

آخر تفسير «سورة البروج» والله الحمد .

تفسير سورة الطارق

وهي مكية

قال عبد الله ابن الإمام أحمد : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن محمد - قال : عبد الله وسمعتُه أنا منه - حدثنا مروان ابن معاوية الفزاري ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائي ، عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي جبيل العَدَواني ، عن أبيه : أنه أبصر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مُشْرِقٍ ثَقِيفٍ (١) وهو قائم على قوس - أو : عصي - حين أتاهم بيتي عندهم النصر ، فسمعتُه يقول : (والسماء والطارق) ، حتى ختمها - قال : فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك ، ثم قرأتها في الإسلام - قال : فدعيتي ثقيف فقالوا : ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم ، فقال من معهم من قريش : نحن أعلم بصاحبنا ، لو كنا نعلم ما يقول حقاً لا تبعناه (٢) .

وقال النسائي : حدثنا عمرو بن منصور ، حدثنا أبو نعيم ، عن مسعر ، عن محارب بن دثار ، عن جابر قال : صلى معاذ المغرب ، فقرأ البقرة والنساء ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أفنان يا معاذ ؟ » ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق ، والشمس وضحاها ، ونحو هذا (٣) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ❶ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ❷ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ❸ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ❹
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ❺ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ❻ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ❼ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ
لَقَادِرٌ ❽ يَوْمَ تَبْلَى السَّرَابُ ❾ فَآلَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ❿

يقسم تعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة ، ولهذا قال : (والسماء والطارق) ، ثم قال : (وما أدراك ما الطارق) ، ثم فسره بقوله : (النجم الثاقب) .

(١) المشرق : سوق ثقيف .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣٣٥/٤ . وانظر ترجمة « خالد بن أبي جبيل » في أسد الغابة : ٩١/٢ - ٩٢ ، بشقيقتنا .

(٣) انظر النسائي ، كتاب الافتتاح ، باب « القراءة في المغرب » (سيج اسم ريك الأعل.) : ١٦٨/٢ .

قال قتادة وغيره : إنما سمي النجم طارقاً ، لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار . ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح :
سُمي أن يطرق الرجل أهله طروقاً (١) . أي : يأتيهم فجأة بالليل . وفي الحديث الآخر المشتمل على الدعاء : « إلا طارقاً
يطرق بغير يارحمن (٢) » .

وقوله : (الثاقب) - قال ابن عباس : المضيء . وقال السدي : يثقب الشياطين إذا أرسل عليها . وقال عكرمة :
هو مضيء ومحرق للشيطان .

وقوله : (إن كل نفس لما عليها حافظ) ، أي : كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات ، كما قال تعالى
(له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله (٣)) ... الآية .

وقوله : (فليظنر الإنسان مِمَّ خَلِقَ) ؟ : تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه ، وإرشاد له إلى الاعتراف
بالمعاد ، لأن من قدر على البدأة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى ، كما قال : (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ،
وهو أهدون عليه (٤)) .

وقوله : (خلق من ماء دافق) ، يعني المني ؛ يخرج دافقاً من الرجل ومن المرأة ، فيتولد منهما الولد باذن الله عز وجل
ولهذا قال : (يخرج من بين الصلب والترائب) ، يعني صلب الرجل وترائب المرأة ، وهو صدرها .

قال شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (يخرج من بين الصلب والترائب) : صلب الرجل وترائب
المرأة ، أصفر رقيق ، لا يكون الولد إلا منهما . وكذا قال سعيد بن جبّير ، وعكرمة ، وقاتادة والسدي ، وغيرهم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة ، عن مسعر : سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس :
(يخرج من بين الصلب والترائب) ، قال : هذه الترائب . ووضع يده على صدره .

وقال الضحاك وعطية ، عن ابن عباس : تربية المرأة موضع القلادة . وكذا قال عكرمة ، وسعيد بن جبّير .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : الترائب : بين تدييها .

وعن مجاهد : الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر . وعنه أيضاً : الترائب أسفل من التراقي .

وقال سفيان الثوري : فوق الثديين . وعن سعيد بن جبّير : الترائب أربعة أضلاع من هذا الجانب الأسفل .

وعن الضحاك : الترائب بين الثديين والرجلين والعينين .

(١) البخاري ، كتاب النكاح ، باب « لا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة ، مخافة أن يخونهم أو يلتصم عثراتهم » .

٥٠/٧ . ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب « كراهة الطروق - وهو الدخول ليلاً - لمن ورد من سفر » : ٥٥/٦ - ٥٦ .

(٢) مسند الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن خنيس : ٤١٩/٣ .

(٣) سورة الرعد ، آية : ١١ .

(٤) سورة الروم ، آية : ٢٧ .

وقال الليث بن سعد ، عن معمر بن أبي حبيبة المدني : أنه بلغه في قول الله عز وجل : (يخرج من بين الصلب والترائب) ، [قال (١) : هو عصارة القلب ، من هناك يكون الولد (٢) ،

وعن قتادة : (يخرج من بين الصلب والترائب) من بين صلبه وخرجه ،

وقوله : (إنه على رجعه لقادر) ، فيه قولان :

أحدهما : على رجوع هذا الماء الدافق إلى مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك . قاله مجاهد ، وعكرمة ، وغيرهما .

والقول الثاني : إنه على رجوع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق ، أى : لإعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر ، لأن من

قدر على البداءة قدر على الإعادة .

وقد ذكر الله عز وجل هذا الدليل في القرآن في غير ما موضع ، وهذا القول قال به الضحاك ، واختاره ابن جرير .

ولهذا قال : (يوم تبلى السرائر) ، أى : يوم القيامة تبلى فيه السرائر ، أى : تظهر وتبدو ، ويبى السر علانية والمكنون

مشهورا . وقد ثبت في الصحيحين ، عن ابن عمر : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « يرفع لكل غادر لواء

عند استه ، يقال : هذه غدرة فلان بن فلان (٣) » .

وقوله : (فإله) ، أى : الإنسان يوم القيامة (من قوة) ، أى : فى نفسه ، (ولا ناصر) ، أى : من خارج منه ،

أى : لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله ، ولا يستطيع له أحد ذلك .

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ

يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمِثْلَ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُؤِدًا ﴿١٧﴾

قال ابن عباس : الرجع : المطر . وعنه : هو السحاب فيه المطر . وعنه : (والسماء ذات الرجع) ، تمطر ثم تمطر .

وقال قتادة : ترجع رزق العباد كل عام ، ولولا ذلك لهلكوا واهلكت مواشيهم (٤) .

وقال ابن زيد : ترجع نجومها وشمسها وقمرها ، يأتين من هاهنا .

(والأرض ذات الصدع) - قال ابن عباس : هو انصداعها عن النبات . وكذا قال سعيد بن جبير ، وعكرمة ،

وأبو مالك ، والضحاك ، والحسن ، وقاتادة ، والسدى ، وغير واحد .

(١) ما بين القوسين المعقوفين ساقط من مخطوطة الأزهر وما أئبنتاه عن الطبقات السابقة .

(٢) تفسير الطبرى : ٩٢/٣٠ - ٩٣ .

(٣) البخارى ، كتاب الجزية ، باب « إثم الغادر للبر والفاجر » : ١٢٧/٤ . وكتاب الأدب ، باب « ما يدهى الناس

بأيامهم » : ٥١/٨ . ومسلم ، كتاب الجهاد ، باب « تحريم القدر » : ١٤١/٥ - ١٤٣ .

(٤) تفسير الطبرى : ٩٥/٣٠ .

وقوله : (إنه لقول فصل) - قال ابن عباس : حق . وكذا قال قتادة .

وقال آخر : حكم عدل .

(وما هو بالهزل) ، أى : بل هو حق جد .

ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله ، فقال : (إنهم يكيدون كيدا) ، أى : يمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن .

ثم قال : (فهل الكافرين) ، أى : أنظروهم ولا تستعجلوهم ، (أمهلهم رويدا) ، أى : قليلا . أى : وتروى ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك ، كما قال : (تمتعهم قليلا ثم نصطروهم إلى عذاب غليظ (١)) .

آخر تفسير «سورة الطارق» والله الحمد

تفسير سورة سبح

وهي مكية

والدليل على ذلك ما رواه البخارى ؛ حدثنا عبدان : أخبرني أبي ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب قال : أول من قدم علينا من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، فجعلنا يقرئنا القرآن . ثم جاء عمار وبلال وسعد . ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين . ثم جاء النبي - صلى الله عليه وسلم - فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به ، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون : هذا رسول الله قد جاء ، فما جاء حتى قرأت : (سبح اسم ربك الأعلى) في سور مثلها (١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن ثوير بن أبي فاختة ، عن أبيه ، عن علي بن عبد الله : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحب هذه السورة : (سبح اسم ربك الأعلى) . تفرد به أحمد (٢) .

وثبت في الصحيحين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ : « هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى . والشمس وضحاها . والليل إذا يغشى (٣) » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر ، عن أبيه ، عن حبيب بن سالم ، عن أبيه ، عن النعمان بن بشير : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ في العيدين : (سبح اسم ربك الأعلى) ، و (هل أتاك حديث الغاشية) ، وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعا (٤) .

هكذا وقع في مسند الإمام أحمد إسناد هذا الحديث . وقد رواه مسلم - في صحيحه - وأبو داود والترمذي والنسائي ، من حديث أبي عوانة وجريير وشعبة ، ثلاثهم عن [إبراهيم بن] محمد بن المنتشر ، عن أبيه ، عن حبيب بن سالم ، عن النعمان بن بشير ، به . قال الترمذي : « وكذا رواه الثوري ومسعر ، عن إبراهيم - قال : ورواه سفيان بن عيينة عن إبراهيم - عن أبيه ، عن حبيب بن سالم ، عن أبيه ، عن النعمان . ولا يعرف لحبيب رواية عن أبيه (٦) » .

(١) البخارى ، تفسير سورة (سبح اسم ربك الأعلى) : ٢٠٨/٦ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٩٦/١ .

(٣) البخارى ، كتاب الأذان ، باب « من شكأ إمامه إذا طول » : ١٨٠/١ - ١٨١ . ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب

« القراءة في العشاء » : ٤١/٢ - ٤٢ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢٧١/٤ .

(٥) ما بين القوسين عن مسلم ، وستن أبي داود ، والترمذي ، والنسائي .

(٦) مسلم ، كتاب الجمعة ، باب « ما يقرأ في صلاة الجمعة » : ١٥/٣ - ١٦ . وستن أبي داود ، كتاب الصلاة ،

باب « ما يقرأ في الجمعة » . وتحفة الأحوذى ، أبواب العيدين ، الحديث ٥٣١ : ٧٦/٣ . والنسائي ، كتاب الجمعة ، باب

« ذكر الاختلاف على النعمان بن بشير في القراءة في صلاة الجمعة » : ١٠٠/٣ .

وقد رواه ابن ماجه عن محمد بن الصباح ، عن سفيان بن عيينة ، عن إبراهيم بن المشعر ، عن أبيه عن حبيب بن سالم ، عن النعمان (١) به . كما رواه الجماعة ، والله أعلم .

ولفظ مسلم وأهل السنن : كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة ؛ (سبح اسم ربك الأعلى) ، و (هل أتاك حديث الغاشية) ، وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما .

وقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بن كعب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الرحمن بن أبيزى ، وعائشة أم المؤمنين : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ في الوتر ؛ (سبح اسم ربك الأعلى) ، و (قل : أيا أيها الكافرون) ، و (قل هو الله أحد) - زادت عائشة : والمعوذتين .

وهكذا روى هذا الحديث - من طريق - جابر وأبي أمامة صدقائي بن عجلان ، وعبد الله بن مسعود ، وعمران ابن حصين ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم .. ولولا خشية الإطالة لأوردنا ما تبسرتنا من أسانيد ذلك ومثونه ولكن في الإرشاد بهذا الاختصار كفاية ، والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ أُمَّ رَبِّكَ الْأَعْلَى ① الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ② وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ③ وَالَّذِي أُنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ نَزْلًا ④ وَإِلَيْهِ يُرْجَى ⑤ السَّعْيُ ⑥ وَهُوَ الَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ اللَّهُ إِنَّهُ يُعَلِّمُ الْهُجْرَةَ وَمَا يَخْفَى ⑦ وَنُبِّئَكَ ⑧ لِلْبَيْتِ الْأَشْرَفِ ⑨ فَذَكَرْنَا أَنْ تَقَعَتِ الذِّكْرَى ⑩ سَيِّدًا كَرِيمًا ⑪ مِنْ يَخْفَى ⑫ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ⑬ الَّذِي يَصْلَى ⑭ النَّارَ الْكُبْرَى ⑮ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَخْرُجُ ⑯

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى - يعني ابن أيوب الغافقي - حدثنا عمي إياس بن عامر ، سمعت عقبة بن عامر الجهني لما نزلت : (فسبح باسم ربك العظيم) ، قال لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « اجعلوها في ركوعكم » . فلما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) ، قال : « اجعلوها في سجودكم (٢) » .

ورواه أبو داود وابن ماجه ، من حديث ابن المبارك ، عن موسى بن أيوب ، به (٣) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مسلم البطيبي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا قرأ : (سبح اسم ربك الأعلى) ، قال : « سبحان ربِّي الأعلى » ، وهكذا رواه أبو داود عن زهير بن حرب ، عن وكيع ، به . وقال : « خولف فيه وكيع ، رواه أبو وكيع وشعبة ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، موقوفا (٤) » .

(١) ابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب « ماجاه في القراءة في صلاة العيدين » ، الحديث ١٢٨١ : ٤٠٨/١ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٥٥/٤ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب « ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده » . وابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب التوسيع في الركوع والسجود ، الحديث ٨٨٧ : ٢٨٧/١ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب « الدعاء في الصلاة » .

وقال الثوري : عن السدي ، عن عبد خير قال : سمعت علياً قرأ : (سبح اسم ربك الأعلى) ، فقال سبحان ربّي الأعلى .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا حكام عن عنبسة ، عن ابن إسحاق الميماني : أن ابن عباس كان إذا قرأ : (سبح اسم ربك الأعلى) ، يقول : سبحان ربّي الأعلى ، وإذا قرأ : (لا أقسم بيوم القيامة) فأنى على آخرها : (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) ، يقول : سبحانك وبلى (١) ؛

وقال قتادة : (سبح اسم ربك الأعلى) . ذكر لنا أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا قرأها ، قال : سبحان ربّي الأعلى (٢) ؛

وقوله : (الذي خلق فسوى) ، أي : خلق الخليفة وسوى كل مخلوق في أحسن الميثاق ،

وقوله : (والذي قدر فهدي) - قال مجاهد : هدى الإنسان للشقاوة والسعادة ، وهدى الأنعام لمراتعها ،

وهذه الآية كقولها تعالى إخباراً عن موسى أنه قال لفرعون : (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) (٣) ، أي : قدر قادراً ، وهدى الخلائق إليه ، كما ثبت في صحيح مسلم ، عن عبد الله بن عمرو : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء » (٤) ؛

وقوله : (والذي أخرج المرعى) ، أي : من جميع صنوف النباتات والزرع ، (فجعل غطاء أحوى) - قال ابن عباس : هشيأ متغيراً ، وعن مجاهد ، وقاتدة ، وابن زيد ، نحوه ،

قال ابن جرير : وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى أن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم ، وأن معنى الكلام : والذي أخرج المرعى ، أحوى ، أي : أخضر إلى السواد ، فجعله غطاء بعد ذلك . ثم قال ابن جرير : وهذا وإن كان محتملاً إلا أنه غير صواب ، مخالفته أقوال أهل التأويل (٥) ؛

وقوله : (سنقرئك) - أي : يا محمد - (فلاتنسى) . وهذا إخبار من الله - عز وجل - ووعد منه له ، بأنه سيقربه قراءة لا ينساها ، (إلا ما شاء الله) . وهذا اختيار ابن جرير .

وقال قتادة : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا ينسى شيئاً إلا ما شاء الله ،

وقيل : المراد بقوله : (فلاتنسى) طلب ، وجعلوا معنى الاستثناء على هذا ما يقع من النسخ ، أي : لا تنسى ما نقرئك إلا ما يشاء الله رفعه ، فلا عليك أن تركه .

(١) تفسير الطبري : ٩٦/٣٠ .

(٢) تفسير الطبري : ٩٧ - ٩٦/٣٠ .

(٣) سورة طه ، آية : ٥٠ .

(٤) تقدم الحديث عند تفسير الآية السابعة من سورة هود ، وخرجناه هناك ، انظر : ٤٤٠/٤ .

(٥) تفسير الطبري : ٩٨/٣٠ .

وقوله : (إنه يعلم الجهر وما يخفى) أى : يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم ، لا يخفى عليه من ذلك شيء .

وقوله تعالى : (ونيسرك للنيرى) ، أى : نسهل عليك أفعال الخير وأقواله ، ونشرع لك شرعا سهلا سمحا مستقيا عدلا ، لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر .

وقوله : (فذكر إن نفعت الذكرى) ، أى : ذكر حيث تنفع التذكرة . ومن هاهنا يؤخذ الأدب فى نشر العلم ، فلا يضعه عند غير أهله ، كما قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه : ما أنت بمحدث قوما خدينا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم . وقال : حدث الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله .

وقوله : (سيذكر من يخشى) ، أى : سيتعظ بما تبلغه - يا محمد - من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه ، (ويتجنبها الأشقي : الذى يصلى النار الكبرى) ثم لا يموت فيها ولا يحيى) ، أى : لا يموت فيسريح ولا يحيى حياة تنفعه ، بل هى مضرة عليه ، لأن بسببها يشعر ما يعاقب به من ألم العذاب ، وأنواع النكال .

قال الإمام أحمد : حدثنا ابن أبى عدى ، عن سليمان - يعنى التيمي - عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون ، وأما أناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم فى النار فيدخل عليهم الشفعاء ، فيأخذ الرجل أنصاره فيميتهم - أو قال : ينبتون - فى نهر الحياة - أو قال : الحياة - أو قال : الحيوان - أو قال : نهر الجنة فينبتون - نبات الحبة (١) فى حصيل السيل » - قال : وقال : النبى - صلى الله عليه وسلم - : « أما ترون الشجرة تكون خضراء ، ثم تكون صفراء ، [أو (٢) قال : تكون صفراء] ثم تكون خضراء ؟ » - قال : فقال بعضهم : كأن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان بالبادية (٣) .

وقال أحمد أيضا : حدثنا إسماعيل حدثنا سعيد بن يزيد ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أما أهل النار الذين هم أهلها ، فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن أناس - أو كمال قال - تصيبهم النار بذنوبهم - أو قال : بخطاياهم - فيميتهم إماتة ، حتى إذا صاروا فحما أذن فى الشفاعة ، فيجىء بهم ضبائر ضبائر (٤) ، فتبوا على أنهار الجنة ، فيقال : يا أهل الجنة ، أفيصوا عليهم . فينبتون نبات الحبة تكون فى حصيل السيل (٥) . قال : فقال رجل من القوم حينئذ : كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالبادية (٥) .

(١) الحبة - بكسر الحاء - بذور البقول وحب الرياحين . وقيل : ثبت أصفر يثبت فى الخشيش . والحصيل : ما يجىء به السيل من طين أو غثاء . فإذا انفتحت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل فانها تنبت فى يوم وليلة . فشبه به سرعة عود أجسامهم إليهم بعد احتراقها .

(٢) ما بين القوسين عن المسند .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٥/٣ .

(٤) أى : جماعات .

(٥) مسند الإمام أحمد : ١١/٣ .

ورواه مسلم من حديث بشر بن المفضل وشعبة ، كلاهما عن أبي مسَلَمَةَ سعيد بن يزيد ، به مثله (١) : ورواه أحمد [أحمد] أيضا عن يزيد ، عن سعيد بن إياس الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أهل النار الذين لا يريد الله إخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، وإن أهل النار الذين يريد الله إخراجهم يميتهم فيها إماتة ، حتى يصبروا فحما ، ثم يخرجون ضبائر فيلقون على أنهار الجنة ، [أو : يرش] (٢) عليهم من أنهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل (٣) » .

وقد قال الله إخبارا عن أهل النار : (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك ، قال : إنكم ماكثون (٤)) ، وقال تعالى : (لا يقضى عليهم فموتوا ، ولا يخفف عنهم من عذابها (٥)) ... إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى .

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤَوتُونَ الْحَبِيزَةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرَ وَابْتِغَى ﴿١٧﴾
إِنْ هَذَا لَنِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

يقول تعالى : (قد أفلح من تزكى) ، أى : طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة ، وتابع ما أنزل الله على الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - (وذكر اسم ربه فصلى) ، أى : أقام الصلاة في أوقاتها ؛ ابتغاء رضوان الله وطاعة لأمر الله وإمتثالاً لشرع الله . وقد قال الحافظ أبو بكر البرزالي :

حدثنا عباد بن أحمد الغزرمي ، حدثنا عمي محمد بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الرحمن ابن سابط ، عن جابر بن عبد الله ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : (قد أفلح من تزكى) ، قال : « من شهد أن لا إله إلا الله ، وخلع الأنداد ، وشهد أني رسول الله » ، (وذكر اسم ربه فصلى) ، قال : « هي الصلوات الخمس والحفاضة عليها والاهتمام بها » .

ثم قال : لا يروى عن جابر إلا من هذا الوجه .

وكذا قال ابن عباس : إن المراد بذلك الصلوات الخمس . واختاره ابن جرير .

وقال ابن جرير : حدثني عمرو بن عبد الحميد الأملي (٦) ، حدثنا مروان بن معاوية ، عن أبي خلدة قال : دخلت على أبي العالية فقال لي : إذا غدوت غدا إلى العيد فمر بي . قال : فررت به فقال : هل طعمت شيئا ؟ قلت : نعم ،

(١) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب « إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار » . ١١٨/١ .

(٢) ما بين القوسين عن المستد .

(٣) مستد الإمام أحمد : ٢٠/٣ .

(٤) سورة الزخرف ، آية : ٧٧ .

(٥) سورة فاطر ، آية : ٣٦ .

(٦) في المخطوطة : « الأيلي » . والمثبت عن تفسير الطبري ط بولاق ، وط المعارف ، الأثر ١٠٣٧٨ : ١٥٩/٩ .

وانظر تعليق السيد محقق تفسير الطبري هناك .

قال : أفضت على نفسك من الماء ؟ قلت : نعم . قال : فأخبرني ما فعلت بزكاتك (١) ؛ قلت : وكأنتك قلت (٢) : قد وجهتها ؟ قال : إنما أردت لك هذا . ثم قرأ : (قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلي) . وقال : إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية الماء .

قلت : وكذلك روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس باخراج صدقة الفطر ، ويتلو هذه الآية (قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلي) .

وقال أبو الأحوص : إذا أتى أحدكم سائل وهو يريد الصلاة ، فليقدم بين يدي صلواته زكاته ، فإن الله يقول : (قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلي) .

وقال قتادة في هذه الآية : (قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلي) : زكى ماله ، وأرضى خالقه :

ثم قال تعالى : (بل توثرون الحياة الدنيا) ، أى : تقدمونها على أمر الآخرة ، وتبدونها على ما فيه نفعهم وصلاحهم في معاشهم ومعادهم ، (والآخرة خير وأبقى) ، أى : ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى ، [فإن الدنيا] دنية فانية ، والآخرة شريفة باقية ، فكيف يوثر عاقل ما يقضى على ما يبقى ، ويهم بما يزول عنه قريباً ، ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد .

قال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا ذؤيب ، عن أبي إسحاق ، عن عروة (٣) ، عن عائشة قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الدنيا دارٌ من لا دارَ له ، وماله من لا مالَ له ، ولها يجمع من لا عقل له (٤) » .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، [حدثنا] أبو حمزة ، عن عطاء ، عن عرفة الثقفى قال : استقرأت ابن مسعود : (سيح اسم ربك الأعلى) فلما بلغ : (بل توثرون الحياة الدنيا) ترك القراءة ، وأقبل على أصحابه وقال : آثرنا الدنيا على الآخرة . فسكت القوم ، فقال : آثرنا الدنيا لأننا رأينا زيتها ونساءها وطعامها وشرابها ، وزويت عنا الآخرة فآخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل (٥) .

وهذا منه على وجه التواضع والمضم ، أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو ، والله أعلم .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود الهاشمي ، حدثنا إسماعيل بن جعفر ، أخبرني عمرو بن أبي عمرو ، عن المطلب بن عبد الله ، عن أبي موسى الأشعري : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من أحب دنياه أضرب آخريته ، ومن أحب آخريته أضرب دنياه ، فآثروا ما يبقى على ما يقضى » تفرد به أحمد (٦) .

وقد رواه أيضاً عن أبي سلمة الخزازي ، عن الدراوردي ، عن عمرو بن أبي عمرو ، به مثله سواء (٦) .

(١) في المخطوطة : « فعلت زكاتك » ، دون « باء » . والمثبت عن الطبري .

(٢) كذا في المخطوطة . وفي تفسير الطبري : « قلت : قد وجهتها » .

(٣) في مسند الإمام أحمد : « عن زرعة » .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٧١/٦ .

(٥) تفسير الطبري : ١٠٠/٣٠ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٤١٢/٤ .

وقوله : (إن هذا لفي الصحف الأولى . صحف إبراهيم وموسى) - قال الحافظ أبو بكر البزار :

حدثنا نصر بن علي ، حدثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه عن عطاء بن السائب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : (إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى) - قال النبي صلى الله عليه وسلم : « كان كل هذا - أو : كان هذا - في صحف إبراهيم وموسى »

ثم قال : لا نعلم اسند الثقات عن عطاء بن السائب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس غير هذا ، وحدثنا آخر أورده قبل هذا .

وقال النسائي : أخبرنا زكريا بن يحيى ، أخبرنا نصر بن علي ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن عطاء ابن السائب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : (سبح اسم ربك الأعلى) ، قال : كلها في صحف إبراهيم وموسى . فلما نزلت (وإبراهيم الذي وفى) قال : وفى (ألا تزر وازرة وزر أخرى) :

يعنى أن هذه الآية كقولها في « سورة النجم » (أم لم ينبا بما في صحف موسى : وإبراهيم الذي وفى : ألا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى) وأن إلى ربك المنتهى (١) . والآيات إلى آخرهن . وهكذا قال عكرمة - فيما رواه ابن جرير ، عن ابن حميد ، عن مهرا ، عن سفيان الثوري ، عن أبيه ، عن عكرمة - في قوله : (إن هذا لفي الصحف الأولى . صحف إبراهيم وموسى) ، يقول : الآيات التي في سبح اسم ربك الأعلى (٢) .

وقال أبو العالية : قصة هذه السورة في الصحف الأولى .

واختار ابن جرير أن المراد بقوله : (إن هذا) إشارة إلى قوله : (قد أفلح من تزكى) وذكر اسم ربه فصلي ، بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى) ، ثم قال : (إن هذا) ، أى : مضمون هذا الكلام (لفي الصحف الأولى) صحف إبراهيم وموسى (٣) .

وهذا اختيار حسن قوى . وقد روى عن قتادة وابن زيد ، نحوه : والله أعلم .

آخر تفسير ((سورة سبأ)) ، والله الحمد والمنة .

(١) سورة النجم ، الآيات : ٣٦ - ٤٢ .

(٢) تفسير الطبري : ١٠٠/٣٠ .

(٣) تفسير الطبري : ١٥١/٢٥ .

تفسير سورة الغاشية

وهي مكية

قد تقدم عن النعمان بن بشير : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ : (سبح اسم ربك الأعلى) ،
والغاشية في صلاة العيد ويوم الجمعة :

وقال الإمام مالك ، عن ضمرة بن سعيد ، عن عبيد الله بن عبد الله : أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير :
« كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة ؟ قال : (هل أتاك حديث الغاشية (١)) .
رواه أبو داود عن القعني ، والنسائي عن قتيبة ، كلاهما عن مالك ، به . ورواه مسلم وابن ماجه ، من حديث
سفيان بن عيينة ، عن ضمرة بن سعيد ، به (٢) :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۖ وَجُوهُ يَوْمٍ مُّسْوِيَةٍ ۖ ۝١
عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۖ تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً ۖ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ۝٢
وَأَنبِيَةٍ ۖ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ۖ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ۖ ۝٣

الغاشية : من أسماء يوم القيامة . قاله ابن عباس ، وقتادة ، وابن زياد ، لأنها تغشى الناس وتعمهم . وقد قال ابن أبي
حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون قال :
مر النبي - صلى الله عليه وسلم - على امرأة تقرأ : (هل أتاك حديث الغاشية) ، فقام يستمع ويقول : « نعم قد
جاءني » :

وقوله : (وجوه يومئذ خاشعة) ، أي : ذليلة . قاله قتادة :

وقال ابن عباس : تخضع ولا يتغصها عملها .

وقوله : (عاملة ناصبة) ، أي : قد عملت عملاً كثيراً ، وتصببت فيه ، وصليت يوم القيامة ناراً حامية .

وقال الحافظ أبو بكر البرقاني : حدثنا إبراهيم بن محمد المزكّي ، حدثنا محمد بن إسحاق السراج ، حدثنا هارون
ابن عبد الله ، حدثنا سيار ، حدثنا جعفر قال : سمعت أبا عمران الجوني يقول : مر عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -

(١) انظر تنوير الحوالك ، شرح موطأ الإمام مالك ، للسيوطي ، كتاب الصلاة ، باب « القراءة في صلاة الجمعة » :

١٠٢/١ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب « ما يقرأ في الجمعة » . والنسائي ، كتاب الجمعة ، باب « ذكر الاختلاف على

النعمان بن بشير في القراءة في صلاة الجمعة » : ١١٢/٣ . ومسلم ، كتاب الجمعة ، باب « ما يقرأ في صلاة الجمعة » : ١٦/٣ .

وسنن ابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب « ما جاء في القراءة في الصلاة يوم الجمعة » ، الحديث ١١١٩ . ٣٥٥/١ .

بدير راهب ، قال : فناداه : يا راهب . فأشرف ، قال : فجعل عمر ينظر إليه ويكي : فقيل له : يا أمير المؤمنين ، ما يبكيك من هذا ؟ قال : ذكرت قول الله - عز وجل - في كتابه (عاملة ناصبة . تصلي ناراً حامية) ، فذاك الذي أيكاني .

وقال البخارى : قال ابن عباس : (عاملة ناصبة) النصارى (١) .

وعن عكرمة ، والسدى : (عاملة) في الدنيا بالمعاصى ، (ناصبة) في النار بالعذاب والأغلال .

قال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة : (تصلي ناراً حامية) ، أى : حارة شديدة الحر . (تسقى من عين آتية) ، أى :

قد انتهى حرّها وغليانها . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، والسدى .

وقوله : (ليس لهم طعام إلا من ضريع) - قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : شجر من نار .

وقال سعيد بن جبير : هو الزقوم . وعنه : أنها الحجارة .

وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبو الجوزاء ، وقتادة : هو الشبرق - قال قتادة : قریش تسميه في الربيع

الشبرق ، وفي الصيف الضريع - قال عكرمة : وهو شجرة ذات شوك لا طئة بالأرض .

وقال البخارى : قال مجاهد : الضريع نبت يقال له : الشبرق ، يسميه أهل الحجاز : الضريع إذا يبس ، وهو سم (١) .

وقال معمر ، عن قتادة : (إلا من ضريع) ، هو الشبرق ، إذا يبس سُمى الضريع .

وقال سعيد ، عن قتادة : « (ليس لهم طعام إلا من ضريع) : من شر الطعام وأبشعه وأخبثه .

وقوله : (لا يسمن ولا يغبى من جوع) ، يعنى : لا يحصل به مقصود ، ولا يندفع به مخلور .

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾

لما ذكر حال الأشقياء ، تنبى بذكر السعداء فقال : (وجوه يومئذ) ، أى : يوم القيامة (ناعمة) ، أى : يعرف

النعيم فيها . وإنما حصل لها ذلك بسعيها .

وقال سفيان : (لسعيها راضية) : قدر ضيبت عملها .

وقوله : (في جنة عالية) ، أى : رفيعة مهيبة في الغرفات آمنون ، (لا تسمع فيها لاغية) ، أى : لا يسمع في الجنة

التي هم فيها كلمة لغو . كما قال : (لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاماً (٢)) . وقال : (لا لغو فيها ولا تأنيب (٣)) .

وقال : (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأنيباً . إلا قِيلَا سلاماً سلاماً (٤)) .

(١) البخارى ، تفسير سورة « هل أتاك حديث الفاشية » : ٢٠٩/٦ .

(٢) سورة مريم ، آية : ٦٢ .

(٣) سورة الطور ، آية : ٢٣ .

(٤) سورة الواقعة ، آية : ٢٥ - ٢٦ .

(فيها عين جارية) ، أى ؛ سارحة . وهذه نكرة في سياق الإثبات ، وليس المراد بها عينا واحدة ، وإنما هذا جنس ، يعنى ؛ فيها عيون جاريات ،

وقال ابن أبي حاتم ؛ قُرىء على الربيع بن سليمان : حدثنا أسد بن موسى ، حدثنا ابن ثوبان ، عن عطاء بن قره ، عن هبذ الله بن ضمرة ، عن أبي هريرة قال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - ؛ «أنهار الجنة تفجر من تحت تلال - أو - من تحت جبال - المسك» .

(فيها سرور مرفوعة) ، أى ؛ عالية ناعمة كثيرة الفرش مرتفعة السمك ، عليها الحور العين . قالوا : فإذا أراد وكلى الله أن يجلس على تلك السرور العالية تواضعت له ، (وأكواب موضوعة) ، يعنى : وأوانى الشراب معدة مرصدة لمن أرادها من أربابها ، (ونمارق مصفوفة) - قال ابن عباس ؛ النمارق الوسائد . وكذا قال عكرمة ، وقتادة ، والضحاك ، والسدى ، والثوري ، وغيرهم .

وقوله ؛ (وزرابى ميثوثة) - قال ابن عباس ؛ الزرابى البسط . وكذا قال الضحاك ، وغير واحد .

ومعنى ميثوثة ، أى ؛ هاهنا وهاهنا لمن أراد الجلوس عليها .

ونذكر هاهنا الحديث الذى رواه أبو بكر بن أبي داود ؛ حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا أبى ، عن محمد بن مهاجر ، عن الضحاك المعافرى ، عن سليمان بن موسى ؛ حدثنى كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول ؛ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «ألا هل من مُشَمَّر للجنة فإن الجنة لا خَطَر (١) لها ، هى ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتر ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلّل كثيرة ، ومقام فى أبد فى دارٍ سليمة ، وفاكهة وخضرة ، وحررة ونعمة ، فى محلة عالية بهية ؟» . قالوا ؛ نعم يا رسول الله ، نحن المشمرون لها . قال ؛ «قولوا إن شاء الله» . [قال القوم ؛ إن شاء الله] .

ورواه ابن ماجه عن العباس بن عثمان الدمشقى ، عن الوليد بن مسلم ، عن محمد بن مهاجر ، به (٢) .

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾
وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى
وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فِعْزَابُهُ اللَّهُ الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى أمرا عباده بالنظر فى مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته ؛ (أفلا ينظرون إلى الإبل ؛ كيف خلقت ؟) ، فإنها خلق عجيب ، وتركيبتها غريب ، فإنها فى غاية القوة والشدة ، وهى مع ذلك تأنى للحمل الثقيل ، وتنفذ للقائد الضعيف ، وتوكل ، وينتفع بوبرها ، ويشرب لبنها . ونهبوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل ، وكان شريح

(١) أى ؛ لا مثل لها .

(٢) تقدم تحريج الحديث عند تفسير الآية السابعة والخمسين من سورة «يس» ؛ ٥٦٩/٦ .

القاضي يقول : اخرجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ؟ أى : كيف رفعها الله - عز وجل - عن الأرض هذا الرفع العظيم ، كما قال تعالى : (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم : كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج (١)) .

(وإلى الجبال كيف نصبت) ، أى : جعلت منصوبة قائمة ثابتة راسية لثلا تيمد الأرض بأهلها ، وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن .

(وإلى الأرض : كيف سطحت ؟) ، أى : كيف بسطت ومدت ومهدت ، فنبه البدوي على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذى هو راكب عليه ، والسماء التى فوق رأسه ، والجبل الذى تجاها ، والأرض التى تحته - على قدرة خالق ذلك وصانعه ، وأنه الرب العظيم الخالق المتصرف المالك ، وأنه الإله الذى لا يستحق العبادة سواه : وهكذا أقسم « ضميمام » فى سؤاله على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما رواه الإمام أحمد حيث قال :

حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال : كنا نهينا أن نسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن شيء ، فكان يعجبنا أن يجيب الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع ، فجاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمد ، إنه أتانا رسولك فرعّم لنا أنك ترعّم أن الله أرسلك ؟ قال : « صدق » . قال : فن خلق السماء ؟ قال : « الله » . قال : فن خلق الأرض ؟ قال : « الله » . قال : فن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال : « الله » . قال : فبالذى خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال ، الله أرسلك ؟ قال : « نعم » . قال وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا ؟ قال : « صدق » . قال : فبالذى أرسلك ، الله أمرك بهذا ؟ قال : « نعم » . قال : وزعم رسولك أن علينا زكاة فى أموالنا ؟ قال : « صدق » . قال : فبالذى أرسلك ، الله أمرك بهذا ؟ قال : « نعم » . قال : وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا ؟ قال : « صدق » . قال : ثم ولى فقال : والذى بعثك بالحق لا أزيد عليهن شيئا ولا أنقص منهن شيئا . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « إن صدق ليدخلن الجنة (٢) » .

وقد رواه مسلم ، عن عمرو الناقد ، عن أبى النضر هاشم بن القاسم ، به : وعلقه البخارى ، ورواه الترمذى والنسائى ، [من حديث سليمان بن المغيرة ، به . ورواه الإمام أحمد والبخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه (٣)] . من حديث الليث بن سعد ، عن سعيد المقبرى ، عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر ، عن أنس ، به بطوله ، وقال فى آخره : « وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر (٤) » .

(١) سورة «ق» ، آية : ٦ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٤٣/٣ . وانظر أيضاً : ١٩٣/٣ .

(٣) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة .

(٤) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب « فى بيان الإيمان بالله وشرائع الدين » : ٣٢/١ . والبخارى ، كتاب العلم ، باب

« ماجاه فى العلم » : ٢٤/١ - ٢٥ . وتحفة الأحوذى ، أبواب الزكاة ، باب « ماجاه إذا أدبت الزكاة فقد قضيت ما عليك » .

الحديث ٦١٥ : ٢٤٦/٣ - ٢٤٨ ، والنسائى ، كتاب الصيام ، باب « وجوب الصيام » : ١٢١/٤ - ١٢٢ .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا إسحاق ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثني عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كثيرا ما كان يحدث عن امرأة في الجاهلية على رأس جبل ، معها ابن لها ترعى غنما ، فقال لها ابنتها : يا أمه ، من خلقك ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق أبي ؟ قالت : الله . قال : فمن خلقني ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق السماء ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق الأرض ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق الجبل ؟ قالت : الله . قال : فمن خلق هذه الغم ؟ قالت : الله . قال : إني لأسمع لله شأنا . وألني نفسه من الجبل فتقطع .

قال ابن عمر : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كثيرا ما يحدثنا هذا .

قال ابن دينار : كان ابن عمر كثيرا ما يحدثنا بهذا .

في إسناده ضعف ، وعبد الله بن جعفر هذا هو المديني ضعفته ولده الإمام علي بن المديني وغيره .

وقوله : (فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر) ، أي : فذكر يا محمد الناس بما أرسلت به إليهم ، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب . ولهذا قال : (لست عليهم بمسيطر) - قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغيرهما : (لست عليهم ببحار (١)) .

وقال ابن زيد : لست بالذي تكرههم على الإيمان .

قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله عز وجل » . ثم قرأ : (فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر) .

وهكذا رواه مسلم في كتاب « الإيمان » ، والترمذي والنسائي في كتابي « التفسير » من سننهما ، من حديث سفيان ابن سعيد الثوري ، به بهذه الزيادة . وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من رواية أبي هريرة ، بدون ذكر هذه الآية (٢) .
وقوله : (إلا من تولى وكفر) ، أي : تولى عن العمل بأركانها ، وكفر بالحق بجنانه ولسانه . وهذه كتوله : (فلا صادق ولا صلي . ولكن كذب وتولى (٣)) . ولهذا قال : (فيعذبه الله العذاب الأكبر) - قال الإمام أحمد :

(١) تفسير الطبري : ١٠٦/٢٠ .

(٢) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : « لا إله إلا الله » ، محمد وسوك الله : ١/٢٩٠ .
وتحفة الأحوف ، تفسير سورة الفاتحة ، الحديث ٣٣٩٩ : ٩/٢٦٥ - ٢٦٦ . والبخاري ، كتاب الزكاة ، باب « وجوب الزكاة » : ١٣١/٢ .

(٣) سورة القيامة ، آية : ٣١ - ٣٢ .

حدثنا قتيبة ، حدثنا ليث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن علي بن خالد ، أن أبا أمامة الباهلي مرَّ على خالد بن يزيد ابن معاوية ، فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « ألا كلكم يدخل الجنة ، إلا من شرَّد علي الله شرَّاد للبعير على أهله (١) »

تفرد باخراجه الإمام أحمد ، وعلي بن خالد هذا ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه ، ولم يزد على ما هاهنا ؛ « روى عن أبي أمامة ، وعنه سعيد بن أبي هلال (٢) » .

وقوله : (إن إلينا إيابهم) ، أي : مرجعهم ومقلبهم ، (ثم إن علينا حسابهم) ، أي : نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

آخر تفسير سورة الفاشية ، والله الحمد والمنة

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٥٨/٥ .

(٢) النجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ١٨٤/١/٣ .

تفسير سورة الفجر

وهي مكية

قال النسائي : أخبرنا عبد الوهاب بن الحكم ، أخبرني يحيى بن سعيد ، عن سليمان ، عن محارب بن دثار وأبي صالح ، عن جابر قال : صلى معاذ صلاة ، فجاء رجل فصلى معه فطول ، فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف ، فبلغ ذلك معاذ فقال : منافق . فذكر ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسأل النبي ، فقال : يا رسول الله ، جئت أصلي معه فطول علي ، فانصرفت وصليت في ناحية المسجد ، فغلقت ناضحي . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أفتان يا معاذ ؟ أين أنت من (سبح اسم ربك الأعلى) - و (الشمس وضحاها) و (الفجر) - و (الليل إذا بغشى) (١) ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ① وَلَيْلٍ عَشْرِ ② وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ③ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِر ④ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حَجْرِ ⑤
الَّذِي كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ⑥ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ⑦ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ⑧ وَنَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا
الصَّخْرَ بِالْوَادِ ⑨ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ⑩ الَّذِينَ طَعَنُوا فِي الْبِلَادِ ⑪ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ⑫
فَصَبَّ عَلَى سَوطِ رَبِّكَ سَوطَ عَذَابٍ ⑬ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْعُرْصَادِ ⑭

أما الفجر فعروف ، وهو : الصبح . قاله علي ، وابن عباس ، ومجاهد وعكرمة ، والسدي :

وعن مسروق ، ومجاهد ، ومحمد بن كعب : المراد به فجر يوم النحر خاصة ، وهو خاتمة الليالي العشر :

وقيل : المراد بذلك الصلاة التي تفعل عنده ، كما قاله عكرمة .

وقيل : المراد به جميع النهار . وهو رواية عن ابن عباس . (٢)

والليالي العشر : المراد بها عشر ذي الحجة . كما قاله ابن عباس ، وابن الزبير ، ومجاهد ، وغير واحد من السلف

والخلف . وقد ثبت في صحيح البخاري ، عن ابن عباس مرفوعا : « ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه

الأيام » - يعني عشر ذي الحجة - قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : « ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجلا خرج

ب نفسه وماله ، ثم لم يرجع من ذلك بشيء » (٣) .

(١) لم يقع لنا هذا الحديث في مجتبي النسائي . وانظر كتاب الإمامة ، باب « خروج الرجل من صلاة الإمام وفرغته من

صلاته في ناحية المسجد » : ٩٧/٢ - ٩٨ .

(٢) تفسير الطبري : ١٠٧/٣٠ .

(٣) البخاري ، كتاب العيدين ، باب « فضل العمل في أيام التشريق » : ٢٤/٢ - ٢٥ .

وقيل : المراد بذلك العشر الأول من المحرم ، حكاه أبو جعفر بن جرير ولم يعزه إلى أحد ؛ وقد روى أبو كندينة ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وليال عشر) ، قال : هو العشر الأول من رمضان .

والصحيح القول الأول ؛ قال الإمام أحمد ،

حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا عبيد بن عمير ، حدثني خبير بن ثعلبة ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن العشر عشر الأضحى ، والوتر يوم عرفة ، والشفع يوم النحر (١) » ؛

ورواه النسائي عن محمد بن رافع وعبد بن عبد الله ، كل منهما عن زيد بن الحباب ، به ؛ ورواه بن جرير وابن أبي حاتم ، من حديث زيد بن الحباب ، به (٢) . وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم ، وعندى أن المتن في رفعه نكارة ، والله أعلم ؛

وقوله : (والشفع والوتر) قد تقدم في هذا الحديث أن الوتر يوم عرفة ، لكونه التاسع ، وأن الشفع يوم النحر لكونه العاشر ، وقاله ابن عباس ، وعكرمة ، والضحاك أيضا .

فوك ثاب ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثني عقبة بن خالد ، عن واصل بن السائب قال : سألت عطاء عن قوله : (والشفع والوتر) ، قلت : صلاتنا وترنا هذا ؟ قال : لا ، ولكن الشفع يوم عرفة ، والوتر ليلة الأضحى ؛

فوك ثالث ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عامر بن إبراهيم الأصبهاني ، حدثني أبي ، عن الثعالبي - يعني ابن عبد السلام - عن أبي سعيد بن عوف ، حدثني بمكة قال : سمعتُ عبد الله بن الزبير يخطبُ الناس ، فقام إليه رجلٌ فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرني عن الشفع والوتر . فقال : الشفع قول الله عز وجل : (فن تعجل في يومئذ فلا إثم عليه) ، والوتر قوله : (ومن تأخر فلا إثم عليه) ؛

وقال ابن جريج : أخبرني محمد بن المرتفع أنه سمع ابن الزبير يقول : الشفع أوسط أيام التشريق ، والوتر آخر أيام التشريق .

وفي الصحيحين من رواية أبي هريرة ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن لله تسعة وتسعين اسما ، مائة إلا واحدا ، من أحصاها دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر (٣) » .

فوك رابع ، قال الحسن البصري ، وزيد بن أسلم : الخلق كلهم شفع ، ووتر ، أقسم تعالى بخلقه . وهو رواية عن مجاهد (٤) ، والمشهور عنه الأول .

(١) مسند الإمام أحمد : ٣/٣٢٧ .

(٢) تفسير الطبري : ١٠٨/٣٠ .

(٣) تقدم الحديث عند تفسير الآية الثمانين بعد المائة من سورة الأعراف ، وخرجهما هناك ، انظر : ٣/٥١٥ .

(٤) تفسير الطبري ، ١٠٨/٣٠ .

وقال العوقق ، عن ابن عباس : (والشفع والوتر) ، قال : الله وتر واحد ، وأنتم شفع . ويقال : الشفع صلاة القعدة ، والوتر : صلاة المغرب .

قول خامس ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد : (والشفع والوتر) ، قال : الشفع الزوج ، والوتر : الله عز وجل .

وقال أبو عبد (١) الله عن مجاهد : الله الوتر ، وخلفه الشفع ، الذكر والأنثى .

وقال ابن أبي نجیح ، عن مجاهد قوله : (والشفع والوتر) : « كل شيء خلقه الله شفع ، السماء والأرض ، والبحر والبحر ، والجن والإنس ، والشمس والقمر ، ونحو هذا » . ونحو مجاهد في هذا ما ذكره في قوله تعالى : (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون (٢)) ، أي : لتعلموا أن خالق الأزواج واحد .

قول سادس ، قال قتادة ، عن الحسن : (والشفع والوتر) : هو العدد ، منه شفع ومنه وتر .

قول سابع ، في الآية الكريمة رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن جريج (٣) ، ثم قال ابن جرير : وروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - خبر يؤيد القول الذي ذكرنا عن أبي الزبير : حدثني عبد الله بن أبي زياد القطواني ، حدثنا زيد بن الخطاب ، أخبرني عياض بن عقبة ، حدثني خير بن نعيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « الشفع اليومان ، والوتر اليوم الثالث (٤) » .

هكذا ورد هذا الخبر بهذا اللفظ ، وهو مخالف لما تقدم من اللفظ في رواية أحمد والنسائي وابن أبي حاتم ، وما رواه هو أيضا ، والله أعلم .

قال أبو العالية ، والريبع بن أنس ، وغيرهما : هي الصلاة ، منها شفع كالرابعة والثانية ، ومنها وتر كالمغرب ، فإنها ثلاث ، وهي وتر النهار . وكذلك صلاة الوتر في آخر التهجد من الليل .

وقد قال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، عن عمران بن حصين : (والشفع والوتر) ، قال : هي الصلاة المكتوبة ، منها شفع ومنها وتر . وهذا منقطع وموقوف ، ولفظه خاص بالمكتوبة . وقد روى متصلا مرفوعا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ولفظه عام ، قال الإمام أحمد :

حدثنا أبو داود هو الطيالسي ، حدثنا حماد ، عن قتادة ، عن عمران بن عصام : أن شيئا حدثه من أهل البصرة ، عن عمران بن حصين : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل عن الشفع والوتر ، فقال : « هي الصلاة ، بعضها شفع ، وبعضها وتر (٥) » .

(١) كذا ، وفي تفسير الطبري ١٠٩/٣٠ : « أبو يحيى عن مجاهد » ، وهو القتات ، وانظر التهذيب : ٢٧٧/١٢ .

(٢) سورة الفرقان ، آية : ٤٩ .

(٣) كذا ، ولا ندرى ما هذه الرواية ؟

(٤) تفسير الطبري ، ١٠٩/٣٠ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٤٣٧/٤ .

هكذا وقع في المسند ، وكذا رواه ابن جرير عن بندار ، عن عفان وعن أبي كريب ، عن عبيد الله بن موسى ، كلاهما عن همام - وهو ابن يحيى - عن قتادة ، عن عمران بن عصام ، عن شيخ ، عن عمران بن حصين (١) ، وكذا رواه أبو عيسى الترمذى ، عن عمرو بن علي ، عن ابن مهدي وأبي داود ، كلاهما عن همام ، عن قتادة ، عن عمران بن عصام ، عن رجل من أهل البصرة ، عن عمران بن حصين ، به ، ثم قال : « غريب ، لا يعرفه إلا من حديث قتادة ، وقد رواه خالد بن قيس أيضا عن قتادة (٢) » .

وقد روى عن عمران بن عصام ، عن عمران نفسه ، والله أعلم ،

قلت : ورواه ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا همام ، عن قتادة ، عن عمران بن عصام الضبي ، - شيخ من أهل البصرة - عن عمران بن حصين ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكره ، هكذا رأيته في تفسيره ، فجعل الشيخ البصرى هو عمران بن عصام .

وهكذا رواه ابن جرير : حدثنا نصر بن علي ، حدثني أبي ، حدثني خالد بن قيس ، عن قتادة ، عن عمران بن عصام ، عن عمران بن حصين ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الشفع والوتر قال : « هي الصلاة ، منها شفع ، ومنها وتر » .

فأسقط ذكر الشيخ المهم ، وتفرد به عمران بن عصام الضبي أبو حمارة البصرى ، إمام مسجد بني ضبيعة وهو والد أبي جهمرة نصر بن عمران الضبي . روى عنه قتادة ، وابنه أبو جهمرة ، والمثنى بن سعيد ، وأبو التياح يزيد ابن حميد (٣) . وذكره ابن حبان في كتاب الثقات ، وذكره خليفة بن خياط في التابعين من أهل البصرة ، وكان شريفا [نبيلاً] حظيا عند الحجاج بن يوسف ، ثم قتله يوم الزاوية (٤) سنة ثلاث (٥) وثمانين لخروجه مع ابن الأشعث ، وليس له عند الترمذى سوى هذا الحديث الواحد . وعندى أن وقفه على عمران بن حصين أشبه ، والله أعلم .

ولم يجزم ابن جرير بشيء من هذه الأقوال في الشفع والوتر .

وقوله : (والليل إذا يسر) - قال العوفي ، عن ابن عباس : أى إذا ذهب .

وقال عبد الله بن الزبير : (والليل إذا يسر) : حتى يذهب بعضه بعضا ،

وقال مجاهد ، وأبو العالية ، وفتادة ، ومالك ، عن زيد بن أسلم وابن زيد : (والليل إذا يسر) : إذا سار

(١) تفسير الطبرى : ١٠٩٣/٥ .

(٢) تحفة الأحوذى ، تفسير سورة الفجر ، الحديث ٣٤٠٠ : ٢٦٦/٩ - ٢٦٧ .

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٣٠٠/١/٣ .

(٤) انظر خبر هذا اليوم في مروج الذهب للمسعودى : ١٠٢/٢ .

(٥) كذا ، وفي طبقات خليفة بن خياط ، ط بغداد ، ٢٠٤ : سنة أربع وأربعين وثمانين .

وهذا يمكن حمله على ما قال ابن عباس ، أى : ذهب . ويحتمل أن يكون المراد إذا سار ، أى : أقبل . وقد يقال : إن هذا أنسب ، لأنه في مقابلة قوله (والفجر) ، فإن الفجر هو إقبال النهار وإدبار الليل ، فإذا حمل قوله : (والليل إذا يسر) ، على إقباله كان قسماً بإقبال الليل وإدبار النهار ، وبالعكس ، كقوله (والليل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس (١)) . وكذا قال الضحاك : (إذا يسر) ، أى : يجرى .

وقال عكرمة : (والليل إذا يسر) ، يعنى : ليلة جمعة (٢) . رواه ابن جرير (٣) ، وابن أبي حاتم .

ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عظام ، حدثنا أبو عامر ، حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو قال : سمعت محمد بن كعب القرظي ، يقول في قوله : (والليل إذا يسر) ، قال : اسر يا سار ولا تبين إلا بجمع .

وقوله : (هل في ذلك قسم لذي حجر) ، أى : لذي عقل ولب وحجاء ؛ وإنما سمي العقل حجراً لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال ، ومنه حجراً البيت لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامي . ومنه حجر الياقة ، وحجراً الحياكم على فلان : إذا منعه التصرف ، (ويقولون حجراً محجوراً (٤)) ، بكل هذا من قبيل واحد ، ومعنى متقارب ، وهذا القسم هو بأوقات العبادة ، وبنفس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التي يتقرب بها المتقون المطيعون له ، الخائفون منه ، المتواضعون لديه ، الخاشعون لوجهه الكريم .

ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ؟) ، وهؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين ، خارجين عن طاعته مكذبين لرسله ، جاحدين لكتبه ، فذكر تعالى كيف أهلكتهم ودمرهم . وجعلهم أحاديث وعبراً ، فقال : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العباد ؟) : وهؤلاء عاد الأولى ، وهم أولاد عاد ابن إرم بن عوص (٥) بن سام بن نوح ، قاله ابن إسحاق وهم الذين بعث [الله] فيهم رسوله هودا عليه السلام فكذبوه وخالفوه ، فأبجأه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم ، وأهلكهم بريح صرصر عاتية ، (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما . فترى القوم فيها صرعى . كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية (٦) ؟) . وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ما موضع ، ليعتبر بمصرعهم المؤمنون .

فقوله تعالى : (إرم ذات العباد) : عطف بيان ؛ زيادة تعريف بهم .

وقوله : (ذات العباد) لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعير التي ترفع بالأعمدة الشداد ، وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقة وأقوامهم بطشا ، ولهذا ذكروهم [هود] بتلك النعمة وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم ، فقال : (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ، وزادكم في الخلق بسطة ، فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا

(١) سورة التكوير ، آية : ١٧ - ١٨ .

(٢) يعنى ليلة المزدلفة .

(٣) تفسير الطبري : ١١٠/٣٠ .

(٤) سورة الفرقان ، آية : ٢٢ .

(٥) في سيرة ابن هشام ٧/١ : « عوص بن إرم بن سام » . وما في تفسير الطبري ١١١/٣٠ يوافق ما هنا .

(٦) سورة الحاقة ، الآيات : ٧ - ١٠ .

في الأرض مقسدين (١) : وقال تعالى : (فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق ، وقالوا : من أشد منا قوة ؟ أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة (٢)) . وقال هاهنا : (التي لم يخلق مثلها في البلاد) ، أي : القبيلة التي لم يخلق مثلها في بلادهم ، لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم .

قال مجاهد : إرم : أمة قديمة (٣) . يعنى عادا الأولى ، كما قال قتادة بن دعامة ، والسدتي : إن إرم بيت مملكة عاد . وهذا قول حسن جيد قوى .

وقال مجاهد ، و قتادة ، والكوفي في قوله : (ذات العاد) كانوا أهل حمود لا يقيمون : (٤)

وقال العوفي ، عن ابن عباس : إنما قيل لهم (ذات العاد) لطولهم .

واختار الأول ابن جرير ، ورد الثاني فأصاب (٥) .

وقوله : (التي لم يخلق مثلها في البلاد) : أعاد ابن زيد الضمير على العاد ، لارتفاعها ، وقال : بنوا عمدا بالأحقاد لم يخلق مثلها في البلاد . وأما قتادة وابن جرير فأعاد الضمير على القبيلة ، أي : لم يخلق مثل تلك القبيلة في البلاد ، يعنى في زمانهم . وهذا القول هو الصواب ، وقول ابن زيد ومن ذهب مذهبه ضعيف ؛ لأنه لو كان أراد ذلك لقال : التي لم يعمل مثلها في البلاد ، وإنما قال : (لم يخلق مثلها في البلاد) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث ، حدثني معاوية بن صالح ، عن حدثه ، عن المقدم ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه ذكر إرم ذات العاد فقال : « كان الرجل منهم يأتي على الصخرة فيحملها على الحى فيهلكهم » .

ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أبو الطاهر ، حدثنا أنس بن عياض ، عن ثور بن زيد الديلمي : قال : قرأت كتابا - قد سمي حيث قرأه - : أنا شداد بن عاد ، وأنا الذي رفعت العاد ، وأنا الذي شددت بدراعي نظره (٦) واحد وأنا الذي كتزت كنترا على سبعة أذرع ، لا يخرجها إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

قلت : فعلى كل قول سواء كانت العاد أبنية بنوها ، أو أعمدة بيوتهم للبدو ، أو سلاحا يقاتلون به ، أو طول الواحد منهم - فهم قبيلة وأمة من الأمم ، وهم المذكورون في القرآن في غير ما موضع ، المقرونون بتمود كما هاهنا . والله أعلم . ومن زعم أن المراد بقوله (إرم ذات العاد) مدينة إما دمشق ، كما روى عن سعيد بن المسيب وعكرمة - أو اسكندرية

(١) سورة الأعراف : آية : ٦٩ .

(٢) سورة فصلت : آية : ١٥ .

(٣) تفسير الطبري : ١١١/٣٠ .

(٤) تفسير الطبري : ١١٣/٣٠ .

(٥) قال الطبري ١١٣/٣٠ - ١١٣ : « وأشبهه الأثقال في ذلك بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال : حتى بذلك أنهم

كانوا أهل حمود سبارة ، لأن المعروف في كلام العرب من العمد : ماعد الخيام من الخشب والسوراري التي يحمل عليها البنا . »

(٦) كذا : كلمة « انظر » في المخطوطة دون نقط .

كما روى عن القُرطبي - أو غيرهما - فقيه نظر ، فإنه كيف يلتم الكلام على هذا : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد) ، إن جعل ذلك بدلا أو عطف بيان ، فإنه لا يتسق الكلام حينئذ . ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد ، وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد ، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم .

وإنما نهيت على ذلك لثلاث يُعْتَرَّ بِكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية ، من ذكر مدينة يقال لها : (إرم ذات العماد) ، مبنية بلبن الذهب والفضة ، قصورها ودورها وبساتينها ، وأن حصباها لآلىء وجواهر ، وتربها ينادق المسك ، وأبهارها سارحة ، وثمارها ساقطة ، ودورها لا أنيس بها ، وسورها وأبوابها تصفر ، ليس بها دواع ولا حبيب . وأنها تنتقل فتارة تكون بأرض الشام ، وتارة باليمن ، وتارة بالعراق ، وتارة بغير ذلك من البلاد - فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين ، من وضع بعض زنادقتهم ، ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم (١) في جميع ذلك .

وذكر الثعلبي وغيره أن رجلا من الأعراب - وهو عبد الله بن قلابة - في زمان معاوية ذهب في طلب أباعر له شردت ، فبينما هو يتيه في ابتغائها ، إذ اطلع على مدينة عظيمة لها سور وأبواب ، فدخلها فوجد فيها قريبا مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التي تقدم ذكرها ، وأنه رجع فأخبر الناس ، فذهبوا معه إلى المكان الذي قال فلم يروا شيئا .

وقد ذكر ابن أبي حاتم قصة (إرم ذات العماد) ها هنا مطولة جدا ، فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها ، ولو صح إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك ، أو أنه أصابه نوع من الهوس والخيال ، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج ، وليس كذلك . وهذا مما يقطع بعدم صحته . وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمتحيلين ، من وجود مطالب تحت الأرض ، فيها قناطر الذهب والفضة ، وألوان الجواهر والياقوت والآلىء والإكسیر الكبير ، لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها ، فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء ، فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاير وعقاير ونحو ذلك من الهديات ، ويَطْسَنزُون (٢) بهم . والذي يجزم به أن في الأرض دقاتن جاهلية وإسلامية وكنوزا كثيرة ، من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله (٣) ، فأما على الصفة التي زعموها فكذب وافراء وبهت ، ولم يصح في ذلك شيء مما يقولونه إلا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم ، والله سبحانه وتعالى الهادي للصواب .

وقول ابن جرير : يحتمل أن يكون المراد بقوله (إرم) قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها فلذلك لم تُصَرَّف (٤) - فيه نظر ، لأن المراد من السياق إنما هو الإخبار عن القبيلة ، ولهذا قال بعده : (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد) ، يعني يقطعون الصخر بالوادى . قال ابن عباس : ينحتونها ويحرقونها . وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد ، ومنه يقال « مَجْتَانِي النَّمَار » . إذا حرقوها ، واجتاب النوب : إذا فتحه . ومنه الجيب أيضا . وقال الله تعالى : (وتنتحون من الجبال بيوتا فارهين (٥)) .

(١) كذا في الطبقات السابقة . وفي المخطوطة : « إن صدقهم » .

(٢) أي : يسخرون منهم .

(٣) لفظ المخطوطة : « أمكنه تحويلها على الصفة . . . » . والمثبت عن الطبقات السابقة .

(٤) تفسير الطبري : ١١٢/٣٠ .

(٥) سورة الشعراء ، آية : ١٤٩ .

وأشدد ابن جرير وابن أبي حاتم هاهنا قول الشاعر :

ألا كُئِلَ شيءٌ - ما خَلَا الله - يائداً
كَمَا بَدَأَ حَيًّا مِنْ شَيْفٍ (١) وَمَارِدٍ
هُمْ صَرَبُوا فِي كَيْلٍ صَمَاءَ صَعْدَةَ
بأيدٍ شَدَادٍ أَيْدَاتِ السَّوَاعِدِ

وقال ابن إسحاق : كانوا عرباً ، وكان منزلهم بوادي القرى . وقد ذكرنا قصة (عاد) مستقصاة في سورة «الأعراف» ، بما أغنى عن إعادته .

وقوله : (وفرعون ذى الأوتاد) - قال العوفي ، عن ابن عباس : الأوتاد : الجنود الذين يشدون له أمره ، ويقال : كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يعلقهم بها (٢) . وكذا قال مجاهد : كان يوتد الناس بالأوتاد ، وهكذا قال سعيد بن جبير ، والحسن ، والسدي . قال السدي : كان يربط الرجل ، كل قائمة من قوائمه في وتد ، ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فتشده .

وقال قتادة : بلغنا أنه كانت له مَطَالٌ وملاعب ، يلعب له تحتها ، من أوتاد وحبال .

وقال ثابت البناني ، عن أبي رافع : قيل لفرعون ذى الأوتاد ، لأنه ضرب لامرأته أربعة أوتاد ، ثم جعل على ظهرها رحي عظيمة حتى ماتت .

وقوله : (الذين طغوا في البلاد . فأكثروا فيها الفساد) ، أى : تمردوا وهتوا وعاتوا في الأرض بالإنفساد والأذية للناس ، (فصب عليهم ربك سوط عذاب) ، أى : أنزل عليهم رجزا من السماء ، وأحل بهم عقوبة لا يردّها عن القوم المجرمين .

وقوله : (إن ربك لبالمرصاد) - قال ابن عباس : يسمع ويرى .

يعنى : يرصد خلقه فيما يعملون ، ويجازى كلا بسعيه في الدنيا والأخرى ، وسيعرض الخلائق كلهم عليه ، فيحكم فيهم بعدله ، ويقابل كلا بما يستحقه . وهو المنزه عن الظلم والجور .

وقد ذكر ابن أبي حاتم هاهنا حديثا غريبا جدا - وفي إسناده نظر وفي صحته - فقال : حدثنا أبو ، حدثنا أحمد بن أبي الخوارى ، حدثنا يونس الخذاء ، عن أبي حمزة اليبساني ، عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « يا معاذ ، إن المؤمن لدى الحق أسير . يا معاذ ، إن المؤمن لا يسكن روعه ولا يأمن اضطرابه حتى يتخلف جسر جهنم خلف ظهره . يا معاذ ، إن المؤمن قيده القرآن عن كثير من شهواته ، وعن أن يهلك فيها هو ياذن الله - عز وجل - فالقرآن دليله ، والخوف محجته ، والشوق مطيته ، والصلاة كهفه ، والصوم جنته ، والصدقة فككاه ، والصدق أميره ، والحياء وزيره ، وربّه - عز وجل - من وراء ذلك كله بالمرصاد » .

(١) كذا ، وفي تفسير الطبري : « شقيق » . ولم يقع لنا .

(٢) تفسير الطبري : ١١٤/٣٠ .

قال ابن أبي حاتم : [يونس الخذاء وأبو حمزة مجهولان ، وأبو حمزة عن معاذ مرسل : ولو كان عن أبي حمزة لكان حسنا : أى : لو كان من كلامه لكان حسنا . ثم قال ابن أبي حاتم (١)] .

حدثنا أبي ، حدثنا صفوان بن صالح ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن صفوان بن عمرو ، عن أبي يعقوب بن عبد الكلاعى : أنه سمعه وهو يعظ الناس يقول : إن لجهنم سبع قناطر - قال : والصراط عليهن ، قال : فيحبس الخلائق عند القنطرة الأولى ، فيقول : (قفوهم إهم مسئولون) ، قال : فيحاسبون على الصلاة ويسألون عنها ، قال : فيهلك فيها من هلك ، وينجو من نجا . فاذا بلغوا القنطرة الثانية حوسبوا على الأمانة كيف أدوها ، وكيف خانوها ؟ قال : فيهلك من هلك وينجو من نجا . فاذا بلغوا القنطرة الثالثة سئلوا عن الرحم كيف وصلوها وكيف قطعوها ؟ قال : فيهلك من هلك وينجو من نجا . قال : والرحم يومئذ متدلّية إلى الهوى في جهنم تقول : اللهم من وصلني فصلته ، ومن قطعني فاقطعه . قال : وهى التى يقول الله - عز وجل - : (إن ربك لبالمرصاد) .

هكذا أورد هذا الأثر ، ولم يذكر تمامه ،

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْتَضِنُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثُ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ أَمْوَالَ حَيًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾

يقول تعالى منكرا على الإنسان في اعتقاده إذا وسع الله عليه في الرزق ليختبره في ذلك ، فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له وليس كذلك ، بل هو ابتلاء وامتحان . كما قال تعالى : (أحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين . نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون (٢)) . وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنته وضيّق عليه في الرزق ، يعتقد أن ذلك من الله إهانة له ، قال الله : (كلا) ، أى : ليس الأمر كما زعم ، لا في هذا ولا في هذا ، فإن الله يعطي (٣) المال من يحب ومن لا يحب ، ويضيق على من يحب ومن لا يحب ، وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحائنين ، إذا كان غنيا بأن يشكر الله على ذلك ، وإذا كان فقيرا بأن يبصر .

وقوله : (بل لا تكرمون اليتيم) ، فيه أمر بالإكرام له ، كما جاء في الحديث الذى رواه عبد الله بن المبارك عن سعيد بن [أبى] أيوب ، عن يحيى بن [أبى] سليمان ، عن زيد بن أبى عتاب ، عن أبى هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : « خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يسمأ إليه - ثم قال (٤) باصبه - أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » .

(١) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة .

(٢) سورة « المؤمنون » ، آية : ٥٥ - ٥٦ .

(٣) هذا مقتبس من حديث رواه الإمام أحمد ، وقد أخرجه عند آتى « المؤمنون » المتقدمين ، انظر : ٧٣/٥ .

(٤) أى : أشار .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان ، أخبرنا عبد العزيز - يعنى ابن أبى حازم - حدثنى أبى ، عن سهل - يعنى ابن سعيد - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة » . وقرن بين إصبعيه : الوسطى والى تلى الإبهام (١) .

(ولا تحاضون على طعام المسكين) ، يعنى : لا يأمرن بالإحسان إلى الفقراء والمساكين ، ويحث بعضهم على بعض فى ذلك ، (وتأكلون التراث) يعنى الميراث (أكلألا) ، أى : من أى جهة حصل لهم ، من حلال أو حرام ، (وتحبون المال حبا جما) ، أى : كثيرا - زاد بعضهم : فاحشا .

كَلَّا إِذَا دُمِّتِ الْأَرْضُ دَكَا دَكًا ﴿١١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿١٢﴾ وَجِئْنَا بِبُيُوتِهِمْ بِبُيُوتٍ
يَسْتَدْكُرُ الْإِنْسَانُ وَإِنَّا لَهُ الْدَّكْرَى ﴿١٣﴾ يَقُولُ يَلِيَّتَنِي قَدِمْتُ لِحَيَاتِي ﴿١٤﴾ فَبُيُوتِهِمْ لَا يَعُدُّ عَدَابَهُمْ أَحَدٌ
﴿١٥﴾ وَلَا يُؤْتِيهِمْ نَوَاقِفُهُمْ أَحَدٌ ﴿١٦﴾ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿١٧﴾ أَرْجِعْنِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرَضِيَةً ﴿١٨﴾
فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿١٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٢٠﴾

نجر تعالى عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة ، فقال : (كلا) ، أى : حقا (إذا دكت الأرض دكا دكا) ، أى : وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال ، وقام الخلائق من قبورهم لرهبهم ، (وجاء ربك) ، يعنى لفصل القضاء بين خلقه ، وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق محمد - صلى الله عليه وسلم - بعد ما يسألون أولى العزم من الرسل واحداً بعد واحد ، فكلهم يقول : لست بصاحب ذاكم ، حتى تنتهى النوبة إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - فيقول : «أنا لها ، أنا لها» . فيذهب فيشفع عند الله فى أن يأتى لفصل القضاء فيشفعه الله فى ذلك ، وهى أول الشفاعات ، وهى المقام المحمود ، كما تقدم بيانه فى سورة «سبحان» (٢) ، فيجىء الرب تعالى لفصل القضاء كما يشاء ، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفًا صفوفًا .

وقوله : (وجيء ببيوتهم) - قال الإمام مسلم بن الحجاج فى صحيحه : حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، عن حدثنا أبى ، عن العلاء بن خالد الكاهلى ، عن شقيق ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «بوتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» (٣) .

وهكذا رواه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى ، عن عُمَرُ بن حفص ، به ، ورواه أيضا عن عبد بن حميد عن أبى عامر ، عن سفيان الثورى ، عن العلاء بن خالد ، عن شقيق بن سلمة - وهو أبو وائل - عن عبد الله بن مسعود ، قوله ولم يرفعه (٤) . وكذا رواه ابن جرير ، عن الحسن بن عرفة ، عن مسروان بن معاوية الفزارى ، عن العلاء ابن خالد ، عن شقيق ، عن عبد الله ، قوله (٥) .

(١) سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب «فى ضم اليتيم» .

(٢) انظر تفسير الآية التاسعة والستين من سورة الإسراء : ١٠٠/٥ - ١٠٨ .

(٣) مسلم ، كتاب الجنة ، باب «فى شدة حر نار جهنم وبعد قعرها ، وما تأخذ من المذنبين» : ١٤٩/٨ .

(٤) تحفة الأحوذى ، أبواب صفة جهنم ، باب «ما جاء فى صفة النار» ، الحديث ٢٦٩٨ ، ٢٦٩٩ : ٢٩٤/٧ - ٢٩٥ .

(٥) تفسير الطاهر : ١٧٠/٣٠ .

وقوله : (يومئذ يتذكر الإنسان) ، أى : عمله وما كان أسلفه في قديم الدهر وحديثه ، (وأنى له الذكرى) ، أى : وكيف تنفعه الذكرى ؟ (يقول : يا ليتني قدمت حياتي) ، يعنى يندم على ما كان سلف منه من المعاصي - إن كان عاصياً - ويود لو كان ازداد من الطاعات - (إن كان طائعاً) - كما قال الإمام أحمد بن حنبل :

حدثنا علي بن إسماعيل ، حدثنا عبد الله - يعنى ابن المبارك - حدثنا ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن جبير بن نفير ، عن محمد بن [أبي عميرة] (١) - وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : لو أن عبداً خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت [هَرَمًا] (٢) في طاعة الله ، لحقَّ قَرَبَهُ يوم القيامة ، ولودَّ أنه يُرَدُّ إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب (٣) .

ورواه [بحر بن سعد] (٤) ، عن خالد بن معدان ، عن عتبة بن عبد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) ، قال الله تعالى : (فيومئذ لا يعذب يعذبه أحد) ، أى : ليس أحد أشدَّ عذاباً من تعذيب الله من عصاه ، (ولا يوثق وثاقه أحد) ، أى : وليس أحد قبضاً ووثقاً من الزبانية لمن كفر بربه عز وجل ، هذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين ، فأما النفس الزكية المطمئنة وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها : (يا أيها النفس المطمئنة . ارجعي إلى ربك) ، أى : إلى جوارده وثوابه وما أعد لعباده في جنته ، (راضية) ، أى : في نفسها (مرضية) ، أى : قد رضيت عن الله ورضى عنها وأرضاهما ، (فادخلي في عبادي) ، أى : في جملتهم ، (وادخلي جنتي) . وهذا يقال لها عند الاحتضار ، وفي يوم القيامة أيضاً ، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره ، وكذلك هاهنا ، ثم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية ، فروى الضحاك ، عن ابن عباس : نزلت في عثمان بن عفان . وعن بُرَيْدَةَ بن الحَصْبِيِّ : نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه

وقال العوفي ، عن ابن عباس : يقال للأرواح المطمئنة يوم القيامة : (يا أيها النفس المطمئنة . ارجعي إلى ربك) ، يعنى صاحبك ، وهو بدمها الذي كانت تعمره في الدنيا ، (راضية مرضية) .

وروى عنه أنه كان يتقرؤها : (فادخلي في عبدي وادخلي جنتي) . وكذا قال عكرمة والكلبي ، واختاره ابن جرير (٦) ، وهو غريب ، والظاهر الأول ، لقوله : (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) (٧) (وأن مردنا إلى الله) (٨) أى : إلى حكمه والوقوف (٩) بين يديه .

(١) في المخطوطة : « محمد بن حمزة » . والمثبت عن المسند ، وأسد الغابة : ١٠٨/٥ ، بتحقيقنا .

(٢) ما بين القوسين عن المسند وأسد الغابة .

(٣) مسند الإمام أحمد : ١٨٥/٤ .

(٤) في المخطوطة : « وقال » وبمده بياض . والمثبت عن المسند ، وانظر أسد الغابة أيضاً : ١٠٩/٥ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ١٨٥/٤ .

(٦) انظر تفسير الطبري : ١٢٢/٣٠ - ١٢٣ .

(٧) سورة الأنعام ، آية : ٦٣ .

(٨) سورة غافر ، آية : ٤٣ .

(٩) في المخطوطة : « كان » . والمثبت عن المسند ، وانظر أسد الغابة أيضاً : ١٠٨/٥ ، بتحقيقنا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي ، حدثني أبي : عن أبيه ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : (يا أيها النفس المطمئنة) أرجعي إلى ربك راضية مرضية) ، قال : نزلت وأبو بكر جالس ، فقال : يا رسول الله ، ما أحسن هذا ، فقال : « أما إنه يقال لك هذا » .

ثم قال : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن سعيد بن جبير قال : قرأت عند النبي - صلى الله عليه وسلم - : (يا أيها النفس المطمئنة . أرجعي إلى ربك راضية مرضية) ، فقال أبو بكر - رضي الله عنه - : إن هذا لحسن . فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أما إن الملك سيقول لك هذا عند الموت » .
وكذا رواه ابن جرير ، عن أبي كريب ، عن ابن يمان ، به . وهذا مرسل حسن (١) .

ثم قال ابن أبي حاتم : وحدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا مروان بن شجاع الجزري ، عن سالم الأقطس ، عن سعيد بن جبير قال : مات ابن عباس بالطائف ، فجاء طير لم ير على خلقه ، فدخل نعشه ، ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تكلمت هذه الآية على شفير القبر ، ما يدري من تلاها : (يا أيها النفس المطمئنة . أرجعي إلى ربك راضية مرضية . فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) .

رواه الطبراني عن عبد الله بن أحمد عن أبيه ، عن مروان بن شجاع ، عن سالم بن عجلان الأقطس ، به فذكره .

وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر الهروي - المعروف بشكّر - في كتاب العجائب بسنده عن قباث بن رزين أن هاشم قال : أسرت في بلاد الروم ، فجمعنا الملك وعرض علينا دينه ، على أن من امتنع ضربت عنقه . فارتد ثلاثة ، وجاء الرابع فامتنع ، فضربت عنقه ، وألقي رأسه في نهر هناك ، فرسب في الماء ثم طفا على وجه الماء ، ونظر إلى أولئك الثلاثة فقال : يا فلان ، ويا فلان ، ويا فلان - يناديهم بأسمائهم - قال الله تعالى في كتابه : (يا أيها النفس المطمئنة ، أرجعي إلى ربك راضية مرضية . فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) . ثم غاص في الماء ، فكادت النصارى أن يسلموا ، ووقع (٢) سرير الملك ، ورجع أولئك الثلاثة إلى الإسلام - قال : وجاء القداء من عند الخليفة أبي جعفر المنصور فخلصنا .

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة رواحة بنت أبي عمرو الأوزاعي ، عن أبيها : حدثني سليمان بن حبيب المخاربي ، حدثني أبو أمامة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لرجل : « قل : اللهم ، إني أسألك نفسا بك مطمئنة ، تؤمن بقرآنك ، وترضى بقضائك ، وتقع بعطائك » .

ثم روى عن أبي سليمان بن زبير أنه قال : حديث رواحة هذا واحد أمه .

آخر تفسير سورة الفجر ، والله الحمد

(١) تفسير الطبري : ١٢٢/٣٠ .

(٢) في المخطوطة : « ووقع سرير الملك » .

تفسير سورة البلد

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾
أَلَيْسَ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴿٦﴾ أَلَيْسَ أَنْ لَرِيرُهُ وَ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ
عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

هذا قسم من الله - عز وجل - بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حالاً ؛ لينبه على عظمة قدرها في حال
إحرام أهلها ؛

قال خصيف ، عن مجاهد (لا أقسم بهذا البلد) : لا ؛ رد عليهم ؛ أقسم بهذا البلد ،

وقال شيبب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ (لا أقسم بهذا البلد) ، يعني مكة ، (وأنت حل بهذا البلد) ؛
قال : أنت - يا محمد - محل لك أن تتناول به وكذا روى عن سعيد بن جببر ، وأبي صالح ، وعطية ، والضحاك ،
وقنادة ، والسدي ، وابن زيد (١) .

وقال مجاهد : ما أصبت فيه فهو حلال لك ؛

وقال قنادة : (وأنت حل بهذا البلد) ، قال : أنت به من غير حرج ولا إثم ؛

وقال الحسن البصري : أحلها الله له ساعة من نهار ؛

وهذا المعنى الذى قالوه قد ورد به الحديث المتفق على صحته : « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ،
فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يُعصَد شجره ولا يُختل دخلاه (٢) ؛ وإنما أحلت لى ساعة من نهار ، وقد عادت
حرمتها اليوم كحرمتها بالأمن ، ألا فليبلغ الشاهد الغائب » . وفى لفظ : « فان أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا ؛
إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم (٣) » .

(١) انظر تفسير الطبرى : ١٢٤/٣٠ .

(٢) أى : لا يقطع شجرة . والخلا : النبات الرطب الرقيق ما دام رطباً ، واختلاؤه : قطعه .

(٣) البغارى ، كتاب العلم ، باب ليبلغ الشاهد منكم الغائب : ٣٧/١ . ومسلم ، كتاب الحج ، باب « محرم مكة

وصيدها وخلاها وشجرها ولقطها إلا لمنشد على البوام » : ١٠٩/٤ .

وقوله : (ووالد وما ولد) - قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن عطية ، عن شريك ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : (ووالد وما ولد) ، الوالد : الذي يلد ، وما ولد : العاقر الذي لا يولد (١) له .

ورواه ابن أبي حاتم ، من حديث شريك - وهو ابن عبد الله القاضي - به .

وقال عكرمة : الوالد : العاقر ، وما ولد : الذي يلد . رواه ابن أبي حاتم ،

وقال مجاهد ، وأبو صالح ، وقتادة ، والضحاك ، وسفيان الثوري ، وسعيد بن جبيرة ، والسدي ، والحسن البصري ، وخصيف ، وشرحبيل بن سعد وغيرهم : يعنى بالوالد آدم ، وما ولد ولده .

وهذا الذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه حسن قوي ؛ لأنه تعالى لما أقسم بأب القري وهي المساكن أقسم بعده بالمساكن ، وهو آدم أبو البشر وولده .

وقال أبو عمران الجوني : هو إبراهيم وذريته ، رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ،

واختار ابن جرير أنه عام في كل والد وولده . وهو محتمل أيضا .

وقوله : (لقد خلقنا الإنسان في كبد) : روى عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وإبراهيم النخعي ، وخيشمة ، والضحاك ، وغيرهم : يعنى منتصبا - زاد ابن عباس في رواية عنه - في بطن أمه .

والكبد : الاستواء والاستقامة . ومعنى هذا القول : لقد خلقنا الإنسان سويا مستقيما كقوله : (يا أيها الإنسان ، ما غرك بربك الكريم : الذي خلقك فسواك فعدلك (٢)) وكقوله : (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم (٣))

وقال ابن جريج وعطاء ، عن ابن عباس : في كبد ، قال : في شدة خلق ، ألم تر إليه ... وذكر مولده ونبات أسنانه (٤) .

وقال مجاهد : (في كبد) : نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة يتكبد في الخلق - قال مجاهد : وهو كقوله : (حملته أمه كرها ووضعته كرها) ، وأرضعته كرها ، ومعيشته كره ، فهو يكابد ذلك .

وقال سعيد بن جبيرة : (لقد خلقنا الإنسان في كبد) : في شدة وطأسي معيشة : وقال عكرمة : في شدة وطول ، وقال قتادة : في مشقة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عاصم ، حدثنا أبو عاصم ، أخبرنا عبد الحميد بن جعفر ، سمعت محمد بن علي أبا جعفر الباقر سأل رجلا من الأنصار عن قول الله : (لقد خلقنا الإنسان في كبد) ، قال : في قيامه واعتداله . فلم ينكر عليه أبو جعفر .

(١) تفسير الطبري : ١٢٥/٢٥ .

(٢) سورة الانقطار ، آية : ٧/٦ .

(٣) سورة التين ، آية : .

(٤) تفسير الطبري : ١٢٦/٢٥ .

وروى من طريق أبي مودود (١) : سمعت الحسن قرأ هذه الآية : (لقد خلقنا الإنسان في كبد) ، قال : يكابد
أمر من أمر الدنيا ، وأمر من أمر الآخرة - وفي رواية : يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة .

وقال ابن زيد : (لقد خلقنا الإنسان في كبد) ، قال : آدم خلق في السماء ، فسُمِّي ذلك الكبد .

واختار ابن جرير أن المراد مكابدة الأمور ومشاقها .

وقوله : [(أحسب أن لن يقدر عليه أحد) ، قال الحسن البصري : يعنى (٢)] (أحسب أن لن يقدر عليه أحد)
[يأخذ (٢)] ماله .

وقال قتادة : (أحسب أن لن يقدر عليه أحد) ، قال : ابن آدم يظن أن لن يُسأل عن هذا المال : من أين اكتسبه ؟
وأين أنفقه ،

وقال السدي : (أحسب أن لن يقدر عليه أحد) ؟ قال : الله عز وجل .

وقوله : (يقول : أهلك ما لا لبدا) ، أى : يقول ابن آدم : أنفقت ما لا لبدا ، أى : كثيرا . قاله مجاهد ،
وقتادة ، والسدي ، وغيرهم .

(أحسب أن لم يره أحد) - قال مجاهد : أى أحسب أن لم يره الله عز وجل : وكذا قال غيره من السلف .

وقوله : (ألم نجعل له عينين) ، أى : يبصر بهما ، (ولسانا) ، أى : ينطق به ، فيعبّر عما في ضميره ، (وشفتين)
يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام ، وجمالا لوجهه ووجهه .

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي الربيع الدمشقي ، عن مكحول قال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم :-
« يقول الله تعالى : يا ابن آدم ، قد أنعمت عليك نعماً عظيماً لا تحصى عددها ولا تطيق شكرها ، وإن مما أنعمت عليك أن
جعلت لك عينين تنظر بهما ، وجعلت لهما [غطاءً] ، فانظر بعينيك إلى ما أحلت لك ، وإن رأيت ما حرمت عليك
فأطبق عليهما [غطاءهما] . وجعلت لك لساناً ، وجعلت له غلافاً ، فانطق بما أمرتك وأحلت لك ، فإن عرّضت لك
ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك . وجعلت لك فرجا ، وجعلت لك ستراً ، فأصب بفرجك ما أحلت لك ، فإن
عرّضت لك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك . يا ابن آدم ، إنك لا تحمل سخطى ، ولا تطيق انتقامى . »

(وهدياته التجدين) - قال سفيان الثوري ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - : (وهدياته
التجدين) ، قال : الخير والشر . وكذا روى عن علي ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبي وائل ، وأبي صالح ،
ومحمد بن كعب ، والضحاك ، وعطاء الخراساني في آخرين .

(١) هو بحر بن موسى . روى عن الحسن . روى عنه الثوري . انظر ترجمته في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٤١٩/١/١

(٢) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة .

وقال عبد الله بن وهب : أخبرني ابن لبيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « هما نجدان ، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير » .

تفرد به سنان بن سعد - ويقال : سعد بن سنان - وقد وثقه ابن معين (١) . وقال الإمام أحمد والنسائي والجوزجاني : منكر الحديث ، وقال أحمد : تركت حديثه لاضطرابه . وروى خمسة عشر حديثا منكرا كلها ، ما أعرف منها حديثا واحدا . يشبه حديثه حديث الحسن - يعني البصري - لا يشبه حديث أنس .

وقال ابن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن أبي رجاء قال : سمعت الحسن يقول : (وهديناه النجدين) قال : ذكر لنا أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول : « يا أيها الناس ، إنهما النجدان ، نجد الخير ونجد الشر » ، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير » .

وكذا رواه حبيب بن الشهيد ، ويونس بن عبيد ، وأبو وهب ، عن الحسن مرسلا . وهكذا أرسله قتادة :

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا عيسى بن عقال ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله : (وهديناه النجدين) ، قال : التئدين .

وروى عن الربيع بن خثيم ، وقتادة وأبي حازم ، مثل ذلك . ورواه ابن جرير عن أبي كريب ، عن وكيع ، عن عيسى بن عقال ، به (٢) ثم قال : والصواب القول الأول .

ونظير هذه الآية قوله : (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه ، فجعلناه سميعا بصيرا . إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا (٣)) .

فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكَّرْتَهُ رَيْبَ ٱلْغَيْبِ ﴿١٣﴾ أَوِ اطَّعِمْنِي فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾
يَتَّبِعُنِي بِرِجْلَيْ مَرْبُوبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾
أُو۟لَئِكَ أَصْحَابُ ٱلسَّيْمَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَعْبَأُونَ بِٱلنَّارِ ٱلْمَشْعَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾

قال ابن جرير : حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد ، حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية (٤) عن ابن عمر في قوله : (فلا اقتحم العقبة) ، قال : جبل في جهنم (٥) .

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/١٠١/٢٠٥١ .

(٢) تفسير الطبري ٣٠/١٢٨ .

(٣) سورة الإنسان ، آية : ٢ - ٣ .

(٤) في المخطوطة : « عن أبي عطية » . والمثبت عن تفسير الطبري . والتأنيب ، ترجمة عطية بن سعد الصوفي : ٧/٢٢٤ -

(٥) في المخطوطة : « جبل في جهنم أزل » . وكلمة « أزل » هذه غير ثابتة في الدر المنثور : ٦/٢٥٤ .

وقال كعب الأخبار : (فلا اقتحم العقبة) : هو سبعون درجة في جهنم . وقال الحسن البصري : (فلا اقتحم العقبة) ، قال : عقبة في جهنم ، وقال قتادة : إنها قحمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله عز وجل . وقال قتادة (١) (وما أدراك ما العقبة ؟) : ثم أخبر عن اقتحامها (٢) فقال (فك رقبة أو إطعام)

وقال ابن زيد : (اقتحم العقبة) ، أي : أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير : ثم بينها فقال : (وما أدراك ما العقبة . فك رقبة . أو إطعام) .

قرئ (فك رقبة) بالإضافة ، وقرئ على أنه فعل ، وفيه ضمير الفاعل والرقبة مفعوله . وكلتا القراءتين معناهما متقارب .

قال الإمام أحمد : حدثنا علي (٣) بن إبراهيم ، حدثنا عبد الله - يعني ابن سعيد بن أبي هند - عن إسماعيل بن أبي حكيم - مولى آل الزبير - عن سعيد بن مرجانة : أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب (٤) منها إرباً منه من النار ، حتى إنه ليعتق باليد اليد ، وبالرجل الرجل ، وبالفرج الفرج » : فقال علي بن الحسين : أنت سمعت هذا من أبي هريرة ؟ فقال سعيد : نعم . فقال علي بن الحسين لغلام له : - أفره (٥) غلامه - ادع مطرفاً . فلما قام بين يديه قال : اذهب فأنت حر لوجه الله (٦) .

وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ، من طرق ، عن سعيد بن مرجانة ، به . وعند مسلم أن هذا الغلام الذي أعتقه علي بن الحسين زين العابدين كان قد أعطى فيه عشرة آلاف درهم (٧) .

وقال قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة ، عن أبي نجيح قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : أيما مسلم أعتق رجلاً مسلماً ، فإن الله جاعل وفاء كل عظم من عظامه عظماً من عظام محرره من النار ، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فإن الله جاعل وفاء كل عظم من عظامها عظماً من عظامها من النار .

رواه ابن جرير هكذا . وأبو نجيح هذا هو عمرو بن عبسة السلمي ، رضي الله عنه (٨) .

(١) في المخطوطة : « وقال قتادة وقوله (وما أدراك . .) . فحذفنا كلمة « وقوله » .

(٢) في المخطوطة : « ثم فسر عن اقتحامها » . والمنبت عن الطبقات السابقة .

(٣) كذا في المسند ، وفي رواية أخرى ٢/٢٠٤ : « حدثنا مكين بن إبراهيم » .

(٤) أي : عضو .

(٥) أي حسن الوجه .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٢/٢٢٢ .

(٧) البخاري ، كتاب الكفارات ، باب قول الله تعالى : (أو تحرير رقبة) : ١٨١/٨ . ومسلم ، كتاب المتق ، باب « فضل المتق » : ٢١٧/٤ - ٢١٨ . وتحفة الأحوذى ، أبواب النذور ، باب « في ثواب من أعتق رقبة » ، الحديث ١٥٨١ : ١٤٤/٥ - ١٤٦ .

(٨) تفسير الطبري : ٣/٢٩٩ .

قال الإمام أحمد : حدثنا حيوة بن شريح ، حدثنا بنية ، حدثني بحير بن سعد ، عن محالة بن معدان ، عن كثير ابن مرة ، عن عمرو بن عبسة : أنه حدثهم : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « من بنى مسجداً ليذكر الله فيه ، بنى الله له بيتاً في الجنة » ومن أعتق نفساً مسلمة ، كانت فديته من جهنم ، ومن شاب شيبة في الإسلام ، كانت له نورا يوم القيامة (١) .»

طريق أخرى ، قال أحمد : حدثنا الحكم بن نافع ، حدثنا حريز ، عن مسلم بن عامر : أن شرحبيل بن السمط قال لعمر بن عبسة : حدثنا حديثاً ليس فيه تزويد ولا نسيان : قال عمرو : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أعتق رقبة مسلمة كانت فكأكه من النار ، عضوا بعضو ، ومن شاب شيبة في سبيل الله ، كانت له نورا يوم القيامة » ومن روى بهم فيلغ فأصاب أو أخطأ ، كان كمتعق رقبة من بني إسماعيل (٢) .»
وروى أبو داود ، والنسائي بعضه (٣) .

طريق أخرى ، قال أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا الفرج ، حدثنا لقمان ، عن أبي أمامة عن عمرو بن عبسة : قال السلمي : قلت له : حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليس فيه انتقاص ولا وهم : قال : سمعته يقول : « من ولد له ثلاثة أولاد في الإسلام فاتوا قبل أن يبلغوا الحنث ، أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم » ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة ، ومن رمى بسهم في سبيل الله ، بلغ به العدو ، أصاب أو أخطأ ، كان له عتق رقبة . ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار ، ومن أنفق زوجين في سبيل الله ، فإن للجنة ثمانية أبواب ، يدخله الله من أي باب شاء منها »
وهذه أسانيد جيدة قوية ، والله الحمد .

حديث آخر ، قال أبو داود : حدثنا عيسى بن محمد الرملي ، حدثنا ضمرة ، عن ابن أبي عبلة ، عن الغريفة ابن الديلمي قال : أتينا وائلة بن الأسقع فقلنا له : حدثنا حديثاً ليس فيه زيادة ولا نقصان . فغضب وقال : إن أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته ، فيزيد وينقص . قلنا : إنما أردنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : أتينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في صاحب لنا قد أوجب - يعني النار - بالقتل ، فقال : « أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار (٤) » .

وكذا رواه النسائي من حديث إبراهيم بن أبي عبلة ، عن العريفة بن عياش الديلمي ، عن وائلة ، به .

حديث آخر ، قال أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن قيس الجذلي ، عن عتبة بن عامر الجهني : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من أعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار (٥) » .

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٨٦/٤ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١١٣/٤ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب العتاق ، باب « أي الرقاب أفضل » .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب العتاق ، باب « في ثواب المعتق » .

(٥) مسند الإمام أحمد : ١٥٠/٤ .

وحدثنا عبد الوهاب الخفاف ، عن سعيد ، عن قتادة قال : ذكر أن قيسا الجذامي حدث عن هبة بن عامر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار (١) » .
تفرد به أحمد من هذا الوجه .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم وأبو أحمد قالا : حدثنا عيسى بن عبد الرحمن البجلي - عن بني هبيلة - من بني سليم - عن طلحة - قال أبو أحمد : حدثنا طلحة بن مصرف - عن عبد الرحمن بن عوسجة ، عن البراء بن عازب قال : جاء أعراب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، علمني عملا يدخلني الجنة ، فقال : « لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة . أعتق النسيئة ، وفك الرقبة » . فقال : يا رسول الله ، أو ليستا بواحدة؟ قال : « لا ، إن عتق النسيئة أن تفرد بعقبتها ، وفك الرقبة أن تعين في عقبتها . والمنحة الكوف (٢) ، والتي على ذي الرحم الظالم ، فإن لم تطيق ذلك فأطعم الجائع ، واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن النكر ، فإن لم تطيق ذلك فكف لسائلك إلا من الخبز (٣) » .

وقوله : « أو إطعام في يوم مسغبة » - قال ابن عباس : ذي مجاعة ، وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والضحاك ، وقاتدة ، وغير واحد ، والسغب : هو الجوع .

وقال إبراهيم التيمي : في يوم الطعام فيه عزيز .

وقال قتادة : في يوم [يشتهي] فيه الطعام (٤) .

وقوله : « يتيا » ، أي : أطمع في مثل هذا اليوم يتيا ، (ذا مقربة) ، أي : ذا قرابة منه ، قاله ابن عباس ، وعكرمة والحسن ، والضحاك ، والسدي . كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد :

حدثنا يزيد ، أخبرنا هشام ، عن حفصة بنت سيرين عن سلمان بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذي الرحم اثنتان ، صدقة وصلة (٥) » .

وقد رواه الترمذي والنسائي ، وهذا إسناد صحيح (٦) .

وقوله : « أو مسكينا ذا مربة » ، أي : فقيرا مدقعا لا صقما بالتراب ، وهو الدعاء أيضا .

قال ابن عباس : « ذا مربة » هو المطروح في الطريق ، الذي لا بيت له ، ولا شيء يقيه من التراب - وفي رواية : هو الذي لصق بالدعاء من الفقر والحاجة ، ليس له شيء - وفي رواية عنه : هو البعيد التربة .

(١) مسند الإمام أحمد : ١٤٧/٤ .

(٢) المنحة الكوف : غزيرة اللبن .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢٩٩/٤ .

(٤) تفسير الطبري : ١٣٠/٣٠ . وما بين القوسين عنه .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢٩٤/٤ .

(٦) تحفة الأحوذى : أبواب الزكاة ، باب « ما جاء في الصدقة على ذي القرابة » الحديث ٦٥٣ : ٢٧٤/٣ - ٢٧٥ .

وقال الترمذي : « حديث سلمان بن عامر مطيب حسن » . والنسائي : كتاب الزكاة ، باب « الصدقة على الأتارب » : ٩٢/٥ .

قال ابن أبي حاتم : معنى الغريب عن وطنه .

وقال عكرمة : هو الفقير المديون المحتاج .

وقال سعيد بن جبير : هو الذي لا أحده .

وقال ابن عباس ، وسعيد ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان : هو ذو العيال .

وكل هذه قريبة المعنى .

وقوله : (ثم كان من الذين آمنوا) ، أى : ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة ، مؤمنٌ بقلبه ، محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل . كما قال تعالى : (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ، فأولئك كان سعيهم مشكورا (١)) . وقال : (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن (٢)) ... الآية .

وقوله : (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة) ، أى : كان من المؤمنين العاملين صالحا ، المتواصين بالصبر على أذى الناس ، وعلى الرحمة بهم . كما جاء في الحديث : الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء (٣) . وفي الحديث الآخر : « لا يرحم الله من لا يرحم الناس » .

وقال أبو داود : حدثنا بن أبي شيبه ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن ابن عامر ، عن عبد الله بن عمرو - يرويه - قال : من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا ، فليس منا (٤) .

وقوله : (أولئك أصحاب الميمنة) أى : المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين .

ثم قال : (والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة) ، أى : أصحاب الشمال ، (عليهم نار مؤصدة) ، أى : مطبقة عليهم ، فلا يجيد لهم عنها ، ولا خروج لهم منها .

قال أبو هريرة ، وابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، ومحمد بن كعب القرظي ، وعطية العوفي ، والحسن ، وقتادة ، والسدي : (مؤصدة) ، أى : مطبقة - قال ابن عباس : مغلقة الأبواب . وقال مجاهد : أصل الباب بلغة [قريش] : أى أغلقه .

وسأني في ذلك حديث في سورة : (ويل لكل همزة لمرة) .

(١) سورة الإسراء ، آية : ١٩ .

(٢) سورة النحل ، آية : ٩٧ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب « في الرحمة » . وتحت الأحدثى ، أبواب البر ، باب « ما جاء في وصية

الناس ، الحديث ١٩٨٩ : ٥١/٦ . وقال الترمذي : « حسن صحيح » .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب « في الرحمة » .

وقال الضحاك : (مؤصدة) : حيط لا باب له .

وقال قتادة : (مؤصدة) : مطبقة فلا ضوء فيها ولا فُرج ، ولا خروج منها آخر الأبد .

وقال أبو عمران الجوني : إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يتخاف الناس في الدنيا شره ، فأوثقوا في الحديد ، ثم أمر بهم إلى جهنم ، ثم أوصدوها عليهم ، أي : أطبقوها - قال : فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدا ، ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم مياء أبدا ، ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبدا ، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبدا : رواه ابن أبي حاتم .

آخر تفسير ((سورة البلد)) ، والله الحمد والمنة

تفسير سورة والشمس وضحاها

وهي مكية

تقدم حديث جابر الذي في الصحيحين : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لمعاذ : لا هلا صليت بـ (سبح) اسم ربك الأعلى ، و (الشمس وضحاها) و (الليل إذا يغشى) ؟ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝ وَالسَّمَاءِ
وَمَا بَدَّنَهَا ۝ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا ۝ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ
مَنْ زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝

قال مجاهد : (والشمس وضحاها) ، أى : وضوئها . وقال قتادة : (وضحاها) ، النهار كله ؛

قال ابن جرير : والصواب أن يقال : أقسم الله بالشمس ونهارها ، لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار (١) ؛

(والقمر إذا تلاها) ، قال مجاهد : تبعها . وقال العوفي ، عن ابن عباس : (والقمر إذا تلاها) ، قال : يتلو

لنهار . وقال قتادة : (إذا تلاها) ليلة الهلال ، إذا سقطت الشمس رؤى الهلال .

وقال ابن زيد : هو يتلوها في النصف الأول من الشهر ، ثم هي تتلوه . وهو يتقدمها في النصف الأخير من الشهر ؛

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : إذا تلاها ليلة القدر ؛

وقوله : (والنهار إذا جلاها) ، قال مجاهد : أضاء . وقال قتادة : (والنهار إذا جلاها) ، إذا غشيها النهار ؛

قال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى : والنهار إذا جلا الظلمة ، لدلالة الكلام عليها .

قلت : ولو أن هذا التائل تأول بمعنى (والنهار إذا جلاها) ، أى : البسيطة ، لكان أولى ولصح قول الله :

(والليل إذا يغشاها) ، فكان أجود وأقوى ، والله أعلم . ولهذا قال مجاهد : (والنهار إذا جلاها) إنه كقوله : (والنهار

إذا تجلى) . وأما ابن جرير فاختار عود الضمير في ذلك كله على الشمس ، لجريان ذكرها . وقالوا في قوله : (والليل

إذا يغشاها) ، معنى إذا يغشى الشمس حين تغيب ، فتظلم الآفاق .

وقال بقرية بن الوليد ، عن صفوان ، حدثني يزيد بن ذي حمارة قال : إذا جاء الليل قال الرب جل جلاله : غشي عبادي خلقي العظيم ، فالليل مهابه ، والذي خلقه أحق أن يهاب . رواه ابن أبي حاتم .

وقوله : (والسماء وما بناها) : يحتمل أن تكون « ما » هاهنا مصدرية ، بمعنى : والسماء وبنائها : وهو قول قتادة ؛ ويحتمل أن تكون بمعنى « من » يعنى : والسماء وبنائها . وهو قول مجاهد ، وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع ، كقوله : (والسماء بينيها ما بأيدي) ، أى : بقوة (وإنما لموسعون . والأرض فرشناها فنعم الماهدون (١)) .

وهكذا قوله : (والأرض وما طحاها) ، قال مجاهد : (طحاها) دحاها . وقال العوفي ، عن ابن عباس ، (وما طحاها) ، أى : خلق فيها .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (طحاها) قسمها .

وقال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي ، والثوري ، وأبو صالح ، وابن زيد : (طحاها) : بسطها .

وهذا أشهر الأقوال ، وعليه الأكثر من المفسرين ، وهو المعروف عند أهل اللغة ، قال الجوهري : طحوته مثل دحوته ، أى : بسطته .

وقوله : (ونفس وما سواها) ، أى : خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمية ، كما قال تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله (٢)) . وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تولد البيهية بيهية جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ » .

أخرجاه من رواية أبي هريرة (٣) .

وفي صحيح مسلم من رواية عياض بن حمار المجاشعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم » (٤) .

وقوله : (فألمها فجورها وتقواها) ، أى : فأرشدها إلى فجورها وتقواها ، أى : بين لها ذلك ، وهداها إلى ما قدر لها .

قال ابن عباس : (فألمها فجورها وتقواها) : بين لها الخير والشر . وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والثوري .

وقال سعيد بن جبير : ألمها الخير والشر . وقال ابن زيد : جعل فيها فجورها وتقواها .

(١) سورة الذاريات ، آية : ٤٧ - ٤٨ .

(٢) سورة الروم ، آية : ٣٠ .

(٣) تقدم الحديث عند تفسير آية الروم المتقدمة : ٣٢٠/٦ ، وانظره أيضاً في : ٣٦٨/٢ ، ٢٤٥/٤ . وقد شرحنا غريبه هناك .

(٤) تقدم أيضاً عند تفسير آية الروم : ٣٢٢/٦ ، وخرجناه هناك ، وانظره أيضاً في : ٦٦/٣ .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا صفوان بن عيسى وأبو عاصم النبيل قالا : حدثنا عزرة بن ثابت ، حدثني يحيى بن عقيل ، عن يحيى بن يعمر ، عن أبي الأسود الدبلي قال : قال لي عمران بن حصين : رأيت ما يعمل فيه الناس ويتكادحون فيه ، أثنى علىهم ومضى عليهم من قدر قد سبق ، أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم - صلى الله عليه وسلم - وأكدت عليهم الحجة ؟ قلت : بل شيء قضى عليهم . قال : فهل يكون ذلك ظلما ؟ قال : ففرغت منه فرعا شديدا ، قال : قلت له : ليس شيء إلا وهو خالقُه وملئك يده ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون : قال : سددك الله ، إنما سألت لأخبر عقلك ، إن رجلا من مزينة - أو : جهينة - أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، رأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون ، أثنى علىهم ومضى عليهم من قدر قد سبق ، أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم . وأكدت به عليهم الحجة ؟ قال : « بل شيء قضى عليهم » . قال : ففيم نعمل ؟ قال : « من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يهينهها ، وتصديق ذلك في كتاب الله : (ونفس وما سواها ، ألهما فجورها وتقواها (١) » .

رواه أحمد ومسلم ، من حديث عزرة بن ثابت به (٢) .

وقوله : (قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها) : يحتمل أن يكون المعنى : قد أفلح من زكى نفسه ، أى : بطاعة الله - كما قال قتادة - وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل : ويروى نحوه عن مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد ابن جبيرة . وبقوله : (قد أفلح من زكى . وذكر اسم ربه فصل (٣) .

(وقد خاب من دساها) ، أى : دسها ، أى : أخلمها ووضع منها بخلافه إياها عن الهدى ، حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل :

وقد يحتمل أن يكون المعنى : قد أفلح من زكى الله نفسه ، وقد خاب من دسى الله نفسه ، كما قاله العوفي وعلي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي وأبو زرعة قالا : حدثنا سهل بن عثمان ، حدثنا أبو مالك - يعنى عمرو بن هشام (٤) - عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول في قول الله : (قد أفلح من زكاها) ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أفلحت نفس زكاها الله »

ورواه ابن أبي حاتم من حديث أن مالك ، به ، وجويبر : هو ابن سعيد ، مروي الحديث ، والضحاك لم يلق ابن عباس .

(١) تفسير الطبرى : ١٣٥/٣٠ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٤٣٨/٤ . ومسلم : كتاب القدر : ٤٨/٨ - ٤٩ .

القدر : ٤٨/٨ - ٤٩ .

(٣) سورة الأعلى ، آية : ١٤ - ١٥ .

(٤) في المخطوطة « يعنى عمرو بن الحارث بن هشام » . ولم نجده . والمثبت عن الجرح والتعديل ، ترجمة « عمرو بن هشام بن مالك

الجبني » : ٢٦٧/١/٤ .

وقال الطبراني : حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح ، حدثنا ابن ، حدثنا ابن لهيعة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا مر بهذه الآية : (ونفس وما سواها ، فألمها فجورها وتقواها) وقف ، ثم قال : « اللهم آت نفسي تقواها ، أنت وليها ومولاها ، وخير من زكاها » .

حديث آخر ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يعقوب بن حميد المدني ، حدثنا عبد الله بن عبد الله الأموي ، حدثنا معن بن محمد الغفاري ، عن حنظلة بن علي الأسلمي ، عن أبي هريرة قال : سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ : (فألمها فجورها وتقواها) ، قال : اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها . لم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن نافع - يعني (١) ابن عمر - عن صالح بن سعيد ، عن عائشة : أنها فقّدت النبي - صلى الله عليه وسلم - من مضجعه ، فلمسته بيدها ، فوقعت عليه وهو ساجد ، وهو يقول : « رب ، أعط نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها (٢) » : تفرد به .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عاصم الأحول ، عن عبد الله ابن الحارث ، عن زيد بن أرقم : قال كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « اللهم ، إني أعوذ بك من العجز والكسل والمهرم ، والجبن والبخل وعذاب القبر . اللهم ، آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها . اللهم ، إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، وعلم لا ينفع ، ودعوة لا يستجاب لها » قال زيد : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعلمناهن ونحن نعلمكوهن (٣) .

رواه مسلم من حديث أبي معاوية ، عن عاصم الاحول ، عن عبد الله بن الحارث - وأبي عثمان النهدي ، عن زيد ابن أرقم ، به (٤) .

كذبت تمود بطغونها ﴿١١﴾ إذ أتبعنا أشقنا ﴿١٢﴾ فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقيلها ﴿١٣﴾ فكذبوه
تعتيروها فدمدم عليهم ربهم بذنبيهم فسويلها ﴿١٤﴾ ولا يخاف عقيلها ﴿١٥﴾

يخبر تعالى عن تمود أنهم كذبوا رسولهم ، بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي .

وقال محمد بن كعب : (بطغواها) ، أي : بأجمعها .

والأول أولى ، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما . فأعقبهم ذلك تكديبا في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم من الهدى واليقين .

(١) في المخطوطة : « من نافع » عن ابن عمر . والمثبت عن المسند .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢٠٩/٦ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٣٧١/٤ .

(٤) مسلم ، كتاب الذكر ، باب « التمود من شر ما عمل » ومن شر ما لم يعمل : ٨١/٨ = ٨٢ .

(إذا انبعث أشقاها) ، أى : أشقى القبيلة ، وهو قَدَار بن سالف عافر الناقة ، وهو أحيمر ثمود ، وهو الذى قاله تعالى : (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) (١) . وكان هذا الرجل عزيزاً فيهم ، شريفاً في قومه ، نسياً رئيساً مطاعاً ، كما قال الإمام أحمد .

حدثنا ابن نمير ، حدثنا هشام ، عن ابيه ، عن عبد الله بن زَمْعَةَ قال : خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكر الناقة ، وذكر الذى عقرها ، فقال : (إذا انبعث أشقاها) : انبعث لها رجل عارم (٢) عزيز منيع في رهطه ، مثل أبى زمعة (٣) .

ورواه البخارى في التفسير ، ومسلم في صفة النار ، والترمذى والنسائى في التفسير من سننهما ، وكذا ابن جرير وابن أبى حاتم عن هشام بن عروة ، به (٤) .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثني يزيد بن محمد بن خثيم ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن محمد بن خثيم أبى يزيد عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - لعلى : « ألا أحدثك بأشقى الناس ؟ » . قال : بلى : قال « رجالان أحيمر ثمود الذى عقر الناقة ، والذى يضربك يا على على هذا - يعنى قرنه - حتى تبتل منه هذه » يعنى لحيته .

وقوله : (فقال لم رسول الله) ، يعنى : صالحاً عليه السلام : (ناقة الله) ، أى : احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء (وسقياها) ، أى : لا تعتدوا عليها فى سقياها ، فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم . قال الله : (فكذبوه فعقروها) ، أى : كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التى أخرجها الله من الصخرة آية لم وحجة عليهم ، (فدمدم عليهم ربهم بذنبهم) ، أى : غضب عليهم ، فدمر عليهم ، (فسواها) ، أى : فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء . قال قتادة : بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغره وكبيره ، وذكرهم وأنتاهم ، فلما اشترك القوم فى عقرها دمدم الله عليهم بذنوبهم فسواها (٥) .

وقوله : (ولا يخاف عقباها) . وقرئ (فلا يخاف عقباها) (٦) :

قال ابن عباس : لا يخاف الله من أحد تبعه . وكذا قال مجاهد ، والحسن ، وبكر بن عبد الله المزني ، وغيرهم . وقال الضحاك والسدى : (ولا يخاف عقباها) ، أى : لم يخف الذى عقرها عقبة ما صنع (٧) .
والقول الأول أولى ؛ لدلالة السياق عليه ، والله أعلم .

آخر تفسير « الشمس وضحاها »

- (١) سورة القمر ، آية : ٢٩ .
- (٢) أى : صمم على من يرويه ، كثير الشر .
- (٣) مسند الإمام أحمد : ١٧/٤ .
- (٤) البخارى ، تفسير سورة (الشمس وضحاها) : ٢١٠/٦ . ومسلم ، كتاب صفة الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب « النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء » : ١٥٤/٨ - ١٥٥ . وتختف الأهودى ، تفسير سورة (الشمس وضحاها) الحديث ٣٤٠١ : ٢٦٨/٩ - ٢٧٠ ، وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » . وتفسير الطبرى : ١٣٧/٣٠ .
- (٥) تفسير الطبرى : ١٣٧/٣٠ .
- (٦) هى قراءة نافع وابن عامر ، قال ابن مجاهد : « وكذلك هى فى مصاحف أهل المدينة والشام . أنظر كتاب السبعة لابن مجاهد : ٦٨٩ .
- (٧) تفسير الطبرى : ١٣٨/٣٠ .

تفسير سورة الليل

وهي مكية

تقدم قوله - عليه الصلاة والسلام - لمعاد : « فهلا صليت » (سيح اسم ربك الأعلى) ، و (الشمس وضحاها) ، و (الليل إذا يغشى) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ① وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ② وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ③ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ④ فَأَمَّا مَنْ
أَعْطَى وَاتَّقَى ⑤ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ⑥ فَسَنبَرُهُ لِلْعُسْرَى ⑦ وَأَمَّا مَنْ كَفَرَّ وَاتَّعَبَى ⑧ وَكَذَّبَ
بِالْحُسْنَى ⑨ فَسَنبَرُهُ لِلْعُسْرَى ⑩ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ⑪

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن علقمة : أنه قدم الشام فدخل مسجد دمشق ، فصلى فيه ركعتين وقال : اللهم ، ارزقني جليساً صالحاً : قال : فجلس إلى أبي الدرداء ، فقال له أبو الدرداء : ممن أنت قال : من أهل الكوفة . قال : كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ : (والليل إذا يغشى) والنهار إذا تجلَّى ؟ قال علقمة : (والذكر والأنثى) . فقال أبو الدرداء : لقد سمعتها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما زال هو لا يحى شككوا . ثم قال : ثم ألم يكن فيكم صاحب الوساد (١) ، وصاحب السر الذي لا يعلمه أحد غيره ، والذي أجبر من الشيطان على لسان النبي صلى الله عليه وسلم (٢) .

وقد رواه البخاري هاهنا ومسلم ، من طريق الأعمش ، عن إبراهيم قال : قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء ، فطلبهم فوجدهم ، فقال : أيكم يقرأ على قراءة عبد الله ؟ قالوا : كلنا ، قال : أيكم أحفظ ؟ فأشاروا إلى علقمة ، فقال : كيف سمعته يقرأ : (والليل إذا يغشى) ؟ قال (٣) (والذكر والأنثى) . قال : أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقرأ هكذا وهؤلاء يريدون (٤) أن أقرأ : (وما خلق الذكر والأنثى) ، والله لا أتابعهم (٥) .

(١) الوساد : الخلة . وفي رواية البخاري : « صاحب السواك » أو السراة . وروى في البخاري أيضاً : « صاحب الوساد » مثل ما هنا ، وتكملة الحديث في المسند : « صاحب الوساد : ابن مسعود . وصاحب السر : حذيفة . والذي أجبر من الشيطان : عمار » .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٤٤٩/٦ .

(٣) في البخاري : « قال علقمة » .

(٤) في المخطوطة : « يريدون » .

(٥) البخاري ، تفسير سورة (والليل إذا يغشى) : ٢١٠/٦ .

هذا لفظ البخارى : هكذا قرأ ذلك ابن مسعود ، وأبو الدرداء - ورفع أبو الدرداء - وأما الجمهور فقرأوا ذلك كما هو
 مثبت في المصحف الإمام العثماني في سائر الآفاق : (وما خلق الذكر والأنثى) ، فأقسم تعالى (بالليل إذا يغشى) ، أى :
 إذا غشى الخليفة بظلامه ، (والنهار إذا تجلى) ، أى : بضياؤه وإشراقه ، (وما خلق الذكر والأنثى) ، كقوله :
 (وخلقناكم أزواجاً (١)) ، وكقوله : (ومن كل شيء خلقنا زوجين (٢)) .

ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان القسم عليه أيضاً متضاداً ، ولهذا قال : (إن سعيكم لشيء) ، أى : أعمال
 العباد التي اكتسبوها متضادة أيضاً ومتخالفة ، فن فاعل خيراً ومن فاعل شراً ، قال الله تعالى : (فأما من أعطى [واتى]
 أى : أعطى] ما أمر بإخراجه ، واتى الله في أموره ، (وصدق بالحسنى) ، أى : بالمجازاة على ذلك - قاله قتادة .
 وقال خصيف : بالثواب . وقال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبو صالح ، وزيد بن أسلم : (وصدق بالحسنى (٣)
 [أى : بالخلف . وقال أبو عبد الرحمن السلمى ، والضحاك : (وصدق بالحسنى) [أى : بلا إله إلا الله وفي رواية عن
 عكرمة : (وصدق بالحسنى) ، أى : بما أنعم الله عليه . وفي رواية عن زيد بن أسلم : (وصدق بالحسنى) ، قال :
 الصلاة والزكاة والصوم . وقال مرة : صدقة الفطر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا زهير
 ابن محمد ، حدثني من سمع أبا العالية الرياحي يحدث عن أبي بن كعب قال : سألت رسول الله - صلى الله عليه
 وسلم - عن الحسن قال : « الحسنى : الجنة » .

وقوله : (فسئسره لليسرى) - قال ابن عباس : يعنى للخير . وقال زيد بن أسلم : يعنى للجنة .

وقال بعض السلف : من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها ، ولهذا قال تعالى : (وأما
 من نحل) ، أى : بما عنده ، (واستغنى) - قال عكرمة ، عن ابن عباس ، أى نحل ماله ، واستغنى عن ربه عز وجل .
 ورواه ابن أبي حاتم .

(وكذب بالحسنى) ، أى : بالجزاء في الدار الآخرة ، (فسئسره لليسرى) ، أى لطريق الشر ، كما قال تعالى :
 (وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ، ونذرهم في طغيانهم يعمهون (٤)) . والآيات في هذا المعنى كثيرة
 دالة على أن الله - عز وجل - يجازي من قصد الخير بالتوفيق له ، ومن قصد الشر بالخللان . وكل ذلك بقدر مقداره ،
 والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة .

رواية أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، قال الإمام أحمد : حدثنا علي بن عباس ، حدثني العطاء بن خالد ، حدثني
 وجل من أهل البصرة ، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، عن أبيه قال : سمعت أبي يذكر أن

(١) سورة النبا ، آية ٨ .

(٢) سورة النازعات ، آية ٤٩ .

(٣) انظر تفسير الطبري : ١٤٢/٣٠ .

(٤) سورة الأنعام ، آية ١١٥ .

أباه سمع أبا بكر وهو يقول: قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، أنعمل (١) على ما فرغ منه أو على أمر مؤتلف؟ قال: «بل على أمر قد فرغ منه». قال: فقيم العمل يا رسول الله؟ قال: «كل ميسر لما خلق له» (٢).

رواية علي رضي الله عنه، قال البخاري، حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمى، عن علي بن أبي طالب قال: كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بيع الغرقاء في جنازة، فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتبت مقعده من الجنة ومقعده من النار». فقالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل؟ فقال: «اعملوا»، فكل ميسر لما خلق (٣) له قال: ثم قرأ: (فأما من أعطى واتى وصدق بالحسنى فسيسرهُ ليسرهُ) إلى قوله: (للسرى) (٤).

وكذا رواه من طريق شعبة ووكيع، عن الأعمش، بنحوه. ثم رواه عن عثمان بن أبي شيبة، عن جرير، عن منصور، عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن، عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : كنا في جنازة في بيع الغرقاء، فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقعده وقعدنا حوله، ومعه مخصرة (٥) فنكس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: «ما منكم من أحد - أو: ما من نفس منقوسة (٦) - إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة». فقال رجل: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فمن كان منا من أهل السعادة فيصير إلى أهل السعادة، ومن كان منا من أهل الشقاء فيصير إلى أهل الشقاء؟ فقال: «أما أهل السعادة فيسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاء فيسرون إلى عمل أهل الشقاء». ثم قرأ: (فأما من أعطى واتى وصدق بالحسنى فسيسرهُ ليسرهُ) الآية (٧).

وقد أخرجه بقية الجماعة، من طرق، عن سعد بن عبيدة، به (٨).

رواية عبد الله بن عمر، وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله قال: سمعت سالم بن عبد الله يحدث عن ابن عمر: قال: قال عمر: يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه؟ أفي أمر قد فرغ أو مبتدأ أو مبتدع؟ قال: «فيما قد فرغ منه، فاعمل يا ابن الخطاب فإن كلاً ميسر، أما من كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء» (٩).

(١) في المسند: «العمل...».

(٢) مسند الإمام أحمد: ١/٥٠٦.

(٣) لفظ البخاري: «فكل ميسر» ثم قرأ...».

(٤) البخاري، تفسير سورة «والليل إذا يغشى»: ٢١١/٦.

(٥) المخصرة: ما أخذته الإنسان بيده من عصا، أو عكازة، أو مقرفة، أو قضيب، وقد يتكلم عليه، ونكس: خفض رأسه على هيئة المهوم.

(٦) أي: مولودة؛ يقال: نفست المرأة - بالبناء للمجهول - ونفست - يفتح فكسر - فهي نفاة ومنقوسة؛ وإذا ولدت.

(٧) البخاري، تفسير سورة «والليل إذا يغشى»: ٢١١/٦ - ٢١٢.

(٨) مسلم، كتاب القدر: ٤٦/٨ - ٤٧. وسنن أبي داود، كتاب السنة، باب «في القدر». و تحفة الأحوذى.

أبواب القدر، باب «ما جاء في الشقاء والسعادة»، الحديث ٢٢١٩: ٢٤٠/٦ - ٣٤١ وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وابن ماجه، المقدمة، باب «في القدر»، الحديث ٨: ٣٠/١ - ٣١.

(٩) مسند الإمام أحمد: ٥٢/٢.

ورواه الترمذى فى القدر ، عن بنادار ، عن ابن مهدي ، به وقال : « حسن صحيح (١) » .

حديث آخر من رواية جابر ، قال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله أنه قال : يارسول الله ، أنعمل لأمر قد فرغ منه ، أو لأمر نستأنفه ؟ فقال « لأمر قد فرغ منه » . فقال سراقه (٢) : فقيم العمل إذا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل عامل ميسر لعمله » (٣) .
ورواه مسلم عن أبي الطاهر ، عن ابن وهب ، به (٤) .

حديث آخر ، قال ابن جرير : حدثني يونس ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن طلق بن حبيب ، عن بشير بن كعب العدوى قال : سألت غلامان شابان النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالا : يارسول الله ، أنعمل فيما جفت به الأقدام وجرت به المقادير ، أو فى شيء يستأنف ؟ فقال : « بل فيما جفت به الأقدام وجرت به المقادير » . قال : فقيم العمل إذا ؟ قال : « اعملوا فكل عامل ميسر لعمله الذى خلق له » . قال : [فألان] نجد ونعمل (٥) .

رواية أبي الدرداء ، قال الإمام أحمد : حدثنا هيثم بن خارجة ، حدثنا أبو الربيع سليمان بن عتبة السلمى ، عن يونس بن ميسرة بن حنيس ، عن أبي إدريس ، عن أبي الدرداء قال : قالوا : يارسول الله ، أرأيت ما نعمل ، أمر قد فرغ منه أم شيء نستأنفه ؟ قال : « بل أمر قد فرغ منه » . قالوا : فكيف بالعمل يارسول الله ؟ قال : « كل امرئ مهياً لما خلق له » (٦) .

تفرد به أحمد من هذا الوجه ،

حديث آخر ، قال ابن جرير : حدثني الحسن بن سلامة بن أبي كبشة ، حدثنا عبد الملك بن عمرو ، حدثنا هبادة بن راشد ، عن قتادة ، حدثني مخلد بن العيص ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ما من يوم غربت فيه شمس إلا وبجبتبتيها ملكان يتاديان يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، وأعظ ممسكاً تلفاً » . وأنزل الله فى ذلك القرآن : (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى » وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) (٧) .

ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن ابن أبي كبشة ، باسناده مثله ،

حديث آخر ، قال ابن أبي حاتم : حدثني أبو عبد الله الطهرانى ، حدثنا حفص بن عمر العدائى ، حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن رجلاً كان له نخل ، ومنها نخلة فرعها إلى دار رجل صالح فقير ذى عيال فإذا جاء الرجل فادخل داره وأخذ الثمر من نخلته ، فتسقط الثمرة فيأخذها صبيان الفقير فتزل من نخلته فتسرخ للثمرة من أيديهم ،

(١) تحفة الأحوذى ، أبواب القدر ، باب « ما جاء فى الشقاء والسعادة » ، الحديث ٢٢١٨ : ٢٢٩٦/٦ - ٣٤٥ .

(٢) ليس لسراقه ذكر فى رواية الطبرى ، ولا فى رواية مسلم . من طريق أبي الطاهر ، وإنما هى فى رواية أخرى .

(٣) تفسير الطبرى : ١٤٤/٣٠ .

(٤) مسلم ، كتاب القدر : ٤٨/٨ .

(٥) تفسير الطبرى : ١٤٤/٣٠ ، وما بين القوسين منه .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٤٤١/٦ .

(٧) تفسير الطبرى : ١٤١/٣٥ - ١٤٢ .

وإن أدخل أحدهم الثمرة في (١) فله أدخل أصبعه في حلق الغلام ونزع الثمرة من حلقه . فشكا ذلك الرجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخبره بما هو فيه من صاحب النخلة ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : « اذهب » . ولقي النبي - صلى الله عليه وسلم - صاحب النخلة ، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - « أعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة » فقال له : لقد أعطيت ، ولكن يعجبني ثمرها ، وإن لي لنخلاً كثيراً ما فيها نخلة أعجب إلى ثمرة من ثمرها . فذهب النبي - صلى الله عليه وسلم - فتبعه رجل كان يسمع الكلام من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن صاحب النخلة ، فقال الرجل : يا رسول الله ، إن أنا أخذت النخلة فصارت لي النخلة فأعطيها أعطيتني بها ما أعطيتني بها نخلة في الجنة ؟ قال : « نعم » . ثم إن الرجل لقي صاحب النخلة ، ولكلاهما نخل ، فقال له : أخبرك أن محمداً أعطاني بنخلي المائة في دار فلان نخلة في الجنة ، فقالت له : قد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها . فسكت عنه الرجل فقال له : أشراك إذا بعتها ؟ قال : لا ، إلا أن أعطى بها شيئاً ، ولا أظني أعطاه . قال : وما منك بها ؟ قال : أربعون نخلة . فقال الرجل : لقد جئت بأمر عظيم ، نختك تطلب بها أربعين نخلة ؟ ثم سكنا وأنشأ في كلام ، ثم قال : أنا أعطيتك أربعين نخلة ، فقال : أشهدك لي إن كنت صادقاً . فأمر بأناس فدعاهم فقال : اشهدوا أنني قد أعطيت من نخلي أربعين نخلة بنخلته التي فرعها في دار فلان بن فلان ؟ ثم قال : ما تقول ؟ فقال صاحب النخلة : قد رضيت . ثم قال بعد : ليس بيني وبينك بيع لم تفرق قال له قد أقالك الله ، ولست بأحمق حين أعطيتك أربعين نخلة بنخلتك المائة . فقال صاحب النخلة : قد رضيت على أن تعطيني الأربعين على ما أريد . قال : تعطيتها على ساق . [ثم مكث ساعة ثم قال : هي لك على ساق ، وأوقف له شهوداً وعد له أربعين نخلة على ساق] ففرقاً فذهب الرجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، إن النخلة المائة في دار فلان قد صارت لي ، فهي لك . فذهب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الرجل صاحب الدار فقال له : « النخلة لك ولعمالك » . قال عكرمة : قال ابن عباس : فأنزل الله عز وجل : (والليل إذا يغشى) إلى قوله : (فأما من أعطى واتى وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى . وأما من أنزل واستغنى وكذب بالحسنى ، فسنيسره لليسرى) إلى آخر السورة .

هكذا رواه ابن أبي حاتم ، وهو حديث غريب جداً ،

قال ابن جرير : وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، حدثني هارون بن إدريس الأصم ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد الله (٢) بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : كان أبو بكر يعشق على الإسلام بمكة ، فكان يعشق عجائز ونساء إذا أسلمن فقال له أبوه : أي بني وأراك تعشق أناساً ضغفاء ، فلو أنك تعشق رجلاً جليلاً (٣) يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك ؟ فقال : أي أبت ، إنما أريد - أظنه قال - ما عند الله : قال : فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية أنزلت فيه ، (فأما من أعطى واتى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) (٤) .

(١) في المخطوطة : وإن أدخل الثمرة في فم أحدهم . والمثبت من الطبقات السابقة .

(٢) في تفسير الطبري : « عبید الله » . والصواب ما هنا ، انظر ترجمة « محمد » هنا في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم .

(٣) وانظر أيضاً سيرة ابن هشام في سنن ابن إسحاق : ٣١٩/١ .

(٤) أي : أشداء .

(٥) تفسير الطبري : ١٤٢/٢٥ .

وقوله : (وما يقضى عنه ماله إذا تردى) - قال مجاهد : أى : إذا مات : وقال أبو صالح : ومالك عن زيد بن اسلم : إذا تردى فى النار .

إِن عَلَيْنَا لِلْهُدَىٰ ﴿١٦﴾ وَإِن لَّنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿١٧﴾ فَأَنْذَرْتُمْ كُنَّا نَأْتِيهِمْ لَعْنَةُ الْآسَفِ ﴿١٨﴾ لَا يَصْلَحُهَا إِلَّا الْآسَفِ ﴿١٩﴾
 الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٢٠﴾ وَسَيَجْزِيهِمُ الْعَذَابُ ﴿٢١﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿٢٢﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُخْزَىٰ ﴿٢٣﴾ إِلَّا إِتَّخَذَ وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢٥﴾

قال قتادة : (إن علينا للهدى) ، أى : نبين الحلال والحرام : وقال غيره : من سلك طريق الهدى وصل إلى الله . وجعله كقولہ تعالى : (وعلى الله قصد السبيل) ، حكاه ابن جرير :
 وقوله : (وإن لنا للآخرة والأولى) ، أى : الجميع ملكنا وأنا المتصرف فيهما :
 وقوله : (فأندرتكم ناراً تالظى) - قال مجاهد : أى توهج :

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن مياك بن حرب ، سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخطب يقول : « أنذركم النار [أنذرتكم النار] أنذرتكم النار (٢) حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لسمعته من مقامى هذا ، قال : حتى وقعت خميسة (٣) كانت على عاتقه عند رجله (٤) »
 وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، حدثني أبو إسحاق : سمعت النعمان بن بشير يخطب ويقول : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجلٌ توضع فى أخمص قدميه جمرتان يغل منها دماغه (٥) » . رواه البخارى (٦) :

وقال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن أهون [أهل] النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغل منهن دماغه كما يغل المرجل ، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً ، وإنه لأهونهم عذاباً (٧) » .

وقوله (لا يصلحها إلا الأسفى) ، أى : لا يدخلها دخلاً يحيط به من جميع جوانبه إلا الأسفى : ثم فسره فقال : (الذى كذب) ، أى : بقلبه : (وتولى) ، أى : عن العمل بجوارحه وأركانها :

(١) نصبه الطبرى إلى بعض أهل العربية : ١٤٥/٣٠ .

(٢) ما بين القوسين عن المستد .

(٣) الخميسة ثوب من خز أو صوف . وقيل : لا تكون خميسة حتى تكون سوداء .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢٧٢/٤ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢٧٤/٤ .

(٦) البخارى ، كتاب الرقائق ، باب « صفة الجنة والنار » : ١٤٤/٨ .

(٧) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب « أهون أهل النار عذاباً » : ١٣٥/١ - ١٣٦ .

قال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا عبد ربه بن سعيد ، عن المقرئ ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لا يدخل النار إلا شقي » . قيل : ومن الشقي ؟ قال : « الذي لا يعمل بطاعة ، ولا يترك لله معصية » (١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس وسريح قالا : حدثنا فليح ، عن هلال بن علي ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « كل أمي تدخل الجنة يوم القيامة إلا من أبي » . قالوا : ومن أبي يارسول الله ؟ قال : « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبي » (٢) .
ورواه البخاري عن محمد بن سنان ، عن فليح ، به (٣) .

وقوله : (وسيجنبها الأتقي) ، أي : وسيزجره عن النار التي التي الأتقي : ثم فسره بقوله : (الذي يوتى ماله بتركي) ، أي : يصرف ماله في طاعة ربه ، ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا ، (وما لأحد عنده من نعمة تجزي) ، أي : ليس ببدله حاله في مكافأة من أسدى إليه معروفاً ، فهو يعطى في مقابلة ذلك ، وإنما دفعه ذلك (ابتغاء وجه ربه الأعلى) ، أي : طمعاً في أن يحصل له رويته في الدار الآخرة في روضات الجنات ، قال الله تعالى : (ولسوف يرضى) ، أي : ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات .

وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه - حتى إن بعضهم حكى الاجماع من المفسرين على ذلك : ولا شك أنه داخل فيها ، وأولى الأمة بعمومها ، فان لفظها لفظ العموم ، وهو قوله تعالى : (وسيجنبها الأتقي : الذي يوتى ماله بتركي : وما لأحد عنده من نعمة تجزي) ، ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة ؛ فانه كان صديقاً تقياً كريماً جواداً بذلاً لأمواله في طاعة مولاه ، ونصرة رسول الله ، فكم من دارهم ودنانير بلطأ ابتغاء وجه ربه الكريم ، ولم يكن لأحد من الناس عنده منه يحتاج إلى أن يكافئه بها ، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل ؛ ولهذا قال له عروة بن مسعود - وهو سيد ثقيف ، يوم صلح الحديبية - أما والله لولا يدك كانت عندي لم أجرك بها لأجبتك (٤) . وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة ، فاذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل ، فكيف بمن عداهم ؟ ولهذا قال : (وما لأحد عنده من نعمة تجزي * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) . وفي الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من أنفق زوجين (٥) في سبيل الله دعتهم خبزنة الجنة : يا عبد الله ، هذا خير » فقال أبو بكر : يارسول الله ، ما على من يدعى منها ضرورة ؟ فهل يدعى منها كلها أحد ؟ قال نعم ، وأرجو أن تكون منهم (٦) .

آخر تفسير سورة الليل ، والله الحمد والمنة

- (١) مسند الإمام أحمد : ٣٤٩/٢ .
- (٢) مسند الإمام أحمد : ٣٦١/٢ .
- (٣) البخاري ، كتاب الاعتصام ، باب « الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم » : ١١٤/٩ .
- (٤) انظر الخبر في سيرة ابن هشام ، في أمر الحديبية : ٣١٣/٢ .
- (٥) أي : شفعاً من جنس ، كدرهمين ، أو دينارين أو قرشين ... » .
- (٦) يسأل : هل هو خير في دخول أي باب منها ؟
- (٧) البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب « فضل أبي بكر » : ٧/٥ . ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب « من جمع الصدقة وأعمال الخير » : ٩١/٣ .

رواه البخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن أبى حاتم، وابن جرير، من طرق، عن الأسود بن قيس، عن جندب - هو ابن عبد الله البجلي ثم العلقمى (١) به وفي رواية سفيان بن عيينة عن الأسود بن قيس : سمع جندباً قال : أبطأ جبريل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال المشركون : ودّع محمد . فأنزل الله (والضحى . والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) (٢) .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودى قالا : حدثنا أبو أسامة ، حدثني سفيان ، حدثني الأسود بن قيس ، أنه سمع جندباً يقول : روى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحجر في أصبعه فقال : [هل أنت إلا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت ؟] .

قال : فكث ليلتين أو ثلاثاً لا يقوم ، فقالت له امرأة : ما أرى شيطانك إلا قد تركتك . فتزلت : (والضحى * والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) - والسياق لأبي سعيد .

قيل : إن هذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي لب ، وذكر أن إصبعه عليه السلام دميت . وقوله - هذا الكلام الذى اتفق أنهم موزون - ثابت في الصحيحين (٣) ، ولكن الغريب هاهنا جعله سبباً لتركه القيام ، ونزول هذه السورة . فأما ما رواه ابن جرير :

حدثنا ابن أبى الشوارب ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا سليمان الشيباني ، عن عبد الله بن شداد : أن خديجة قالت للنبي - صلى الله عليه وسلم - ما أرى ربك إلا قد فلاك . فأنزل الله : (والضحى . والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) .

وقال أيضاً : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : أبطأ جبريل على النبي - صلى الله عليه وسلم - فجزع جزعاً شديداً فقالت خديجة : إني أرى ربك قد فلاك مما نرى من جزعك . قال : فتزلت : (والضحى . والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) . . . إلى آخرها (٤) .

فانه حديث مرسل من [هذين الوجهين (٥)] . ولعل ذكر خديجة ليس محفوظاً ، أو قاله على وجه التأسف والتحزن ، والله أعلم .

(١) البخارى ، تفسير سورة (والضحى) : ٢١٣/٦ . وكتاب التهجيد ، باب « ترك القيام المريض » : ٦٢/٢ . وكتاب فضائل القرآن : ٢٢٤/٦ . ومسلم ، كتاب الجهاد ، باب « ما لى النبي - صلى الله عليه وسلم - من أذى المشركين والمنافقين » : ١٨٢/٥ . وتحفة الأحوذى ، تفسير سورة الضحى ، الحديث ٣٤٠٣ : ٢٧٢/٩ - ٢٧٣ . وتفسير الطبرى : ١٤٨/٣٠ .

(٢) انظر هذه الرواية في مسلم والترمذى . وتقدم تخرجها فيما .

(٣) انظر تفسير الآية التاسعة والستين من سورة (يس) : ٥٧٧/٦ . فقد خرجنا الحديث هناك .

(٤) تفسير الطبرى : ١٤٨/٣٠ .

(٥) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة ، ومكانه بياض في المخطوطة .

وقد ذكر بعض السلف - منهم ابن إسحاق - أن هذه السورة هي التي أوحاها جبريل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين تبدي له في صورته التي خلقه الله عليها ، ودنا إليه وتدلى منهبطاً عليه وهو بالأبطح ، (فأوحى إلى عبده ما أوحى) - قال : قال له هذه السورة : (والضحى والليل إذا سجى) .

قال العوفي ، عن ابن عباس : لما نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القرآن ، أبطأ عنه جبريل أياماً ، فتغير بذلك ، فقال المشركون : ودعه ربه وقلاه . فأنزل الله : (ما ودعك ربك وما قلى) (١) .

وهذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء ، (والليل إذا سجى) ، أى : سكن فأظلم وادلتهم . قاله مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد ، وغيرهم . وذلك دليل ظاهر على قدرة خالق هذا وهذا كما قال : (والليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلى) (٢) وقال : (فالق الإصباح ، وجاعل الليل سكناً ، والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم) (٣) .

وقوله : (ما ودعك ربك) ، أى : ما تركك ، (وما قلى) أى : وما أبغضك ، (ولا الآخرة خير لك من الأولى) ، أى : وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار . ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - أزهدهم الناس في الدنيا ، وأعظمهم لها إطراحاً ، كما هو معلوم من سيرته : ولا خير - عليه السلام - في آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة ، وبين الصبرورة إلى الله عز وجل ، اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية .

قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا المسعودى ، عن عمرو بن مرة ، عن إبراهيم النخعي ، عن علقمة ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : اضطجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على حصير ، فأثر في جنبه ، فلما استيقظ جعلت أوسع جنبه وقلت : يا رسول الله ، ألا آذنتنا حتى نسط لك على الحصير شيئاً ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إلى وللدنيا ؟ ما أنا والدنيا ؟ إنما مثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها » (٤) .
ورواه الترمذى وابن ماجه ، من الحديث المسعودى به . وقال الترمذى : حسن صحيح (٥) .

وقوله : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) أى : في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته ، وفيها أعدته له من الكرامة ، ومن جملة نهر الكوثر الذي حافظه قباب اللؤلؤ المجوف ، وطينه مسك أذفر ، كما ساقى (٦) .

وقال الإمام أبو عمرو الأوزعى ، عن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومى ، عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال : عرض على رسول الله ما هو مفتوح على أمته من بعده كثيراً كثيراً ، فأنزل الله (ولسوف يعطيك

(١) تفسير الطبرى : ١٤٨/٣٠ .

(٢) سورة الليل ، آية : ١ - ٢ .

(٣) سورة الأنعام ، آية : ٩٦ . و (جاعل) هكذا في مخطوطة الأزهر ، وقد سبق التنبيه عليها في موضعها . انظر :

٢٩٧/٣ .

(٤) مستند الإمام أحمد : ٣٩١/١ .

(٥) تحفة الأحوذى ، أبواب الزهد ، الحديث ٢٤٨٣ : ٤٨/٦ = ٤٩ . وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب « مثل الدنيا » :

الحديث ٤١٠٩ : ١٣٧٩/٢ .

(٦) انظر : ١١٧/٤ ، ٨٢/٧ .

ربك فرضي) فأعطاء في الجنة [ألف] ألف قصر ، في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدام ، رواه ابن جرير من طريقه ، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ، ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف :

وقال السدي ، عن ابن عباس : من رضا محمد - صلى الله عليه وسلم - أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار : رواه ابن جرير (١) ، وابن أبي حاتم :

وقال الحسن : يعنى بذلك الشفاعة ، وهكذا قال أبو جعفر [الباقر] :

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا معاوية بن هشام ، عن علي بن صالح ، عن زيد بن أبي زياد ، عن إبراهيم ، عن هلقمة ، عن عبد الله قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) »

ثم قال تعالى بعدد نعمه على عبده ورسوله محمد - صلوات الله وسلامه عليه - : (ألم يجدك يتيماً فآوى) ، وذلك أن أباه توفى وهو حمل في بطن أمه ، وقيل : بعد أن ولد عليه السلام ، ثم توفيت أمه آمنه بنت وهب وله من العمر ست سنين ، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب ، إلى أن توفى وله من العمر ثمان سنين ، فكفله عمه أبو طالب : ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ، ويكف عنه أذى قومه بعد أن أبتعه الله على رأس أربعين سنة من عمره ، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان ، وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره ، إلى أن توفى أبو طالب قبل الهجرة بقليل ، فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالم ، فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج ، كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الأكمل . فلما وصل إليهم أووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه - رضي الله عنهم أجمعين ، وكل هذا من حفظ الله له وكلامه وعنايته به :

وقوله : (ووجدك ضالاً فهدى) كقوله : (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً مهدى به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم (٢)) ومنهم من قال المراد بهذا أنه - عليه السلام - ضل في شعاب مكة وهو صغير ، ثم رجع . وقيل : إنه ضل وهو مع عمه في طريق الشام ، وكان ركباً ناقة في الليل ، فجاء إبليس يعدل بها عن الطريق ، فجاء جبريل ، فنفض إبليس نفخة ذهب منها إلى الخيشة ، ثم عدل بالراحلة إلى الطريق . حكاهما البغوي :

وقوله : (ووجدك عائلاً فأغنى) ، أي : كنت فقيراً ذا عيال ، فأغناك الله عن سواه ، فجمع له بين مقامى ، الفقير الصابر والغنى الشاكر ، صلوات الله وسلامه عليه :

وقال قتادة في قوله : (ألم يجدك يتيماً فآوى) ووجدك ضالاً فهدى : ووجدك عائلاً فأغنى) ، قال : كانت هذه منازل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يبعثه الله عز وجل . رواه ابن جرير (٣) ، وابن أبي حاتم :

(١) تفسير الطبري : ١٤٩/٣٠ .

(٢) سورة الشورى : آية : ٥٢ .

(٣) تفسير الطبري : ١٤٩/٣٠ .

وفي الصحيحين - م: طريق عبد الرزاق - عن معمر ، عن همام بن منبته قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [: ليس (١) الغنى عن كثرة العرّض ، ولكن الغنى غنى النفس] .
 وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم (٢) [: « قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافاً ، وقتعه الله ما آتاه (٣) » ..
 ثم قال : (فأما اليتيم فلا تقهر) أى : كما كنت يتيماً فأوأك الله فلا تقهر اليتيم ، أى : لا تذلّه وتنهره وتهنه ، ولكن أحسن إليه ، وتلطّف به

قال قتادة : كن لليتيم كالأب الرحيم .

(وأما السائل فلا تنهر) ، أى : وكما كنت ضالاً فهداك الله ، فلا تنهر السائل في العلم المسترشد ؛

قال ابن إسحاق : (وأما السائل فلا تنهر) . أى : فلا تكن جباراً ، ولا متكبّراً ، ولا فحاشاً ، ولا فظاً على الضعفاء من عباد الله .

وقال قتادة : يعنى رد المسكين برحمة ولين .

(وأما بنعمة ربك فحدث) ، أى : وكما كنت عائلاً فقيراً فأغناك الله ، فحدث بنعمة الله عليك ، كما جاء في الدعاء المأثور النبوى : « واجعلنا شاكرين لنعمتك ، مثنين بها ، قابليها ، وأتمها علينا (٤) » .

وقال ابن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن عسّية ، حدثنا سعيد بن [إياس] الجريدي ، عن أبي نضرة قال : كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها (٥)

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثنا (٦) منصور بن أبي مزاحم ، حدثنا الجراح بن مسكين ، عن أبي عبد الرحمن ، عن الشعبي ، عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [على المنبر] : « من لم يشكر القليل ، لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله . والتحدث بنعمة الله شكر ، وتركها كفر . والجماعة رحمة ، والفرقة عذاب (٧) » . إسناده ضعيف .

(١) ما بين القوسين ساقط من مخطوطة الأزهر ، والمنبث عن الطبعة السابقة .

(٢) لم يقع لنا الحديث في الصحيحين من هذه الطريق ، انظر البخاري ، كتاب الرقاق ، باب « الغنى غنى النفس » ، ١١٨/٨ . ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب « ليس الغنى عن كثرة العرّض » : ٣/١٠٠ . وهذه الطريق في مسند الإمام أحمد : ٣١٢/٢ - ٣١٥ .

(٣) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب « في الكفاف والقناعة » : ٣/١٠٢ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب « التشميد » .

(٥) تفسير الطبري : ٣٠٪١٥٠ .

(٦) في المسند : « حدثنا أبي ، حدثنا منصور ... » . ويبدو أن الصواب ما هنا ، انظر التهذيب ، ترجمة « منصور »

ابن أبي مزاحم : ٣١١/١٠ - ٣١٢ .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٤٪٢٧٨ ، ٤٧٥ .

وفي الصحيحين (١) ، عن أنس ، أن المهاجرين قالوا : يا رسول الله ، ذهب الأنصار بالأجر كله . قال : « لا ، ما دعوتكم الله لهم ، وأنتم عليهم » (٢) .

وقال أبو داود : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا الربيع بن مسلم ، عن محمد بن زياد ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » (٣) .

ورواه الترمذي عن أحمد بن محمد ، عن ابن المبارك ، عن الربيع بن مسلم ، وقال : صحيح (٤) .

وقال أبو داود : حدثنا عبد الله بن الجراح ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « من أبلى بلاء فذكره فقد شكره ، وإن كتمه فقد كفره » . تفرد به أبو داود (٥) .

وقال أبو داود : حدثنا مسدد ، حدثنا بشر ، حدثنا عمارة بن غزيرة ، حدثني رجل من قومي ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : من أعطى عطاء فوجد فليسجنز به ، فإن لم يجد فأسئس به ، فمن أتى به فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره - قال أبو داود : « ورواه يحيى بن أيوب ، عن عمارة بن غزيرة ، عن شرحبيل عن جابر - كرهوه (٦) فلم يسموه » . تفرد به أبو داود (٧) .

وقال مجاهد : يعنى النبوة التي أعطاك ربك (٨) . وفي رواية عنه : القرآن .

وقال ليث ، عن رجل ، عن الحسن (٩) بن علي : (وأما بركة فحدث) : قال : ما عملت من خير فحدث إنخوانك .

وقال محمد بن إسحاق : ما جاءك الله من نعمة وكرامة من النبوة فحدث بها واذكرها ، وادع إليها وقال : فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة سراً إلى من يطمئن إليه من أهله ، وافترضت عليه الصلاة ، فضلى . .

آخر تفسير سورة التمتع

- (١) كذا ، ولم يقع لنا الحديث في الصحيحين . ولعل صوابه : « وفي الصحيح » .
- (٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب « في شكر المعروف » . والترمذي في أبواب صفة القيامة ، انظر تحفة الأحوذى ، الحديث ٢١٠٤ : ١٨٨/٧ - ١٨٩ . والإمام أحمد في مسنده : ٢٠٠/٣ - ٢٠٤ .
- (٣) سنن أبي داود في الكتاب والباب المتقدم .
- (٤) تحفة الأحوذى ، أبواب البر ، باب « ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك » ، الحديث ٢٠٢٠ : ٨٧/٦ .
- (٥) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب « في شكر المعروف » .
- (٦) لفظ أبي داود : « عن جابر . قال أبو داود : وهو شرحبيل - يعنى رجلاً من قومي ، كأنهم كرهوه فلم يسموه » .
- (٧) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب « في شكر المعروف » .
- (٨) تفسير الطبري : ١٤٩/٣٠ - ١٥٠ .
- (٩) في المخطوطة : « الحسن ، عن علي » . والمثبت عن الطبقات السابقة ، والدر المنثور للسيوطي : ٣٦٢/٦ .

تفسير سورة ألم نشرح

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۚ
 ۝۱ ۝۲
 وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝۳
 ۝۴ ۝۵ ۝۶ ۝۷ ۝۸ ۝۹ ۝۱۰ ۝۱۱ ۝۱۲ ۝۱۳ ۝۱۴ ۝۱۵ ۝۱۶ ۝۱۷ ۝۱۸ ۝۱۹ ۝۲۰ ۝۲۱ ۝۲۲ ۝۲۳ ۝۲۴ ۝۲۵ ۝۲۶ ۝۲۷ ۝۲۸ ۝۲۹ ۝۳۰ ۝۳۱ ۝۳۲ ۝۳۳ ۝۳۴ ۝۳۵ ۝۳۶ ۝۳۷ ۝۳۸ ۝۳۹ ۝۴۰ ۝۴۱ ۝۴۲ ۝۴۳ ۝۴۴ ۝۴۵ ۝۴۶ ۝۴۷ ۝۴۸ ۝۴۹ ۝۵۰ ۝۵۱ ۝۵۲ ۝۵۳ ۝۵۴ ۝۵۵ ۝۵۶ ۝۵۷ ۝۵۸ ۝۵۹ ۝۶۰ ۝۶۱ ۝۶۲ ۝۶۳ ۝۶۴ ۝۶۵ ۝۶۶ ۝۶۷ ۝۶۸ ۝۶۹ ۝۷۰ ۝۷۱ ۝۷۲ ۝۷۳ ۝۷۴ ۝۷۵ ۝۷۶ ۝۷۷ ۝۷۸ ۝۷۹ ۝۸۰ ۝۸۱ ۝۸۲ ۝۸۳ ۝۸۴ ۝۸۵ ۝۸۶ ۝۸۷ ۝۸۸ ۝۸۹ ۝۹۰ ۝۹۱ ۝۹۲ ۝۹۳ ۝۹۴ ۝۹۵ ۝۹۶ ۝۹۷ ۝۹۸ ۝۹۹ ۝۱۰۰

يقول تعالى : (ألم نشرح لك صدرك ؟) ، يعني أما شرحنا لك صدرك ، أي : نورناه وجعلناه فسيحاً رحباً واسعاً كقولته : (فن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) (١) ، وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحاً واسعاً سمحاً سهلاً لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق .

وقيل : المراد بقوله : (ألم نشرح لك صدرك) ؟ : شرح صدره ليلة الإسراء ، كما تقدم من رواية مالك بن صعصعة (٢) وقد أورده الترمذي هاهنا - وهذا وإن كان واقعاً ، ولكن لا منافاة ، فإن من جملة شرح صدره الذي فعله بصدوره ليلة الإسراء ، وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضاً ، والله أعلم .

قال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثني محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى البرزاز ، حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا معاذ بن محمد ابن معاذ بن محمد بن أبي بن كعب ، حدثني أبي محمد بن معاذ ، عن [معاذ] (٣) عن محمد ، عن أبي بن كعب : أن أبا هريرة كان جريئاً على أن يسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أشياء لا يسأله عنها غيره ، فقال : يا رسول الله ، ما أول ما رأيت من أمر النبوة ؟ فاستوى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالسا وقال : « لقد سألت يا أبا هريرة ، إني لفي الصحراء ابن عشرين وأشهر ، وإذا بكلام فوق رأسي ، وإذا رجل يقول لرجل : أهو هو ؟ [قال نعم] (٣) فاستقبلاني ، بوجه لم أرها [لخلق] (٣) قط ، وأرواح لم أجد لها من خلق قط ، وثياب لم أرها على أحد قط . فأقبلت إلى يمشيان ، حتى أخذ كل واحد منهما بعصدي ، لا أجد لأحدهما مسا ، فقال أحدهما لصاحبه : أضجعوه . فأضجعاني بلا قصر ولا هتسر (٤) . فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره . فهوى أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع ، فقال له : أخرج الغل والحسد . فأخرج شيئاً كههيئة العلقة ثم نبذها فطرحها ، فقال له : أدخل الرأفة والرحمة ، فاذا مثل الذي أخرج شبه الفضة ، ثم هز إبهام رجلي اليمنى فقال : أغد واسلم . فرجعت بها أعدو ، رقة على الصغير ، ورحمة للكبير (٥) » .

(١) سورة الأنعام ، آية : ١٢٥ .

(٢) انظر تفسير سورة الإسراء : ١٣/٥ - ١٥ .

(٣) ما بين القوسين عن المستد .

(٤) القصر : القهر والغلبة ، من القسر - بالسين - فأيدل السين صاداً ، وهما يتبادلان كثيراً في الكلام . والمصر : الجهد .

(٥) مستد الإمام أحمد : ١٣٩/٥ .

وقوله : [(ووضعتنا عنك وزرك) بمعنى : (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)] : (الذي أنقض ظهرك)
الانقاص : الصوت . وقال غير واحد من السلف في قوله : (الذي أنقض ظهرك) ، أى أثقلت حملة .

وقوله (١) [(ورفعتنا لك ذكرك)] ، قال مجاهد : لا أذكر إلا ذكرت معي : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن
محمداً رسول الله (٢) .

وقال قتادة : رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة ، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادى بها : أشهد
أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

قال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنا عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن
أبي سعيد ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « أتاني جبريل فقال : إن ربى وربك يقول : كيف رفعت
ذكرك ؟ قال : الله أعلم . قال : إذا ذكرتُ ذُكرتُ معي (٣) » وكذا رواه ابن أبي حاتم عن يونس بن عبد
الأعلى ، به . ورواه أبو يعلى من طريق ابن لهيعة ، عن دراج .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو عمر الحَوْضِي ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا عطاء بن السائب ، عن
سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « سألت ربى مسألة ودُدتُ أنى لم أكن
سألته قلت : قد كانت قبلى أنبياء ، منهم من سخرت له الريح ، ومنهم من يحيى الموتى . قال : يا محمد ، ألم أجِدك يتيمًا
فأوتيتك ؟ قلت : بلى يارب . قال : ألم أجِدك ضالاً فهديتك ؟ قلت : بلى يارب . قال : ألم أجِدك عائلاً فأغنيتك ؟ قال :
قلت : بلى يارب . قال : ألم أشرح لك صدرك ؟ ألم أرفع لك ذكرك ؟ قلت : بلى يارب » .

وقال أبو نعيم (٤) في دلائل النبوة : « حدثنا أبو أحمد الغطري ، حدثنا موسى بن سهل الجوني ، حدثنا أحمد بن
القاسم بن بهرام الهيثبي ، حدثنا نصر بن حماد ، عن عثمان بن عطاء ، عن الزهري ، عن أنس قال : قال رسول الله -
صلى الله عليه وسلم : « لما فرغت مما أمرنى الله به من أمر السموات والأرض قلت : يارب ، إنه لم يكن نبى قبلى إلا وقد
كرمه ، جعلت إبراهيم خليلاً ، وموسى كليمًا ، وسخرت لداود الجبال ، ولسليمان الريح [والشياطين] وأحييت لعيسى
الموتى ، فما جعلت لى ؟ قال : أو ليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله ، أنى لا أذكر إلا ذُكرتُ معي ، وجعلت صدور
أمتك [أناجيل] يقرءون القرآن ظاهراً ، ولم أعطها أمة ، وأعطيتك كنزاً من كنوز عرشى : لا حول ولا قوة إلا بالله
العلى العظيم » .

وحكى البغوى ، عن ابن عباس ومجاهد : أن المراد بذلك : الأذان . يعنى ذكره فيه ، وأورد من شعر حسبان
ابن ثابت :

(١) ما بين القوسين المعقوفين عن الطبقات السابقة .

(٢) تفسير الطبرى : ١٥٠/٣٠ - ١٥١ .

(٣) تفسير الطبرى : ١٥١/٣٠ .

(٤) لم يقع لنا هذا الحديث فيما طبع من دلائل النبوة لأبي نعيم ، وهذا يؤكد ما سبق أن ذكرناه من أن طبعة حيدر آباد
هذه غير كاملة .

أَعْرَضَ ، عَلَيْهِ لِنَبْوَةِ خَنَاتِمَ مِنْ اللَّهِ (١) صِنْ ثُورٍ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ
وَصَمَّ إِلَهُهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِينَ الْمُؤَذَّنُ ؛ أَشْهَدُ
وَتَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فَتَدُ وَالْعَرَشِ مَحْمُودٌ ، وَهَذَا مُحَمَّدٌ (٢)

وقال آخرون ؛ رفع الله ذكره في الأولين والآخرين ، ونوه به ، حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به ،
وأن يأمروا أمهم بالإيمان به ، ثم شهر ذكره في أمته فلا يذكر الله إلا ذكر معه .
وما أحسن ما قال الصرصري رحمه الله ؛ د

لَا يَصِحُّ الْأَذَانُ فِي الْفَرَضِ إِلَّا بِاسْمِهِ الْعَذْبِ [فِي الْقَمِ] الْمَرْصِي (٣)

وقال أيضاً ؛

[أَلَمْ تَرَ أَنَّا لَا يَصِحُّ أَذَانُنَا وَلَا فَرَضُنَا إِنْ لَمْ نُكْرَرْهُ فِيهِمَا] (٤)

وقوله ؛ (فان مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً) ، أخبر تعالى أن مع العسر يوجد اليسر ، ثم أكد هذا الخبر
قال ابن أبي حاتم ؛ حدثنا أبو زرعة ، حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا حميد بن حماد بن خوار (٥) أبو اللجهم ،
حدثنا عائذ بن شريح قال ؛ سمعت أنس بن مالك يقول ؛ كان النبي - صلى الله عليه وسلم - جالساً وحياه حجر ،
فقال ؛ « لو جاء العسر فلدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه [فيخرجه] ، فأنزل الله عز وجل ؛ (إن مع
العسر يسراً * إن مع العسر يسراً) .

ورواه أبو بكر البزار في مسنده عن محمد بن معمر ، عن حميد بن حماد ، به ولفظه ؛ « لو جاء العسر حتى يدخل
هذا الحجر لجاء اليسر حتى يخرج » ثم قال ؛ (فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً) ، ثم قال البزار ؛ لا نعلم
رواه عن أنس إلا عائذ بن شريح .

قلت ؛ وقد قال فيه أبو حاتم الرازي ؛ في حديثه ضعف (٦) ولكن رواه شعبة عن معاوية بن قرة ، عن رجل ، عن
عبد الله ابن مسعود موقفاً .

وقال ابن أبي حاتم ؛ حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا أبو قطن ، حدثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن قال ؛
كانوا يقولون ؛ لا يغلب عسر واحد يسرين (٧) اثنين .

(١) رواية الديوان ؛ « من الله مشهود يلوح ... » .

(٢) ديوان حسان ، ط بيروت ؛ ٤٧ .

(٣) في المخطوطة ؛ « باسمه العذب المرضي به » . ولا يستقيم البيت ، والمثبت عن الطبقات السابقة .

(٤) هذا البيت ساقط في مخطوطة الأزهر .

(٥) في المخطوطة ؛ « بن أبي خوار » . والمثبت عن البرج والتعديل لابن أبي حاتم ؛ ٢٢٠/٢٢١ .

(٦) البرج والتعديل لابن أبي حاتم ؛ ١٦/٢/٣ .

(٧) أخرج مالك في الموطأ ، كتاب الجهاد ، باب الترغيب في الجهاد أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح ؛

« ... وإنه لن يغلب عسر يسرين » . انظر تنوير الحوالك للسيوطي ؛ ٢٩٦/١ .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن قال : خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك ، وهو يقول : « لن يغلب عسر يسرين . لن يغلب عسر يسرين ، إن إن مع العسر يسراً » إن مع العسر يسراً » .

وكذا رواه من حديث عوف الأعرابي ويونس بن عبيد ، عن الحسن مرسلًا . (١)

وقال سعيد ، عن قتادة : ذكر لنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشر أصحابه بهذه الآية فقال : « لن يغلب عسر يسرين » .

ومعنى هذا أن العسر معروف في الحالين ، فهو مفرد ، واليسر منكر فتعدد ، ولهذا قال : « لن يغلب عسر يسرين » ، يعنى قوله : « فإن مع العسر يسراً » إن مع العسر يسراً ، فالعسر الأول عين الثاني ، واليسر تعدد .

وقال الحسن بن سفيان : حدثنا يزيد بن صالح ، حدثنا خارجة ، عن عباد بن كثير ، عن أبي الزناد ، عن أبي صالح عن أبي هريرة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « نزل المعونة من السماء على قدر المثوبة » وتزل الصبر على قدر المصيبة » .

ومما يروى عن الشافعي - رضي الله عنه أنه قال (٢) :

صَبْرًا جَمِيلًا مَا أَقْرَبَ الْفَرْجَا
مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ فِي الْأُمُورِ نَجْمًا
مَنْ صَدَّقَ اللَّهَ لَمْ يَنْتَلِهْ أَدَى
وَمَنْ رَجَاهُ يَكُونُ حَيْثُ رَجَا

وقال ابن دريد : أنشدني أبو حاتم السجستاني :

إِذَا اشْتَمَكَ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ
وَأَوْطَأَتِ الْمَكَارَهُ وَاطْمَأَنَّتْ ،
وَلَمْ تَرَ لَأَنْكَشَافِ الضَّرِّ وَجْهَهَا
أَتَاكَ عَلَى قُضُوطٍ مِنْكَ غَوَتْ
وَصَاقَ لَمَّا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيمُ
فَمَوْصُولُ بِهَا الْفَرْجُ الْقَرِيبُ
وَكَأَنَّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ

وقال آخر :

وَلَرُبَّ نِازِلَةٍ يَتَضَيَّقُ بِهَا الْفَتَى
كَمَلَتْ ، فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتِهَا
ذَرَعًا ، وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرُجُ
فَرَجَّتْ ، وَكَأَنَّ يَنْظُنُّهَا لَا تَفْجُرُجُ

(١) تفسير الطبري : ١٥١/٢٠ .

(٢) البيهقي في كتاب مناقب الشافعي البيهقي : ٣٦٢/٢ ، مع خلاف يسير ، متوسلين إلى الربيع بن سليمان .

وقوله : (فإذا فرغت فانصب) وإلى ربك فارغب) ، أي : إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علاقتها ، فانصب في العبادة ، وقم إليها نشيطاً فارغ البال ، وأخلص لربك النية والرغبة . ومن هذا القبيل قوله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث المتفق على صحته : « لا صلاة بحضرة طعام ، ولا وهو يدافعه الأخبثان (١) » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء ، فابدعوا بالعشاء (٢) » .

قال مجاهد في هذه الآية : إذا فرغت من أمر الدنيا فقم إلى الصلاة ، فانصب لربك ، وفي رواية عنه : إذا قمت إلى الصلاة فانصب في حاجتك (٣) ، وعن ابن مسعود : إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل . وعن ابن عباس نحوه ، وفي رواية عن ابن مسعود : (فانصب) وإلى ربك فارغب) بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (فإذا فرغت فانصب) ، يعنى في الدعاء .

وقال زيد بن أسلم ، والضحاك : (فإذا فرغت) ، أي : من الجهاد (فانصب) ، أي : في العبادة .

(وإلى ربك فارغب) ، قال الثوري : اجعل نيتك ورغبتك إلى الله عز وجل .

آخر تفسير سورة (الم نشرح) والله الحمد

(١) الأخبثان : البول والغائط . والحديث أخرجه مسلم في كتاب المساجد ، باب « كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال ، وكراهة الصلاة مع مدافعة الأخبثين » : ٧٨/٢ - ٧٩ . وأبو داود في كتاب الطهارة ، باب « أبصلي الرجل وهو حافز ؟ » . والإمام أحمد في مسنده ، عن عائشة رضي الله عنها : ٤٣/٦ ، ٥٤ ، ٥٤ ، ٧٣ .

(٢) البخاري ، كتاب الأذان ، باب « إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة » : ١٧١/١ ، وكتاب الأطعمة ، باب « إذا حضر العشاء فلا يعجل عن عشاءه » : ١٠٧/٧ . ومسلم ، كتاب المساجد ، باب « كراهة الصلاة بحضرة الطعام ... » : ٧٨/٢ . وسنن أبي داود ، كتاب الأطعمة ، باب « إذا حضرت الصلاة والعشاء » . وتحفة الأحوذى ، أبواب الصلاة ، باب « ما جاء إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة ، فابدأوا بالعشاء » ، الحديث ٣٥١ : ٣٣٤/٢ - ٣٣٦ . وقال الترمذي : « حديث أنس حديث حسن صحيح » . والنسائي ، كتاب الإمامة ، باب « العذر في ترك الإمامة » : ١١٠/٢ - ١١١ . وابن ماجه ، كتاب الإقامة ، باب « إذا حضرت الصلاة ووضع العشاء » ، الأحاديث ٩٣٣ - ٩٣٥ : ٣٠١/١ . ومسنده الإمام أحمد ، عن أنس رضي الله عنه : ١٠٠/٣ ، ١١٠ ، ١٦١ ، ٢٣٠ - ٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٤٩ . وعن سلمة بن الأكوع : ٤٩/٤ ، ٥٤ . وعن عائشة رضي الله عنها : ٣٩/٦ - ٤٥ ، ٥١ ، ١٩٤ . وعن أم سلمة رضي الله عنها : ٢٩١/٦ ، ٣٠٣ ، ٣١٤ .

(٣) تفسير الطبري : ١٥٢/٣٥

تفسير سورة والتين والزيتون

وهي مكية

قال مالك وشعبة ، عن عدى بن ثابت ، عن البراء بن عازب : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في سفر في إحدى الركعتين بالتين والزيتون ، فاسمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه . أخرجه الجماعة في كتبهم (١) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ جَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ قَبْلَ يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّكْرِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

اختلف المفسرون هاهنا على أقوال كثيرة فقول : المراد بالتين مسجد دمشق . وقيل : هي نفسها . وقيل : الجبل الذي عندها .

وقال القرطبي (٢) : هو مسجد أصحاب الكهف .

وروى العوفي ، عن ابن عباس : أنه مسجد نوح الذي على الجودي .

وقال مجاهد : هو تينكم هذا .

(والزيتون) ، قال كعب الأحبار ، وقتادة ، وابن زيد ، وغيرهم : هو مسجد بيت المقدس .

وقال مجاهد ، وعكرمة : هو هذا الزيتون الذي تعصرون .

(وطور سينين) ، قال كعب الأحبار وغير واحد : هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى (٣) .

(وهذا البلد الأمين) : يعنى مكة . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وإبراهيم النخعي ،

وابن زيد ، وكعب الأحبار . ولا خلاف في ذلك .

(١) انظر البخاري ، كتاب الأذان ، باب « القراءة في العشاء » : ١/١٩٤ . وكتاب التوحيد ، باب « قول النبي صلى الله عليه وسلم : (الماهر بالقرآن مع الكرام البررة ، وزينوا أصواتكم بالقرآن) » : ٩/١٩٤ . ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب « القراءة في العشاء » : ٤١/٢ . وابن ماجه ، كتاب الإقامة ، باب « القراءة في صلاة العشاء » ، الحديث ٨٣٤ - ٨٣٥ : ٢٧٢/١ - ٢٧٣ . ومسنده الإمام أحمد : ٤/٢٩٨ ، ٣٠٢ .

(٢) نقله القرطبي عن محمد بن كعب ، انظر : ٢٥/١١١ .

(٣) تفسير الطبري : ٣٥/١٥٤ .

وقال بعض الأئمة : هذه محال ثلاثة ، بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلًا من أولى العزم أصحاب الشرائع الكبار ، فالأول : محلة التين والزيتون ، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى بن مريم . والثاني : طور سينين ، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران . والثالث : مكة ، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمناً ، وهو الذي أرسل فيه محمداً - صلى الله عليه وسلم - قالوا : وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة : جاء الله من طور سيناء - يعنى الذى كلم الله عليه موسى - وأشرف من ساعير^(١) - يعنى جبل بيت المقدس الذى بعث الله منه عيسى واستعلن من جبال فاران - يعنى جبال مكة التى أرسل الله منها محمداً فذكرهم على الترتيب الوجودى بحسب ترتيبهم فى الزمان ، ولهذا أقسم بالأشرف ، ثم الأشرف منه ، ثم بالأشرف منهما . .

وقوله (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم) ، هذا هو المقسم عليه ، وهو أنه تعالى خلق الإنسان فى أحسن صورة ، وشكل منتصب القامة ، سوى الأعضاء حسنها .

(ثم رددناه أسفل سافلين) أى : إلى النار . قاله مجاهد ، وأبو العالية ، والحسن ، وابن زيد ، وغيرهم : ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيره إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل . ولهذا قال : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) . وقال بعضهم : (ثم رددناه أسفل سافلين) ، أى : إلى أرذل العمر . روى هذا عن ابن عباس ، وعكرمة - حتى قال عكرمة : من جمع القرآن لم يرد إلى أرذل العمر . واختار ذلك ابن جرير . ولو كان هذا هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك ، لأن الحرّم قد يصيب بعضهم ، وإنما المراد ما ذكرناه ، كقوله : (والعصر . إن الإنسان لئى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) .

وقوله : (فلهم أجر غير ممنون) ، أى : غير مقطوع كما تقدم :

ثم قال : (فما يكذبك) ، يعنى يا ابن آدم (بعد بالدين ؟) أى : بالجزاء فى المعاد وقد علمت البداية ، وعرفت أن من قدر على البداية ، فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى ، فأى شئ يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا ؟ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن منصور قال : قلت لمجاهد :

(فما يكذبك بعد بالدين) ، عنى به النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : معاذ الله ! عنى به الإنسان . وهكذا قال عكرمة وغيره .

وقوله : (أليس الله بأحكم الحاكمين) ، أى : أما هو أحكم الحاكمين ، الذى لا يجور ولا يظلم أحداً ، ومن عدله أن يقيم القيامة فينصف المظلوم فى الدنيا من ظلمه . وقد قدمنا فى حديث أبى هريرة مرفوعاً « فإذا قرأ أحدكم (التين والزيتون) فأتى على آخرها : (أليس الله بأحكم الحاكمين) ، فليقل : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين (٢) » .

آخر تفسير ((التين والزيتون)) والله الحمد

(١) فى مرصد الاطلاع : (ساعير) فى التوراة ، اسم لجبال فلسطين ، وهى قرية من الناصرة ، بين عكا وطابرية .

(٢) انظر تفسير سورة القيامة : ٣٠٩/٨ .

تفسير سورة اقرأ

وهي أول شيء نزل من القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت : أول ما بدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حُبب إليه الخلاء ، فكان يأتى حراء فيتحنث فيه - وهو : التعبد - الليالي ذوات العدد ، ويتروّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزود لمثلها حتى فيجاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فيه فقال : اقرأ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقلت : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغطّني (١) حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارئ . فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فغطّني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : (اقرأ باسم ربك الذي خلق) حتى بلغ : (مالم يعلم) قال : فرجع بها ترجف بواديه (٢) حتى دخل على خديجة فقال : « زملوني زملوني » . فرملوه حتى ذهب عنه الروع . فقال : يا خديجة ، مالي ؟ فأخبرها الخبر وقال : قد خشيت على . فقالت له : كلا ، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكتل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق . ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي - وهو ابن عم خديجة ، أختي أبيها ، وكان امرأ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي ، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمى - فقالت خديجة : أي ابن عم ، اسمع من ابن أخيك . فقال ورقة : ابن أخي ، ما ترى ؟ فأخبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما رأى ، فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل على موسى ، ليتي فيها جدّعا (٣) أكون حيا حين يخرجك قومك . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أومر جى هم ؟ » . فقال ورقة : نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عوّدى ، وإن يُدركتني يومك أنصرك نصرأ مؤزرا . لم ينسب (٤) ورقة أن توفى ، وقسّر الوحي فترة حتى حزن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيها بلغنا - حزنا غداً [منه] مرارا كي يستردى من رعوس شواحق الجبال ، فكأما

(١) الغط : العصر الشديد .

(٢) أي : ترعد وتضطرب . والبواد : جمع بادرة ، وهي اللحمة التي بين العنق والمنكب .

(٣) أي : شابا قويا .

(٤) أي : لم يلبث .

أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه ، تبدى له جبريل فقال له : يا محمد إنك رسولُ الله حقاً : فيسكن بذلك (١) جأشه ، وتقرّ نفسه فيرجع . فإذا طال عليه فترة الوحي غداً لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل ، فقال له مثل ذلك (٢) . وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري (٣) وقد تكلمنا على هذا الحديث من جهة سنده ومنتنه ومعانيه في أول شرحنا للبخاري مستقصى ، فمن أرادفه هناك محرر ، والله الحمد والمنة .

فأول شيء من القرآن هذه الآيات الكرمات المباركات ، وهنّ أول رحمة رحيم الله بها العباد ، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم . وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقته ، وأن من كرمه تعالى أن علقم الإنسان ما لم يعلم ، فشرفه وكرمه بالعلم ، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة ، والعلم تارة يكون في الأذهان ، وتارة يكون في اللسان وتارة يكون في الكتابة بالبيان ، ذهني ولفظي ورسمي ، والرسمي يستلزمهما من غير عكس ، فلهذا : قال (اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم « علم الإنسان ما لم يعلم » . وفي الأثر : قيدا العلم بالكتابة (٤) . وفيه أيضاً « من عمل بما علم رزقه [الله] علم ما لم يكن » .

كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِبَطْغِيٍّ ۚ (١) أَنْ رَآهُ اسْتَفْعَىٰ ۚ (٢) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۗ (٣) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٤)
عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۗ (٥) أَرَأَيْتَ إِنْ سَكَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (٦) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (٧) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٨)
(٩) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٠) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١١) نَاصِيَةٍ كَذِبِيَّةٍ خَاطِئَةٍ (١٢) فَلَيَدْعُو
نَادِيَهُ ۗ (١٣) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٤) كَلَّا لَا تَطِعُهُمْ أَفْعَادُ ۚ (١٥) وَأَقْتَرِبَ (١٦)

يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشربطر وطفغان ، إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله : ثم تهده وتوعده ووعظة فقال : (إن إلى ربك الرجعى) ، أى : إلى الله المصير والمرجع ، وسيحاسبك على مالك : من أين جمعته ؟ وفيه صرفته ؟ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا زيد بن إسحاق الصائغ ، حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو حميس ، عن عون قال : قال عبد الله : منهومان لا يشبعان ، صاحب العلم وصاحب الدنيا ، ولا يستويان ، فأما صاحب العلم فيزداد رضى الرحمن ، وأما صاحب الدنيا فيبأدى في الطغيان . قال : ثم قرأ عبد الله : (إن الإنسان ليطغى « أن رآه استغنى » . وقال للآخر : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) .

وقد روى هذا مرفوعاً إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « منهومان لا يشبعان : طالب علم ، وطالب دنيا (٥) .

(١) في المستد : « فيسكن ذلك » . وما هنا موافق للبخاري ، كتاب التعبير : ٣٨/٩ .

(٢) مستد الإمام أحمد : ٢٣٢/٦ - ٢٣٣ .

(٣) البخاري ، كتاب بدء الوحي : ٣/١ - ٤ . وتفسير سورة (اقرأ باسم ربك الذى خلق) : ٢١٤/٦ - ٢١٥ .

وكتاب التعبير : ٣٨/٩ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب « بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » : ٩٧/١٠ - ٩٨ .

(٤) سنن الدارمي ، المقدمة ، باب « من رخص في كتابة العلم » ، الحديث ٥٠٣ : ١٠٥/١ .

(٥) سنن الدارمي ، المقدمة ، باب « في فضل العلم والعالم » ، الحديث ٣٤١ : ٨١/١ .

ثم قال تعالى : (أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى) : نزلت في أبي جهل لعنه الله ، توعد النبي - صلى الله عليه وسلم - على الصلاة عند البيت ، فوعظه الله - تعالى - بالنهي - بالتي هي أحسن أولاً فقال : (أرأيت إن كان على الهدى) ، أي : فما ظنك إن كان هذا الذي تنهى على الطريق المستقيمة في فعله ، أو (أمر بالتقوى) بقوله ، وأنت تزجره وتتوعده على صلاته ، ولهذا قال : (ألم يعلم بأن الله يرى ؟) أي : أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه ، وسيجازيه على فعله أم الجزاء .

ثم قال تعالى متوعداً ومتهدداً : (كلا لئن لم ينته) ، أي : لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعداوة ، (لنسفعا بالناصية) أي : لنسفنا سواداً يوم القيامة .

ثم قال : (ناصية كاذبة خاطئة) ، يعني : ناصية أبي جهل كاذبة في مقالها خاطئة في فعالها .

(فليدع ناديه) ، أي : قومه وعشيرته ، أي : ليدعهم يستنصرهم ، (سندع الزبانية) ، وهم ملائكة العذاب ، حتى يعلم من يغلب : أحزبنا أو حزبه .

قال البخاري : حدثنا يحيى ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجعفي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه . فبلغ النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : « لئن فعله لأخذته الملائكة » . ثم قال : تابعه عمرو بن خالد ، عن عبيد الله - يعني ابن عمرو - عن عبد الكريم (١) وكذا رواه الترمذي والنسائي في تفسيرهما من طريق عبد الرزاق ، به (٢) . وهكذا رواه ابن جرير ، عن أبي كريب ، عن زكريا بن عدي ، عن عبيد الله بن عمرو ، به (٣) .

وروى أحمد ، والترمذي ، وابن جرير - وهذا لفظه - من طريق داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي عند المقام ، فربه أبو جهل بن هشام فقال : يا محمد ، ألم أمهلك عن هذا ؟ - وتتوعده - فأغلظ له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وانتهره . فقال : يا محمد ، بأي شيء تهدني ؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي نادياً ! فأنزل الله : (فليدع ناديه) (سندع الزبانية) - قال ابن عباس : لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته (٤) وقال الترمذي : حسن صحيح (٥) .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا إسماعيل بن زيد أبو يزيد ، حدثنا فترات ، عن عبد الكريم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : لئن رأيت رسول الله [يصلي] عند الكعبة لأنتهه حتى أطأ على عنقه . قال : فقال :

(١) البخاري ، تفسير سورة (اقرأ باسم ربك ...) : ٢١٦/٦ .

(٢) تحفة الأحوذى ، تفسير سورة (اقرأ باسم ربك) ، الحديث ٣٤٠٦ : ٢٧٧/٩ - ٢٧٨ . وقال الترمذي : « هذا

حديث حسن غريب صحيح » .

(٣) تفسير الطبري : ١٦٥/٣٠ .

(٤) تفسير الطبري : ١٦٤/٣٠ .

(٥) تحفة الأحوذى ، تفسير سورة (اقرأ باسم ربك) ، الحديث ٢٤٠٧ : ٢٧٨/٩ - ٢٧٩ ، ولفظ الترمذي :

« هذا حديث حسن غريب صحيح » . وانظر الحديث في مسند الإمام أحمد : ٢٢٩/١ .

« لو فعل لأخذته الملائكة عياناً ، ولو أن اليهود تَمَسَّتْوا الموت لما تَوَّأ ورأوا متقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يُبْسِأهلون (١) رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلاً (٢) » .

وقال ابن جرير أيضاً : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيى بن واضح ، أخبرنا يونس بن أبي إسحاق ، عن الوليد بن العيزار ، عن ابن عباس قال : قال أبو جهل : لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه . فأُنزل الله - عز وجل - : (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ، حتى بلغ هذه الآية : (لنسفاً بالناصية . ناصية كاذبة خاطئة . فليدع ناديه . سندع الزبانية) ، فجاء النبي - صلى الله عليه وسلم - فصل ، فقيل : ما يمنعك ؟ قال : قد أسود ما بيني وبينه من الكتاب . قال ابن عباس : والله لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه (٣) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا المعتمر (٤) عن أبيه ، حدثنا نعيم بن أبي هند ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال أبو جهل : هل يعتمر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا : نعم . قال : فقال : واللوات والعزى ، لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته ، ولأعفرن وجهه في التراب ، فأنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يُصلى ليظاً على رقبته ، قال : فما فجاجهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتنقبي بيديه ، قال : فقيل له : مالك ؟ فقال : إن بيني وبينه خندقاً من نار وهو لا وأجنحة . قال : فقال رسول الله : « لودنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً » . قال : وأنزل الله - لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا (كلا إن الإنسان ليطغى) . . . إلى آخر السورة (٥) .

وقد رواه أحمد بن حنبل ، ومسلم ، والنسائي ، وابن أبي حاتم ، من حديث معتمر بن سليمان ، به (٦) .

وقوله (كلا لا تطعه) ، يعنى : يا محمد ، لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها ، وصل حيث شئت ولا تباليه ، فإن الله حافظك وناصرك ، وهو يعصمك من الناس ، (واسجد واقرب) ، كما ثبت في الصحيح - عند مسلم - من طريق عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن عمارة بن غزبية ، عن سُمي ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثرُوا الدعاء (٧) » .

وتقدم أيضاً : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يسجد في : (إذا السماء انشقت) ، (واقرأ باسم ربك الذي خلق) .

(آخر تفسير سورة اقرأ)

- (١) المبالغة : الملاعبة ، وهى : أن يجتمع القوم - إذا اختلفوا في شيء - فيقولوا : لعنة الله على الظالم مثلاً .
- (٢) مسند الإمام أحمد : ٢٤٨/١ .
- (٣) تفسير الطبرى : ١٦٥/٣٠ .
- (٤) في تفسير الطبرى : « ابن عبد الأعلى قال : ثنا ابن ثور ، عن أبيه » . وانظر تخريج ابن كثير لتفسيره في باب : (اقرأ باسم ربك الذي خلق) .
- (٥) تفسير الطبرى : ١٦٥/٣٠ .
- (٦) مسند الإمام أحمد : ٣٧٠/٢ . ومسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب قوله : (إن الإنسان ليطغى) .
- (٧) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب « ما يقال في الركوع والسجود » : ٤٩/٢ - ٥٥ .

تفسير سورة القدر

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

يُخبر الله تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر ، وهي الليلة المباركة التي قال الله عز وجل : (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) (١) ، وهي ليلة القدر ، وهي من شهر رمضان ، كما قال تعالى : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) (٢) .
قال ابن عباس وغيره : أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ثم قال تعالى مُعْظَمًا لَشَأْنِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، التي اختصها بإنزال القرآن العظيم فيها ، فقال : (وما أدراك ما ليلة القدر « ليلة القدر خير من ألف شهر ») .

قال أبو عيسى الترمذى عند تفسير هذه الآية : حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا القاسم ابن الفضل الحدّاني ، عن يوسف بن سعد قال : قام رجل إلى الحسن بن علي بعد ما بايع معاوية فقال : سَوَدت وجوه المؤمنين - أو : يامسود وجوه المؤمنين - فقال : لأتوتبني - رحمتك الله - فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - أرى بي أمية على منبره ، فسأه ذلك ، فتزلت : (إنا أعطيناك الكوثر) يا محمد ، يعني نهرًا في الجنة ، ونزلت : (إنا أنزلناه في ليلة القدر « وما أدراك ما ليلة القدر « ليلة القدر خير من ألف شهر ») ، يملكها بعدك بنو أمية يا محمد . قال القاسم (٣) : فبعدنا فإذا هي ألف شهر ، لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً .

ثم قال الترمذى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من [هذا الوجه من] حديث القاسم بن الفضل ، وهو ثقة وثقه يحيى القطان وابن مهدي . قال : وشيخه يوسف بن سعد - ويقال : يوسف بن مازن - رجل مجهول ، ولا نعرف هذا الحديث ، على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه (٤) .

وقد روى هذا الحديث الحاكم في مستدركه ، من طريق القاسم بن الفضل ، عن يوسف بن مازن ، به : وقول الترمذى : إن يوسف هذا مجهول - فيه نظر ؛ فإنه قد روى عنه جماعة ، منهم : حماد بن سلمة ، وخالده الحذاء ،

(١) سورة الدخان ، آية : ٣

(٢) سورة البقرة ، آية : ١٨٥ .

(٣) هو ابن الفضل الحدّاني المذكور في الإستاد .

(٤) تحفة الأحودى ، تفسير سورة ليلة القدر ، الحديث ٣٤٠٨ : ٩ / ٢٨٠ - ٢٨٢ .

ويونس بن عبيد - وقال فيه يحيى بن معين : هو مشهور ، وفي رواية عن ابن معين : هو ثقة : ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل ، عن عيسى (١) بن مازن : كذا قال ، وهذا يقتضى اضطراباً في هذا الحديث ، والله أعلم ، ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جداً ، قال شيخنا الإمام الحافظ [الحجة] أبو الحجاج المزني : هو حديث منكر .

قلت : وقول القاسم بن الفضل الحداني : إنه حسب مدة بني أمية فوجدها ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص ، ليس بصحيح ، فإن معاوية بن أبي سفيان - رضى الله عنه - استقل بالملك حين سلّم إليه الحسن بن علي الإمرة سنة أربعين ، واجتمعت البيعة لمعاوية ، وسمى ذلك عام الجماعة ، ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها ، لم تخرج عنهم إلا مدة دولة عبد الله بن الزبير في الحرمين والأهواز وبعض البلاد قريباً من تسع سنين ، لكن لم تزُل يدهم عن الإمرة بالكلية ، بل عن بعض البلاد ، إلى أن استلبهم بنو العباس الخلافة في سنة اثنين وثلاثين ومائة ، فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة ، وذلك أزيد من ألف شهر ، فإن الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر ، وكان القاسم ابن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير ، وعلى هذا فتقارب ما قاله للصححة في الحساب ، والله أعلم .

ومما يدل على ضعف هذا الحديث أنه سيقّ لدم دولة بني أمية ، ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق ، فإن تفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدل على ذم أيامهم ، فإن ليلة القدر شريفة جداً ، والسورة الكريمة إنما جاءت لملاح ليلة القدر ، فكيف تُمدح بتفضيلها على أيام بني أمية التي هي مذمومة ، بمقتضى هذا الحديث ، وهل هذا إلا كما قال القائل :

ألم تر أنّ السيف ينقص قدره إذا قيل : إن السيف أمضى من العصا

وقال آخر :

إذا أنت فضلت امرأة ذا براعة عكبي ناقص ، كأن المديح من النقص

ثم الذي يفهم من ولاية الألف الشهر المذكورة في الآية هي أيام بني أمية ، والسورة مكية ، فكيف يحال على ألف شهر هي دولة بني أمية ، ولا يدل عليها لفظ الآية ولا معناها !؟ والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة ، فهذا كله مما يدل على ضعف هذا الحديث ونكارة ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا : أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا مسلم - يعني ابن خالد - عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر ، قال : فَعَجِبَ المسلمون من ذلك ، قال : فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل : (إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر) ليلة القدر خير من ألف شهر) التي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر .

(١) تفسير الطبري : ١٦٧/٣٠ . هذا وفي الطبقات السابقة من تفسير ابن كثير : « عن يوسف بن مازن » . وهو خطأ لا شك فيه ، ففي تفسير الطبري : « عن عيسى بن مازن » ، ومثله في مخطوطة الأزهر . وقد نبه الحافظ أبو العلي صاحب تحفة الأحاديث : ٢٨٣/٦ ، على ما وقعت فيه الطبقات السابقة من الخطأ ، وصوبه كما في المخطوطة . وقد ذكرنا ذلك - وإن كان ليس من مهمتنا الإشارة إلى خطأ الطبقات السابقة ، فهو أمر يطول - ذكرناه ليعلم صواب ما ذكره الحافظ أبو العلي ، وبالله التوفيق .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا حكام بن ساتم عن المنفى بن الصباح ، عن مجاهد قال : كان في نبي إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي ، ففعل ذلك ألف شهر ، فأنزل الله هذه الآية : (ليلة القدر خير من ألف شهر) (١) قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : أخبرنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، حدثني مسلمة بن عتيق ، عن علي بن عروة قال : ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً أربعة من بني إسرائيل ، عبدوا الله ثمانين عاماً ، لم يعصوه طرفة عين ؛ فذكر أيوب ، وزكريا ، وحزقيل بن العجوز (٣) ، ويوشع بن نون - قال : فعجب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ذلك ، فأتاه جبريل فقال : يا محمد ، عجببت أمتك من عبادة هؤلاء نفر ثمانين سنة ، لم يعصوه طرفة عين ؛ فقد أنزل الله خيراً من ذلك . فقرأ عليه : (إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر) ، هذا أفضل مما عجببت أنت وأمتك . قال : فسُرَّ بذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والناس معه .

وقال سفیان الثوري : بَلَغَنِي عن مجاهد : ليلة القدر خير من ألف شهر . قال : عَمَّا سَمِعَهَا ، صِيَامُهَا وَقِيَامُهَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . رواه ابن جرير (٤) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا ابن أبي زائدة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ليلة القدر خير من ألف شهر ، ليس في تلك الشهور ليلة القدر . وهكذا قال قتادة بن دعامة ، والشافعي ، وغير واحد .

وقال عمرو بن قيس الملائي : عمل فيها خير من عمل ألف شهر (٤) .

وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر - وليس فيها ليلة القدر - هو اختيار ابن جرير : وهو الصواب لا ما معناه ، وهو كقولته - صلى الله عليه وسلم - : « رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل » ، رواه أحمد (٥) . وكما جاء في فاصد الجمعة بيته حسنة ، ونية صالحة : أنه يَكْتَسِبُ له عمل سنة ، أجر صيامها (٦) وقيامها إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي هريرة قال : لما حضر رمضان قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، افترض الله عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل في الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم حراماً حُرِّمَ حراماً فقد حُرِّمَ (٧) .

(١) تحفة الأحوذى ، تفسير سورة « ليلة القدر » ، الحديث : ٣٤٠٨ : ٢٨٠/٩ - ٢٨٢ .

(٢) تفسير الطبري : ١٦٧/٣٠ .

(٣) في المعارف لابن قتيبة ٥١ : « هزقيل بن بودى » .

(٤) تفسير الطبري : ١٦٧/٣٠ .

(٥) مسند الإمام أحمد عن عثمان رضي الله عنه : ٦٢/١ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٥ .

(٦) تقدم الحديث في سورة الجمعة وخرجناه هنا لك ، انظر : ١٤٧/٨ .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٢٣٠/٢ . وانظر أيضاً : ٣٨٥/٢ ، ٤٢٥ .

ورواه النسائي ، من حديث أيوب ، به (١) :

ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ، ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه » (٢) .

وقوله : (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر) ، أى : يكثر تنزُّلُ الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها ، والملائكة ينزلون مع تنزل البركة والرحمة ، كما ينزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الله كبر ، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيماً له .

وأما الروح فليل : المراد به هاهنا جبريل عليه السلام ، فيكون من باب عطف الخاص على العام ؛ وقيل : هم ضرب من الملائكة . كما تقدم في سورة النبأ : والله أعلم .

وقوله : (من كل أمر) قال مجاهد : سلام هي من كل أمر .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا الأعمش ، عن مجاهد في قوله : (سلام هي) ، قال : هي سالمة ، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً أو يعمل فيها أذى .

وقال قتادة وغيره : تفضى فيها الأمور ، وتقدر الآجال والارزاق ، كما قال تعالى : (فيها يفرق كل أمر

حكيم) (٣)

وقوله : (سلام هي حتى مطلع الفجر) - قال سعيد بن منصور : حدثنا هشيم ، عن أبي إسحاق ، عن الشعبي في قوله تعالى : (من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر) قال : تسلم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد ، حتى يطلع الفجر . وروى ابن جرير عن ابن عباس أنه كان يقرأ : (من كل أمرىء . سلام هي حتى مطلع الفجر) (٤) .

وروى البيهقي في كتابه « فضائل الأوقات » عن علي أترأ غريباً في نزول الملائكة ، ومرورهم على المصلين ليلة القدر ، وحصول البركة للمصلين .

وروى ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار أترأ غريباً عجيباً مطرلاً جداً ، في تنزل الملائكة من سدرة المنتهى صحبة جبريل عليه السلام إلى الأرض ، ودعائهم للمؤمنين والمؤمنات .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا عمران - يعنى القطان - عن قتادة ، عن أنس ميمونة ، عن أنس هُريرة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في ليلة القدر : « إنها ليلة سابعة - أو : تاسعة - وعشرين ، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى » (٥) .

(١) النسائي ، كتاب الصيام : ١٢٩/٤ .

(٢) البخاري ، كتاب الإيمان ، باب « قيام ليلة القدر من الإيمان » : ١٥/١ . وكتاب الصوم . باب « من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية » : ٢٣/٣ . ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب « الترغيب في قيام رمضان » : ١٧٧/٢ .

(٣) سورة الدخان ، آية : ٤ .

(٤) تفسير الطبري : ١٦٨/٣٥ .

(٥) نسخة المعبر : ٢٥٠/١ .

وقال الأعمش ، عن المنهال ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله : (من كل أمر : سلام) قال : لا يحدث فيها أمر .

وقال قتادة وابن زيد في قوله : (سلام هي) ، يعنى : هي خير كلها ، ليس فيها شر إلى مطلع الفجر . ويؤيد هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد :

حدثنا حيوة بن شريح ، حدثنا بنية ، حدثني بَحْر بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن عبادة بن الصامت : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « ليلة القدر في العشر البوائى ، من قامهن ابتغاء حسبتهن فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهي ليلة وتر : تسع ، أو سبع ، أو خامسة ، أو ثالثة ، أو آخر ليلة . وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أن أمارة ليلة القدر أنها صافية بلسجة (١) ، كأن فيها قمرأ ساطعاً ، ساكنة ساجية ، لا يبرد فيها ولا حر ، ولا يحل لكوكب يرمى به [فيها] حتى تصبح . وأن أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ، ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ، ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ (٢) . »

وهذا إسناد حسن ، وفي المتن غرابة ، وفي بعض ألفاظه نكارة .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا زمعة ، عن سلمة بن وهرام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في ليلة القدر : « ليلة سمحة طامقة ، لا حارة ولا باردة ، وتصيح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء (٣) . » وروى ابن أبي عاصم النبيل بإسناده عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إنى رأيت ليلة القدر فأنسيتها ، وهي في العشر الأواخر من لياليها [ليلة] طلقة بلجة ، لا حارة ولا باردة ، كأن فيها قمرأ ، لا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها . »

فصل

اختلف العلماء : هل كانت ليلة القدر في الأمم السالفة ، أو هي من خصائص هذه الأمة ؟ على قولين . قال أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهرى : حدثنا مالك : أنه بلغه : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرى أعمار الناس قبله - أو : ما شاء الله من ذلك - فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذى بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر ، خيراً من ألف شهر . وقد أسند من وجه آخر . وهذا الذى قاله مالك يقتضى تخصيص هذه الأمة بليلة القدر ، وقد نقله صاحب « العدة » أحد أئمة الشافعية عن جمهور العلماء ، فإنه أعلم . وحكى الخطيب عليه الإجماع والذى دل عليه الحديث أنها كانت في الأمم الماضين كما هي في أمنا .

قال أحمد بن حنبل : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن عكرمة بن حمار : حدثني أبو زَيْمَل سمعناك الحنبلى : حدثني مالك بن مَرْثَد بن عبد الله ، حدثني مَرْثَد قال : سألت أبا ذر قلت : كيف سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ليلة القدر ؟ قال : أنا كنت أسأل الناس عنها ، قلت : يا رسول الله ، أخبرني عن ليلة القدر ، أفي رمضان هي أو

(١) أى : مشرقة .

(٢) سننه الإمام أحمد : ٣٢٤ : ٥ .

(٣) في منحة المعبود . صفيقة : ينك : ضعيفة : انظر : ٢٠١ : ٩ .

في غيره؟ قال؟ «بل هي في رمضان» قلت: تكون مع الأنبياء ما كانوا، فإذا قبضوا رفعت؟ أم هي إلى يوم القيامة؟ قال؟ «بل هي إلى يوم القيامة». قلت: في أي رمضان هي؟ قال: «التسوية في العشر الأول والعشر الأواخر» ثم حدث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحدثت، ثم اهتبلت غفلته قلت: في أي العشرين هي؟ قال: «ابتغوها في العشر الأواخر، لا تسألني عن شيء بعدها». ثم حدث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم اهتبلت غفلته فقلت: يا رسول الله، أقسمت عليك بحي عليك لَمَا أخبرتني في أي العشر هي؟ فغضب علي غضباً لم يغضب مثله منذ صحبتته، وقال: «التسوية في السبع الأواخر، لا تسألني عن شيء بعدها (١)».

ورواه النسائي عن الفلاس، عن يحيى بن سعيد القطان، به،

فيه دلالة على ما ذكرناه، وفيه أنها تكون باقية إلى يوم القيامة في كل سنة لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رفعها بالكلية، على ما فهموه من الحديث الذي سنورده بعد من قوله عليه السلام: «فرغت، وعسى أن يكون خيراً لكم» لأن المراد رفع علم وقتها عيناً. وفيه دلالة على أن ليلة القدر يخص وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور، لا كما روي عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة، من أنها توجد في جميع السنة، وتوتجى في جميع الشهور هي السواء.

وقد ترجم أبو داود في سننه على هذا فقال: «باب بيان أن ليلة القدر في كل رمضان»؛ حدثنا حُمَيْدُ بْنُ زَوْجِيٍّ وَالتَّمَامِيُّ، أَخْبَرَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَقَبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْرٍ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَنَا أَسْمَعُ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَقَالَ: هِيَ فِي كُلِّ رَمَضَانَ (٢)».

وهذا إسناد وجاله ثقات إلا أن أبا داود قال: «رواه شعبة وسفيان عن أبي إسحاق فأوقفاه (٢)».

وقد حكى عن أبي حنيفة - رحمه الله - رواية أنها توتجى في جميع شهر رمضان. وهو وجه الغزالي، واستغربه الرافعي جداً.

فصل

ثم قد قيل: إنها تكون في أول ليلة من شهر رمضان، يحكى هذا عن أبي رزین: وقيل: إنها تقع ليلة سبع عشرة؛ وروى فيه أبو داود حديثاً مرفوعاً عن ابن مسعود (٣)، وروى موقوفاً عليه، وعلي زيد بن أرقم، وعثمان بن أبي العاص، وهو قول عن محمد بن إدريس الشافعي، ويحكى عن الحسن البصري: ووجهه بأنها ليلة بدر، وكانت ليلة الجمعة هي لليلة عشرة من شهر رمضان، وفي صبيحتها كانت وقعة بدر، وهو اليوم الذي قال الله تعالى فيه: (يوم الفرقان):

(١) مسند الإمام أحمد: ١٧١/٥.

(٢) سنن أبي داود، تفريع أبواب شهر رمضان، باب «من قال: هي في كل رمضان».

(٣) سنن أبي داود، تفريع أبواب شهر رمضان، باب «من روى أنها ليلة سبع عشرة».

وقيل : ليلة تسع عشرة ، يحكى عن علي وابن مسعود أيضاً ، رضى الله عنهما :

وقيل : ليلة احدى وعشرين ، لحديث أبي سعيد الخدرى قال : اعتكف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العشر الأول من رمضان واعتكفنا معه ، فاتاه جبريل فقال إن الذى تطلب أمامك : فاعتكف العشر الأوسط واعتكفنا معه ، فاتاه جبريل فقال : الذى تطلب أمامك ثم قام النبي - صلى الله عليه وسلم - خطيباً صبيحة عشرين من رمضان ، فقال : « من كان اعتكف معي فليرجع ، فاني رأيت ليلة القدر ، وإني أنسيتها ، وإنها في العشر الأواخر في وتر ، وإني رأيت كأنى أسجد في طين وماء » : وكان سقف المسجد جريداً من النخل ، وما نرى في السماء شيئاً ، فجاءت قزعة (١) فمسطرتنا ، فصلى بنا النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تصديقاً رؤياه (٢) : وفي لفظ : في صبح إحدى وعشرين « أخرجاه في الصحيحين .

قال الشافعي : وهذا الحديث أصح الروايات :

وقيل : ليلة ثلاث وعشرين ، لحديث عبد الله بن أنيس في « صحيح مسلم » وهو قريب السياق من رواية أبي سعيد (٣) قاله أعلم .

وقيل : ليلة أربع وعشرين ، قال أبو داود الطيالسي : حدثنا حماد بن سلمة ، عن الجريري ، عن أبي نصره ، عن أبي سعيد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » (٤) . إسناده رجاله ثقات .

وقال أحمد : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ابن أبي عمير ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير ، عن الصنابحي ، عن بلال قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » (٥) .

ابن طيبة ضعيف : وقد خالفه ما رواه البخارى عن أصبغ ، عن ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي الخير ، عن أبي عبد الله الصنابحي قال : قال : أخبرني بلال مؤذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنها أول السبع من العشر الأواخر . فهذا الموقوف أصح ، والله أعلم . وهكذا روى عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وجابر والحسن ، وقتادة ، وعبد الله بن وهب : أنها ليلة أربع وعشرين . وقد تقدم في « سورة البقرة (٦) » حديث واثلة ابن الأسقع مرفوعاً : « إن القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين » .

(١) القزعة - بفتح الحاء - : قطعة من النعم .

(٢) البخارى ، كتاب الصلاة ، باب « السجود على الأنف والسجود على الطين » : ٢٠٦/١ - ٢٠٧ . وانظر مسلم ،

كتاب الصوم ، باب « فضل ليلة القدر والحث على طلبها ، وبيان محلها ، وأرجى أوقات طلبها » : ١٧١/٣ .

(٣) مسلم في الكتاب والباب المتقدمين : ١٧٣/١ .

(٤) منحة المعبود ٢٠١/١ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ١٢/٦ .

(٦) انظر : ٣٥٩/١ .

وقيل : تكون ليلة خمس وعشرين ، لما رواه البخارى ، عن عبد الله بن عباس : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ، في تاسعة تبقى ، في سابعة تبقى ، في خامسة تبقى (١) ففسره كثيرون بليالي الأوتار ، وهو أظهر وأشهر . وحمله آخرون على الإشفاق كما رواه مسلم (٢) ، عن أبي سعيد ، أنه حمّله على ذلك ، والله أعلم .

وقيل : إنها تكون ليلة سبع وعشرين لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها ليلة سبع وعشرين (٣) .

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان : سمعت عبدة وعاصماً ، عن زُرِّ : سألت أبي بن كعب قلت : أبا المنذر ، إن أخاك ابن مسعود يقول : من يقم الحول يصب ليلة القدر : قال : يرحمه الله ، لقد علم أنها في شهر رمضان ، وأنها ليلة سبع وعشرين . ثم حلف . قلت : وكيف تعلمون ذلك ؟ قال : بالعلامة - أو : بالآية - التي أخبرنا بها ، تطلع ذلك اليوم لا شعاع لها ، أعني الشمس (٤) .

وقد رواه مسلم من طريق سفيان بن عيينة وشعبة والأوزاعي ، عن عبدة ، عن زُرِّ ، عن أبي . . . فذكره ، وفيه فقال : « والله الذي لا إله إلا هو ، إنها لفي رمضان - حلف ما يستثنى - والله إنى لأعلم أى ليلة القدر هي التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها ، هي ليلة سبع وعشرين ، وأمرتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها .

وفي الباب عن معاوية ، وابن عمر ، وابن عباس ، وغيرهم ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنها ليلة سبع وعشرين . وهو قول طائفة من السلف ، وهو الجأدة من مذهب أحمد بن حنبل - رحمه الله - وهو رواية عن أبي حنيفة أيضاً . وقد حكى عن بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن ، من قوله : (هي) لأنها الكلمة السابعة والعشرون من السورة ، والله أعلم .

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الديبري ؛ أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر ، عن قتادة وعاصم : أنهما سمعا عكرمة يقول : قال ابن عباس : دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - فسألهم عن ليلة القدر ، فأجمعوا على أنها في العشر الأواخر . قال ابن عباس : فقلت لعمر : إنى لأعلم - أو : إنى لأظن - أى ليلة القدر هي ؟ فقال عمر : أى ليلة هي : سابعة تحضى - أو : سابعة تبقى - من العشر الأواخر . فقال عمر : ومن أين علمت ذلك ؟ قال ابن عباس فقلت : خلق الله سبع سموات ، وسبع أرضين ، وسبعة أيام ، وإن الشهر يدور على سبع ، وخلق الإنسان من سبع ، ويأكل من سبع ، ويسجد على سبع ، والطواف بالبيت سبع ، ورمى الحمار سبع . . . لأشياء ذكرها . فقال عمر : لقد فطنت لأمر ما فطنت له . وكان قتادة يزيد عن ابن عباس في قوله : ويأكل من سبع ، قال : هو قول الله تعالى : (فأنبئنا فيها حباً وعبأ) . . . الآية .

(١) البخارى ، كتاب الصيام ، باب « تحرى ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر فيه عبادة » : ٦١/٣ .

(٢) مسلم ، كتاب الصوم ، باب « فضل ليلة القدر وأحسن على طلبها . . . » : ١٧٢/٣ - ١٧٤ .

(٣) مسلم : في الكتاب والباب المتقدمين : ١٧٤/٣ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٣٠/٥ .

وهذا إسناد جيد قوى ، ونصٌ غريب جداً ، والله أعلم .

وقيل : إنها تكون في ليلة تسع وعشرين . قال أحمد بن حنبل :

حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، حدثنا سعيد بن سلمة ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عمر بن عبد الرحمن ، عن عبادة بن الصامت : أنه سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ليلة القدر ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « في رمضان ، فالتسوها في العشر الأواخر ، فإنها في وتر إحدى وعشرين ، أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، أو سبع وعشرين ، أو في آخر ليلة (١) » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود - وهو : أبو داود الطيالسي - حدثنا عمران القطان ، عن قتادة ، عن أبي ميمونة ، عن أبي هريرة . أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في ليلة القدر : « إنها ليلة سابعة أو تسعة وعشرين وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى (٢) » .
نفرد به أحمد ، وإسناده لا بأس به .

وقيل : إنها تكون في آخر ليلة ، لما تقدم من هذا الحديث آنفاً ، ولما رواه الترمذي والنسائي ، من حديث عبيدة بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي بكرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « في تسع يمين ، أو سبع يمين ، أو خمس يمين ، أو ثلاث ، أو آخر ليلة . يعني : التسوا ليلة القدر (٣) » .

وقال الترمذي : حسن صحيح . وفي المسند من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في ليلة القدر : « إنها آخر ليلة » .

فصل

قال الشافعي في هذه الروايات : صدرت من النبي - صلى الله عليه وسلم - جواباً للسائل إذا قيل له أتمس ليلة القدر في ليلة القدر؟ يقول : « نعم » . وإنما ليلة القدر ليلة معينة : لا تنتقل . نقله الترمذي (٣) عنه بمعناه . وروى عن أبي قلابة أنه قال : [ليلة القدر] تنتقل في العشر الأواخر (٤) .

وهذا الذي حكاه عن أبي قلابة نص عليه مالك ، والثوري ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبو ثور والمزني ، وأبو بكر بن خزيمة ، وغيرهم . وهو محكي عن الشافعي - نقله القاضي عنه ، وهو الأشبه - والله أعلم .

وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت في الصحيحين ، عن عبد الله بن عمر : أن رجلاً من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر ، فمن كان متحريراً فليستحرها في السبع الأواخر (٥) » .

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٢٠/٥ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٥١٩/٢ .

(٣) تحفة الأحوزي ، أبواب الصوم ، باب « ما جاء في ليلة القدر » ، الحديث ٧٩١ : ٥٠٧/٣ - ٥٠٨ .

(٤) تحفة الأحوزي في الباب المتقدم ، الحديث ٧٨٩ : ٥٠٦/٣ .

(٥) البخاري ، كتاب الصوم ، باب « التماس ليلة القدر - في السبع الأواخر » : ٥٩/٣ - ٦٠ . ومسلم ، كتاب الصوم ،

باب « فضل ليلة القدر ... » : ١٧٠/٣ .

وفيها أيضاً عن عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان (١) . ولفظه للبخارى .

ويحتاج للشافعي أنها لا تنتقل ، وأنها معينة من الشهر ، بما رواه البخارى في صحيحه ، عن عبادة بن الصامت قال : « خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليخبرنا بليلة القدر ، فتلاحى رجلان من المسلمين ، فقال : « خرجت لأخبركم بليلة القدر ، فتلاحى فلان وفلان ، فرفعت ، وعسى أن يكون خيراً لكم ، فاتسوها في التاسعة والسابعة والخامسة (٢) » . وجه الدلالة منه : أنها لو لم تكن معينة مستمرة التعيين ، لما حصل لهم العلم بعينها في كل سنة ، إذا لو كانت تنتقل لما علموا تعيينها إلا ذلك العام فقط ، اللهم إلا أن يقال : إنه إنما خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط .

وقوله : « فتلاحى فلان وفلان فرفعت » : فيه استئناس لما يقال : إن الممارسة تقطع الفائدة والعلم النافع ، وكما جاء في الحديث : « إن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه (٣) .

وقوله : « فرفعت » أى : رفع علم تعيينها لكم ، لا أنها رفعت بالكلية من الوجود ، كما يقوله جهلة الشيعة ، لأنه قد قال بعد هذا : « فاتسوها في التاسعة والسابعة والخامسة » .

وقوله : « وعسى أن يكون خيراً لكم » ، يعنى عدم تعيينها لكم ، فإنها إذا كانت مبهمة اجتهد طلابها في ابتغائها في جميع محال رجائها ، فكان أكثر للعبادة ، بخلاف ما إذا علموا عينها فإنها كانت الهمم تنقصر على قيامها فقط . وإنما اقتضت الحكمة إبهامها لتم العبادة جميع الشهر في ابتغائها ، ويكون الاجتهاد في العشر الأواخر أكثر . ولهذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعتكف العشر الأواخر من رمضان ، حتى توفاه الله عز وجل . ثم اعتكف أزواجه من بعده . أخرجاه (٤) من حديث عائشة .

ولهما عن ابن عمر : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعتكف العشر الأواخر من رمضان (٤) . وقالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - إذا دخل العشر ، أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وشد المنزلة أخرجاه (٥) .

ولمسلم عنها : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيره (٦) . وهذا معنى قولها « وشد المنزلة » . وقيل : المراد بذلك : اعتزال النساء . ويحتمل أن يكون كناية عن الأمرين ، لما رواه الإمام أحمد :

(١) البخارى ومسلم ، في الكتاب والباب المتقدمين . انظر البخارى : ٦٠/٣ . ومسلم : ١٧٣/٣ .

(٢) البخارى ، كتاب الصوم ، باب « تحرى ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر » : ٦١/٣ .

(٣) ابن ماجه ، المقدمة ، باب « في القدر » ، الحديث ٩٠ : ٣٥/١ . وكتاب الفتن ، باب « المقوبات » ، الحديث ٤٠٢٢ : ١٢٣٤/٢ .

(٤) البخارى ، كتاب الصيام ، باب « الاعتكاف في العشر الأواخر » : ٦٢/٣ . ومسلم ، كتاب الاعتكاف ، باب

« اعتكاف العشر الأواخر من رمضان » : ١٧٥/٣ .

(٥) البخارى ، كتاب الصيام ، باب « العمل في العشر الأواخر » : ٦١/٣ . ومسلم ، كتاب الاعتكاف ، « الاجتهاد

في العشر الأواخر من شهر رمضان » : ١٧٥/٣ - ١٧٦ .

(٦) مسلم في الكتاب والباب المتقدمين : ١٧٦/٣ .

حدثنا سُريج : حدثنا أبو معشر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - إذا بقي عشر من رمضان شدّ مئزره ، واعتزل نساءه . انفراد به أحمد (١) .
وقد حكى عن مالك - رحمه الله - أن جميع ليالي العشر [في] تطلب ليلة القدر على السواء ، لا يرجح منها ليلة على أخرى : رأيت في شرح الرافعي رحمه الله .

والمستحب الإكثار من الدعاء في جميع الأوقات ، وفي شهر رمضان أكثر ، وفي العشر الأخير منه ، ثم في أوتاره أكثر . والمستحب أن يكثر من هذا الدعاء : « اللهم ، إنك عَصَوْتِ حَب العَفْو ، فاعف عني » ، لما رواه الإمام أحمد : حدثنا يزيد - هو ابن هارون - حدثنا الجريري - وهو : سعيد بن إلياس - عن عبد الله بن بريدة : أن عائشة قالت : يا رسول الله ، إن وافقت ليلة القدر فما أدعو؟ قال : « قولي : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني (٢) » .
وقد رواه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، من طريق كهشمس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة ، عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله ، أ رأيت إن علمت أي ليلة القدر ، ما أقول فيها ؟ قال ؟ « قولي : اللهم ، إنك عَصَوْتِ حَب العَفْو ، فاعف عني » .

وهذا لفظ الترمذي ، ثم قال « هذا حديث حسن صحيح (٣) . وأخرجه الحاكم في مستدركه ، وقال : « هذا صحيح على شرط الشيخين » . ورواه النسائي أيضاً من طريق سفيان الثوري ، عن علقمة بن مرثد ، عن سليمان بن بريدة عن عائشة قالت : يا رسول الله ، أ رأيت إن وافقت ليلة القدر ، ما أقول فيها ؟ قال « قولي اللهم ، إنك عَصَوْتِ حَب العَفْو ، فاعف عني » .

ذكر أثر غريب ونبأ عجيب ، يتعلق بليلة القدر ، رواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم ، عند تفسير هذه السورة الكريمة فقال :

حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن أبي زياد (٤) القَطَوَانِي ، حدثنا سيار بن حاتم ، حدثنا موسى بن سعيد - يعني الراسبي - عن هلال أبي جبلة (٥) ، عن أبي عبد السلام ، عن أبيه ، عن كعب أنه قال : إن سدرة المنتهى على حد السماء السابعة (٦) ، مما يلي الجنة ، فهي على حدّ هواء الدنيا وهواء الآخرة ، [علوها] في الجنة ، وعروقها وأعضائها من تحت الكرسي ، فيها ملائكة لا يعلم عدّتهم إلا الله عز وجل ، يعبدون الله - عز وجل - على أعضائها في كل موضع شعرة منها ملك . ومقام جبريل - عليه السلام - في وسطها ، فينادي الله جبريل أن ينزل في كل ليلة قدر مع الملائكة الذين يسكنون سدرة المنتهى ، وليس فيهم ملك إلا قد أعطى الرأفة والرحمة للمؤمنين ، فيقولون (٧) علي جبريل في ليلة القدر ،

(١) مسند الإمام أحمد : ٦٦/٦ - ٦٧ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٨٢/٦ .

(٣) تحفة الأحوذى ، أبواب الدعوات ، الحديث ٣٥٨٠ : ٤٩٥/٩ . وابن ماجه ، كتاب الدعاء ، باب الدعاء بالعفو

والعافية ، الحديث ٣٨٥٠ : ١٢٦٥/٢ .

(٤) هو عبد الله بن الحكم القَطَوَانِي . مترجم في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٣٨/٢/٢ .

(٥) في المخطوطة : « هلال بن أبي جبلة » . والمثبت عن الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٧٦/٢/٤ .

(٦) في المخطوطة : « السماء الرابعة » . والمثبت عن الطبقات السابقة .

(٧) في المخطوطة : « فيقولون علي جبريل » . والمثبت عن الطبقات السابقة أيضاً .

حين تغرب الشمس ، فلا تبقى بقعة في ليلة القدر إلا وعليها ملك ، إما ساجد وإما قائم ، يدعو للمؤمنين والمؤمنات ، إلا أن تكون كديسة أو بيعة ، أو بيت نار أو وثن ، أو بعض أماكنكم التي تطرحون فيها الخبث ، أو بيت فيه سكران ، أو بيت فيه مسكر ، أو بيت فيه وثن منصوب ، أو بيت فيه جرس معلق ، أو ميولة ، أو مكان فيه كساحة البيت . فلا يزالون ليلتهم تلك يدعون للمؤمنين والمؤمنات ، وجبريل لا يدع أحداً من المؤمنين إلا صافحه ، وعلامة ذلك من افشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه ، فإن ذلك من مصافحة جبريل .

وذكر كعب أن من قال في ليلة القدر : « لا إله إلا الله » ، ثلاث مرات ، غفر الله له بواحدة ، ونجاه من النار بواحدة ، وأدخله الجنة بواحدة . فقلنا لكعب الأحبار : يا أبا إسحاق ، صادقاً ؟ فقال كعب : وهل يقول « لا إله إلا الله » في ليلة القدر إلا كل صادق ؟ والذى نفسى بيده ، إن ليلة القدر لتثقل على الكافر والمنافق ، حتى كأنها على ظهره جبل ، فلا تزال الملائكة هكذا حتى يطلع الفجر . فأول من يصعد جبريل حتى يكون في وجه الأفق الأعلى من الشمس ، فيبسط جناحيه — وله جناحان أخضران ، لا ينشرهما إلا في تلك الساعة — فتصير الشمس لا شعاع لها ، ثم يدعو ملكاً فيصعد ، فيجتمع نور الملائكة ونور جناحي جبريل ، فلا تزال الشمس يوماً ذلك متحيرة ، فيقيم جبريل ومن معه بين الأرض وبين السماء الدنيا يومهم ذلك ، في دعاء ورحمة واستغفار للمؤمنين والمؤمنات ، ولمن صام رمضان احتساباً ، ودعا لمن حدث نفسه إن عاش إلى قابل صام رمضان لله . فإذا أمسوا دخلوا السماء الدنيا ، فيجلسون حاسقاً ، فيجتمع إليهم ملائكة سماء الدنيا ، فيسألونهم عن رجل رجل ، وعن امرأة امرأة ، فيحدثونهم حتى يقولوا : ما فعل فلان ؟ وكيف وجدتموه العام فيقولون : وجدنا فلانا عام أول في هذه الليلة متعبداً ووجدناه العام متعبداً . ووجدنا فلانا مبتدعاً ووجدناه العام عابداً قال : فيكفرون عن الاستغفار لذلك ، ويقبلون على الاستغفار لهذا ، ويقولون : وجدنا فلانا وفلانا يذكران الله ، ووجدنا فلانا راکعاً ، وفلانا ساجداً ، ووجدناه تالياً لكتاب الله . قال : فهم كذلك يومهم وليلتهم ، حتى يصعدون إلى السماء الثانية ، ففي كل سماء يوم وليلة ، حتى ينتهوا مكانهم من سدرة المنتهى ، فتقول لهم سدرة المنتهى : ياسكاني ، حدثوني عن الناس وسموهم لي . فإن لي عليكم حقاً ، وإنى أحب من أحب الله . فذكر كعب أنهم يعدون لها ، ويحكون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم . ثم تقبل الجنة على السدرة فتقول : أخبريني بما أخبرك سكانك من الملائكة . فتخبرها ، قال : فتقول الجنة : رحمة الله على فلان ، ورحمة الله على فلانة ، اللهم عجلهم إلى ، فيبلغ جبريل مكانه قبلهم ، [فيلهمه] الله فيقول : وجدت فلانا ساجداً فاغفر له . فيغفر له ، فيسمع جبريل جميع حملة العرش فيقولون : رحمة الله على فلان ورحمة الله على فلانة ، ومغفرته لفلان ، ويقول : يارب ، وجدت عبدك فلانا الذى وجدته عام أول على السنة والعبادة ، ووجدته العام قد أحدث حدثاً وتولى (٧) عما أمر به . فيقول الله : يا جبريل ، إن تاب فأعطينى قبل أن يموت بثلاث ساعات غفرت له . فيقول جبريل : لك الحمد إلهي ، أنت أرحم من جميع خلقك ، وأنت أرحم بعبادك من عبادك بأنفسهم ، قال : فيرتج العرش وما حوله ، والحجب والسموات ومن فيهن ، تقول : الحمد لله الرحيم ، الحمد لله الرحيم .

قال وذكر كعب أنه من صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر بعد رمضان أن لا يعصى الله ، دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب .

آخر تفسير سورة ((ليلة القدر))

تفسير سورة لم يكن وهي مدنية

قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد - وهو ابن سلمة - أخبرنا علي - هو ابن زيد - عن عمار بن أبي عمار قال : سمعت أبا حية البدرى - وهو : مالك بن عمرو بن ثابت الأنصارى - قال : لما نزلت : (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) إلى آخرها ، قال جبريل : يارسول الله، إن ربك يأمرك أن تقرئها أبيتاً ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأبي : « إن جبريل أمرني أن أقرأ هذه السورة » . قال أبي : وقد ذكرت ثم يارسول الله ؟ قال : « نعم » . قال فبكي أبي (١) .

حديث آخر ، وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب : « إن الله أمرني أن أقرأ عليك : (لم يكن الذين كفروا) قال : وسأني لك ؟ قال (٢) « نعم » . فبكي .

ورواه البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، والنسائى ، من حديث شعبة ، به (٣) .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا مؤمل ، حدثنا سفيان ، حدثنا أسلم المقرئ ، عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى ، عن أبيه ، عن أبي بن كعب قال : قال لى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إني أمرت أن أقرأ عليك سورة كذا وكذا » . قلت : يارسول الله، وقد ذكرت هناك ؟ قال « نعم » فقلت له : ياأبا المنذر ، فسرحت بذلك . قال : وما يعنى والله يقول : (قل : بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ، هو خير مما يجمعون) قال مؤمل : قلت لسفيان : القراءة في الحديث ؟ قال : نعم . تفرد به من هذا الوجه (٤) .

طريق أخرى ، قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا : حدثنا شعبة ، عن عاصم بن هذلة ، عن زر ابن حبيش ، عن أبي بن كعب قال : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لى : « إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن قال : فقرأ : (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) ، قال : فقرأ فيها : ولو أن ابن آدم سأل وادياً من مال ، فأعطيه ، لسأل ثانياً ، ولو سأل ثانياً فأعطيه لسأل ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب . وإن ذلك الذين عند الله الحثيفية ، غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ، ومن يفعل خيراً فلان يكفره (٥) .

(١) مستند الإمام أحمد : ٤٨٩/٣ .

(٢) مستند الإمام أحمد : ١٣٠/٣ .

(٣) البخارى ، تفسير سورة (لم يكن) : ٢١٦/٦ - ٢١٧ . ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب « من فضائل أبي بن كعب » : ١٥٠/٧ . وتحفة الأحوذى ، أبواب المناقب ، باب « فضل أبي بن كعب رضى الله عنه » ، الحديث ٣٩٨٩ : ٣٩٨ - ٣٩٧ .

(٤) مستند الإمام أحمد : ١٢٣/٥ .

(٥) مستند الإمام أحمد : ١٣١/٥ - ١٣٢ .

ورواه الترمذى من حديث أنى داود الطيالسى ، عن شعبة ، به . وقال : « حسن صحيح (١) » .

طريق أخرى ، قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : حدثنا أحمد بن خليد (٢) الحلبي ، حدثنا محمد بن عيسى (٣) الطباع ، حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن أبي بن كعب ، عن أبيه ، عن جده ، عن أنى بن كعب قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « يا أبا المنذر ، إني أمرت أن أعرض عليك القرآن » قال : بالله آمنت (٤) ، وعلى يدك أسلمت ، ومنك تعلمت . قال : فرد النبي صلى الله عليه وسلم - القول ، فقال : يا رسول الله ، أذكرت هناك ؟ قال : نعم ، باسمك ونسبك في المأ الأعلى . قال : فاقراً إذاً يا رسول الله .

هذا غريب من هذا الوجه ، والثابت ما تقدم . وإنما قرأ عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - هذه السورة تثنياً له ، وزيادة لإيمانه ، فانه - كما رواه أحمد والنسائي ، من طريق أنس ، عنه (٥) ، ورواه أحمد وأبو داود ، من حديث سليمان بن صرد عنه (٦) . ورواه أحمد عن عفان ، عن حماد ، عن حميد ، عن أنس ، عن عبادة بن الصامت ، عنه (٧) ، ورواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي ، من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن عيسى ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عنه (٨) - كان قد أنكر على إنسان ، وهو : عبد الله بن مسعود ، قراءة شيء من القرآن على خلاف ما أقرأه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرفعه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فاستقرأهما ، وقال ، لكل منهما : « أصبت » ، قال أبي : فأخذني من الشك ولا إذ كنت في الجاهلية . فضر ب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في صدره ، قال أبي : فقضت عرقاً ، وكأنا أنظر إلى الله فرقاً . وأخبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن جبريل أتاه فقال : إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف . فقلت : أسأل الله معافاته ومغفرته . فقال : على حرفين . فلم يزل حتى قال : إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على سبعة أحرف . كما قدمنا ذكر هذا الحديث بطريقة وألفاظه في أول التفسير . فلما نزلت هذه السورة الكريمة وفيها : (رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة) فيها كتب قيمة) ، قرأها عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قراءة إبلاغ وتثبيت وإنذار ، لا قراءة تعلم واستذكار ، والله أعلم .

وهذا كما أن عمر بن الخطاب لما سأله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الحديبية عن تلك الأسئلة ، وكان فيما قال : أولم تكن تخبرنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : « بلى ، أفأخبرت أنك أتيت عامك هذا » . قال : لا ، قال : « فإنك آتيت ومطوف به » . فلما رجعوا من الحديبية ، وأنزل الله على النبي - صلى الله عليه وسلم : « سورة الفتح » دعا عمر بن الخطاب وقرأها عليه ، وفيها قوله : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) . الآية ، كما تقدم .

(١) تحفة الأحوذى ، أبواب المناقب ، الحديث ٣٩٨٩ : ٣٩٧/١٥ - ٣٩٨ .

(٢) في المعجم الصغير ١٥/١ : « بين خالد » .

(٣) في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣٨/١/٤ : « عيسى بن الطباع » . وانظر الجرح أيضاً « ترجمة معاذ بن محمد » .

٢٤٧/١/٤ .

(٤) في المخطوطة : « آمنت بالله » . والمثبت عن الطبعات السابقة .

(٥) مسند الإمام أحمد : ١٢/٢٥ . والنسائي ، كتاب الافتتاح ، باب « جامع ما جاء في القرآن » : ٥٤/٢ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ١٢٤/٥ . وسنن أبي داود ، كتاب الوتر ، باب « أنزل القرآن على سبعة أحرف » .

(٧) مسند الإمام أحمد : ١١٤/٥ .

(٨) مسند الإمام أحمد : ١٢٧/٥ . ومسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب « بيان أن القرآن على سبعة أحرف » .

وبيان معناه » ٢٠٢/٢ - ٢٠٣ . وانظر سنن أبي داود والنسائي في الكتاب والباب المتقدمين .

وروى الحافظ أبو نعيم في كتابه « اسماء الصحابة » ، من طريق محمد بن إسماعيل الجمعة ، عن المدني : حدثنا عبد الله ابن سلمة بن أسلم ، عن ابن شهاب ، عن إسماعيل بن أبي حكيم المدني حدثني فضيل - سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إن الله ليسمع قراءة (لم يكن الذين كفروا) ، فيقول : أبشر عبدي ، فوعزني لأمكنه لك في الجنة حتى ترضى » .

حديث غريب جداً . وقد رواه الحافظ أبو موسى المديني وابن الأثير ، من طريق الزهري ، عن إسماعيل بن أبي حكيم عن نظير (١) المزني - أو : المدني - عن النبي - صلى الله عليه وسلم « إن الله ليسمع قراءة (لم يكن الذين كفروا) » ويقول : أبشر عبدي ، فوعزني لا أنساك على حال من أحوال الدنيا والآخرة ، ولأمكن لك في الجنة حتى ترضى » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أَمَرُوا إِلَّا ليعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾

أما أهل الكتاب فهم : اليهود والنصارى ، والمشركون : عبدة الأوثان والذريان ، من العرب ومن العجم .

وقال مجاهد : لم يكونوا (منفكين) يعنى : مستهين حتى يتبين لهم الحق وكذا . قال قتادة (٢)

(حتى تأتيهم البينة) ، أى : هذا القرآن . ولهذا قال تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى

تأتيهم البينة) . ثم فسر البينة بقوله : (رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة) ، يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم ، وما يتلوه من القرآن العظيم ، الذى هو مكتوب فى الملائ الأعلى ، فى صحف مطهرة ، كقوله : (فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة) (٣) .

وقوله : (فيها كتب قيمة) - قال ابن جرير : أى فى الصحف المطهرة كتب من الله قيمة ؛ عادلة مستقيمة ، ليس فيها خطأ ؛ لأنها من عند الله عز وجل (٢) .

قال قتادة : (رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة) ، يذكر القرآن بأحسن الذكر ، ويشئى عليه بأحسن الشاء ؛

وقال ابن زيد : (فيها كتب قيمة) : مستقيمة معتدلة

وقوله : (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم البينة) ، كقوله : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا

واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم) (٤) يعنى بذلك أهل الكتب المترلة على الأمم قبلنا ، بعد ما

(١) فى المخطوطة : « عن مطر » . والمثبت عن أسد الغابة ، الترجمة ٥٢٢٤ : ٢٢٥/٥ ، بتحقيقنا .

(٢) تفسير الطبرى : ١٦٩/٣٠ .

(٣) سورة عبس ، الآيات : ١٣ - ١٦ .

(٤) سورة آل عمران ، آية : ١٠٥ .

أقام الله عليهم الحجج والبيئات تفرقوا واختلفوا في الذي أراده الله من كتبهم ، واختلفوا اختلافاً كثيراً ، كما جاء في الحديث المروى : من طرق : « إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة ، وإن النصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة » . قالوا : من هم يارسول الله ؟ قال : « ما أنا عليه وأصحابي (١) » .

وقوله : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) ، كقوله : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فأعبدون (٢)) . ولهذا قال : حنفاء ، أى متحذقون عن الشرك إلى التوحيد . كقوله : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا : أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت (٣)) . وقد تقدم تقرير الخفيف في « سورة الأنعام (٤) » بما أغنى عن إعادته هاهنا :

(ويقوموا الصلاة) ، وهى أشرف عبادات البدن ، (ويؤتوا الزكاة) ، وهى الإحسان إلى الفقراء والمخاويع ؛ (وذلك دين القيمة) ، أى : الملة القائمة العادلة ، أو : الأمة المستقيمة المعتدلة . وقد استدلل كثير من الأئمة ، كالزهري والشافعي ، بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة في الإيمان . ولهذا قال : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقوموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة) .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٦٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٦٨﴾

يخبر تعالى عن مآل الفجار ، من كفرة أهل الكتاب ، والمشركين المخالفين لكتاب الله المنزلة وأنبياء الله المرسله ؛ أنهم يوم القيامة (في نار جهنم خالدين فيها) أى : ماكين ، لا يحولون عنها ولا يتزولون : (أولئك هم شر البرية) ، أى : شر الخليقة التى يرأها الله وذراها .

ثم أخبر تعالى عن حال الأبرار - الذين آمنوا بقلوبهم ، وعملوا الصالحات بأبدانهم - بأنهم خير البرية ؛ وقد استدلل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء ، على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة ؛ لقوله : (أولئك هم خير البرية) .

ثم قال : (جزاؤهم عند ربهم) ، أى : يوم القيامة ، (جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها أبدا) ، أى : بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ .

(١) سنن أبي داود ، أول كتاب السنة . وتحفة الأحوذى ، كتاب الإيمان ، باب « افتراق هذه الأمة » ، الحديث ٢٧٧٨ ،

٢٧٧٨ : ٢٧٧٨ / ٧ - ٤٠٠ . وابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب « افتراق الأمم » ، الأحاديث ٣٩٩١ - ٣٩٩٢ : ١٣٢١ / ٢ -

١٣٢٢ . ومسنند الإمام أحمد عن أبي هريرة : ٣٢٢ / ٢ . وعن أنس بن مالك : ١٢٠ / ٣ ، ١٤٥ .

(٢) سورة الأنبياء ، آية : ٢٥ .

(٣) سورة النحل ، آية : ٣٦ .

(٤) انظر تفسير الآية ١٦٦ من سورة الأنعام : ٣٧٦ / ٣ .

(رضى الله عنهم ورضوا عنه) ، ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعم المقيم ، (ورضوا عنه) فيما منحهم من الفضل العظيم .

وقوله : (ذلك لمن خشى ربه) ، أى : هذا الجزاء حاصل لمن خشى الله واتقاه حتى تقواه ، وعبدته كأنه يراه ، فوعلم أنه إن لم يره فإنه يراه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا أبو معشر ، عن أبي وهب (١) - مولى أبي هريرة - عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ألا أخبركم بخير البرية ؟ » . قالوا : بلى ، يا رسول الله ، قال : « رجل أخذ بئتان قرصه في سبيل الله ، كلما كانت هبة (٢) استوى عليه ، ألا أخبركم بخير البرية (٣) . قالوا : بلى ، يا رسول الله ، قال : « رجل في ثلثة من عتمة ، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ، ألا أخبركم بخير البرية ؟ » قالوا : بلى . قال : « الذى يصال بالله ، ولا يعطى به (٤) . »

آخر تفسير سورة (لم يكن)

(١) في المتن : « ابن وهب » . والصواب ما هنا . انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٤٥٢/٢ - ٤٥٢ .

(٢) الهبة . و الصوت الذى تفزع منه وتخافه من عدو .

(٣) في المتن : « ألا أخبركم بالذى يليه » .

(٤) مستد الإمام أحمد : ٣٩٦/٢ . ومعنى « الذى يسأل ... » : الذى يجمع بين التبعين ، أحدهما السؤال بالله ، والثانى

عدم الإظهار لى يسأل به تعال ، فيما يراهى حرمة اسمه تعالى فى الوقتين جميعا .

تفسير سورة إذا زلزلت

وهي مكية

قال الإمام (١) أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا سعيد ، حدثنا عياش بن عباس ، عن عيسى بن هلال الصديقي ، عن عبد الله بن عمرو قال : أتى رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : أقرئني يا رسول الله . قال له : « أقرأ ثلاثاً من ذات آل » . فقال له الرجل : كبر سني واستد (٢) قلبي ، وغسّط لساني . قال : « أقرأ من ذات حم » . فقال ، مثل مقالته الأولى ، فقال : « أقرأ ثلاثاً من المسبحات » . فقال مثل مقالته ، فقال الرجل : ولكن أقرئني - يا رسول الله - سورة جامعة . فأقرأه : (إذا زلزلت الأرض زلزالها) . حتى إذا فرغ منها قال الرجل : والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبداً ، ثم أدبر الرجل فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أفلح الرومجل ! أفلح الرومجل ! ثم قال : عاتى به . فجاءه فقال له : أمرت بيوم الأضحى جعله الله عيداً لهذه الأمة » . فقال له الرجل : رأيت إن لم أجد إلا منيحة أني (٣) فأضحى بها ؟ قال : « لا ، ولكنك تأخذ من شعرك ، وتقليم أظفارك ، وتقص شاربك ، وتحلق عاتك ، فذاك تمام أضحيتك عند الله عز وجل (٤) » .

وأخرجه أبو داود والنسائي ، من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ ، به (٥) .

وقال الترمذي : حدثنا محمد بن موسى الحرشي (٦) البصري : حدثنا الحسن بن سالم (٧) بن صالح العجلي : حدثنا ثابت البناني ، عن أنس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « من قرأ (إذا زلزلت) عدلت له بنصف القرآن » . ثم قال : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن (٨) بن سالم » .

(١) وقع في المخطوطة والطبعات السابقة قبل هذا : « قال الترمذي : حدثنا محمد بن موسى الجوني البصري : حدثنا الحسن بن سالم العجلي ، حدثنا ثابت » . وبعده : « قال الإمام أحمد ... » . وهذا السند سيأتي في الحديث الثاني الذي يسوقه ابن كثير عن الترمذي . ولعله - أي ابن كثير - عن له بعد أن ذكر هذا القدر من السند أن يسوق حديث الإمام أحمد أولاً ، ثم سماه عن هذا القدر ، والله أعلم .

(٢) كذا في المخطوطة ، ومثله في سنن أبي داود . ومعنى استد هنا : استقام على حالة لا يطيق معها أن يقرأ هذه السورة .

(٣) في المخطوطة والمسنَد : « منيحة ابني » . والمثبت عن النسائي وسنن أبي داود ، والطبعات السابقة من هذا التفسير ، وأصل المنيحة : ما يعطيه الرجل غيره ليشرّب لبها ثم يردّها عليه ، ثم يقع على كل شاة . « لأن من شأنها أن يمنح بها ، وهو المراد هنا . وإنما منعه لأنه لم يكن عنده غيرها ينتفع به . ويحتمل أن المراد هنا ما أعطاه غيره ليشرّب اللبن . ومنعه لأنه ملك الغير .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٦٩/٢ .

(٥) انظر سنن أبي داود ، تفريع أبواب شهر رمضان ، باب « بحزب القرآن » . وأول كتاب الأضاحي ، والنسائي ، كتاب الضحايا ، باب « من لم يجد الاضحية » : ٢١٢/٧ - ٢١٢ .

(٦) في المخطوطة : « الجوني » . والمثبت عن المشتهر للذهبي ١٤٨ . ووقع في تحفة الأحوذى : « الحرشي » .

(٧) في المخطوطة : « مسلم » . والمثبت عن تحفة الأحوذى ، والخلاصة .

(٨) تحفة الأحوذى ، أبواب فضائل القرآن ، باب « ما جاء في (إذا زلزلت) » ، الحديث ٣٥٧ و ٣٥٣/٨ - ٣٥٤ .

وقد رواه البزار عن محمد بن موسى الحرشي (١) عن الحسن بن سالم (٢)، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن، و (إذا زلزلت) تعدل ربع القرآن. هذا لفظه .
وقال الترمذي أيضاً: حدثنا علي بن حَجْر، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا يَمَانُ بن المغيرة العتري، حدثنا عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إذا زلزلت) تعدل نصف القرآن؛ (وقل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن، و (قل يا أيها الكافرون) تعدل ربع القرآن: ثم قال: « غريب، لا تعرفه إلا من حديث يَمَانُ بن المغيرة » (٣).

وقال أيضاً حدثنا عُمَيْبَةُ بن مَكْرَم العَمَسِي البَصْرِي، حدثني ابن أبي فديك، أخبرني سلمة بن وردان، عن أنس ابن مالك: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لرجل من أصحابه: « هل تزوجت يا فلان؟ » قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج؟! قال: « أليس معك (قل هو الله أحد) قال؟ » بلى. قال: « ثلث القرآن » قال: « أليس معك (إذا جاء نصر الله والفتح)؟ » قال: بلى. قال: « ربع القرآن » قال: « أليس معك (قل يا أيها الكافرون)؟ » قال: بلى. قال: « ربع القرآن » قال: « أليس معك (إذا زلزلت الأرض)؟ » قال: بلى، قال: « ربع القرآن » تزوج، [تزوج] (٤) ثم قال: « هذا حديث حسن (٥) » .
فرد من ثلاثين الترمذي، لم يروه من غيره من أصحاب الكتب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۖ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَٰذَا ۚ يَوْمَئِذٍ تُخْبِرُ أَخْبَارَهَا ۗ إِنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ هَٰذَا ۚ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۗ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ

قال ابن عباس: (إذا زلزلت الأرض زلزالها)، أي: تحركت من أسفلها؛ (وأخرجت الأرض أثقالها)، يعني: ألقى ما فيها من الموقى (٦)؛ قاله غير واحد من السلف: وهذه كقولته تعالى (يا أيها الناس، اتقوا ربكم)، إن زلزلة الساعة شيء عظيم (٧)؛ وكقولته: (وإذا الأرض مدت) وألقى ما فيها ونخلت (٨)؛

(١) في المخطوطة « الجويني ». والمثبت عن المشقة للذهبي ١٤٨. ووقع في تحفة الأحوذى « الجرشى » .

(٢) في المخطوطة « مسلم ». والمثبت عن تحفة الأحوذى، والخلاصة .

(٣) تحفة الأحوذى، أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص، وفي سورة (إذا زلزلت)، الحديث ٣٠٥٩ : ٢٠٥/٨ - ٢٠٦ .

(٤) ما بين القوسين عن الترمذي .

(٥) تحفة الأحوذى، أبواب فضائل القرآن، باب « ما جاء في (إذا زلزلت) » الحديث ٣٠٥٨ : ٢٠٥/٨ .

(٦) انظر تفسير الطبري : ١٧١/٣٠ - ١٧٢ .

(٧) سورة الحج، آية : ١ .

(٨) سورة الانشقاق، آية : ٤ - ٥ .

وقال مسلم في صحيحه : حدثنا واصل بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن أبيه ، عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : تقىء (١) الأرض أفلاذ (٢) كبدها أمثال الأسطوان (٣) من الذهب والفضة ، فيجيء القاتل فيقول : في هذا قتلت . ويجيء القاطع فيقول : في هذا قطعت رحمتي . ويجيء السارق فيقول : في هذا قطعت يدي ، ثم يدعونته فلا يأخذون منه شيئاً (٤) .

وقوله : (وقال الإنسان : ما لها ؟) أى : استنكر أمرها بعد ما كانت قارة ساكنة ثابتة ، وهو مستقر على ظهرها ، أى : تقلبت الحال ، فصارت متحركة مضطربة ، قد جاءها من أمر الله ما قد أعد لها من الزلزال الذى لا محيد لها عنه ، ثم ألفت ما فى بطنها من الأموات من الأولين والآخرين ، وحيث استنكر الناس أمرها وتبدلت الأرض غير الأرضى والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهار .

وقوله : (يومئذ تحدث أخبارها) ، أى : تحدث مما عمل العالمون على ظهرها .

قال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم ، حدثنا ابن المبارك - وقال الترمذى وأبو عبد الرحمن النسائى ، واللفظ له : حدثنا سويد بن نصر ، أخبرنا عبد الله - هو ابن المبارك - عن سعيد بن أبي أيوب ، عن يحيى بن أبي سليمان ، عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة قال : قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذه الآية : (يومئذ تحدث أخبارها) ، قال : « أتدرون ما أخبارها ؟ » . قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها ، أن تقول : عمل كذا وكذا ، يوم كذا وكذا . فهذه أخبارها » .

ثم قال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح غريب (٥) » .

وفى معجم الطبرانى من حديث ابن لهيعة : حدثني الحارث بن يزيد - سمع ربيعة الجرشى (٦) - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « تحفظوا من الأرض ، فإنها أمكم ، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً ، إلا وهى مخبورة » . وقوله (بأن ربك أوحى لها) - قال البخارى : أوحى لها وأوحى إليها ، ووحى لها ووحى إليها : واحد (٧) . وكذا قال ابن عباس : (أوحى لها) ، أى : أوحى إليها (٨) .

والظاهر أن هذا مضمّنُ أذن لها .

- (١) فى المخطوطة : « تلقى الأرض » . والمثبت عن مسلم .
 (٢) أفلاذ : جمع فلاة - بكسر الفاء - وهى : قطعة من الكبد مقطوعة طولاً .
 (٣) الأسطوان : واحده أسطوانة ، وهى السارية والعمود ، وشبهه بالأسطوان لعمقه وكثرته .
 (٤) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب « الترغيب فى الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها » : ٨٤/٣ - ٨٥ .
 (٥) تحفة الأحوفى ، أبواب صفة القيامة ، الحديث ٢٥٤٦ : ١١٦/٧ . وتفسير سورة (إذا زلزلت) ، الحديث ٣٤١١ : ٢٨٥/٩ - ٢٨٦ . ومسنّد الإمام أحمد : ٣٧٤/٢ .
 (٦) فى المخطوطة : « الخدى » . والمثبت عن أسد الغابة ، ترجمة « ربيعة بن القاز » : ٢١٥/٢ = ، بصحيفتنا .
 والجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٤٧٢/٢/١ - ٤٧٣ .
 (٧) البخارى ، تفسير سورة (إذا زلزلت) : ٢١٧/٦ .
 (٨) تفسير الطبرى : ١٧٢/٣٥ .

وقال شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (يومئذ يحدث أخبارها) ، قال : قال لها ربها : قولي ، فقالت :

وقال مجاهد : (أوحى لها) أي : أمرها . وقال القرظي : أمرها أن تنشق عنهم .

وقوله : (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً) ، أي : يرجعون عن موقف الحساب ، (أشتاتاً) ، أي : أنواعاً وأصنافاً ، ما بين شئ وسعيد ، وأمور به إلى الجنة ، وأمور به إلى النار .

قال ابن جرير : يتصدعون أشتاتاً فلا يجتمعون آخر ما عليهم .

وقال السدي : (أشتاتاً) : فرقا .

وقوله تعالى : (ليروا أعمالهم) ، أي : ليعملوا ويجازوا بما عملوه في الدنيا ، من خير وشر : ولهذا قال : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) .

قال البخاري : حدثنا إسماعيل بن عبد الله ، حدثني مالك عن زيد بن أسلم ، عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « الخليل لثلاثة ، لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر ، فأما الذي له أجر ، فرجل ربطها في سبيل الله فأطال طيلتها (١) في مرج أو روضة ، فأصابت في طيلتها ذلك في المرج والروضة كان له حسنة ، ولو أنها قطعت طيلتها فاستتت شرفاً أو شرفين (٢) ، كانت آثارها وأرواها حسنة له ، ولو أنها مورت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقى به كان ذلك حسنة له ، وهي لذلك الرجل أجر ، ورجل ربطها تحتمياً (٣) وتعففاً ، ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها ، فهي له ستر ، ورجل ربطها فخراً ورتاء وتواها (٤) فهي على ذلك وزر » . فسئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الحُمْر ، فقال : « ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الفاذة الجامعة : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) (٥) .

ورواه مسلم ، من حديث زيد بن أسلم ، به (٦) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا جبرير بن حازم ، حدثنا الحسن ، عن صعصعة بن معاوية - عم الفرزدق - : أنه أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقراً عليه : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ، قال : حسبي ! لا أبالي أن لا أسمع غيرها (٧) .

(١) في البخاري : « فأطال لها » . والطيل - بكسر ففتح - الخيل الطويل يشد أحد طرفيه في وتة أو غيره ، والطرف الآخر في يد الفرس ليدور فيه ويرعى ولا يذهب لوجهه .

(٢) استن الفرس : عدا - لمرحه ونشاطه - شوطاً أو شوطين ولا راكب عليه . والشرف : الشوط .

(٣) أي : استغناءها عن الطلب من الناس .

(٤) أي : معاداة .

(٥) البخاري ، تفسير سورة (إذا زلزلت الأرض زلزالها) : ٢١٧/٦ .

(٦) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب « إثم مانع الزكاة » : ٧١/٣ - ٧٣ .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٥٩/٥ .

وهكذا رواه النسائي في التفسير، عن إبراهيم بن يونس بن محمد المؤدب (١)؛ عن أبيه؛ عن جرير بن حازم؛ عن الحسن البصري قال: حدثنا صعصعة عم الفرزدق: «فذكره»

وفي صحيح البخاري، عن عدي مرفوعاً: «اتقوا النار ولو بشق تمرة» ولو [بكلمة طيبة (٢)]؛ وفي الصحيح؛ لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تغرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تلبى أخاك ووجهك إليه منبسط (٣)؛ وفي الصحيح أيضاً: «يانساء المؤمنات، لا تحقرن جارة لجاتها ولو فرسن شاة (٤)»؛ يعني ظلفها - وفي الحديث الآخر: «ردوا السائل ولو بظلمف محرق» (٥) .

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا كثير بن زيد، عن المطلب (٦) بن عبد الله، عن عائشة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «يا عائشة، استري من النار ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدّها من الشبان» . تفرد به أحمد (٧) .

وروي عن عائشة أنها تصدقت بعنبة، وقالت: كم فيها من مثقال ذرة (٨) .

وقال أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا سعيد بن مسلم، سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير؛ حدثني عوف بن الحارث ابن الطفيل: أن عائشة أخبرته: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: «يا عائشة، إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالباً (٩)» .

ورواه النسائي وابن ماجه، من حديث سعيد بن مسلم بن بآنك، به (١٠) .

(١) في المخطوطة: «إبراهيم بن محمد بن يونس» . والمثبت عن كتب الرجال، انظر التهذيب: ١٨٥/١ .
(٢) البخاري، كتاب التوحيد: ١٨١/٩ . وما بين القوسين عنه، ومكانه في المخطوطة بياض . وانظر البخاري أيضاً؛ كتاب الزكاة، باب «اتقوا النار ولو بشق تمرة...»: ١٣٦/٢ . وكتاب الأدب، باب «طيب الكلام»: ١٤/٨ . وكتاب الرقاق، باب «صفة الجنة والنار»: ١٤٤/٨ .
(٣) انظر سنن أبي داود؛ كتاب اللباس، باب «ما جاء في إسبال الإزار» . ومسنده الإمام أحمد عن أبي تيمية الهجيمي؛ ٤٨٣/٢ - ٤٨٣/٥ ، ٦٤٤/٥ .

(٤) البخاري، أول كتاب الهبة: ٢٠١/٣ . وكتاب الأدب، باب «لا تحقرن جارة لجاتها»: ١٢/٨ - ١٣ . ومسلم؛ كتاب الزكاة، باب «الحث على الصدقة ولو بالقليل، ولا تمتنع من القليل لاحتقاره»: ٩٣/٣ . هذا وانظر «أمالي السهيلي»: ٦٩ - ٧٠ ، بتحقيقنا .

(٥) مسند الإمام أحمد: ٣٨١/٥ . وانظر سنن أبي داود؛ كتاب الزكاة، باب «حق السائل» . وتحفة الأحوذى؛ أبواب الزكاة، باب «ما جاء في حق السائل»؛ الحديث ٦٦٠: ٣٣٢/٣ - ٣٣٣ . والنسائي؛ كتاب الزكاة، باب «تفسير للمسكين»: ٨٦/٥ . وباب «رد السائل»: ٨١/٥ .

(٦) في المخطوطة: «عبد المطلب» . والمثبت عن المسند، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ٣٥٩/١/٤ . وقال ابن أبي حاتم: «روى عن عائشة مرسل» .

(٧) مسند الإمام أحمد: ٧٩/٦ .

(٨) أخرجه مالك في الموطأ؛ انظر كتاب الصدقة، باب «الترغيب في الصدقة» الأثر ٦: ٩٩٧/٢ .

(٩) مسند الإمام أحمد: ١٥١/٦ .

(١٠) صن ابن ماجه؛ كتاب الزهد، باب «ذكر الذنوب»؛ الحديث ٤٢٤٣ و ١٤١٧/٢ .

وقال : ابن جرير ؛ حدثني أبو الخطاب الحساني ، حدثنا الهيثم بن الربيع ، حدثنا سيبك بن عطة ، عن أيوب ، عن أنس ، عن أنس قال : كان أبو بكر يأكل مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فنزلت هذه الآية : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ، فرجع أبو بكر يده وقال : يا رسول الله ، إني أجزى مما عملت من مثقال ذرة من شر ؟ فقال : « يا أبا بكر ، ما رأيت في الدنيا مما تكره فيمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة (١) » .

ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه أبي الخطاب ، به : ثم قال ابن جرير :

حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا أيوب قال : في كتاب أبي قلابة ، عن أبي إدريس : أن أبا بكر كان يأكل مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكره (١) .

ورواه أيضاً عن يعقوب ، عن ابن علي ، عن أيوب ، عن قلابة : أن أبا بكر : : : وذكره .

طريق أخرى ، قال ابن جرير : حدثني يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني حبيبي (٢) بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : لما نزلت : (إذا زلزلت الأرض زلزالها) ، وأبو بكر الصديق - رضي الله عنه - قاعد ، فبكى حين أنزلت ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ما يبكيك يا أبا بكر ؟ » . قال : يبكي هذه السورة . فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لولا أنكم تخطئون وتذنبون ، فيغفر الله لكم ، لخلق الله أمة تخطئون ويلذنبون فيغفر لهم (٣) » .

حديث آخر ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمن بن [محمد بن (٤)] المغيرة - المعروف بعلان المصري - قالوا : حدثنا عمرو بن خالد الحراني ، حدثنا ابن لهيعة ، أخبرني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري قال : لما نزلت : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) قلت : يا رسول الله ، إني لراء عملي ؟ قال : « نعم » . قلت : تلك الكبار الكبار ؟ قال : « نعم » . قلت : الصغار الصغار ؟ قال ؟ : « نعم » . قلت : واثكل أمي ؟ قال : « أبشر يا سعيد ، فإن الحسنة بعشر أمثالها - يعني إلى سبعمائة ضعف - وبضاعف الله لمن يشاء ، والسيئة مثقالها أو يغير الله ، ولن ينجو أحد منكم بعمله » . قلت : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة » . قال أبو زرعة : لم يرو هذا غير ابن لهيعة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثني ابن لهيعة ، حدثني عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير في قول الله تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ، وذلك لما نزلت هذه الآية : (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) كان المسلمون يرون أنهم لا يؤججرون على الشيء القليل إذا أعطوه ، فيجيء المسكين إلى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه الخمر والكسرة والجوزة ونحو ذلك ،

(١) تفسير الطبري : ١٧٣/٣٠ - ١٧٤ .

(٢) في تفسير الطبري : « يحيى بن عبد الله » . وألصواب ما هنا : النظر كتب الرجال .

(٣) تفسير الطبري : ١٧٥/٣٠ .

(٤) ما بين القوسين عن الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ١٩٥/١/٣ .

فردونه ويقولون: ما هذا بشيء؟ إنما نُؤجَّر على ما نعطى ونحن نجبه . وكان آخرون يترَوْن أنهم لا يَبْلَغون على الذنب اليسير: الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك ، يقولون : إنما وعد الله النار على الكبائر . فرغبهم في القليل من الخير أن يعملوه ، فإنه يوشك أن يكثر ، وحذرهم اليسير من الشر ، فإنه يوشك أن يكثر ، فتزلت : (فن يعمل مثقال ذرة) ، يعنى : وزن أصغر التل (خيراً أيره) يعنى في كتابه ، ويسرّه ذلك . قال : يكتب لكل ير وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة ، وبكل حسنة عشر حسنات ، فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضاً ، بكل واحدة عشر ، ومححو عنه بكل حسنة عشر سيئات ، فن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة ، دخل الجنة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عمران ، عن قتادة ، عن عبد ربه ، عن أبي عياض ، عن عبد الله ابن مسعود : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إياكم ومحقرات الذنوب ، فأنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه » . وإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضرب لمن مثلاً ، كمثل قوم نزلوا أرض فلاة ، فحضر صبيح (١) القوم ، فجعل الرجل يتطلق فيحىء بالعود ، والرجل يحىء بالعود ، حتى جمعوا سواداً ، وأجسجوا ناراً ، وانضجوا ما قذفوا فيها (٢)

[آخر تفسير سورة اذا زلزلت]

(١) صنع القوم : حادقهم ، مثل : صناع .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٤٠٢/١ - ٤٠٣ .

تفسير سورة العاديات

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ① فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ② فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ③ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ④ فَوَسَطْنَ ⑤ بِهِ جَمْعًا ⑥ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑧ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑨ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ⑩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑪ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ ⑫

يقوم تعالى بالخيال إذا أجريت في سبيله فعدت وضبحت ، وهو : الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو ،
(فالمرديات قدحاً) ، يعنى : اصطكاك نعالها للصخر فتقدح منه النار

(فالمغيرات صباحاً) ، يعنى الإغارة وقت الصباح ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - يغير صباحاً ويتسمع
أذانا فإن سمع والا أغار .

(فأثرن به نقعا) ، يعنى : غباراً في معرك الخيول .

(فوسطن به جمعاً) ، أى : توسطن ذلك المكان كلهن جمعاً .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عبدة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ؛ (والعاديات
ضبحاً) ، قال : الإبل .

وقال على : هي الإبل . وقال ابن عباس : هي الخيل . فبلغ علياً قول ابن عباس ، فقال : ما كانت لنا خيل يوم
بدر . قال ابن عباس : إنما كان ذلك في سرية بعثت .

قال ابن أبي حاتم وابن جرير : حدثنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني أبو صخر ، عن أبي معاوية البجلي ، عن
سعيد بن جبير ، عن ابن عباس حدثه قال : بينما أنا في الحجر جالساً ، جاءني رجل فسألني عن : (العاديات ضبحاً) ،
فقلت له : الخيل حين تغير في سبيل الله ، ثم تأوى إلى الليل ، فيصنعون طعامهم ، ويورون نارهم . فأنفتل عنى فذهب
إلى على - رضى الله عنه - وهو عند سقاية زمزم ، فسأله عن (العاديات ضبحاً) ، فقال : سألت عنها أحد قبلى ؟
قال : نعم ، سألت ابن عباس فقال : الخيل حين تغير في سبيل الله . قال : اذهب فادعه لى . فلما وقف على رأسه قال : نفى
الناس بما لا علم لك ، والله لئن كان أول غزوة في الإسلام بدر ، وما كان معنا إلا قترسان : فرس للزبير وفرس
للمقداد ، فكيف تكون العاديات ضبحاً ؛ إنما العاديات ضبحاً من عرفة إلى المزدلفة ، ومن المزدلفة إلى منى .

قال ابن عباس : فترعت عن قولي ورجعت إلى الذي قال علي رضي الله عنه (١) ،
وبهذا الإسناد عن ابن عباس قال : قال علي : إنما (العاديات صبحاً) من عرفة إلى المزدلفة ، فإذا أروا إلى المزدلفة
أوروا النيران (٢) .

وقال العوفي عن ابن عباس : هي الخيل ،
وقد قال بقول علي : إنها الإبل ، جماعة منهم : إبراهيم ، وعبيد بن عمير وبقول ابن عباس آخرون ، منهم :
مجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، وقتادة ، والضحاك . واختاره ابن جرير .
قال ابن عباس ، وعطاء : ما ضبحت دابة قط إلا فرس أو كلب ،
وقال ابن جرير ، عن عطاء : سمعت ابن عباس يصف الضبح : أح أح (١) ،
وقال أكثر هؤلاء في قوله : (فالموريات قدحاً) ، يعني : بخوافرها . وقيل : أسعرت الحرب بين ركبائهن . قاله
قتادة (١) .

وعن ابن عباس ومجاهد : (فالموريات قدحاً) ، يعني : مكر الرجال ،
وقيل : هو إيقاد النار إذا رجعوا إلى منازلهم من الليل .
وقيل : المراد بذلك : نيران القبائل ،
وقال من فسرها بالخيل : هو إيقاد النار بالمزدلفة
قال ابن جرير : والصواب الأول : أنها الخيل حين تقدح بخوافرها ،
وقوله : (فالمغبرات صبحاً) قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : يعني إغارة الخيل صبحاً في سبيل الله ،
وقال من فسرها بالإبل : هو الدفع صبحاً من المزدلفة إلى منى .
وقالوا كلهم في قوله : (فأثرن به تقعا) هو : المكان الذي [إذا] (٣) حلت فيه أثارت به الغبار إما في حج أو غزوا ،
وقوله : (فوسطن به جمعاً) ، قال العوفي ، عن ابن عباس ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك : يعني
جمع الكفار من العدو .

ويحتمل أن يكون : فوسطن بذلك المكان جمعهم ، ويكون (جمعاً) منصوباً على الحال المؤكدة .
وقد روى أبو بكر البزار هاهنا حديثاً فقال : حدثنا أحمد بن عبدة ، حدثنا حفص بن غصن ، حدثنا مالك ، عن
عكرمة ، عن ابن عباس قال : بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خيلاً فأشهرت (٤) شهراً لا يأتيه منها خبر ، فنزلت :
(والعاديات صبحاً) ، ضبحت بأرجلها ، (فالموريات قدحاً) ، قدحت بخوافرها الحجارة فأورت ناراً ، (فالمغبرات

(١) تفسير الطبري : ١٧٦/٣٠ - ١٧٧ .

(٢) تفسير الطبري : ١٧٧/٣٠ .

(٣) زدنا ما بين القوسين ليستقيم السياق .

(٤) أي : أتى عليها شهر .

صباحاً) ؛ صَبَّحَتِ القوم بغارة ، (فأثرن به نقعاً) ، أثارت بحوافرها الراب ، (فوسطن به جمعاً) ، قال: صبحت القوم جميعاً .

وقوله : (إن الإنسان لربه لكنود) ، هذا هو المقسم عليه ، بمعنى أنه لنعم ربه ليجود كفور

قال ابن عباس ، ومجاهد وإبراهيم النخعي ، وأبو الجوزاء ، وأبو العالية ، وأبو الضحى ، وسعيد بن جبر ، ومحمد ابن قيس ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، وابن زيد : الكنود : الكفور - قال الحسن : هو الذي الذي بعد المصائب ، وينسى نعم ربه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو كريب ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إن الإنسان لربه لكنود) ، قال : الكفور الذي يأكل وحده ، ويضرب عبده ، ويمنع رفته (١) .

ورواه ابن أبي حاتم ، من طريق جعفر بن الزبير - وهو مَرُوك - فهذا إسناد ضعيف . وقد رواه ابن جرير أيضاً من حديث حَرِيْز بن عثمان ، عن حمزة بن هاني ، عن أبي أمامة موقوفاً (١) .

وقوله : (وإنه على ذلك لشهيد) ، قال قتادة وسفيان الثوري : وإن الله على ذلك لشهيد .

ويحتمل أن يعود الضمير على الإنسان ، قاله محمد بن كعب القرظي . فيكون تقديره : وإن الإنسان على كونه كنوداً لشهيد ، أي : بلسان حاله . أي : ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله ، كما قال تعالى : (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر (٢)) .

وقوله : (وإنه لحب الخير لشديد) ، أي : وإنه لحب الخير - وهو : المال - لشديد . وفيه مذهبان : أحدهما : أن المعنى : وإنه لشديد المحبة للمال .

والثاني : وإنه لحريص بحيل ، من محبة المال . وكلاهما صحيح .

ثم قال تعالى مَرَّهًا في الدنيا ، ومَرَّهًا في الآخرة ، ومنها على ما هو كائن بعد هذه الحال ، وما يستقبله الإنسان من الأهوال : (أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور ؟) أي : أخرج ما فيها من الأموات ، (وحصل ما في الصدور) - قال ابن عباس وغيره : يعني أبرز وأظهر ما كانوا يسرون في نفوسهم ، (إن ربهم بهم يومئذ لخبير) ، أي : لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون ، ومجازيهم عليه أوفر الجزاء ، ولا يظلم مثقال ذرة .

آخر سورة (والعاديات) والله الحمد

(١) أخرجه الطبري من حديث أبي كريب : ١٨٠/٣٠ .

(٢) سورة التوبة : آية : ١٧ .

تفسير سورة القارعة

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُ ٨ فَأُمَةٌ هَٰوِيَةٌ ٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ ١١

(القارعة) : من أسماء يوم القيامة ، كالحاقة والطامة والصاخة والغاشية ، وغير ذلك .
ثم قال معظما أمرها ومهولا لشأنها : (وما أدراك ما القارعة) ، ثم فسر ذلك بقوله : (يوم يكون الناس كالفرش
المبثوث) ، أي : في انتشارهم وتفرقهم ، وذهابهم ومجئهم ، من حيرتهم مما هم فيه ، كأنهم فرش مبثوث ، كما قال في
الآية الأخرى : (كأنهم جراد منتشر (١)) .

وقوله : (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) ، يعني : قد صارت كأنها الصوف المنفوش ، الذي قد شَرَعَ في الذهب
والتمزق .

قال مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة ، وعطاء الخراساني ، والضحاك ، واللساني : (العهن) :
الصوف .

ثم أخبر تعالى عما يؤول إليه عمل العاملين ، وما يصيرون إليه من الكرامة أو الإهانة ، بحسب أعمالهم ، فقال : (فأما
من ثقلت موازينه) ، أي : رجحت حسناته على سيئاته ، (فهو في عيشة راضية) ، يعني : في الجنة : (وأما من خفت
موازينه) ، أي : رجحت سيئاته على حسناته .

وقوله : (فأمة هاوية) ، قيل : معناه : فهو ساقط هاو بأمر رأسه في نار جهنم . وعبّر عنه بأمة — يعني ذماعة —
ووى نحو هذا عن ابن عباس ، وعكرمة ، وأبي صالح ، وقتادة — قال : قتادة : هوى في النار على رأسه وكذا قال
أبو صالح : يهويون في النار على رؤوسهم .

وقيل : معناه : (فأمة) التي يرجع إليها ، ويصير في المعاد إليها (هاوية) ، وهي اسم من أسماء النار .

قال ابن جرير : وإنما قيل : للهاوية أمة ، لأنه لا مأوى له غيرها (٢) .

(١) سورة القمر ، آية : ٧ .

(٢) تفسير الطبري : ١٨٢/٣٠ .

وقال ابن زيد : الهاوية : النار ، هي أمه ومأواه التي يرجع إليها ويأوي إليها ، وقرأ : (ومأواهم النار) .

قال ابن أبي حاتم : وروى عن [قتادة] أنه قال : هي النار ، وهي مأواهم . ولهذا قال تعالى مفسراً للهاوية : (وما أدراك ما هية نار حامية) ،

قال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى : حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الأشعث بن عبد الله الأعمى قال : إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين ، فيقولون : روحوا أخاكم فإنه كان في غم الدنيا . قال : ويسألونه : ما فعل فلان ؟ فيقول مات ، أو ما جاءكم ؟ فيقولون : ذهب به إلى أمه الهاوية (١) .

وقد رواه ابن مسرود عنه من طريق أنس بن مالك مرفوعاً ، بإسقاط من هذا : وقد أوردناه في كتاب صفة النار ، أجازنا الله منها بحمده وكرمه .

وقوله : (نار حامية) ، أي : حارة شديدة الحر ، قوية اللهب والسحر .

قال أبو مصعب ، عن مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « نار بني آدم التي توفدون جزء من سبعين جزء من نار جهنم » . قالوا : يا رسول الله ، إن كانت لكافية ؟ فقال : « إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً » .

ورواه البخاري ، عن إسماعيل بن أبي أويس ، عن مالك . ورواه مسلم عن قُتَيْبَةَ ، عن المغيرة بن عبد الرحمن ، عن أبي الزناد به . وفي بعض ألفاظه : « إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً ، كلهن مثل حرها (٢) » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا حماد - وهو ابن سلمة - عن محمد بن زياد - سمع أبا هريرة يقول - : سمعت أبا القاسم - صلى الله عليه وسلم - يقول : « نار بني آدم التي توفدون ، جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » . فقال رجل : إن كانت لكافية ؟ فقال : « لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً حراً فحراً (٣) » .

فرد به أحمد من هذا الوجه ، وهو على شرط مسلم .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعمرو ، عن يحيى بن جعدة - « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم ، وضربت بالبحر مرتين ، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد (٤) » .

وهذا على شرط الصحة ، ولم يخرجوه من هذا الوجه . وقد رواه مسلم في صحيحه من طريق (٥) :

(١) تفسير الطبري : ١٨٢/٣٥ .

(٢) البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب « صفة النار وأنها مخلوقة » : ١٤٧/٤ . ومسلم ، كتاب الجنة ، باب « في شدة

حر نار جهنم .. » : ١٤٩/٨ - ١٥٠ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤٦٧/٢ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢٤٤/٢ .

(٥) كذا ، ويحده بياض في المخطوطة . ولم يقع لنا هذا الحديث في صحيح مسلم .

ورواه البزار من حديث عبد الله بن مسعود ، وأبي سعيد الخدري : « ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً » .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد العزيز — هو ابن محمد الدراودي — عن سهيل عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال : « هذه النار جزء ، من مائة جزء من جهنم (١) » .
تقرده أيضاً من هذا الوجه ، وهو على شرط مسلم أيضاً .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن عمرو الخلال ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الخزاعي ، حدثنا معن بن عيسى القزاز ، عن مالك ، عن عاصم بن سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « أتندرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لطي أشد سواداً من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفاً » .

وقد رواه أبو مصعب ، عن مالك : « ولم يرفعه » وروى الترمذي وابن ماجه ، عن عباس الدوري ، عن يحيى ابن أبي بكير : حدثنا شريك ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت ، فهي سوداء مظلمة (٢) » .

وقد روى هذا من حديث أنس وعمر بن الخطاب .

وجاء في الحديث — عند الإمام أحمد — من طريق أبي عثمان السهلي ، عن أنس — وأبي نصره الصبائي ، عن أبي سعيد وعجلان مولى الشمعل ، عن أبي هريرة — عن النبي — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « إن أهرن أهل النار هذا ما من له نعلان يغلي منهما دماغه (٣) » .

وثبت في الصحيح أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « اشتكت النار إلى ربها فقالت : يا رب ، أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين : نفس في الشتاء ، ونفس في الصيف ، فأشد ما نجدون في الشتاء من بردها ، وأشد ما نجدون في الصيف من حرها (٤) » .

وفي الصحيحين : « إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة ، فإن شدة الحر من فيح جهنم (٥) » .

آخر تفسير سورة القارعة

- (١) مسند الإمام أحمد : ٣٧٩/٢ .
(٢) تحفة الأحوذى ، أبواب صفة جهنم ، الحديث ٢٧١٧ : ٣١٦/٧ . وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب « صفة النار » . الحديث ٤٢٢٠ : ١٤٤٥/٢ .
(٣) حديث أبي سعيد في المسند : ١٣/٢ ، ٧٨ . وحديث أبي هريرة فيه أيضاً : ٤٣٢/٢ ، ٤٢٩ .
(٤) البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب « صفة النار وأنها مخلوقة » : ١٤٦/٤ .
(٥) البخاري في الكتاب والباب المتقدم : ١٤٦/٤ ، ومسلم ، كتاب المساجد ، باب « استحباب الإبراء بالظهور » .

تفسير سورة التكاثر

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْفُكْرُ التَّكَاثُرُ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ
عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧

يقول تعالى : شغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها ، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر ، وصرم من أهلها ؟ !

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا زكريا بن يحيى الوقفار المصري ، حدثني خالد (١) بن عبد الدائم ، عن ابن زيد ابن أسلم ، عن أبيه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (أهلكم التكاثر) عن الطاعة ، (حتى زرتم المقابر) حتى يأتيكم الموت .

وقال الحسن البصري : (أهلكم التكاثر) في الأموال والأولاد .

وفي صحيح البخاري ، في « الرقاق » منه : وقال لنا أبو الوليد : حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، عن أبي بن كعب قال : كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت : (أهلكم التكاثر) ، يعني : لو كان لابن آدم واد من ذهب (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة : سمعت قتادة يحدث عن مطرف - يعني ابن عبد الله ابن الشخير - عن أبيه قال : انتهيت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول : (أهلكم التكاثر) ، يقول ابن آدم : مالي مالي . وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت (٣) ؟ .
ورواه مسلم والترمذي والنسائي ، من طريق شعبة ، به (٤) .

وقال مسلم في صحيحه : حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا حفص بن ميسرة ، عن العلاء ، عن أبيه عن أبي هريرة

(١) كذا ، ولم تقع لنا ترجمة خالد هذا .

(٢) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب « ما يتقى من فتنة المال » : ١١٥/٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢٤/٤ .

(٤) مسلم ، كتاب الزهد : ٢١١/٨ . وتحفة الأحوذى ، تفسير سورة (أهلكم التكاثر) ، الحديث ٣٤١٢ : ٢٨٦/٩ -

٢٨٧ . والنسائي ، كتاب الوصايا ، باب « الكراهية في تأخير الوصية » : ٢٣٨/٦ .

قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « يقول العبد : ما لي مالي ؟ وإنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو تصدق فأقتى (١) ، وما سوى ذلك فذهب وتاركة للناس » . تفرد به مسلم (٢) .

وقال البخارى : حدثنا الحميدى ، حدثنا سفيان ، حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، سمع أنس ابن مالك يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يتبع الميت ثلاثة ، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد : يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ، ويبقى عمله (٣) » .

وكذا رواه مسلم والترمذى والنسائى ، من حديث سفيان بن عيينة ، به (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن شعبة ، حدثنا قتادة ، عن أنس : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « يهرم ابن آدم وتبى منه اثنان : الحرص والأمل (٥) » . أخرجاه فى الصحيحين (٦) .

وذكر الحافظ ابن عساكر ، فى ترجمة الأحنف بن قيس - واسمه الضحاك - أنه رأى فى يد رجل درهما فقال : لمن هذا الدرهم ؟ فقال الرجل : لى . فقال إنما هو لك إذا أنفقت فى أجر أو ابتغاء شكر . ثم أنشد الأحنف متمثلاً قول الشاعر (٧) :

أنت للمال إذا أمسكته • فإذا أنفقتَه فالمال لك

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة قال : صالح بن حيان حدثني عن ابن بريدة فى قوله : (أهلكم التكاثر) . قال : نزلت فى قيسين [من قبائل الأنصار ، فى بنى حارثة وبنى الحارث ، تفاخروا وتكاثروا ، فقالت] لإحدهما : فيكم مثل فلان بن فلان ، وفلان ؟ وقال الآخرون مثل ذلك ، تفاخروا بالأحياء ، ثم قالوا : انطلقوا بنا إلى القبور . فجعلت إحدى الطائفتين تقول : فيكم مثل فلان ؟ يشيرون إلى القبر - ومثل فلان ؟ وفعل الآخرون مثل ذلك ، فأنزل الله : (أهلكم التكاثر . حتى زرتم المقابر) ، لقد كان لكم فيها ربيم وعبرة وشغل .

وقال قتادة : (أهلكم التكاثر . حتى زرتم المقابر) كانوا يقولون نحن أكثر من بنى فلان ، ونحن أعداء من بنى فلان وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم ، والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم (٨) .

(١) كذا فى المخطوطة ، وفى مسلم : « أو أعطى فأقتى » . ومعنى « اقتى » : ادخره لآخرته .

(٢) مسلم ، كتاب الزهد : ٢١١/٨ .

(٣) البخارى ، كتاب الرقاق ، باب « سكرات الموت » : ١٣٤/٨ .

(٤) مسلم ، كتاب الزهد : ٢١١/٨ - ٢١٢ . ونسخة الأحوزى ، أبواب الزهد ، الحديث ٢٤٨٥ : ٥٠/٧ .

والنسائى ، كتاب الجنائز ، باب « التبى عن سب الأموات » : ٥٣/٤ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ١١٥/٣ .

(٦) البخارى ، كتاب الرقاق ، باب « من يبلغ ستين سنة » : ١١١/٨ . ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب « كراهة الحرص على الدنيا » : ٩٩/٣ .

(٧) البيت فى عيون الأخبار لابن قتيبة ، منسوباً إلى بعض المحدثين : ١٨١/٣ .

(٨) تفسير الطبرى : ١٨٢/٣٥ .

والصحيح أن المراد بقوله : (زرتم المقابر) ، أى : صرتم إليها ودفنتم فيها ، كما جاء في الصحيح : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل على رجل من الأعراب يعود ، فقال : « لا بأس ، طهور إن شاء الله » . فقال : قلت : طهور؟! بل هي حمى تفور ، على شيخ كبير ، تزيره القبور! قال : « فتتعم إذا » (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني ، أخبرنا حكام بن سلم الرازي ، عن عمرو ابن أبي قيس ، عن الحجاج عن المنهال ، عن زر بن حبيش ، عن علي قال : ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت : (الهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر) .

ورواه الترمذي عن أبي كريب ، عن حكام بن سلم ، وقال : « غريب (٢) » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا ، سلمة بن داود العرضي ، حدثنا أبو المليح الرقي ، عن ميمون بن مهران قال : كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز ، فقرأ : (الهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر) ، فلبث هنيهة فقال : ياميمون ، ما أرى المقابر إلا زيارة ، وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله .

قال أبو محمد (٣) : يعنى أن يرجع إلى منزله - إلى جنة أو نار - وهكذا ذُكر أن بعض الأعراب سمع رجلا يتلو هذه الآية (حتى زرتم المقابر) ، فقال : بعث اليوم ورب الكعبة . أى : إن الزائر سرحل من مقامه ذلك إلى غيره .

وقوله : (كلا سوف تعلمون) ثم كلا سوف تعلمون - قال الحسن البصرى : هذا وعيد بعد وعيد .

وقال الضحاك : (كلا سوف تعلمون) ، يعنى الكفار ، (ثم كلا سوف تعلمون) يعنى : أيها المؤمنون (٤) .

وقوله : (كلا لو تعلمون علم اليقين) ، أى : لو علمتم حتى العلم لما أطاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة ، حتى صرتم إلى المقابر .

ثم قال : (لترون الجحيم) ثم لرونها عن اليقين ، هذا تفسير الوعيد المتقدم ، وهو قوله : (كلا سوف تعلمون) ثم كلا سوف تعلمون) توعدهم بهذا الحال ، وهى رؤية النار التى لم إذا زفرت زفرة ختر كل ملك مقرب ، وبى رسل على ركبته ، من المهابة والعظمة ومعاناة الأهوال ، على ما جاء به الأثر المروى فى ذلك .

وقوله (ثم لتستلن يومئذ عن التعم) (٥) ، أى : ثم لتستلن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم ، من الصحة والأصم والرزق وغير ذلك . ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته .

(١) البخارى ، كتاب المناقب ، باب «علامات النبوة فى الإسلام» : ٢٤٦/٥ . وكتاب المرضى ، باب «عبادة الأعراب» : ١٥٢/٦ . وكتاب التوحيد : ١٦٩/٩ - ١٧٠ . ومسنده الإمام أحمد عن أنس بن مالك : ٢٥٠/٣ .

(٢) تحفة الأحوفى ، تفسير سورة (الهاكم التكاثر) ، الحديث ٣٤١٣ : ٢٨٨/٩ . وأخرجه الطبرى من تفسير قيس عن حجاج : ١٨٣/٣٠ .

(٣) أبو محمد هو : ابن أبي حاتم .

(٤) تفسير الطبرى : ١٨٤/٣٠ .

(٥) فى المخطوطة : « وغير ذلك » فإذا قابلتم . والمثبت عن الطبقات السابقة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا زكريا بن يحيى الخزاز المقرئ ، حدثنا عبد الله بن عيسى أبو خالد الخزاز حدثنا يونس بن عبيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند الظهر ، فوجد أبا بكر في المسجد فقال : « ما أخرجك هذه الساعة ؟ » قال : أخرجني الذي أخرجك يا رسول الله . قال : وجاء عمر بن الخطاب فقال : « ما أخرجك يا ابن الخطاب ؟ » . قال : أخرجني الذي أخرجكما : قال : فقعد عمر ، وأقبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محدثهما ، ثم قال : « هل بكما من قوة ، تنطلقان إلى هذا النخل فتصبيان طعاماً وشراباً وظلاً ؟ » . قلنا : نعم . قال : « مرّوا بنا إلى منزل ابن التيمّهان أبي الهيثم الأنصاري » . قال : فتقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أيدينا ، فسلم واستأذن - ثلاث مرات - وأم الهيثم من وراء الباب تسمع الكلام ، تريد أن يزيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من السلام ، فلما أراد أن ينصرف خرجت أم الهيثم تسعى خلفهم ، فقالت : يا رسول الله ، قد - والله - سمعت تسليمك ، ولكن أردت أن تزيدنا من سلامك . فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « خيراً » . ثم قال : « أين أبو الهيثم ؟ لا أراه » . قالت : يا رسول الله ، هو قريب ذهب يستعذب^(١) الماء ، ادخلوا فانه يأتي الساعة إن شاء الله فبسطت - بساطاً تحت شجرة ، فجاء أبو الهيثم ففرح بهم وقرت عيناهم ، فصعد على نخلة فصرّم لهم أعداقاً ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « حسبتك يا أبا الهيثم » . قال يا رسول الله ، تأكلون من بسرّه ، ومن رطبّه ، ومن تَدَثُوبِه^(٢) . ثم أتاهم بماء فشرّبوا عليه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « هذا من النعم الذي تسألون عنه » . هذا غريب من هذا الوجه .

وقال ابن جرير : حدثني الحسين^(٣) بن علي الصدائي ، حدثنا الوليد بن القاسم ، عن يزيد بن كيسان ، عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : بينا أبو بكر وعمر جالسان ، إذ جاءهما النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : « ما أجلسكما هاهنا ؟ » قالوا : والذي بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلا الجوع . قال : « والذي بعثني بالحق ما أخرجني غيره » ، فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار ، فاستقبلهم المرأة ، فقال ذا بي - صلى الله عليه وسلم - : « أين فلان ؟ » فقالت : ذهب يستعذب لنا ماء . فجاء صاحبهم يحمل قربته فقال [مرحبا] ما زار العباد [شيء] أفضل من شيء زارني اليوم . فعلق قريته بكرّب^(٤) نخلة ، وانطلق فجاءهم بعددق^(٥) فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « ألا كنت اجتنيت ؟ » فقال : أحببت أن تكونوا الذين نخنارون على أعينكم . ثم أخذ الشفرة ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « إيالة والحلوب ؟ » فذبح لهم يومئذ ، فأكلوا . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « لتستلن عن هذا يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ، فلم ترجعوا حتى أصبم هذا ، فهذا من النعم » .

(١) أي : يحضر الماء العذب ، وهو الطيب الذي لا ملوحة فيه .

(٢) التذنوب : الذي بدا فيه الإرتطاب من قبل ذنبه .

(٣) في تفسير الطبري : « الحسن » . والصواب ما هنا ، انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٥٦٢/١ .

(٤) الكرب - بفتح الحين - : أصل السعف .

(٥) العذق - بكسر فسكون - : العرجون بما فيه من الشاربخ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (ثم لتستنن يومئذ عن النعم) ، قال : النعم : صحة الأبدان والأسباع والأبصار يسأل الله العباد فيما استعملوها ، وهو أعلم بذلك منهم ، وهو قوله تعالى : (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) ؟ .

وثبت في صحيح البخارى ، وسنن الترمذى والنسائى وابن ماجه ، من حديث عبد الله بن سعيد بن أنى هند . عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « نعمتان مغبون فيهما كثير الناس : الصحة والفراغ (١) » .

ومعنى هذا أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين ، لا يقومون بواجبهما ، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا القاسم بن محمد بن يحيى المروزى ، حدثنا علي بن الحسين بن شقيق ، حدثنا أبو حمزة ، عن ليث ، عن أبي قزارة : عن يزيد بن الأصم ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ما فوق الإزار ، وظل الحائط وخبير ، - يحاسب به العبد يوم القيامة » ، أو يسأل عنه (٢) » . ثم قال : لا نعرفه إلا بهذا الاسناد .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هز وعفان قالا : حدثنا حماد - قال عفان في حديثه : قال إسحاق بن عبد الله ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « يقول الله عز وجل - قال عفان : يوم القيامة - يا ابن آدم ، حملتك على الخيل والإبل ، وزوجتك النساء ، وجعلتك ترابع (٣) وترأس ، فأين شكر ذلك ؟ (٤) » . تفرد به من هذا الوجه .

آخر تفسير سورة ((التكاثر))

(١) البخارى ، أول كتاب الرقاق : ١٠٩/٨ . وتحفة الأحوذى ، أول أبواب الزهد ، الحديث ٣٤٠٥ - ٢٤٠٦ .

(٢) ٥٨٩/٦ - ٥٩٠ . وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب « الحكمة » ، الحديث ٤١٧٠ : ١٣٩٦/٢ . ومسنند الإمام أحمد : ٢٥٨/١ ، ٣٤٤ .

(٣) أخرجه السيوطى في الدر المنثور عن البزار ، انظر : ٣٩١/٦ .

(٤) انظر تفسير ذلك فى : ١٢٦/٢ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٤٩٢/٢ .

تفسير سورة العصر

وهي مكية

ذكروا أن عمرو بن العاص وفد على مسيلمة الكذاب ، وذلك بعد ما بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقبل أن يسلم عمرو ، فقال له مسيلمة : ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة ؟ قال : لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة . فقال : وما هي ؟ فقال : (والعصر * إن الإنسان لئى خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر) . ففكر مسيلمة هنيهة ثم قال : وقد أنزل على مثلها . فقال له عمرو : وما هو ؟ فقال : يا بؤس يا بؤس ، إنما أنت أذنان وصدور ، وسائرك حفز نغمز . ثم قال : كيف ترى يا عمرو ؟ فقال له عمرو : والله إنك لتعلم أنى أعلم أنك تكذب (1) .

وقد رأيت «أبا بكر الخرائطي» أسند في كتابه المعروف «بمساوى الأخلاق» ، في الجزء الثاني منه ، شيئاً من هذا أو قريباً منه .

والوير : دويبة تشبه الهر ، أعظم شئ فيه أذناه ، وصدرة وبقية دميم . فأراد مسيلمة أن يركب من هذا الهديان ما يعارض به القرآن . فلم يرج ذلك على عابد الأوثان في ذلك الزمان .

وذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبيد الله بن حصن (2) ، قال : كان الرجلان من أصحاب رسول الله إذا التقيا لم يتفرقا [إلا] على أن يقرأ أحدهما على الآخر «سورة العصر» إلى آخرها ، ثم يسلم أحدهما على الآخر .

وقال الشافعي رحمه الله : لو تدبر الناس هذه السورة لو سعتهم .

(1) تقدم هذا الأثر عند تفسير الآية السابعة عشرة من سورة يونس ، وشرحنا غريبه هناك . انظر : ١٩٢/٤ .

(2) كذا في المخطوطة . وفي الطبقات السابقة : «عبيد الله بن حصن» . هذا وقد وقع في المصورة بعد «حصن» : «أبي مدينة» . وقد أخرج السيوطي الأثر في الدر المنثور ٦/٣٩١ - ٣٩٢ وقال : «وأخرج الطبراني في الأوسط ، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي مليكة الدارمي (كذا ، ولعله الدماري) - وكانت له صحبة - . . .» وذكر الحديث ، فلعل ما في المخطوطة وهو : «أبي مدينة» محرف عن أبي مليكة . والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

العصر : الزمان الذي يقع فيه حركاتُ بني آدم ، من خير وشر :

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : هو العشي (١) والمشهور الأول .

فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لى خسرة ، أى : فى خسارة وهلاك ، (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ، فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا [بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم ، (وتواصوا بالحق) ، وهو أداء الطاعات ، وترك المحرمات ، (وتواصوا بالصبر) على المصائب والأقذار ، وأذى من يؤذى ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر .

(آخر تفسير « سورة العصر » والله الحمد والمنة)

(١) فى المخطوطة : « هو العشر » . وانظر الآثار فى ذلك فى تفسير القرطبي : ١٧٩/٢٠٠ .

تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ① الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ② يُحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ③ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ④
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ⑤ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ ⑥ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ⑦ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّصَدَّدَةٌ ⑧
فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ⑨

الهمزة بالقول ، واللباز بالفعل . يعنى يزدرى بالناس ويتنقص بهم . وقد تقدم بيان ذلك فى قوله : (همزة مشاء بتميم (١) .

قال ابن عباس : (همزة لمزة) : طعان معياب . وقال الربيع بن أنس : الهمزة ، همزته فى وجهه ، واللمزة من خلفه . وقال قتادة همزته ويلمزه بلسانه وعينه ، وبأكل لحوم الناس ، ويطعن عليهم (٢) .
وقال مجاهد : الهمزة باليد والعين ، واللمزة باللسان . وهكذا قال ابن زيد . وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : همزة لطم الناس .

ثم قال بعضهم : المراد بذلك الأحنس بن شريق . وقيل غيره . وقال مجاهد : هى عامة .
وقوله : (الذى جمع مالا وعدده) ، أى : جمعه بعضه على بعض ، وأحصى عدده كقوله : (وجمع فأوعى (٣))
قاله السدى ، وابن جرير .

وقال محمد بن كعب فى قوله . (جمع مالا وعدده) ، ألماه ماله بالنهار ، هذا إلى هذا ، فإذا كان الليل نام كأنه جيفة .
وقوله : (يحسب أن ماله أخلده) ، أى : يظن أن جمعه المال يخلده فى هذه الدار (كلا ، أى : ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب . ثم قال تعالى (لينبذن فى الحطمة) ، [أى ليلقن هذا الذى جمع مالا وعدده فى الحطمة] وهى اسم من أسماء النار صفة ، لأنها تحطم من فيها . ولهذا قال : (وما أدراك ما الحطمة ؟ نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة) — قال ثابت البنانى : تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء ، ثم يقول : لقد بلغ منهم العذاب ، ثم ييكى .
وقال محمد بن كعب : تأكل كل شىء من جسده ، حتى [إذا] بلغت فؤاده حدّ و حلقه ترجع على جسده (٤) .
وقوله : (إنها عليهم مؤصدة) ، أى : مطبقة كما تقدم تفسيره فى سورة البلد .

وقال ابن مردويه : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا على بن سراج ، حدثنا عثمان بن خرزاذ ، حدثنا شجاع

(١) سورة القلم ، آية : ١١ .

(٢) تفسير الطبرى : ١٨٩/٣٠ .

(٣) سورة المعارج ، آية : ١٨ .

(٤) قال السيوطى فى الدر المنثور ٢٩٣/٦ : «وأخرج عبد بن حميد وابن أبى حاتم ، عن محمد بن كعب فى قوله : (التي تطلع على الأفئدة) ، قال : تأكل كل شىء منه ، حتى تنهى إلى فؤاده ، فإذا بلغت فؤاده ابتدء خلقه .»

ابن أشرم ، حدثنا شريك ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ،
(إنها عليهم مؤصدة) ، قال : مطبقة ،

وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة ، عن عبد الله بن أسيد ، عن إسماعيل بن خالد ، عن أبي صالح ، قوله :
ولم يرفعه :

(في عمد ممددة) ، قال عطية العوفي ؛ عمد من حديد . وقال السدي ؛ من نار . وقال شيبان بن بشر ، عن عكرمة ،
عن ابن عباس : (في عمد ممددة) ، يعني ؛ الأبواب هي الممدودة ،

وقال قتادة في قراءة عبد الله بن مسعود ؛ إنها عليهم مؤصدة بعمد ممددة (١) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : أدخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد ، وفي (٢) أعتاقهم السلاسل فسدت بها الأبواب ؛

وقال قتادة ؛ كنا نحدث أنهم يعدون بعمد في النار . واختاره ابن جرير ؛

وقال أبو صالح ؛ (في عمد ممددة) ، يعني القيود الطوال ؛

آخر تفسير سورة ((ويل لكل همزة نزة))

(١) انظر تفسير الطبري : ١٩٠/٣٠ .

(٢) في المخطوطة ؛ « في » . دون واو . والمنتب عن الطبري ؛ ١٩١/٣٠ .

تفسير سورة الفيل

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكَيفُ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ الرَّيْجُ يَجْعَلُ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

هذه من النعم التي امن الله بها على قريش ، فيما صرف عنهم من اصحاب الفيل ، الذين كانوا قد اعزموا على هدم الكعبة وسحق ائمتها من الوجود ، فأبادهم الله ، وأرغم آتافهم ، وخيب سعيهم ، وأضل عملهم ، وردهم بشرية . وكانوا قوما نصارى ، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالا مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان . ولكن كان هذا من باب الارهاص والتوطئة لمبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال ، ولسان حال القدر يقول : لم - ننصركم - يا معشر قريش - على الحبشة لحريبتكم عليهم ، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد - صلوات الله وسلامه عليه - نحاتم الأنبياء .

وهذه قصة اصحاب الفيل على وجه الإيجاز والاختصار والتقريب ، قد تقدم في قصة اصحاب الأخدود (١) : أن ذا نُوَاس - وكان آخر ملوك حمير - وكان مشركاً - هو الذي قتل اصحاب الأخدود ، وكانوا نصارى ، وكانوا قريباً من عشرين ألفاً ، فلم يغلت منهم إلا دوس ذو ثعلبان . فذهب فاستغاث بمبصر ملك الشام - وكان نصرانياً - فكتب له إلى النجاشي ملك الحبشة ، لكونه أقرب إليهم ، فبعث معه امرين : أرباط وأبرهة بن الصباح أبا بكسوم ، في جيش كثيف . فدخلوا اليمن مجاسوا خلال الديار ، واستلبوا الملك من حمير ، وهالك ذو نواس غريقاً في البحيرة واستقل الحبشة ملك اليمن وعليهم هذان الأمران : أرباط وأبرهة ، فاختلفا في أمرهما وتصاولا وتقاتلا وتصافا ، فقال أحدهما للآخر : إنه لا حاجة بنا إلى اصطدام الجيشين بينما ، ولكن ابرز إلى وأبرز إليك ، فأبنا قتل الآخر استقل بعده بالملك . فأحابه إلى ذلك فتبارزا ، وحلّف كل واحد منهما قناة ، فحمل أرباط على أبرهة فضربه بالسيف ، فشرم أنفه وفمه وشق وجهه . وحمل عتودة مولى أبرهة على أرباط فقتله ، ورجع أبرهة جريحاً ، فداوى جرحه قبحراً ، واستقل بتدبير جيش الحبشة باليمن . فكتب إليه النجاشي بلومه على ما كان منه ، ويتوعده ويخلف لبطان بلاده ويجزئ ناصيته . فأرسل إليه أبرهة يبرق له ويصانه ، وبعث مع رسوله هدايا وخحف ، وجراب فيه من تراب

فهو بيته وحرمة ،
آه أبرهة أجله ، وك
مانه : قل له : حاج
له : لقد كنت أعج
بيتاً هو دينك ودين
سيمنه . قال : ما
عبد المطلب جماعة
هة على عبد المطلب
ليهم من معرة الحج
لى أبرهة وجنده ،

لا (١) هم إن
لا يغلبين
سل عبد المطلب ح
هم تركوا عند انبياء

خول مكة ، وهما
لى جنبه ، ثم أخذ
ذنه ، فرك الفيل ،
، بالطرسزين (٧)

« والعرب تحذف
- : القوم المقيم
- : القوة والشدة
الأثير : « العدو

: ٥٢ / ١

(١) انظر تفسير الآية الرابعة من سورة البروج .

نة من حديثه .
، ويزغوه : أمدو

إلى اليمن فقام يهروا : ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة ففعل :
وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبكاسان، (١) مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقارة،
وحجران في رجله ، أمثال الحمص والعدس ، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك ، وليس كلهم أصابت . وخرجوا هاربين
يبتدرون الطريق ، ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق . هذا ونفيل على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز ، ينظرون
ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النعمة ، وجعل نفيل يقول :

أين المَقَرُّ؟ والاله الطَّالِبُ والأشْرَمُ المَغْلُوبُ غير (٢) الغالب

قال ابن إسحاق : وقال نفيل في ذلك أيضاً :

ألا حَيَّيتَ عَنَّا يارُدَيْنَا (٣)
وَدِينَةَ ، لَو رأيتَ - وَلا تَرَيْتَهُ
إِذَا لَعَدَّرْتَنِي وَحَمَدتَ أَمْرِي
حَمَدتُ الله إِذَا أَبصرتُ طَيْراً
فَكَسَلُ القَوْمِ يَسْأَلُ عَن نَفِيلِ
نَعَمْنَا كُمْ (٤) مَعَ الإصْبَاحِ عَيْنًا
لَدَى جَنْبِ المَحْصَبِ (٥) - مارَأَيْتَا
وَلَمْ تَأْسَى عَلَيَّ مَا فَاتَ بَيْنَنَا
وَخَفْتُ حَجَارَةَ تُلقَى عَلَيْنَا
كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحَبْشَانِ دِينًا ؟

وذكر الواقدي بأسانيدهم أنهم لما تعبوا للدخول للحرم وهبتوا الفيل ، جعلوا لا يصفرونه إلى جهة من سائر الجهات
إلا ذهب ، فاذا وجهوه إلى الحرم ربتض وصاح . وجعل أبرهه يحمل على سائس الفيل وينهره ويضربه ، ليقهر الفيل
على دخول الحرم . وطال الفصل في ذلك . هذا وعبد المطلب وجماعة من أشرف مكة ، منهم المطعم بن عدى ، وعمرو
ابن عائذ بن عمران بن مخزوم ، ومسعود الثقفي (٦) ، على حراء ينظرون إلى ما الحبشة يصنعون ، وماذا يلقون من أمر الفيل
وهو العجب العجيب . فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم طيراً أبابيل ، أى قطعاً قطعاً صفراً دون الحمام ، وأرجلها
حمر ، ومع كل طائر ثلاثة أحجار ، وجاءت فحلقت عليهم ، وأرسلت تلك الاحجار عليهم فهلكوا .

(١) الخطاطيف : جمع خطاف - كرمان - وهو طائر أسود ، وهو الذي تدعوه العامة عصفور الجنة . والبكاسان - كذا ، ومثله
في النهاية - ويقول ابن الأثير : « قال عباد بن موسى : أظنها الزرازير . والبكاسان : شجر كثير الورق ينبت بمصر . وله دهن
معروف » . انتهى كلام ابن الأثير . وفي اللسان ، مادة زرز : « والزرزور : طائر » . هذا وقد قال أبو ذر الحنظلي في شرحه
على السيرة ١ / ١٨ : « والخطاطيف والبكاسان : ضربان من الطير » .

(٢) كذا في المخطوطة ، وتفسير الطبري : ٣٠ / ١٩٦ ، وتاريخه : ١٣٦ / ٢ . وفي سيرة ابن هشام ١ / ٥٣ : « ليس

الغالب » .

(٣) ودينا : مرخم ودينة ، وهو اسم امرأة .

(٤) أى : نعمنا بكم .

(٥) المحصب بضم الحاء ، وفتح الحاء ، وصاد مهملة مفتوحة - : موضع قبا بين مكة ومي ، وهو أقرب إلى مي .

(٦) كذا في المخطوطة ، وفي تاريخ الطبري ٢ / ١٢٨ : « وأبو مسعود الثقفي » . وينظر معاني الواقدي ، ص ٥٥٥ .

وقال محمد بن كعب : جاءوا بفيان فأما محمود فربض ، وأما الآخر فشجع فحصب ؛

وقال وهب بن منبه : كان معهم فيلة ، فأما محمود - وهو فيل الملك - فربض ، ليقنطى به بقية الفيلة ، وكان فيها فيل تشجع فحصب ، فهربت بقية الفيلة ؛

وقال عطاء بن يسار ، وغيره : ليس كلهم أصابه العذاب في الساعة الراهنة ، بل منهم من هلك سريعاً ، ومنهم من جعل ينساقط عضواً عضواً وهم هاربون ، وكان أبرهة ممن ينساقط عضواً عضواً ، حتى مات ببلاد خنم ،

قال ابن إسحاق : فخرجوا ينساقطون بكل طريق ، ويهلكون (١) على كل منهل ، وأصيب أبرهة في جمده ، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة ، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون .

وذكر مقاتل بن سليمان : أن قريشا أصابوا مالا جزيلاً من أسلابهم ، وما كان معهم ، وأن عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب ما ملأ حفرة .

وقال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة : أنه حدث أن أول ما رؤيت الحصبة والجذري بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما روى به مرائر الشجر الحرمل ، والحنظل والعشر (٢) ، ذلك العام (٣) ؛

وهكذا روى عن عكرمة ، من طريق جيد .

قال ابن إسحاق فلما بعث الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - كان فيما بعد به على قريش من نعمته عليهم وفضلته ، ما رآه عنهم من أمر الحبشة ، لبقاء أمرهم ومدتهم (٤) ، فقال : (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف ما كؤل) (لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) ، أي : لتلا غير شيئاً من حالهم التي كانوا عليها ، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه .

قال ابن هشام : الأبايل الجماعات ، ولم تتكلم العرب بواحدة : قال : وأما السجيل ، فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب : الشديد الصلب . قال : وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية ، جعلتهما العرب كلمة واحدة ، وإنما هو سننج وجل يعني بالسنج : الحجر ، والجل الطين ، يقول : الحجارة من هذين الجنسيتين : الحجر والطين . قال : والعصف : ورق الزرع الذي لم يقضب ، وأحدته عصفه . انتهى ما ذكره (٦) ؛

(١) لفظ سيرة ابن هشام ٥٤/١ : « ويهلكون بكل مهلك على كل منهل » .

(٢) العشر - بضم ففتح - : شجر مر له صنع ولين ، وتعالج بلبنة الجلود قبل الدباغة .

(٣) سيرة ابن هشام : ٥٤/١ . وتفسير الطبري : ٣٠ / ١٩٦ .

(٤) في المخطوطة : « وحدثهم » . والمثبت عن سيرة ابن هشام : ٥٤/١ .

(٥) في المغرب للجواليقي ٢٢٩ : « سنك ، وكل » .

(٦) سيرة ابن هشام : ٥٥/١ .

وقد قال حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله - وأبو سلمة بن عبد الرحمن - : (طيرا أبابيل) ، قال الفرقي (١) .

وقال ابن عباس ، والضحاك : أبابيل يتبع بعضها بعضا . وقال الحسن البصري ، وقتادة : الأبابيل الكثيرة . وقال مجاهد : أبابيل : شئ متتابعة مجتمعة . وقال ابن زيد : الأبابيل : المختلفة ، تأتي من هاهنا ، ومن هاهنا أتتهم من كل مكان .

وقال الكسائي : سمعت [النحويين يقولون : أبول مثل العجول . قال : وقد سمعت] (٢) بعض النحويين يقول واحد الأبابيل : إيئل .

وقال ابن جرير : [حدثنا (٢) ابن المثنى] : حدثني عبد الأعلى ، حدثني داود ، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث ابن نوفل أنه قال في قوله : (وأرسل عليهم طيرا أبابيل ، هي : الأفاطيج ، كالإبل الموبلة .

وحدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن ابن عباس : (وأرسل عليهم طيرا أبابيل ، قال : لها خراطيم كخراطيم الطير ، وأكف كأكف الكلاب (٣))

وحدثنا يعقوب ، حدثنا هشيم ، أخبرنا حصين عن عكرمة في قوله : (طيرا أبابيل) ، قال : كانت طيرا أخضرا خرجت من البحر ، لها رءوس كرءوس السباع (٢))

وحدثنا ابن بشار ، حدثنا ابن مهدي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن عبيد بن عمير : (طيرا أبابيل) ، قال : هي طير سود بحرية ، في منقارها وأظافيرها الحجارة (٣) .

وهذه أسانيد صحيحة .

وقال سعيد بن جبير : كانت طيرا أخضرا لها مناقير صفراء ، تختلف عليهم :

وعن ابن عباس ، ومجاهد ، وعطاء : كانت الطير الأبابيل مثل التي يقال لها عنقاء مغرب (٤) . رواه عنهم ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (٥) ، حدثنا [أبو] معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن عبيد بن عمير قال : لما أراد الله أن يهلك أصحاب القيل ، بعث عليهم طيرا أنشئت (٦) من البحر ، أمثال

(١) تفسير الطبري : ٣٠ / ١٩١ .

(٢) ما بين القوسين المعقوفين عن تفسير الطبري : ٣٠ / ١٩١ ، ونحسبه سقط نظر .

(٣) تفسير الطبري : ٣٠ / ١٩٢ .

(٤) العنقاء المغرب : طائر عظيم معروف الاسم مجهول الحجم ، لم يره أحد . والعرب تكئى به عن الداهية . والمغرب : المهد في البلاد .

(٥) في البداية والنهاية ، طبروت ١٧٤ / ٢ : « محمد بن عبد الله بن أبي شيبة » . وهو خطأ . انظر التهذيب : ٢ / ٦ ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٢ / ٢ / ١٦٠ .

(٦) في المخطوطة : « أنساب » . والمختب عن الطبعات السابقة . وفي البداية والنهاية : ١٧٤ / ٢ .

الخطاطيف ، كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار مجزعة (١) : حجرين في رجليه وحجراً في منقاره ، قال : فجاءت حتى صفت على رؤوسهم ، ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها ، فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره ، ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر ، وبعث الله ريحاً شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعاً . وقال السدي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (حجارة من سجل) ، قال : طين في حجارة : « سنك - وكيل » وقد قدمنا بيان ذلك بما أغنى عن إعادته هاهنا .

وقوله : (فجعلهم كعصف مأكول) ، قال : سعيد بن جبير : يعنى التبن الذى تسميه العامة : هبّور . وفي رواية عن سعيد : ورق الحنطة . وعنه أيضاً : العصف : التبن . والمأكول : القصيل (٢) يجيز للدواب . وكذلك قال الحسن البصرى وعن ابن عباس : العصف : القشرة التى على الحبة ، كالغلاف على الحنطة .

وقال ابن زيد : العصف : ورق الزرع ، وورق البقل ، إذا أكلته البهائم فرائته ، فصار دَرِيناً (٣) .

والمعنى أن الله - سبحانه وتعالى - أهلكهم ودمرهم ، وردّهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيراً ، وأهلك عامتهم ، ولم يرجع منهم مخر إلا وهو جريح ، كما جرى للملكهم أبرهة ، فإنه انصدع صدره عن قلبه حين وصل إلى بلده صنعاء ، وأخبرهم بها جرى لهم ، ثم مات . فملك بعده ابنه يكسوم ، ثم من بعده أخوه مسروق بن أبرهة (٤) . ثم خرج سيف بن ذى يزن الحميرى إلى كسرى فاستغاثه على الحبشة ، فأنفذ معه من جيوشه فقاتلوا معه ، فرد الله إليهم ملكهم ، وما كان في آباتهم من الملك ، وجاءته وفود العرب للشهنة .

وقد قال محمد بن إسحاق : حدثنا عبد الله بن أبى بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة ، عن عائشة قالت : لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعينين مقعدين ، يستظعمان (٥) . ورواه الواقدي ، عن عائشة مثله . ورواه أيضاً عن أسماء بنت أبى بكر أنها قالت : كانا مقعدين يستظعمان الناس ، عند إساف ونائلة (٦) ، حيث يذبح المشركون ذبائحهم .

قلت : كان اسم قائد الفيل : أنيساً .

وقد ذكر الحافظ أبو نعيم في كتاب « دلائل النبوة » من طريق ابن وهب ، عن ابن طيبة عن عقيل بن خالد ، عن عثمان بن المغيرة قصة أصحاب الفيل ، ولم يذكر أن أبرهة قدم من اليمن ، وإنما بعث على الجيش رجلاً يقال له شمر (٧) بن مفسود ، وكان الجيش عشرين ألفاً ، وذكر أن الطير طرقتهم ليلاً ، فأصبحوا صرعى .

(١) أى : ملونة بألوان مختلفة .

(٢) أصل القصل : القطع . والقصيل : ما اقتصل من الزرع الأخضر .

(٣) الدرّين والدرّانة - بضم الدال - : حطام المرعى إذا قدم . وهى ما يلى من الخشيش ، وقيلما تشفع به الإبل .

(٤) انظر سيرة ابن هشام : ٦١/١ - ٦٢ .

(٥) سيرة ابن هشام : ٥٧/١ .

(٦) إساف ونائلة : صنّان ، تزعم العرب أنهما كانا رجلاً وامرأة ، وثيا في الكعبة . فسخا .

(٧) في المخطوطة : « شمس بن مفسود » . والمثبت عن دلائل النبوة لأبى نعيم : ٤٣ .

وهذا السياق غريب جداً ، وإن كان أبو نعيم قد قواه ورجحه على غيره ، والصحيح أن أبرهة الأشرم الحبشي قدم مكة كما دل على ذلك السياقات والأشعار ، وهكذا روى ابن هبة ، عن الأسود ، عن عروة ؛ أن أبرهة بعث الأسود بن مفسود هلي كتيبة معهم الفيل ، ولم يذكر قدوم أبرهة نفسه . والصحيح قدومه ، ولعل ابن مفسود كان على مقدمة الجيش ، والله أعلم .

ثم ذكر ابن إسحاق شيئاً من أشعار العرب ، فيما كان من قصة أصحاب الفيل ، فمن شعر عبد الله بن الزبير ؟

تَنَكَّلُوا عَن بَطْنِ مَكَّةَ ، إِنهَا كَانَتْ قَدِيمًا لَا يَرَامُ حَرِيمَهَا
لَمْ تَخْلُقِ الشَّعْرَى (١) لَبَالِي حُرْمَتِ سَائِلِ أَمِيرِ الْجَيْشِ عَشَا ، مَا رَأَى ؟
فَلَسَوْفَ يَنْبِي الْجَاهِلِينَ عَلَيْهَا بَلْ لَمْ يَعْشَ بَعْدَ الْإِيَابِ سَقِيمَهَا
سَتُونَ أَلْفًا لَمْ يَتَوَبُّوا (٢) أَرْضِهِمْ ، كَانَتْ بِهَا عَادٌ وَجَرُّهُمْ قَبْلَهُمْ
وَاللَّهِ مِنْ فَوْقِ الْعِبَادِ يَقْسِمُهَا

وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري المرثي :

وَمِنَ صَنَعِهِ يَوْمَ فَيْلِ الْحَبُوشِ إِذْ كَلَّ مَا بَعَثُوهُ رَزْمًا (٣)
مَحَاجِنُهُمْ تَحْتَ أَقْرَابِهِ (٤) وَقَدْ شَرَمُوا أَفْهَهُ فَاخْضَرَمُ
وَقَدْ جَعَلُوا سَوَطَهُ مَعُولًا إِذَا يَسْمُوهُ فَقَاهُ كَلِيمًا (٥)
فَسَوَّلَ أَدِيرَ أَدْرَاجَهُ وَقَدْ بَاءَ بِالظَّلْمِ مَنْ كَانَ تَمًّا
فَأَرْسَلَ مِنْ فَوْقِهِمْ حَاصِبًا يَلْقُهُمْ مِثْلَ لَفِّ الْقُرْمِ (٦)
فَحُتَّ (٧) عَلَى الصَّبْرِ أَخْبَارَهُمْ وَقَدْ تَأَجَّجُوا كَشَوَّاجِ الْغَسَمِ (٨)

وقال أبو الصلت بن [ألي] ربيعة التقي ، ويروى لأمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة :

إِنَّ آيَاتِ رَبَّنَا بِآيَاتِ مَا يَحْمَرُونَ فِيهِنَّ إِلَّا الْكُفُورُ
خَلِقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، فَكُلُّ مُسْتَبِينَ حِسَابُهُ مَقْدُورُ
ثُمَّ يَجْلِسُ النَّهَارَ رَبِّ رَحِيمٍ بِمَهْمَا شَعَاعَهَا مَسْشُورُ (٩)
حَبِيسَ الْفَيْلِ بِالْمُعَمَّسِ حَتَّى صَارَ بِحَبِيرٍ ، كَأَنَّهُ مَعْشُورُ

(١) الشعري : اسم لنجم .

(٢) في سيرة ابن هشام ١/٥٨٧ : « لم يتوبوا » ، أي : لم يرجعوا إلى أرضهم .

(٣) أي : ثبت في مكانه .

(٤) المحاجن : جمع محجن ، وهو عصا موعجة . والأقرب : جمع قرب - بضم فسكون - وهو الخاصرة . وشروا وشقوا .

(٥) المغول : سكنين كبيرة . ويروى : معولا ، والمغول القاس . وكلم : جرح .

(٦) القزم : جمع قزم ، وهو الصغير البعثة .

(٧) كذا في المخطوطة . وفي السيرة : « تحض » .

(٨) تأج : صاح .

(٩) المهامة : الشمس .

لأَزْمًا حَلَقَهُ الْجِرَانَ كَمَا قَطَرَ مِنْ ظَهَرِ كَبْكَبٍ مَحْدُورٍ (١)
 حَوْلَهُ مِنْ مَلُوكٍ كَنَدَةَ أَبْطَالٍ مَلَاوِيثُ فِي الْحُرُوبِ صُقُورٍ (٢)
 خَلَقُوهُ ثُمَّ ابْدَعُوا جَمِيعًا ، كَلَّمَهُمْ عَظِيمٌ سَاقَهُ مَكْسُورٍ (٣)
 كُلَّ دِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا دِينَ الْحَنِيفَةِ ، بَورٍ

وقد قدمنا في تفسير «سورة الفتح» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أطل يوم الحديبية على الثنية التي مهبط به على قريش ، بركت ناقته ، فزجروها فألحَّت ، فقالوا : خلأت القصواء . أى : حرَّكت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : « ما خلأت القصواء ، وما ذاك لها نخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل » . ثم قال : « والذي نفسي بيده ، لا يسألونى اليوم خيلة يُعظِّمون فيها حرُّمات الله ، إلا أجبتهم إليها » . ثم زجرها فقامت . والحديث من أفراد البخارى (٤) .

وفى الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يوم فتح مكة : « إن الله حبس عن مكة الفيل ، وسلَّط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنه قد عادت حرِّمَتُها اليوم كحرِّمتها بالأمس ، ألا فيبلغ الشاهد الغائب (٥) » .

آخر تفسير سورة «الفيل»

(١) الجران : الصدر . وقطر : رمى به . وكبكب : اسم جبل . والحذور : الحجر . والحذور : الحجر الذى يتحدو من أعلى .

(٢) الملاويث : الأشداء .

(٣) ابدهوا : تفرقوا .

(٤) تقدم الحديث عند تفسير الآية السادسة والعشرين من سورة الفتح ، وخرجناه هناك : انظر : ٣٣٢٧٧ .

(٥) مسلم ، كتاب الحج ، باب «تحريم مكة وصيحتها...» : ١١٠/٤ . والبخارى ، كتاب العلم ، باب «كتابة العلم» .

تفسير سورة لا يلاف قريش

وهي مكية

ذكر حديث غريب في فضلها ، قال البيهقي في كتاب الخلافيات : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا بكر بن محمد ابن حمدان الصيرفي عمرو ، حدثنا أحمد بن عبيد الله الزيني ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن ثابت ابن شريحيل حدثني عثمان بن عبد الله [أبي عتيق] عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة عن أبيه عن جدته أم هانئ بنت أبي طالب : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « فضل الله قريشا بسبع خلال : أبي منهم ، وأن النبوة فيهم ، والحجبة ، والسقاية فيهم . وأن الله نصرهم على القيل ، وأنهم عبدوا الله - عز وجل - عشر سنين لا يعبد غيره ، وأن الله أنزل فيهم سورة من القرآن - ثم تلاها رسول الله : (بسم الله الرحمن الرحيم لا يلاف قريش . إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . فليعبدوا رب هذا البيت . الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِذْ لَفِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي
أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

هذه السورة مفصلة عن التي قبلها في المصحف الإمام ، كتبوا بينهما سطر .. (بسم الله الرحمن الرحيم) : : وإن كانت متعلقة بما قبلها ، كما صرح بذلك محمد بن إسحاق (١) وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، لأن المعنى عندهما : حبسنا عن مكة القيل وأهلكنا أهله (لا يلاف قريش) ، أي : لا تتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين . وقيل : المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن ، وفي الصيف إلى الشام في المتاجر وغير ذلك ، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم ، لعظمتهم عند الناس ، لكونهم سكان حرم الله ، فن عرفهم احترمهم ، بل من صوفى إليهم وسار معهم أمين بهم ، هذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتاتهم وصيفهم ، وأما في حال إقامتهم في البلد فكما قال الله : (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ، ويتخطف الناس من حولهم (٢)) . ولهذا قال : (لا يلاف قريش إيلافهم) ، بدل من الأول ومفسر له . ولهذا قال : (إيلافهم رحلة الشتاء والصيف) .

وقال ابن جرير : الصواب أن « اللام » لام التعجب ، كأنه يقول : اعجبوا لإيلاف قريش [ونعمي (٣) عليهم] في ذلك . قال : وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان .

(١) انظر الآثار المروية عن ابن إسحاق في تفسير سورة القيل .

(٢) سورة العنكبوت ، آية : ٦٧ .

(٣) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة ، ومكانه بياض في المخطوطة . وانظر نص الطبري في : ١٩٨/٣٥ .

ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال : (فليعبدوا رب هذا البيت) ، أى : فليؤدوه بالعبادة ، كما جعل لهم حرماً آمناً وبيتاً محرماً ، كما قال تعالى : (إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرّمها ، وله كل شيء) ، وأمرت أن أكون من المسلمين (١) .

وقوله : (الذى أطعمهم من جوع) ، أى : هو رب البيت ، وهو الذى أطعمهم من جوع ، (وآمنهم من خوف) ، أى : تفضل عليهم بالأمن والرخص ، فليفرّوه بالعبادة وحده لا شريك له ، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا نداءً ولا وثناً ، ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمّع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ، ومن عصاه سلبهما منه ، كما قال تعالى : (ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ، يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه ، فأخذهم العذاب وهم ظالمون (٢)) .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا عبد (٣) الله بن عمرو العَدَنِي ، حدثنا قبيصة ، حدثنا سفيان ، عن ليث ، عن شهر ابن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد قالت : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « ويل أمكم ، قريش ، لإيلاف قريش (٤) » . ثم قال :

حدثنا أنى ، حدثنا المؤمل بن الفضل الخرائى ، حدثنا عيسى - يعنى ابن يونس - عن عبيد الله بن أبي زياد ، عن شهر بن حوشب ، عن أسامة بن زيد قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . ويحكم يا معشر قريش ، اعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف » :

هكذا رأيت عن «أسامة بن زيد» ، وصوابه عن «أسماء بنت يزيد بن السكن» ، أم سلمة الأنصارية «رضى الله عنها» ، فاعلمه وقع غلط في النسخة أو في أصل الرواية ، والله أعلم .

آخر تفسير سورة « ليلاف قريش »

(١) سورة النمل ، آية : ٩١ .

(٢) سورة النحل ، آية : ١١٢ - ١١٣ .

(٣) كذا ، ولم تقع لنا ترجمة «عبد الله» هذا في الإخراج والتعديل لابن أبي حاتم .

(٤) أخرجه السيوطى في الدر المنثور : ٢٩٧/٦ .

تفسير السورة التي يذكر فيها الماعون

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾
فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ
الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

يقول تعالى : أرايت - يا محمد - الذي يكذب بالدين ، وهو : المعاد والجزاء والثواب ، (فذلك الذي يدع اليتيم) ،
أى : هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه ، ولا يطعمه ولا يحسن إليه ، (ولا يحض على طعام المسكين) ، كما قال تعالى «
(كلا ، بل لا يكرمون اليتيم . ولا يحضون (١) على طعام المسكين (٢)) ، يعنى : الفقير الذى لا شيء له يقوم بأوده
وكفايته .

ثم قال : (فويل للمصلين : الذين هم عن صلاتهم ساهون) - قال ابن عباس ، وغيره : يعنى المنافقين ، الذين
يصلون فى العلانية ولا يصلون فى السر (٣)

ولهذا قال : (للمصلين) ، أى : الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها ، ثم هم عنها ساهون ، إما عن فعلها
بالكلية ، كما قاله ابن عباس ، وإما عن فعلها فى الوقت المقدر لها شرعا ، فيخرجها عن وقتها بالكلية ، كما قاله
مسروق ، وأبو الضحى .

وقال عطاء بن دينار : والحمد لله الذى قال : (عن صلاتهم ساهون) ، ولم يقل : فى صلاتهم ساهون .
وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائما أو غالبا . وإما عن أداؤها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به .
وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها . فاللفظ يشمل هذا كله ، ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية .
ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم نصيبه منها ، وكمل له النفاق العملى . كما ثبت فى الصحيحين (٤) أن رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - قال : « تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، يجاس يرقب الشمس ، حتى إذا كانت
بين قرني الشيطان قام فنقر ، أربعا لا يذكر الله فيها إلا (٥) قليلا . فهذا آخر صلاة العصر التى هى الوسطى ، كما ثبت به

(١) كذا فى المخطوطة (يكرمون) و (يحضون) . وهى قراءة ابن عمرو . انظر كتاب السبعة لابن مجاهد : ٦٨٥ . والبحر
المحيط لأبي حيان : ٤٧١/٨ .

(٢) سورة الفجر ، آية : ١٧ - ١٨ .

(٣) انظر تفسير الطبرى : ٢٠١/٣٠ - ٢٠٢ .

(٤) كذا ، ولم يقع لنا الحديث إلا فى صحيح مسلم . وقد أخرجه الترمذى فى أبواب الصلاة ، باب « ما جاء فى تعجيل
صلاة العصر » ، الحديث ١٦٠ : ٩٧/١ . وقال الحافظ أبو العلى صاحب تحفة الأحوذى : « أخرجه مسلم » وأبو داود
والنسائى . فلعل صواب العبارة هنا : « كما ثبت فى الصحيح » .

(٥) مسلم ، كتاب المساجد ، باب « استحباب التكبير بالعصر » : ١١٠/٢ .

النص إلى آخر وقتها ، وهو وقت كراهة ، ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب ، لم يطمئن ولا خشع فيها أيضا ، ولهذا قال : « لا يذكر الله فيها إلا قليلا » . ولعله إنما حمه على القيام إليها مراعاة الناس ، لا ابتغاء وجه الله ، فهو إذا لم يصل بالكلية . قال تعالى : (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ، يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا (١)) . وقال هاهنا : (الذين هم يراءون) .

وقال الطبراني : حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبدويه (٢) البغدادي ، حدثني أبي ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن يونس ، عن الحسن ، عن ابن عباس ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن في جهنم لواديا ، تستميد جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعائة مرة ، أعد ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد : لحامل كتاب الله ، وللمصدق في غير ذات الله ، وللحاج إلى بيت الله ، وللخارج في سبيل الله » :

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة قال : كنا جلوسا عند أبي عبيدة فذكروا الرياء ، فقال رجل يكنى بأبي يزيد : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « من سمع الناس يحماء ، سمع الله به سماع خلقه ، وحقيره وصغره » (٣) .

ورواه أيضا عن غندر ويحيى القطان ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن رجل ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكره (٤) .

ومما يتعلق بقوله تعالى : (الذين هم يراءون) ، أن من عمل عملا لله فآطاع عليه الناس ، فأعجبه ذلك ، أن هذا لا يعد رياء ، والدليل على ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده : حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا محمد بن يزيد (٥) ، حدثنا سعيد بن بشير ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : كنت أصلي ، فدخل علي رجل ، فأعجبني ذلك ، فذكرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « كتب لك أجران : أجر السر ، وأجر العلانية » .

قال أبو علي هارون بن معروف : بلغني أن ابن المبارك قال : نعم الحديث للمرائين :

وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وسعيد بن بشير متوسط ، وروايته عن الأعمش عزيزة . وقد رواه غيره عنه :

قال أبو يعلى أيضا : حدثنا محمد بن المتني بن موسى ، حدثنا أبو داود ، حدثنا أبو سنان ، عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رجل : يا رسول الله ، الرجل يعمل العمل يسره ، فإذا اطلع عليه أعجبه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « له أجران ، أجر السر وأجر العلانية » .

(١) سورة النساء ، آية : ١٤٢ .

(٢) في المخطوطة : « عبد ربه » . والمثبت عن المعجم الصغير للطبراني : ١٤٧/٢ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢١٢/٢ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٦٢/٢ ، ١٩٥ . وانظره من طريق آخر ، في : ٢٢٣/٢ - ٢٢٤ .

(٥) في المخطوطة : « محمد بن مرثد » . ولعل الصواب « بن يزيد » ، انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٣٤٧/١/٤ .

وقد رواه الترمذى عن محمد بن المثني، وابن ماجه عن بندار، كلاهما عن أبي داود الطيالسي، عن أبي سنان الشيباني - واسمه: ضرار بن مرة. ثم قال الترمذى: غريب، وقد رواه الأعمش وغيره، عن حبيب، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - (١) [١]... «مرسلاً».

وقد قال أبو جعفر بن جرير: حدثني أبو كريب، حدثنا معاوية بن هشام، عن شيبان النحوي، عن جابر الجعفي، حدثني رجل، عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما نزلت هذه الآية: (الذين هم عن صلاتهم ساهون)، قال (٢): «الله أكبر. هذا خير لكم من أن لو أعطى كل رجل منكم مثل جميع الدنيا. هو الذي إن صلى لم يترجّح خير صلاته، وإن تركها لم يخف ربه (٣)».

فيه جابر الجعفي، وهو ضعيف، وشيخه سبهم لم يسم، والله أعلم.

وقال ابن جرير أيضاً: حدثني زكريا بن أبان المصري، حدثنا عمرو بن طارق، حدثنا عكرمة بن إبراهيم، حدثني عبد الملك بن عمير، عن مصعب بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص قال: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن (الذين هم عن صلاتهم ساهون)، قال: «هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها (٣)».

وتأخير الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكلية، أو صلاتها بعد وقتها شرعاً، أو تأخيرها عن أول الوقت [سهواً حتى ضاع (٤)] الوقت.

وكذا رواه الحافظ أبو يعلى عن شيبان بن قريظ، عن عكرمة بن إبراهيم، به. ثم رواه عن أبي الربيع، عن [جابر (٥)] عن عاصم، عن مصعب، عن أبيه موقوفاً. وهذا أصح إسناداً، وقد ضعف البيهقي رفعه وصححه وقفه وكذلك الحاكم.

وقوله: (ويعنون الماعون)، أي: لا أحسنوا (٦) عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به، مع بقاء عينه ورجوعه إليهم. فهو لاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى. وقد قال ابن أبي نجيم، عن مجاهد: قال عيسى: الماعون الزكاة (٧). وكذا رواه السدي، عن أبي صالح، عن علي. وكذا روى من غير وجه عن ابن عمر. وبه يقول محمد بن الحنفية، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد، وعطاء، وعطية العوفي، والزهري، والحسن، وقتادة، والضحاك، وابن زيد.

وقال الحسن البصري: إن صلى راعي، وإن فاتته لم بأس عليها، ويمنع زكاة ماله. وفي لفظ: صدقة ماله (٨).

- (١) ما بين القوسين عن تحفة الأحوذى، ومكانه في المخطوطة: «أبي صالح». انظر تحفة الأحوذى، أبواب الزهد، الحديث ٢٤٩١: ٥٩/٧. وابن ماجه، كتاب الزهد أيضاً، باب «التناء الحسن»، الحديث ٤٢٢٦: ١٤١٢/٢ = ١٤١٣.
- (٢) لفظة «قال». غير ثابتة في الطبرى.
- (٣) تفسير الطبرى: ٢٠٢/٣٠.
- (٤) ما بين القوسين المعقوفين عن الطبقات السابقة، وقد وقع فيها بعدما يحكيه ابن كثير من سند أبي يعلى، أي بعد: «عن مصعب، عن أبيه موقوفاً» ومكانه بياض في المخطوطة، وبعده كلمة «الوقت». ولعل الصواب ما أثبتناه.
- (٥) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة أيضاً.
- (٦) في المخطوطة: «لا أحبوا». والمثبت عن الطبقات السابقة.
- (٧) تفسير الطبرى: ٢٠٣/٣٠.
- (٨) تفسير الطبرى: ٢٠٤/٣٠.

وقال زيد بن أسلم : هم المنافقون ، ظهرت الصلاة فصلوها ، وضُمَّت (١) الزكاة فبُعواها .

وقال الأعمش وشعبة ، عن الحكم ، عن يحيى بن الجزار ، أن أبا العبيد بن سالم سأل عبد الله بن مسعود عن الماعون ، فقال : هو ما يتعاوره الناس بينهم من الفأس والقدر .

[وقال المسعودي ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي العبيد بن سالم : أنه سئل ابن مسعود عن الماعون ، فقال : هو ما يتعاطاه الناس بينهم ، من الفأس والقدر (٢)] . والدلو ، وأشباه ذلك .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، حدثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي العبيد وسعد ابن عياض ، عن عبد الله قال : كنا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نتحدث أن الماعون الدلو والفأس والقدر ، لا يستغنى عنهن (٣) .

وحدثنا خلاد بن أسلم ، أخبرنا النضر بن شميل ، أخبرنا شعبة (٤) ، عن أبي إسحاق قال : سمعت سعد بن عياض يحدث عن أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ... مثله .

وقال الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الحارث بن سويد ، عن عبد الله : أنه سئل عن الماعون ، فقال : ما يتعاوره الناس بينهم : الفأس والدلو ، وشبهه .

وقال ابن جرير : حدثنا عمرو بن علي الفلاس ، حدثنا أبو داود - هو الطيالسي - حدثنا أبو عوانة ، عن عاصم ابن بهدلة ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : كنا مع نبينا - صلى الله عليه وسلم - ونحن نقول : الماعون ، منع الدلو وأشباه ذلك (٥) .

وقد رواه أبو داود والنسائي ، عن قتيبة ، عن أبي عوانة بإسناده ، نحوه . ولفظ النسائي عن عبد الله قال : كل معروف صدقة ، كنا نعد الماعون على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عارية الدلو والقدر (٦) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله قال : الماعون : العوارى ، القدر والميزان ، والدلو .

وقال ابن أبي نجيع ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (: وعنون الماعون) ، يعنى متاع البيت . وكذا قال مجاهد وإبراهيم النخعي ، وسعيد بن جبير ، وأبو مالك ، وغير واحد : إنها العارية للامتعة .

(١) أى : خفيت .

(٢) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة ، وقد سقط من مخطوطة الأزهر ، وهو سقط نظر .

(٣) تفسير الطبري : ٢٠٥/٣٠ .

(٤) في تفسير الطبري مكان شعبة : « إسرائيل » .

(٥) تفسير الطبري : ٢٠٦/٣٠ .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب الزكاة ، باب « في حقوق المال » .

وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : (ويمنعون الماعون) ، [قال : لم يجيء أهلها بعد] .
 وقال العوفي عن ابن عباس : (ويمنعون الماعون) ، قال : اختلف الناس في ذلك ، فمنهم من قال : يمنعون الزكاة ،
 ومنهم من قال : يمنعون الطاعة . ومنهم من قال : يمنعون العارية . رواه ابن جرير (١) . ثم روى عن يعقوب بن إبراهيم ،
 عن ابن عُلَيَّة ، عن ليث بن أبي سليم ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي : الماعون : منع الناس (٢) الفأس
 والقدور والدلو .

وقال عكرمة : وأأس للماعون زكاةُ المال ، وأدناه المنخل والدلو والإبرة . رواه ابن أبي حاتم .
 وهذا الذي قاله عكرمة حسن ، فإنه يشمل الأقوال كلها ، وترجع كلها إلى شيء واحد ، وهو ترك المعاونة بمال
 أو منفعة . ولهذا قال محمد بن كعب : (ويمنعون الماعون) ، قال : المعروف . ولهذا جاء في الحديث : « كل معروف
 صدقة » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع ، عن ابن أبي ذئب ، عن الزهري : (ويمنعون الماعون) ،
 قال : بلسان قريش : للمال .

وروى هاهنا حديثا غريبا عجيبا في إسناده ومثله ، فقال : حدثنا أبي وأبو زرعة قالا : حدثنا قيس بن حفص الدارمي
 حدثنا ظم بن دهم السجلي ، حدثنا عائذ بن ربيعة النهمري ، حدثني قرة بن دعوص النهمري : أنهم وفدوا إلى
 رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : يا رسول الله ، ما تعهد إلينا ؟ قال : « لا تمنعوا الماعون » . قالوا : يا رسول الله
 وما الماعون ؟ قال : « في الحجر ، وفي الحديد ، وفي الماء » . قالوا : فأى الحديد ؟ قال : « قدوركم النحاس ،
 وحديد الفأس الذي تمتنون به » . قالوا : وما الحجر ؟ قال : « قدوركم الحجارة » .

غريب جدا ، ورفع منكر ، وفي إسناده من لا يعرف ، والله أعلم .

وقد ذكر ابن الأثير في الصحابة ترجمة « علي النهمري » ، فقال : روى بن قانع بسنده إلى عائذ بن ربيعة بن قيس
 النهمري ، عن علي بن فلان النهمري : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « المسلم أخو المسلم ، إذا لقيه
 حيّاه بالسلام ، وورد عليه ما هو خير منه ، لا يمنع الماعون » . قلت : يا رسول الله ، ما الماعون ؟ قال : « الحجر
 والحديد ، وأشباه ذلك (٣) » .

آخر تفسير سورة « الماعون »

(١) تفسير الطبري : ٢٠٦/٣٠ .

(٢) لفظ الطبري ٢٠٦/٣٠ : « منع الزكاة والفأس » .

(٣) أسد الغاية ، الترجمة ٣٧٨٩ : ١٢٧/٤ .

تفسير سورة الكوثر

وهي مدنية ، وقيل : مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل ، عن المختار بن فلفل ، عن أنس بن مالك قال : « أغفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إغفاءة ، فرفع رأسه متبسما ، إما قال لهم وإما قالوا له : « لم ضحكك ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إنه أنزلت على أنفا سورة » . فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم . إنا أعطيناك الكوثر) ، حتى ختمها قال : « هل تدرون ما الكوثر ؟ » ، قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة ، عليه خير كثير ، ترد عليه أمي يوم القيامة ، آيته عدد الكواكب ، يَخْتَلَجُ (١) العبد منهم فأقول : يا رب ، إنه من أمي . فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك (٢) » .

هكذا رواه الإمام أحمد بهذا الإسناد الثلاثي ، وهذا السياق ،

وقد ورد في صفة الحوض يوم القيامة أنه يَشْحَبُ (٣) فيه ميزابان من السماء من نهر الكوثر ، وأن عليه آية عدد نجوم السماء . وقد روى هذا الحديث مسلم وأبو داود والنسائي ، من طريق محمد بن فضيل وعلي بن مسهر ، كلاهما عن المختار بن فلفل ، عن أنس ، ولفظ مسلم قال : « بينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أظهرنا في المسجد إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما ، قلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ ، قال : أنزلت على أنفا سورة » ، فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم ، إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، إن شانئك هو الأبتر) ، ثم قال : « أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : « فإنه نهر وعدته ربي - عز وجل - عليه خير كثير ، هو حوض ترد عليه أمي يوم القيامة ، آيته عدد النجوم ، فيَخْتَلَجُ العبد منهم ، فأقول : رب إنه من أمي . فيقول : إنك ما تدري ما أحدث بعدك (٤) » .

وقد استدلك به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية ، وكثير من الفقهاء على أن البسملة من السورة ، وأنها مترلة معها .

فأما قوله تعالى : (إنا أعطيناك الكوثر) ، فقد تقدم في هذا الحديث أنه نهر في الجنة . وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى ، عن أنس فقال : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، أخبرنا ثابت ، عن أنس أنه قرأ هذه الآية : (إنا أعطيناك الكوثر)

(١) أي : ينتزع العبد منهم .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٠٢/٣ .

(٣) أي : يسيل .

(٤) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب « حجة من قال : البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة » : ١٢/٢ - ١٣ .

ومسنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب « في الحوض » . والنسائي ، كتاب الافتتاح ، باب قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) :

قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أعطيت الكوثر فإذا هو نهر يجري ، ولم يشق شقا ، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ ، فضربت بيدي في تربته ، فإذا [مسكة] ذفيرة (١) وإذا حصاه اللؤلؤ (٢) » .

وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « دخلت الجنة فإذا أنا بنهر ، حافتاه خيام اللؤلؤ ، فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء ، فإذا مسك أذفر ، قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاكه الله عز وجل (٣) » .

ورواه البخاري في صحيحه ومسلم ، من حديث شيبان بن عبد الرحمن ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : لما هرج بالنبي - صلى الله عليه وسلم - إلى السماء قال : « أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر » . وهذا لفظ البخاري (٤) ، رحمه الله .

وقال ابن جرير : حدثنا الربيع (أخبرنا) ابن وهب ، عن سليمان بن بلال ، عن شريك بن أبي نمر : قال : سمعت أنس بن مالك يحدثنا قال : لما أسرى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - مضى به جبريل في السماء الدنيا ، فإذا هو بنهر عليه قصر من لؤلؤ وورجد ، فذهب يشتم تراه فإذا هو مسك ، قال : « يا جبريل ، ما هذا النهر ؟ قال : هو الكوثر الذي حبألك ربك (٥) » .

وقد تقدم حديث الاسراء في سورة « سبحان » ، من طريق شريك عن أنس ، وهو مخرج في الصحيحين (٦) . وقال سعيد ، عن قتادة ، عن أنس : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « بينا أنا أسير في الجنة إذ عرضني في نهر ، حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف ، فقال الملك الذي معه : أتدرى ما [هذا ؟ هذا] الكوثر الذي أعطاك الله . وضرب بيده إلى أرضه فأخرج من طيبة المسك » . وكذا رواه سليمان بن طرخان ، ومعمر وهشام وغيرهم ، عن قتادة ، به . وقال ابن جرير : حدثنا أحمد بن أبي سريج ، حدثنا أبو أيوب العباس ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، حدثني محمد بن عبد الله ، ابن أخي ابن شهاب ، عن أبيه ، عن أنس قال : سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الكوثر ، فقال : « هو نهر أعطانيه الله في الجنة ، تراه مسك ، أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، تروده طير أعناقها مثل أعناق الجزر (٧) » . فقال أبو بكر : يا رسول الله ، إنها لناحمة ؟ قال : « آكلها أنعم منها (٨) » .

وقال أحمد : حدثنا أبو سلمة الخزازي ، حدثنا الليث ، عن يزيد بن الهاد ، عن عبد الوهاب ، عن عبد الله بن مسلم ابن شهاب (٩) ، عن أنس أن رجلا قال : يا رسول الله ، ما الكوثر ؟ قال : « نهر في الجنة أعطانيه ربي ، هو أشد بياضا

(١) أي : طيبة الريح .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢٤٧/٢ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ١٠٣/٣ .

(٤) البخاري ، تفسير سورة (إنا أعطيناك الكوثر) : ٣١٩/٦ .

(٥) تفسير الطبري : ٢٠٧/٣٠ - ٢٠٨ .

(٦) انظر أول سورة الإسراء : ٤/٥ - ٦ .

(٧) الجزر : جمع جزور ، وهو : البعير ، ذكر أو أنثى .

(٨) تفسير الطبري : ٢٠٩/٣٠ .

(٩) في المسند : « عن ابن شهاب » . ويبدو أن الصواب ما هنا . وعبد الله هو ابن مسلم بن هيب الله بن عبد الله بن شهاب .

انظر ترجمته في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ١٦٤/٢/٢ .

من اللبن ، وأحلى من العسل ، فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر . قال عمر : يا رسول الله ، إنها لناعمة ؟ قال : « وآكلها (١) أنعم منها يا عمر (٢) » .

رواه ابن جرير ، من حديث الزهري ، عن أخيه (٣) عبد الله ، عن أنس : أنه سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر فذكر مثله سواء .

وقال البخاري : حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عائشة قال : سألتها عن قوله تعالى : (إنا أعطيناك الكوثر) ، قالت : مهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم ، شاطئه عليه در مجوف ، آيته كعدد النجوم (٤) .

ثم قال البخاري : « رواه زكريا وأبو الأحوص ومطرف ، عن أبي إسحاق (٥) » .
ورواه أحمد والنسائي ، من طريق مسطرف ، به (٦) .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن سفيان وإسرائيل (٧) عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عائشة قالت : الكوثر مهر في الجنة ، شاطئه در مجوف . وقال إسرائيل : مهر في الجنة عليه من الآية عدد نجوم السماء .

وحدثنا ابن حبيب ، حدثنا يعقوب القمي ، عن حفص بن حميد ، عن شمر بن عطية ، عن شقيق (٨) أو مسروق قال : قلت لعائشة : يا أم المؤمنين ، حدثيني عن الكوثر . قالت : مهر في ، بطنان الجنة : قلت : وما بطنان الجنة ؟ قالت : وسطها ، حافاته قصور اللؤلؤ والياقوت ، ترابه المسك ، وحصاه اللؤلؤ والياقوت .

وحدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن أبي جعفر الرازي ، عن ابن أبي نجيح ، عن عائشة قالت : من أحب أن يسمع خير من الكوثر ، فليسمع أصبعيه في أذنيه .

وهذا منقطع بين ابن أبي نجيح وعائشة ، وفي بعض الروايات : « عن رجل ، عنها : ومعنى هذا أنه يسمع نظير ذلك ، لا أنه يسمعه نفسه ، والله أعلم .

قال السهيلي : ورواه الدارقطني مرفوعاً ، من طريق مالك بن معمر ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم .

(١) في المسند : « آكلتها » .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢٢٠/٣ - ٢٢١ .

(٣) في المخطوطة : « عن أخيه ، عن عبد الله » . ويبدو أنه خطأ . ويبدو كذلك أنه قد وقع خطأ في سند الطبري ، انظر : ٢٠٩/٣٠ .

(٤) البخاري ، تفسير سورة (إنا أعطيناك الكوثر) : ٢١٩/٦ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢٨١/٦ .

(٦) تفسير الطبري : ٢٠٧/٣٠ .

(٧) في المخطوطة : « عن سفيان أو مسروق » . والمثبت عن تفسير الطبري . وشقيق هو ابن سلمة الأسيدي . انظر ترجمته

في التهذيب : ٣٦١/٤ .

(٨) الروض الأنف والمشرح الروي ، في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى للإمام السهيلي : ٢٤١/١ .

ثم قال البخاري : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، [حدثنا هشيم] ، أخبرنا أبو بشر ، عن سعد بن جبير عن ، ابن عباس أنه قال في الكوثر : هو الخير الذي أعطاه الله إياه . قال أبو بشر : قلت لسعيد بن جبير : فإن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة ؟ فقال سعيد : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه (١) ، ورواه أيضا من حديث هشيم ، عن ابن بسر وعطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : الكوثر : الخير الكثير .

[وقال الثوري ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : الكوثر : الخير الكثير (٢)] . وهذا التفسير يعم النهر وغيره ، لأن الكوثر من الكثرة ، وهو الخير الكثير ، ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، (ومجاهد) ، ومحارب بن دثار ، والحسن بن أبي الحسن البصري . حتى قال مجاهد : هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة .

وقال عكرمة : هو النبوة والقرآن ، وثواب الآخرة .

وقد صحح عن ابن عباس أنه فسرهُ بالنهر أيضا ، فقال ابن جرير :

حدثنا أبو كريب ، حدثنا عمر بن عبيد ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : الكوثر : نهر في الجنة ، حافته ذهب وفضة ، يجري على الياقوت والدر ، ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل . وروى العوفي ، عن ابن عباس ، نحو ذلك .

وقال ابن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا هشيم ، أخبرنا عطاء بن السائب ، عن محارب بن دثار ، عن ابن عمر أنه قال : الكوثر نهر في الجنة ، حافته ذهب وفضة ، يجري على الدر والياقوت ، ماؤه أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل .

وكذا رواه الترمذي (٣) عن ابن حُمَيد ، عن جرير ، عن عطاء بن السائب ، به مثله ، موقوفا وقد روى مرفوعا فقال الإمام أحمد :

حدثنا علي بن حفص ، [حدثنا] ورقاء قال ... وقال عطاء عن محارب بن دثار ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الكوثر [نهر] في الجنة حافته من ذهب ، والماء يجري على اللؤلؤ ، وماؤه أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل (٤) » .

وهكذا رواه الترمذي ، وابن ماجه ، وابن أبي حاتم وابن جرير ، من طريق محمد بن فضيل ، عن عطاء بن السائب ، به مرفوعا . وقال الترمذي : « حسن صحيح (٥) » .

(١) البخاري ، تفسير سورة (إنا أعطيناك الكوثر) : ٢١٩/٦ .

(٢) تفسير الطبري : ٣٠ : ٢٠٧٪ .

(٣) لم يقع لنا ذلك في سنن الترمذي ، وعلى أن نستدركه فيما يستقبل .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٥٨/٢ .

(٥) تحفة الأحوذى ، تفسير سورة (الكوثر) ، الحديث ٣٤١٩ : ٢٩٤٪ . وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب

« صفة الجنة » ، الحديث ٤٣٣٤ - ١٤٥٠٪٢ .

وقال ابن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية ، أخبرنا عطاء بن السائب قال : قال لي محارب بن دثار : ما قال سعيد بن جبير في الكوثر ؟ قلت : حدثنا عن ابن عباس أنه قال : هو الخير الكثير . فقال : صدق ، والله إنه للخير الكثير ، ولكن حدثنا ابن عمر قال : لما نزلت : (إنا أعطيناك الكوثر) ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الكوثر نهر في الجنة ، حافظه من ذهب ، يجري على الدر والياقوت (١) » .

وقال ابن جرير : حدثني ابن [البرقي] حدثنا ابن أبي مریم ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير ، أخبرني حرّام ابن عثمان ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أسامة بن زيد : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى حمزة بن عبدالمطلب يوماً فلم يجده ، فسأل امرأته عنه - وكانت من بني النجار - فقالت : خرج ياتني الله أتفا هامداً نحوك ، فأظنه أخطأك في بعض أزقة بني النجار ، ألا تدخل يا رسول الله ؟ فدخل ، فقدمت إليه حبساً (٢) فأكل منه ، فقالت : يا رسول الله ، هنيئاً لك ومريناً ، لقد جئت وأنا أريد أن أتيك فأهنيئك وأمرئك (٣) ، أخبرني أبو عمار أنك أعطيت نهر في الجنة يدعى الكوثر . فقال : « أجل ، وعرضه - يعنى أرضه - ياقوت ومرجان ، وزبرجد ولؤلؤ » .

حرّام بن عثمان : ضعيف . ولكن هذا سياق حسن ، وقد صح أصل هذا ، بل قد تواتر من طريق تفيده القطع عند كثير من أئمة الحديث ، وكذلك أحاديث الحوض (٤) .

وهكذا روى عن أنس ، وأبي العالية ، ومجاهد ، وغير واحد من السلف : أن الكوثر : نهر في الجنة . وقال عطاء : هو حوض في الجنة ،

وقوله : (فصل لربك وانحر) ، أى : كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة ، ومن ذلك النهر الذي تقدم صفة - فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة وتحرك ، فاعبده وحده لا شريك له ، وانحر على اسمه وحده لا شريك له . كما قال تعالى : (قل : إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) (٥) ، قال ابن عباس ، وعطاء ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن : يعنى بذلك نحر البدن ونحوها . وكذا قال قتادة ، ومحمد بن كعب القرظي ، والضحاك ، والربيع ، وعطاء الخراساني ، والحكم ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وغير واحد من السلف . وهذا بخلاف ما كان المشركون عليه من السجود لغير الله ، والذبح على غير اسمه ، كما قال تعالى : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق) (٦) ... الآية .

وقيل : المراد بقوله : (وانحر) : وضع اليد اليمنى على اليسرى تحت النحر : يروى هذا عن علي ، ولا يصح . وعن الشعبي [مثله] (٧) .

(١) تفسير الطبري : ٣٥ / ٢١٥ .

(٢) الخبيس : الطعام من التمر والبن المجفف والسمن .

(٣) يقال « هنا » : إذا أعطاه ما يبتغى به ، وهو ما يبتغى ولا يشق عليه . وقوله : « وأمرئك » . إتياع له يقوى معناه .

(٤) وقع في المخطوطة بعد هذا : « ولندكرها هنا » وكل هذه الأقوال غريبة جداً . وهذا غير ثابت في الطبقات السابقة .

وقد آثرنا إيماده من صلب النص حتى يستقيم السياق .

(٥) سورة الأنعام ، آية : ١٦٢ - ١٦٣ .

(٦) سورة الأنعام ، آية : ١٢١ .

(٧) تفسير الطبري : ٣٥ / ٢١٥ .

وعن أبي جعفر الباقر : (وانحر) ، يعنى : ارفع اليدين عند افتتاح الصلاة .

وقيل : (وانحر) ، أى : استقبل بنحرك القبلة . ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير .

وقد روى ابن أبي حاتم هاهنا حديثاً منكراً جداً فقال : حدثنا وهب بن إبراهيم القاسمى (١) - سنة خمس وخمسين ومائتين - حدثنا إسرائيل بن حاتم المرزى ، حدثنا مقاتل بن حيان ، عن الأصعب بن نباتة ، عن علي بن أبي طالب قال : لما نزلت هذه السورة على النبي - صلى الله عليه وسلم - : (إنا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر) ، قال رسول الله : « يا جبريل ، ما هذه النجيرة التي أمرني بها ربى ؟ » . فقال : ليست بنجيرة ، ولكنه يأمرك إذا تحرمت للصلاة ، ارفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت ، وإذا رفعت رأسك من الركوع ، وإذا سجدت ، فأنها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السموات السبع ، وإن لكل شىء زينة ، وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة . وهكذا رواه الحاكم في المستدرک ، من حديث إسرائيل بن حاتم ، به (٢) .

وعن عطاء الخراسانى ، (وانحر) ، أى : ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل ، وأبرز نحرک ، يعنى به الاعتدال . رواه ابن أبي حاتم .

[وكل هذه الأقوال غريبة جداً] (٣) . والصحيح القول الأول ، أن المراد بالانحر ذبح المناسك ، ولهذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلى العيد ثم ينحر نسكه ويقول : « من صلى صلاتنا ، ونسك نسكنا ، فقد أصاب النسك » ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له . فقام أبو بردة بن نيار فقال : يا رسول الله ، إني نسكتُ شائى قبل الصلاة ، وعرفت أن اليوم يوم يشتهى فيه اللحم . قال : « شاتك شاة لحم » . قال : فإن عندي عناقا (٤) هى أحب إلى من شاتين ، أفنجزى عنى ؟ قال : « تجزئك ، ولا تجزىء أحداً بعدك (٥) » .

قال أبو جعفر بن جرير : « والصواب قول من قال : معنى ذلك : فأجعل صلاتك كلها لربك خالصة دون ما سواه من الأنداد والآلهة ، وكذلك نحرک اجعله له دون الأوثان ، شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير ، الذى لا كفاء له ، وخصك به (٦) » .

وهذا الذى قاله فى غاية الحسن ، وقد سبقه إلى هذا المعنى : محمد بن كعب القرظى ، وعطاء .

وقوله : (إن شانتك هو الأبر) ، أى : إن مفضلك - يا محمد - ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين ، هو الأبر الأقل الأذل المنقطع ذكره .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبیر ، وقتادة : نزلت فى العاص بن وائل .

(١) فى المخطوطة : « القاضى » . والمثبت عن الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٢٩/٢/٤ . وعن ترجمة « إسرائيل بن حاتم فى الجرح أيضاً : ٣٣١/١/١ .

(٢) المستدرک ، تفسير سورة الكوثر : ٥٣٧/٢ - ٥٣٨ .

(٣) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة . وأنظر من قريب تعليقتنا على زيادة وقعت فى المخطوطة ، بعضها ما أثبتناه هنا .

(٤) المتاع - بفتح العين - : الأنثى من ولد الممزر .

(٥) البخارى ، كتاب العيدين ، باب « كلام الأمام والناس فى خطبة العيد ، وإذا سئل الإمام عن شىء وهو يحطب » : ٢٨/٢ . وأنظر مسند الإمام أحمد : ٣٠٣/٤ .

(٦) تفسير الطبرى : ٣٥ / ٢١٢ .

وقال محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان قال : كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : دعوه فإنه رجل أبتّر لا عقب له ، فإذا هلك انقطع ذكره . فأُنزل الله هذه السورة (١) :

وقال شمر بن عطية : نزلت في عقبه بن أبي معيط .

وقال ابن عباس أيضا ، وعكرمة : نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من كفار قريش :

وقال البزار : حدثنا زياد بن يحيى الحسّاني ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش : أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا المصنبر (٢) المنبر من قومه ؟ يزعم أنه خير منا ، ونحن أهل الحجيج ، وأهل السدانة وأهل السقاية . فقال : أنتم خير منه . قال : فنزلت : (إن شانئك هو الأبتّر) .

وهكذا رواه [البزار] (٣) ، وهو إسناد صحيح :

وعن عطاء : نزلت في أبي لهب ، وذلك حين مات ابن لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذهب أبو لهب إلى المشركين وقال : بئير محمد الليلة . فأُنزل الله في ذلك : (إن شانئك هو الأبتّر) .

وعن ابن عباس : نزلت في أبي جهل . وعنه (إن شانئك) ، يعني : عدوك ؛ وهذا يعنم جميع من انصف بذلك ممن ذكر وغيرهم .

وقال عكرمة : الأبتّر : الفرد . وقال السدي : كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا : بئر ؛ فلما مات أبناء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا : بئر محمد . فأُنزل الله : (إن شانئك هو الأبتّر) .

وهذا يرجع إلى ما قلناه [من] أن الأبتّر الذي إذا مات انقطع ذكره ، فتوهّموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه ينقطع ذكره ، وحاشا وكلا ، بل قد أبى الله ذكره على رموس الشهداء ، وأوجب شرعه على رقاب العباد ، مستمرا على دوام الآباد ، إلى يوم الحشر والمعاد ، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم التناد .

آخر تفسير سورة ((الكوثر)) والله الجهد والمثنة

(١) سيرة ابن هشام : ٣٩٣/١ .

(٢) ذكر ابن الأعرابي أن : الصنبور من النخل : سعفات تثبت في جذع النخلة غير مستأصلة في الأرض ، وهو المصنبر من النخل ، وإذا نبتت الصنابير في جذع النخلة أضرت لها ، لأنها تأخذ غذاء الأمهات . قال : وعلاجها أن تقلع تلك الصنابير منها . فأراد كفار قريش أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - صنبور نبت في جذع نخلة - ، فاذا قلع انقطع . وكذلك محمد إذا مات فلا عقب له .

(٣) في المخطوطة : « رواه الترمذي » . والمثبت عن الطبعات السابقة . وقد أخرجه الطبري عن ابن بشار ، عن ابن أبي عمير ، بأسناده نحوه . أنظر : ٣٠ / ٢١٣ .

تفسير سورة (قل يا أيها الكافرون)

وهي مكية

ثبت في صحيح مسلم ، عن جابر ؛ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ هذه السورة ، و (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)
فهي ركعتي الطواف (١) .

وفي صحيح مسلم ، من حديث أبي هريرة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ أيهما في ركعتي الفجر ،
وقال الإمام أحمد ؛ حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ؛ أن رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب ، بضعا وعشرين مرة - أو : بضعة عشرة
مرة - (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) ، و (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (٢) .

وقال أحمد أيضا ؛ حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، عن ابن عمر
قال ؛ ومقت النبي - صلى الله عليه وسلم - أربعة وعشرين - أو : خمسة وعشرين - مرة ، يقرأ في الركعتين قبل الفجر ،
والركعتين بعد المغرب ؛ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) و (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (٣) .

وقال أحمد حدثنا أبو أحمد - هو محمد بن عبد الله بن [الزبير] الزبيري - حدثنا سفيان - هو الثوري - عن
أبي إسحاق ، عن مجاهد عن ابن عمر قال ؛ رَمَقْتُ النبي - صلى الله عليه وسلم - شهرا ، وكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر
؛ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) ، و (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (٤) .

وكذا رواه الترمذي [وابن ماجه ، من حديث أبي أحمد الزبيري] ، وأخرجه النسائي من وجه آخر ، عن أبي
إسحاق ، به . وقال الترمذي ؛ « هذا حديث حسن (٥) » .

وقد تقدم في الحديث أنها تعدل ربع القرآن ، و (إذا زلزلت) تعدل ربع القرآن .

وقال الإمام أحمد (٦) : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق ، عن قروة بن ثوقل - هو ابن معاوية -
عن أبيه ؛ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال له ؛ « هل لك في ربيبة لنا تكفلها ؟ » . قال ؛ أراها زينب .

(١) مسلم كتاب الحج ، باب « حجة النبي صلى الله عليه وسلم » : ٤٠/٤ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢٤/٢ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٩٩/٢ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٩٤/٢ .

(٥) تحفة الأحوذى ، أبواب الصلاة ، باب « ما جاء في تحفيف ركعتي الفجر والقراءة فيهما » ؛ الحديث ٤١٥ .

٤٧٠/٢ - ٤٧٢ . وابن ماجه ، كتاب الإقامة ، باب « ما جاء فيها يقرأ في الركعتين قبل الفجر » ، الحديث ١١٤٩ : ٣٦٣/١ .

والنسائي ، كتاب الافتتاح ، باب « القراءة في الركعتين بعد المغرب » ١٧٠/٢ .

(٦) الحديث - كما وقع لنا في المسند - من رواية الإمام أحمد عن يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، هذا وفي هذه

الرواية بعض الاختلاف ، انظر مسند الإمام أحمد : ٤٥٦/٥ .

قال : ثم جاء فسأله النبي - صلى الله عليه وسلم - عنها ، قال : « ما فعلت الجارية ؟ » : قال : تركتها عند أميها . قال « فحجىء ما جاء بك » . قال : جئت لتعلمنى شيئاً أقوله عند منامى . قال : « اقرأ (قل يا أيها الكافرون) ، ثم نم على خاتمتها ، فإنها براءة من الشرك » . تفرد به أحمد .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن عمرو والطبراني ، حدثنا محمد بن الطويل ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن جبلة بن حارثة - وهو أخو زيد بن حارثة - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أويت إلى فراشك فاقرا قل : (يا أيها الكافرون) حتى تمر بآخرها ، فإنها براءة من الشرك » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن فروة بن نوفل ، عن الحارث بن جبلة قال : قلت : يا رسول الله ، علمنى شيئاً أقوله عند منامى . قال : « إذا أخذت مضجعتك من الليل فاقرا : (قل يا أيها الكافرون) ، فإنها براءة من الشرك » .

وروى الطبراني من طريق شريك ، عن جابر ، عن معقل الزبيدي ، عن عبد (١) . . . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أخذ مضجعه قرأ (قل يا أيها الكافرون) حتى يحتجها . . .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

تلكه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون ، وهي آمرة بالإخلاص فيه ، فقوله : (قل : يا أيها الكافرون) شمل كل كافر على وجه الأرض ، ولكن المواجهين بهذا الخطاب هم كفار قريش .

وقيل : إنهم من جهالهم دعو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى عبادة أو تأمهم سنة ، ويعبدون معبوده سنة ، فأنزل الله هذه السورة ، وأمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - فيها أن يبرأ من دينهم بالكلمة ، فقال : (لا أعبد ما تعبدون) يعنى من الأصنام والأنداد ، (ولا أنتم عابدون ما أعبد) ، وهو الله وحده لا شريك له . فـ « ما » هاهنا بمعنى « من » .

ثم قال : (ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد) ، أى : ولا أعبد عبادتكم ، أى : لا أسلكها ولا أقتدى بها ، وإنما أعبد الله على الوجه الذى يحبه ويرضاه . ولهذا قال : (ولا أنتم عابدون ما أعبد) ، أى : لا تقتدون بأوامر الله وشرعه فى عبادته ، بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم ، كما قال : (إن يتبعون إلا الظن ، وما تهوى الأنفس) ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى) ، فبرأ منهم فى جميع ما هم فيه ، فإن العابد لا بد له من معبود يعبده ، وعبادة يسلكها إليه ، فالرسول واتباعه يعبدون الله بما شرعه ، ولهذا كان كلمة الإسلام « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، أى : لا معبود

(١) فى المخطوطة : « عن عبد البر أخضر أو أحمر » . ولا ندرى ما المقصود بهذا . وقد وقع فى الطبقات السابقة مكانه « عن عبد الرحمن بن » . وفى الدر المنثور ٤٠٥/٦ : « وأخرج سعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وابن مردويه ، عن عبد الرحمن بن نوفل الأشجعي ، عن أبيه . . . » ينحوه . وانظر أسد الغابة ، ترجمة نوفل بن فروة الأشجعي : ٣٧٠/٥ = ٣٧١ ، بتحقيقنا .

إلا الله ولا طريق [إليه] إلا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله ؛ ولهذا قال لهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - : (لكم دينكم ولي دين) ، كما قال تعالى : (وإن كذبوك فقل : لى عملى ولكم عملكم ، أنتم بريئون مما أعمل ، وأنا بريء مما تعملون) (١) وقال (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) .
وقال البخارى : يقال : (لكم دينكم) الكفر ، (ولي دين) الإسلام . ولم يقل « دىنى » لأن الآيات بالنون ، فحذف الياء ، كما قال : (فهو يهدين) و (يشفين) . وقال غيره : لا أعبد ما تعبدون الآن ، ولا أجيئكم فيما بقى من عمرى ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، وهم الذين قال : (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا) . انتهى ما ذكره (٢) .

ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيد ، كقوله (فان مع العسر يسرا : إن مع العسر يسرا) ، وكقوله : (لثرون الجحيم . ثم لثرونها عين اليقين (٣)) . وحكاها بعضهم - كابن الجوزى ، وغيره - عن ابن قتيبة ؛ فأنه أعلم . فهذه ثلاثة أقوال : أولا ما ذكرناه أولا . الثانى : ما حكاها البخارى وغيره من المفسرين أن المراد : (لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد) فى الماضى (ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد) فى المستقبل ؛ الثالث : أن ذلك تأكيد محض .

وتم قول رابع ، نصره أبو العباس (٤) بن تميمية فى بعض كتبه ، وهو أن المراد بقوله : (لا أعبد ما تعبدون) نفى الفعل لأنها جملة فعلية ، (ولا أنا عابد ما عبدتم) ، نفى قبوله لذلك بالكلية ؛ لأن النفى بالجملة الاسمية أكد فكأنه نفى الفعل ، وكونه قابلا لذلك ؛ ومعناه نفى الوقوع ونفى الإمكان الشرعى أيضا . وهو قول حسن أيضا ، والله أعلم .
وقد استدلك الإمام أبو عبد الله الشافعى وغيره بهذه الآية الكريمة : (لكم دينكم ولي دين) ، على أن الكفر كراهة ملة واحدة تورثه اليهود من (٥) النصرارى ، وبالعكس ؛ إذ كان بينهما نسب أو سبب يتوارث به ؛ لأن الأديان ما عدا الإسلام كلها كالشيء الواحد فى البطلان ؛ وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم تورث النصرارى من اليهود وبالعكس ، لحديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يتوارث أهل ملتين شتى (٦) » ؛

آخر تفسير سورة (قل يا أيها الكافرون) وبه الحمد والمنة

- (١) سورة يونس ؛ آية : ٤٤ .
- (٢) البخارى ؛ تفسير سورة (قل يا أيها الكافرون) : ٦ / ٢٢٠ .
- (٣) تفسير الطبرى : ٣٠ / ٢١٤ .
- (٤) انظر « مجموعة » تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية « ط بمباى الهند : ٤٣٨ - ٤٣٩ .
- (٥) أى : تورثه اليهود النصرارى . والعرب قد تزيد (من) على المفعول .
- (٦) سنن أبى داود ، كتاب الفرائض ، باب « هل يرث المسلم الكافر ؟ » . وتحفة الأحوذى ؛ أبواب الفرائض ؛ باب « ما جاء فى إبطال الميراث بين المسلم والكافر » ، الحديث ٢١٩٠ : ٢٨٧ / ٦ . وابن ماجه ، كتاب الفرائض ، باب « ميراث أهل الإسلام من أهل الشرك » ، الحديث ٢٧٣١ : ٩١٢ / ٢ . ومسنده الإمام أحمد : ٢ / ١٩٥ .

تفسير سورة اذا جاء نصر الله والفتح

وهي مدنية

قد تقدم أنها تعدل ربع القرآن ، و (إذا زلزلت) تعدل ربع القرآن ،

وقال النسائي : أخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أخبرنا جعفر ، عن أبي العُميس (ح) = وأخبرنا أحمد ابن سليمان ، حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو العُميس - عن عبد المجيد بن سهيل ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : قال لي ابن عباس : يا ابن عتبة ، أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت ؟ قلت : نعم ، (إذا جاء نصر الله والفتح) . قال : صدقت (١) .

وروى الحافظ أبو بكر البزار والبيهقي ، من حديث موسى بن عبيدة الرُبَدي ، عن صدقة بن يسار ، عن ابن عمر قال : أنزلت هذه السورة : (إذا جاء نصر الله والفتح) على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أوسط أيام التشريق ، فعرف أنه الوداع ، فأمر بإحلاته القصواء فرحلت ، ثم قام فخطب الناس . . . فذكر خطبته المشهورة .

[وقال] الحافظ البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصغار ، حدثنا الأسفاطي ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد بن (٢) العوام ، عن هلال بن خباب ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت « (إذا جاء نصر الله والفتح) ، دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاطمة وقال : « إنه قد نعت إلى نفسي » فبكت ثم ضحكت ، وقالت : أخبرني أنه نعت إليه نفسه فبكت ، ثم قال : « اصبري فانك أول أهل الحياقي » فضحكت .

وقد رواه النسائي - كما سيأتي - بدون ذكر فاطمة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

قال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكان بعضهم وجد (٣) في نفسه ، فقال : لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء

(١) رواه مسلم في كتاب التفسير من حديث جعفر بن عون ، انظر : ٢٤٢/٨ - ٢٤٣ .

(٢) في المخطوطة : « عساكر بن العوام » . وهو خطأ ، انظر التهذيب : ٩٩/٥ .

(٣) أي : غضب .

مثله ؟ فقال عمر : إنه من علمتم (١) . فدعاهم ذات يوم (٢) فأدخله معهم ، فما رويت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليربهم . فقال : ما تقولون في قول الله - عز وجل - : (إذا جاء نصر الله والفتح) ؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا . وسكت بعضهم فلم يقل شيئا ، فقال لي : أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا ، فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعلمه له ، قال : (إذا جاء نصر الله والفتح) فذلك علامة أجلك ، (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) . فقال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها إلا ما تقول .
تفرد به البخاري (٣) .

وروى ابن جرير ، عن محمد بن حميد ، عن مهران ، عن الثوري ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس :
فذكر مثل هذه القصة ، أو نحوها (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزلت :
(إذا جاء نصر الله والفتح) ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « نُعِيَتْ إِلَى نَفْسِي » . . . بأنه مقبوض في تلك
الليلة ، تفرد به أحمد (٥) .

وروى الحوفي ، عن ابن عباس ، مثله . وهكذا قال مجاهد ، وأبو العالية ، والضحاك ، وغير واحد : إنها أجل
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نُعِيَتْ إِلَيْهِ .

وقال ابن جرير : حدثني إسماعيل بن موسى ، حدثنا الحسين بن عيسى الحنفي ، عن معمر ، عن الزهري ، عن أبي
حازم ، عن ابن عباس قال : بينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المدينة إذ قال : « الله أكبر ، الله أكبر ! جاء
نصر الله والفتح ، جاء أهل اليمن . قيل : يا رسول الله ، وما أهل اليمن ؟ قال : قوم رقيقة قلوبهم ، لينة طباعهم ،
الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية (٦) » .

ثم رواه عن ابن عبد الأعلى ، عن ابن ثور ، عن معمر ، عن عكرمة . . . مراسلا .
وقال الطبراني : حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا أبو كامل الجحدري ، حدثنا أبو عوانة عن هلال بن يحيى :
عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : (إذا جاء نصر الله والفتح) . . . حتى ختم السورة ، قال : نُعِيَتْ
لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - نفسه حين نزلت ، قال : فأخذ بأشد ما كان قط اجتهادا في أمر الآخرة . وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك : « جاء الفتح ونصر الله ، وجاء أهل اليمن » . فقال رجل : يا رسول الله ،
وما أهل اليمن ؟ قال : قوم رقيقة قلوبهم ، لينة قلوبهم ، الإيمان يمان ، والفقه يمان .

(١) يشير بهذا إلى قرابته من النبي صلى الله عليه وسلم ، أو : إلى معرفته وقطنته

(٢) في الصحيح : « فدعاه » . وما هنا يوافق ما في غزوة الفتح .

(٣) البخاري ، تفسير سورة (إذا جاء نصر الله) : ٢٢٠/٦ - ٢٢١ .

(٤) تفسير الطبري : ٣٠ / ٢١٥ - ٢١٦ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢١٧/١ .

(٦) تفسير الطبري : ٣٠ / ٢١٥ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : (إذا جاء نصر الله والفتح) ، علم النبي - صلى الله عليه وسلم - أن قد نعتت إليه نفسه ، فقيل : (إذا جاء نصر الله والفتح) هذه الصورة كلها (١) .

حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين : أن عمر سأل ابن عباس عن هذه الآية : (إذا جاء نصر الله والفتح) ، قال : لما نزلت نعتت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نفسه (٢) .

وقال الطبراني : حدثنا إبراهيم بن أحمد بن عمرو الوكيعي ، حدثنا أني ، حدثنا جعفر بن عون ، عن أن العسيس ، عن أبي بكر بن أبي الجهم ، عن عبدة الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس قال : آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً : (إذا جاء نصر الله والفتح) .

وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي السخري الطائي ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : لما نزلت هذه السورة : (إذا جاء نصر الله والفتح) قرأها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى ختمها ، فقال : « الناس حيز (٣) ، وأنا وأصحابي حيز » . وقال : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية » : فقال له مروان : كذبت - وعنده رافع بن خديج ، وزيد ابن ثابت ، قاعدان معه على المرير - فقال أبو سعيد : لو شاء هذان لحدثاك ، ولكن هذا يخاف أن تزعه عن عرافة (٤) قومه ، وهذا يخشى أن تزعه عن الصدقة ، فرفع مروان عليه الدرة ليضربه ، فلما رأيا ذلك قالا : صدق (٥) .

تفرد به أحمد ، وهذا الذي أنكره مروان على أبي سعيد ليس بمنكر ، فقد ثبت من رواية ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يوم الفتح : « لا هجرة ، ولكن جهاد ونية ، ولكن إذا استنفرتم فأنفروا » . أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما (٦) .

(١) مستد الإمام أحمد : ٣٤٤/١ .

(٢) مستد الإمام أحمد : ٣٥٦/١ .

(٣) أي : فئة وجماعة .

(٤) العرافة : عمل العريف ، وهو القيم بأمر القبيلة أو الجماعة من الناس ، يلي أمورهم ، ويتعرف منه الأمر أسوأهم .

(٥) مستد الإمام أحمد : ٢٢/٣ . وانظر المستد أيضا : ١٨٧/٥ .

(٦) البخاري : كتاب الجهاد ، باب « فضل الجهاد والسير » : ١٧/٤ - ١٨ . ومسلم : كتاب الإمامة ، باب

« المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير ، وبيان معنى : لا هجرة بعد الفتح » : ٢٨/٦ .

ومعنى الحديث : أن تحصيل الخير الذي سببه الهجرة قد انقطع بفتح مكة ، وفاز به من وفق له قبل الفتح . ولكن بين الخير الذي سببه الجهاد في سبيل الله ، والنية الصالحة ، فعليكم أن تحصلوه بهما ، فإذا طلب الإمام منكم الخروج إلى الجهاد فأخرجوا .

فألقى فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر - رضى الله عنهم أجمعين - من أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن والحصون أن نحمد الله ونشكره ونسبحه ، يعنى نصلى له ونستغفره - معنى ملىح صحيح ، وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم فتح مكة وقت الضحى ثمانى ركعات ، فقال قائلون : هى صلاة الضحى . وأجيبوا بأنه لم يكن يواظب عليها ، فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافرا لم يَسُو الإقامة عمكة ؟ ولهذا أقام فيها إلى آخر شهر رمضان قريبا من تسعة عشر يوما يقصر الصلاة ويمطرها هو وجميع الجيش ، وكانوا نحو من عشرة آلاف . قال هؤلاء : وإنما كانت صلاة الفتح ، قالوا : فيستحب لأمير الجيش إذا فتح بلدا أن يصل فيه أول ما يدخله ثمانى ركعات : وهكذا فعل سعد بن أبى وقاص يوم فتح المدائن ، ثم قال بعضهم : يصلها كلها بتسليمة واحدة . والصحيح أنه يسلم من كل ركعتين ، كما ورد في سنن أبى داود : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين . وأما (١) ما فسر به ابن عباس وعمر - رضى الله عنهما - من أن هذه السورة نعى فيها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نفسه الكريمة ، واعلم أنك إذا فتحت مكة - وهى : قريتك التى أخرجتك - ودخل الناس في دين الله أفواجا ، فقد فرغ شغلنا بك في الدنيا ، فتحيا للقدوم علينا والوفود إلينا ، فالآخرة خير لك من الدنيا ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ، ولهذا قال : (فسبح محمد ربك . واستغفره إنه كان توابا) .

قال النسائى : أخبرنا عمرو بن منصور ، حدثنا محمد بن محبوب ، حدثنا أبو عوانة ، عن هلال بن خباب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : قال لما نزلت : (إذا جاء نصر الله والفتح) ... إلى آخر السورة ، قال : نعت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - نفسه حين أنزلت ، فأخذ في أشد ما كان اجتهدا في أمر الآخرة ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك : « جاء الفتح ، وجاء نصر الله . وجاء أهل اليمن » . فقال رجل : يا رسول الله ، وما أهل اليمن ؟ قال : « قوم رقيقة قلوبهم ، لينة قلوبهم ، الإيمان ثمان ، والحكمة ثمانية ، والفقة ثمان » .
وقال البخارى : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكثُر أن يقول في ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لى » - يتأول القرآن (٢) .

وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذى ، من حديث منصور ، به (٣) :
وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن أبى عدى ، عن داود ، عن الشعبي ، عن مسروق قال : قالت عائشة : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكثُر في آخر أمره من قول : « سبحان الله وبحمده ، استغفر الله وأتوب إليه » ، وقال : « إن ربى كان أخبرنى أنى سأرى علامة فى أمى ، وأمرنى إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره ، إنه كان

(١) كذا ، ولم يقع لنا جواب « أما » هذه . ولعل ابن كثير قد غفل عنه لما طال الكلام .

(٢) البخارى ، تفسير سورة (إذا جاء نصر الله) : ٢٢٠/٦ .

(٣) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب « وما يقال فى الركوع والسجود » : ٥٥ / ٢ . وسنن أبى داود ، كتاب الصلاة أيضا

باب « الدعاء فى الركوع والسجود » . والنسائى ، كتاب الافتتاح ، باب « الدعاء فى السجود » - نوع آخر - : ٢١٩/٢ . وابن ماجه ، كتاب الإقامة ، باب « التسيب فى الركوع والسجود » ، الحديث ٨٨٩ : ٢٨٧/١ . ومستند الإمام أحمد عن عائشة :

٤٣/٦ ، ٤٩ ، ١٩٠ .

هذا ومعنى « يتأول القرآن » : يراه معنى قوله تعالى : (فسبح بحمد ربك) ، وعلا بمقتضاه .

توابا ، فقد رأيتها : (إذا جاء نصر الله والفتح . ورايت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره . إنه كان توابا (١)) .

ورواه مسلم (٢) من طريق داود - وهو ابن أبي هند - به .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو السائب ، حدثنا حفص ، حدثنا عاصم ، عن الشعبي ، عن أم سلمة قالت : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ، ولا يذهب ولا يجيء ، إلا قال : « سبحان الله وبحمده » . فقلت : يا رسول الله ، إنك تكثر من سبحان الله وبحمده ، لا تذهب ولا تجيء ، ولا تقوم ولا تقعد . إلا قلت : « سبحان الله وبحمده ؟ » قال : « إني أمرت بها ، فقال : (إذا جاء نصر الله والفتح) » ... إلى آخر السورة (٣)

غريب ، وقد كتبنا حديث كفاية المجلس من جميع طرقه وألفاظه في جزء مفرد ، فيكتب هاهنا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة . عن عبد الله قال : لما نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (إذا جاء نصر الله والفتح) ، كان يكثُر إذا قرأها - ورُكِع - أن يقول : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم » ، ثلاثا (٤) .

تفرد به أحمد . ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه ، عن عمرو بن مرة ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، به .

والمراد بالفتح هاهنا فتح مكة قولا واحداً ، فإن أحياء العرب كانت تتسَلَّوْم (٥) بإسلامها فتح مكة ، يقولون : إن ظهر على قومه فهو نبي . فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجا ، فلم تمض سنتان حتى استوسقت (٦) جزيرة العرب إيماناً ، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر الإسلام ، والله الحمد والمنة . وقد روى البخاري في صحيحه ، عن عمرو بن سلمة قال : « لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكانت الأحياء تتسَلَّوْم بإسلامها فتح مكة ، يقولون : دعوه وقومه ، فإن ظهر عليهم فهو نبي ... » الحديث (٧) . وقد حررونا غزوة الفتح في كتابنا : السيرة ، فمن أراد فليراجعه هناك ، والله الحمد والمنة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق ، عن الأوزاعي ، حدثني أبو عمار ، حدثني جابر لجابر بن عبد الله قال : قدمت من سفر فبجاءني جابر بن عبد الله ، فسلم علي (٨) ، فجعلت أحدثه عن افراق الناس وما أحدثوا فجعل جابر يبكي ، ثم قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إن الناس دخلوا في دين الله أفواجا ، وسيخرجون منه أفواجا (٩) » .

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٥/٦ .

(٢) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب « ما يقال في الركوع والسجود » ٥٠/٢ - ٥١ .

(٣) تفسير الطبري : ٢١٦/٣٠ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٣٨٨/١ .

(٥) أي : تنتظر .

(٦) أي : اجتمعت على الإيمان .

(٧) البخاري ، كتاب المغازي : ١٩١/٥ - ١٩٢ .

(٨) في المسند : « يسلم علي » .

(٩) مسند الإمام أحمد : ٣٤٣/٣ .

تفسير سورة تبت وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ
الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝

قال البخارى : حدثنا محمد بن سلام ، حدثنا ابو معاوية ، حدثنا الأحمش ، عن عمرو بن مسرة ، عن سعيد بن جبير ،
عن ابن عباس : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خرج إلى البطحاء ، فصعد الجبل فنادى : « يا صباحاه » فاجتمعت
إليه فريش ، فقال : « أرايتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ، أنكم تصدقوني ؟ قالوا : نعم » قال :
فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » . فقال أبو لهب : ألهذا جمعتمنا ؟ تبالك . فأنزل الله : (تبت يدا أبي لهب وتب) : ١-٥
إلى آخرها (١) .

وفي رواية : « فقام ينفض يديه ، وهو يقول : تبالك سائر اليوم : ألهذا جمعتمنا ؟ فأنزل الله : (تبت يدا أبي لهب
وتب) (٢) .

الأول دعاء [عليه] ، والثاني خبر عنه : فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واسمه :
عبد العزى بن عبد المطلب ، وكنيته أبو عتبة (٣) . وإنما سمي « بألهب » لاشراق وجهه ، وكان كثير الأذى لرسول الله
- صلى الله عليه وسلم - والبغضة له ، والازدراء به ، والتنقص له ولدينه .

قال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن أبي العباس ، حدثنا عبد الرحمن بن أنس الزناد ، عن أبيه قال : « أخبرني رجل -
يقال له : ربيعة بن عباد ، من بني الدليل ، وكان جاهلياً فأسلم (٤) - قال : رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم -
في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول : « يا أمها الناس ، قولوا [لا إله إلا الله] تفلحوا » . والناس مجتمعون عليه ،
وبوراءه رجل وضىء الوجه أحول ذو غدبرتين ، يقول : إنه صابئ كاذب . يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا (٥) :
هذا عمه أبو لهب (٦) .

(١) البخارى ، تفسير سورة (تبت يدا أبي لهب وتب) : ٢٢١/٦ - ٢٢٢ .

(٢) انظر البخارى ، كتاب الجنائز ، باب « ذكر شرار الموق » : ١٢٩/٢ . وتفسير سورة الشعراء : ١٤٠/٦ .

وتفسير سورة (سبأ) : ١٥٣/٦ .

(٣) جمهرة أنساب العرب لابن حزم : ١٤ .

(٤) كلمة « فأسلم » غير ثابتة في المسند .

(٥) لفظ المسند : « فسألت عنه ، فذكروا لى نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقالوا : .

(٦) مستند الإمام أحمد : ٣٤١/٤ .

ثم رواه عن سُرَيْج ، عن ابن أبي الزناد ، عن أبيه ... فذكره - قال أبو الزناد : قلت لربيعة : كنت يومئذ صغيراً ؟ قال : لا ، والله إني يومئذ لأعقل أني أزهق القربة (١) . تفرد به أحمد (٢) .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال : سمعت ربيعة بن عبيد الله بن عبيد الله يقول : إني لمع أبي رجل شاب (٣) ، أنظر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتبع القبائل - ووراه رجل أحول وضوء ، ذو جُمَّة (٤) - يقصف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على القبيلة فيقول : « يا بني فلان ، إني رسول الله إليكم ، أمركم أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً ، وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أنفدَ عن الله ما بعثني به » ، وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه : يا بني فلان ، هذا يريد منكم أن تسألوا اللات والعزى ، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تسمعوا له ولا تبعوه . فقلت لأبي : من هذا ؟ قال : عمه أبو هب (٥) .

رواه أحمد (٦) أيضاً ، والطبراني هذا اللفظ .

فقوله تعالى : (تبت بدا أبي هب) ، أي : خسرت وخابت ، وضل عمله وسعيه ، (وتب) ، أي : وقد تبَّ تحقق خسارته وهلاكه .

وقوله : (ما أغنى عنه ماله وما كسب) ، قال ابن عباس وغيره : (وما كسب) ، يعني : ولده (٧) : ورؤى عن عائشة ، ومجاهد ، وعطاء ، والحسن ، وابن سيرين ، مثله :

وذكر عن ابن مسعود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما دعا قومه إلى الإيمان ، قال أبو هب : إن كان ما يقول ابن أخي حقاً ، فاني أفتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بما لي وولدي . فأنزل الله : (ما أغنى عنه ماله وما كسب) .

وقوله : (سيصلي ناراً ذات هب) ، أي : ذات شرر وهيب وإحراق شديد ، (وامرأته حمالة الحطب) ، وكانت زوجته من سادات نساء قريش ، وهي : أم جميل ، واسمها أروى بنت حرب بن أمية ، وهي أخت أبي سفيان . وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده ، فلهاذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم : ولهذا قال : (حمالة الحطب . في جيدها جبل من مسد) ، يعني : تحمل الحطب فتلقى على زوجها ، ليزداد على ما هو فيه ، وهي مهَيَّأة لذلك مستعدة له .

(في جيدها جبل من مسد) - قال مجاهد ، وعروة : من مسد النار .

وعن مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، والثوري ، والسدي : (حمالة الحطب) : كانت تمشي بالنميمة .

(١) بعده في المسند : « أي : أحملها » .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣٤١/٤ - ٣٤٢ .

(٣) لفظ السيرة : « إني لفلان شاب مع أبي هب » .

(٤) الجمة - يضم الجيم - : ما سقط من شعر الرأس على المنكبين .

(٥) سيرة ابن هشام : ٤٢٣/١ . وانظر أيضاً السيرة : ٣٥١/١ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٤٩٢/٣ .

(٧) تفسير الطبري : ٢١٨/٣٠ .

وقال العوفي عن ابن عباس ، وعطية الجدي ، والضحاك ، وابن زيد : كانت تضع الشوك في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم واختاره ابن جرير (١) .

قال ابن جرير : وقيل : كانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر ، وكانت تحطب ، فعيرت بذلك ، كذا حكاه ، ولم يعزه إلى أحد . والصحيح الأول ، والله أعلم .

قال سعيد بن المسيب : كانت لها قلادة فاخرة ، فقالت : لأنفقها في عداوة محمد ، يعني فأعقبها الله بها حيلة في جيدها من مسد النار .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن سليم مولى الشعبي ، عن الشعبي قال : المسد الليف (٢) .

وقال عروة بن الزبير : المسد : سلسلة ذرعها سبعون ذراعا (٣) .

وعن الثوري : هي قلادة من نار ، طولها سبعون ذراعا .

وقال الجوهري : المسد : الليف . والمسد أيضا : جبل من ليف أو خوص ، وقد يكون من جلود الإبل

أو أوبارها ، ومسدت الجبل أمسده مسدًا : إذا أجندت قتله (٤) .

وقال مجاهد : (في جيدها جبل من مسد) ، أي : طوق من حديد ، ألا ترى أن العرب يسمون البكرة (٥) .

مسدًا (٦) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي وأبو زرعة قالوا : حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدى ، حدثنا سفيان ، حدثنا

الوليد بن كثير ، عن ابن بدوس (٧) ، عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لما نزلت : (نبت يدا أبي هب) ، أقبلت

العوراء أم جميل بنت حرب ، ولها ولولة ، وفي يدها فهر ، وهي تقول :

مَدَمَّمَا أَبِينَا . ودينه قَلِينَا . وأمره عَصِينَا

ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس في المسجد ومعه أبو بكر ، فلما رآها أبو بكر قال : يا رسول الله !

قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إنما لن تراني » وقرأ قرآنا اعتصم به .

كما قال تعالى : (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) : فأقبلت حتى وقفت على

أبي بكر ولم تر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا أبا بكر ، إني أخبرت أن صاحبك هجاني ؟ قال : لا .

(١) قوله : « واختاره ابن جرير » وقع في المخطوطة ، بعد « ولم يعزه إلى أحد » ، التي سيأت . وقد أثبتناه هنا اعتقاداً

على قول الطبري ٢١٩/٣٥ : « وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي قول من قال : « كانت تحمل الشوك فطرحة في طريق

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأن ذلك هو أظهر » .

هذا ويلاحظ أن ابن كثير فسر أولاً « المسد » ، ثم فسر « جمالة الخطب » ، ثم عاد فأكمل شرح « المسد » ونحن

لا نطمئن إلى ترتيب المخطوطة .

(٢) لم يقع لنا هذا الأثر في تفسير الطبري .

(٣) تفسير الطبري : ٣٥ : ٢٢٠ .

(٤) الصحاح للجوهري ، مادة « مسد » : ٥٣٥/١ - ٥٣٦ .

(٥) البكرة - يفتح الباء - : ما يستقى عليها .

(٦) انظر تفسير الطبري : ٢٢٠/٣٥ .

(٧) كذا « ابن بدوس » . وقد جهدنا في البحث عنه ، ولم نجده ، ولعلنا نستدركه فيما بعد .

الطبري

ورب هذا البيت ما هجاك : فقلت وهي تقول : قد علمت قريش أنى ابنة سيدها : قال : وقال الوليد في حديثه ، أو غيره : فعشرت أم جميل في مرطها وهي تطوف بالبيت (١) ، فقالت : تعس مدمم . فقالت أم حكيم بنت عبد المطلب : إني لحصانُ فما أكلتم ، وثقافُ (٢) فما أعلم ، وكلنا من بني العم ، وقريش بعد أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا إبراهيم بن سعيد وأحمد بن إسحاق قالا : حدثنا أبو أحمد ، حدثنا عبد السلام ابن حرب ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : (تبت بدأ أبي لُب) [جاءت امرأة أبي لُب] - ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - جالس ، ومعه أبو بكر - فقال له أبو بكر : لو تَسَحَّيت لا تُؤذيك بشيء . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إنه سيَحَال بيني وبينها » . فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر فقالت : يا أبا بكر ، هجانا صاحبك . فقال أبو بكر : لا ، ورب هذه البنية ما نطق بالشعر ولا يتفوه به . فقالت : إنك لصدوق ، فلما ولت قال أبو بكر - رضي الله عنه - : ما رأيتك ؟ قال : « لا ، ما زال ملك يسئرنى حتى ولت » . ثم قال البزار : لا تعلمه يروى بأحسن من هذا الإسناد ، عن أبي بكر ، رضي الله عنه .

وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى : (في جيدها حبل من مسد) ، أى : في عنقها حبل من نار تُرْفَع به إلى شفيرها ، ثم يرمى بها إلى أسفلها ، ثم كذلك دائماً .

قال أبو الخطاب بن دحية (٣) في كتابه التنوير - وقد روى ذلك - : وعبر بالمسد عن حبل اللؤلؤ ، كما قال أبو حنيفة الدينوري في كتاب « النبات » كل مسد : رشاء ، وأنشد في ذلك :

وَبِكْرَةٌ وَمِحْوَرًا صِرَارًا وَمَسَدًا مِنْ أبقِ مَعَارًا (٤)

قال : والأبق القسب .

وقال الآخر (٥) :

يا مَسَدَ الخُوصِ تَعَوَّذْ مِنِّي * إِنَّ تَكُ لَدُنَّا لَيِّنًا فَاثِي

ما شئت من أَسْمَطَ مُقْسَمِينَ (٦)

قال العلماء : وفي هذه السورة معجزة ظاهرة وذليل واضح على النبوة ، فانه منذ نزل قوله تعالى : (سيصلي ناراً ذات لُب وامرأته حمالة الخطب . في جيدها حبل من مسد) ، فأحبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان ، لم يقبض لها أبو يؤمنا ، ولا واحد منهما لا ظاهراً ولا باطناً ، لا مسراً ولا معلناً ، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة :

(١) في المخطوطة : « بالبيت في مرطها » ، فتكررت كلمة « في مرطها » .

(٢) أى : ذات فطنة ومعرفة بما يحتاج إليه .

(٣) هو أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن الجميل بن دحية الكلابي الأندلسي . كان من أعيان العلماء ، متقناً لعلم الحديث ، وما يتعلق به ، عارفاً بالنحو واللغة وأيام العرب وأشعارها . وقد تلمذ للإمام السبيلي . ودخل مصر ، وبني له الكامل دار الحديث الكاملية بالقاهرة ، وجعله شيخها . حدث عنه ابن الصلاح وغيره . وتوفى سنة ٦٣٣ هـ .

هذا وكتابه التنوير عمله لملك « إربيل » وكان مولواً يعمل مولد النبي صلى الله عليه وسلم - كما يقول ابن خلكان - وسماه « التنوير في مولد السراج المنير » . انظر وفيات الأعيان : ١٢٢/٣ .

(٤) المحور - بكسر الميم ، وسكون الحاء ، وفتح الواو - : العود الذي في وسط البكرة ، وربما كان من حديد . والمغار : الحكم القتل .

(٥) الرجز في الصحاح ، مادة مسد : ٥٣٦/١ .

(٦) الشط - بفتح الشين - : اختلاف الشعر بلونين من سواد وبياض ، والمقسنين : الذي قد انتهى في سته ، فليس به ضعف

كبير ولا قوة شباب . وقيل : هو الذي في آخر شبابه .

تفسير سورة الاخلاص

وهي مكية

ذكر سبب نزولها وفضيلاتها

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعد (١) محمد بن ميسر الصاغاني ، حدثنا أبو جعفر الرازي ، حدثنا الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب : أن المشركين قالوا للنبي - صلى الله عليه وسلم - : يا محمد ، انسب لنا ربك ، فأنزل الله : (قل هو الله أحد : الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد) (٢) .

وكذا رواه الترمذي ، وابن جرير ، عن أحمد بن منيع - زاد ابن جرير : ومحمود بن خداش - عن أبي سعد محمد بن ميسر به - زاد ابن جرير والترمذي - قال : (الصمد) : الذي لم يلد ولم يولد ، لأنه ليس شيء يولد إلا سموت ، وليس شيء يموت إلا سيورث ، وإن الله - جل جلاله - لا يموت ولا يورث ، (ولم يكن له كفواً أحد) ولم يكن له شبه ولا عدل (٣) وليس كمثل شيء (٤) .

ورواه ابن أبي حاتم ، من حديث أبي سعد محمد بن ميسر ، به : ثم رواه الترمذي عن عبد بن حميد ، عن عبيد الله ابن موسى ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ... فذكره مرسلًا ولم يذكر « أخبرنا » . ثم قال الترمذي : « وهذا أصح من حديث أبي [سعد] (٥) » .

حديث آخر في معناه ، قال الخافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا سريج بن يونس ، حدثنا إسماعيل بن محالد ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر : أن أعرابيا جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : انسب لنا ربك . فأنزل الله عز وجل : (قل هو الله أحد) : إلى آخرها ، إسناده مقارب :

وقد رواه ابن جرير عن محمد بن عوف ، عن سريج ... فذكره (٦) . وقد أرساه غير واحد من السلف ، وروى عبيد بن إسحاق العطار ، عن قيس بن الربيع ، عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود قال : قالت قريش لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : انسب لنا ربك ، فنزلت هذه السورة : (قل هو الله أحد) .

قال الطبراني : رواه القرياني وغيره ، عن قيس ، عن أبي عاصم ، عن أبي وائل ، مرسلًا . ثم روى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عثمان الطائفي ، عن الوازع بن نافع ، عن أبي سامة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لكل شيء نسبة ، ونسبة الله : قل هو الله أحد .

(١) كذا في المخطوطة ، ومثله في الجرح والتعديل ١٠٥/٢/٤ ، وتحفة الأحوذى . وفي المستد وأخلاصة « أبو سعيد » .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٣٣/٥ - ١٣٤ .

(٣) عدل - بكسر فسكون - : مثل .

(٤) تحفة الأحوذى ، تفسير سورة الإخلاص ، الحديث ٣٤٢٣ : ٢٩٩/٩ - ٣٠٠ . وتفسير الطبري : ٢٢١/٣٠ .

(٥) تحفة الأحوذى ، تفسير سورة الإخلاص ، الحديث ٣٤٢٤ : ٣٠١/٩ .

(٦) تفسير الطبري : ٢٢١/٣٠ .

حديث آخر في فضلها ، قال البخارى : حدثنا محمد - هو الذّهلى - حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنا عمرو ، عن ابن ابي هلال ، أن ابا الرجال محمد بن عبد الرحمن حدثه ، عن أمه عمّرة بنت عبد الرحمن - وكانت في حجر عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم - عن عائشة : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث رجلا على صريّة ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم ، فيختم : (قل هو الله أحد) فلما رجعوا [ذكروا] ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : « سلوه : لآى شىء يصنع ذلك ؟ » فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أخبروه أن الله تعالى يحبها » .

هكذا رواه في كتاب « التوحيد (١) » . ومنهم من يسقط ذكر « محمد الذّهلى » ويجعله من روايته عن أحمد ابن صالح . وقد رواه مسلم والنسائى أيضا من حديث عبد الله بن وهب عن عمرو بن [الخارث] ، عن سعيد بن ابي هلال ، به (٢) .

حديث آخر ، قال البخارى في كتاب الصلاة : « وقال عبيد الله ، عن ثابت ، عن أنس قال : كان رجل من الأنصار يؤمّهم في مسجد قُبَاء ، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به ، افتتح : (قل هو الله أحد) حتى يفرغ منها ، ثم يقرأ سورة أخرى معها ، وكان يصنع ذلك في كل ركعة : فكلمه أصحابه فقالوا : إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تُجزئك حتى تقرأ بالأخرى ، فاما أن تقرأ بها ، وإما أن تدعها وتقرأ بالأخرى ، فقال : ما أنا بتاركها ، إن أحببت أن أؤمّكم بذلك فعلت ، وإن كرهتم تركتكم : وكانوا يرون أنه من أفضلهم ، وكروها أن يؤمّهم غيره . فلما أتاهم النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبروه الخبر فقال : يا فلان ، « ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك ، وما حملك (٣) على لزوم هذه السورة في كل ركعة ؟ » قال : إني أحبها . قال : « حبّك إياها أدخلك الجنة (٤) » .

هكذا رواه البخارى تعليقا مجزوما به . وقد رواه أبو عيسى الترمذى في جامعه ، عن البخارى ، عن إسماعيل بن ابي أويس ، عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي ، عن عبيد الله بن عمر ... فذكر باسناده مثله سواء ، ثم قال الترمذى : « غريب من حديث عبيد الله ، عن ثابت » . قال : « وروى مبارك بن فضالة ، عن ثابت ، عن أنس أن رجلا قال : يا رسول الله ، إني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) . قال : « إن حبّك إياها أدخلك الجنة (٥) » . وهذا الذى علّقه الترمذى قد رواه الإمام أحمد في مسنده متصلا ، فقال :

حدثنا أبو النضر ، حدثنا مبارك بن فضالة ، عن ثابت عن أنس قال : جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : إني أحب هذه السورة : (قل هو الله أحد) . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « حبّك إياها أدخلك الجنة (٦) » .

(١) البخارى كتاب التوحيد : ١٤٠/٩ - ١٤١ .

(٢) مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة (قل هو الله أحد) : ٢٠٠/٢ . والنسائى ، كتاب الاقتراح ،

باب : الفضل في قراءة (قل هو الله أحد) : ١٧٠/٢ - ١٧١ .

(٣) في البخارى : « وما يحملك » .

(٤) البخارى ، كتاب الأذان ، باب « الجمع بين السورتين في الركعة » : ١٩٦/١ - ١٩٧ .

(٥) تحفة الأحوذى ، أبواب فضائل القرآن ، باب « ما جاء في سورة الإخلاص » ، الحديث ٣٠٦٥ : ٢١٢/٨ - ٢١٣ .

(٦) مسنده الإمام أحمد : ١٤١/٣ .

حديث في كونها تعدل ثلث القرآن ، قال البخارى : حدثنا إسماعيل ، حدثني مالك ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ، عن أبيه ، عن أبي سعيد . أن رجلا سمع رجلا يقرأ : (قل هو الله أحد) ، يرددّها ، فلما أصبح جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكر ذلك له ، وكان الرجل يتفألها ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « والذي نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن » - زاد إسماعيل بن جعفر ، عن مالك ، عن عبد الرحمن ابن عبد الله ، عن أبيه ، عن أبي سعيد قال : أخبرني أخي قتادة بن النعمان ، عن النبي صلى الله عليه وسلم (١) . وقد رواه البخارى أيضا عن عبد الله بن يوسف ، والقعني (٢) . ورواه أبو داود عن القعني (٣) ، والنسائي عن قتبية ، كلهم عن مالك ، به . وحديث قتادة بن النعمان أسنده النسائي من طريقين ، عن إسماعيل بن جعفر ، عن مالك ، به .

حديث آخر ، قال البخارى : حدثنا عمّار بن حفص ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش ، حدثنا إبراهيم والضحاك المَشْرُوقِي ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث للقرآن في ليلة ؟ » فشق ذلك عليهم وقالوا : أينا يطيق ذلك يا رسول الله ؟ . فقال : « الله الواحد الصمد ثلث القرآن (٤) » .

تفرد باخراجه البخارى من حديث إبراهيم بن يزيد النخعي والضحاك بن سُرحبيل الهمداني المَشْرُوقِي ، كلاهما عن أبي سعيد ، قال الفَرَبْرِي : سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم وراق أبي عبد الله قال : قال أبو عبد الله البخارى : عن إبراهيم (٥) مرسل ، وعن الضحاك مسند .

حديث آخر قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري قال : بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله : (قل هو الله أحد) ، فذكر ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : « والذي نفسى بيده لتعدل نصف القرآن ، أو : ثلثه (٦) » .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن طيبة ، حدثنا حُيَيب بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن الحُبَلِي ، عن عبد الله بن عمرو : أن أبا أيوب الأنصاري كان في مجلس وهو يقول : ألا يستطيع أحدكم أن يقوم بثلث القرآن كل ليلة ؟ فقالوا : وهل يستطيع ذلك أحد ؟ قال : فإن (قل هو الله أحد) ثلث القرآن . قال : فجاء النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يسمع أبا أيوب ، فقال : « صدق أبو أيوب (٧) » .

(١) البخارى ، كتاب التوحيد : ١٤٠/٩ .

(٢) البخارى ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل (قل هو الله أحد) : ٢٣٣/٦ . وكتاب الإيمان ، باب « كيف كان بين النبي صلى الله عليه وسلم » : ١٦٣/٨ - ١٦٤ - .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الوتر ، باب « في سورة الصمد » .

(٤) في البخارى ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل (قل هو الله أحد) : ٢٣٣/٦ .

(٥) في فتح الباري ٥٠/٩ : « والمراد أن رواية إبراهيم النخعي عن أبي سعيد منقطعة ، ورواية الضحاك عنه متصلة = وأبو عبد الله المذكور هو البخارى المصنف . . . » .

(٦) مسند الإمام أحمد : ١٥/٣ .

(٧) مسند الإمام أحمد : ١٧٣/٢ .

حديث آخر ، قال أبو عيسى الترمذى : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا يزيد بن كيسان ، أخبرني أبو حازم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « احشُدوا (١) فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن . فحشد من حشد ، ثم خرج نبي الله - صلى الله عليه وسلم - فقرأ : (قل : هو الله أحد) . ثم دخل فقال بغضنا لبعض « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني سأقرأ عليكم ثلث القرآن » . إني لأرى هذا خبراً جاء من السماء ، ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إني قلت سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، ألا وإنها تعدل ثلث القرآن (٢) » . وهكذا رواه مسلم (٣) في صحيحه ، عن محمد بن بشار ، به . وقال الترمذى : « حسن صحيح غريب ، واسم أبي حازم سليمان (٢) » .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن زائدة بن قدامة ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، عن الربيع بن خثيم ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن امرأة من الأنصار ، عن أبي أيوب ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ فإنه من قرأ : (قل هو الله أحد - الله الصمد) في ليلة ، فقد قرأ ليلئذ ثلث القرآن (٤) » .

هذا حديث تَسَاعَى الإسناد للإمام أحمد . ورواه الترمذى (٥) والنسائي ، كلاهما عن محمد بن بشار بن بدار - زاد الترمذى (٦) : وفتية - كلاهما عن عبد الرحمن بن مهدي ، به . فصار لهما عَشَارِيًا . وفي رواية الترمذى : « عن امرأة أبي أيوب ، عن أبي أيوب » ، به . ثم قال : وفي الباب عن أبي الدرداء ، وأبي سعيد ، وقتادة بن النعمان ، وأبي هريرة ، وأنس ، وابن عمر ، وأبي مسعود . وهذا حديث حسن ، ولا نعلم أحداً رَوَى هذا الحديث أحسن من رواية « زائدة » . وتابعه على روايته إسرائيل ، والفضيل بن عياض . وقد رَوَى شعبةٌ وغير واحد من الثقات هذا الحديث عن منصور ، واضطربوا فيه (٥) .

حديث آخر ، قال أحمد : حدثنا هُشَيْمٌ ، عن حُصَيْنٍ ، عن هلال بن يساف ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب - أو : رجل من الأنصار - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من قرأ (قل هو الله أحد) فكأنما قرأ بثلاث القرآن » .

ورواه النسائي في « اليوم والليلة » ، من حديث هُشَيْمٍ ، عن حُصَيْنٍ ، عن ابن أبي ليلى ، به : ولم يقع في روايته هلال بن يساف .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي قيس ، عن عمرو بن ميمون ، عن أبي مسعود قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (قل : هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن (٧) » .

(١) أي اجتمعوا واستحضروا الناس .

(٢) تحفة الأحوذى ، أبواب فضائل القرآن ، باب « ما جاء في سورة الإخلاص » ، الحديث ٣٠٦٣ : ٢١١/٨ - ٣١٢ .

(٣) انظر مسلم ، كتاب الصلاة ، باب فضل (قل هو الله أحد) : ١٩٩/٢ - ٢٠٠ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٤١٨/٥ - ٤١٩ .

(٥) تحفة الأحوذى ، أبواب فضائل القرآن ، باب « ما جاء في سورة الإخلاص » ، الحديث ٣٠٦٠ : ٢٠٦/٨ - ٢٠٩ .

والنسائي ، كتاب الافتتاح ، باب « الفضل في قراءة : (قل هو الله أحد) » : ١٧٢/١٧١/٢ .

(٦) لم تقع لنا رواية الترمذى عن فتية . ولعله يعنى النسائي ، والله أعلم .

(٧) مسند الإمام أحمد : ١٢٢/٤ .

وهكذا رواه ابن ماجه عن علي بن محمد الطنافسي ، عن وكيع ، به (١). ورواه النسائي في اليوم والليلة « من طرق آخر ، عن عمرو بن ميمون ، مرفوعاً وموقوفاً .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا بهز ، حدثنا بكير بن أبي السميطة ، حدثنا قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معبد بن أبي طلحة ، عن أبي الدرداء أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « أيعجز أحدكم أن يقرأ كل يوم ثلث القرآن ؟ » . قالوا : نعم (٢) يا رسول الله ، نحن أضعف من ذلك وأعجز . قال : « فان الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء ، ف (قل هو الله أحد) ثلث (٣) القرآن (٤) » .

ورواه مسلم والنسائي ، من حديث قتادة ، به (٥) .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا أمية بن خالد ، حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم - ابن أخي ابن شهاب - عن عمه الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن - هو ابن عوف - عن أمه - وهي : أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط - قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « (قل : هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن (٦) » .

وكذا رواه النسائي في « اليوم والليلة » ، عن عمرو بن علي ، عن أمية بن خالد ، به . ثم رواه من طريق مالك ، عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن ، قوله . ورواه النسائي أيضاً في « اليوم والليلة » من حديث محمد بن إسحاق ، عن الحارث بن الفضيل الأنصاري ، عن الزهري ، عن حميد بن عبد الرحمن : أن نقرأ من أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - حديثه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « (قل : هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن لمن صلى بها » .

حديث آخر في كون قراءتها توجب الجنة ، قال الإمام مالك بن أنس ، عن عبيد الله بن عبد الرحمن ، عن عبيد ابن حنين قال : سمعت أبا هريرة يقول : أقبلت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - سمع رجلاً يقرأ (قل : هو الله أحد) فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « وجبت . قلت : وما وجبت ؟ قال : الجنة (٧) » .

ورواه الترمذي والنسائي ، من حديث مالك . وقال الترمذي : « حسن صحيح غريب ، لا نعرفه إلا من حديث مالك (٨) » .

وتقدم حديث : « حبك إياها أدخلك الجنة » .

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب « ثواب القرآن » ، الحديث ٣٧٨٩ : ١٢٤٥/٢ .

(٢) كلمة « نعم » غير ثابتة في المسند .

(٣) لفظ المسند : « (قل : هو الله أحد) جزء من أجزاءه » .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٤٤٧/١ .

(٥) مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل (قل : هو الله أحد) : ١٩٩/٢ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٤٠٣/٦ - ٤٠٤ .

(٧) الموطأ ، كتاب القرآن ، باب ما جاء في قراءة (قل : هو الله أحد) (وتبارك الذي بيده الملك) الحديث ١٨ : ٢٠٨/٢ .

(٨) تحفة الأحوذى ، أبواب فضائل القرآن ، باب « ما جاء في سورة الإخلاص » ، الحديث ٣٠٦١ : ٢٠٩/٨ . والنسائي ،

كتاب الافتتاح ، باب الفضل في قراءة (قل : هو الله أحد) : ١٧١/٢ .

حديث في تكرار قراءتها ، قال الحافظ ابو يعلى الموصلي : حدثنا قطن (١) بن نسير ، حدثنا عيسى بن ميمون (٢) القرشي ، حدثنا يزيد الرقاشي ، عن انس قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « أما يستطيع أحدكم أن يقرأ : (قل : هو الله أحد) ثلاث مرات في ليلة ، فإنها تعدل ثلث القرآن ؟ »
هذا إسناد ضعيف ، وأجود منه حديث آخر ، قال عبد الله ابن الامام أحمد :

حدثنا محمد بن ابى بكر المقدسي ، حدثنا الضحاك بن مخلد ، حدثنا ابن ابى ذئب ، عن أسيد بن أبى أسيد ، عن معاذ بن عبد الله بن خبيب ، عن أبيه قال : أصابنا طش (٣) وظلمة ، فانتظرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلى لنا ، فخرج فأخذ بيدي ، فقال : « قل » . فسكت ، قال : « قل » . قلت : ما أقول ؟ قال : « قل هو الله أحد » والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاثا ، تكفك كل يوم مرتين (٤) .

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي ، من حديث ابن أبى ذئب ، به (٥) . وقال الترمذي : « حسن صحيح غريب من هذا الوجه » . وقد رواه النسائي من طريق أخرى ، عن معاذ بن عبد الله بن خبيب ، عن أبيه ، عن عقبة بن عامر . فذكره .

حديث آخر في ذلك ، قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا ليث بن سعد ، حدثني الخليل بن مرة ، عن الأزهر بن عبد الله ، عن عم الدارمي قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من قال « لا إله إلا الله » واحدا واحدا صمدا ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، ولم يكن له كفوا أحد - عشر مرات - كتب له أربعون ألف حسنة (٦) » .

تفرد به أحمد ، والخليل بن مرة ؛ ضعفه البخاري وغيره بمرّة ؛

حديث آخر ، قال أحمد أيضا : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا زبّان بن فائد ، عن سهل ابن معاذ بن أنس الجهني ، عن أبيه ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من قرأ (قل هو الله أحد) حتى يحتمها - عشر مرات - بنى الله له قصرآ في الجنة » . فقال عمر : إذن نستكثر بارسول الله . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الله أكثر وأطيب » . تفرد به أحمد (٧) .

ورواه أبو محمد الدارمي في مسنده فقال : حدثنا عبد الله بن يزيد ، حدثنا حيوة ، حدثنا أبو عقيل [زهرة] بن معبد قال الدارمي - وكان من الأبدال (٨) - أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : إن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

(١) في المخطوطة : « مطر بن بشير » . ولعل الصواب ما أثبتناه . وقطن بن نسير - كما في التهذيب ٢٨٢/٨ - يروى عنه أبو يعلى .

(٢) كذا في المخطوطة . ولعله عيسى بن يونس الجرجسي المترجم في التهذيب . : ٢٣٥/٨ .

(٣) في المخطوطة : « عطش » . والمثبت عن المسند . والطش : المطر الضعيف القليل .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٣١٢/٥ .

(٥) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب « ما يقول إذا أصبح » . والنسائي ، كتاب الاستعاذه : ٢٥٠/٨ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ١٠٣/٤ وقد أخرجه الترمذي في أبواب الدعوات ، الحديث ٣٥٤٠ : ٤٤٢/٩ - ٤٤٣ . من حديث قتيبة عن الليث ، به .

(٧) مسند الإمام أحمد ٤٣٧/٣ .

(٨) الأبدال : هم الأولياء والعباد الواحد يدل - بكسر فسكون - وبذل - بفتحين - : سموا بذلك لأنهم كلما مات منهم واحد أبدل بآخر .

« من قرأ (قُلْ : هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) - عشر مرات - بي الله له قصراً في الجنة ، ومن قرأها عشرين مرة بي الله له قصرين في الجنة ، ومن قرأها ثلاثين مرة بي الله له ثلاثة قصور في الجنة » . فقال عمر بن الخطاب : إذن لتكرر صورنا ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الله أوسع من ذلك (١) » . وهذا مرسل جيد .

حديث آخر ، قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا نصر بن علي ، حدثني نوح بن عيسى ، أخبرني محمد العطار : أخبرني أم كثير الأنصارية ، عن أنس بن مالك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من قرأ (قُلْ : هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) خمسين مرة غُفِرَتْ له ذنوب خمسين سنة » . إسناده ضعيف .

حديث آخر ، قال أبو يعلى : حدثنا أبو الربيع ، حدثنا حاتم بن ميمون ، حدثنا ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « من قرأ في يوم (قُلْ : هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) - مائتي مرة - كتب الله له ألفاً وخمسمائة حسنة ، إلا أن يكون عليه دين » : [إسناده (٢) ضعيف ، حاتم بن ميمون : ضعفه البخاري وغيره] ، ورواه الترمذي عن محمد بن مرزوق البصري ، عن حاتم بن ميمون ، به ، ولفظه : « من قرأ كل يوم ، مائتي مرة (قُلْ : هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) حتى عنه ذنوب خمسين سنة ، إلا أن يكون عليه دين (٣) » .

قال الترمذي : وهذا الاستناد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « من أراد أن ينام على فراشه ، فقام على عيبه ، ثم قرأ : (قُلْ : هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) مائة مرة ، فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب - عز وجل - : يا عبدي ، ادخل علي بيتك الجنة » .

ثم قال : « غريب من حديث ثابت ، وقد روي من غير هذا الوجه ، عنه (٣) » .

وقال أبو بكر البزار : حدثنا سهل بن بحر ، حدثنا حبان (٤) بن أغلب ، حدثنا أبي ، حدثنا ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ (قُلْ : هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) - مائتي مرة - حفظ الله عنه ذنوب مائتي سنة » .

ثم قال : « لا نعلم رواه عن ثابت إلا الحسن بن أبي جعفر ، والأغلب بن عزم ، وهما متقاربان في سوء الحفظ » .

حديث آخر في الدعاء مما تضمنته من الأسماء ، قال النسائي عند تفسيرها : حدثنا عبد الرحمن بن خالد ، حدثنا زيد ابن الحباب ، حدثني مالك بن مخلوف ، حدثنا عبد الله بن بريدة ، عن أبيه : أنه دخل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسجد ، فإذا رجل يصلي ، يدعو يقول : اللهم ، إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت ، الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد . قال : « والذي نفسي بيده ، لقد سأله باسمه الأعظم ، الذي إذا سئل به أعطى ، وإذا دعي به أجاب (٥) » .

(١) سنن الدارمي ، كتاب فضائل القرآن ، باب في فضل (قل : هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) : ٣٣٠/٢ .

(٢) ما بين القوسين وقع في المخطوطة قبل هذا ، قول ابن كثير : « ورواه أبو محمد الدارمي في مسنده » .

(٣) تحفة الأحوذى ، أبواب الفضائل ، باب « وما جاء في سورة الإخلاص » ، الحديث ٣٠٦٢ : ٢١٠/٨ - ٢١١ .

(٤) وقعت ترجمة « حبان » هذا في الجرح ٢٩٧/٢/١ ، فيمن ضبط بفتح الحاء . ويقول السيد محقق الجرح : « ذكره ابن ماكولا فيمن يقال له حبان ، بالكسر » .

(٥) انظر سنن النسائي ، كتاب المجوا ، باب « الدعاء بعد الذكر » : ٥٢/٣ .

وقد أخرجه بقية أصحاب السنن من طُرُق ، عن مالك بن مغلول ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ، به . وقال الترمذي : « حسن عريب (١) » .

حديث آخر في قراءتها عشر مرات بعد [المكتوبة (٢)] ، قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا بشر ابن منصور ، عن عمر بن (٣) شيبان ، عن أبي شداد ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ثلاث من جاء بهن مع الإيمان دخل من أى أبواب الجنة شاء ، وزوج من الحور العين حيث [شاء] : من عفا عن قاتله (٤) ، وأدى ديناً خفياً ، وقرأ فى دبر كل صلاة مكتوبة - عشر مرات - (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) . قال : فقال أبو بكر : أو إحداهن يارسول الله ؟ قال : « أو إحداهن » .

حديث في قراءتها عند دخول المنزل ، قال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله بن بكر السراج العسكري ، حدثنا محمد بن الفرغ ، حدثنا محمد بن الزبير قان ، عن مروان بن سالم ، عن أبي زرعة ، عن عمرو بن جرير ، عن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « من قرأ (قل : هو الله أحد) حين يدخل منزله ، نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل والجران » . إسناده ضعيف .

حديث في الإكثار من قراءتها في سائر الأحوال ، قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي ، حدثنا يزيد ابن هارون ، عن العلاء أبنى (٥) محمد الثقفي قال : سمعت أنس بن مالك يقول : كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ببوك ، فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى بمثله ، فأبى جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : « يا جبريل ، ما أبى أرى الشمس طلعت اليوم بضياء ونور وشعاع لم أرها طلعت [بمثله] فيما مضى ؟ » قال : إن ذلك معاوية بن معاوية الليثي ، مات بالمدينة اليوم ، فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه . قال : « وفيم ذلك ؟ » قال : كان يكثر قراءة (قُلْ : هو الله أحد) فى الليل وفى النهار ، وفى ممشاه وقيامه وعوده ، فهل لك يارسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلى عليه ؟ قال : « نعم » . فصلى عليه .

وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي فى « دلائل النبوة » من طريق يزيد بن هارون ، عن العلاء أبنى (٦) محمد - وهو منهم - بالوضع - قاله أعلم .

طريق أخرى ، قال أبو يعلى : حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي أبو عبد الله ، حدثنا عثمان بن الهيثم - مؤذن مسجد الجامع بالبصرة عبادى - عن محمود أبنى عبد الله ، عن عطاء بن أبنى ميمونة ، عن أنس قال : نزل جبريل على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : مات معاوية بن معاوية الليثي ، فتحب أن تصلى عليه ؟ قال : « نعم » . فضرب بجناحه الأرض ،

(١) سنن أبى داود كتاب الوتر ، باب « الدعاء » . وتحفة الأحوزى ، أبواب الدعوات ، باب « ما جاء فى جامع الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، الحديث ٣٥٤٢ : ٤٤٥/٩ - ٤٤٦ . وابن ماجه ، كتاب الدعاء ، باب « اسم الله الأعظم » ، الحديث ٣٨٥٧ : ١٢٦٧/٢ - ١٢٦٨ .

(٢) ما بين القوسين عن الطبقات السابقة ، وفى المخطوطة مكانها : « المغرب » .

(٣) لم تقع لنا ترجمة « عمر بن شيبان » هذه . وكلمة « شيبان » غير واضحة فى المخطوطة .

(٤) فى المخطوطة : « قائمة » . والمثبت عن الطبقات السابقة ، والدر المنثور : ٤٢١/٦ .

(٥) فى المخطوطة : « العلاء بن محمد » . والمثبت عن أسد الغاية ، ترجمة « معاوية ابن معاوية » ٢١٥/٥ . والعلاء هو ابن زيد

الثقفى أبو محمد ، مترجم فى الجرح والتعديل : ٣٥٥/١/٣ .

(٦) انظر أسد الغاية : ٢١٤/٥ - ٢١٥ .

قال تبق شجرة ولا أكمة إلا تضععت ، فرفع سريره فنظر إليه ، ففكر عليه وخلفه صفان من الملائكة ، في كل صف سبعون ألف ملك ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « يا جبريل ، بم نال هذه المنزلة من الله تعالى ؟ » . قال : « بحبه (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) وقراءته إياها ذاهباً وجائياً قائماً وقاعداً ، وعلى كل حال .

ورواه البيهقي ، من رواية عثمان بن الهيثم المؤذن ، عن محبوب بن هلال ، عن عطاء بن أبي ميمونة ، عن أنس (١) . فذكره : وهذا هو الصواب ، ومحبوب بن هلال قال أبو حاتم الرازي : « ليس بالمشهور (٢) » . وقد روى هذا من طرق آخر ، تركناها اختصاراً ، وكلها ضعيفة .

حديث آخر في فضلها مع المعوذتين ، قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا معاذ بن رفاعة ، حدثني علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن عقبة بن عامر قال : لقيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فابتدأته فأخذت بيده ، فقلت : يا رسول الله ، بم نجاة المؤمن ؟ قال : « يا عقبة ، أخرجس لسانك وليستعك بيتك ، وابك على خطيئتك » . قال : ثم لقيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فابتدأني فأخذ يدي ، فقال : « يا عقبة بن عامر ، ألا أعلمك خبر ثلاث سور أنزلت في التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والقرآن العظيم ؟ » . قال : قلت : بلى ، جعلني الله فداك : قال : فأقرأني (قُلْ : هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) و (قُلْ : أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) و (قُلْ : أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) . ثم قال : « يا عقبة ، لا تنسهن ولا تبس ليلته حتى تقرأهن » . قال : فانسيتها منذ قال « لا تنسهن » ، وما بت ليلة [قط] حتى أقرأهن . قال عقبة : ثم لقيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فابتدأته ، فأخذت بيده فقلت : يا رسول الله أخبرني بفواضل الأعمال . فقال : « يا عقبة ، صل من قطعك ، وأعط من حرمك ، وأعرض عن ظلمك (٣) » .

وروى الترمذي بعضه في « الزهد » ، من حديث عبيد الله بن زحر ، عن علي بن يزيد وقال : « هذا حديث حسن » وقد رواه أحمد من طريق آخر :

حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا ابن عمي ، عن أسيد بن عبد الرحمن الخثعمي ، عن فروة بن مجاهد اللخمي ، عن عقبة بن عامر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم . . . فذكر مثله سواء . تفرد به (٤) أحمد .

حديث آخر في الاستشفاء بهن ، قال البخاري : حدثنا قتيبة ، حدثنا الفضل ، عن عقييل ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما (قُلْ : هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) و (قُلْ : أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) و (قُلْ : أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) . ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه ، وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات (٥) .

وهكذا رواه أهل السنن ، من حديث عقييل ، به (٦) .

(١) مسند الإمام أحمد : ١٤٨/٤ .

(٢) النجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٣٨٩/١٤ .

(٣) تحفة الأحوذى ، أبواب الزهد ، باب « ما جاء في حفظ اللسان » الحديث ٢٥١٧ : ٨٧/٧ - ٨٨ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٥٨/٤ - ١٥٩ .

(٥) البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب (المعوذات) : ٢٣٣/٦ - ٢٣٤ .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب « ما يقال عند النوم » . و تحفة الأحوذى ، أبواب الدعاء ، باب « ما جاء فيمن

يقرأ من القرآن عند المنام » ، الحديث ٣٤٦٢ : ٣٤٧/٩ - ٣٤٨ . وابن ماجه ، كتاب الدعاء ، باب « ما يدعو به إذا أوى إلى

فراشه » ، الحديث ٣٨٧٥ : ١٢٧٥/٢ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝

قد تقدم ذكر سبب نزولها . وقال عكرمة : لما قالت اليهود : نحن نعبد عزير ابن الله . وقالت النصارى : نحن نعبد المسيح ابن الله . وقالت المجوس : نحن نعبد الشمس والقمر . وقالت المشركون : نحن نعبد الأوثان - أنزل الله على رسوله - صلى الله عليه وسلم - : (قل : هو الله أحد) .

يعني : هو الواحد الأحد ، الذي لا نظير له ولا وزير ، ولا نديب ولا شبيه ولا عدل ، ولا يُطابق هذا اللفظ [على] أحد في الإنبات إلا على الله - عز وجل - لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله .

وقوله : (الله الصمد) ، قال عكرمة ، عن ابن عباس : يعني الذي يصمد الخلائق إليه في حوائجهم ومسائلهم . قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هو السيد الذي قد كمل في سؤده ، والشريف الذي قد كمل في [شرفه] ، والعظيم الذي قد كمل في عظمته ، والحليم الذي قد كمل في حلمه ، والعليم الذي قد كمل في [علمه] ، والحكيم الذي قد كمل في حكمته . وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد ، وهو الله سبحانه ، هذه صفته لا تنبغي إلا له ، ليس له كفء ، وليس كمثل شيء ، سبحانه الله الواحد القهار .

وقال الأعمش ، عن شقيق ، عن أبي وائل : (الصمد) : السيد الذي قد انتهى سؤده ، ورواه عاصم ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود ، مثله .

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم : (الصمد) : السيد . وقال الحسن ، وقتادة : هو الباقي بعد خلقه . وقال الحسن أيضا : (الصمد) : الحى القيوم الذي لا زوال له . وقال عكرمة : (الصمد) : الذي لم يخرج منه شيء ولا يطعم . وقال الربيع بن أنس : هو الذي لم يلد ولم يولد . كأنه جعل ما بعده تفسيرا له ، وهو قوله : (لم يلد ولم يولد) وهو تفسير جيد . وقد تقدم الحديث من رواية ابن جرير ، عن أبي بن كعب في ذلك ، وهو صريح فيه . وقال ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، ومجاهد ، وعبد الله بن بريدة ، وعكرمة أيضا ، وسعيد ابن جبير ، وعطاء بن أبي رباح ، وعطية العوفى ، والضحاك ، والسدى : (الصمد) : الذي لا جوف له . قال سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : (الصمد) : المصمت الذي لا جوف له (١) .

وقال الشعبي : هو الذي لا يأكل الطعام ، ولا يشرب الشراب .

وقال عبد الله بن بريدة أيضا : (الصمد) نور يتلأأ .

روى ذلك كلبه وحكاها : ابن أبي حاتم ، والبيهقي ، والطبراني . وكذا أبو جعفر بن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيد ،

وقال :

حدثني العباس بن أبي طالب ، حدثنا محمد بن عمرو بن رومي ، عن عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش ، حدثني صالح

ابن حيان ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال - لا أعلم إلا قدره - قال : (الصمد) الذي لا جوف له (٢) .

(١) تفسير الطبري : ٢٢٢/٣٠ .

(٢) تفسير الطبري : ٢٢٣/٣٠ .

وهذا غريب جدا ، والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بريدة .

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة له ، بعد إيراده كثيرا من هذه الأقوال في تفسير « الصمد » : وكل هذه صحيحة ، وهي صفات ربنا عز وجل ، هو الذي يصمد إليه في الحوائج ، وهو الذي قد انتهى سؤده ، وهو الصمد الذي لا جوف له ، ولا يأكل ولا يشرب ، وهو الباقي بعد خلقه . وقال البيهقي نحو ذلك .

وقوله : (لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد) ، أى : ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة .

قال مجاهد : (ولم يكن له كفوا أحد) ، يعنى : لا صاحبة له .

وهذا كما قال تعالى : (بديع السموات والأرض ، أنى يكون له ولد ، ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شيء) (١) أى هو مالك كل شيء وخالقه ، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه ، أو قريب يدانيه ، تعالى وتقدس وتزهده قال الله تعالى : (وقالوا : اتخذ الرحمن ولدا ؟ لقد جئتم شيئا إدا . تكاد السموات يتفطرن منه ، وتشتق الأرض ، وتخر الجبال هدا . أن دعوا للرحمن ولدا . وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا . إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عددا . وكلهم آتية يوم القيامة فردا) (٢) . وقال تعالى : (وقالوا : اتخذ الرحمن ولدا ، سبحانه ، بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) (٣) . وقال تعالى : (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ، ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون . سبحان الله عما يصفون) (٤) . وفي الصحيح : صحيح البخارى : « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولدا ، وهو يرزقهم ويعافهم » (٥) .

وقال البخارى : حدثنا أبو اليان ، حدثنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « قال الله عز وجل : كذبتى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمى ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياى فقولته : لن يعيدنى كما بدأتى . وليس أول الخلق بأهون على من إعادته . وأما شتمه إياى فقولته : اتخذ الله ولدا . وأنا الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » (٦) .

ورواه أيضا من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام بن منه ، عن أبي هريرة ، مرفوعا عنه . تفرد بهما من هذين الوجهين (٦) .

آخر تفسير سورة الاخلاص

(١) سورة الأنعام ، آية : ١٠٦ .

(٢) سورة مريم ، الآيات : ٨٨ - ٩٥ .

(٣) سورة الأنبياء ، آية : ٢٦ - ٢٧ .

(٤) سورة الصافات ، آية : ١٥٨ - ١٥٩ .

(٥) تقدم الحديث عند تفسير آيات مريم ٨٨ - ٩٥ ، وخرجناه ، هناك ، انظر : ٣٦٢/٥ .

(٦) تقدم الحديث عند تفسير الآية السابعة والعشرين من سورة الروم وخرجناه هناك انظر ٦ / ٣١٨ .

تفسير سورتي المعوذتين

وهما مدنيتان

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا عاصم بن مهالبة، عن زر بن حبیش قال: قلت لأبي بن كعب: إن ابن مسعود [كان (١)] لا يكتب المعوذتين في مصحفه؟ فقال: أشهد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخبرني أن جبريل عليه السلام قال له: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) فقالتها، قال: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)، فقالتها. فنحن نقول ما قال النبي صلى الله عليه وسلم (٢).

ورواه أبو بكر الحُمَيْدِيُّ في مسنده، عن سفيان بن عيينة، حدثنا عبدة بن أبي لُبَيْبَةَ وعاصم بن مهالبة، أنهما سمعا زُرَّ بنَ حَبِيش قال: سألتُ أبا بن كعب عن المعوذتين، فقالت: يا أبا المنذر، إن أخاك ابن مسعود يحكهما (٣) من المصحف. فقال: إني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «قيل لي: قل، فقالت». فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن عاصم، عن زر قال: سألت ابن مسعود عن المعوذتين فقال: سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - عنهما فقال: «قيل لي، فقالت لكم، فقولوا». قال أبي: فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم، فنحن نقول.

وقال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، حدثنا عبدة بن أبي لُبَيْبَةَ، عن زر بن حبیش - وحدثنا عاصم عن زر - قال: سألت أبي بن كعب فقالت: أبا المنذر، إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا. فقال: إني سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: «قيل لي، فقالت». فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ورواه البخاري (٤) أيضا والنسائي، عن قتيبة، عن سفيان بن عيينة، عن عبدة وعاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبیش، عن أبي بن كعب به.

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا الأزرق بن علي، حدثنا حسان بن إبراهيم، حدثنا الصلت بن بهرام، عن إبراهيم، عن علقمة قال: كان عبد الله يحك المعوذتين من المصحف، ويقول: إنما أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يتعوه بهما، ولم يكن عبد الله يقرأ بهما.

(١) ما بين القوسين عن المسند.

(٢) مسند الإمام أحمد: ١٢٩/٥.

(٣) في المخطوطة: «يحكما». والمثبت عن المسند: ١٣٠/٥.

(٤) للبخاري تفسير سورة (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) ٢٢٣/٦.

ورواه عبد الله بن أحمد من حديث الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن يزيد قال : كان عبد الله بن محمد المعوذتين من مصاحفه ، ويقول : إنيما ليستا من كتاب الله - قال الأعمش : وحدثنا حاصم ، عن زور بن حبيش ، عن أبي بن كعب قال : سألتنا عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « قيل لي ، فقلت (١) » . وهذا مشهور عند كثير من القراء والفقهاء : أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه ، فاعلم لم يسمعهما من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يتواتر عنده ثم [لعله] قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة ، فإن الصحابة - رضي الله عنهم - كتبوهما في المصاحف الأئمة ، ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك ، والله الحمد والمنة .

وقد قال مسلم في صحيحه : حدثنا قتيبة ، حدثنا جريز ، عن بيان ، عن قيس بن أبي حازم ، عن عقبة ابن عامر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط » (قل أعوذ برب الفلق) ، و (قل أعوذ برب الناس) (٢) .

ورواه أحمد ، وسلم أيضا ، والترمذي ، والنسائي ، من حديث إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن عقبة ، به . وقال الترمذي « حسن صحيح (٣) » .

طريق أخرى ، قال الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا ابن جابر ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن عقبة ابن عامر قال : بينا أنا أقود برسول الله صلى الله عليه وسلم في نَقَب (٤) من تلك النَّقَب ، إذ قال لي : « يا عقبة ، ألا تركب ؟ » قال : « [فَأَجَلَسْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أن أركب مركبه . ثم قال : يا عَقِيبُ ، ألا تركب ؟ قال (٥)] : فأشفقت أن تكون معصية ، قال : فترسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وركبت هنيئة ، ثم ركب ، ثم قال : « يا عَقِيبُ ، ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس ؟ » : قلت : بلى يا رسول الله . فأقرأني : (قل : أعوذ برب الفلق) ، و (قل : أعوذ برب الناس) . ثم أقيمت الصلاة ، فتقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقرأ بهما ، ثم مر بي فقال : « كيف رأيت يا عَقِيبُ ، اقرأ بهما كلما نمت وكلما قممت (٦) » . ورواه [النسائي (٧)] من حديث الوليد بن مسلم وعبد الله بن المبارك ، كلاهما عن ابن جابر ، به . ورواه أبو داود والنسائي أيضا ، من حديث ابن وهب ، عن [معاوية] (٨) بن صالح ، عن العلاء بن الحارث ، عن القاسم ابن عبد الرحمن ، عن عقبة ، به (٩) .

(١) مسند الإمام أحمد : ١٢٩/٥ - ١٣٠ .

(٢) مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب « فضل قراءة المعوذتين » : ٢٠٠/٢ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ١٤٤/٤ . ومسلم في الكتاب والباب المتقدمين . ونخبة الأحدثين . تفسير سورة المعوذتين ، الحديث

٣٤٢٦ : ٢٠٣/٩ . والنسائي ، كتاب الاستعاذة : ٤٥٤/٨ .

(٤) النقب : الطريق بين جيبين .

(٥) ما بين القوسين سقط من المخطوطة ، وقد أثبتناه عن المسند ، وهو سقط نظر .

(٦) مسند الإمام أحمد : ١٤٤/٤ .

(٧) في المخطوطة : « ورواه الترمذي » . ولم يقع لنا في سننه . والمثبت عن الطبعات السابقة . والحديث في سنن النسائي ،

كتاب الاستعاذة : ٢٥٣/٨ . من حديث الوليد بن مسلم ، عن ابن جابر .

(٨) في المخطوطة : « عن معن بن صالح » . والمثبت عن النسائي وأبي داود .

(٩) سنن النسائي ، كتاب الاستعاذة : ٢٥٢/٨ - ٢٥٣ . وصنن أبي داود ، كتاب أبي التمر ، باب « في المعوذتين » .

ومسند الإمام أحمد : ١٤٩/٤ - ١٥٠ .

طريق أخرى : قال أحمد ؛ حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا سعيد بن أبي أيوب ، حدثني يزيد بن عبد العزيز الرعيبي وأبو مرحوم ، عن يزيد بن محمد القرشي ، عن علي بن رباح ، عن عقبة بن عامر قال ؛ أمرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة (١) .

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي ، من طرق ، عن علي بن رباح ، وقال الترمذي ؛ « غريب (٢) » .

طريق أخرى ، قال أحمد ؛ حدثنا يحيى (٣) بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن مشرح بن هاعان ، عن عقبة ابن عامر قال ؛ قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؛ « اقرأ بالمعوذتين ، فإنك لن تقرأ بمثلهما (٤) » .
تفرد به أحمد .

طريق أخرى ، قال أحمد ؛ حدثنا حيوة بن شريح ، حدثنا بقة ، حدثنا بصر بن سعد ، عن خالد بن معدان ، عن جبير بن نفير ، عن عقبة بن عامر أنه قال ؛ إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أهديت له بخله شهاءة فوكبها ، فأخذ عقبة بقودها له ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؛ « اقرأ (قل أعوذ برب الفلق) . فأعادها له حتى قرأها ، فعرف أني لم أفرح بها جدا ، فقال ؛ « لعلك هانوت بها ؟ فما قمت تصلي بشيء مثلها (٥) » .

ورواه النسائي عن عمرو بن عثمان ، عن بقة ، به . ورواه النسائي أيضا من حديث الثوري ، عن معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن [بن جبير (٦)] بن نفير ، عن أبيه ، عن عقبة بن عامر ؛ أنه سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن المعوذتين فذكر نحوه (٧) .

طريق أخرى ، قال النسائي ؛ أخبرنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا المعتمر ، سمعت النعمان ، عن زياد بن (٨) الأسد ، عن عقبة بن عامر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال ؛ « إن الناس لم يعمودوا بمثل هذين (قل أعوذ برب الفلق) ، و (قل أعوذ برب الناس) » .

طريق أخرى ، قال النسائي ؛ أخبرنا قتيبة ، حدثنا الليث ، عن ابن عجلان ، عن سعيد المقبري ، عن عقبة بن عامر قال ؛ كنت أمشي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال ؛ « يا عقبة ، قل » . قلت ؛ ماذا أقول ؟ فسكت عني . ثم قال ؛ « قل » . قلت ماذا أقول يا رسول الله [فسكت عني ، فقلت ؛ اللهم ، أردد عني فقال ؛ « يا عقبة » قل . قلت ؛ ماذا أقول يا رسول الله ، فقال ؛ قل ؛ « قل أعوذ برب الفلق » ، فقرأها حتى أتيت على آخرها ، ثم

(١) مسند الإمام أحمد : ١٥٥/٤ .

(٢) سنن أبي داود ؛ كتاب الوتر ، باب « في الاستغفار » . وتحفة الأحوذى ؛ أبواب فضائل القرآن ؛ باب « ما جاء في المعوذتين » ؛ الحديث ٣٠٦٧ : ٢١٥/٨ .

(٣) في المخطوطة ؛ « محمد بن إسحاق » . والمثبت عن المسند وهو ؛ يحيى بن إسحاق البجلي . انظر التمهيد ؛ ١٧٦/١١ .

(٤) مسند الإمام أحمد ؛ ١٤٦/٤ .

(٥) مسند الإمام أحمد ؛ ١٤٩/٤ .

(٦) ما بين القوسين عن النسائي .

(٧) للنسائي ؛ كتاب الاستعاذة ؛ ٢٥٢/٨ .

(٨) كذا ؛ ولم تقع لنا ترجمة زياد هذا .

قال : « قل » : قلت : ما ذا أقول يا رسول الله (١) [قال : (قل أعوذ برب الناس) ، فقرأها حتى أتيت على آخرها ، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند ذلك : « ما سألت سائل مثلهما ، ولا استعاذ مستعبد بمثلهما (٢) .

طريق أخرى قال النسائي أخبرنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا معاوية ، عن العلاء بن الحارث ، عن مكحول ، عن عقبة بن عامر : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ بهما في صلاة الصبح (٣) .

طريق أخرى ، قال النسائي : أخبرنا قتيبة ، حدثنا الليث ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي عمران أسلم ، عن عقبة بن عامر قال : اتبعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو راكب ، فوضعت يدي على قدمه فقلت : أقرئني سورة هود أو سورة يوسف (٤) . فقال : « لن تقرأ شيئا أنفع عند الله من (قل : أعوذ برب الفلق) (٥) » .

حديث آخر قال النسائي : أخبرنا محمود بن خالد ، حدثنا الوليد ، حدثنا أبو عمرو الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبي عبد الله ، عن ابن عائش (٦) الجهني : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له : « يا ابن عائش (٦) ، ألا أدلك - أو : ألا أخبرك - بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون ؟ » . قال : بلى ، يا رسول الله . قال : (قل : أعوذ برب الفلق) ، و (قل : أعوذ برب الناس) هاتان السورتان (٧) .

فهذه طرق عن عقبة كالمواترة عنه ، تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث . وقد تقدم في رواية صدق بن عجلان ، وقروة بن مجاهد ، عنه : « ألا أعلمك ثلاث سور لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلهن ؟ (قل : هو الله أحد) و (قل : أعوذ برب الفلق) و (قل : أعوذ برب الناس) .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا جرير ، عن أنس بن مالك ، عن أنس بن مالك ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سفر ، والناس يعقبون ، وفي الظهر قلة ، فحانت نزلة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونزلني ، فلحقتني فضرب [من بعدى (٨)] منكبي ، فقال : (قل : أعوذ برب الفلق) ، فقرأها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقرأها معه ، ثم قال : (قل : أعوذ برب الناس) ، فقرأها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأتها معه ، فقال : « إذا صليت فاقرا بهما (٩) » .

الظاهر أن هذا الرجل هو عقبة بن عامر والله أعلم . ورواه النسائي عن يعقوب بن إبراهيم ، عن ابن عليه ، به . حديث آخر قال النسائي : أخبرنا محمد بن المثني ، حدثنا محمد بن جعفر ، عن عبد الله بن سعيد ، حدثني يزيد

(١) ما بين القوسين ساقط من المخطوطة ، وقد أثبتناه عن النسائي .

(٢) سنن النسائي ، كتاب الاستعاذة : ٢٥٣/٨ ، ٢٥٤ .

(٣) سنن النسائي ، كتاب الاستعاذة : ٢٥٢/٨ .

(٤) في سنن النسائي : « أقرئني سورة يوسف » .

(٥) سنن النسائي ، كتاب الاستعاذة : ٢٥٤/٨ .

(٦) في المخطوطة ، و سنن النسائي : « عائش » ، بالسین . والمثبت عن أسد الغابة : ترجمة « أبي عائش » : ٣٤١/٦ .

(٧) النسائي ، كتاب الاستعاذة : ٢٥١/٨ - ٢٥٢ .

(٨) ما بين القوسين عن المسند . وفي المخطوطة : « فضرب صابني » .

(٩) مسند الإمام أحمد : ٧٩ ، ٢٤٤/٥ .

[ابن رومان] ، عن عقبة بن عامر ، عن عبد الله الأسلمي - هو ابن أنيس - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وضع يده على صدره ثم قال : « قل » . فلم أدر ما أقول ، ثم قال لي : « قل » . قلت : (هو الله أحد) ، ثم قال لي : قل : (أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق) حتى فرغت منها . ثم قال لي : « قل » . قلت : (أعوذ برب الناس) ، حتى فرغت منها . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « هكذا فتعوذ » ، ما تعوذ المتعوذون بمثلهن قط .

حديث آخر ، قال النسائي : أخبرنا عمرو بن علي أبو حفص ، حدثنا بدل ، حدثنا شداد بن سعيد أبو طلحة ، عن سعيد الجريري ، حدثنا أبو نضرة ، عن جابر بن عبد الله قال : قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « اقرأ يا جابر » . قلت : وما أقرأ بأبي أنت وأمي ؟ قال : « اقرأ (قل : أعوذ برب الفلق) ، و (قل : أعوذ برب الناس) . فقرأتهما ، فقال : « اقرأهما ، ولن تقرأ بمثلهما (١) » .

وتقدم حديث عائشة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ بهن ، وينثف في كفيه ، ويمسح بهما رأسه ووجهه ، وما أقبل من حسده .

وقال الإمام مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين (٢) وينثف ، فلما اشتد وجهه كنت أقرأ عليه ، وأمسح بيده عليه ، رجاء بركتها (٣) .

وزواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ، ومسلم عن يحيى بن يحيى ، وأبو داود عن القعني ، والنسائي عن قتيبة - ومن حديث ابن القاسم ، وعيسى بن يونس - وابن ماجه من حديث معن وبشر بن عمير ، ثمانينهم عن مالك ، به (٤) .

وتقدم في آخر سورة : (ن) ، من حديث أبي نضرة ، عن أبي سعيد : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يتعوذ من أعين الجان وعين الإنسان ، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما ، وترك ما سواهما . رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه ، وقال الترمذي : « حديث حسن (٥) » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④
وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا حسن بن صالح ، عن عبد الله بن محمد ابن عقيل ، عن جابر قال : الفلق : الصبح .

(١) النسائي ، كتاب الاستعاذة : ٢٥٤/٨ .

(٢) في الموطأ : « بالمعوذات » .

(٣) الموطأ ، كتاب العين ، باب « التهوذ والرقية في المرض » : ٩٤٢/٢ - ٩٤٣ .

(٤) البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب « المعوذات » : ٢٣٣/٦ . ومسلم ، كتاب السلام ، باب « رقية المريض بالمعوذات » : ١٦/٧ . وسنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب « كيف الرقى » . وابن ماجه ، كتاب الطب ، باب « النفث في الرقية » ، الحديث : ٣٥٢٩ : ١١٦٦/٢ .

(٥) تقدم الحديث آخر سورة (ن) ، وخرجناه هنا لك ، انظر : ٢٣٠/٨ . وانظر سنن النسائي ، كتاب الاستعاذة من عين

الجان : ٢٧١/٨ وسنن ابن ماجه ، كتاب الطب ، باب « من استرق من العين » ، الحديث : ٣٥١١ : ١١٦١/٢ .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : (الفلق) ، الصحيح . وروى عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعبد الله بن محمد ابن عقيل ، والحسن ، وقتادة ، ومحمد بن كعب القرظي ، وابن زيد ، ومالك عن زيد بن أسلم ، مثل هذا .

قال القرظي ، وابن زيد ، وابن جرير : وهي كقوله تعالى : (فلق الاصبح (١)) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : « (الفلق) : الخلق . وكذا قال الضحاك : أمر الله نبيه أن يتعوذ من الخلق كله .

وقال كعب الأحبار : (الفلق) : بيت في جهنم ، إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره ورواه ابن أبي حاتم ، ثم قال :

حدثنا أبي ، حدثنا سهيل بن عثمان ، عن رجل سباه ، عن السدي ، عن زيد بن علي ، عن آياته أنهم قالوا : (الفلق) : جب في قعر جهنم ، عليه غطاء ، فإذا كشف عنه خرجت منا نار تصيح منه جهنم ، من شدة حر ما يخرج منه ، وكذا روى عن عمرو بن عبسة ، والسدي ، وغيرهم . وقد ورد في ذلك حديث مرفوع منكر ، فقال ابن جرير : حدثني إسحاق بن وهب الواسطي ، حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطي ، حدثنا نصر بن خزيمه الخراساني ، عن شعيب بن صفوان ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « (الفلق) : جب في جهنم مغطى » (٢) . إسناده غريب ولا يصح رفعه .

وقال أبو عبد الرحمن الحلي : (الفلق) : من أسماء جهنم ،

قال ابن جرير : والصواب القول الأول ، أنه فلق الصبح ، وهذا هو الصحيح ، وهو اختيار البخاري (٣) - رحمه الله - في صحيحه .

وقوله : (من شر ما خلق) ، أي : من شر جميع المخلوقات . وقال ثابت البناني ، والحسن البصري : جهنم وإيليس وذريته مما خلق

(ومن شر غاسق إذا وقب) ، قال مجاهد : غاسق الليل إذا وقب غروب الشمس ، حكاه البخاري (٣) عنه ، ورواه ابن أبي نجيب ، عنه . وكذا قال ابن عباس ، ومحمد بن كعب القرظي ، والضحاك ، وخصيف ، والحسن ، وقتادة : إنه الليل إذا أقبل بظلامه .

وقال الزهري : (ومن شر غاسق إذا وقب) : الشمس إذا غربت ، وعن عطية وقتادة : إذا وقب الليل : إذا ذهب وقال أبو المهزم ، عن أبي هريرة : (ومن شر غاسق إذا وقب) كوكب . وقال ابن زيد : كانت العرب تقول : الغاسق مقوط الثريا ، وكان الأسماء والطواغين تكثر عنده وقوعها ، وترتفع عند طلوعها (٤) .

(١) انظر تفسير الطبري : ٢٢٥ / ٢٥ - ٢٢٦ .

(٢) تفسير الطبري : ٢٢٥ / ٣٠ .

(٣) انظر البخاري ، تفسير سورة (قل : أعوذ برب الفلق) : ٢٢٢ / ٦ .

(٤) تفسير الطبري : ٢٢٦ / ٢٥ ، ٢٢٧ .

قال ابن جرير وهو لواء من الأثر ما حدثني : نصر بن علي ، حدثني بكار بن عبد الله - ابن أخي همام - حدثنا حمه
ابن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله
عليه وسلم - : (ومن شر غاسق إذا وقب) ، قال : النجم الغاسق (١) .
قلت : وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم .
قال ابن جرير : وقال آخرون : هو القمر .

قلت : ومعدة أصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد ،
حدثنا أبو داود الحفصى ، عن ابن أبي ذئب ، عن الحارث بن أبي سلمة قال : قالت عائشة رضيت الله عنها :
أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيدي فأراني القمر حين طلع ، وقال : « تعوذى بالله من شر هذا للغاسق
إذا وقب (٢) » .

ورواه الترمذى والنسائى ، فى كتابى التفسير من سنتيهما ، من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب ، عن حماله
الحارث بن عبد الرحمن ، به . وقال الترمذى : « حسن صحيح (٣) » . ولفظه « تعوذى (٤) بالله من شر هذا »
فإن هذا الغاسق إذا وقب : ولفظ النسائى : « تعوذى بالله من شر هذا ، هذا الغاسق إذا وقب » .
قال أصحاب القول الأول ، وهو أنه (٥) الليل إذا ولج : هذا لا بنا فى قولنا ، لأن القمراً آية الليل ، ولا يوجد له
سلطان إلا فيه ، وكذلك النجوم لا تضىء ، إلا فى الليل ، فهو يرجع إلى ما قلناه ، والله أعلم .
وقوله : (ومن شر التفاتات فى العقد) ، قال مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة والضحاك : يعنى المواجر -
قال مجاهد : إذا رقبين ونفثن فى العقد .

وقال ابن جرير : حدثنا بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن طارم ، عن أبيه قال : ما من
شئ أقرب من الشرك من رقية الحبة والمجانين (٦) .
وفى الحديث الآخر أن جبريل جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال اشتكيت يا محمد ؟ فقال : « نعم » .
فقال : باسم الله أوقيك ، من كل ذاء يؤذيك ، ومن شر كل حاسد وعين ، والله يشفيك (٧) .
ولعل هذا كان من شكواه - عليه السلام - حين سحر ، ثم عافاه الله تعالى وشفاه ، ورد كيد السحرة الحساد
من اليهود فى رعوسهم ، وجعل تدميرهم فى تدبيرهم ، وفضحهم ولكن مع هذا لم يعاتبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
يوماً من الدهر ، بل كفى الله وشفى وعافى .

(١) تفسير الطبرى : ٢٢٧/٣٠ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٦١/٦ . وانظر أيضاً : ٢٠٦/٦ ، ٢١٥ ، ٢٣٧ ، ٢٥٢ .

(٣) تحفة الأحوذى ، تفسير سورة « المعوذتين » ، الحديث : ٣٤٢٥ ، ٢٠٢/٩ .

(٤) لفظ الترمذى : « استعنى » .

(٥) فى المخطوطة : « وهواية » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٦) تفسير الطبرى : ٢٢٧ / ٣٠ . وكلمة « الحية » : غير ثابتة فى الطبرى . وهى غير واضحة فى المخطوطة .

(٧) تقدم الحديث آخر سورة (ن) ، وخرجه هناك ، انظر : ٢٣٠/٨ .

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن يزيد بن حيسان، عن زيد بن أرقم قال: سحر النبي - صلى الله عليه وسلم - رجل من اليهود، فاشتكى لذلك أياما، قال: فجاهه جبريل فقال: إن رجلا من اليهود سحرك، عقد لك عقدا في بر كذا وكذا، فأرسل إليها من يحيى بها. فبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [علييا، رضى الله تعالى عنه (١)] فأستخرجها، فجاه بها فحلها، قال: فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كأنما نشط (٢) من عقال، فا ذكر (٣) ذلك لليهودى ولا رآه في وجهه [قط] (١) حتى مات (٤)؛

ورواه الثمالي عن هشام، عن أبي معاوية محمد بن حازم الضرير (٥)؛

وقال البخاري في كتاب الطب من صحيحه: حدثنا عبد الله بن محمد قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: أول من حدثنا به ابن جريج، يقول: حدثني آل عروة، عن عروة، فسألت هشاما عنه، فحدثنا عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن - قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر، إذا كان كذا - فقال: «يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان ففعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بالك الرجل؟ قال: مطلوب (٦)؟ قال: ومن طبيبه؟ قال: لبيد بن أعصم - رجل من بني زريق حليف لليهود، كان منافقا - قال: وفيه؟ قال: في مشط ومشاقة (٧) قال: وأين؟ قال: في جف طليعة ذكر تحت رعوة (٨) في بر ذروان؛ قالت: فأتني [النبي - صلى الله عليه وسلم] (٩) البئر حتى أستخرجه فقال: «هذه البئر التي أربتها، وكان ماءها نقاعة (١٠) الحناء، وكان نحلها رموس الشياطين». قال: فاستخرج [قالت] (١١): فقلت: أفلا؟ أي: تنسرت (١١)؟ فقال: وأما الله فقد شفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا (١٢)».

- (١) ما بين القوسين عن المسند.
- (٢) كذا، ومثله في المسند والنسائي، والذي في النهاية: «كأنما أنشط من عقال»، أي: خل. وقد تكرر في الحديث وكثيرا ما يحيى في الرواية «كأنما أنشط من عقال»، وليس بصحيح.
- (٣) في المسند: «فما ذكر ذلك لليهودى». وفي النسائي: «فما ذكر ذلك لليهودى».
- (٤) مسند الإمام أحمد: ٣٦٧/٤.
- (٥) النسائي، كتاب التحريم باب «سحرة أهل الكتاب»: ١١٢/٧ - ١١٣.
- (٦) أي: مسحور. والعرب تكفي بالطب عن السحر، تفاولا بالبراء، كما كانوا بالسلم عن اللدغ.
- (٧) المشاقة: المشاطة، وهي: الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية، عند التسريح بالمشط.
- (٨) رعوة البئر: صخرة تترك في أسفل البئر إذا خفرت، تكون ناتئة هناك، فإذا أرادوا تنقية البئر، جلس المتقي عليها ويثر ذروان: بر بني زريق بالمدينة.
- (٩) ما بين القوسين عن الصحيح.
- (١٠) النقاعة: ما أنقع فيه الشيء، وهو هنا الماء الذي أنقع فيه الحناء.
- (١١) النشرة - بضم النون - نوع من الرقية والعلاج، أي: هل طلبت العلاج؟
- (١٢) البخاري، كتاب الطب، باب «هل يستخرج السحر؟»: ١٧٧/٧ - ١٧٨.

وأشده من حديث عيسى بن يونس ، وأبي ضمرة أنس بن عياض ، وأبي أسامة ، ويحيى القطان وفيه : « قالت : حتى كان يحيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله » . وعنده « فأمر بالبر فدفنت » . وذكر أنه رواه عن هشام أيضا ابن أبي الزناد والليث بن سعد (١) .

وقد رواه مسلم ، من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة وعبد الله بن عمر ورواه أحمد ، عن عفان ، عن وهيب ، عن هشام ، به (٢) .

ورواه الإمام أحمد أيضا عن إبراهيم بن خالد (٣) [عن رباح] عن معمر ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لبث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي ، فأناه ملكان ، فجلس أحدهما عند رأسه ، والآخر عند رجله ، فقال أحدهما للآخر : ما باله ؟ قال : مطبوب . قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم . وذكر تمام (٤) الحديث .

وقال الأستاذ المفسر الثعلبي في تفسيره : قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما : كان غلام من اليهود يحذم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدببت إليه اليهود ، فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة أسنان من مشطه ، فأعطاهم اليهود ، فسحروه فيها . وكان الذي تولى ذلك رجل منهم - يقال له : ابن أعصم - ثم دسها في بئر لبني زريق . يقال لها : ذروان ، فرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وانتثر شعر رأسه ، ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن ، وجعل يتدوب ولا يدري ما عراه . فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله ، فقال الذي عند رجله للذي عند رأسه : ما بال الرجل ؟ قال : طُيب . قال : وما طُيب ؟ قال : سحر . قال : ومن سحره ؟ قال : لبيد بن أعصم اليهودي . قال : ومن طبّه ؟ قال : مشط ومشاطة . قال : وأين هو ؟ قال : في جفّ طلعة تحت راعوفة في بئر ذروان - والجف : قشر الطلع . والراعوفة : حجر في أسفل البئر تأتي ويقوم عليه الماتح (٥) - فانتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم مدعورا ، وقال : « يا عائشة ، أما شعرت أن الله أخبرني بدائي ؟ » . ثم بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليا والزبير وعمار بن ياسر ، فترحوا ماء البئر كأنه ثقباعة الحناء ، ثم رفعوا الصخرة ، وأخرجوا الجفّ فاذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه ، وإذا فيه وتر معقود ، فيه اثنتا عشرة (٦) عقدة مغرزة بالإبر . فأنزل الله تعالى السورتين ، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ، ووجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خفة حين انحلت العقدة الأخيرة ، فقام كأنما نشط من عقال ، وجعل جريلا - عليه السلام -

(١) البخاري ، كتاب الطب ، باب « السحر » : ١٧٦/٧ - ١٧٧ - ١٧٨ . وانظر كتاب الأدب ، باب قوله الله تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان ..) : ٢٢/٨ - ٢٣ . وكتاب الدعوات ، باب « تكرير الدعاء » : ١٠٣/٨ - ١٠٤ . وكتاب بدء الخلق ، باب « صفة إبليس وجنوده » : ١٤٨/٤ . وكتاب الجزية ، باب « هل يعنى عن الذي ؟ » : ١٢٣/٤ . هذا ، وقد وقع في المخطوطة بعد « عن هشام أيضا » : ورواه أحمد ، عن عفان ، عن وهيب ، عن هشام به . وهو خطأ والعصاة ما في الطبقات السابقة . وانظر كلام البخاري في ١٧٧/٧ .

(٢) مسلم ، كتاب السلام ، باب « السحر » : ١٤/٧ . ومسنده الإمام أحمد : ٩٦/٦ .

(٣) ما بين القوسين ، وهو « عن رباح » عن المسند . وهو : « عن رباح » عن المسند . وهو : رباح بن مويق فريش . الصنعاني . انظر الخلاصة .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٦٣/٦ .

(٥) الماتح : المستسق من البئر بالدلو .

(٦) في المخطوطة : « اثنا عشر » .

يقول : باسم الله أرقبك ، من كل شر يؤذيك ، من حاسد وعين الله يشفيك . فقالوا : يا رسول الله ، أفلا تأخذ الخبيث تقتله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما أنا فقد شفاني الله ، وأكره أن يثر على الناس شراً » .
هكذا أووده بلا إسناد ، وفيه غرابة ، وفي بعضه نكارة شديدة ، وبعضه شواهد مما تقدم ، والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾
الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْخَبَةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

هذه ثلاث : صفة من صفات الرب - عز وجل - الربوبية ، والملك ، والإلهية . فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه ، فجميع الأشياء مخلوقة له ، مملوكة عبيد له ، فأمر المستعبد أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات ، من شر الوسواس الخناس ، وهو الشيطان الموكل بالإنسان ، فانه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزين له الفواحش ، ولا يألو جهداً في الخبايا والمعصوم من عصم الله وقد ثبت في الصحيح أنه : « مامنكم من أحد إلا قد وكل به قرينه » قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « نعم » إلا أن الله أعانني عليه ، فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير (١) ، وثبت في الصحيح ، عن أنس في قصة زيارة صفية النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو معتكف ، وخروجه معها ليلاً ليردها إلى منزلها ، فلقبه رجلاً من الأنصار ، فلما رأيا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسرع ، فقال رسول الله : « على رسلكما ، إنها صفية بنت حني » فقالا : سبحان الله ، يا رسول الله . فقال : « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإن خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا ، أو قال : شر (٢) » .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا محمد بن بحر ، حدثنا عدى بن أن عمارة ، حدثنا زياداً التميمي ، عن أنس ابن مالك قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن الشيطان واضع خطمه (٣) على قلب ابن آدم ، فان ذكر ختنس ، وإن نسي اتقم قلبه ، فذلك الوسواس الخناس » : غريب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عاصم ، سمعت أبا ثيمة يحدث عن رديف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « عثر بالنبي صلى الله عليه وسلم حماره ، فقلت : تعس الشيطان ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « لا تقل : تعس الشيطان ، فانك إذا قلت : تعس الشيطان ، تعاضم ، وقال : يقون صرعه » وإذا قلت : باسم الله ، تصاعر حتى يصير مثل الذباب (٤) » .

(١) مسلم ، كتاب صفة القيامة ، باب « تحريش الشيطان وبمته سراياه لفتنة الناس ، وأن مع كل إنسان قريناً » : ١٣٩/٨ .
ومستند الإمام أحمد : ٣٨٥/١ ، ٣٩٧ ، ٤٠١ ، ٤٦٠ .

(٢) البخاري « كتاب الأحكام ، والشهادة تكون عند الحاكم في ولاية القضاء » : ٥٠٠ - ٨٧/٩ .

(٣) أي أنفه .

(٤) مستند الإمام أحمد : ٥٩/٥ .

تفرد به أحمد : إسناده جيد قوى ، وفيه دلالة على أن القلب منى ذكر الله تصاغر الشيطان وغلب ، وإن لم يذكر الله تعالماً وغلب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو بكر الحنفي ، حدثنا الضحاك بن عثمان ، عن سَعِيدِ الْقَبْرِيِّ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « إِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ فِي الْمَسْجِدِ ، جَاءَهُ الشَّيْطَانُ فَأَبْسَ بِهِ ، كَمَا يُبْسُ الرَّجُلُ (١) بِدَابَّتِهِ ، فَإِذَا سَكَنَ لَهُ زَنْقُهُ - أَوْ : أَلْجَمَهُ - قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَأَنْتُمْ تَرَوْنَ ذَلِكَ ، أَمَا الْمَزْنُوقُ (٢) فَرَاهُ مِثْلًا - كَذَا - لَا يَذْكُرُ اللَّهَ ، وَأَمَا الْمَلْجَمُ فَمَاتِحٌ فَاهٌ لَا يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ . تَفَرَّدَ بِهِ (٣) أَحْمَدُ .

وقال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : (الوسواس الخناس) ، قال : الشيطان جائم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس ، فإذا ذكر الله ختمت (٤) . وكذا قال مجاهد ، وقتادة .

وقال المعتمر بن سليمان ، عن أبيه : ذَكَرَ لِي أَنَّ الشَّيْطَانَ ، أَوْ : الْوَسْوَاسَ يَنْفِثُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ عِنْدَ الْحُزْنِ وَعِنْدَ الْفَرَحِ ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ .

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله : (الوسواس) ، قال : هو الشيطان يأمر ، فإذا أطع خنس (٥) . وقوله : (الذي يوسوس في صدور الناس) ، هل يختص هذا ببني آدم - كما هو الظاهر - أو يعم بني آدم والجن ؟ فيه قولان ، ويكونون قد دخلوا في لفظ الناس تغليبا .

وقال ابن جرير : وقد استعمل فيهم (رجال من الجن) (٦) فلا بدع في إطلاق الناس عليهم .

وقوله : (من الجنة والناس) ، هل هو تفصيل لقوله (الذي يوسوس في صدور الناس) ، ثم بينهم فقال : (من الجنة والناس) ، وهذا يقوى القول الثاني . وقيل : قوله : (من الجنة والناس) ، تفسير للذي يوسوس في صدور الناس ، من شياطين الإنس والجن ، كما قال تعالى : (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ، شياطين الإنس والجن ، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) (٧) ، وكما قال الإمام أحمد :

حدثنا وكيع ، حدثنا المسعودي ، حدثنا أبو عمير الدمشقي ، حدثنا عبيد بن الحشاخ ، عن أن ذر قال : أتيت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو في المسجد ، فجلست ، فقال : « يا أبا ذر ، هل صليت ؟ » قلت : لا . قال : « قم فصل » . قال : فقممت فصليت ، ثم جلست فقال : « يا أبا ذر ، تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن » .

(١) يقال « بسست الناقة وأبسسها » : إذا سقطها وزجرتها ، وقلت لها : « بس بس » بكسر الباء وفتحها .

(٢) في النهاية : « وفي حديث أبي هريرة الآخر « أنه ذكر المزنوق ، فقال : المائل شقه لا يذكر الله » قيل : أصله من الزنقة ، وهي ميل في جدار في سكة أو عرقيب واد . هكذا فسره الزخشي . »

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢٣٠/٢ .

(٤) تفسير الطبري : ٢٢٨/٣٠ .

(٥) تفسير الطبري : ٢٢٩/٣٠ .

(٦) لفظ الطبري ٢٢٩/٣٠ : « فان قال قائل : فالجن ناس . فيقال : الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ؟

قيل : قد سماهم الله في هذا الموضع ناساً ، كما سماهم في موضع آخر رجالا ، فقال : (وأنه كان رجالاً من الإنس يعوذون برجال من الجن) ، فجعل الجن رجالا ، وكذلك جعل منهم ناساً »

(٧) سورة الأفعام آية : ١١٢ .

قال : قلت : يا رسول الله ، وللإنس شياطين ؟ قال : « نعم » . قال : قلت : يا رسول الله ، الصلاة ؟ قال : « خير موضوع ، من شاء أقل ، ومن شاء أكثر » . قلت : يا رسول الله . نالصو ؟ قال : « فرض مجزئ ، وعند الله مزيد » . قلت : يا رسول الله ، فالصدقة ؟ قال : « أضعاف مضاعفة » . قلت : يا رسول الله ، أيها أفضل ؟ قال : « جهده من مقل ، أو سر إلى فقير » . قلت : يا رسول الله ، أي الأنبياء كان أول ؟ قال : « آدم » . قلت : يا رسول الله ، وني كان ؟ قال : « نعم ، نبي مكلم » . قلت : يا رسول الله ، كم المرسلون ؟ قال : « ثلاثمائة وبضعة عشر ، جما غفيرا » وقال مرة : « خمسة عشر » - قلت : يا رسول الله ، أيما أنزل عليك أعظم ؟ قال : آية الكرسي : (الله لا إله إلا هو الحي القيوم (١)) .

ورواه النسائي ، من حديث أبي عمر الدمشقي ، به (٢) . وقد أخرج هذا الحديث مطولا جداً أبو حاتم بن حبان في صحيحه ، بطريق آخر ، ولفظ آخر مطول جداً ، فأنه أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن ذر بن عبد الله الهمداني ، عن عبد الله بن شداد ، عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، إني أحدث نفسي بالشئ لأن آخر من السماء أحب إلى من أن أتكلم به . قال : فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « الله أكبر الله أكبر ، الحمد لله الذي ورد كيدته إلى الوسوسة (٣) » .

ورواه أبو داود والنسائي ، من حديث منصور - زاد النسائي : والأعمش - كلاهما عن ذر ، به (٤) .

• • •

آخر التفسير ، والله الحمد والمنة ، والحمد لله رب العالمين : وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين : ورضى الله عن الصحابة أجمعين . حسبنا الله ونعم الوكيل . وكان الفراغ منه في العاشر من جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وثمانمائة : والحمد لله وحده ،

(١) مسند الإمام أحمد : ١٧٨/٥ .

(٢) سنن النسائي ، كتاب الاستعاذة ، باب « الاستعاذة من شر شياطين الأئس » : ٢٧٥/٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢٣٥/١ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب « في رد الوسوسة » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خاتمة ناسخ المخطوطة

الحمد لله الذي رفع السماء بغير عمد ، وبسط الأرض وثبتها بالأطواد ، ومنح معرفته ومحبه من شاء من العباد ، وأقام لدينه أولياء ينصرونه ويقومون به ، وجعل منهم النجباء والأقطاب والأوتاد ، وأعلى منار الدين بالعلماء العاملين ، وأوضح بهم طرق الرشاد ، وقمّح بهم أهل الزينج والأهواء وبدع والفساد ، وثبت لهم دينهم بالنقل عن نبيهم بصحيح الاسناد ، ونفى عنهم التمليس والشذوذ والانفراد .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، المتعالي عن الشركاء والنظراء والأنداد ، المنزه عن الحلول والاتحاد والإلحاد .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وحببيه وخليله ، سيد العباد ، صلى الله عليه وعلى آله النجباء الأئجاد ، وصحابه السادة الأبرار الأجماد ، صلاة تدوم وتقوم ما قامت السموات والأرض بأمره ، وقابل البياض السواد .

وبعد ، فقد أمرني السيد الجليل ، من وصل الله له جناح الصنيع الجميل ، وواصل عليه السؤل (١) ، وأوصل إليه المأمول ، وعمّر بحبه ربوع أنسى ، وأمطر بفيضه ربيع نفسي ، مولانا وسيدنا العبد الفقير إلى الله - سبحانه - الآمل الراجي عفوه الكريم وإحسانه ، قاضي القضاة ، حاكم الحكام ، نجم الدين حجة الإسلام والمسلمين ، سيد العلماء في العالمين ، بهاء الملة ، لسان الشريعة ، عزّ السنة ، حصن الأمة ، خطيب الخطباء ، إمام البلغاء ، غرة الزمان ، ناصر الإيمان ، شيخ الشيوخ العارفين ، أبو حفص عمر (٢) - ابن سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله - تعالى - الشيخ الإمام العلامة ، والخبير الفهامة ، قدوة العلماء العاملين ، أبي محمد حجي السعدى الشافعي - أمر - أعلى الله أمره ، وأسند قدره ، من لا يتقلب إلا في طاعته ، ولا يتصرف إلا في مرضاته - أن يكتب برسم خزانة تفسير الإمام العالم الكبير ، العلامة عماد الدين ابن كثير - رحمه الله وأرضاه ، وجعل بمجوحة الجنة مقره ومثواه . فامتثلت أمره بالسمع والطاعة ، وعددت هذا الأمر من أنفس البضاعة ، مع أني في الكتابة قليل الصناعة . فكتبت قدر ما قدرت عليه ، ووصلت إليه . فان صادفت قبولا وبلغت مأمولا ، فيكون سعدى سعيداً ، ويقع سهمى سديداً

فَإِنْ وَقَفْتَنِي قُدْرَتِي دُونَ هِمَّتِي فَبَلِّغْ عَلَمِي ، وَالْمَعَاذِيرُ تُقْبَلُ

(١) السؤل : ما سأله .

(٢) هو عمر بن حجي بن موسى بن أحمد بن سعد النجم ، أبو الفتوح بن العلاء أبي محمد السعدى الحسيني الأصل ، الدمشقي الشافعي ، أخو أحمد الماضي ووالد البهاء محمد ويعرف بابن حجي . ولد في سنة سبع وستين ورسيمائة بدمشق ، أخذ العلم عن جماعة ، وتولى الإفتاء ، وكان حاكماً حازماً . قتل وهو نائم على فراشه سنة ٧٣٠ هـ ، انظر الضوء اللامع للسخاوي : ٧٨/٢ - ٧٩ ولأبيه «حجي» ترجمة في الدرر الكامنة لابن حجر : ٨٧/٢ .

قد جمعت هذه الخزانة الشريفة أشد العلوم على الإطلاق ، من رام مثلها فهو مقتصر عن روم أسباب الأحاق ،
 خصوصاً إذ كان بها هذا التفسير الذي مادته ستن المصطفى النبي على جوامع ، ما يزداد اليبس بها بصيرة في علمه النافع ،
 إذ كان — صلى الله عليه وسلم — قد أوتي جوامع الكلام ، وعلم فصل الخطاب . فلم يسمع الناس كلاماً أعم نفعاً ،
 ولا أقصر لفظاً ، ولا أعدل وقراً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقفاً ، ولا أسهل مخرجا . ولا أفصح
 عن معناه ، ولا أبين في فحواه ، صلى الله عليه وسلم .

[هذه كلامه]

فإنه در مولانا ، إذ جمع الفضائل ، ونظم آحاد العقائل ، وحاز من العلم الدرر والغوارب ، فلا تحنى على ذي لب
 أنه أغرق في الفهم نصولاً ، وأغرق في العلم أصولاً ، فأقول مختصراً ، وعماً يليق بمدحه معتدراً ، عسى يجره من
 تضاعيف ثنائى عليه ما يبلغنى به الزانى في حبه ، والقرن من قلبه ، وتلك أمنيى حين ألبى منيى ، لا أتعداها ، ولا أتحنى
 سواها ، والله در القائل :

إذا ابن حبي حادت لنا يده	لم يحمد الأجودان : البحر والمطر
وإن أضاعت لنا أنوار غمرته	تضاءل الأنوران : الشمس والقمر
وإن مضى رأيه أو جد عزمته	تأخر الماضيان : السيف والقدر
من لم يبت حذراً من خوف سطوته	لم يدر ما المرعجان : الخوف والحذر
كأنه الدهر في نعمى وفي نقم	إذا تعاقب منه : النفع والضرر
كأنه — وزمام الدهر في يده	يبدأ عواقب : ما يأتي وما يذر

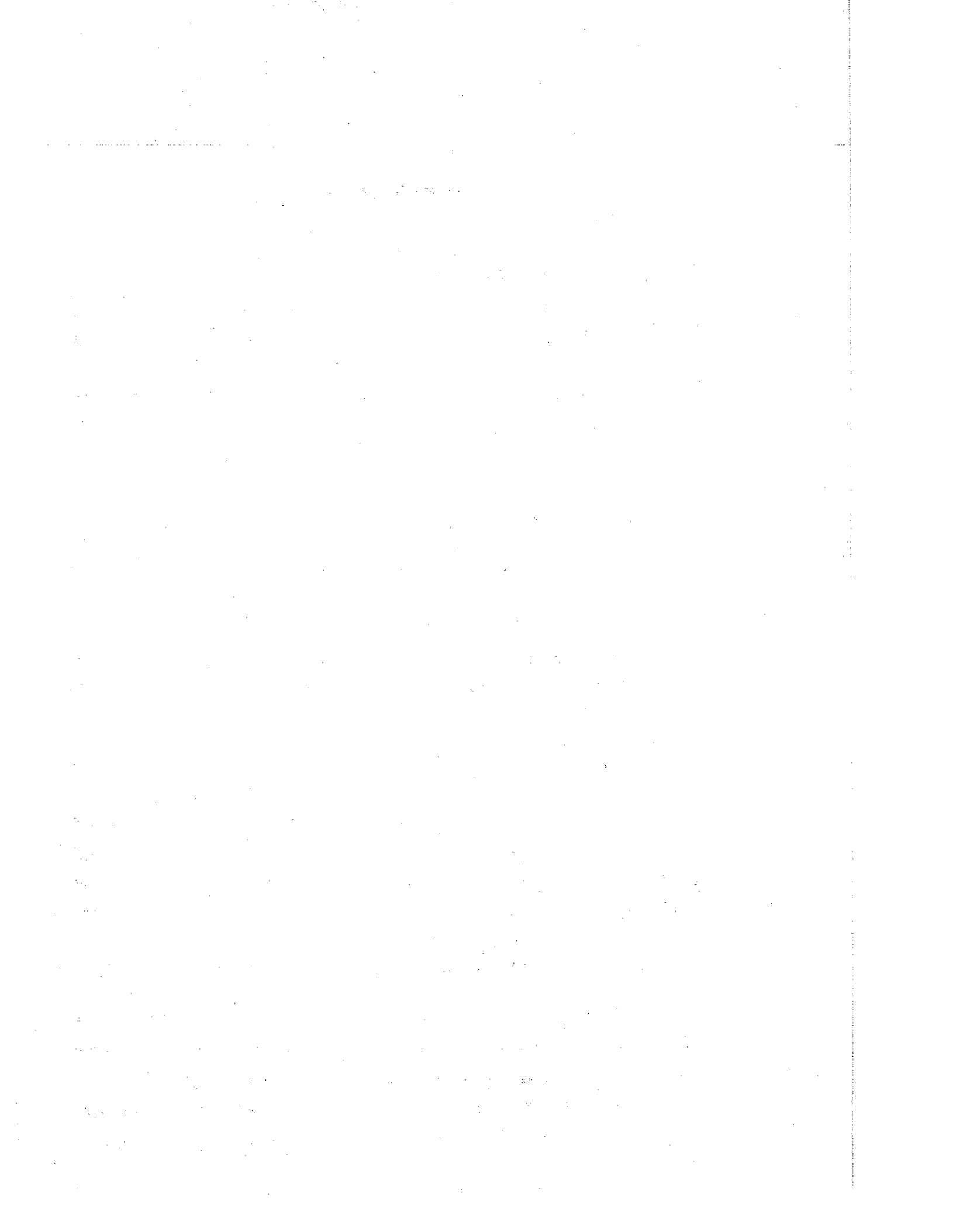
فالحمد لله الذى جعل جمال منظر ك موازيا لكمال خبرك ، وشامخ قدر حاك مقارناً لراسخ عنصرك ، والله حصي
 قبك من كل ما يعمود العباد به المولى ،

واسلم وعش لازلت في نعمة
 أنت بها من غيرك الأولى
 وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

كتبه الفقير محمد بن علي الصوفي البواب ، لمنعه التصانيف (١) ، بدمشق الحروسية ، حامداً ومصلياً ، ومحسباً ومحققاً ،
 وأحمد لله وحده .

الفهارس



فهرس موضوعى

سورة الواقعة

- البعث : ١٦ - ١٧ .
 الجنة : ٤٩٥/٧ - ٤٩٩ ، ١/٨ - ١٥
 الاختصار : ٢٥ - ٢٩ .
 أصناف الناس يوم القيامة : ٤٨٩/٧ - ٤٩٥ ،
 ٢٥/٨ - ٢٩ .
 فضل سورة الواقعة : ٤٨٧/٧ - ٤٨٨ .
 قدرة الله : ١٧ - ٢٠ .
 القرآن : ٢٠ - ٢٤ .
 القيامة : ٤٨٨/٧ .
 التكذيب : ٢٢ - ٢٤ .
 النار : ١٥ - ١٦ .

سورة الحديد

- الإيمان : ٣٦ - ٣٧ ، ٤٧ ، ٥٧ - ٥٩ .
 البخل : ٥٢ .
 جزاء المؤمنين : ٤٦ - ٤٥ ، ٥٧ - ٥٩ .
 الحديد : ٥٣ .
 الحياة الدنيا : ٤٩ - ٥١ .
 الخشوع : ٤٥ - ٤٧ .
 خلق السموات والأرض : ٣٠ - ٣٣ .
 الرسل : ٥٣ - ٥٤ .
 الرهبانية : ٥٤ - ٥٧ .
 صاع القرآن : ٤٥ - ٤٧ .
 الشهداء : ٤٧ - ٤٩ .
 المعجزات : ٥٣ .
 علم الله : ٣٤ - ٣٥ .
 القدر : ٥١ - ٥٢ .
 قدرة الله : ٣٠ - ٣٦ .
 الإنفاق : ٤٧ ، ٤٠ - ٣٦ .

سورة المجادلة

- أدب المجالس : ٧١ - ٧٥ .

البعث : ٦٧ .

- مشاقة الرسول : ٦٧ ، ٧٩ - ٨٠ .
 الظهار : ٦٠ - ٦٧ .
 النجوى : ٦٨ - ٧٠ ، ٧٧ - ٧٧ .
 المنافقون : ٧٧ - ٧٨ .

سورة الحشر

- جلاء بنى النضير : ٨١ - ٨٩ .
 الشح : ٩٧ - ١٠٠ .
 صفات الله وأسماءه : ١٠٥ - ١٠٧ .
 النىء : ٩٠ - ٩٤ .
 القرآن : ١٠٤ .
 الأنصار : ٩٤ - ٩٧ .
 المنافقون : ١٠٠ - ١٠١ .
 التقوى : ١٠٢ - ١٠٤ .

سورة أمتحنة

- الحبة بعد العداوة : ١١٤ - ١١٧ .
 أعداء الله : ١٠٨ - ١١٤ .
 مقاطعة الأعداء : ١٠٨ ، ١١٤ ، ١٢٩ .
 هجرة النساء : ١١٧ - ١٢٩ .

سورة الصف

- الإيمان : ١٣٨ .
 بشاراة عيسى بالرسول : ١٣٥ - ١٣٧ .
 القتال فى سبيل الله : ١٣٢ - ١٣٤ ، ١٣٨ .
 قصة موسى عليه السلام : ١٣٤ - ١٣٥ .
 الكذب على الله : ١٣٧ .
 نصره الله : ١٣٩ - ١٤٠ .
 الوفاء بالعهد : ١٣١ .

سورة الجمعة

- صلاة الجمعة : ١٤٥ - ١٥٠ .
 العرب وما خصهم الله به : ١٤١ - ١٤٣ .
 مثل اليهود : ١٤٣ - ١٤٥ .

سورة المنافقون

الأجل : ١٥٩ - ١٦٠ .

ذكر الله : ١٥٩ .

الإفناق : ١٥٩ .

المنافقون وحقيقتهم : ١٥١ - ١٥٩ .

سورة التغابن

البعث : ١٦٢ .

الزوج : ١٦٤ .

طاعة الله : ١٦٤ ، ١٦٧ .

الأعداء : ١٦٤ .

عاقبة المكذابين : ١٦٢ .

القادر : ١٦٣ .

قدرة الله : ١٦١ - ١٦٢ .

التكذيب : ١٦٢ .

تقوى الله : ١٦٦ - ١٦٧ .

الولد : ١٦٤ .

سورة الطلاق

حق الطالقة : ١٦٩ - ١٧٠ ، ١٧٨ - ١٨١ .

الإشهاد على الطلاق وعلى الرجعة : ١٧١ .

الطلاق : ١٦٨ - ١٨١ .

طلاق السنة والبدعة : ١٦٩ .

العدة : ١٦٨ .

عدة الأيسة والصغيرة : ١٧٥ .

عدة الحامل : ١٧٥ - ١٧٨ .

عاقبة المخالفة : ١٨١ .

قدرة الله : ١٨٢ - ١٨٤ .

تقوى الله : ١٧٢ - ١٧٤ .

سورة التحريم

تأديب الأهل والولد : ١٩٤ .

الإيمان : ١٩٨ - ٢٠٠ .

التوبة : ١٩٥ - ١٩٧ .

الجهاد : ١٩٨ .

سبب نزول هذه السورة : ١٨٥ - ١٩٣ .

النار : ١٩٥ .

سورة الملك

رحمة الله ولطفه : ٢٠٧ .

عاقبة المؤمنين : ٢٠٥ .

عاقبة الكفار : ٢٠٤ - ٢٠٥ .

عقيدة المشركين واهية : ٢٠٧ - ٢٠٩ .

علم الله : ٢٠٦ .

فضل هذه السورة : ٢٠١ - ٢٠٢ .

قدرة الله : ٢٠٣ - ٢٠٤ .

سورة ن

الحسد : ٢٢٧ - ٢٣٤ .

خلق الكافر : ٢١٧ - ٢٢٣ .

عاقبة المجرمين : ٢٢٤ - ٢٢٦ .

عاقبة المتقين : ٢٢٤ .

معنى (ن) : ٢١٠ - ٢١٢ .

معنى (القلم) : ٢١٢ - ٢١٣ .

قصة أصحاب الجنة : ٢٢٣ - ٢٢٤ .

قصة صاحب الحوت : ٢٢٦ - ٢٢٧ .

تكريم الله للرسول : ٢١٣ - ٢١٦ .

مثل كفار قريش : ٢٢٣ - ٢٢٤ .

سورة الحاقة

سعادة المؤمنين : ٢٤٠ - ٢٤٢ .

شقاء الكفار : ٢٤٢ - ٢٤٤ .

صدق الرسول : ٢٤٥ - ٢٤٦ .

عاقبة الأمم الماضية : ٢٣٥ - ٢٣٨ .

القرآن : ٢٤٤ - ٢٤٥ .

أحوال القيامة : ٢٣٨ - ٢٤٠ .

سورة سائل

تسليّة الرسول : ٢٥١ .

خلق المؤمن : ٢٥٤ - ٢٥٥ .

طبع الإنسان : ٢٥٣ .

استعجال الكفار العذاب : ٢٤٧ .

العذاب : ٢٥١ - ٢٥٣ ، ٢٥٧ .

العرش : ٢٤٨ .

القيامة : ٢٤٩ - ٢٥١ .

موقف الكفار من الرسول : ٢٥٥ .

سورة القيامة

- الأمل : ٣٠١ .
 البعث : ٣٠٠ ، ٣٠٨ - ٣٠٩ .
 الاحتضار : ٣٠٦ - ٣٠٨ .
 رؤية الله : ٣٠٤ - ٣٠٦ .
 سبب التكذيب بالقيامة : ٣٠٤ .
 تعليم الرسول كيف يتلقى الوحي : ٣٠٣ - ٣٠٤ .
 القيامة : ٣٠٢ .

سورة الانسان

- جزاء المؤمنين : ٣١٢ ، ٣١٥ - ٣١٨ .
 ذكر الله : ٣١٩ .
 خلق الانسان : ٣١٠ - ٣١٢ .
 خلق المؤمنين : ٣١٣ - ٣١٤ .
 الصبر فى الدعوة : ٣١٩ .
 عذاب الكافرين : ٣١٢ .
 الهدى : ٣١٠ - ٣١١ ، ٣١٩ .

سورة الرسالات

- الساعة : ٣٢٠ - ٣٢٢ .
 عاقبة المؤمنين : ٣٢٥ .
 عاقبة المكذبين : ٣٢٢ ، ٣٢٣ - ٣٢٤ .
 قدرة الله : ٣٢٢ - ٣٢٣ .

سورة النبا

- البعث : ٣٢٨ - ٣٢٩ .
 عظمة الله : ٣٣٣ - ٣٣٤ .
 عاقبة المؤمنين : ٣٣٢ .
 عاقبة المكذبين : ٣٢٩ - ٣٣١ .
 قدرة الله : ٣٢٦ - ٣٢٨ .
 القيامة : ٣٢٦ - ٣٣٤ .
 هديد المكذبين بيوم القيامة : ٣٢٦ .
 نوقيت يوم القامة : ٣٢٨ .

سورة النازعات

- البعث : ٣٣٦ - ٣٣٨ ، ٣٣٩ - ٣٤١ .
 قصة موسى عليه السلام : ٣٣٨ .

سورة عبس

- البعث : ٣٤٥ .
 خلق الانسان : ٣٤٥ .

سورة نوح

- شكوى نوح عليه السلام : ٢٦١ .
 عاقبة الكفر : ٢٦٣ .
 قصة نوح عليه السلام : ٢٥٨ - ٢٦٤ .
 تنوع الدعوة : ٢٥٩ - ٢٦١ .
 موقف الكفار من نوح عليه السلام : ٢٥٩ .

سورة الجن

- الجن منهم الكافر والمؤمن : ٢٦٨ - ٢٦٩ .
 حفظ السماء : ٢٦٧ - ٢٦٨ .
 استماع الجن للرسول : ٢٦٥ .
 الساعة : ٢٧٢ .
 علم الله : ٢٧٢ - ٢٧٤ .
 التوحيد : ٢٧٠ - ٢٧٢ .

سورة الزمل

- ذكر الله : ٢٨١ .
 تنزيل القرآن : ٢٧٦ - ٢٧٧ ، ٢٨٤ - ٢٨٥ .
 الزكاة : ٢٨٦ .
 تسلية الرسول : ٢٨٢ .
 الصبر : ٢٨٢ .
 الصلاة : ٢٨٦ .
 عذاب الآخرة : ٢٨٣ .
 قيام الليل : ٢٧٥ - ٢٧٦ ، ٢٧٨ - ٢٨١ ، ٢٨٤ - ٢٨٥ .
 النهوض للدعوة : ٢٧٥ .
 الوحي : ٢٧٧ .

سورة المدثر

- الأمر بالإنذار : ٢٨٧ - ٢٩٠ .
 البعث : ٢٩٠ .
 جنود الله : ٢٩٥ .
 الحساب : ٢٩٨ .
 خزنة النار : ٢٩٤ .
 عذاب من أنكر نعم الله : ٢٩١ - ٢٩٤ .
 القرآن : ٢٩٩ .
 النار : ٢٩٧ .

- الدنيا : ٤٠٢ .
 الذكرى : ٤٠٢ .
 التزكى : ٤٠٣ .
 التسيح : ٤٠٠ - ٤٠١ .
 الصحف : ٤٠٥ .
 الصلاة : ٤٠٣ .
 العذاب : ٤٠٢ - ٤٠٣ .
 علم الله : ٤٠٢ .
 القدر : ٤٠١ .
 إقراء الرسول : ٤٠١ .
 نشر العلم : ٤٠٢ .

سورة القاشية

- الحساب : ٤١٠ - ٤١١ .
 التذكير : ٤١٠ - ٤١١ .
 العذاب : ٤٠٦ .
 القيامة : ٤٠٦ - ٤٠٨ .
 النظر في مخلوقات الله : ٤٠٨ - ٤١٠ .
 النعم : ٤٠٧ - ٤٠٨ .

سورة الفجر

- الأمم الماضية : ٤١٦ - ٤٢٠ .
 حب المال : ٤٢٠ - ٤٢١ .
 طبع الإنسان : ٤٢٠ - ٤٢١ .
 عاقبة المفسدين : ٤١٦ - ٤٢٠ .
 أقسام القرآن : ٤١٢ - ٤١٦ .
 القيامة : ٤٢١ - ٤٢٣ .
 إكرام اليتيم : ٤٢٠ .

سورة السلك

- خلق الإنسان : ٤٢٥ ، ٤٢٦ - ٤٢٧ .
 طبع الإنسان : ٤٢٦ .
 طريق النجاة : ٤٢٧ - ٤٣١ .
 العذاب : ٤٣١ - ٤٣٢ .
 أقسام القرآن : ٤٢٤ - ٤٢٥ .
 التواصي بالصبر والرحمة : ٤٣١ - ٤٣٢ .

- المساواة في البلاغ : ٣٤٢ - ٣٤٤ .
 قدرة الله : ٣٤٥ - ٣٤٨ .
 قصة نزول هذه السورة : ٣٤٢ - ٣٤٤ .
 القيامة : ٣٤٨ - ٣٥٠ .

سورة التكوين

- آيات القيامة : ٣٥١ - ٣٥٨ .
 القرآن : ٣٥٨ - ٣٦٢ .

سورة الانفطار

- آيات الله : ٣٦٣ .
 عاقبة الأبرار : ٣٦٦ - ٣٦٧ .
 غرور الإنسان : ٣٦٤ ، ٣٦٥ .
 قدرة الله : ٣٦٤ - ٣٦٥ .

سورة المطففين

- البعث : ٣٦٩ - ٣٧١ .
 المجرمون وموقفهم من المؤمنين : ٣٧٥ .
 المطففون : ٣٦٨ - ٣٧٠ .
 عاقبة الأبرار : ٣٧٣ - ٣٧٥ .
 عاقبة الفجار : ٣٧١ - ٣٧٣ ، ٣٧٥ - ٣٧٦ .

سورة الانشقاق

- آيات القيامة : ٣٧٧ - ٣٧٨ .
 الحساب : ٣٧٨ - ٣٧٩ .
 أهوال القيامة : ٣٨٠ - ٣٨٣ .

سورة البروج

- أصحاب الأخدود : ٣٨٤ - ٣٩٣ .
 عاقبة المؤمنين : ٣٩٣ .
 قدرة الله : ٣٩٣ .
 القرآن : ٣٩٤ .

سورة الطارق

- البعث : ٣٩٧ - ٣٩٨ .
 خلق الإنسان : ٣٩٥ - ٣٩٧ .

سورة سبح

- الآخرة : ٤٠٣ .
 خشية الله : ٤٠٢ .
 الخلق : ٤٠١ .

سورة القدر

- فضل ليلة القدر : ٤٦٢ - ٤٦٥ :
 نزول القرآن : ٤٦٢ .
 وقت ليلة القدر : ٤٦٥ - ٤٧٣ :
 الدعاء فيها : ٤٧٢ ، ٤٧٣ .
 في أي ليلة تقع : ٤٦٧ ، ٣٦٨ .
 هل هي خاصة بالمسلمين ؟ : ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

سورة لم يكن

- تلاوتها على أبي بن كعب : ٤٧٤ - ٤٧٦ :
 مال الكفار : ٤٧٧ .
 مدى معاندة أهل الكتاب والمشركين : ٤٧٦ ، ٤٧٧ :
 حال المؤمنين : ٤٧٧ ، ٤٧٨ .

سورة اذا زلزلت

- بيان فضل الله وكرمه : ٤٨٤ ، ٤٨٥ .
 الحساب على الأعمال مهما قلت : ٤٨٣ ، ٤٨٤ .
 صفة الأرض يوم البعث : ٤٨٠ - ٤٨٢ .
 فضل تلاوتها : ٤٧٩ ، ٤٨٠ .

سورة العاديات

- مدى جحود الإنسان لنعم ربه : ٤٨٨ .
 وصف الخيل المغيرة في سبيل الله : ٤٨٦ ، ٤٨٧ .

سورة الفارقة

- تعظيم القيامة ومهويل شأنها : ٤٨٩ .
 صفة جهنم : ٤٩٠ ، ٤٩١ .
 الناس يومها بحسب أعمالهم : ٤٨٩ - ٤٩١ .

سورة العصر

- فضل تلاوتها : ٤٩٩ .
 المقصود بلفظ «العصر» : ٥٠٠ .
 وجوب النصيحة : ٥٠٠ .

سورة ويل لكل همزة لمزة

- عدم ازدياء الناس : ٥٠١ .
 كثرة المال من دواعي الغرور : ٥٠١ .
 المال لا ينفع صاحبه : ٥٠١ ، ٥٠٢ .
 من أوصاف جهنم : ٥٠١ ، ٥٠٢ .

سورة والشمس وضحاها

- التزكي : ٤٣٥ .
 أقسام القرآن : ٤٣٣ - ٤٣٥ .
 قصة نوح : ٤٣٦ - ٤٣٧ .

سورة الليل

- التصديق : ٤٣٩ - ٤٤٣ .
 العذاب : ٤٤٣ - ٤٤٤ .
 أعمال العباد : ٤٣٩ .
 أقسام القرآن : ٤٣٨ - ٤٣٩ :
 إنعام الله تفضل منه تعالى : ٤٤٤ :
 الإنفاق : ٤٣٩ - ٤٤٣ .
 الهدى : ٤٤٣ .
 التقوى : ٤٣٩ - ٤٤٣ .

سورة الضحى

- زهد الرسول : ٤٤٧ .
 سبب نزول هذه السورة : ٤٤٥ - ٤٤٧ .
 الشكر : ٤٤٩ - ٤٥٠ .
 أقسام القرآن : ٤٤٥ .
 نعمه تعالى على رسوله : ٤٤٨ - ٤٤٩ .

سورة الم نشرح

- الدعاء : ٤٥٥ .
 العبادة : ٤٥٥ .
 الصبر واليسر : ٤٥٣ - ٤٥٥ .
 نعمه تعالى على عبده : ٤٥١ .

سورة والتين والزيتون

- خلق الإنسان : ٤٥٧ .
 أقسام القرآن : ٤٥٦ - ٤٥٧ .
 القيامة : ٤٥٧ .

سورة اقرا

- سبب نزولها : ٤٥٨ - ٤٥٩ ، ٤٦٠ :
 طبع الإنسان : ٤٥٩ .
 موقف أبي جهل من الرسول : ٤٦٠ .

فضل تلاوتها : ٢٥٦ ، ٥٢٧ .

سبب نزولها : ٥٢٧ .

سورة اذا جاء نصر الله والفتح

آخر سورة نزلت من القرآن : ٥٢٩ - ٥٣٢ .

فضل التسييح : ٥٣٣ .

بعثت للرسول نفسه : ٥٢٩ - ٥٣٣ .

لا هجرة بعد فتح مكة : ٥٣١ .

سورة تبت

الدلالة على صدق النبوة : ٥٣٧ .

سبب نزولها : ٥٣٤ .

المال لا يدفع عن صاحبه : ٥٣٥ .

سورة الاخلاص

سبب نزولها : ٥٣٨ ، ٥٣٩ .

فضل تلاوتها : ٥٣٨ - ٥٤٦ .

تتريه الله : ٥٤٧ ، ٥٤٨ .

سورة قل اعوذ برب الفلق

افضل ما يرمى به : ٥٥٥ .

بالليل من شر ما يحدث : ٥٥٣ ، ٥٥٤ .

السحر : ٥٥٥ - ٥٥٨ .

سورة قل اعوذ برب الناس

من صفات الربوبية : ٥٥٨ .

مسالك الشيطان : ٥٥٩ ، ٥٦٠ .

سورة الفيل

حماية الله لقريش : ٥٠٧ .

قصة أصحاب الفيل : ٥٠٣ - ٥١١ .

جنود الله : ٥٠٧ - ٥٠٩ .

سورة لا يلاف قريش

شرف مجاورة بيت الله : ٥١٢ .

من جاور البيت أولى بعبادة صاحبه : ٥١٢ - ٥١٣ .

نعم الله عليهم : ٥١٣ .

سورة المساعون

المتكرون للبعث : ٥١٤ .

مهيب لتاركى الصلاة : ٥١٤ .

صفة المنافقين : ٥١٤ - ٥١٧ .

من يأخذ ويبيخل عند العطاء : ٥١٦ - ٥١٨ .

سورة الكوثر

تكريم الله لرسوله : ٥١٩ - ٥٢٣ .

صفة سر الكوثر : ٥١٩ .

شكر الله على هذا التكريم : ٥٢٣ .

سبب نزول السورة : ٥٢٥ .

سورة قل يا ايها الكافرون

تأكيد بالبراءة مما يعمله الكافرون : ٥٢٧ ، ٥٢٨ .

فهرس الاعلام

بريدة بن الحبيب : ١٩٣ ، ٢٢٨ ،

الزار : ٢٣٣ ، ٤٨٧ ، ٥٢٥ ، ٤٩٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٧ .

بشير بن كعب : ٢٠٦ ، ٣٢٩

البغوى : ٣٤٨

بكر بن عبد الله المزني : ٣٥٩ ، ٣٨٠ ، ٤٣٧ ،

أبو بكر الصديق : ١٠٣ ، ٣٤٨ ، ٣٦٢ ، ٤٤٢ ، ٤٤٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ .

أبو بكر الوراق : ٣٦٤

أبو بكر بن خزيمه : ٤٧٠

بكير بن الأشج : ٦٥ ، ٣٨٠ ،

بلال بن رباح : ٤٦٨

تميم بن حذلم : ١٢ ،

ثابت البناني : ٢٥٢ ، ٥٢٤ ، ٤٧٩ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ ، ٥٣٩ ،

ثوبان (مولى رسول الله) : ٣٧٩

أبو ثور : ٤٧٠

الثورى : ١٧٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٢٢ ، ٢٣٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٣١٣ ، ٣٢١ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٧ ، ٣٩٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٢٥ ، ٤٣٤ ، ٤٧٠ ، ٤٩٧ ، ٥٢١ ، ٥٣١ ، ٥٥١ ،

جابر بن زيد (أبو الشعثاء) : ٢١ ، ٣٦٠ ، ٤٦٨ ،

ابن جريج : ١٠٥ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٤٣ ، ٢٦٥ ، ٤٨٢ ،

أبو جعفر الياقوت : ١٩٥ ، ٢٦٢ ،

إبراهيم التيمي : ٣٣٧

إبراهيم النخعي : ١٠١ ، ١٢١ ، ١٩٣ ، ٢٥٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٥ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٢٢ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٧٥ ، ٣٨٦ ، ٤٢٥ ، ٤٣٠ ، ٤٥٦ ، ٥١٧ ، ٥٤٠ ،

ابن أبيزى : ٣١٦ ، ٣٩٣ ،

أبي بن كعب : ١٩٦ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ،

أحمد بن حنبل : ٦٥ ، ١٧٠ ، ١٨٧ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧٤ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨ ، ٥١٥ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٣ ، ٥٤٢ ،

إسحاق بن راهويه : ٤٧٠

أبو الأسود الدؤلى : ٤٣٥

أبو الأحوص : ٣ ، ٢٩٠ ، ٤٠٤ ،

الأصمعى : ١٨٩

الأخفش (سعيد بن مسعدة) : ٩

الأعرج (أبو حازم) : ٨٠ ، ٣٠٠ ،

الأعشى : ٢٦٩ ، ٢٧١ ،

أبو أمامة : ٤٢

أنس بن مالك : ٢١ ، ١٢٧ ، ٢٧٨ ، ٣٤٢ ، ٣٩٤ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٥ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨٣ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢٣ ،

الأوزاعى : ٢٣٩

أبو بجرية : ١٣٤ ،

البخارى : ٢٨ ، ٣٤٤ ، ٤٨٢ ، ٤٩٨ ، ٥١١ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٤ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤٤ ،

التخليل بن أحمد : ٢٨٠

نخيشة : ٤٢٥

داود الظاهري : ٦٥

أبو الدرداء : ٢٦٥ ، ٣٧٥ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٥٤١ ، ٥٤٢

ابن أبي ذئب : ٣٨٠ ، ٥١٨

أبو رافع : ٤١٩

الرافعي : ٤٦٧

الربيع بن أنس : ١٦٦ ، ١٩٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٥٧ ، ٢٦٦ ، ٢٧٨ ، ٢٩٠ ، ٣١٠ ، ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٦١ ، ٣٩٢ ، ٤١٤ ، ٥٠١ ، ٥٣٨

الربيع بن خُثَيم : ١٧٢ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٣٦٤ ، ٥٤١

أبو رزين : ٢٢١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، ٤٦٧

الزبير بن العوام : ٢٧١

زرارة بن أوفى : ٢٩٠

الزهري : ٦٥ ، ٦٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٦٤ ، ١٧٥ ، ١٨٩ ، ٢٨٩ ، ٤٦٦ ، ٥١٦ ، ٥١٨ ، ٥٢١ ، ٥٣٠

زيد بن أرقم : ٤٦٧

زيد بن أسلم : ١٢ ، ١٣٢ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٨٥ ، ١٩٣ ، ٢١٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٣٠٨ ، ٣٢٣ ، ٣٢٧ ، ٣٥١ ، ٣٦٠ ، ٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤٣٣ ، ٤٣٩ ، ٤٤٣ ، ٤٥٥ ، ٤٩٧ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥١٧

زيد بن ثابت : ٢٧٧ ، ٥٣١

سالم بن أبي الجعد : ١٢٧ ، ٢٧٨ ، ٥٤٢

السدي : ٣ ، ٤ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ١٠١ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٥٣ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٩٣ ، ١٩٥

ابن الجوزي : ٢٧٤

أبو الجوزاء : ٤٠٧

الجوهري (إساعيل بن حماد) : ٤ ، ٤١ ، ١٨٩ ، ٣٨٠ ، ٤٣٤

أبو حازم : ٢٧٨

حجر المدري : ١٧

أبو حرزة : ٣١ ، ٤ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦

ابن حزم : ٦٥

الحسن البصري : ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٥١ ، ٦٥ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٨٤ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ١٢٩ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٨٦ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣٢٣ ، ٣٢٧ ، ٣٣٥ ، ٣٣٣ ، ٣٣٢ ، ٣٢٩ ، ٣٢٧ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٧ ، ٤٠٧ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٩ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣١ ، ٤٤٨ ، ٤٥٣ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٩٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٦

الحسن بن علي : ٣٨٦ ، ٤٥٠ ، ٤٦٢

الحسن بن مسلم : ٣٥٥

حطان بن عبد الله : ٥٩

الحكم بن عتيبة : ٢٤٥

حماد بن أبي سليمان : ٢٨٢ ، ٣٥٣

حميد بن زياد (أبو صخر) : ٢٤٥

أبو حنيفة : ٦٥ ، ٢٨٤ ، ٤٦٧ ، ٤٦٩

خصيف : ٤٢٥

خالد بن معدان : ١٦٦ ، ٢٣٠

سفيان بن عيينة : ٣٦٢

سلمان الفارسي : ١٩٩

أبو سلمة بن عبد الرحمن : ٢٨٧

سليمان بن موسى : ٣٦٢

أبو سليمان الداراني : ١٣ ، ٣١٥

أبو سنان : ٢٩٣

سهل بن سعد الساعدي : ٣٣٧

السهيلي (عبد الرحمن بن عبد الله) : ٢٩٤

الشافعي : ٦٥ ، ١٧٢ ، ١٧٩ ، ١٨٧ ، ٣٠٦

٣٠٨ ، ٣٧٣ ، ٤٥٤ ، ٤٦٤ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧٠

٤٧١ ، ٤٧٧ ، ٤٩٩ ، ٥٢٨

شداد بن أوس : ٣٨٠

شرحبيل بن سعد : ٤٢٥

شعبة : ١٨٩ ، ٤٦٧ ، ٥٣١

الشعبي : ١٥ ، ٣٧ ، ١٧٠ ، ١٨٦ ، ٢٢٢

٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٣٠٤ ، ٣١٦ ، ٣٢٣ ، ٣٣٣ ، ٣٥٥

٣٦١ ، ٣٨١ ، ٤٦٥ ، ٥٢١

أبو صالح : ١٥ ، ١٢٧ ، ١٧٠ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢

٢٥٧ ، ٢٨١ ، ٣٠٥ ، ٣١١ ، ٣١٦ ، ٣٢١ ، ٣٣٤

٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٧٥

٣٨١ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٣٤ ، ٤٤٣ ، ٤٩٨

٤١٥ ، ٤١٦

الضحك : ١١ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١

٢٢ ، ٢٥ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٥٧ ، ٨٥ ، ١١٣

١١٧ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٨٦

١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢١٤

٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤

٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٣٥

٢٤٢ ، ٢٥١ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥

٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨١

٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠١ ، ٣٠٣

٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣٢١ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٥

٣٣٦ ، ٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩

٣٦٣ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٩٢ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧

٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٢ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٤

٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٤ ، ٤٣٧

٥٠١ ، ٥٠٩ ، ٥١٦

سعد بن هشام : ٢٧٨

سعید بن جبیر : ١٦ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٦

٥٤ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٣٤ ، ١٦٤ ، ١٧٠

١٧٥ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٣٩

٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠

٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٨١ ، ٢٨٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١

٣٠٢ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣

٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٧ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩

٣٦٠ ، ٣٧٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٧

٤١٩ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٣١ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٨٤

٤٨٥ ، ٤٨٩ ، ٤٩٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٦

٥١٧ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٤

٥٣٧

سعید بن عبد العزيز : ٧٩

سعید بن المسيب : ١٧٠ ، ٢٢٠ ، ٢٦٩ ، ٤١٧

٥٣٦

سعيد بن أبي هلال : ١٧٠

أبو سعيد الخدري : ٤٤ ، ٣٠٤ ، ٤٦٨ ، ٤٨٤

٥٣١

الطفر بن نسير : ٣

سفيان بن حسين : ١٢١

٤٠١ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤١٠ ٤١٥ ٤١٧ ٤٢٢ ٤٢٤

٤٢٨ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٦٦

عبد الرحمن بن سلمان أبو الأعمس : ٣٩٤

أبو عبد الرحمن السلمى : ١٧ ١٩٣ ٢٨٠

عبد الرحمن بن أبي ليلى : ٤٦٦ ٥٤١

عبد العزيز بن جعفر بن أحمد الخنيلي أبو بكر : ٢٨٥

عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون : ٣٨٠

عبد الله بن بريدة : ١٢ ٢٨٢ ٢٩٣

عبد الله بن الزبير : ٤١٣ ٤١٥ ٤٩٧ ٥٣٦

عبد الله بن سرجس : ١١

عبد الله بن عباس : ٣ ٤ ٦ ٧ ٩ ٩٢

١٥ ١٦ ١٧ ١٩ ٢١ ٢٢ ٢٥ ٢٦

٣١ ٤٣ ٤٥ ٤٧ ٥٤ ٥٧ ٦٣ ٦٥

٦٩ ٧٥ ٧٦ ٨٠ ٨١ ٨٤ ٨٥ ٩٠

١٠٢ ١٠٤ ١٠٥ ١١١ ١١٣ ١١٤ ١١٥

١١٨ ١٢١ ١٢٧ ١٢٩ ١٣٢ ١٣٤ ١٣٦

١٣٩ ١٦٠ ١٦٣ ١٦٥ ١٧٠ ١٧٢ ١٧٥

١٧٨ ١٧٩ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٩

١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٨ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣

٢٠٤ ٢٠٦ ٢١٠ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٦

٢١٧ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٥

٢٢٧ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤٣ ٢٤٤

٢٤٥ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٥

٢٥٧ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦٣ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧

٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٤ ٢٧٥

٢٧٦ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣

٢٨٦ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٣ ٢٩٧

٢٩٨ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٧

٣٠٨ ٣١٠ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٩

٢٤٥ ٢٤٩ ٢٥٢ ٢٥٧ ٢٦٠ ٢٦٢ ٢٦٣

٢٦٤ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٨ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٩

٢٩٠ ٢٩٧ ٣٠١ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٧ ٣١١

٣١٤ ٣١٧ ٣٢٣ ٣٢٧ ٣٢٩ ٣٣٢ ٣٣٣

٣٣٦ ٣٣٧ ٣٤٤ ٣٤٧ ٣٥١ ٣٥٣ ٣٥٥

٣٥٨ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٩ ٣٨١

٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٩٣ ٣٩٦ ٣٩٧

٤٠٨ ٤١٥ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٣٠ ٤٣٢

٤٣٤ ٤٣٧ ٤٥٥ ٤٩٧ ٥٠٨ ٥١٦ ٥٢٣

٥٣٠ ٥٣٦ ٥٤٠ ٥٤٣

أبو الضحى : ٤٨ ١٧٩ ٣٢١ ٣٣٥ ٣٥٦

٥٣٢

طاوس : ١٠٢ ٢٨٢ ٢٩٠

حاصم بن بهدلة : ٢٥٧

أبو العالية : ٦٦ ٦٦ ٦٦ ٦٦ ٦٦ ٦٦ ٦٦

١٦٦ ١٩٩ ٢٥٧ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٧٨ ٢٧٧

٣٥٥ ٣٨١ ٤٠٣ ٤٠٥ ٤١٤ ٤١٥ ٤٥٧

عائشة رضي الله عنها : ١٩٣ ٢١٤ ٢١٥

٣٤٣ ٣٧٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٨٣

عبادة بن الصامت : ٤٣ ٣٢٤ ٣٨٠

العباس بن أحمد البمشقي : ٢٦٩

عبد الرحمن بن زيد : ٤ ١٢ ١٩ ٢١

٢٨ ٤٣ ٧٤ ٨٤ ٨٥ ٩٦ ١٠٥ ١١٧

١٢٠ ١٢٧ ١٢٩ ١٣٢ ١٥٩ ١٧٥ ١٩٣

٢١٤ ٢٣٥ ٢٤٣ ٢٤٧ ٢٤٩ ٢٥٢ ٢٥٧

٢٦٠ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٧٠ ٢٧٢ ٢٧٨ ٢٨٩

٢٩٠ ٢٩٨ ٣٠٣ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣١١

٣١٤ ٣١٦ ٣١٩ ٣٢٢ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٣٢

٣٣٣ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٧ ٣٤٨

٣٦٠ ٣٦٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٨١ ٣٨٥ ٣٩٧

٤٥٩ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧٥ ، ٤٩٧ ، ٥٠٢ ، ٥١٧ ،
٥٣٨ ، ٥٤١

عبد الله بن وهب : ٤٦٨

عبيد بن عمير : ٢٦٧

أبو عبيدة (معمر بن النسي) : ٩ ، ٨٦ ، ٣٣١

عتبة بن أبي حكيم : ٥٧

عتبة بن عامر : ٢٥٤

عثمان بن أبي العاص : ٤٦٧

أبو عثمان النهدي : ٢٤١

عثمان بن أبي العاتكة : ٣٣٧

عروة بن الزبير : ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩١١ ،
٩١٧ ، ٩٦٢ ، ٩٧٨ ، ٩٤٤ ، ٩٨٦ ، ٩١٢ ،
٤١٣ ، ٥٣٦

عطاء : ٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٧١ ، ١٩٣ ،
٢٥١ ، ٢٦٩ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٣١٤ ، ٣٢٥ ،
٣٤٧ ، ٤١٣

عطاء الخرساني : ١٧٠ ، ٤٢٦ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤

عطاء بن أبي رباح : ٣٣٥

عطاء بن أبي مسلم : ٢٧٨

عطية العوفي : ١١ ، ١٢ ، ٢١٤ ، ٢٨١ ، ٣١١ ،
٣٦٠ ، ٤٢٤ ، ٤٣١ ، ٥١٦

عكرمة : ٣ ، ٤ ، ١١ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ،
٢١ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٥٢ ، ٧٦ ، ٨٥ ، ١١٨ ، ١٢٩ ،
١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ،
١٩٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٣٦ ،
٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،
٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،
٢٩٢ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٣

٣٢٢ ، ٣٢٩ ، ٣٢٧ ، ٣٢٤ ، ٣٢٣ ، ٣٢٢ ، ٣٢١ ،
٣٣٩ ، ٣٣٨ ، ٣٣٧ ، ٣٣٦ ، ٣٣٥ ، ٣٣٤ ، ٣٣٣ ،
٣٥٠ ، ٣٤٨ ، ٣٤٧ ، ٣٤٥ ، ٣٤٤ ، ٣٤٣ ، ٣٤١ ،
٣٥٧ ، ٣٥٦ ، ٣٥٥ ، ٣٥٤ ، ٣٥٣ ، ٣٥٢ ، ٣٥١ ،
٣٧٤ ، ٣٦٨ ، ٣٦٤ ، ٣٦٣ ، ٣٦١ ، ٣٦٠ ، ٣٥٩ ،
٣٨٣ ، ٣٨٢ ، ٣٨١ ، ٣٨٠ ، ٣٧٩ ، ٣٧٨ ، ٣٧٥ ،
٣٩٧ ، ٣٩٦ ، ٣٩٤ ، ٣٩٣ ، ٣٨٧ ، ٣٨٦ ، ٣٨٤ ،
٤٠٨ ، ٤٠٧ ، ٤٠٦ ، ٤٠٥ ، ٤٠٣ ، ٤٠١ ، ٣٩٨ ،
٤١٩ ، ٤١٧ ، ٤١٥ ، ٤١٤ ، ٤١٣ ، ٤١٢ ، ٤١٠ ،
٤٢٠ ، ٤٢٧ ، ٤٢٦ ، ٤٢٥ ، ٤٢٤ ، ٤٢٣ ، ٤٢٢ ،
٤٤٧ ، ٤٣٩ ، ٤٣٧ ، ٤٣٥ ، ٤٣٤ ، ٤٣٣ ، ٤٣١ ،
٤٦٥ ، ٤٦٢ ، ٤٥٧ ، ٤٥٦ ، ٤٥٥ ، ٤٥٢ ، ٤٤٨ ،
٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٨٧ ، ٤٨٦ ، ٤٨٠ ، ٤٦٩ ، ٤٦٨ ،
٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٢ ، ٥١٥ ،
٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٩ ،
٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٤ ، ٥٣٦

عبد الله بن عبد الله بن حفظة : ٢٤١

عبد الله بن عبيد بن عمير : ٣١٦

عبد الله بن عكيم : ٢٥٣

عبد الله بن عمير : ١٦٩ ، ١٩٣ ، ٣١٣ ، ٣٦٤ ،
٣٦٨ ، ٣٧١ ، ٣٨٠ ، ٣٨٦ ، ٤١٠ ، ٤٢٧ ، ٤٧٠ ، ٤٧١

عبد الله بن عمرو : ٤٣ ، ٦٩ ، ٢٣٩ ، ٣١٧ ،
٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٤٨٤

عبد الله بن كثير : ٣

عبد الله بن المبارك : ٢٨٢

عبد الله بن مسعود : ٧ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ،
٤٨ ، ٥٩ ، ١٠١ ، ١٢٩ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ،
١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٥٤ ،
٢٧٧ ، ٢٩٠ ، ٣٠٢ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٣٥ ،
٣٥٩ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ،
٤٠٤ ، ٤٢١ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٣٩ ، ٤٥٣ ، ٤٥٥

الفضيل بن عياض : ٢٤٣ ، ٣٦٤ ، ٤٥٥

قتادة : ٣ ، ٤ ، ١١ ، ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٦٥ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٧ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٩٣ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٠١ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤٣ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٨ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٣٥ ، ٥٥٤ ، ٥٥٢

القرطبي : ٣٥٣ ، ٤٥٦

قسامة بن زهير : ٣ ، ٤

أبو قلابة : ١٧٠ ، ٣٠٧ ، ٤٧٠ ، ٤٩٧

الكسائي : ١٨ ، ٣٣٠ ، ٥٠٨

٣١٤ ، ٣١٧ ، ٣٢٧ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٢ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٥ ، ٤٣٩ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٨٢ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩٧ ، ٥٠٧ ، ٥٠٩ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٩ ، ٥١٨ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥ ، ٥٣٠ ، ٥٣٢

علقمة بن قيس : ١٦٣

علي بن الحسين (زين العابدين) : ٤٣ ،

علي بن أبي طالب : ٤ ، ٢٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٠١ ، ١٧٥ ، ١٩٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٢٩ ، ٣٣٥ ، ٣٤٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٨٠ ، ٣٨٧ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤١٢ ، ٤٢٦ ، ٤٦٥ ، ٤٦٨ ، ٥١٨ ، ٥٢٤

همر بن الخطاب : ٤٠ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٩٤ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٥٩ ، ٢٧٨ ، ٢٤٨ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٣٦٤ ، ٣٨١ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧٥ ، ٤٩٥ ، ٥٣٠ ، ٥٣٢

همر بن عبد العزيز : ٤٠٤

هجران بن حصين : ٢٢٨ ، ٤١٤ ، ٤٣٥

أبو هجران الجوني : ٢٨٢ ، ٤٢٥ ، ٤٣٢

همرو بن قيس الملائي : ٤٦٤

همرو بن ميمون : ٦ ، ٤٨ ، ٣٢٩ ، ٥٤١ ، ٥٤٢

أبو همرو بن العلاء : ٣٠٢

الغزالي : ٤٦٧

فاطمة بنت قيس : ١٧٠

الفراء : ٢٢ ، ٣١ ، ٦٥ ، ٣٢٧ ، ٣٣١ ، ٣٦١

أبو مجلز : ٢٧٨ ، ٢٨٢

محمد بن إسحاق : ٨٣ ، ٨٤ ، ١٠١ ، ١١٠ ،
١٥٣ ، ٢٦٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ،
٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٥١٢

محمد بن جوير الطبري : ١٢ ، ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ،
٢١ ، ٣٧ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٨٦ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٢٩ ،
١٧٥ ، ١٨٢ ، ٢١٢ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٣٥ ، ٢٤٦ ،
٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٩ ،
٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ،
٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٧ ،
٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٩ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،
٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ،
٣٦٢ ، ٣٨٠ ، ٣٨٤ ، ٣٩٧ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤١٥ ،
٤١٧ ، ٤٢٢ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٥٧ ، ٤٦٤ ،
٥١٢ ، ٥٢٤

محمد بن سيرين : ١٢ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٨٩ ، ٥٣٥

محمد بن عجلان : ٢٠٣

محمد بن علي بن الحسين : ٣٨٠ ، ٤٢٥

محمد بن أبي عميرة : ٤٢٢

محمد بن قيس : ٢٦٢

محمد بن كعب القرظي : ٢٦ ، ١٤٦ ، ١٩٣ ،
٢٢٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٦٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٩ ،
٣٣٦ ، ٣٧٢ ، ٤١٢ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤٢٦ ، ٤٣١ ،
٤٣٦ ، ٥٠١ ، ٥٠٧ ، ٥٢٣

محمد بن المنكدر : ٢٧٨

مُرّة الطيّب : ٣٨١

المزني : ٤٧٠

مسروق : ٤٨ ، ١٢١ ، ١٧٣ ، ١٨٦ ، ٢٥٤

٣٢١ ، ٣٣٥ ، ٣٧٥ ، ٣٨١ ، ٤١٢

كعب الأحبار : ٥ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ١٣٤ ، ٢٤٣ ،
٣٧٤ ، ٤٢٨ ، ٤٥٦ ، ٤٦٥ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣

الكلبي : ١٢٩ ، ٣٢٧ ، ٣٤٥ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ،
٤١٧

مالك بن أنس : ٦٥ ، ١٣٢ ، ٣٨٠ ، ٤٧٠

أبو مالك : ١٩٣ ، ٢١٤ ، ٢٤٦ ، ٢٦٦ ، ٢٧٨ ،
٣٠٧ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٥٨ ،
٣٩٧

مجاهد : ٣ ، ٤ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ،
١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ،
٤٣ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٨٦ ، ١٠١ ، ١٠٥ ،
١١١ ، ١١٣ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٤٩ ،
١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،
١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ،
٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،
٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ،
٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ،
٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ،
٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،
٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ،
٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ،
٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ،
٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ،
٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ،
٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٧٣ ،
٣٧٤ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ،
٣٩٣ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠١ ، ٤٠٧ ، ٤١٠ ، ٤١٢ ،
٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ،
٤٢٦ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ،
٤٣٧ ، ٤٤٣ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ،
٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٨٧ ، ٤٩٧ ، ٥٠١ ، ٥٠٨ ، ٥١٦ ،
٥١٧ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٣٠ ، ٥٣٦ ، ٥٤٨ ،
٥٥٤ ، ٥٥٤

أبو نضرة : ٤٤٩

أبو خبيك : ٢١٤

أبو هريرة : ٤٤٤ ، ٦٠٥ ، ١٤٥ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ،
 ١٨١ ، ١٩٣ ، ٢٩٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٨٠ ،
 ٣٨٤ ، ٤٣١ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٤ ، ٤٥٧ ،
 ٤٧٠ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨١ ، ٤٩٠ ، ٤٩٨ ،
 ٥٠٢ ، ٥١٥ ، ٥٢٦ ، ٥٣٨ ،

المشيم بن عدي : ٢٢

أبو وائل : ٤٢٦

وهب بن منه : ٣٣٧ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٥٠٧

يحيى بن رافع : ٢٦٠ ، ٣٨٤

يحيى بن أبي كثير : ١١٤ ، ٢٥٧

يزيد بن أبي حبيب : ٢٧٤

يزيد بن ذي حمامة : ٤٣٤

يزيد بن رومان : ٨٦

معلم البطيخ : ٢٤٥ ، ٢٥٧

معاوية بن سعيد : ٣٥٤

معاوية بن أبي سفيان : ٤٦٢

مقاتل بن حيان : ٤٨ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٤ ،
 ٧٦ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١١ ، ١١٣ ،
 ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ،
 ١٥٠ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٩ ،
 ١٨٦ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٧٠ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣ ،
 ٣٤٥ ، ٣٦٤ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٤٣١ ، ٥٢٤

كحون : ٣٨٠

منصور : ١٢٩

المنهاك بن عمرو : ٢٤٣ ، ٣٨٤

أبو موسى الأشعري : ١٣٣

ميخون بن مهران : ٣ ، ٢٥ ، ١٢٧ ، ١٦٩ ، ٣٦١

النضر بن عربي : ١٩

فهرس الأماكن والبلدان ونحوها

(ز)

الزوراء : ١٤٨ .

(ش)

الشام : ٨ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٧٣ ، ٢٣٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٤٦٣ ، ٥٠٣ ، ٥٠٦ ، ٥١٢ .

(ص)

صنعاء : ٢٢٣ .

(ط)

الطائف : ٤ ، ١٦٦ ،
طبرية : ٤٥٧ ،
طور سيناء : ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

(ع)

العراق : ٢٩٢ ،
عرفة : ٤٨٦ ، ٤٨٧ ،
عسافان : ٧٤ ،
العقبة : ١٢٤ ،
عكا : ٤٥٧ .

(ف)

قاران : ٤٥٧ ،
فلسطين : ٤٥٧ .

(ق)

القادسية : ٣٤٢ ،
القاهرة : ٥٣٧ ،
القسطنطينية : ٣٩٢ .

(ك)

الكعبة : ١٤٤ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ،
الكوفة : ١٧٩ ، ٤٦٧ .

(ا)

أحد : ١٣٢ ،
أذرعان : ٨١ ، ٨٥ ،
أصبهان : ٣٩١ ،
الاهواز : ٤٦٣ .

(ب)

بابل : ٢٦٢ ، ٢٩٢ ،
بدر : ٧١ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٩ ،
١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ،
٢٢١ ، ٣١٤ ، ٤٦٣ ، ٤٨٦ ،
البصرة : ١٣٣ ، ٢٩٠ ، ٥٤٥ ،
البيروية : ٨٦ ، ٨٧ ،
بيت المقدس : ٤٣ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

(ت)

تبوك : ١٥٣ ، ١٥٤ .

(ج)

الجبشة : ١٣٧ ، ٢٢٣ ، ٢٧٨ ، ٣١٨ ، ٣٨٧ ،
٣٩١ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٩ ،
الحديبية : ٢٣ ، ٧١١ ، ١٢٥ ، ٤٧٥ ، ٥١١ ،
حراء : ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٤٥٨ ، ٥٠٦ .

(خ)

خيبر : ٨١ ، ٨٣ .

(د)

دمشق : ٤٢ ، ٤٥٦ ،
دومة الجندك : ٢٦١ .

(ذ)

روضه خاخ : ١٠٧ ، ١١٠ .

٢٦٨ ، ٢٨٦ ، ٣٩١ ، ٤٥٧ ، ٤٦٠ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ،

٥٠٦ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ،

٥٣٣

منى : ٣٢٠ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٥٠٦ ،

(ن)

الناصرية : ٤٥٧ ،

نجران : ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ،

(ي)

الينين : ٣٨ ، ٣٩ ، ١١٥ ، ٢٢٣ ، ٣٠٣ ،

٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٥٣٠ ، ٥٣٢ ،

(م)

المدينة : ٨٣ ، ٨٧ ، ١٠٧ ، ١١٧ ، ١١٩ ،

١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،

١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،

٢٦٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٦ ، ٣٦٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٩ ،

٤٦٣ ، ٥٣٠ ، ٥٥٦ ،

المريسيج : ١٥٤ ، ١٥٨ ،

المثلل : ١٥٨ ،

مصر : ٥٣٧ ،

مكة : ٣٨ ، ٧٤ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ،

١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٥٨ ، ١٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،

فهرس القبائل والطوائف

(ق)

قريش : ٤ ، ٢١ ، ٨٩ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ،
١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ،
١٥٤ ، ١٩٠ ، ٢٢٢ ، ٢٥٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٥ ، ٢٨٢ ،
٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤٢ ، ٣٦٨ ، ٣٩٥ ، ٥٢٥ ،
٥٢٧ ، ٥٣٥ ، ٥٣٧ ، ٥٥٧ .

بنو قريظة : ٧٢ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٢ .

(ك)

كلب : ٢٦١ .

آل ذي كلاع : ٢٦٢ .

كندة : ١٦٦ .

(م)

مراد : ٢٩٢ .

بنو المصطلق : ١٥٤ .

المهاجرون : ٧١ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٩ ، ١٢١ ،

١٢٢ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ٤٥٤ .

(ن)

بنو النجار : ٥٢٣ .

التمطورية : ١٤٥ .

بنو التضير : ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ،

٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٦ .

(هـ)

بنو هاشم : ٣٦٧ .

هذيل : ٢٦١ .

همدان : ٢٦٢ .

(و)

بأجوج ومأجوج : ٢٨٣ .

اليعقوبية : ١٤٥ .

اليونانيون : ١٣٩ ، ٢٩٥ .

(أ)

بنو اسرائيل : ١٤ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ١٣٥ ،
١٣٩ ، ١٤٠ ، ٣٨٧ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ .

بنو أمية : ١٨٩ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ .

الأنصار : ٦٤ ، ٧١ ، ٨٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ،

٩٦ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ،

١٥٨ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ ، ٥٥٨ .

الأوس : ٨٢ ، ١٣٩ .

(ب)

تقيف : ٣٩٥ .

ثمود : ٣١٠ ، ٣٩٣ .

(ج)

جرهم : ٣٩١ .

(ح)

حمير : ٢٦٢ ، ٣٩١ .

(خ)

خزاعة : ٣٩١ .

الخزرج : ٨٢ ، ١٣٩ ، ١٥٩ .

(د)

الروم : ١٤٢ ، ١٩٠ ، ٢٧٩ ، ٣١١ ، ٣٥٤ ،

٣٥٦ .

(ز)

بنو زريق : ٥٥٦ ، ٥٥٧ .

بنو زهرة : ٢٢٥ .

(ش)

الشيعة : ٤٦٧ ، ٤٧١ .

(ع)

بنو العباس : ٤٦٣ .

(غ)

بنو غطفان : ٢٦٢ .

(ف)

فارس : ١٤٢ ، ١٩٠ ، ٣٥٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩٢ ،

٣٩١ .

قول	: قال بإصبعه ... ٢٠
قوى	: القى ١٩
(حرف الكاف)	
كبد	: كبد قوسه ٣٨٨
كبكب	: فى كَبَّكَبَة من بنى إسرائيل ١٤
كرب	: الكروبيون ٢٤٠
كرع	: الكُرَاع ٢٧٨
كرى	: أكرينا ذات ليلة ١٤
كسع	: فكسع رجل من المهاجرين ١٥٥
كاف	: اكلفوا من الأعمال ٢٨٠
كاكل	: كالأكلهم ٢٦٨
كمم	: بالودى الكمم ٨٩
كنس	: وتكنس بالعليل ٣٥٩
كنس	: أوى الظبي إلى كناسة ٣٥٩
كور	: وكنكوير الكارة ٣٥١
(حرف اللام)	
لبد	: خصوة التيس الملبود ٣
ليبط	: لبط به ٢٢٩
لحق	: فاستأحقته إليها ٢٧٩
لحو	: لاحت أى ٩٥
لحى	: فحشوا فى لحى ١٣٤
لنى	: تتألفته من الله ٨٩
لون	: (من لينة) ٨٦
(حرف الميم)	
مأى	: ما بين سوق أحدهم ٢٣٩
مأن	: لقد كفونا المونة ٩٤
متح	: يقوم عليه المتح ٥٥٧
متع	: حتى متع النهار ١٥٨
محل	: غدوه محلك ٥٠٥
مدد	: مدد أحدهم ٣٨
مرخ	: المرخ ... ١٨
(حرف النون)	
نجف	: نجفأف بابه ٨٣
نزه	: أينما منها ينزّه ٨٧
نسل	: تنسل ٢٨٩

عرقاً	: العرقى ١٠
عزل	: مشاة عزلاً ٣٤٩
غضى	: جمر الغضاة ٨٩
غزر	: وتمنح الغزيرة ٢٥٠
عطط	: فغططى ... ٤٥٨
غلب	: أغلب ٣٤٧
غفر	: أكلت مغافير ١٨٨
غنج	: الغنجة ١١
عتق	: عتقأ مخرّب ٥٠٨
غير	: لا تستطيعون لها غيراً ٤٦١
غيل	: الغيلة ٣٥٦
(حرف الفاء)	
فتخ	: الفتح ١٢٤
فرض	: لم يفرضها ولد ١٣٧
فره	: أفره علمانه ... ٤٢٨
فصم	: فببصم على ٢٧٧
فقد	: لم يفقدوا ٨٠
فقر	: وتفقر الظهر ٢٥٠
فاند	: الأرض أفلاذ ٤٨١
فالج	: المتفججات ٩٣
فنى	: هو من أفناء الملائكة ٣٦١
فيض	: نفسى تفيض ٢٧٧
(حرف القاف)	
قدح	: كنبه فى قدح ٣٩٠
قدد	: القدد ١٧٣
قرب	: وقاربوا ٢٤٢
قرقر	: قرقرور ٣٨٨
قرع	: فجاءت قرعة فطرتنا ٤٦٨
قصر	: فنسببه القصر ٣٢٤
قصر	: بلا قصر ولا قصر ... ٤٥١
فصل	: التفصيل يجتز للدواب ٥٠٩
قلل	: وأن لما أقلت ٨٥
قمصن	: قمصت ٣٤٠
قمم	: كان جموعاً قمصوماً للخيث ٢٥٣
قنع	: وقنع وأسه ٢٨٨

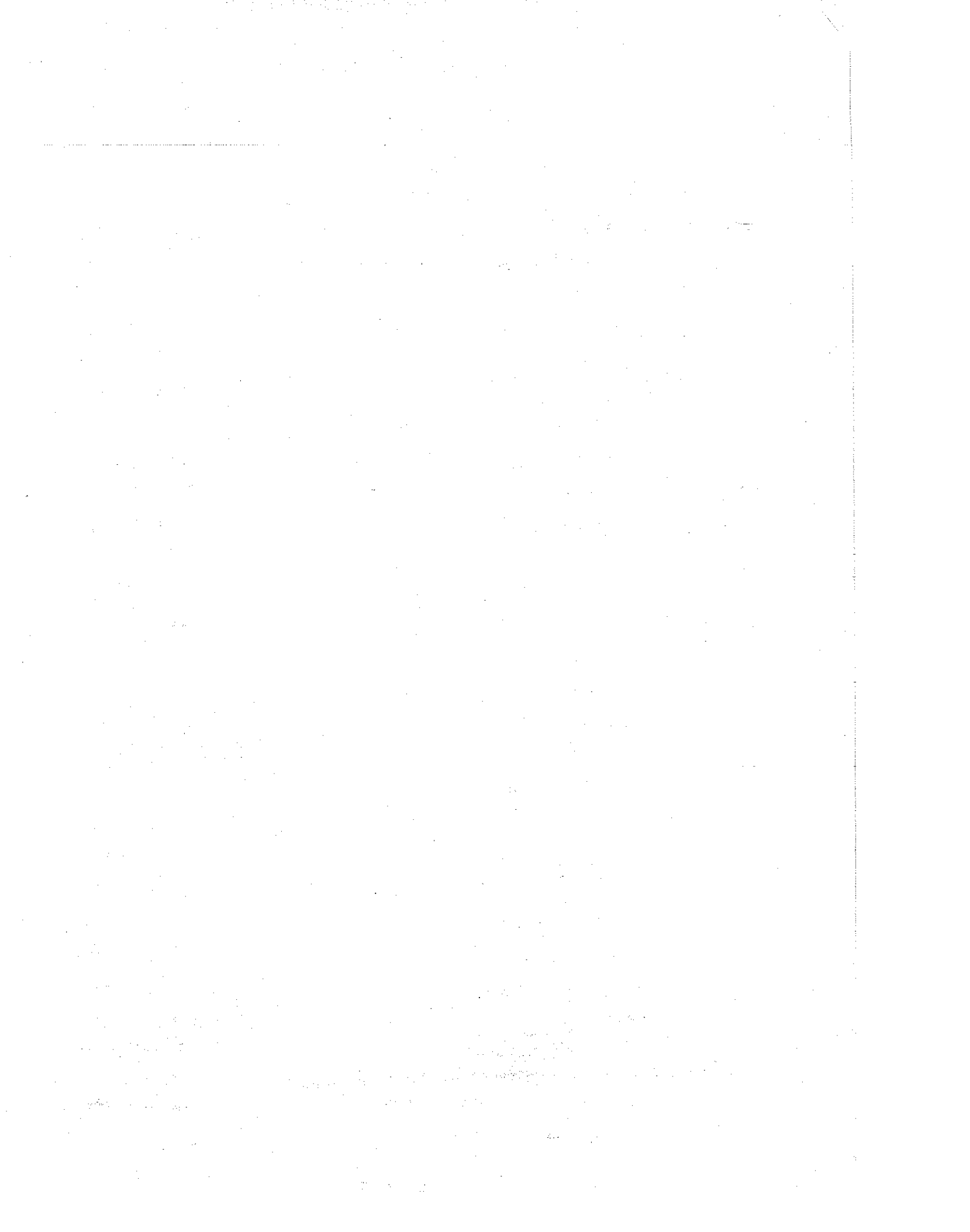
(حرف الهاء)

هجر	ولا يقربون المساجد إلا هُجراً ١٥٢
هذذ	ولا تهذذوه هذذ الشعر ٢٧٧
هصر	بلا قَصْر ولا هَصْر ... ٤٥١
همم	من كل شيطان وهامة ٢٢٩
هنا	وأشر كوننا في المهنتنا ٩٤
هنا	فأهنيك وأمر بك ٥٢٣
هوم	لا شيء في الهام ٢٢٨
هيج	كلما كانت هيجة ٤٧٨

(حرف الواو)

وبق	فموربقها ٣١١
وجه	فقام عمر بوجه نحو ٢٩٦
وحش	بتنا ليلتنا هذه وحشى ٦٢
ودى	بالودى المكتم ٨٩
وسد	بتوسد القرآن ٢٨٥
وسد	صاحب الوساد ... ٤٣٨
وسق	وسقاً من تمر ٦٢
وشج	أطراف الوشج ٨٩
وصب	ووصبها ٢٣٣
وصل	تنهى عن الواصلة ٩٢
وعى	ولا توعى فيسوعى الله عليك ٢٥٣
ولع	إن العين لتولع الرجل ٢٢٨

نعم	تكون النعم طراً ٢٧
نشب	فلم ينشب ... ٤٥٨
نشط	حلتته من نشاط ٢٣٥
نصف	ولا نصيفه ٣٨
نصف	مكان المنصف ٨٢
نطع	ويجعل النطع عليه ١٥٧
نطع	وكان نطع ٢١٥
نطف	تنطف لحيته ٩٥
نعل	تنعل الخيل ١٩٠
نقد	ينقدهم البصر ١٦٣
نفس	نفس منفوسة ... ٤٤٠
نقب	نقبت عن أفئدتهم ٢٣٥
نكت	ينكتون الحصى ١٩١
نكس	فتنكس فجعل نكت مخصرته ٤٤٠
نكي	ينكي عدوه ٨٩
نمر	ثياب النمار ١٤٨
نخص	النمصة ٩٣
نهب	وطعامهم نهبة ١٥٢
نوا	مطرنا بننوء كذا ٢١



تصويبات

الصفحة	السطر	التصويبات
١٩	٢٤	أجمعين (٨)
٨٧	١١	مستطير
١١٦	١٢	مهدايا : صواب *
١٦٦	٣	جمد
١٦٩	٣	(يسم) (٢)
١٦٩	٧	عدهن (٢)
١٦٩	٩	جماع (٣)
١٨٠	١٤	مستغبة
١٨٢	الثالث من التعليق	الكوفيين
٢٠٤	٢٣	الصباح (٣)
٢٤٨	١	قادة
٢٥٠	٢٢	سعد بن جبير
٢٥٠	الثامن من التعليق	وأفقر
٢٨٧	١٩	فَجِثَّتْ
٢٨٧	الثاني من التعليق	فَجِثَّتْ
٣٠٤	الثاني من التعليق	ج ١١٤
٣١٣	السادس من التعليق	القوائد
٣١٣	» و »	ويستعمل في الطعام
٣٤٠	٣	ابن حميد
٣٤٣	١٨	يزكي (٥)
٣٥١	٤	ابن عمر
٣٨٩	السادس من التعليق	بفتح فسكون
٤٠٠	٦	(قل : يا أيها)
٤٢٧	الرابع من التعليق	بن سعد العوفي

(*) علقنا هناك وقلنا : إن الصواب « صواب » . وما قلناه هو خطأ « والصحيح ما في المسند » وانظر في ذلك

البخاري « كتاب الأطعمة » باب « الأقط » : ٩٤/٧ . ومسند الإمام أحمد : ٣٣٨/٢ .

